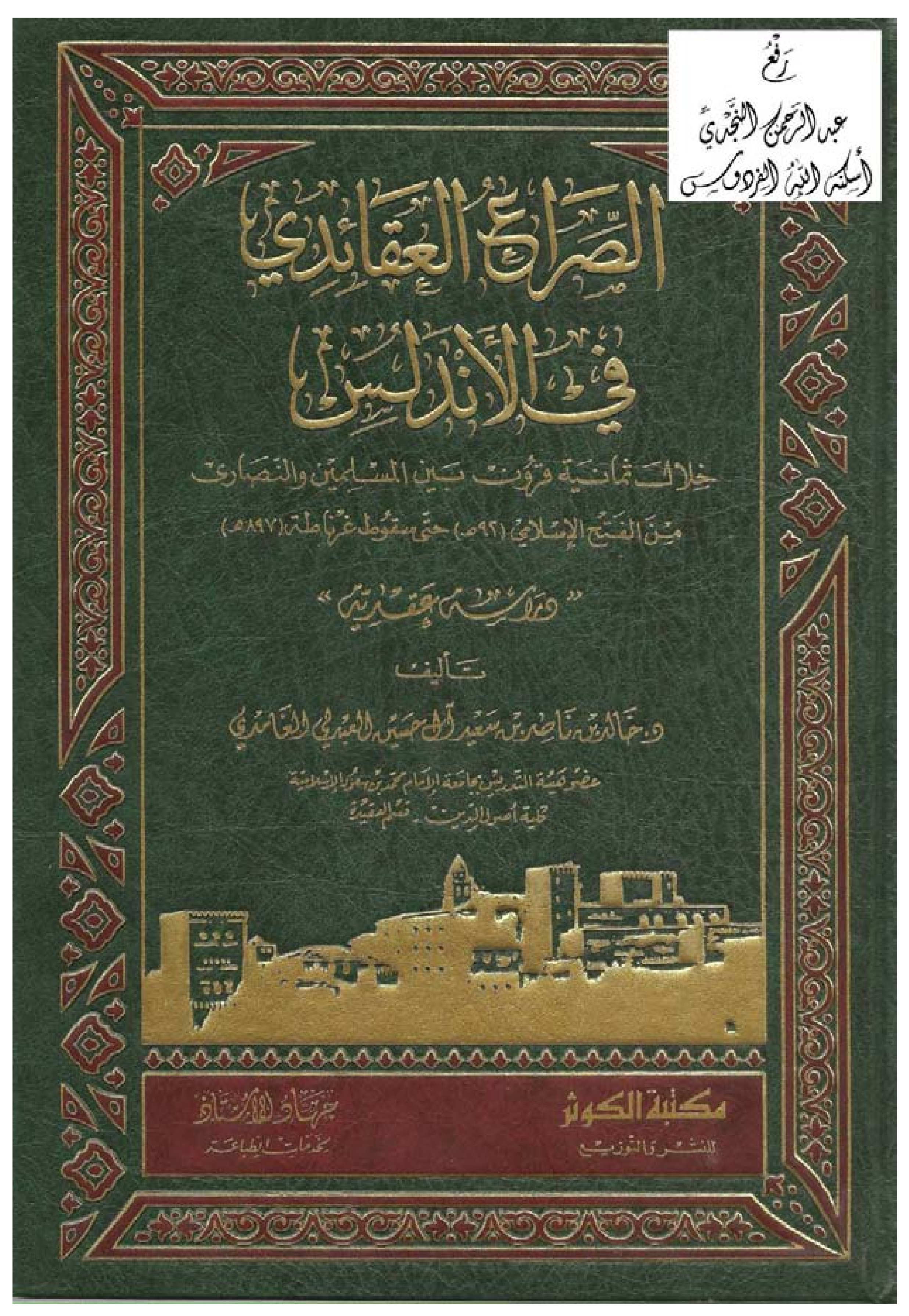

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
الصراع العقائدي في الأندلس
خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى
من الفتح الإسلامي (٩٢هـ) حتى سقوط غرناطة (٨٩٧هـ)
"دراسة عقدية"
تأليف
د. خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين الغبري الغامدي
عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين - قسم العقيدة
مكتبة الكوثر
للنشر والتوزيع
جهاد الأستاذ
لخدمات الطباعة

الصراع العقائدي في الأندلس

الطبعة الأولى

ربيع الآخر ١٤٢٩هـ

مكتبة الكوثر

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض - حي الفلاح - مقابل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(بوابة ٣) هاتف: ٢٧٥٣٦٦٢ - ٢٧٥٣٤٢١ - فاكس: ٢٩٣١٦٩١

جهاد الأستاذ لخدمات الطباعة

المملكة العربية السعودية - الرياض - هاتف: ٢٩٣٠٠٩٧

فاكس: ٢٩٣٢٠٤٩ - ص.ب: ٨٧٢٩ - الرياض: ١١٤٩٨

E-mail: books@islamway.net, info@ostath.com, Site: www.ostath.com

الصراع العقائدي في الأندلس

خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى

من الفتح الإسلامي (٩٢هـ) حتى سقوط غرناطة (٨٩٧هـ)

"دراسة عقدية"

تأليف

د. خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي الغامدي

عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية أصول الدين - قسم العقيدة

بجهاد الأستاذ لخدمات الطباعة

مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع



أصل هذا الكتاب رسالة علمية لنيل درجة العالمية العالية (الدكتوراه) وقد نوقشت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية أصول الدين ونال بها الباحث الدرجة العلمية بتقدير امتياز ومرتبة الشرف الأولى عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك وليس له ولي من الذل، وليس لأحد عليه يداً، وهو الغني الكبير المتعال ليس لهم من دونه ملتحداً، خلق الخلق وأنشأهم بعد عدم بلا مثال بدا، وكلهم عبدٌ ذليل خاضعٌ طوعاً أو كرهاً له سجداً.

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

والقائل ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ﴾ [المائدة: ٧٣]، والقائل ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ القائل: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**»[1].

أما بعد فإن الصراع بين الحق والباطل سنّة كونية من سنن الله التي كتبها بين العباد ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، وإن الله أرسل الأنبياء ليقيموا الحق والعدل والقسط بين الناس، بدأهم بنبيه وعبده آدم وختمهم

---

(١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م ١/ ١٣٤، رقم (١٥٣)، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

بخليله محمد ﷺ، فمنهم من آمن واقتفى ومنهم من كفر وبدل وأبى، ومن هؤلاء أمة كبيرة مؤثرة لها تاريخها الضارب في أعماق التاريخ، ألا وهي الأمة النصرانية التي دعاها رسول الله ﷺ، فاتبعت طائفة وكفرت البقية.

وبقي الصراع بينها وبين هذه الأمة المجتباة صراعاً مريراً عبر القرون الأربعة عشر الماضية، وسيبقى هذا الصراع ـ وهو اليوم على أشده ـ إلى قيام الساعة.

ولقد سرت الحياة في شبه الجزيرة الإيبيرية لما دخل المسلمون في عصر الدولة الأموية عام (٩٦هـ) بقيادة موسى بن نصير وقائده المظفر طارق بن زياد، وكانت الجزيرة الأندلسية تعيش ظلاماً وظلماً، ظلام الشتات والفرقة والحروب، وظلم التثليث والوثنية والإلحاد. دخل المسلمون بالدين الحق، دين الله الذي أنزل على محمد رسول ﷺ فمحى ظلم الشرك وظلام الشتات والفرقة؛ فأشرقت الأنوار، وتفتحت الأزهار، وغردت الأطيار، فرحاً بتوحيد الله، واحتفاء بدين الله.

وهاجر إلى الأندلس كل مكلوم، ولجأ إليها كل مظلوم، واحتمى بعدلها الصغير والكبير، والحقير والأمير. فاجتمع في الأندلس اعتدال هوائها ونقاء مائها وجودة تربتها، وتنوع أشجارها، واختلاف أجناسها ولغاتها، ونتج عن ذلك بلد مثالي اجتمعت فيه المتناقضات وتنافرت المتماثلات، وغدت مأوى لكل قائد غطريف، وكاتب لطيف، وشاعر ظريف. وأبدع فيها أهل العلم وطلابه، وباحثوه وكُتّابه.

حقاً لقد عاش الأندلس عالماً مستقلاً بذاته، ذاخراً بثقافته وعاداته مقيماً لفرض الرباط والجهاد، استوى في ذلك الحاضر والباد، وانفرد الأندلس بذلك عن أغلب البلاد.

وكانت مجاورة الأندلس لعدوٍ لدود، وحاقد حسود، يرقب المخاتل ويعاون كل صائل، أساس البلاء، ومنبع الداء، وأم النكبات، والمصائب المبكيات. ذلكم هو الصليب وعبدته وكهانه وسدنته. فيا الله كم طعن به المسلمون وأوذي به الصالحون من شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها.

من إشراق الأندلس إلى كسوفها، ومن بشناقها إلى كوسوفها[1]، وقد ورد في الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، رفعه: «أشد الناس عليكم الروم»[2].

عند ذلك طرد المسلمون في السلاسل، وقتل قادتهم البواسل، أو نصِّروا بفعل وحيش فيما عرف بمحاكم التفتيش.

أمور لو تدبرها حكيم إذن ... لنهى وهيب ما استطاعا[3]

وكان هذا بعد سقوط الأندلس عام (٨٩٧هـ) وإنا لله وإنا إليه راجعون ما أعظم المصيبة، وما أفدح الكارثة، تلك حياة الأندلس وهذا مماتها، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وكان أمره قدراً مقدوراً.

ولقد سعى النصارى بجهد جهيد لحرب المسلمين بكل الوسائل والطرق لثنيهم عن دينهم، أو تشريدهم عن بلادهم، أو تشكيكهم في عقيدتهم، إذ هي حرب وجود وعقائد ومصالح دنيوية، ما يعني أن الجدل العقدي للمسلمين لم يكن من أجل الدين فقط أو من أجل العلم، بل من أجل الدنيا والدولة والمجتمع، وما وراء ذلك من بنيات اقتصادية واجتماعية وأخلاقية لا سيما وأن الديانة النصرانية قبل الإسلام بقرون عدة، تعتبر نفسها الدين الأكمل الأتم الناسخ لما وراءه وما قبله من أديان، حسب مفهوم رجال المسيحية النصرانية.

ويصور لنا الجاحظ تربص النصارى بشريعة الإسلام، وابتكار الخطط المختلفة لإطفاء نور الإسلام، وصد الناس عنه، وبث النفاق والشك في قلوب الأبرياء تجاهه.

ويبيّن خطرهم الماحق على الإسلام والمسلمين، وجهدهم الحثيث في محاربة عقيدة الأمة وشريعتها، فيقول: «على أن هذه الأمة لم تبتل باليهود ولا

---

(١) أقصد شعبي البوشناق في دولة البوسنة والهرسك، وشعب كوسوفا الألباني المسلم، اللذين ذاقا ويلات القتل والتنكيل على أيديهم.

(٢) سيأتي تخريجه قريباً.

(٣) البيت في نفح الطيب، ٤/٥٢٥، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة ١٩٩٧م، وقديمة، ١٩٦٨م.

المجوس ولا الصابئين، كما ابتليت بالنصارى، وذلك أنهم يتبعون المتناقض من أحاديثنا، والضعيف الإسناد من روايتنا، والمتشابه من آي كتابنا، ثم يخلون بضعفائنا، ويسألون عنها عوامنا، مع ما قد يعلمون من مسائل الملحدين، والزنادقة الملاعين، وحتى مع ذلك ربما تجرؤوا على علمائنا وأهل الأقدار منا، ويشغبون على القوي ويلبسون على الضعيف»[١].

وكان هذا في الزمان المتقدم أخف ضرراً وأهون خطراً من زماننا هذا، فأولئك كانوا نصارى يحذرهم الناس كما يحذر العدو، ولكن تغير معادلات الحرب في الأزمان المتأخرة، فتلقّف الراية منهم من درس على أيديهم وتربى على فكرهم وكفرهم، وتعلم في جامعاتهم وتشرب عقائدهم وجعل يبث سمومهم وينشر إلحادهم بين أبناء الأمة، من أفراخ النصارى المستشرقين، ممن سموا أنفسهم زوراً بـ (المستنيرين أو العصريين) ممن تسمى بأسمائنا وتكلم لغتنا من بني جلدتنا.

وكان هذا الهجوم الفكري العقائدي في الأندلس على أشده أيام قوة الدولة الإسلامية في الأندلس وأيام قوة وعزة المسلمين، أما بعد ضعف المسلمين وهزيمتهم العسكرية، فلقد شنت الممالك النصرانية ـ بتأييد الكنيسة ـ حملة الإبادة الدينية من القمع والإرهاب الفكري النصراني ـ كما يقول المستشرق «خوليان ريبيرا» ـ لأي أثر عربي إسلامي شرعي، يتمثل ذلك في إحراق النصارى كتب المسلمين من الحديث والفقه، بعد تقديم أصحابها للمحاكم التفتيشية، وإبقاء كتب الفلسفة وكتب علم الكلام وإحراق ما عداها، وبالتالي أحرقت آلاف الكتب والمخطوطات في الساحات العامة أمام الكردينال ثينسيروس؛ ليسهل تحويلهم إلى الكاثوليكية، وحقاً لقد أتلف هذا الكردينال ما يزيد على مليونين من المخطوطات العربية العظيمة[٢].

---

(١) المختار في الرد على النصارى، لأبي عثمان الجاحظ ص٦٥، ٦٦، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، دار الجيل بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) انظر: التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية، خوليان ريبيرا، ص١٧٠، ١٧٨، ترجمة: الطاهر مكي، دار المعارف.

إذاً سار الهجوم الفكري العقائدي في خط مواز مع الغزو الحربي الشرس، وكأنه تمهيد وتوطئة له، كما فعل ببلاد المسلمين أوائل هذا القرن.

وهذا مصداق قول النبي ﷺ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: «أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة»[1].

هذا مع أن محاربيهم من النصارى أهل عقائد فاسدة، ضعيفة المباني واهية القوى وعرة المسالك لا يعولون فيها إلا على التقليد المحض، عاضين على ظواهر أطلقها الأولون ـ أيام فتنة الرومان وملاحقة أتباع المسيح وما بعدهم ـ لم يستطع الآخرون لقصورهم حل مشكلها أو إيضاح أسرارها، ظانين بأن ذلك هو الشرع الذي شرعه لهم عيسى عليه السلام، معتذرين ومتذرعين في اعتقادها بما ورد عن أسلافهم من نصوص اعتبروها قطعية الثبوت، قاهرة الألفاظ والمباني لا مجال للتأويل فيها، على ما تحمله من التضارب والتضاد والتناقض ومخالفة بدائه العقول.

ثمانية قرون من الصراع الجهادي بأنواعه العسكري والفكري والاجتماعي؛ فما موقف علمائنا الأندلسيين من هذا الطغيان البارز للعيان؟

لم يعتزل علماء الأندلس ميادين الحياة ويخنسوا عن المواجهة ويفروا إلى المدن والدول الآمنة، ولم يركنوا إلى الراحة أو تغرهم زخارف الدنيا الأندلسية، ولكنهم قادوا الناس محرضين على الجهاد والرباط والدفاع عن الدين والأعراض والدماء والأموال، فتجد في كل معركة جماعة منهم ومن طلابهم، إما شهداء، وإما أسارى وإما جرحى، حتى تستنقذ البلاد ويأمن العباد، وهم فوق ذلك لا يقفون عند هذا الحد، بل يسعون جاهدين داعين إلى الإصلاح أيام الأمن والقوة والمنعة والأفراح، ناصحين للأمراء معلمين للناس، محذرين من البدع والشركيات والطوام المهلكات والمعاصي والشقاق والفرقة كما أمر رب السماوات.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٢٣٠، رقم (١٨٠٥٢)، مؤسسة قرطبة بمصر (عن النسخة الميمنية).

ومن هؤلاء العلماء الربانيين الأبطال الأفذاذ الذين ضمخوا تراب الأندلس بدمهم الطاهر:

ما ينيف على العشرين ويقرب من الثلاثين من سادة التابعين.

منهم أسد ابن الفرات، ومنهم الإمام الجزولي، ومنهم الإمام ابن عطية (صاحب التفسير) ومنهم ابن رشد (الجد) ومنهم أبو الربيع الكلاعي، وغيرهم جم غفير، ستأتي تراجمهم في ثنايا البحث بمشيئة الله.

أما تصديهم الفكري والعقدي، فهو شيء كثير قامت بفرضه جماعات العلماء وطلبة العلم.

أما الحملات الفكرية النصرانية المعادية لشريعة الإسلام، سواء أكانت مشافهة أم مكاتبة أم مناظرة كتابية أم علنية، فهي كثيرة وفيرة. ولقد عمد النصارى ـ كما قدمنا ـ إلى مخاطبة دهماء وعوام المسلمين بعد تشكيكهم في دينهم، أو تحويلهم إلى النصرانية أو صرفهم عنه وعدم الاهتمام به في أقل الأحوال، كما عمدت فئة من رجال الدين النصراني إلى ترجمة القرآن، وبعض كتب المسلمين برسم النقد ـ خيب الله سعيهم ـ والتشكيك في صحتها وثبوتها، كما سعت فئات منهم إلى تأليف الكتب والرسائل ومخاطبة الملوك والعلماء وطلبة العلم للتنصر ونبذ الإسلام.

فهل غفل ورثة الأنبياء عن هذه الردة الصلعاء والفتنة العمياء، وانشغلوا بشرعيةٍ علمية خلف جدران مكتبات صماء؟ والحق يقال أن علماء الأندلس أدركوا مسؤوليتهم تجاه هذا الدين، فتعلموا العلم وعلموه الناس، وفقهوا دين الله كما أنزله وعاشوا واقع الناس، وفهموا ما يحاك لإفساد البلاد والعباد بالشهوات تارة، وبالبدعة والشبهات أخرى، وبإخراجهم من دينهم ثالثة وبطردهم من بلادهم رابعة.

هؤلاء العلماء أرباب السيف والقلم، ورثة الأنبياء في الأمم، وضمير الأمة الحي الناطق عنها، لم يغفلوا عنها بل رصدوها وراقبوها وتصدوا لها وبرزوا لمواجهتها، ولم يولّوا الأدبار ـ إن تولّى المدبرون ـ ولم يهربوا أو يفزعوا أو يتخوفوا إن تخوف المتخوفون، بل امتثلوا قول المولى ﷻ

لرسوله ﷺ لما أن علّمه كيف يواجه المجرمين والمارقين والمنحرفين والمعاندين لشرع الله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥]، فسلكوا هذا المسلك الطاهر النقي الواضح الظاهر، فكشفوا أسرارهم، وهتكوا أستارهم وأبانوا عوارهم.

ومن هؤلاء:

الإمام الفذ أبو محمد بن حزم، الإمام أبو الوليد الباجي، الإمام ابن عطية، الإمام أبو بكر بن العربي، وأبو عبيدة الخزرجي، وابن جزيّ الكلبي، وابن حيان، وغيرهم كثير.

ولم يقتصر دور العلماء على ذينك الشيئين بل امتدت أنواع مجاهداتهم بالفتاوى والكتب والرسائل والخطب والأشعار ووعظ الناس في المساجد والأماكن العامة، وأتبعوا القول بالعمل.

كما لم يقتصروا على الجهاد بالنفس والنزول إلى ساحات الوغى وميادين القتال، كتجهيز الغزاة وفك الأسارى من المسلمين وإنفاق الأموال في الجهاد وتسوير المدن الإسلامية من هجمات الأعداء. كما كان لهم مكان القادة في الأمة إذ شاركوا في قيادتها سياسياً وعسكرياً، وهم الذين قامت الدول الأندلسية (الأموية، المرابطون، الموحدون، النصريون بنو الأحمر) على عواتقهم وبتأييدهم، وصمدت طويلاً بهم عند الأزمات وحلول النكبات والكوارث المهلكات، لمجاهدة النصارى أو للاستنجاد بالمسلمين في عدوة المغرب من العلماء والحكام لنصرتهم.

ولذا قدَّر الحكام في الأندلس قدرهم، وأنزلوهم منزلتهم، فهذا الأمير الأموي عبد الله القاسم «كان يعظم أقدار أهل العلم، ويعرف حقوقهم، ويستدعيهم كثيراً إلى نفسه، ويستفتيهم في أحكامه، ويشاورهم في ما يطرقه من أحداث زمانه، وفوق ذلك كان لا يقدم أمراً ولا يؤخره إلا عن مشورة أهل العلم والفقه»[1].

---

(١) المقتبس من أنباء أهل الأندلس، لابن حيان حيان بن خلف القرطبي ق٣/ ٣٤، ٣٧، =

هذه قاعدة عرفها تاريخ الإسلام، أنه إذا قرّب العلماء الناصحون واستشيروا قويت الدولة وعزت وانتصرت، وإذا أقصوا واستبعدوا ضعفت وانهزمت، وهذا نموذج من عشرات الأمثلة أيام انتصار الأندلسيين وعزتهم.

أما موضوع الرد على النصارى فهو موضوع الساعة، وحديث العصر، وسبيل الأمة القوية في إثبات ذاتها ودينها وعقيدتها، ومن أسس الصراع كشف الشبه الواردة وبيان الحق والرد على المبطلين.

واعلم أن المقصود بالتأليف ـ كما قدم المقري في كتابه أزهار الرياض ـ لما أراد تأليفه: «رأيت بخط بعض الأكابر ما نصه: المقصود بالتأليف سبعة: شيء لم يسبق إليه فيؤلف، أو شيء ألف ناقصاً فيكمل، أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح أو مطول فيقتصر، أو مفترق فيجمع، أو منثور فيرتب. وقد نظمها بعضهم فقال:

ألا فاعلمن أن التآليف سبعة ... لكل لبيب في النصيحة خالص

فشرح لا غلاق وتصحيح مخطئ ... وإبداع حبر غير ناكص

وترتيب منثور وجمع مفرق ... وتقصير تطويل وتتميم ناقص»[1]

وأحسب أن موضوعي هذا من البيت الثالث فهو ترتيب لمنثور وجمع لمفرق وتقصير لتطويل.

وما هذا البحث إلّا إسهام بسبط في هذا المضمار عل الكفر يجتث.

ومما يجدر ذكره في هذه التقدمة أن تاريخ الإسلام قد حفل بأنواع من الردود والمجادلات العلمية العميقة، التي تميزت بالقوة ورصانة الحجة وعمق التناول وسعة المعرفة، كما عكست الأدب الإسلامي الأصيل في الجدل، إذ هو جدل جميل ورصين بالتي هي أحسن، تأدب أصحابه بأدب القرآن الكريم

= تحقيق: د. محمود علي مكي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، وجزء من تحقيق: د. إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ٢/ ٣٤، ٣٥، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، طبع اللجنة المشتركة بين دولتي الإمارات والمغرب.

كما ورد في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فالتزموا النزاهة والموضوعية وأمانة النقل عنهم، وسوق حججهم غير مبتورة أو محرفة أو مشوشة، ثم مناقشتها وتقييدها، وهو بحر متلاطم يصعب استقصاؤه وحصره، ويطيب عرفه وذكاؤه ونشره، وتفنى الأوقات وتطول المدد في محاولة ذلك، ولكننا على منوالهم سائرون، ومن علمهم وفضلهم مقتبسون.

ومن الكتب التي أُلّفت في الرد على النصارى، مما تميز بالقوة والأصالة العلمية ـ على الجملة ـ في تاريخ المسلمين:

ـ الرد على النصارى؛ **لأبي القاسم الرسي** ، متكلم زيدي، (مطبوع).

ـ المختار في الرد على النصارى؛ **لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الهندي** (مفقود).

ـ الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل؛ **لأبي حامد الغزالي** (مطبوع).

ـ تخجيل من حرف التوراة والإنجيل؛ **للقاضي صالح بن حسين الجعفري الهاشمي** (مطبوع).

ـ المنتخب الجليل من تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ـ وهو اختصار للسابق ـ **لأبي الفضل السعودي المالكي** (مطبوع).

ـ الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية؛ **سليمان الطوفي الحنبلي**.

ـ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ـ وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ـ **لأحمد بن إدريس القرافي** (مطبوع).

ـ الرد على النصارى، وكتاب الرد على أبي قرة النصراني؛ **لأبي عيسى ابن صبيح** ، معتزلي، (مفقود).

ـ كتاب جواب قسطنطين عن الرشيد، **أبو الربيع بن الليث القرشي** (مفقود).

- الرد على النصارى؛ **ضرار بن عمرو** (مفقود).

- الرد على النصارى؛ **أبو سهل بشر بن المعتمر**، متكلم معتزلي (مفقود).

- الرد على النصارى؛ **للقاضي عبد الجبار المعتزلي**.

- الرد على النصارى؛ **لأبي بكر الطرطوشي**.

- قصيدة **القفال الشاشي** في الرد على القصيدة النقفورية (مطبوعة).

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح؛ **لابن تيمية** (مطبوع).

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى؛ **لابن القيم** (مطبوع).

- جواب لأهل جزيرة قبرص؛ **لابن أبي طالب**.

- شفاء العليل في الرد على من بدَّل التوراة والإنجيل؛ **لأبي المعالي الجويني** (مطبوع).

- الرد على النصارى؛ **لأبي العباس بن الطيب السرخسي**.

- الرد على النصارى؛ **لابن عوف**.

- الرد على النصارى؛ **للدمياطي**.

- الرد على النصارى؛ **لأبي الهذيل العلاف**، متكلم معتزلي (مفقود).

- الرد على النصارى؛ **لأبي جعفر الإسكافي**، شيعي معتزلي (مفقود).

- الرد على النصارى؛ **حفص الفرد**، متكلم معتزلي.

الرد على النصارى؛ **لابن ربن الطبري**، كان نصرانيا فأسلم.

- ناصر الدين على القوم الكافرين؛ **لأحمد بن القاسم الأندلسي** (مطبوع).

- **رد أبي مروان بن ميسرة** على النصارى.

- **رسالة الحسن بن أيوب** (كان نصرانياً فأسلم) إلى أخيه علي بن أيوب[1].

---

(١) ضمن الإمام ابن تيمية هذه الرسالة أو كثيراً منها في كتابة القيم: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. انظر ٤/٨٨ وهو بتحقيق: د. على حسن عسيري، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض ط. الأولى، ١٤١٤هـ.

- هداية من حارا في أمر النصارى؛ **للشيخ ماء العينين الشنقيطي** (مخطوط مصور خاص بخزانتي).

- الأجوبة الساباطية؛ **عبد الجواد إلساباطي الهندي**.

- إظهار الحق؛ **رحمة الله الهندي**.

- إرشاد الحيارى وردع من مارى في اختلاف النصارى؛ **عبد العزيز الدميري**.

- الرسالة العسلية؛ **أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ**، معتزلي (مفقود).

- الحجة على النصارى؛ **محمد بن سحنون**، فقيه مالكي (مفقود).

- كتاب الرد على النصارى، الكبير، والأوسط، والصغير؛ **أبو عيسى الوراق** (أكثره مفقود).

- الرد على النصارى؛ **أحمد بن محمد القحطبي** (مفقود).

- الرد على النصارى؛ **أبو علي الجبائي**، متكلم معتزلي (مفقود).

- الرد على ملك النصارى في رسالة؛ **عيسى بن داود الجراح**.

- كتاب الرد على النصارى في النعيم والأكل والشرب في الآخرة، وعلى جميع من قال بضد ذلك؛ **حميد بن سعيد بن بختيار المتكلم** (مفقود)[1].

- محاضرات في النصرانية؛ **لأبي زهرة**.

- كتب ومناظرات **أحمد ديدات** وكتب **أحمد شلبي**.

- وكذا كتب الفرق والمقالات والملل والنحل، ككتاب الأشعري والشهرستاني والجويني والبغدادي، وغيرها من التي تعرضت ونقدت عقائد النصارى، فيمكن الإفادة منها بشكل كبير.

إلى غير ذلك من الكتب المعاصرة التي اعتنت بالأديان ومقارنتها، ونقد

---

(١) هذه العناوين وجدتها في مصادر كثيرة عند جمع المادة العلمية، ككتب التواريخ والتراجم والعقائد والملل وغيرها، وهو غيض من فيض مما ألف في الرد على النصارى.

كتبها على ضوء الدلائل التاريخية والتجارب العلمية والحقائق الكونية مثل ما **كتبه محمد أسد (ليوبولد فايس) وموريس بوكاي وجارودي ومراد هوفمان والدكتور عبد الكريم جرمانوس.**

على أن موضوع الرد على النصارى لأهميته التاريخية والعلمية والواقعية لم يحظ ـ في نظري ـ بالبحث الكامل المستقصي لجميع أطرافه العلمية، وكثير من التراث العلمي لا يزال مجهولاً يعوزه البحث والتنقيب، وهو جدير بأن يكتب فيه رسائل علمية مفيدة، وهذا ما أحض وأحث عليه الباحثين وطلاب العلم لمزيد الجهد والبحث لهذا الموضوع الحي.

الخطوات العلمية والعملية في البحث:

بدأت باختيار عنوان موضوعي بسؤال مشايخي وزملائي، واستشارتهم ومجالستهم ومدارستهم، ومنَّ الله علي في جلسة علمية جمعتني ببعض الزملاء، أن توصلت إلى هذا الموضوع من خلال إشارة علمية عابرة استنتجتها وبنيت عليها، وكما يقال: أن الإبداع واحد من مئة فكرة وتسعة وتسعون عمل.

فاستعنت بالله وأخذت أقرأ في جم غفير من كتب الأندلسيين، الفقهية والعقدية والتاريخية والأدبية وغيرها، ثم وضعت خطة هي أساس البحث، ورفعتها إلى أشياخي في قسمنا المبارك، وبعد تسديدها وإقرارها منهم ـ جزاهم الله خيراً ـ قمت برحلة علمية إلى الأندلس (إسبانيا) وزرت بعض المراكز العلمية لتصوير بعض المخطوطات والكتب، وكذا المغرب والقاهرة وموريتانيا، وقد خرجت بفائدة علمية كبيرة من خلال زياراتي للمكتبات العامة والخاصة والتجارية ـ بحمد الله تعالى ـ كما استغرقت مني كثيراً من الوقت والجهد في جمع شتات المادة العلمية وقراءتها من عشرات المخطوطات والمصادر والمراجع واستخراجها، ثم صياغتها حسب خطة البحث. ولم أكتف بذلك بل قرأت كتب النصارى المعاصرين وقارنتها بعقائد الأقدمين مبرزاً التغيرات التي طرأت معلقاً على ما استحق التعليق.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

أولاً: أن الموضوع يدرس جهود علماء الأندلس دراسة جديدة لم يسبق إليها إلا بدراسات أدبية أو جغرافية أو تاريخية أو عسكرية بحتة، قائمة بين الإمارات والدول آنذاك، ـ حسب ما عملت ـ ولم تلمس الجانب العلمي العقائدي في حياة مسلمي الأندلس بوجه شامل، طوال ثمانية قرون من العطاء العلمي.

ثانياً: أنه يبحث حال أهم وأزكى وأتقى وأنبل فئة في المجتمع المسلم؛ ألا وهي فئة العلماء المجاهدين العاملين الأتقياء الأبرار والزاهدين الأطهار، كي نحذو حذوهم ونسير على منوالهم.

ثالثاً: أنه يبحث في أعظم قضية كونية عرفها التاريخ والبشر والخلق ألا وهي قضية توحيد الخالق ﷻ ولا إله إلا هو، والذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، دافعاً الشبه المثارة حوله، مقرراً المعتقد الحق، راداً على زيغ أكبر وأخطر جماعة انحرفت عن الدين الحق إلى الحلول والاتحاد والتثليث والزندقة والكفر، وأنواع الضلالات، وهي جماعات الديانة النصرانية.

رابعاً: أنه يبرز تراث علماء المسلمين الأندلسيين في الدفاع عن عقيدة التوحيد الصافية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ويؤكد تأثير التراث الإسلامي في حركة النقد لعقائد وكتب أهل الكتاب لا سيما عند المتأخرين منهم، ويكشف لنا جهود العلماء في نصرة الدين وكشف زيف المبطلين، ويبين لنا جهدهم الجهيد في مقارعة كل ملحد عنيد، بالقلم تارة وبالسنان تارات. ونحن أحوج ما نكون إليه في زماننا هذا، في مقارعة أساليب التغريب والتنصير والمكر بهذا الدين لاستئصال شأفته.

خامساً: أنه يترجم لعشرات من العلماء من التابعين ومن بعدهم، ويلخص سيرتهم العطرة ويوضح التضحيات العظيمة الجسيمة التي بذلها الآباء والأجداد، والدماء الطيبة الطاهرة التي ضمخت تراب الأندلس الطاهر؛ لنعلم أن هذا هو السبيل الوحيد لنصرة هذه الأمة والنهوض بها والاستعانة بالله الواحد القاهر.

سادساً: أن الموضوع يدرس العقيدة النصرانية الزائفة، دراسة المتعمق القريب الخبير بفسادها وتناقضها وأباطيلها؛ إذ أبان ذلك من عاصرها وقرأ كتبها وربما كان واحداً من رجالها، وكان الرد وفق شرع الله وسنة نبيه ﷺ وفق القواعد العقلية والمنطقية المتعارف عليها عند سائر البشر؛ لإثبات توحيد الله وتنزيهه عما لا يليق به من القول بالولد والتثليث والصلب.

سابعاً: أن دراسة هذا الموضوع كشف لأساليب النصارى في البحث والتشكيك ومحاولة استنقاص دين الإسلام؛ يفيد العلماء والدعاة في معرفة ذلك، وأن طرق ردود العلماء الأندلسيين كانت ناجحة في التصدي لهم، وأن المستشرقين وأفراخهم من بني جلدتنا لا زالوا يرددون شبهات ومقولات القسس والرهبان من تلك العصور، وربما زادوا عليها بما يلزمنا بيانه والرد عليه هذا العصر.

ثامناً: أن دراسة هذا الموضوع تبيّن أكبر خطر على الأمة الإسلامية منذ سنيها الأولى هي النصرانية المنحرفة الزائفة الفاسدة، إذ هي وثنية حلولية إلحادية تلبس لبوس الأديان السماوية.

تاسعاً: أن هذا الموضوع يعطي طالب العلم والمسلمين بعامة ـ لا سيما من يخالطهم أو يساكنهم كالأقليات الإسلامية ـ قواعد حية واضحة في التعامل مع النصارى في البيع والشراء والزواج والكراء والولاء والبراء... إلخ، كما هي في كتب علماء الأندلس وفتاواهم ورسائلهم لا سيما وأن المسلمين والنصارى يشكلون غالبية سكان العالم، كان لا بد لأهل الإسلام من التعامل معهم وتبادل المنافع التجارية والدراسية وغيرها، ومن الواجب أن يعرف أهل الإسلام أحكام ذلك، من خلال اطلاعهم على طريقة تعامل طائفة من علماء الإسلام مع النصارى فيقتدوا بهم، ويعرفوا منهجهم؛ لأن العلماء ورثة الأنبياء.

عاشراً: أن دراسة هذا الموضوع تبين للمسلمين أن التمسك بالجهاد هو سبيل عزتها وانتصارها وسعادتها طرداً وعكساً، فإذا انخذلت وتخاذلت هزمت وإذا صابرت وجاهدت نصرت.

حادي عشر: الرد على بعض من يسمون أنفسهم بالعصريين، وبـ (التيار المستنير)، الذين يزعمون أنهم النموذج الحقيقي لأهل الإسلام، وقد يمثلون أهل الإسلام في بعض المنتديات العالمية، فيحرفون الشريعة حسب أهوائهم، ويصدون عن سبيل الله، ويبدلون شرعه؛ فكان من الواجب كشف عور هؤلاء الأدعياء والرد عليهم من خلال معرفة أهل العلم والإيمان أتباع الأنبياء.

ثاني عشر: ظهور من ينادي بما يسمى: (حوار الأديان)، تحت دعاوى اجتماع أهل الإيمان والأديان السماوية تحت مظلة واحدة؟! من أجل التصدي لأهل الشرك والإلحاد، ومن ثم إلى وحدة الأديان؛ فكان لا بد من بيان وتوضيح خطورة هذا المنهج.

ثالث عشر: أنه كثرت في هذه الآونة الأخيرة صيحات: الإسلام والغرب، أو الإسلام والحوار مع الغرب ونحوها، وبما أن نصارى الأندلس هم الأقدمون من النصارى الذين احتكوا بالمسلمين، كان هذا الموضوع حياً وشاهداً يبين كيف وقف العلماء المسلمون منهم قديماً، ليكون لنا نبراساً كيف نقف معهم في عالمنا المعاصر.

الخاتمة:

وذكرت فيها خلاصة بحثي وأهم ما توصلت إليه من النتائج، من خلال تأملي واستخلاصي لما ورد من كلام أهل العلم في أبواب وفصول البحث، ومن خلال نظرتي واستنتاجي ما عليه حال هؤلاء القوم. كل ذلك وفق شرع الله بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة.

وفي ختام هذه التقدمة أشكر الله ﷻ أن منَّ عليّ بنعمة الإسلام وجعلني مقتفياً لسنة خير الأنام، محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وأن أكون ممن نافح عن دينه إعذاراً له عز شأنه ورفعاً للملام. على أني أتقدم بهذا المؤلف للقراء على قلة علم وبضاعة مزجاة في الفقه، فإن سلمت من نقد العلماء فبرحمة الله، وإن سُترت فبتوفيق الله، وأسأله الغفران والستر في الدنيا والآخرة.

ثم إني أشكر والديَّ الكريمين على تربيتهما ورعايتهما لي، وأخص بالذكر والدي الفقيه الشيخ: ناصر بن سعيد، الذي شجعني وعلّمني منذ صغري على طلب العلم وحبه وبذل الغالي والنفيس في سبيله، كما أشكر جامعتي العريقة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية القيمة الطريقة، على إتاحتها فرصة الدراسات العليا لي، وتسهيلها العقبات في طريقي، وأشكر قسم العقيدة العتيد الذي بذل لي الطارف والتليد، ممثلاً في أساتذتي وأشياخي الكرام أهل الفضل والنبل والتوحيد.

وأشكر كذلك شيخي وإمامي المحفوف بإكباري وإعظامي، فضيلة مشرفي على هذا البحث الأستاذ الدكتور: سالم بن محمد القرني، لما أولاني من نبيل رعاية وتوجيه وحرص عليّ وعلى بحثي، فجزاه الله خيراً. كما أشكر شقيقي الأكبر الشيخ الدكتور: سعيد بن ناصر على توجيهه وتسديده مسيرتي العلمية.

وأشكر أيضاً زميلي الشيخ الدكتور: علي بن حسين موسى الشريف، الأستاذ بجامعة الملك خالد، الذي منه استنتجت فكرة هذا البحث. أثابه الله وجعله في ميزان حسناته، وكذلك أشكر الدكتور: حسن الوراكلي (المغربي) أستاذ الدراسات العليا بجامعة أم القرى على إفادته ببعض الكتب والمخطوطات.

كما أشكر كل من أعانني بأي نوع من الإعانة طوال سني هذا البحث، داعياً لجميع من ذكرت بالثبات على هذا الدين حتى الممات. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



تنبيهات منهجية

وبما أنني أتحدث عن المقدِّمات الممهدات لهذا البحث، فإني أود التنبيه إلى بعض نقاط منهجي في البحث:

- أني أورد جهد كل عالم أندلسي في الرد على النصارى مستقلاً حسب الفصول والمباحث، ولا أدمجها مع غيرها ـ إلا في أضيق الحدود ـ ليتبين للقارئ النقاط التي أثارها وناقشها، مراعياً الاختصار قدر الإمكان.
- أوردت النصوص من كلام العلماء كما هي دون تدخل ـ قدر الإمكان ـ ولم أصغها بأسلوب حديث لئلا أفقدها قيمتها التاريخية والعلمية والشخصية لقائلها. كما رتبتها في نقاط اجتهدت فيها حسب خطة البحث.
- أني أذكر اسم الكتاب ومؤلفه ومحققه والطبعة وتاريخها ومصدرها ورقم الجزء والصفحة ـ قدر الاستطاعة ـ عند أول ورود لاسم الكتاب في متن البحث، ثم اختصره في اسم الكتاب بعد ذلك، أما ما ورد في الهامش فبيانه في فهارس الكتاب.
- في التراجم ترجمت في المقدمة لأكبر العلماء الذين كان لهم دور بارز في الرد العقدي على النصارى. أما ما عداهم فقد ترجمت لهم بالهامش عند ورود اسمهم، وقد ترجمت للعلماء المجاهدين في القتال والتحريض على الجهاد في فصل مستقل في الباب الثاني.
- أنني حاولت جهدي في عزو النصوص النصرانية في كتابهم المقدس، أما ما عداها من النصوص وما لم أجده لاختلاف الترجمة وبعد الزمان، فقد عزوته إلى المؤلف الذي ذكره لمشقة ذلك. وهو قليل.
- أنه في بعض النصوص المطولة، انقلها بين الأقواس « »، وقد أحذف الاستطرادات وأبدلها بنقاط. . . ثم اختم بالأقواس، والنص كما هو يعزى إلى من أورده.

- ميّزت الآيات القرآنية بخط المصحف العثماني.
- إذا كان الكلام منقولاً بمعناه أو بتصرف فيه، فإنني أجعل الإحالة إليه بلفظ: انظر.
- بذلت جهدي في ترجمة الأعلام الأندلسية من العلماء ممن لهم علاقة بمسائل البحث، وبالفرق والقبائل والطوائف والشعوب والبلدان، وكذا بالغريب والغامض من مفردات اللغة.



خطة الكتاب

(الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى) من الفتح الإسلامي (٩٢هـ) حتى سقوط غرناطة (٨٩٧هـ) «دراسة عقدية»

وتتكوّن خطة هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس، وهي على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل:

أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

التمهيد، وفيه:

المبحث الأول: التعريف بالأندلس (نبذة تاريخية عن الإسلام في الأندلس).

المبحث الثاني: التعريف بنصارى الأندلس، وإبراز عقائدهم، ونحلهم والمصادر المعتمدة لديهم (إجمالاً).

المبحث الثالث: نبذة عن علماء الأندلس الذين كان لهم دور بارز في الرد على النصارى.

الباب الأول: جهود علماء الأندلس في الرد على النصارى في أصول الإيمان والتعاليم الكنسية، وفيه فصول:

الفصل الأول: عقيدة النصارى في الإيمان بالله، وفيه مباحث:

المبحث الأول: توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: توحيد الألوهية.

المبحث الرابع: معتقد الصلب والفداء.

المبحث الخامس: معتقد التثليث.

الفصل الثاني: عقيدتهم في الإيمان بالملائكة، وفيه:

المبحث الأول: انحراف عقيدة النصارى في الملائكة.

المبحث الثاني: معتقدهم في روح القدس.

الفصل الثالث: عقيدتهم في الإيمان بالكتب، وفيه:

المبحث الأول: الكتاب المقدس عندهم (العهد القديم والعهد الجديد).

المبحث الثاني: تعارض الأناجيل، وتكذيب بعضها بعضاً.

المبحث الثالث: إثبات تحريف الأناجيل وتأليفها.

الفصل الرابع: عقيدتهم في الإيمان بالأنبياء، وفيه مباحث:

المبحث الأول: عقيدتهم في الأنبياء إجمالاً.

المبحث الثاني: إبراهيم عليه السلام.

المبحث الثالث: عيسى عليه السلام.

المبحث الرابع: محمد ﷺ. وطعنهم في نبوته.

المبحث الخامس: معتقدهم الباطل في بولس (شاول).

الفصل الخامس: عقيدتهم في الإيمان باليوم الآخر، وفيه مباحث:

المبحث الأول: مفهوم اليوم الآخر عندهم.

المبحث الثاني: القيامة، والخلاص، والحساب، والجزاء.

الفصل السادس: الرد على النصارى في إبراز جوانب التعاليم الكنسية. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التشريع في النصرانية.

المبحث الثاني: الكنيسة، طقوسها وأسرارها.

الباب الثاني: تطبيق علماء الأندلس لمنهج الإسلام في معاملة أهل الكتاب، مع بيان مواقف عملية مع النصارى، وفيه فصول:

الفصل الأول: جهودهم في الجدال والمناظرة.

الفصل الثاني: جهودهم في رد شبهات النصارى.

الفصل الثالث: موقفهم من الدعوة إلى التسامح.

الفصل الرابع: إسهامهم في جهادهم النصارى دفاعاً عن دين المسلمين وبلادهم.

الفصل الخامس: جهودهم في بيان ما أباحه الإسلام مع النصارى، وحرمه مع غيرهم.

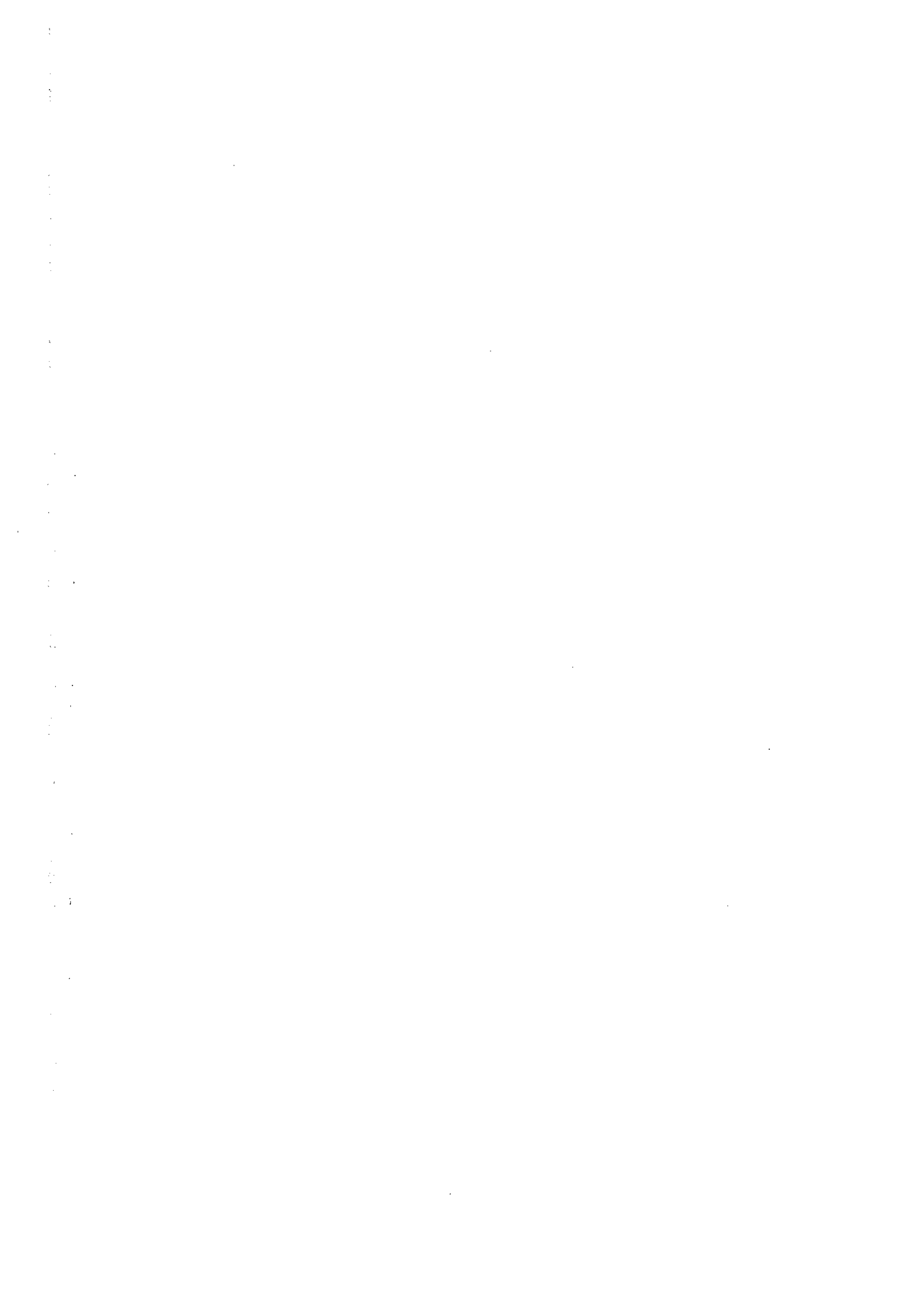
الفصل السادس: مواقف وقواعد عامة في التعامل مع النصارى

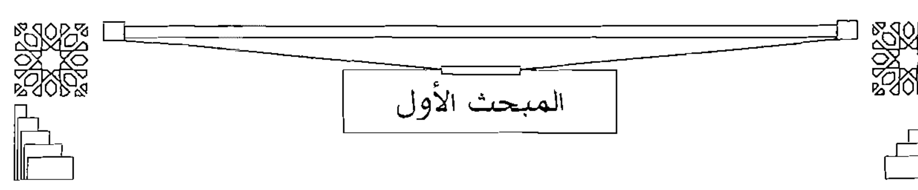
الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث.





التمهيد





التعريف بالأندلس

(نبذة تاريخية عن الإسلام في الأندلس)

تقع الأندلس في شبه الجزيرة الأيبيرية في الجنوب الغربي للقارة الأوروبية، ويفصلها عن الشمال الأوروبي سلسلة من الجبال تسمى جبال البرت، ويفصلها عن أفريقيا مضيق جبل طارق (جبل الفتح)[(١)].

أما اسم ومصطلح الأندلس فهو مأخوذ من قبائل الوندال التي تعود إلى أصل جرماني، احتلت شبه الجزيرة الأيبيرية، في حدود القرنين الثالث والرابع الميلاديين وسميت باسمها: فاندليسيا (VANDALUSIA) يعني بلاد الوندال، ثم عربت: الأندلس.

وهذا الاسم أطلق على كل الجزيرة وهي اليوم (إسبانيا والبرتغال)، ويسميها الإسبان حالياً «أندلثيًا» وهو لا يمثل المصطلح التاريخي للأندلس[(٢)]،

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان ١/٥٣، ٨٢، مكتبة الخانجي، ط. الرابعة، ١٤١٧هـ. الروض المعطار في خير الأقطار، اختصر في كتاب سمي: صفة جزيرة الأندلس، ص١٤٢، لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم، ط، الثانية، مكتبة لبنان، تحقيق: د. إحسان عباس، ط. دار الجيل، بيروت، الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس، د. حسين مؤنس، ص٢٦١، ٤٨٠، ط. الأولى، مدريد، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م، الاستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مراكشي مجهول، ص١٣٨، تحقيق: د. سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية ١٩٥٨م، دار النشر المغربية، الدار البيضاء ١٩٨٥م. معيار الاختيار، لسان الدين بن الخطيب، ص٨٣، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، طبع اللجنة المشتركة بين الإمارات والمغرب.

(٢) انظر: الروض المعطار، ص٤، ٦، ٩٢، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي أبو عبد الله ٢/٢، ٣، تحقيق: ليفي بروفنسال، إحسان عباس =

بل يمثل مدناً ومقاطعات جنوب إسبانيا. أما كامل الجزيرة ـ جزيرة الأندلس ـ فهي معروفة عند الرومان من قديم الزمان باسم جزيرة أشبانيا[1].

وبما أنه قد مضى التعريف بالأندلس وموقعها بين البلاد ذات الأسس، بقي سؤال هام يتطلع إليه كل حاذق همام ألا وهو:

كيف دخل الإسلام إلى الأندلس؟ وكيف حل بها وأخرجها من الظلمات إلى النور؟. من المعلوم أن المسلمين فتحوا المغرب العربي وتقبل أهلها من البربر وغيرهم هذا الدين الحنيف، بل وجاهدوا في سبيله في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها، وكانت آنذاك تحت الحكم الأموي[2].

وافتتحت الأندلس في عام ٩٢هـ، وكان فتحها على يد طارق بن زياد، وقيل ابن عمرو الذي كان عاملاً لوالي القيروان[3] موسى بن نصير، وانتهز القائد الصنديد خلافاً وقع بين ملوك الأندلس النصارى، وكان أحدهم يملك

= بيروت امبريسي هوثي. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني ١/ ١٣٣ ـ ١٣٦، التاريخ الأندلسي، للدكتور عبد الرحمن الحجي، ص٣٧، دار القلم ط. الرابعة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

(١) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي، ص٤٥٠ تحقيق: محمد سعيد العريان، بلا تاريخ.

(٢) انظر: فتوح شمال أفريقيا والمغرب في تاريخ الطبري الملوك والأمم، ٢/ ٥٣٤، ٣/ ٢٠٦، ٢١٠، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية بيروت ط. الأولى، ١٤٠٧هـ. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري، ١/ ٢٢٦، ٢٢٩ ـ ٢٤٠، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٣هـ. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط الليثي ١/ ٢٠٥ ـ ٢١٠، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٣٩٧هـ دمشق، بيروت. كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري وحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء ١/ ٩٢، ١٢١ ـ ١٧٢. ط. الأولى.

(٣) القيروان: هي مدينة عظيمة بإفريقيا، وهي مدينة مصرت في أيام معاوية رضي الله عنه اختطها عقبة بن نافع، في غيضة كثيرة السباع والهوام، فدعا فخرجت منها أسراباً، معجم البلدان ٤/ ٤٢٠، ياقوت الحموي، دار الفكر بيروت قلت: وهي اليوم مدينة عظيمة في تونس بها الكثير من المعالم التاريخية والمساجد والكتاب والأسواق وغيرها.

سواحل الجزيرة الخضراء[1]، وقد خطب إلى الملك الأعظم ابنته فأغضب ذلك الملك ونال منه وتوعده، فلما بلغه ذلك جمع جموعاً عظيمة وخرج يقصد بذلك الملك، فبلغ طارقاً خلو تلك الجهة، فهذه الفرصة التي انتهزها. . وقيل: إن العلج كتب إليه بالعبور، وذلك أن لذريق ملك الجزيرة كان له رسم: يوجه إليه أعيان قواده وأمراء دولته ببناتهم، فيربيهن عنده في قصوره ويؤدبهن بالآداب الملوكية، حسبما كانوا يرونه، فإذا بلغت الجارية منهن وحسن أدبها زوجها من قصره لمن يرى أنه كفء أبيها. فوجه إليه صاحب الجزيرة الخضراء وأعمالها بالرسم المذكور، فكانت عنده إلى أن بلغت مبلغ النساء فرآها يوماً فأعجبته، فدعاها فأبت عليه وقالت: لا والله حتى تحضر الملوك والقواد وأعيان البطارقة[2] وتتزوجني، هذا بعد مشورة أبي. فغلبته نفسه واغتصبها على نفسها، فكتبت إلى أبيها تعلمه بذلك، فاستنجد بطارق، وكان هذا سبب الفتح[3].

ويثير أعداء الإسلام هذه القضية ويعتبرون أن الفتح جاء لأطماع استعمارية توسعية في سبيل تقوية الحضارة أو المملكة الإسلامية، ولعل

---

(١) الجزيرة الخضراء: هي مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة وأعمالها، وهي من أطيب المدن أرضاً، وهي على نهر برباط بينها وبين قرطبة ثمانية عشر ميلاً، انظر: معجم البلدان ٢/١٢٦، ٣/١٤٤.

(٢) البطريق: العظيم من الروم، والبطريق: القائد لأهل الشام والروم، ومنه في حديث هرقل «فدخلت عليه وعنده بطارقته من الروم» وهو الحاذق بالحرب وأمورها. معرّب وهو القائد. انظر: العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٦/٥٧ تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، ١٠/٢١، طبعة دار صادر، بيروت.

(٣) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٢، تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر ص٢٩، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م. أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها، لمؤلف مجهول، ص١٥، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، البيان المغرب ٢/٣ ـ ٦، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١/١٥٣، ١٥٤.

السبب الأعلى والأزكى والأسمى، أن سبب الفتح هو نشر الإسلام بين الوثنين والنصارى من أهل تلك البلاد، ولا عجب فالمسلمون أهل رسالة وعقيدة وجهاد، لم يكن التوسع السياسي أو الاقتصادي هدفهم الأول بل كان هدفاً ثانوياً بعد الدين[1]، يقر بهذا أو يسلم إذا علمنا أنه كان في جيش الفتح ما يزيد عن عشرين من زهّاد التابعين[2]، استشهد كثير منهم في معارك الفتح، رضي الله عنهم ورحمهم. وستأتي تراجمهم في الباب الثاني.

وكان موسى بن نصير قد جهز جيشاً من سبعة آلاف، وقيل اثني عشر ألف مقاتل من المسلمين العرب وكثير من البربر، وأمر عليه طارقاً[3] أما جيش القوط فكان يتكون من مائة ألف مقاتل، وأقل تقدير هو أربعون ألفاً[4] ولكن الجيش الإسلامي على قلة عَدده وعُدده كان يتميز بارتفاع وسمو الروح المعنوية بخلاف الجيش القوطي المحارب الذي كان في حالة سيئة[5]. واستمر القتال على أشده ثمانية أيام متواصلة، قدم المسلمون فيها ثمانية آلاف شهيد، وهزم الجيش القوطي وفتح الله أعقاب الكافرين للمسلمين، وتعقبهم

---

(١) انظر: التاريخ الأندلسي ٤٣ ـ ٤٦.

(٢) انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد بن حيان الضبي ١/ ٢٩، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٣) انظر: الروض المعطار ص٩، نفح الطيب ١/ ٢٣١، ٢٣٩، ٢٥٤، البيان المغرب ٢/ ٩ ـ ١٧، تاريخ الطبري ٤/ ١١، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكي، ١/ ٢٢٢، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر مصر.

(٤) انظر: نفح الطيب ١/ ٢٣١، ٢٥٧. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون ٤/ ٢٥٤، مؤسسة جمال للطباعة والنشر بيروت، ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م. الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ٤/ ٢٦٨، دار الكتب العلمية، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي بيروت ط. الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٥) انظر: التاريخ الإسلامي، ص٥٤.

المسلمون قتلاً وأسراً، وقتل قائدهم لذريق أو غرق[1].

وتلت هذه المعركة والتي سبقتها (حملة طريف) حملات أخرى كانت المواجهات فيها حاسمة ولظهر الصليب قاصمة، وفتحت الأندلس ودخلها المسلمون بدين السماحة، فرضي الناس والتزموا الطاعة.

وبما أنني لست بصدد دراسة تاريخية وصفية، فيمكن الإيجاز في القول بأن الأندلس كانت بحق أرض ثغور رباط وجهاد، وكان وقود هذه التضحيات، العلماء وطلبة العلم وأهل الفضل والنبل من الزهاد والعباد.

كان بأرض الأندلس ثغوراً عدة يرابط بها هؤلاء صيفاً وشتاءً، فهناك الثغر الأعلى والثغر الأوسط والثغر الأدنى، وهناك الثغر الغربي والشرقي والجوفي[2]، واستمر الجهاد في أرض الأندلس بعد خروج المسلمين وزوال دولتهم، بقي الإسلام فيها ثمانية قرون، دخلها المسلمون عام ٩٢هـ ـ كما ذكر آنفاً ـ وأخرج منها في آخر دولة بني الأحمر من عام ٨٩٧هـ في معاهدة متخاذلة خائنة بين ابن الأحمر وملكي قشتالة الكاثوليكيين[3] تم تسلم غرناطة وتوابعها للنصارى وأخرج المسلمون وهجروا عنوة، ونقضت المعاهدة بنداً بنداً أو ذبحوا أو نصروا أو هجّروا بمئات الآلاف فيما عرف بمحاكم التفتيش، وسنتناول هذا بالتفصيل ـ إن شاء الله ـ في الباب الثاني في التسامح والتعامل.

---

(١) انظر: تاريخ الأندلس لابن الكرديوس ووصفه لابن الشباط، لأبي مروان عبد الملك ابن الكردبوس، ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ص٤٨، سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦، البيان المغرب للمراكشي ٢/ ٨ ـ ٩. نفح الطيب ١/ ٢٤٢.

(٢) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١/ ٢٣١، التكملة لكتاب الصلة، أبو عبد الله بن الأبار القضاعي، ٣/ ١٧٥، ١/ ١٣، ١٧٨، ٢٤٥، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م. الحلة السيراء، أبو عبد الله بن الأبار القضاعي ٢/ ٢٩٥، ٢٩٦، تحقيق: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط. الأولى، ١٩٦٣م، دار المعارف القاهرة، ط. الثانية، ١٩٨٥م.

(٣) انظر: نفح الطيب ٦/ ٢٢، ٤/ ٥٢٥، أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري التلمساني ١/ ٦٥، ٦٦.

مذهب أهل الأندلس الفقهي:

أما من حيث مذهب أهل الأندلس الفقهي[1] فهو معلوم مشهور في سائر البلاد عن الحاضر والباد، فقد كانوا على مذهب الإمام مالك بن أنس الفقيه الهمام. وكانوا قبل ذلك على مذهب الإمام الأوزاعي، وهو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، من أكابر التابعين من أهل الفضل والعلم والاجتهاد، ولد في مدينة بعلبك، من مدن الشام سنة (٨٨هـ) ونسب إلى القرية التي نزل بها وهي (أوزاع)[2].

أما من نشر مذهبه في الأندلس، فهو صعصعة بن سلام الدمشقي، من أصحاب الأوزاعي توفي في الأندلس (١٩٢هـ)[3]، وقد انتقل من دمشق إلى قرطبة[4]، وتقلد منصب الإفتاء فيها، وبقي هذا المذهب غالباً فيها مدة أربعين سنة، سار خلالها المذهب حتى نهاية القرن الثاني الهجري، زمن الخليفة

---

(١) للمزيد في معرفه ذلك انظر: مقدمة كتاب الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر ١/ ١٢٨، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس أحمد بن خلكان، ٣/ ١٢٧، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية، وتحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٨م، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، الخليل بن عبد الله القزويني ٩٩ ـ ٢٠٠، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، الرياض ط. الأولى، ١٤٠٩هـ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن على بن فرحون، ١/ ١٥، ١٦، دار الكتب العلمية بيروت، وطبعة مكتبة دار التراث القاهرة تحقيق: د. محمد الأحمدي، أبو النور، بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين أحمد بن عمر بن حرادة ١٠/ ٣٥٩٨، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر بيروت ط. الأولى، ١٩٨٨م.

(٣) بغية الملتمس للضبي ٢/ ٤١٨، رقم (٨٥٦).

(٤) قرطبة: بضم أوله وسكون ثانيه، عجمية رومية، ولها في العربية مجال، القرطبة: العدو الشديد، وقرطبه: صرعه، والقرطبا: السيف. وهي مدينة عظيمة بالأندلس، وسط بلادها، بينها وبين البحر خمسة أيام. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٢٤.

الأموي الحكم بن هشام، حيث غلب مذهب الإمام مالك بن أنس[1]. يذكر ذلك المقري في نفح الطيب، وأن أبا عبد الله زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي (ت٢٠٤هـ) تقريباً، ويعرف بـ «شبطون» «كان فقيه الأندلس على مذهب مالك، وهو أول من أدخل مذهبه الأندلس، وكان قبله يتفقهون على مذهب الأوزاعي»[2]، «وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكملاً متقناً فأخذه عنه يحيى بن يحيى»[3].

أما من حيث المذهب العقدي، فهم - في الجملة - على عقيدة الطاعة ومعتقدات السنّة والجماعة.

حاشا بعض الأزمنة والدول، فقد فشت فيها البدعة التي حاربها الأُوَلْ، وذلك على المستوى الرسمي غالباً - كدولة بني العباس أيام المأمون -. فمثلاً دولة بني أمية الأولى والتي تلتها في الأندلس على معتقد أهل السنّة، ثم تلتها دولة المرابطين، فقهاء مجاهدون على مذهب الإمام مالك ومعتقد أهل السنّة.

أما دولة الموحدين التي قامت على أنقاض دولة المرابطين والتي أسسها ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن بن علي الكومي فقد كانت دولة بدعية اجتمعت فيها الشرور على مر الدهور، وتضررت منها كل الرعية، فقد كانت جهمية رافضية صوفية باطنية، وهم أول من أدخل مذهب التعطيل والأشعرية في المغرب والأندلس[4]، خلا ما وقع في آخرها لما أعادها أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، ونبذ التقليد وأحرق كتب أهل البدع وكتب الفروع من المذاهب، وأعاد الناس

---

(١) انظر: الأوزاعي، تعاليمه الإنسانية والقانونية، صبحي المحمصاني، ص٤١، ط. الأولى، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٤٥، الديباج المذهب ١/ ١٣.

(٣) نفح الطيب ٢/ ٤٦، وانظر ٣/ ٢٣٠، والإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب ١/ ١٣٤، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٤) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٤٥ - ٢٥١، وما بعدها يقص أحداث رجال الدولة من وجهة نظر تاريخية مع بعض الودّ الخفي للسنة وأهلها.

للسنة فقرر عشرة كتب من أشهر كتب الصحاح كالبخاري ومسلم والسنن والمسانيد كالترمذي وابن ماجه وأحمد والموطأ، في المدارس والمساجد، ورتب عليها الجوائز القيمة[١]، وهذا ـ لعمرو الحق ـ دين القيمة، فجزاه الله خيراً ورحمه.

ثم تلتها دولة بني الأحمر، وكانت على مذهب مالك وعقيدة أهل السنّة. . ، ثم إن العلماء والفقهاء هنالك، ليسوا على نسق واحد، فقد تعددت المشارب والعقائد، ففيهم من هو من السنّة كالشاطبي وابن عبد البر وأبي عمرو الداني وأبي بكر الطرطوشي وابن عطية. وغيرهم كثير، ومنهم من خالطته بعض البدع كابن حزم والقرطبي وابن صاحب الصلاة[٢] والله يغفر لهم، ومنهم من وقع في البدع المغلظة، بدع الفلسفة والتنجيم كابن رشد الحفيد وابن طفيل وغيرهم.

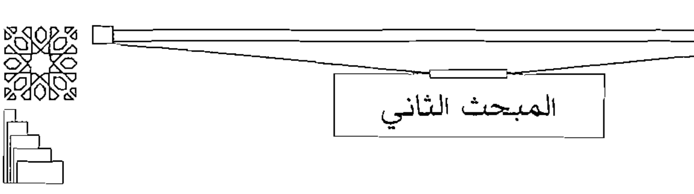
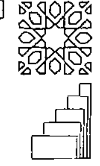
وهكذا كان حال أهل الأندلس حال إخوانهم في الشرق، إذ لم يعتنقوا شيئاً إلا سار إليهم في سرعة البرق[٣]، وبالله التوفيق والرشاد، ومنه المبدأ وإليه المعاد.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٦٨، ٣٨٥.

(٢) فابن حزم وقع في تأويلات الجهمية في الصفات، وأخذ بظاهر النصوص في الفروع؟!، وكذلك القرطبي على مذهب الأشعرية في العقائد، وأما عبد الملك بن صاحب الصلاة فوافق ابن تومرت في القول بإمامته وعصمته، انظر: المن بالإمامة، تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين، عبد الملك ابن صاحب الصلاة، ص٢٢٦، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥١. . . إلخ، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط. ١٩٨٧م. أما ابن حزم والقرطبي، فيرجع لكتبهما، عن العقائد في مضانها. وهؤلاء العلماء ضربوا للمثال وبهم يتضح المقال.
أما ابن رشد وابن طفيل فحالهم أشهر من أن يذكر في دخولهم مذاهب الفلاسفة والدهرية، نسأل الله السلامة. انظر: للمزيد المعجب في أخبار المغرب ص٣١٢، ٣١٤، ٣١٦.

(٣) حول هذا المعنى قال ابن بسام الشنتريني الأندلسي (ت٥٤٢هـ) في مقدمة كتابه الشهير الذخيرة «إلا أن أهل هذا الأفق أبو إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً. . . . .» الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن بن بسام الشنتريني، ق١، ١/١٢، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م.

المبحث الثاني

التعريف بنصارى الأندلس، وإبراز عقائدهم، ونحلهم والمصادر المعتمدة لديهم (إجمالاً)

النصارى: لفظة مشتقة من النصر، إما لأن قريتهم تسمى ناصرة، ويقال نصرياً ويقال نصرتا، وإما لأنهم تناصروا، وإما لقول عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، قال سيبويه: وأحدهم نصران ونصرانة كندمان وندمانة وندامى.

إلا أنه لا يستعمل في الكلام إلا بياء نسب. قال الخليل: واحد النصارى نصرى كمهرى ومهارى[1].

هذا من حيث الاشتقاق اللغوي للفظ نصراني أو نصارى، ويسمون أنفسهم اليوم بالمسيحيين؛ أي أنهم أتباع المسيح عليه السلام ـ وهو منهم براء ـ حتى شاع هذا المصطلح عند العامة والخاصة من الفقهاء وطلاب العلم، والأولى أن نسميهم كما سماهم الله. وقبل أن ندلف إلى التعريف بعقائد نصارى الأندلس لا بد من الإشارة إلى دين أهل الجزيرة قبل النصرانية واليهودية والإسلام دين البشارة.

فقد ذهب عبد الواحد المراكشي إلى أن أهل الجزيرة كانوا على دين الصابئة[2]. من عبادة الكواكب واستنزال قواها والتقرب إليها بأنواع القرابين

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي ١/ ٢٤٥، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف بالمغرب، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م، التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي ١/ ١٧٢، دار الكتاب العربي، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

(٢) الصابئة: سموا بذلك لانحرافهم عن منهج الأنبياء، وذهبوا إلى القول بأن الإيمان =

من قديم الدهر دل على ذلك وجود طلسمات وجدت بها، وضعها القدماء من أهلها[1].

أما المقري التلمساني فذهب إلى أنهم كانوا على دين المجوس[2] والإلحاد والإفساد في الأرض[3].

ووجد من الوثنيين الكثير من عبدة الأحجار والأشجار ومن عبدة الشياطين

نصت على ذلك قرارات المجامع الكنيسية[4].

دخول النصرانية إلى الأندلس:

أما كيف دخلت النصرانية إليها فيذهب المراكشي إلى أن انتقال «أهلها

= بالنبوة بالاكتساب وقالوا بالروحانيات. وهم يقرون بخالق واحد خالق العالم ويتقربون إليه بعبادة الوسائط وهم آلهة روحانية لا تعصي الله، وينادون بوجوب ترك الشهوات والتطهر من الدناسات. وينكرون نبوة الأنبياء؛ لكونهم بشراً، ويقولون: بأن مدبرات الكون الكواكب السبعة. انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٢/ ٥ ـ ١٥، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠١هـ، المواقف، عضد الدين الإيجي ٣/ ٣٦٥، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٧م.

(١) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٥٠، الحلل السندسية، في الأخبار والآثار الأندلسية، للأمير شكيب أرسلان، ١/ ٢١٩. دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) المجوس: هم القائلون بالأصلين النور والظلمة، وأن النور الأصل، والظلمة محدثة ومنهما تولد العالم. ومن زعمائهم زردشت الذي ادعى نزول الوحي عليه وأباح لهم غشيان الأمهات والتطهر بالأبوال، وتعظيم النيران وهم فرق كثيرة. انظر: المواقف ٢/ ٦١٦ تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج بن الجوزي ١/ ٧٨، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري ١/ ١٥، تحقيق: د. فوقية حسين، دار الأنصار، القاهرة، ط. ١٣٩٧م.

(٣) انظر: نفح الطيب ١/ ١٣٣.

(٤) انظر: تاريخ النصارى في الأندلس، د. عبادة كحيلة، ص١٨٧، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

إلى دين النصرانية حين ظهر على أيدي أصحاب عيسى ﷺ»[١]، ولكنه لم يوضح كيف ومتى دخلت، ومن هم أصحاب المسيح الذين دخلت على أيديهم، ويوافقه المقري ويزيد؛ أن الحواريين لما أرسلهم عيسى ﷺ في الأرض، كان ممن استجاب ملك القوط «خشندش»، الذي تنصر ودعى قومه إلى النصرانية[٢].

كان اليهود يعيشون بالجزيرة وسط شعب من الكاثوليك[٣] النصارى، ثم ملك الجزيرة القوط[٤] ما يقرب من ثلاثمئة سنة، وكانوا يدينون بالآريوسية[٥].

فعاش هؤلاء اليهود بحرية دينية كاملة، ولم يتدخل القوط في حياتهم الخاصة، بل تركوهم ينظمون أمورهم وفق شرائعهم وتقاليدهم. وعندما أعلن «ريكاردو» الكاثوليكية مذهباً رسمياً للبلاد في عام (٥٨٧م) تعرض اليهود لحملة من الاضطهاد والتنكيل الديني، لمن لم يتنصر من اليهود بعد المجمع الثاني عشر سنة (٦٨١م) في القرن السابع، ثم أعلن بعد المجمع السادس عشر سنة (٦٩٣م) أمر ببيع اليهود، مما اضطرهم للهجرة والفرار أو إخفاء الدين، الذي جعل النصارى يتزوجون من اليهود ويصادرون أملاكهم وأرزاقهم[٦]، وانعكس هذا على تناقص الديانة اليهودية في جميع البلاد الأندلسية. هذا من حيث الخلفية التاريخية العقائدية لشبه الجزيرة الأندلسية.

ومن المسلَّم به أن الأندلس معقل للديانة النصرانية الكاثوليكية، وإليها يحج النصارى إلى قبر الحواري في مدينة شانت ياقب (قبر يعقوب)[٧] قديماً

---

(١) انظر: المعجب، ص٤٥٠. (٢) انظر: نفح الطيب ١/ ١٣٨، ١٣٩.

(٣) الكاثوليك: سيأتي التعريف بهم قريباً.

(٤) القوط: ذكر الرازي أن القوط من ولد يأجوج ومأجوج بن يافث بن نوح، وقيل غير ذلك. نفح الطيب ١/ ١٤٠، ٤٨١. وهم من الشعوب القديمة في أوروبا، والتي أغارت على الأندلس، وملكتها مئات السنين. انظر: الكامل ٤/ ٢٥٦ ـ ٢٦٨.

(٥) الآريوسية: سيأتي التعريف بهم قريباً.

(٦) انظر: تاريخ النصارى في الأندلس د. عبادة كحيلة، ص١٢ ـ ١٥.

(٧) انظر: الروض المعطار صفة جزيرة الأندلس، ص١١٥، دولة الإسلام في الأندلس، لمحمد عبد الله عنان ١/ ٢٢٠، ٢٢١، ٢/ ٥٥٩.

وحديثاً، ومذهبهم ودينهم أظهر من أن يذكر، فهم يقولون بنبوة عيسى عليه السلام لله تعالى ويقولون بالتثليث والصلب، وغير ذلك من أنواع الشركيات والبدع المهلكات.

وما وضع هذا البحث إلا للإسهام في الرد، علَّ الكفر يجتث، وفيه إبراز لجهود هؤلاء العلماء الجهابذة الأذكياء، وإبراء لذمتهم في أداء واجبهم، في الرد على الصليب وعبدته وكهانه وسدنته.

ومما يجدر ذكره بإيجاز دون تطويل أو إلغاز، أهم فرق النصارى الضالين الحيارى، الذين يجيزون المحال، ويمنعون الصحيح الممكن الواضح المقال.

١ ـ **فالكاثوليك** ـ وهم المعنيون بالكلام ـ ويعرفون «بالملكانية» في كتب أئمة الإسلام، وغيرهم من سائر الأنام ومذهبهم «كان يعرف في عامية أهل الأندلس بكثولق أو قثولق أو قتولق أو كثوليقي، وجميعها مشتقة من اللاتينية Catholicus وصارت في القشتالية Catolico»[(١)]، ومعنى كاثوليك: العالمي أو العام، وهو اصطلاح استخدمته الكنيسة في القرن الثاني الميلادي، ويرأس الكاثوليك: بابا[(٢)] الفاتيكان[(٣)] في روما[(٤)].

---

(١) تاريخ النصارى في الأندلس، ص٩٢.

(٢) بابا: يطلق على الأب الروحي الذي ينفث من روحه في غيره سواء كان تأثيره طيباً أو على النقيض من ذلك. وعلى من يقدم بعمل المرشد والمشير والمهتم بأمر من الأمور، وعلى الرئيس المحترم، وعلى الله، انظر: قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين ص١٧، ١٨، هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، جون الكساندر، أ. إبراهيم مطر، منشورات مكتبة المشعل، بيروت.

(٣) الفاتيكان: محل إقامة البابا في روما، وهو حاكم مدينة الفاتيكان، وتضم كاتدرائية ومجموعة كنائس، وهو قلب الكاثوليكية النابض. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال ٢/ ٩٠ القاهرة دار القلم، ١٩٥٩م، ونسخة دار الشعب ومؤسسة فرنكلين.

(٤) انظر، قصة الحضارة ول ديورانت ١١/ ٣٩٦، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ط. الثالثة، ١٩٧٣م، الموسوعة الميسرة في الأديان =

والملكية أو الملكانية أعظم فرق النصارى «وهي مذهب جميع ملوك النصارى حيث كانوا حاشا الحبشة، والنوبة[1]، ومذهب عامة أهل كل مملكة النصارى ومذهب جميع نصارى إفريقية، وصقلية[2]، والأندلس وجمهور الشام.

وقولهم: إن الله ـ تعالى عن قولهم ـ عبارة عن ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس كلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله الإنسان وأنهما معاً شيء واحد ابن الله»[3] تعالى الله عن كفرهم.

٢ ـ **الآريوسية**: «وهم طائفة متقدمة يعرفون بـ (الأرؤسية) ولا يكاد مذهبهم يخالف مذهب المسلمين إلا في إنكارهم بنبوة نبينا محمد ﷺ»[4].

= والمذاهب المعاصرة، إشراف د. مانع الجهني ٢/ ٦١٠ ـ ٦٢٢ إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ.

(١) النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوب مصر، وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان، ومدينة النوبة تسمى دنقلة على ساحل النيل انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٠٩.

(٢) صقلية: بثلاث كسرات، من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية وهي مثلثة الشكل، وهي مدينة خصبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار، فتحها المسلمون وملكوها زمناً طويلاً. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤١٦.

(٣) الفصل في الملل والنحل، لأبي محمد علي بن حزم ١/ ١١٠، ١١١، تحقيق: د. محمد نصرو، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، دار القلم، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢/ ١٢، ١١٥، ١٨٣، انظر: كذلك الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١٧٥، ٢/ ٣٩، ٤٠. تخجيل من حرف الإنجيل، صالح الجعفري الهاشمي ١/ ٤٨٤، تحقيق: د. محمود قدح، مكتبة العبيكان الرياض، ط. الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، البحر المحيط، محمد بن يوسف، الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي، وبهامشه النهر الماد من البحر المحيط، له أيضاً ٣/ ٤٤٨، ٤٤٩، ط. الثانية، دار الفكر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ١/ ١٢٧، للإمام القرطبي تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

وكان آريوس قسيساً بالإسكندرية، ومن قوله: التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وعاش في زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية[١] وأول من تنصر من ملوك الروم[٢].

قلت: وهذه كما ذكر آنفاً فرقة متقدمة، ليس لها وجود بين فرق النصارى، بل هو تاريخ مضى وانتهى، وكل فرقهم اليوم تقول بألوهية المسيح وبالصلب والتثليث، وأن الله (تعالى) هو الذبيح.

٣ ـ **الثالثة: اليعقوبية**: أتباع يعقوب السروجي أو البراذعي، قالوا: إن المسيح هو الله نفسه، وأن الله ـ تعالى عن كفرهم ـ مات وصلب وقتل، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، وأنه ـ تعالى ـ نزل فدخل في بطن مريم فاتخذ من لحمها جسداً فصار الله مع الجسد نفساً واحداً، وهم في أعمال مصر، وجميع النوبة، وجميع الحبشة[٣]، قلت: وهم اليوم يعرفون بالأرثوذكس[٤].

٤ ـ **الرابعة: النسطورية**: وهم اتباع نسطور الذي كان بطريركاً[٥] على

---

(١) القسطنطينية: هي دار ملك الروم وتسمى اليوم اصطنبول، سميت باسم بانيها الملك قسطنطين، وهي بلاد حسنة يحيط بها البحر، ولها أسوار تحيط بها. انظر: معجم البلدان ٣٤٨/٤ قلت: وهي المدينة التي فتحها القائد العثماني محمد الفاتح، رحمه الله.

(٢) انظر: الفصل ١٠٩/١، الحلل السندسية ٢٥٢/١، ٣٠٧.

(٣) انظر: الفصل ١١١/١، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ١٢٧/١، الملل والنحل، للشهرستاني ٢٢٥/١، ٢٢٦، ٢٢٧، المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، لأبي الفضل السعودي المالكي، ص١١٩، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، البحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٤٤٨، ٤٤٩.

(٤) الأرثوذكس: إحدى الكنائس الرئيسة الثلاث في النصرانية، تؤمن بإله واحد مثلث، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية عام ١٠٥٤م، ولم تعترف بسيادة بابا روما عليها، قالت بأن مريم والدة الإله وبتقديسها، وبالأسرار السبعة، ولها نفوذ في مصر وروسيا وروما وشرقي أوروبا وغيرها. انظر: الموسوعة الميسرة ٥٩٣/١ ـ ٦٠٩.

(٥) بطريرك: أسم يطلق على بعض الروؤساء الدينيين الذين تمتد سلطتهم إلى عدد من الأساقفة الموسوعة العربية الميسرة ٢٧٨/١م، دار نهضة لبنان للطبع والنشر بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

القسطنطينية في أوائل القرن الثاني الميلادي، وقولها كقول الملكانية «الكاثوليك» غير أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله تعالى لم يلد الإنسان بل ولد الإله، فالإله ليس مولوداً لمريم[١].

هذه فرق النصارى القديمة وكلهم يدعون إلى ألوهية المسيح وبنوته لله ـ تعالى الله ـ عدا الأريوسية البائدة، ولذا عدهم عبد الله الترجمان، لما رد عليهم فرقتين، فرقة تقول بألوهيته وأخرى ببنوته[٢].

هذه فرقهم وامتدادها الحديث، وبقيت فرقة هامة لم يشملها الحديث، وذلك لنشوئها في أزمنة متأخرة عن زمان أئمة الإسلام البررة، ألا وهي:

٥ ـ **البروتستانتية**: وهم من الكاثوليك «الملكانية» في عقيدة التعدد، وعنها انشقت، وهي فرقة بدأت بحركة التصحيح في الشريعة النصرانية، كالعصمة للبابا، وصكوك الغفران، والعشاء الرباني، وغيرها، أسسها «مارتن لوثر» في القرن السادس عشر، واستمرت بالتوسع والانتشار بعده. ومما يجدر ذكره الصلة الوثيقة بين الصهيونية[٣] اليهودية وبين الحركة البروتستانتية[٤].

---

(١) انظر: الفصل ١/ ١١١، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، سليمان الطوفي الصرصري ٢/ ٥٩١، تحقيق ودراسة: الدكتور سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٩م، الأدب الأندلسي من منظور أسباني، لجماعة من الباحثين الأسبان، ص١٠٨، ترجمة: د. الطاهر مكي، مكتبة الآداب، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، المحرر الوجيز، ١٤/ ٢٧٣، البحر المحيط ٣/ ٤٤٩.

(٢) انظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الله الترجمان، ص١٢١ ـ ١٣٠، تحقيق: عمر الداعوق، دار البشائر الإسلامية، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨، وللمزيد من التفصيل انظر: الجواب الصحيح ٢/ ١١ ـ ١٤.

(٣) الصهيونية: هي حركة قصدت إلى قيام دولة يهودية على غرار التي قضت عليها روما، تزعمها تيودور هرتزل، حيث دعا أواخر القرن التاسع عشر إلى أول مؤتمر صهيوني عقد في بال بسويسرا، وقد تحمس اليهود وعملوا لإنشاء دولة، ووعدوا في عام ١٩١٧م، وعد بلفور بقيام دولتهم، حيث بدأت هجرتهم إلى فلسطين عام ١٩٢٣م إلى أن قامت دولة يهود عام ١٩٤٩م، ولا تزال تبعث القلق إلى يومنا هذا انظر: الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١١٣٤.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة ٢/ ٦٢٥، ٦٣٥، وإظهار الحق، للعلامة رحمت الله =

أما الفرق الصغيرة كالمارونية، والجزويت، والمورمون، والأبوس دي، وشهود يهوه والمونية وغيرها[1] فهي فروع عن الفرق الآنفة الذكر، تختلف في المظهر وتتفق في الجوهر، تختلف في الشرائع، وتتفق في الإشراك بالله موجد الطبائع.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

ومما يحسن ذكره أن الكنيسة الكاثوليكية ذكرت في مجمعها الفاتيكاني الثاني سنة (١٩٥٩م) هذه الفرق المنتشرة في العالم وهم الأرثوذكس «الشرقيون»، والبروتستانت «الإصلاحيون»، والكنيسة الإنجليكانية، وحضر مؤتمرها جماعات من هذه الكنائس، وأن الانفصال بين الكنيستين الرومانية الكاثوليكية والشرقية الأرثوذكسية، حصل بعد عشرة قرون من الميلاد، وأن البروتستانتية «الإصلاحية» بعد ذلك بأربعة قرون، بينما احتفظت الكنيسة الانجليكانية، بالتقاليد والبنيات الكاثوليكية[2]، وزعمت الكاثوليك أن الديانة الحقيقية قائمة في الكنيسة الكاثوليكية التي وكل إليها المسيح نشرها بين الناس[3].

= الهندي، ٢/٣٢٢، تحقيق: د. محمد ملكاوي، دار الحديث القاهرة ط. الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

(١) انظر: الموسوعة الميسرة ٢/٣٣٦ وما بعدها، محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة ص١٣٨ وما بعدها، دار الفكر العربي، دائرة معارف القرن العشرين الرابع عشر، لمحمد فريد وجدي ٣/١٠١ دار الفكر بيروت، ط. الرابعة.

(٢) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني دساتير ـ قرارات ـ بيانات ص٥٥٩، ٥٦٥، ٥٦٩. معهد القديس بولس ـ حريصا لبنان، أشرف على ترجمته من اللاتينية: الأب حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية ط. الأولى، ١٩٩٢م وهو كتاب جد خطير، وستأتي الإشارة إلى ذلك لاحقاً.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٦٠٧.

المصادر المعتمدة عندهم:

يجمع النصارى على قداسة «الكتاب المقدس» ويعتبرونه مرجعاً أساسياً في عقائدهم وشرائعهم. فمن أي شيء يتكون؟

كتابهم المقدس يتكون من العهد القديم والعهد الجديد، ويراد بكلمة «العهد» ما يرادف معنى كلمة الميثاق؛ أي أن محتويات العهدين تمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه، فأولاهما تمثل ميثاقاً قديماً أخذه الله على عهد موسى، والأخرى تمثل ميثاقاً جديداً على عهد عيسى.

وتنقسم أسفار العهد القديم أربعة أقسام:

(القسم الأول): كتب موسى أو الأسفار الخمسة.

وهي: سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر التثنية، وسفر اللاويين، وسفر العدد.

(القسم الثاني): يسمى بالأسفار التاريخية، يعرض لتاريخ بني إسرائيل.

(القسم الثالث): يسمى أسفار الأناشيد، أو الأسفار الشعرية، وهو مواعظ دينية.

(القسم الرابع): يسمى أسفار الأنبياء، كأشعياء، ويوشع، وحذقيال.. إلخ[1].

أما العهد الجديد فيتكون من أربعة أناجيل[2] وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا[3].

---

(١) انظر: قاموس «الكتاب المقدس» ص١٢١، ١٢٢، الأسفار المقدسة، على عبد الواحد في ص١٣، ١٧، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

(٢) إنجيل: كلمة من اللفظ اليوناني أو نجليون ومعناه خبر طيب، وقد استعمل جستن مارتر «الشهيد» كلمة إنجيل عن الكتابات التي تتضمن الشهادة ليسوع في عصر مبكر، أو في سنة ١٥٠م تقريباً، والكلمة العربية للإنجيل، هي بشارة تشمل هذا المعنى أيضا، أي أنها كتاب رسولي يختص بحياة المسيح على الأرض. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص١٢٠، ١٢١.

(٣) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني ص١٣٢، ١٣٤، انظر: محاضرات في النصرانية ص٣٧ ـ ٥٣، والأسفار المقدسة ص٨٦، ٨٩.

وسيأتي الكلام على هذه الأناجيل وثبوتها من عدمه، وتناقضها ومخالفتها لقواعد الشرع والعقل، في فصل عقيدة النصارى في الإيمان بالكتب بمشيئة الله وعونه.

ومن مصادر عقيدتهم ما في كتب اليهود من الإيمان بالأنبياء والكتب كالزبور وكتاب أشعيا وكتاب أرميا وكتب سليمان وكتاب زكريا، ورسائل يوحنا وبولس وسائر مؤلفات ورسائل الرسل التي زعموا أنها بوحي إلهي[1].

يضاف إلى مصادرهم الهامة التي يرجعون إليها، ما سموه بالمجامع الكنسية[2] التي حادوا فيها عن أضواء التوحيد النورانية، إلى ظلام الشرك والعقائد الوثنية. وأحلوا فيها الحرام وحرموا فيها ما أباحه الله مولى الأنام.

ومنها قرارات «الآباء»[3] ـ آباء الكنيسة ـ الذين اتخذوهم أرباباً من دون رب السماء، وسيأتي بيان ذلك في الباب الثاني في فصل الشرائع والتشريع بعون خالقنا البديع.

هذا ما يعتمدون عليه ويعتدون به في مصادر تشريعهم، وهذا ما ظهر، والله أعلم بما خفي وغاب عن سائر البشر وإليه سبحانه المحشر والمنشر.

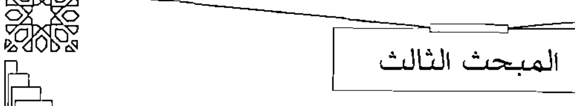
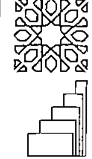


---

(١) انظر: الفصل ٢/ ١٨، ٢٠١، قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني كاملة، ص٥٦٥، تقرير المجمع أن قرارات «الآباء» نافذة نفوذاً خاصاً يجب أن تتبعه الكنائس.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٥ والمجامع المسيحية وأثرها في النصرانية، د. محمد رجب الشتيوي، ص١١٢، ٤٨٣. ط. ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) من أهم عقائد النصارى أن اليهود هم الذين صلبوا المسيح واعتقدوا هذا مدة تسعة عشر قرناً من الزمان، وفاجأ (البابا يوحنا بولس الثاني) العالم قبيل سنوات في عام ١٩٩٤م أن برأ اليهود من دم المسيح، واعتذر لهم وأعاد هذا الاعتذار بتاريخ ٦/ ١٢/ ١٤٢٠هـ، ١٢/ ٣/ ٢٠٠٠م، فوافقه أتباعه قاطبة، وعمم هذا على جميع الكنائس الكاثوليكية في العالم ولم يعقه عائق، ولا عجب فالقوم باعوا صكوك الغفران، وضمنوا لأتباعهم النجاة من النيران!! والأعجب من ذا أنه اعتذر لمن يعتقدون أنهم صلبوا إلههم، ولم يعتذر عن النكال الذي اقترفته الكنيسة أيام محاكم التفتيش وما فعلته بالمسلمين ـ فيعتذر للظالم الباغي ويدع المظلوم؟!

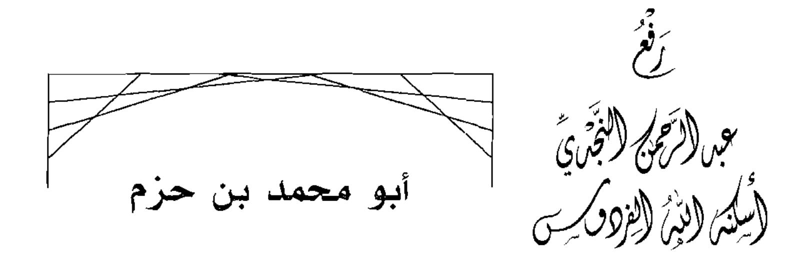
المبحث الثالث

نبذة عن علماء الأندلس
الذين كان لهم دور بارز في الرد على النصارى

هذا المبحث يكشف جزءاً هاماً من تراجم العلماء الأندلسيين الذين كان لهم دور بارز في الرد على النصارى فكرياً وعقائدياً، والتراجم التي سأتناولها نبذة مختصرة عن أنسابهم ونشأتهم ورحلاتهم في طلب العلم، وأهم أشياخهم وتلامذتهم، وأهم مصنفاتهم، وتواريخ ولادتهم ووفياتهم - إن وجدت - وبعض ما يحتف بالتراجم مما يحسن ذكره، كما أنني راعيت في التراجم أن تكون الترجمة بحسب الوفاة، فمن كانت وفاته أقدم قدم على غيره.

هذا بالنسبة للعلماء الذين كان لهم دور بارز في الرد العقدي العلمي، أما العلماء الذين كان لهم دور بارز في الجهاد والقتال فستأتي ترجمتهم في موقعها من الباب الثاني، في الفصل الرابع: إسهامهم في جهادهم النصارى دفاعاً عن دين المسلمين وبلادهم من هذا البحث. كما أنني لم أغفل تراجم العلماء الذين كانت لهم فتاوى ورسائل علمية ومواقف فريدة عملية بأن أذكر هذه التراجم في هامش البحث، وأغلب هذا النوع في الباب الثاني من هذا البحث.

أما العلماء الذين ترجمت لهم في هذا المبحث فهم:



أبو محمد بن حزم

توقفت كثيراً لما أردت الترجمة له، إذ كيف يكون الكلام عن الجهبذ الهمام، وهو البحر الخضم والسيل العرمرم، الذي ملأ الكتب وشغل الناس، من جميع الأديان والأجناس؟! وهذا التوقف إنما هو لخوف عدم الوفاء بترجمة هذا القمة الشماء. وفيه كتب الشيخ محمد أبو زهرة مجلداً كبيراً، جمع فيه من دقائق حياته وعلمه ونوادره الشيء الكثير، وكتاب ابن حزم لـ: طه الجابري، وكتاب ابن حزم خلال ألف عام لابن عقيل الظاهري، وغيرهم من الكُتّاب المحدثين والأقدمين.

نسبه:

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، أصله من الفرس(١)، وجده الأقصى في الإسلام اسمه يزيد مولى ليزيد بن أبي سفيان(٢).

---

(١) يقول أبو عبد الرحمن بن عقيل: «وكلمة ابن حيان في ثلب ابن حزم لم تمحص أيضاً، وقد فرح بها المستشرقون ليدعوا أن أبا محمد كان مسيحياً غربياً ولم يكن فارسياً شرقياً، ثم تلقفها بعض الببغاوات المعاصرين من العرب، وأشنع من تلقف ما كتبه المحامي في كتابه: سطور مع العظماء، حيث ذكر أن أبا محمد كان مسيحياً فأسلم...!! وسنبسط بحول الله في مناقشة هذا الزعم عند تعقبنا للدكتور طه الجابري» ابن حزم خلال ألف عام، جمع وتحقيق: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ١/٩٣، ٩٤، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط. الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ثم ساق الرد في نقاط على من زعم ذلك، وكتاب ابن عقيل هذا قيم إلى الغاية، لولا تطاوله على بعض العلماء كابن العربي المفسر وغيره، لموقفهم من شيخه ابن حزم، فعالجهم بحدة وشدة عفا الله عنه.

(٢) انظر: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي ٢/٤٨٩، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب =

نشأته وولادته:

ولد ابن حزم سنة أربع وثمانين وثلاث مئة (٣٨٤هـ)، ونشأ في بيت وزارة فأبوه كان وزيراً، وكذا تولّاها ابن حزم نفسه[١]، وكان بيته الذي نشأ فيه بيت عز ومال وجاه عريض، طالما اعتز به ابن حزم[٢]، وكان قد ربي في صباه على يد النساء، بل حفظنه القرآن وعلمنه الخط والشعر، ويذكر أنه لم يعرف مجالس الرجال إلا في حد الشباب حين كبر وعقل[٣].

علمه وفضله:

حفظ القرآن وتعلم الأدب والشعر على يد النساء، كما مرَّ آنفاً، ولكنه لما كبر تلقى العلم على يد عدد غير قليل من العلماء[٤]، بينما يذهب كثير من أهل العلم ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة أنه تلقى العلم عن بطون الكتب[٥].

وعلى كلٍّ لا يستطيع طالب علم فضلاً عن عالم أن ينكر سعة علم ابن حزم وتفننه وإحاطته بأنواع العلوم، وقد وصفه الحميدي بأنه: «كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنّة، متفنناً في علوم جمة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة. . . متواضعاً ذا فضائل جمة»[٦].

= اللبناني، ط. الثالثة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ١٨/ ١٨٤، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، حسين الأسد، مكتبة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(١) انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأحمد بن حيان بن أحمد الضبي ٢/ ٥٤٣.

(٢) انظر: ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه للشيخ محمد أبو زهرة، ص٢٧، دار الفكر العربي.

(٣) انظر: طوق الحمامة، لأبي محمد أحمد بن علي بن حزم، ص٥٠، تحقيق: صلاح الدين القاسمي الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.

(٤) انظر: بغية الملتمس ٢/ ٥٤٣.

(٥) ابن حزم لأبي زهرة، ص٩٠، ٩١.

(٦) انظر: جذوة المقتبس ٢/ ٤٨٩، ٤٩٠.

ووصفه «ابن حيان وغيره: كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل»[1].

وقال عنه الذهبي: «كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنّة والمذاهب والملل والنحو والعربية والآداب والمنطق والشعر»[2].

وأورد المقري في نفحه عن الغزالي قوله: «وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً لأبي محمد بن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه، انتهى باختصار».

ثم عقّب: «وعلى الجملة فهو نسيج وحده، لولا ما وصف به من سوء الاعتقاد والوقوع في السلف الذي أثار عليه الانتقاد، سامحه الله تعالى»[3].

أما أشهر من تلقى عنهم العلم ما ذكره الضبي أن أول سماعه كان من أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور[4].

وذكر أبو زهرة أن منهم عبد الله بن يحيى الفقيه، ومنهم ابن الفرضي عبد الله الأزدي، إذ تلقى عليه علم الفقه والحديث[5] وكان رحمه الله قد تلقى المذهب الظاهري من الكتب التي كتبت فيه، مثل ما كتبه منذر بن سعيد ودافع فيه عن مذهب داود الظاهري دفاعاً قوياً، وقد ذكر أنه أخذه عن شيخه أبي الخيار ابن مسعود بن سليمان بن مفلت المتوفى في القرن الخامس[6].

أهم مصنفاته:

وهي كثيرة تجل عن الحصر، بعضها مخطوط وبعضها مطبوع وآخر كثير مفقود، وقد أوصلها ابن الخطيب في إحاطته أنها: «بلغت أربعمائة مجلد، وقال: حمل بعير»[7].

---

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للشيخ احمد المقري التلمساني ٢/ ٧٧.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٨٦. (٣) نفح الطيب ٢/ ٧٨.
(٤) انظر: بغية الملتمس ٢/ ٥٤٢. (٥) ابن حزم، لأبي زهرة، ص٨٠.
(٦) انظر: الإحاطة ٤/ ١١٢، ابن حزم لأبي زهرة، ص٩٣، ٩٤.
(٧) الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين الخطيب ٤/ ١١٣، جذوة المقتبس ٢/ ٤٩٠، بغية الملتمس ٢/ ٥٤٣، ٥٤٤.

وقد ذكر المؤرخون العشرات من كتب الإمام ابن حزم وانتخب منها:

الإحكام لأصول الأحكام، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإجماع ومسائله، الإيصال إلى فهم كتاب الخصال، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض، إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك مما لا يحتمل التأويل[1].

ومنها ما هو بأيدينا مطبوع ومحقق، كالذي سبق:

المحلى، في الفقه، رسالة الرد على ابن نغريلة اليهودي (ضمن كتاب رسائل ابن حزم)، طوق الحمامة، في الأدب.

محنته:

«قال ابن حيان: استهدف إلى فقهاء وقته، فتألبوا على بغضه، ورد قوله، وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، فطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به، فانقطع أثره بتربة بلده من باديه لبله[2] وبها توفي غير راجع إلى ما أرادوا، به يبث علمه فيمن ينتابه بباديته من عامة المقتبسين منه من أصاغر الطلبة، الذين لا يحسون نية الملامة بحداثتهم، ويفقههم ويدرسهم، ولا يدع المثابرة على العلم، والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف، حتى كمل من مصنفاته في فنون العلم وقر بعير، حتى لأحرق بعضها في إشبيلية[3] وفي ذلك يقول:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري

---

(1) انظر: جذوة المقتبس ٢/ ٤٩٠، بغية الملتمس ٢/ ٥٤٣، ٥٤٤، الإحاطة ٤/ ١١٣.

(2) لبله: بفتح أوله، قصبة كورة بالأندلس كبيرة، غربي قرطبة على طريق أشبيلية، غزيرة التمر والشجر والزروع. انظر: معجم البلدان ٥/ ١٠.

(3) إشبيلية: بالكسر ثم السكون، مدينة كبيرة بالأندلس تسمى حمص أيضاً، وبها قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عباد. انظر: معجم البلدان ١/ ١٩٤.

يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري»[1]

أما أسباب فتنته فهي في نظري ترجع إلى أمور عدة:

أولها: حدة في طبع ابن حزم، ويلاحظ ذلك في كتبه التي كتبها ومن ذلك كتابه القيم، الفصل، فعند ذكر شركيات وكفريات النصارى يلحقها بسباب وشتم، كقوله «الملاعين الكذابين»، «هذا من تبديل وغد جاهل كالحمار بلادة»، «الحياء في وجوههم قليل جداً»، «ولا أعجب من أخبار هذا الكلب لعنه الله عن نفسه»، «إنه قليل ومنتن كبعض ما يشبهه مما يكره»[2].

الثاني: اعتداده بنفسه جداً، وثقته بعلمه ومنهجه، إلى الحد الذي جعله يزدري غيره من الفقهاء المقلدين، وفي ذلك الاعتداد والاعتزاز بالنفس يقول:

«أنا الشمس في جو العلوم منيرة ... ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالعٌ ... لجدّ عليّ ما ضاع من ذكري النهب

ولي نحو أكفاف العراق صبابة ... ولا غرو أن يستوحش الكِلف الصب

فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم ... فحينئذ يبدوا التأسف والكرب

فكم قائل أغفلته وهو حاضر ... وأطلب ما عنه تجيئ به الكتب

هنالك يدرى أن للعبد قصة ... وأن كساد العلم آفته القرب»[3]

الثالث: أخذه بمذهب الظاهر، وهو خروج عن مألوف كثير من الفقهاء المقلدين لمذهب الإمام مالك، مما أثار حنقهم عليه حتى ناظروه وجادلوه، ومنهم أبو الوليد الباجي، الفقيه الكبير، الذي دارت بينه وبين ابن حزم مناظرات شهيرة، وكان نظيراً له في العلم والفضل، ولما قدم الأندلس وجد لكلام ابن حزم حلاوة، إلا أنه كان خارجاً عن المذهب، ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه.. فلما قدم أبو الوليد كلموه في ذلك، فدخل إليه وناظره..»

---

(١) الإحاطة ٤/ ١١٥، ١١٦.

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم ١/ ٢١٨، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧، ٢/ ٦٥، ٧٤، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧.

(٣) الإحاطة ٤/ ١١٤، جذوة المقتبس ٢/ ٤٩١، ٤٩٢.

ومن شهير مناظرته مع الباجي، أن الباجي قال له: «أنا أعظم منك همة في طلب العلم؛ لأنك طلبته وأنت مُعان عليه، فتسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بائت السوق[1]، فقال له ابن حزم: هذا الكلام عليك لا لك؛ لأنك إنما طلبت العلم وأنت في هذه الحال رجاء أن تبدلها بمثل حالي، وأنا طلبته من حال ما تعلمه وما ذكرته فلم أرم به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة، فأفحمه»[2].

هذه المناظرات والمجادلات التي كان لكثير منها أكبر الأثر على ابن حزم ـ وقد مر أنه صاحب جدل ـ ألبت عليه الفقهاء[3] مع حدة نفسه، فوشوا به إلى الحكام وحذروا منه العوام، حتى نُبِذَ نَبْذَ النواة ومات وهو كذلك.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ست وخمسين وأربع مئة للهجرة (٤٥٦هـ)[4].



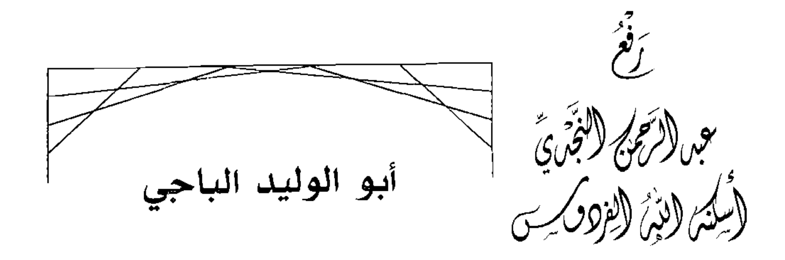
---

(١) لعله أراد: بمصباح الحارس الذي يحرس السوق، أو بمصباح السوق الذي يبقى بعد انصراف الناس من سوقهم.

(٢) الإحاطة ٢/ ٧٧.

(٣) انظر: الإحاطة: ٤/ ١١٥، وفي كتاب عجيب طريف لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في شيخه ابن حزم سماه « ابن حزم خلال ألف عام» ـ المذكور آنفاً ـ جمع فيه من لطائف النصوص الكثير، في مجلدات مع تعليقه ودفاعه الشديد عنه.. وذكر أن مناظرات ابن حزم مع الباجي مدونة في جزء، نقلاً عن ابن حجر في لسان الميزان، وأنها مفقودة اليوم، وأن شيخه أبا تراب ذكر أنه اطلع على نسخة خطية منها. والله أعلم. انظر: ابن حزم خلال ألف عام، لأبي عبد الرحمن عقيل الظاهري ١/ ١٠٣، ٢/ ١٠٥، ١٠٧، ٢٨٠، ٣/ ٥٥.

(٤) المصدر السابق ٤/ ١١٦، جذوة المقتبس ٢/ ٤٩١.



أبو الوليد الباجي

«هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب الباجي القاضي أبو الوليد، فقيه محدث إمام متقدم مشهور عالم متكلم»(١).

ولادته ونشأته:

«قال غير واحد أنه ولد سنة (٤٠٣هـ)»(٢) أما نشأته فيذكر أنه نشأ وهمته في العلم وأنه بدأ بالأدب، فبرز في ميادينه، وجعل الشعر بضاعته فنال به كل الرغائب(٣).

رحلاته العلمية:

مما أجمع عليه العلماء؛ الإقرار بفضل وعلم أبي الوليد، وأنه كان نظيراً لابن حزم ولأكابر العلماء في الأندلس وقد ابتدأ ـ كما سبق ـ أديباً شاعراً، وقد ارتحل إلى الحجاز للحج، ثم أقام مع أبي ذر الهروي ثلاث سنوات وكان يسافر معه للسروات(٤) لأن أبا ذر تزوج من العرب وسكن بها(٥)، ثم رحل

---

(١) بغية الملتمس ٢/ ٣٨٥، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٤، ٥٣٥ وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس أحمد بن خلكان، ٢/ ٤٠٨، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية. وكذلك نسخة من تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، دار الثقافة بيروت ١٩٨٦م.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٦٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ٦٨.

(٤) السروات: جبل مشرف على عرفة، ينقاد إلى صنعاء وسمي بذلك لعلوه، وقال الأصمعي: السراة الجبل الذي فيه طرف الطائف إلى بلاد أرمينية، وفي كتاب الحازمي السراة: الجبال الأرض الحاجزة بين تهامة واليمن، ولها سعة، وهي باليمن أخص. انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٠٤.

(٥) انظر: نفح الطيب ٢/ ٦٩.

إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام يتدارس الفقه ويكتب الحديث، وقد أقام بالمشرق ثلاثة عشر عاماً وارتحل إليه سنة (٤٢٦هـ)، ثم انصرف إلى الأندلس، وقد نال قدراً كبيراً من العلم[١].

الباجي وابن حزم وابن تيمية:

قال فيه ابن حزم: «لو لم يكن لأصحاب المذاهب بعد عبد الوهاب إلا مثل أبي الوليد لكفاهم»[٢]. هذا مع العداوة العلمية الظاهرة بينهما، لكن لم يمنع هؤلاء الأخيار من إنصاف بعضهم، والتأدب بآداب العلماء، مهما اختلفت الاجتهادات، فابن خلكان يحكي شيئاً مما دار بينهما «كانت بين الباجي وابن حزم المعروف بالظاهري مجالس ومناظرات وفصول يطول شرحها»[٣].

وقد سبق آنفاً ذكر شيء من مناظرات الإمامين ابن حزم والباجي، حتى اشتملت على المستوى الشخصي.

ومهما حدث من شقاق بين العالمين فلهما مساع مشكورة في خدمة العلم وطلابه وباحثيه وكتابه، وفي خدمة الإسلام والمسلمين، رحمهما الله.

أما ابن تيمية لما تكلم على جماعة من الفقهاء الأندلسيين منهم الطرطوشي وابن العربي والباجي، وما قيل فيهم وشُنع عليهم، يقف موقف العلماء الواعين العاملين الناصحين والمنافحين عن أعراض العلماء، وإن اختلف معهم في كثير من القضايا العلمية، فيقول: «ولهم في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، ولهم في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع، والانتصار لكثير من أهل السنّة والدين، ما لا يخفى على من عرف أحوالهم، وتكلم فيها بعلم وصدق وعدل وإنصاف»[٤].

---

(١) انظر: بغية الملتمس ٢/ ٣٨٥، رقم (٧٧٩).
(٢) نفح الطيب ٢/ ٦٨، ٦٩.
(٣) وفيات الأعيان، لابن خلكان ٣/ ٣٢٧.
(٤) درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، =

هذا مع علم شيخ الإسلام بأن الباجي اعتنق المذهب الأشعري لمّا صحب الهروي في الحرم[1]، وهو في رأي شيخ الإسلام كأبي بكر بن العربي يسلك مسلك الاجتهاد في العقليات فيغلط، كما غلط غيرهما، لكنه لم يمنع هذا الجهبذ من الثناء على العلماء والتوجه لهم إلى باريهم بخالص الدعاء، وهذا إلى اليوم نهج علمائنا الفضلاء الأجلاء.

أما دور الباجي في الجهاد والرباط والتحريض على القتال فهو دور كبير لا ينكر، فله رحمه الله اليد الطولى في ذلك، وسيأتي بيان ذلك في الباب الثاني في الفصل الرابع منه.

محنته:

ابتلي الباجي ـ كغيره من العلماء ـ بالسراء والضراء في الدنيويات تارة وفي العلميات والدينيات أخرى، فهو في حياته كان يعاني ويكسب من كده وكدحه، فقد روى عن القاضي عياض عن بعض أصحاب الباجي: «أنه كان يخرج إلينا للإقراء، وفي يده أثر المطرقة إلى أن فشا علمه، ونوهت الدنيا به وعظم جاهه..»[2].

وقال فيه أيضاً حول محنته: «وكثرت القالة في القاضي إبي الوليد لمداخلته الرؤساء، وولي في أماكن تصغر عن قدره، وكان يبعث إلى تلك النواحي خلفاءه، وربما أتاها المرة ونحوها، وكان أول أمره مقلاً حتى احتاج إلى القصد بشعره، واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد، فيما سمعته مستفيضاً لحراسة درب»[3] هذا من محنة الدنيويات.

أما محنته العلمية التي كُفّرَ بسببها وشنع عليه فيها فهي تأوله حديث الكتابة في صلح الحديبية الذي ورد في البخاري[4].

= ٢/ ١٠١، ١٠٢ تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٧١.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٧٧.

(٣) نفح الطيب ٢/ ٦٧.

(٤) رواه البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: =

«لما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في البخاري، قال بظاهر لفظه، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ وكفره بإجازة الكَتْبِ على الرسول الأمي ﷺ، وأنه تكذيب للقرآن، فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام، حتى أثاروا عليه الفتنة وقبحوا عليه عند العامة ما أتى به، وتكلم به خطباؤهم في الجمع، وقال فيه شاعرهم:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة ... وقال إن رسول الله قد كتب

فصنف أبو الوليد رحمه الله تعالى رسالة بيّن فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة، فرجع بها جماعة، إذ ليس من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أميّاً؛ لأنه لا يسمى كاتباً، وجماعة من الملوك قد أدمنوا على كتابة العلامة وهم أميون، والحكم للغالب لا للصورة النادرة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّا أمة أميون»[1] أي أكثرهم كذلك، لندور الكتابة في الصحابة، وقال: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمة: ٢]. انتهى وبعضه بالمعنى»[2] ناقلاً عن القاضي عياض رحمهما الله.

أكبر أشياخه وتلامذته:

تقدم ذكر بعض أشياخه آنفاً ومنهم أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري، وأبو إسحاق الشيرازي والقاضي أبو عبد الله العميري[3].

أما تلاميذه أو من روى عنه ففيهم أئمة كبار يعرفهم الشيوخ والصغار

= مصطفى البغا، دار ابن كثير بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٢/ ٢٧٤، رقم (٢٥٨١) باب الشروط في الولاء، ٤/ ١٥٣٢ رقم (٣٩٤٥) كتاب الجهاد باب غزوة الحديبية، والترمذي في سننه الجامع الصحيح، محمد بن عيسى الترمذي، مراجعة: أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث الإسلامي بيروت، ٥/ ٦٣٤، رقم (٣٧١٥)، باب في مناقب عمر ﷺ، والحاكم في المستدرك، المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ٢/ ١٦٤، رقم (٢٦٥٦)، وأحمد في مسنده، ٤/ ٣٢٣، رقم (١٨٩٣)، ٤/ ٣٢٨، رقم (١٨٩٤٨).

(١) رواه البخاري ٢/ ٦٧٥، رقم (١٨١٤)، باب قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٦٨.

(٣) انظر: بغية الملتمس ٢/ ٣٨٥.

منهم: الحافظ أبو بكر الطرطوشي، وأبو داود سليمان بن نجاح[1] ومما يفتخر به أنه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر ابن عبد البر، والخطيب أبو بكر ابن ثابت البغدادي وأبو عبد الله الحميدي وعلي بن عبد الله الصقلي وأبو علي بن الحسين السبتي[2] وغيرهم من العلماء الكبار والأئمة الأطهار.

أهم مصنفاته:

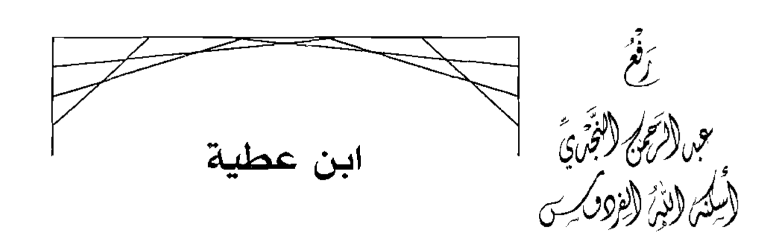
وصف بأن له تواليف تدل على معرفته وسعة علمه[3] ولما ذكرها المقري في نفحه أشار إلى أن له منها: «المنتقى من شرح الموطأ» ذهب فيه مذهب الاجتهاد وإيراد الحجج، وهو مما يدل على تبحره في الفنون[4].

وفاته:

قال صاحب البغية: «توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة (٤٧٤هـ) بالمرية[5]، وكان أعلم عصره علماً وديانةً»[6] رحمه الله رحمة واسعة.



(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٣٨٦.
(٢) انظر: نفح الطيب ٢/ ٧١.
(٣) انظر: بغية الملتمس ٢/ ٣٨٦.
(٤) انظر: نفح الطيب: ٢/ ٧٧.
(٥) المرية: بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء، هي مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، فيها مرفأ للسفن، وفيها يعمل الديباج، وبها خروج سفن المسلمين لغزو الأفرنج، انظر: معجم البلدان ٥/ ١١٩.
(٦) بغية الملتمس ٢/ ٣٨٦.



ابن عطية

هو الإمام القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام المحاربي[1].

نشأته وولادته:

تربى ابن عطية في بيت علم وفضل، فوالده أبو بكر بن عطية من العلماء المرموقين والفقهاء الحفاظ لحديث النبي ﷺ[2]، فلا عجب أن يخرج هذا الابن العلامة من ذلك الفقيه المحدث، ذرية بعضها من بعض، أما ولادته فكانت في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (٤٨١هـ)[3].

حاله وعلمه:

كان عبد الحق فقيهاً عالماً بالتفسير والأحكام والحديث والنحو والأدب، مقيداً حسن التقييد (حسن الخط) له نظم ونثر، ولي القضاء، وكان غاية في الدهاء والذكاء والتهمم بالعلم، سريّ الهمة في اقتفاء الكتب، توخى الحق وعدل في الحكم، وأعز الخطة[4]. قلت: وهو من العلماء العاملين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم، وله مشاركات في الجهاد والرباط، وسيأتي لذلك زيادة بيان في الفصل الرابع من الباب الثاني.

---

(١) انظر: الإحاطة ٣/٥٣٩، سير أعلام النبلاء ١٩/٥٨٧ (٣٣٧).
(٢) انظر: نفح الطيب ٢/٥٢٣، سير أعلام النبلاء ١٩/٥٨٦ (٣٣٦).
(٣) انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٥٨٧ (٣٣٧).
(٤) انظر: الإحاطة ٣/٥٣٩.

مشايخه وتلامذته ومصنفاته:

روى عن أبيه، وأبوي علي الغساني والصدفي، وأبي عبد الله محمد بن فرج، وأبي المطرف الشعبي... وغيرهم.

وقد روي عنه جماعة منهم: أبو بكر بن أبي حمزة، وابن حبيش وابن حكمة[1].

أما أهم مصنفاته فهو كتابه في التفسير المسمى «بالمحرر الوجيز» فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار. وألف «برنامجاً» ضمنه مروياته، وأسماء شيوخه وجرز[2] وأجاد»[3].

وفاته: توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في الخامس والعشرين لشهر رمضان سنة ست وأربعين وخمس مئة (٥٤٦هـ)[4].



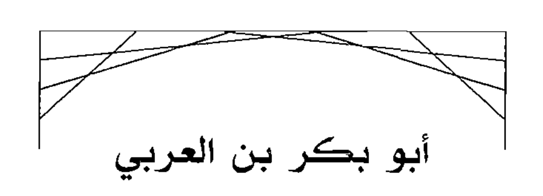
---

(١) انظر: المصدر السابق ٣/ ٥٣٩.

(٢) جزر: يقال سيف جرازاً إذا كان مستأصلاً، انظر: لسان العرب ٣١٦/٥.

(٣) الإحاطة ٣/ ٥٤٠.

(٤) انظر: المصدر السابق ٣/ ٥٤١.



أبو بكر بن العربي

قال ابن سعيد هو: «الإمام العالم القاضي الشهير فخر المغرب، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري»(١).

ولادته ونشأته:

ولد سنة ثمان وستين وأربع مئة (٤٦٨هـ) ونشأ وتأدب ببلده، وفيها قرأ القرآن والقراءات، ودخل مع أبيه إلى الحج سنة (٤٨٥هـ) وسنّه سبعة عشر عاماً، ولقي شيوخ مصر وغيرهم، وأتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن(٢).

علمه وفضله:

وصف بأوصاف كثيرة تدل على علمه وفضله، ووصفه ابن بشكوال بأنه «الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها»(٣)، فقد كان فقيهاً فصيحاً حافظاً أديباً شاعراً كثير الملح مليح المجلس، ولي القضاء فنفع الله به لصرامته ونفوذ أحكامه والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله(٤).

---

(١) المغرب ١/٢٤٩، سير أعلام النبلاء ٢٠/١٩٧ (١٢٨).

(٢) انظر: نفح الطيب، ٢/٢٨، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، لأبي الحسن النباهي، ص١٣٨، تحقيق: د. مريم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) الصلة، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، ٣/ ٨٥٥، رقم(١٣٠٥)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة دار الكتاب اللبناني، بيروت ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٤) انظر: قضاة قرطبة المرقبة العليا: ص١٣٩.

قلت: وهو من العلماء العاملين المجاهدين بأموالهم وبأنفسهم وسيأتي بيان إسهامه في الجهاد في الباب الثاني، فصل الجهاد ودور العلماء فيه.

رحلاته وشيوخه وتلاميذه:

رحل إلى الحجاز ووصل بغداد مرتين لطلب العلم، وصحب أبا بكر الشاسي وأبا حامد الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء، فأخذ عنهم ثم ارتحل إلى الإسكندرية، ولقي بها جماعة من العلماء ثم قفل إلى الأندلس ونقل عنه أنه قال: «كل من رحل لم يأتِ بمثل ما أتيت به أنا والقاضي أبا الوليد الباجي» أو كلاماً هذا معناه[1]. وممن لقيه من العلماء في رحلاته، أبو بكر الطرطوشي إذ أخذ عنه بالشام[2]، أما من روى عنه فهم جم غفير، ومنهم: القاضي عياض، وأبو جعفر بن الباذش، وطائفة[3]، ومنهم ابن بشكوال، كما أخبر عن نفسه أنه لقيه وأخذ عنه الرواية[4]، رحم الله الجميع.

أهم مصنفاته:

وهي كثيرة ومتداولة، وفيها ما هو مطبوع ومحقق ومن أهمها:

كتاب أحكام القرآن في التفسير، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، عارضة الأحوذي في شرح الترمذي، الناسخ والمنسوخ في القرآن، ترتيب المسالك في شرح موطأ مالك، الإنصاف على مسائل الخلاف (في عشرين مجلد)، المحصول في علم الأصول، قانون التأويل، المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد والرد على من خالف السنّة من ذوي البدع والإلحاد، العواصم والقواصم.

كتاب المشكلين: مشكل القرآن والسنّة[5].

إلى غير ذلك من المصنفات التي اكتفيت منها بما أثبته.

وفاته:

توفي رحمه الله بالعدوة المغربية: في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (٥٤٣هـ)[6].

---

(١) انظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض لأحمد بن محمد المقري، ٣/ ٦٢، ٦٣.

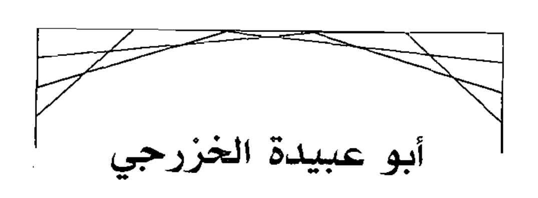
(٢) انظر: الصلة ٢/ ٨٥٦.

(٣) انظر: أزهار الرياض ٢/ ٦٤.

(٤) انظر: الصلة ٣/ ٨٥٧.

(٥) انظر: نفح الطيب ٢/ ٣٥، ٣٦.

(٦) انظر: أزهار الرياض ٣/ ٦٣.



أبو عبيدة الخزرجي

نسبه ونشأته:

هو أبو جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الحق الأنصاري الخزرجي الساعدي، ينتسب إلى سعد بن عبادة، الصحابي رضي الله عنه[1]، ولد بقرطبة سنة تسع عشرة وخمس مئة (٥١٩هـ)، كان مشهوراً في شبابه بالذكاء والحفظ والنبل، حافظاً للحديث متمكناً في الرواية، أديباً، له إلمامٌ بالتواريخ[2] تنقّل في عدة حواضر أندلسية ومغربية، وقيل إن له مشاركة بوجه ما في بعض الفتن التي انتابت قرطبة، ثم أسر لدى النصارى عام (٥٤٠هـ) في طُليطلة[3]، وبقى في الأسر، زهاء سنتين وعمره في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ثم رحل إلى العدوة[4].

مصنفاته:

آفاق الشموس وأعلاق النفوس، إشراق الشموس (مختصر آفاق النفوس)، نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه، مقام المدرك في إفحام المشرك، قصد السبيل في معرفة آيات الرسول، وغيرها من

---

(١) انظر: التكملة لكتاب الصلة ١/ ٧٦ رقم (٢٢٣).

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق٣/ ٢/ ٦٥١.

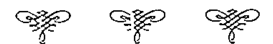
(٣) طليطلة: بضم الطاء وفتح اللامين وأكثر ما سمعناه من المغاربة بضم الأولى، وفتح الثانية، مدينة كبيرة بالأندلس، تتصل بوادي الحجارة، وهي غرب ثغر الروم، وهي قاعدة الملوك القرطبيين، ملكها المسلمون منذ الفتح حتى ملكها الأفرنج لما سلمها إليهم ابن ذي النون. انظر: معجم البلدان، ٤/ ٤٠.

(٤) انظر: الديباج المذهب ١/ ٤ ـ ٦، التكملة ١/ ٧٦.

المصنفات..، وكتابه الجيد الذي سيرد الكلام عليه في هذا البحث سماه (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان).

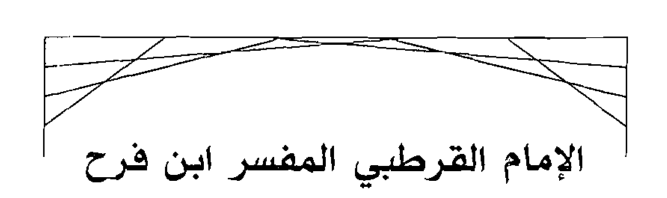
وفاته:

توفي رحمه الله بفاس[1]، وقد كف بصره عام اثنين وثمانين وخمس مئة (٥٨٢هـ)[2].



(١) فاس: مدينة كبيرة على بر المغرب، من بلاد البربر، وهي من أجمل المدن قبل أن تختط مراكش، وهي مدينة بها العمارة، تتفجر عيونها وتسيل إلى واديها، وهي أكثر بلاد المغرب يهوداً. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٣٠.

(٢) انظر: التكملة ١/ ٧٦، الديباج المذهب ١/ ٤ ـ ٦.



الإمام القرطبي المفسر ابن فرح

نسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح القرطبي، وفرح بسكون الراء[1] الأنصاري الخزرجي المالكي[2].

علمه وفضله:

«قال المقريزي كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشتغلين بما يعنيهم من أمور الآخرة. وفي تاريخ الكتبي: كان شيخاً فاضلاً، وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفور علمه، ومنها (تفسير القرآن). مليح إلى الغاية، اثنا عشر مجلداً»[3] قلت: وهو الكتاب الذي سيرد فيه الرد على ضلالات وشركيات النصارى.

مشايخه:

سمع الإمام القرطبي شيخه الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، صاحب المفهم في شرح مسلم، وحدث عن الحافظ أبي الحسن علي بن محمد اليحصبي، وعن الحافظ أبي علي الحسن البكري وغيرهما[4].

وقال السيوطي في وصفه: «مصنف التفسير الذي سارت به الركبان، وفي أسامي الكتب، وكان تفسيره المذكور يسمى بجامع أحكام القرآن، وهو

---

(١) انظر: نفح الطيب ٢/ ٢١٠، الديباج المذهب ١/ ٣١٧.

(٢) انظر: طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي، ص٩٢، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، ط. الأولى، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

(٣) نفح الطيب ٢/ ٢١١.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢١١.

كتاب من أجل الكتب في سفرين»[1].

وقال عنه الذهبي: «إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفور عقله وفضله»[2].

أهم مصنفاته:

الجامع لأحكام القرآن (في التفسير)، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكرة في أمور الآخرة، شرح التقصي، التذكار في أفضل الأذكار[3] وغيرها من المصنفات[4].

وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللهُ بمنية ابن خصيب (محافظة المنيا بمصر) ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة (٦٨١هـ) ودفن بها[5].



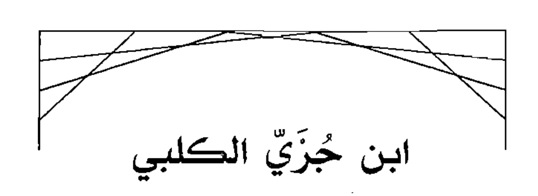
(١) طبقات المفسرين، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ١/ ٢٤٦، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٩٦هـ.

(٢) نفح الطيب ٢/ ٢١٠.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢١١.

(٤) انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى القسطنطيني الرومي ١/ ٣٨٣، ٣٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٥) انظر: نفح الطيب ٢/ ٢١١.



ابن جُزَيّ الكلبي

نسبه:

«هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جُزَيّ الكلبي، يكنى أبا القاسم»(١).

علمه وفضله:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على طريقة مثلى من العكوف على العلم والتقييد والتدوين، فقيهاً حافظاً، قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حافظاً للتفسير، مستوعباً للأقوال، جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة. تقدم خطيباً بالمسجد الأعظم من بلده على حداثة سنه، فاتفق على فضله(٢).

قلت: وهو من العلماء العاملين المجاهدين بأنفسهم وأموالهم وسيأتي، مزيد بيان لحاله في الباب الثاني، في الفصل الرابع.

مشايخه:

ذكر ابن الخطيب جلة من مشايخه واقتصر على بعضهم وهم: أبو الحسن ابن مستقور، أبو عبد الله الكماد، أبو عبد الله بن رشيد، أبو محمد عبد الله بن المؤذن، أبو الوليد الحضرمي(٣).

---

(١) الإحاطة ٣/ ٢٠.

(٢) انظر: المصدر السابق ٣/ ٢٠، ٢١، الديباج المذهب ١/ ٢٩٥.

(٣) انظر: الديباج المذهب ١/ ٢٩٥، نفح الطيب ٥/ ٥١٤.

مصنفاته:

منها: كتاب وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، الأنوار السنية في الكلمات السنّية، كتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تقريب الوصول إلى علم الأصول[1].

قلت: وله كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، مطبوع ومتداول، وهو قيّم في بابه وسيرد فيه تقرير المعتقد الحق والرد على ضلالات النصارى.

وفاته:

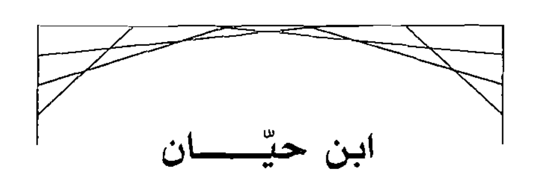
«فقد وهو يشحذ الناس ويحرضهم ويثبت بصائرهم في يوم الكاينة بطريف[2] ضحوة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبع مية (٧٤١هـ) تقبل الله شهادته»[3].



(١) انظر: الإحاطة ٢/ ٢١، ٢٢.

(٢) طريف: جزيرة ببر الأندلس بينها وبين قصر مصمودة نحو العشرين ميلاً انظر: معجم البلدان ١/ ٢٦٣.

(٣) الإحاطة ٣/ ٢٣.



ابن حيّـــــان

نسبه:

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الأثري الغرناطي، يكنى أبا حيان[1].

مولده ونشأته:

ولد بمدينة مَطْخَشَارِشْ[2] في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وست مئة (٦٥٤هـ)[3] ونشأ ببلدة غرناطة[4].

علمه وفضله:

وصفه ابن الخطيب بأوصاف منها: «أنه كان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الإدراك والحفظ والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية، إمام النحاة في زمانه..، كان شديد البسط مهيباً جهورياً، مع الدعابة والغزل وطرح السمت، شاعراً مكثراً مليح الحديث، لا يمل وإن طال»[5].

وذكر أصحاب التراجم كثيراً من أشعاره، وطالت ترجمته عند المقري على خمس وأربعين صفحة، أورد كثيراً منها، ومن ذلك مدحه لشيخ الإسلام ابن تيمية لما لقيه في رحلته إلى المشرق ومنها:

---

(١) انظر: الإحاطة ٣/ ٤٣، نفح الطيب ٢/ ٥٣٥، البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني ٢/ ٢٧٧، دار المعرفة، بيروت.

(٢) مطخشارش: لم أجد لها ذكراً في كتب معاجم البلدان، ولعلها محلة صغيرة لا تعرف.

(٣) نفح الطيب ٢/ ٥٣٨، انظر: الدرر الكامنة ٦/ ٨٥.

(٤) الإحاطة ٣/ ٤٣.

(٥) انظر: المصدر السابق ٣/ ٤٣، ٤٤.

«لما أتينا تقي الدين لاح لنا — داع إلى الله فردٌ ما له وزر
على محياه من سيما الآلى صحبوا — خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبراً — بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا — مقام سيد تيم إذ عصت مضر
فاظهر الحق إذ آثاره درست — وأخمد الشر إذ طارت له الشرر»[1]

رحلته:

رحل إلى المشرق ونال شهرة وعلواً، واستقر بمصر فنال بها عزاً وحظوة[2].

مشايخه:

قرأ على أبي جعفر بن الزبير، وأبي جعفر الرعيني، وأبي الحسن المعافري وأبي الحسن الصايغ، وغيرهم كثير[3].

مصنفاته:

كثيرة منها: تسهيل الفوائد لابن مالك، اتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، كتاب التذكرة، غاية الإحسان، جزء في الحديث، البحر المحيط (في التفسير)[4] قلت: وهذا هو الذي سنستشهد به في الرد على إفك النصارى الضالين، نفع الله به، وقد عد المقّري كتبه وأوردها واحداً واحداً وبلغ ما أورده ما ينيف على خمسين كتاباً.

محنته:

أمتحن العلامة أبو حيان كغيره من العلماء، ولكن المحنة ههنا ليست بسبب سياسي، وإنما بخلاف اجتهادي فقهي فقد «حملته حدة الشبيبة» على

---

(١) نفح الطيب ٢/ ٥٧٨.
(٢) انظر: الإحاطة ٣/ ٤٣.
(٣) انظر: المصدر السابق ٣/ ٤٤، ٤٥، الدرر الكامنة ٦/ ٥٩.
(٤) انظر: المصدر نفسه ٣/ ٤٥، نفح الطيب ٢/ ٥٥٢، ٥٥٣، البدر الطالع ٢/ ٢٨٩.

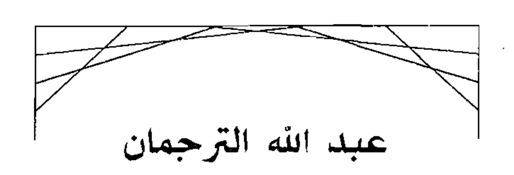
التعريض للأستاذ أبي جعفر الطباع، وقد وقعت بينه وبين أستاذه ابن الزبير الوحشة فنال منه، وتصدى للتأليف في الرد عليه، وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى السلطان، فامتعض له، ونفذ الأمر بتنكيله، فاختفى ثم أجاز البحر مختفياً، ولحق بالمشرق يلتفت خلفه»[١].

وفاته:

«توفي في عام خمسة وأربعين وسبع مية (٧٤٥هـ) بمصر، وكانت جنازته حافلة»[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ.



(١) الإحاطة ٣/٤٦، ٤٧، وانظر: الدرر الكامنة ٦/٥٩، النجوم الزاهرة ١٠/١١١.
(٢) الإحاطة ٣/٦٠.



عبد الله الترجمان

نسبه ولقبه وكنيته:

هو عبد الله بن عبد الله[١]، وسماه المستشرق آنخل بالنثيا في كتابه تاريخ الأندلس أنه «ارتد عن المسيحية واعتنق الإسلام وتسمى بعبد الله علي بن علي»[٢].

وكان يسمى قبل إسلامه بالقسيس «أنسيلمو دِ تورميدا» Anselmo de Turmeda[٣].

وكان يلقب بالترجمان، عبد الله الترجمان الميورقي ويكنى بأبي محمد[٤]، أما تلقيبه بالترجمان فلأنه كان يترجم في ديوان الأمير التونسي أحمد الحفصي ويسترزق منه[٥].

مولده ونشأته:

«ولد في ميورقة[٦] في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي»[٧].

---

(١) انظر: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، لعبد الرحمن الترجمان، مقدمة المحقق، ص٢٣.

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل جنثالث بالينثيا، ص٥٨٧. ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٥٨٧.

(٤) انظر: مقدمة تحفة الأريب، ص٢٣، ٢٤.

(٥) انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٥٨٧.

(٦) ميورقة: جزيرة في شرق الأندلس، بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، انظر: معجم البلدان ٥/ ٢٤٦.

(٧) تاريخ الفكر الأندلسي، ص٥٨٦.

وقيل: إنه ولد على وجه التقريب سنة ست وخمسين وسبع مئة (٧٥٦هـ)[١].

ونشأ الترجمان بالجزيرة التي ولد بها، ثم ارتحل إلى لاردة[٢] وبولونيا في إيطاليا، ثم انضم إلى طائفة الرهبان المعروفة (بالمينورس = الصغار) ثم ارتحل إلى تونس حيث أشهر إسلامه[٣].

علمه ومؤلفاته:

مما لا شك فيه أن الترجمان من أعلم الناس بأديان أهل الكتاب، كونه حفظ جزءاً كبيراً من (كتابهم المقدس) في شبابه أيام رهبانيته، كما ذكر ذلك في قصة إسلامه في كتابه[٤]، ولقد عظم شأنه وخطره عند المغاربة المسلمين لما حل بهم وذاع ذيوعاً عظيماً[٥]، ومما ساعده على التحصيل والتأليف والترجمة توقد ذهنه، فقد تعلم اللغة العربية كاملة وأجادها في عام واحد وصار كاتباً للأمير الحفصي[٦]، ولقد اغتنم علمه بكتبهم وضمنه ذلك في رده عليهم بكتابه القيم تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب الذي سنعتمد على كثيرٍ منه في الرد على النصارى.

أما مؤلفاته فمنها:

تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب (الكتاب الشهير الذي ألفه بعد إسلامه)،التعاليم الصالحة (باللغة القطلونية)، رباعيات مملكة ميورقة (بالقطلونية)،كتاب النبوات (بالقطلونية)، وقد طار صيتها في قطلونية[٧] كل

(١) مقدمة تحفة الأريب، ص٢٥.
(٢) لاردة: براء مكسورة، مدينة مشهورة بالأندلس شرقي قرطبة. انظر: معجم البلدان ٥/ ٧.
(٣) تحفة الأريب، مقدمة الترجمان نفسه ص٦١، ٦٢.
(٤) المصدر السابق، ص٦٢.
(٥) انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٥٨٧.
(٦) انظر: تحفة الأريب، ص٧٧.
(٧) قطلونية: لم أجده في المعجم، وهو إقليم في الدولة الأسبانية.

مطار، حتى إن بعضها ظل مستعملاً ككتاب تعليمي في ذلك الصقع إلى زمن متأخر من القرن التاسع عشر.

ومنها كتابه: (مجادلة الحمار، للأب انسيلموا تورميد) ونشر بالقلطونية والفرنسية والألمانية، وفحوى الكتاب حوارات على لسان العجماوات يظهر فيه فضل الإنسان عليها[1].

سبب إسلامه:

ذكر الترجمان في قصة طويلة سبب إسلامه في مقدمته لتحفة الأريب، ملخصها: أنه كان راهباً وقسيساً، وكان يجالس أحد أكبر رهبانهم ورجال دينهم ويخدمه، فتأخر هذا الكبير وبعث تلميذه الترجمان، فحضر مجلس رجال الدين وجعلوا يتجادلون في نبي يأتي بعد عيسى اسمه (البارقليط) وتفرقوا ولم يجدوا جواباً، فرجع التلميذ إلى كبيرهم وأخبره بما وقع، فقال قارب فلان وأخطأ فلان، ولكن الصواب خلاف ذلك، فقال التلميذ ومن يكون؟

فأخبره بعد عهد وثيق أنه من أسماء نبيهم محمد ﷺ، وأن ملته ونعته هي المذكورة في التوراة والإنجيل، فقرر التلميذ انسيلموا الهجرة لبلاد المسلمين واعتناق الإسلام، فوصل إلى تونس، ولقي سلطانها الحفصي، وجمع النصارى والقسس وسألهم عنه فقالوا: هذا كبير ديننا وعاقلنا وزكوه ورفعوا قدره، فأخرجه عليهم ونطق بشهادة التوحيد، فلعنوه وذموه، كما وقع لعبد الله بن سلام مع الرسول ﷺ ومع قومه من اليهود[2]، وسيأتي المزيد من الكلام على سبب إسلامه في الباب الأول من الفصل الرابع من هذا البحث، بعون الله.

وفاته:

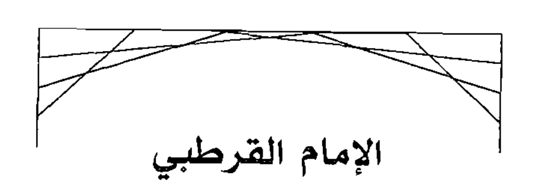
توفي الشيخ عبد الله الترجمان رحمه الله، سنة اثنتين وثلاثين بعد الثمان مئة (٨٣٢هـ)[3].

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٥٨٧، ٥٨٨.

(٢) انظر: الفصل الأول من تحفة الأريب، ص٦١ ـ ٧٦.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق: تحفة الأريب، ص٦٥.



الإمام القرطبي

كتابه: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام:

وتمام عنوان هذا الكتاب: وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، للإمام القرطبي. فمن هو الإمام القرطبي؟ وما سبب تأليفه لهذا السفر المكون من أربعة أجزاء، جمع فيه فأوعى ولدين الصليب حطم وألغى؟ ولمن ينسب بعدئذ؟

الجواب على ذلك:

أن أصل المخطوط الذي عثر عليه، وحقق حديثاً، لم يذكر على غلافه سوى العنوان، ومؤلفه الإمام القرطبي[1]، وقال كاتبه في نهايته: أنه فرغ منه سنة سبع مئة وست وعشرون من الهجرة (٧٢٦هـ)[2] فهل يكون هذا القرطبي هو الإمام المفسر الذي سبق التعريف به؟

لقد انقسم الكُتّاب والمؤرخون في نسبة هذا الكاتب الجليل إلى قسمين، فمنهم من ذهب إلى أنه الإمام القرطبي المفسر: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي، ومنهم من ذهب إلى أنه عالم آخر غير القرطبي المفسر، ولكل فريق حججه.

---

(١) انظر: مقدمة المحقق لهذا الكتاب: الإعلام بما ورد في دين النصارى من الفساد والأوهام ١/ ٥، ومقدمة المحقق ـ في نظري ـ قاصرة لا تفي بالغرض، نظراً لأهمية الكتاب وتخصصه الدقيق، حيث لم يبذل جهداً كبيراً في محاولة معرفة أو ترجيح اسم مؤلف الكتاب.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٤٥٨.

نسبة كتاب الإعلام للإمام القرطبي المفسر ابن فَرْح، لما يلي:

أولاً: ذهب «كارل بروكلمان» أن مؤلف الإعلام هو القرطبي مؤلف تفسير القرآن الكريم لا غيره، ويقول: أن للإعلام نسختين خطيتين وأنه يعرف بالقرطبي مؤلف الإعلام والتفسير المسمى: «الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنّة وآي الفرقان»، ويقول: هو شمس الدين محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ست مئة وواحد وسبعين من الهجرة (٦٧١هـ).

ثانياً: يؤيد ما مضى أن القرافي صاحب الرد على النصارى المتوفى (٦٨٤هـ) نقل منه عن «أوغسطين» «وحفص»[(١)].

قلت: وليس في هذا حجة، فقد يكون نقل عن غيره، أو هما كُتِبَا في مصدر آخر نقله عن ذلك المصدر.

ثالثاً: أيد هذا الرأي بعض الباحثين ومنهم صاحب (هدية العارفين) ود. «زلط» في أطروحته التي قدمها لكلية أصول الدين، جامعة الأزهر في موضوع: «القرطبي ومنهجه في التفسير»[(٢)].

نسبة كتاب الإعلام لفقيه وعالم آخر غير القرطبي صاحب التفسير، يؤيده ما يلي:

أولاً: اتفق الجميع أن مؤلف كتاب الإعلام قرطبي، وقد نص عليه مؤلف الكتاب حيث ورد كتاب صاحب «تثليث الوحدانية» إلى قرطبة[(٣)] باعتباره أحد علمائها، كما كتب على المخطوط والمطبوع في أول صفحاته أنه للإمام القرطبي.

ثانياً: أن المؤلف فرغ منه سنة سبع مئة وست وعشرين للهجرة (٧٢٦هـ) كما ذكر في آخر الكتاب[(٤)]، ويعني هذا أن القرطبي مؤلف كتاب

---

(١) انظر: مقدمة المحقق لكتاب الإعلام، ص٥، ٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٥، ٦.

(٣) انظر: الإعلام ١/٤٣.

(٤) انظر: الإعلام ٤/٤٥٨.

الإعلام، ليس هو الإمام الفقيه المفسر؛ لأن الإمام الفقيه المفسر توفي سنة ست مئة وواحد وسبعين من الهجرة (٦٧١هـ)[(١)].

ما يفيد أن المؤلف للكتاب فقيه آخر غير المفسر، وهذا احتمال كبير جداً إذ يفرق بين التاريخين خمس وخمسون سنة، لكن التاريخ المذيل في آخر الكتاب لا يجزم أنه تاريخ تأليفه، فقد يكون تاريخ النسخ؛ لأنه ذكر أنه فرغ منه في هذا التاريخ بدمشق المحروسة، وكان ذكر قبل هذا التاريخ تاريخاً، وذكر أنه نجز على يد علي بن محمد بن عانبه الفيومي نسباً، والشافعي مذهباً سنة تسع وسبعين وثمان مئة (٨٧٩هـ)[(٢)].

فهؤلاء نُساخ وكُتاب من مصر ودمشق فيما يظهر، والمؤلف قرطبي أندلسي، وسيأتي ذكره قريباً، حال رده على النصارى.

كما أنه ختم بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم جاءت هذه التواريخ بالحمد والصلاة مرتين عند التاريخين، ولا شك أن هذا كان من عمل النُساخ.

ثالثاً: مما يدل على أن مؤلف «الإعلام» فقيه آخر غير المفسر ابن فرح: أن الكتاب ألف قبل سقوط قرطبة يتضح ذلك جلياً بقول المؤلف في الإعلام: «فقد وقفت ـ وفقك الله ـ على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين النصرانية سماه كتاب (تثليث الوحدانية) بعث به من طليطلة ـ أعادها الله ـ إلى مدينة قرطبة حرسها الله»[(٣)].

فقال عن قرطبة حرسها الله، ما يعني أنها لا تزال في حوزة المسلمين، وقال عن طليطلة أعادها الله، ما يعني أنها أخذت من المسلمين، أعاد الله الجميع.

وقد سقطت قرطبة عام (٦٣٣هـ)[(٤)] بينما سقطت طليطلة عام

---

(١) انظر: نفح الطيب ٢/ ٢١١، طبقات المفسرين ١/ ٢٤٦.

(٢) انظر: الأعلام ٤/ ٤٥٨.

(٣) الإعلام ١/ ٤٣.

(٤) انظر: التكملة ١/ ٢٠، ٣٢٣ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد الدمشقي ٣/ ١٥٩، دار الكتب العلمية بيروت، الاستقصاء ١/ ٢٤٦.

(٣٧٨هـ)[١]، بل إنه مما يشي ويفيد ويقنع أن الكتاب ألف قبل سقوط قرطبة بمدة طويلة.

أنه في سياق رد المؤلف على النصراني، تحدث عن ظهور دين الإسلام على الدين كله فقال: «وهذا دين الإسلام الذي جاء به محمد عليه السلام له: ست مئة ونيف من الأعوام، وهو باقٍ إلى آخر الأيام، والحمد لله على ما أولى من الفضل والأنعام»[٢].

وقال في موضع آخر في سياق رده على النصارى في إنكار نبوة النبي ﷺ: «وهذا دين رسولنا محمد ﷺ قائم منذ ست مئة سنة ونيف...»[٣].

في هذين الشاهدين ما يفيد على أن المؤلف القرطبي صنفه قبل سقوط قرطبة بزمن طويل، وربما كان ذلك سنة ست مئة وثلاثة (٦٠٣هـ) أو قريباً منها.

فنيف تفيد الزيادة القليلة على العدد، حتى رآها بعض أهل اللغة من الواحد إلى الثلاثة[٤].

وهذه الدلائل التاريخية تفيد أن المؤلف القرطبي ليس هو المفسر؛ لأن المفسر توفي عام (٦٧١هـ) من الهجرة كما ذكر آنفاً، ولا يعدو كونه ـ في تاريخ تأليف الكتاب ـ شاباً صغيراً في بداية طلب العلم، ربما كانت سنه دون العشرين، أو الخامسة عشرة، فضلاً عن أن يكون من كبار العلماء.

رابعاً: من الدلائل التي تدل على أن المؤلف عالم آخر غير القرطبي ابن فَرْح الأنصاري المفسر: أن القارئ الفاحص يتبين له من خلال قراءته لكتاب الإعلام، أنه أمام عالم إمام، جهبذ همام، من كبار علماء قرطبة في زمنه،

---

(١) انظر: نفح الطيب ٤/٣٥٢، ٣٥٤، وفيات الأعيان ٥/٢٧، العبر ٣/٢٩١.

(٢) الإعلام ٣/٢٧٧. (٣) المصدر السابق ٢/٢١٩.

(٤) النّيِّف: بالتشديد من واحد إلى ثلاثة والبضع من أربعة إلى تسعة انظر: لسان العرب ٩/٣٤٢ المصباح المنير، أحمد بن يحي الفيومي ٢/٣٦١، المكتبة العلمية، بيروت، العين ٨/٣٧٦.

وليس من جملة طلبة العلم، حيث تعين عليه الرد. فقال: «وقد كنت عزمت على الاقتداء بالعقلاء في الإعراض، حتى أكثر هذا المتكلم من التعرض والاعتراض، فتعين لذلك الجواب...»[1].

بل إن الأمر وصل إلى أن عرض عليه جملة من طلبة العلم والعلماء أن يرد فقال: «... مع أنه رغب إلي من ذلك جماعة من الإخوان، فصار ذلك كأنه من فروض الأعيان»[2].

ولو كان فقيهاً صغيراً أو طالب علم لما رغبوا إليه، ولما تعين عليه، فتبين أنه من أكابر علماء قرطبة في زمنه بل أكبرهم.

وبالنظر لحال إمامنا المفسر ابن فرح، فإنه كان في هذا الوقت لا يزال طالب علم صغير بل إنه لا يزال يطلب العلم على مشايخ قرطبة حتى سنة (٦٢٨هـ)[3].

وكما ذكرنا آنفاً أن الإعلام ألف قبل هذا التاريخ بزمن ليس باليسير، فتبين بالقطع أنه ليس بالمفسر إذ لا يتجاوز المفسر حينذاك أن يكون من جملة طلاب العلم غير المشهورين.

خامساً: بقراءة الإعلام قراءة فاحصة، يتضح أن مؤلف كتاب الإعلام، إمام في الدين عالم بشريعة المسلمين، ذو علم واسع بالحديث والتفسير والفقه واللغة، والعقيدة التي ألم بأصولها وفروعها ودقائقها، متضلع في علم الكلام، والعقيدة الأشعرية.

بينما المفسر ابن فرح في ذلك الوقت ليس كذلك، حتى أنه في السنة (٦٢٧هـ) تردد في مسألة علمية شرعية بين ثلاثة من علماء قرطبة ليفتوه في شأنها[4]، مما يفيد أنه في ذلك الحين من جملة طلاب العلم لا العلماء.

---

(١) الإعلام ١/٤٥.

(٢) المصدر السابق ١/٤٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ٣/٢٣٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) انظر: المصدر السابق، ٤/٢٧٢.

سادساً: من خلال الأسلوب يتضح:

أن أسلوب القرطبي مؤلف الإعلام غير أسلوب القرطبي المفسر، فمؤلف الإعلام رد على النصارى برد بليغ، شرعي وعقلي ونقلي، فيه من السجع المرصع، والعبارات الأدبية والأشعار العربية والمحسنات الكلامية الكثير الكثير، وهو أشبه شيء بمقامةٍ أدبيةٍ وبلاغيةٍ، في ثوب علمي رصين.

وهذا خلاف أسلوب القرطبي المفسر في كتبه، ومنها التفسير، حيث نهج نهج الفقهاء، وأهل العلم في تناوله القضايا العلمية بأسلوب موضوعي علمي بعيد عن الأدبيات والمحسنات الأدبية والبلاغية.

سابعاً: أنه من خلال قراءتي لكتاب الإعلام كاملاً، ولكثير من تفسير القرطبي تبين لي في العقائد: أن مؤلف كتاب الإعلام أشعري متكلم بصير بعلم الكلام.

فقد ذهب إلى القول بأقوال المتكلمين الأشاعرة[1] في الصفات، ومنها صفة الكلام، حيث زعم أن الكلام معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت، وأن الله لا يتكلم بذاته حقيقة، إنما يدرك النبي ما في نفس الله، فينطق عنه؟![2].

أما القرطبي المفسر فلم يسلك مسلك الأشاعرة في الصفات، ومنها صفة الكلام، فقد أثبت هذه الصفة كما يعتقد ذلك سلف الأمة وأهل السنّة والجماعة فقال عند قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]:

---

(١) الأشاعرة: اتباع أبي الحسن الأشعري، الذين اثبتوا سبعاً من الصفات ونفوا الباقي بطرق وقواعد عقليه مخالفة للسنة، وقالوا ان الكلام هو معنى قائم بالنفس لا يتجزأ ولا يتبعض. ولهم أقوال أخرى خالفوا فيها الدليل الشرعي، ووافقوا في البعض السنة والجماعة. انظر: الملل والنحل ١/ ٩٤ شرح قصيدة ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ١/ ٣٢٣، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ يقظة أولي الاعتبار، ١/ ٣٧، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة عاطف، دار الأنصار القاهرة، ط. الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(٢) انظر: الإعلام ١/ ١٠٥، ١٠٩، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١.

«أي مصدر معناه التأكيد، يدل على بطلان من يقول خلق لنفسه كلاماً في شجرة، فسمعه موسى، بل هو الكلام الحقيقي الذي يكون به المتكلم متكلماً، وإذا أكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً، ولما قال «تكليماً» وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل»[1].

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]: «أي أسمعه كلامه من غير واسطة»[2].

فهذه عقيدة القرطبي المفسر على منهج سلف الأمة في الصفات، ولا سيما الكلام. وتلك عقيدة القرطبي صاحب الأعلام على منهج المتكلمين الأشاعرة والماتريدية[3] فتبين أن القرطبي المفسر غير صاحب «الإعلام» وكلا القرطبيين كتب هذا في قمة النضج العلمي.

ثامناً: أنه من خلال قراءتي لكتاب المفسر للقرطبي في مظان الرد على النصارى اتضح لي أنه لا صلة ألبتة بين الأسلوبين، ولا النقاط التي رد كل منهم فيها، كما أن المفسر لم يشر ولو إشارة واحدة إلى كتاب الإعلام، مثال ذلك الكلام على عقيدة النصارى في بولس «شاول» كما سيأتي في الفصل الرابع من الباب الأول.

تاسعاً: مما يفيد أن القرطبي صاحب الإعلام غير القرطبي المفسر، أن من ترجم للقرطبي المفسر لم يذكر هذا الكتاب الجليل من جملة كتبه ومن أشملهم في ترجمته ابن فرحون، في «الديباج المذهب»[4]، ولم يذكر هذا من جملة كتبه لما ترجم له[5]، وغيره من أصحاب التراجم كما ورد في ترجمته آنفاً.

---

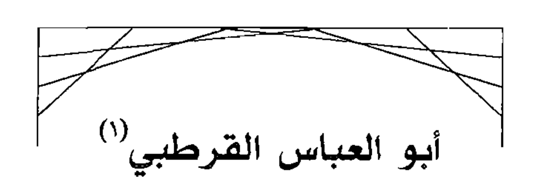
(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٧٨.
(٣) الماتريدية: فرقة كلامية نشأت بسمرقند في القرن الرابع الهجري، أتباع أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، ومن أشهر بدعها تقسيم مصادر التلقي إلى عقليات في التوحيد وشرعيات في أمور الدين، قالوا بالتأويل في الصفات والتفويض، ولهم بدع في مسائل الإيمان وغيرها. انظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٩٩ ـ ١٠٩.
(٤) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، لابن فرحون، ص٣١٧.
(٥) انظر: مقدمة المحقق لكتاب الأعلام، ص٥، ويجدر بالذكر أن الباحث الدكتور =

هذا ما ثبت لي من نسبة الكتاب للقرطبيين، وأضيف أن محقق كتاب الإعلام لم يرجح لما ذكر هل هو المفسر أم لغيره، ولكنه يميل إلى أنه غير المفسر ابن فَرْح، حيث لم ينسبه له في أول صفحة من عنوان الكتاب بل جعله للإمام القرطبي.

بل إن المعطيات القوية، والدلائل المتناسقة المنتظمة ـ التسعة ـ الآنفة الذكر تدل على أن المؤلف لكتاب الإعلام قرطبي آخر غير المفسر، فكم أخرجت قرطبة حاضرة أوروبا في حينها من الأئمة الأعلام، والفقهاء أولي الأفهام، وما النسبة إلى قرطبة إلا كما يقال: المكي، المدني، العراقي، المصري، . . . إلخ.



= محمد أبا الخيل له رسالة تاريخية في الصراع ضد النصارى قد ذكر بعض النقاط ضمن بحثه القيم. انظر: ص٣٩٦، ٣٩٩ منه.



أبو العباس القرطبي[1]

ونسبة كتاب الإعلام إليه:

أولاً: ذكر الإمام القرطبي المفسر أن أبا العباس أحمد بن عمر شيخه في مواضع عدة[2] من كتبه.

ثانياً: أن الإمام القرطبي أبا العباس أحال في كتابه القيم: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، إلى كتاب الإعلام فيما يزيد عن خمسة مواضع[3].

ثالثاً: جاءت الإحالات إلى كتاب الإعلام بألفاظ:

---

(١) هو أحمد بن عمر بن ابراهيم بن عمر الأنصاري، اشتهر بابن المزين، من أعيان فقهاء المالكية، نزل الإسكندرية وتعلم بها، كان من الأئمة المعروفين بالفقه والحديث والعربية، وله كتاب على صحيح مسلم أجاد فيه وأفاد، سماه المفهم، واختصر البخاري ومسلم وغيرها، ولد سنة ٥٧٨هـ أو ٥٩٨هـ، وتوفي بإسكندرية سنة ٦٢٦هـ أو ٦٥٦هـ. انظر: الديباج المذهب ١/ ٤، ٦٨، نفح الطيب ٢/ ٦١٥ التكملة لوفيات النقلة، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ١/ق١/٣٤٨، تحقيق: بشار عواد، مطبعة الآداب في النجف، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، وط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٩٥، ٤/ ١٣، ٥/ ٤٤ وغيرها من المواضيع في تفسيره، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، ص١٩، ١٢٠، ٢٣٦، ٣٧٧، ٦٦٤، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، طبعة دار الحديث الأولى، القاهرة.

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، كتاب الوصايا، باب ميراث الكلالة ٤/ ٥٧٠، حديث رقم (١٧٢٠)، وكتاب النبوات، باب كونه مختاراً من خيار الناس، حديث رقم (٢١٩١) ٦/ ٥٠، ١٤٨، ١٦٧، ١٨٣، تحقيق: محيي الدين مستو وغيره، دار ابن كثير، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، وكذا ٦/ ٥٠، ١٤٨، ١٧٦، ١٨٣ منه.

«الإعلام بمعجزات النبي عليه الصلاة والسلام»، «الإعلام بصحة نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام»، «الإعلام» في المواضع الباقية.

استنتاج:

بعد ذكر هذه المعطيات، وأن الكتاب ألف قبل زمن القرطبي المفسر، وأن أبا العباس شيخه، وأنه أحال إليه في مواضع عدة بألفاظ مختلفة، وأني بقراءتي الفاحصة لكتاب الإعلام مرات عدة، وجدت أن المواضع التي أشار إليها أبو العباس في المفهم تضمنها كتاب الإعلام.

كما أن كتاب الإعلام حوى جزءاً كبيراً مما ذكره أبو العباس في ذكر معجزات النبي ﷺ وفضائله وحياته ودلائل نبوته، كما أن الجزء الباقي كان في الرد على النصارى، في قضايا التوحيد والتشريع، ثم ختمه بما ذكرناه عن النبي ﷺ، ولعله ألف هذا الجزء الخاص بالنبي ﷺ رداً على افتراءات النصارى على جنابه الكريم، ثم قُدر أن يزيد عليه ما ورد من فساد عقائدهم وسُمي الكتاب: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، مع إدراكنا لاهتمام أبي العباس الإمام الهمام بالرد على النصارى أهل الفساد والأوهام، وذكره لذلك في شرحه لمسلم مرات عدة.

فنرجح دون جزم أن كتاب الإعلام للإمام أبي العباس القرطبي شيخ المفسر القرطبي.

أما سبب تأليفه، فيحدثنا الإمام القرطبي عنه بعد حمد الله كثيراً والثناء على رسوله ﷺ ثناءاً عطراً، فيقول: «فقد وقفت ـ وفقك الله ـ على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين الملة النصرانية سماه كتاب: «تثليث الوحدانية» بعث به من طليطلة ـ أعادها الله ـ إلى مدينة قرطبة ـ حرسها الله ـ، معترضاً فيه لدين المسلمين، نائلاً فيه من عصابة الحق الموحدين، سائلاً عما لا يعنيه، ومتكلماً بما لا يدريه، فأمعنت النظر فيه، فإذا بالمتكلم يهرف بما لا يعرف، وينطق

بما لا يحقق..»[1]، ثم يقول ـ بعد كلام بليغ رصين يبهر العقول: «وقد كنت عزمت على الاقتداء بالعقلاء في الإعراض، حتى أكثر هذا المتكلم من التعرض والاعتراض، فتعين لذلك الجواب، وأنا أسأل الله التوفيق للصواب، ومجانبة الخطأ، وما يوجب العقاب، إنه ولي التوفيق وهو بإجابة السائلين حقيق»[2].

محتويات الكتاب:

قال الإمام القرطبي: «وقد استخرت الله تعالى في أن أجعل هذا الكتاب على صدر وأربعة أبواب:

الباب الأول: في الكلام عن الأقانيم.

الباب الثاني: في الاتحاد والحلول.

الباب الثالث: في الكلام عن النبوات، وإثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام.

الباب الرابع: في جمل من فرع أحكامهم، وأبين لهم فيها أن ليس لهم في أحكامهم مستند إلا محض الهوى والتحكم واللدد.

وكل باب من هذه الأبواب يتضمن فصولاً، وأنا أسأل الله تعالى أن يطلق ألسنتنا بالحق والحكمة، ويخرسها عن الباطل والفتنة، إنه ذو الفضل والنعمة..»[3].

وتفصيل ذلك على النحو التالي:

بدأ القرطبي رده بمقدمة:

بدأ فيها بحمد الله والصلاة على رسول الله، وبيّن سبب تأليفه لكتاب الإعلام بأنه رد على صاحب كتاب «تثليث الوحدانية».

ثم صدّر الكتاب:

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، ص٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص٤٥. (٣) المصدر السابق، ص٤٦.

يفصّل فيه: حكاية كلام السائل في خطبة كتابه، وفيه ذكر التثليث، والألوهية، وبعض التشريع والصفات الإلهية، والربوبية، ورد المؤلف عليه، ثم ناظره مناظرة عقلية

أما الباب الأول: ففي بيان مذاهبهم في الأقاليم، وإبطال قولهم فيها:

- الفصل الأول: الأقانيم أسماء وأفعال.
- الفصل الثاني: أقانيم القدرة، والعلم، والحياة.
- الفصل الثالث: تعليل التثليث.
- الفصل الرابع: دليل التثليث.
- الفصل الخامس: في بيان اختلافهم في الأقانيم.

وقد ضمّن هذا الباب: مسائل في الربوبية، في الصفات، في الشريعة، في التثليث، وقد أطال الرد في هذا الأخير إذ الباب مخصص له، وشيء من هذا في المناظرة.

الباب الثاني: في بيان مذاهبهم في الاتحاد والحلول وإبطال قولهم فيها:

- الفصل الأول: اتحاد الكلمة.
- الفصل الثاني: معنى الاتحاد.
- الفصل الثالث: الواسطة بين الله وبين موسى.
- الفصل الرابع: تجسيد الواسطة.
- الفصل الخامس: كلام المتقدمين.
- الفصل السادس: مذهب «أغستين» إذ هو زعيم القسيسين.

وقد ضمّن هذا الباب أيضا: الكلام على المناظرة، وإجابة بعض الشبهات، والكلام في الصفات، والربوبية، واليوم الآخر، والملائكة، والنبوات.

الباب الثالث: في النبوات وذكر كلامهم فيها:

وهذا الباب ينقسم إلى قسمين:

* القسم الأول: حكى في كلام السائل (صاحب تثليث الوحدانية) والجواب عليه، وفيه ستة فصول:

- الفصل الأول: احتجاج أصحاب الملل.
- الفصل الثاني: المسيح (المسيا) المنتظر.
- الفصل الثالث: المسيح عيسى ابن مريم.
- الفصل الرابع: في بيان بعض ما طرأ في التوراة من الخلل وأنها لم تنقل نقلاً متواتراً فتسلم لأجله من الخطأ والزلل.
- الفصل الخامس: في بيان أن الإنجيل ليس متواتراً، وبيان بعض ما وقع فيه من الخلل.
- الفصل السادس: هاجر أم إسماعيل الذبيح.

وقد ضمّن هذا القسم مسائل: القدر، الشرعية، التقليد، ضوابط المناظرة، النقاش مع النصارى، المعجزات، الصفات، ورد بعض الشبهات.

* القسم الثاني: في النبوات وإثبات نبوة محمد ﷺ، وفيها:

- المقدمة الأولى: تعريف النبوة والمعجزة.
- المقدمة الثانية: أن ظهور المعجزة على يد عسى لا تدل على نبوته.
- أنواع القسم الثاني في إثبات نبوّة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وذكر أنواعاً من الأدلة وتضمن الكلام في القسم عن الشرائع والتوحيد والمعجزات.

الباب الرابع: في بيان أن النصارى متحكمون في أديانهم، وأنهم لا مستند لهم في أحكامهم إلا محض أغراضهم وأهوائهم. وقد اشتمل على: صدر، وفنين:

- الصدر وفيه فصلان:
- الفصل الأول: ليست النصارى على شيء.
- الفصل الثاني: خروج النصارى على تعاليم التوراة والإنجيل.

وضمّن الصدر الكلام على الشرائع، والصلب، وتأويل الشرائع.

ـ أما الفنان:

ـ الفن الأول: شعائر الدين النصراني وطقوسه وفيه مسائل مثل: التعميد، غفران الذنوب من قبل الأساقفة، النكاح، التشريع، الصلوبية الختان، الصيام، الأعياد، القربان.

ـ الفن الثاني: محاسن دين الإسلام.

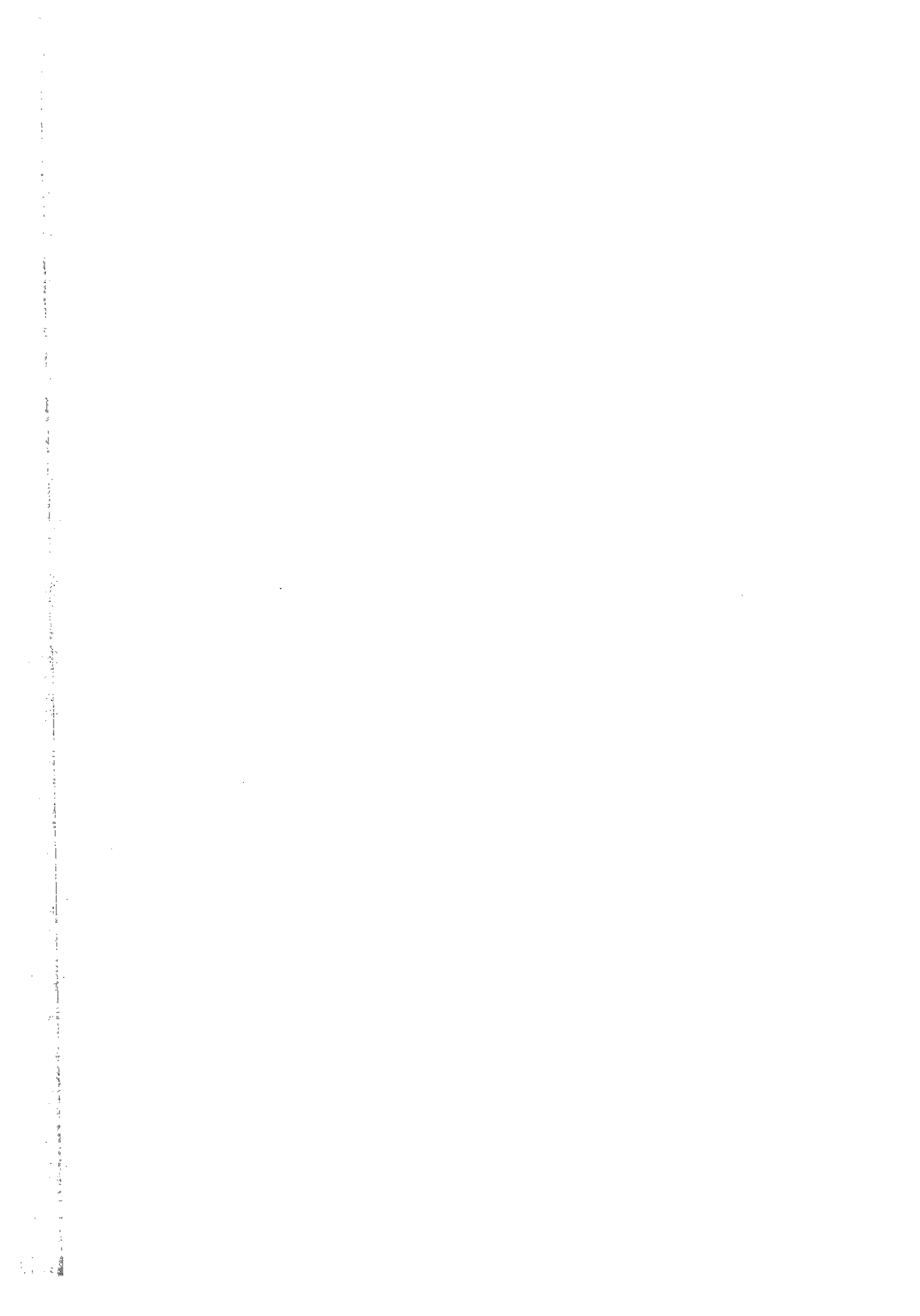
وتضمن الكلام فيه عن عقائد الإسلام وشرائعه في جمل عامة، وإن كان من تعقيب: فهذا نموذج قديم رصين في طريقة البحث العلمي، فتأمل حسنه وروعته.





الباب الأول

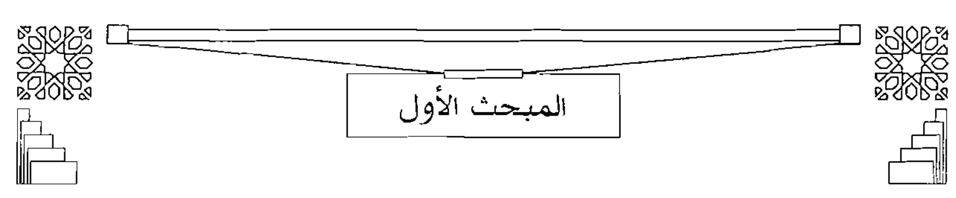
جهود علماء الأندلس
في الرد على النصارى
في أصول الإيمان والتعاليم الكنسية



الفصل الأول

عقيدة النصارى في الإيمان بالله

لا شك أن الإيمان بالله أساس التوحيد وأول دعوة الرسل وهو رأس الأمر كله دقه وجله، من أجله خلق الخلق ومن أجله كانت الدنيا ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومن أجله بعثت الرسل ونزلت الكتب، وما من نبي إلا خاطب قومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]، بل هو أول واجب على المكلف كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]، ولأن توحيد الإله وإفراده بجميع أنواع العبادة أهم شيء في حياة الناس، فقد تصدى أهل العلم من البلاد الأندلسية بالرد على من جاورهم من أهل الملة النصرانية في شركهم بالله فهو أي ـ التوحيد ـ نقطة الخلاف الأهم بيننا وبين النصارى في كل عصر وفي كل مصر وفي هذا الفصل: «عقيدة النصارى في الإيمان بالله» مباحث عدة، تصدى العلماء لها في مؤلفاتهم فأوردوا العقائد الوثنية النصرانية، وطرحوا أدلتهم وشبههم ثم تناولوها بالرد العقلي والشرعي، وأظهروا ما فيها من عوار وحذروا معتنقيها من ورود دار البوار، فكانت على النحو التالي:



المبحث الأول

توحيد الربوبية

الرب في اللغة: هو الملك، فيقال فلان رب هذا الشيء أي ملكه، ورب كل شيء مالكه ومستحقه، يقال رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، والرب يطلق في اللغة على الملك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم.

ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷻ، وإذا أطلق على غيره أضيف[1].

وفي الاصطلاح: الإقرار والاعتقاد الجازم أن الله خالق كل شيء ومالكه ورازقه ومدبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، الآيات في هذا كثيرة جداً.

ابن حزم

وتقرير توحيد الربوبية والرد على النصارى:

يزعم النصارى أن المسيح ابن مريم هو الله وبالتالي فهو الرب الخالق الرازق المدبر فذهبت اليعقوبية ـ الآنف ذكرها في التمهيد، وتعرف اليوم بالأرثوذكسية ـ إلى القول بالاستحالة والنقلة؛ أي تحول الإله من حال إلى حال، وانتقاله من وجود إلى وجود، وفي ميلاد المسيح إله في صورة بشر[2].

فماذا كان رد إمامنا ابن حزم على هذا البهتان البارز للعيان؟

(١) انظر: لسان العرب ١/ ٣٩٩.

(٢) انظر: الفصل ١/ ١١٢.

قال يرحمه الله: «وهم فرقة نافرت العقل والحس منافرة وحشية تامة؛ لأن الاستحالة نقلة، والنقلة الاستحالة لا يوصف بهما الأول الذي لم يزل. تعالى عن ذلك علواً كبيراً». ثم أضاف مخاطباً إياهم بكلام عقلي، لرد زعمهم أن الثلاثة (الأب، الابن، الروح القدس) لم تزل كلها، قائلاً:

«ثم يقال للقائلين بأن الباري تعالى ثلاثة أشياء: أب وابن وروح القدس، أخبرونا إذ هذه الثلاثة لم تزل كلها، وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق أن يكون أحدهما يسمى: أباً، والثاني: ابناً، والثالث: روح القدس، وأنتم تقولون: إن الثلاثة واحد، وأن كل واحد منهما هو الآخر فالأب هو الابن والابن هو الأب، وهما روح القدس، وليس روح القدس سواهما، وهذا عين التخليط، وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه «سأقعد عن يمين أبي»[1] وقال: «وأيضاً فإن ما قالوا محال؛ لأن الباري ﷻ الذي لم يزل لا يستحيل إلى طبيعة الإنسان المحدث، ولا يستحيل المحدث إلهاً لم يزل، وهذا محال بذاته لا يتشكل (يتشكك)، وكذلك الإنسان لا يجاور الإله مجاورة مكانية لأنه محال أيضاً»[2].

ثم يجادلهم الإمام ابن حزم فيما اصطلحوا عليه بـ«الأمانة»[3]، هل الابن الذي نزل من السماء، مخلوقاً كان أو غير مخلوق قبل أن ينزل؟.

«وأمانتهم التي ذكروا أنهم متفقون عليها موجبة أن الابن هو الذي نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وقتل وصلب، فيقال لهم:

---

(١) الفصل ١/ ١١٢، والنص في إنجيل لوقا الإصحاح ٢٢/ ٦٩ ونصه: «منذ الآن يكون ابن الإنسان عن يمين قوة الله».

(٢) الفصل ١/ ١١٧، ١١٨.

(٣) الأمانة: اجماع على معتقد نزول المسيح وقتله وصلبه، وقد ذكرها ابن حزم في الفصل ١/ ١٢١ وهي ليست في الأناجيل، وإنما هي من تلفيقات رجال الكنيسة، وهي كما نقلها ابن تيمية: «نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل خالق السموات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل الدهور، نور من نور إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق» الجواب الصحيح ٢/ ١٣، ٢١.

هذا الابن الذي من أمانتكم إنه نزل من السماء وتجسد إنساناً، أخبرونا قبل أن ينزل من السماء أي مخلوق كان أو غير مخلوق؟ أم كان لم يزل؟

فإن قالوا: كان مخلوقاً فقد تركوا قولهم، لا سيما إن قالوا: إنه ليس هو غير الأب، بل يصير الأب وروح القدس مخلوقين.

وإن قالوا: كان قبل أن ينزل غير مخلوق.

قيل لهم: فقد صار مخلوقاً إنساناً، وهذا محال وتناقض.

وأيضاً فقد لزم من هذا أن الابن مخلوق، إذ صار إنسانا...»[1].

وبعد رد طويل أظهر فيه فكرهم العليل، ينتقل ابن جزم في الجزء الثاني تحت فصل: تضارب الأقوال حول باطرة (بطرس). وأنه أعطى خطة الربوبية والتصرف في ملكوت السماوات، وهذا ما سطرته أناجيلهم ودارت حوله أباطيلهم، فيقول:

«وفي الباب السادس عشر من إنجيل متى أن المسيح قال لباطرة: «إليك أبرأ بمفاتيح السماوات، فكل ما حرمه في الأرض يكون محرماً في السماوات، وكل ما حللته على الأرض يكون حلالاً في السماوات»[2]، وبعد هذا الكلام بأربعة أسطر أن المسيح قال لباطرة نفسه: متصلاً بالكلام المذكور: اتبعني يا مخالف ولا تعارضني فإنك جاهل بمرضاة الله تعالى، وإنما تدري مرضاة الآدميين[3].

قال أبو محمد رضي الله عنه: في هذا الفصل - على قلته، وإنه قيل ومنتن، كبعض ما يشبهه مما يكره ذكره - سوأتان عظيمتان:

---

(١) الفصل ١/١٢١.

(٢) إنجيل متى ١٨/١٦، ١٩، ونصه: «وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة ابن كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات».

(٣) إنجيل متى ١٦٠/٢٢، ٢٣ بنص شبيه اتهم فيه بطرس بأنه شيطان، وقال: «اذهب عني يا شيطان».

إحداهما: أنه برئ إلى باطرة النذل بمفاتيح السموات، وولاه خطة الإلاهية لا تجوز لغير الله تعالى وحده لا شريك له، من أن كل ما حرّمه في الأرض كان حراماً في السماوات، وكل ما حلله في الأرض كان حلالاً في السماوات.

الثانية: إنه آثر براءته إليه بمفاتيح السماوات، وتوليته له خطة الربوبية، إما شريكاً لله تعالى في التحريم والتحليل، وإما منفرداً دونه ﷺ بهذه الصفة قال له في الوقت: «إنه مخالف معارض له، جاهل بمرضاة الله تعالى (مخالفاً له) لا يدري إلا مرضاة الآدميين»

«فوالله لئن كان صدق في الآخرة لقد خرق في الأولى؛ إذ ولّى ما لا ينبغي إلا لله تعالى، جاهلاً بمرضاة الله تعالى، مخالفاً له لا يدري إلا مرضاة الناس، وإن هذه لسوأة الأبد؛ إذ من هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيف، أو بيت زبل. ولئن كان صدق وأصاب في الأولى لقد كذب في الثانية، ووالله ما قال المسيح قط ما ذكروا عنه في الأولى؛ لأنها مقالة كافر شر خلق الله تعالى، وما يبعد أنه قال له الكلام الثاني، فهو والله كلام حق، يشهد به اللعين الكافر (باطرة) شاه وجهه وعليه سخط الله وغضبه»[(١)].

ثم عجب ثالث: أننا قد ذكرنا قبل أن في الباب الثامن عشر[(٢)] من إنجيل متى أن المسيح أشرك مع (باطرة) في هذه الخطة التي أفرده بها ها هنا سائر الإثنى عشر تلميذاً، ومن جملتهم السارق الكافر الذي دلّ عليه اليهود برشوة ثلاثين درهماً أخذها منهم، وأنه قال لجميعهم: «ما حرمتموه في الأرض كان حراماً في السماوات، وما حللتموه في الأرض كان حلالاً في السماوات».

فيا ليت شعري كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولّاهم من ذلك، فأحلّ بعضهم شيئاً وحرمه آخر منهم؟

---

(١) الفصل ٢/ ٨٥، ٨٦.

(٢) راجع إنجيل متى الإصحاح ١٨/ ١٨، ١٩.

كيف يكون الحال في السماوات وفي الأرض؟

لقد يقع أهلها مع هؤلاء السفلة في سَفَل وفي حرمةٍ وحلٍ معاً[1].

ثم يناقشهم في شريعتهم ـ وسيأتي إن شاء الله ـ ويختم هذا الفصل بقوله: «فلئن كان هذا فإنها لحظة خسف، وترى «باطرة» وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكّاماً على الله تعالى، وقد صار ﷺ تابعاً لهم. وحاشا لله تعالى من هذا كله، ونرى باطرة (بطرس) وأصحابه الأرذال حصلوا من مفاتيح السماوات، ومن خطة الألوهية إلا على حلق اللحى، وإنها أحق لحى بالنتف، وعلى ضرب الظهور بالسياط والصلب، أما (باطرة) دبره إلى فوق، ورأسه إلى أسفل. والحمد لله رب العالمين»[2].

وفي رد ابن حزم على القصيدة النقفورية التي اشتهرت ـ وسيأتي مزيد من الكلام عليها في الباب الثاني، فصل المناظرات ـ ينكر عليهم ابن حزم اتخاذهم عيسى رباً فيقول:

كما يفتري إفكاً وزوراً وضلةً	على وجه عيسى منكم كل لاطم
على أنكم قد قلتم هو ربكم فيا	لضلال في القيامة عائم
أبى اللّه أن يدعى له ابن وصاحب	ستلقى دعاة الكفر حالة نادم
ولكنه عبد نبيٌ مكرم	من الناس مخلوق ولا قول زاعم
أيُلطم وجه الرب تباً لدينكم	لقد فقتم في قولكم كل ظالم[3]

خلاصة:

رد الإمام ابن حزم الآنف على النصارى في الربوبية يتلخص في نقاط:

١ ـ رد على النصارى في زعمهم أن المسيح هو الرب، وأنه تحول من صورة بشر، وأكد استحالة هذه العقيدة، وخص بها الفرق النصرانية لا سيما اليعقوبية «الأرثوذكسية».

---

(١) الفصل ٢/٨٦، ٨٦.

(٢) المصدر السابق ٢/٨٧.

(٣) انظر: البداية والنهاية، عماد الدين بن كثير الدمشقي، ١١/٢٥١، دار الفكر، بيروت.

٢ ـ رد عليهم في زعمهم أن الثلاثة، الأب والابن والروح القدس، قديمة لم تزل.

٣ ـ رد عليهم في عقيدة «الأمانة»؛ بأن الابن الذي نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً وقتل وصلب. فهل يقتل الرب ويصلب؟

٤ ـ رد عليهم في معتقدهم حول باطرة «بطرس» وأنه أعطي خطة الربوبية.

أبو الوليد الباجي

في رده على راهب فرنسا، برسالة، وتقرير توحيد الربوبية:

لقد مر الكلام في المبحث الثالث عن سبب إرسال راهب فرنسا رسالته إلى المقتدر بالله، وكان مما ضمّنه فيها من الباطل: أن المسيح عليه السلام هو الله وأنه يحيي الموتى ويحيي الأعظم الرفات. ويقول مخاطباً الملك صاحب سرقسطة[1]:

«وحقاً إن القادر على كل الذي اصطفى أولياءه قبل خلق العالم، ولم يسبق في علمه هلاكهم، قد أنار قلبك وأشعره للإيمان بالإله المسلم لك، وهو الرحمن الرحيم الغفور الذي يهديك لمعرفته»[2].

وكان الراهب قبلاً قد أرسل رسالة زعم فيها: أن المسيح هو الرب المحيي المميت؟

فكيف رد الإمام الباجي على هذه الدعاوى؟

---

(١) سرقسطة: بفتح أوله وثانيه، بلدة مشهورة بالأندلس، ذات فواكه عذبة مبنية على نهر كبير، تعرف بنسج الثياب الرقيقة، وتعرف بالملح الأبيض النقي، صارت بيد الأفرنج لها سنة. انظر: معجم البلدان ٣/٢١٣ قلت: ولها بيدهم إلى يومنا ما يزيد على خمس مئة سنة، أعادها الله.

(٢) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها، ص٥٠، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، دار الصحوة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

قال القاضي أبو الوليد الباجي: «وقد كان ورد علينا ـ قبل هذا ـ كتابك، واقترن به من دعوى حامله المحال، الذي كان يحب أن لا يخاطب به من له أقل حس بالإحساس، أو يختلج بخاطر من له أدنى فهم، من إحياء أموات وأعظم رفات.

فألنّا القول وأوليناه الإعراض والصفح، وجاوبناك جواب من يعتقد ـ حسب ما ظهر منك، وبلغنا من خطرات الغفلة ـ أنك أرسلتها دون تأمل، وأظهرتها دون تحصيل ولا تحقق، مع ظنك أنه يجوز على ضعفاء المسلمين من ذلك ما يجوز على جماعتكم من تجويز المحال وتصحيح ما هو في غاية الإبطال»[1] ثم يترفق بالراهب بكلام رقيق، وهادئ عميق، ويصل هذا بالرد.. «وإنّا لنربأ بمثلك، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك، من أن عيسى ﷺ ـ ابن الله تعالى ـ بل هو بشر مخلوق وعبد مربوب لا يعدو عن دلائل الحدوث: من الحركة، والسكون، والزوال، والانتقال من حال إلى حال، وأكل الطعام، والموت الذي كتب على جميع الأنام، مما لا يصح على إله قديم، ولا يمكن عند ذي رأي سليم، ولو جوزنا كونه ﷺ مع هذه الصفات ولأنه ليس في شيء مما ذكرنا من البشر والعالم وما فيه من الحيوان والجماد من دلائل الحدوث غير ما في عيسى ﷺ»[2].

وفي موضع آخر يرد بهتان الكافر، لما زعم أن عيسى هو الرب؛ لأنه وقعت له معجزات خلقها، فدل على أنه الخالق.. «ولو جاز أن يقال إن عيسى عليه السلام هو الخالق لما ظهر من ذلك على يده، والمنفرد بفعله؛ لجاز أن

---

(١) المصدر السابق، ص٦٣، ٦٤.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٦، ويقول ابن تيمية في هذا راداً على زعم النصارى أنه الرب الخالق: «والنصارى يقولون إن المسيح رب العالمين خالق كل شيء وهو خالق آدم ومريم، وإن كان ابن آدم ومريم فإنه خالق ذلك بلاهوته وهو ابن آدم ومريم بناسوته فلو قدر أن المسيح هو صفة الرب لم تكن الصفة هي الخالق فكيف والمسيح ليس هو صفة الله نفسها بل هو مخلوق بكلمة الله وسمي كلمة الله لأن كونه بكن» الجواب الصحيح ٣/ ٣٠٢.

نقول إن آدم وإبراهيم وموسى ومحمداً وسائر الأنبياء عليهم السلام، انفردوا بخلق ما ظهر على أيديهم، وإن جميعها من خلقهم وإنهم لذلك آلهة معبودون وذلك محال فلا خالق إلا الله ولا معبود سواه»[1].

ويضيف القاضي: «وأما ملكوت رب العالمين، فهو المنفرد به لا ينبغي أن يشركه فيه طائع ولا عاص، ولا بر ولا فاجر»[2].

أما جهل النصارى وتناقضهم في شأن الربوبية حيث جعلوا عيسى عليه السلام ابناً لداود من قِبَلِ يوسف النجار وهو ذلك الله الخالق للكون ولأبيه داود، فهو غفير ليس يحصر، وما هذا إلا مثال لا أكثر:

قال القاضي أبو الوليد الباجي: «ومن طريف ما تأتون به، وتضحكون سامعه منكم قولكم: إن عيسى ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ وتقولون: إنه من ولد داود عليه السلام[3].

وهذا ثابت في إنجيلكم ومتلو من كتابكم، وتزعمون أن جبريل، إذ بشر مريم به قال لها: إنه يكون عند الله عظيماً ويكون الله لاسمه ناشراً ويدعى بابن الله ويورثه الله ملك أبيه داود»[4].

«ولا تحملون ذلك على أن داود أبوه من قبل مريم لأنها لم تكن من ذرية داود، وإنما تحملون على أنه أبوه من قبل يوسف النجار الذي تزعمون أنه كان زوجاً لمريم؛ فإذا كان عيسى من ولد داود، وداود عبد مخلوق، وجد بعد أن لم يكن، ومات بعد أن حيي، فكيف يكون عيسى الابن، خالق داود (أبيه) وإلهه وكيف يكون ابناً لداود المخلوق وابناً لله الخالق؟

---

(١) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها، ص٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص٧١.

(٣) انظر: إنجيل متى الإصحاح الأول، فقره: ١، والنص ضمن الكتاب المقدس، التوراة والإنجيل، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط في الإصحاح أعلاه.

(٤) إنجيل لوقا الإصحاح: ١/ ٣١، ٣٣ بلفظ قريب.

وهل هذا إلا جهل بمعرفة الابن من الأب، والقديم من المحدث، والخالق من المخلوق، ومن بلغ هذا الحد من الجهل لم يصح له اعتقاد شرع، فكيف يدعو إليه ويتكلم عليه»[1].

ومن واقع النصارى قولهم أن الرب يخاف من إبليس، فكيف يدعون أن يكون ذلك هو الله ـ تعالى الله ـ. قال أبو الوليد في رسالته: «فكيف يخاف من هذه صفته بعض خلقه أن يفتنه؟ وكيف تحمل إبليس الأرض أو تضله، وهو يخاطب ربه ويدعي إلى عبادته، ويعد أن يثيبه على ذلك، ويملكه زينة الحياة الدنيا، وهي ملكه ومن خلقه، وربه يخاف فتنته ويستنجد منه بالصيام؟»[2]. وقد تكلم القاضي تفصيلاً على هذه الواقعة، خاصة توحيد العبادة، وسيأتي من المبحث الثالث من هذا الباب بمشيئة الله وعونه، وإنما على هذا اقتصرت، لكوني في أول البحث اشترطت، وبالله التوفيق.

خلاصة:

ناقش الإمام القاضي أبو الوليد الباجي، النصارى في رسالته القيمة في توحيد الربوبية، ويُلخص في النقاط التالية:

١ ـ ردّ على راهب فرنسا في أن المسيح هو الرب وأنه يحيي ويميت.

٢ ـ ردّ في موضع آخر على بهتان الكافر أن المسيح خلق المعجزات فهو الخالق لكل شيء، بل هو الرب القادر.

٣ ـ ردّ عليهم في إحدى مضحكاتهم في قولهم: إن عيسى من أبناء داود، وهو مع ذلك خالق داود وأب له.

٤ ـ ردّ عليهم زعمهم في كتابهم المقدس: أن عيسى هو الله، وأنه يخاف من إبليس، ويستجير منه.

---

(١) رسالة الباجي إلى راهب فرنسا، ص٨٣، ٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص٨٩.

في كتابه (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان)[١] وتقرير توحيد الربوبية:

لقد سبق التعريف بعالمنا الجليل وسبب تأليف كتابه، وسنه الصغيرة عند تأليفه إذ لم يزد عن عشرين سنة[٢]؛ فطمع فيه القسيس النصراني، فأرسل له رسالة يرغبه في الدخول إلى دينه فقال: «من فلان إلى فلان باسم الأب والابن، والروح القدس، إله واحد سلام عليك أيها الفتى، الإسماعيلي المحمدي، ورحمة الله وبركاته»[٣]، وضمن هذه الرسالة كثيراً من البهتان والشرك والظلم والشبهات والطغيان وختمها بقوله: «وأنا قد بذلت لك النصيحة في هذه الرسالة، لما ظهر لي من ذكائك، فاعتبرها وتدبرها والله يجعلها نورك وسبب هداك آمين آمين»[٤].

وكان مما سود به ما بين مبتداها ومنتهاها، الشرك بأنواعه ومنه الإشراك في توحيد الربوبية، وأن المسيح هو الخالق المدبر فقال: «المسيح إلهنا، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهن»[٥].

---

(١) نشر هذا الكتاب وحققه د. محمد شامة، ومسح عنوانه الناصع إلى آخر بارد مظلم فاقع، فسماه «بين المسيحية والإسلام»، على أنه ـ أي الدكتور ـ أورد اسمه الصحيح في مقدمته، ص٤١ في إحدى مخطوطاته وورد اسمه في نص مخطوط آخر، ص١١٩ «مقامع هامات الصلبان ورواتع روضات الإيمان»، ولم يوضح لنا الدكتور، ويبين سبباً وجيهاً في تغيير اسم المخطوط، والأمانة العلمية تقتضي ذلك. فهل هو هروب من رميه بالتعصب والأصولية!!، أم ليحظى بلقب العصرنة والعصرية؟! لا سيما وقد حققه الأستاذ عبد المجيد الشرفي واصفاً وناقلاً اسمه الحقيقي كما في المخطوط. ولذلك سأعتمد عنوانه الأصلي الذي وضعه الإمام الخزرجي، طوال وروده في البحث، وأغفل عنوان د. محمد شامه، سامحه الله.

(٢) انظر: مقامع هامات الصلبان ورواتع روضات الإيمان، لأبي عبيدة الخزرجي، ص١١٩، ١٢٠، والمقدمة. تحقيق: د. محمد شامه، تحت مسمى: بين المسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٣) المصدر أعلاه، ص٥٤.

(٤) المصدر السابق، ص١١٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٥٩ من نص رسالة القسيس لأبي عبيدة.

وقال في موضع آخر أن الأنبياء جاؤا ليعلموا البشر الإقرار بربوبيته (أي المسيح)[1] وسفسط[2] في موضع آخر في العقليات، واستبعد السمعيات فقال:

«والكلمة هو الله، وهو مخلوق من طريق الجسم، وخالق من طريق النفس، هو خلق جسمه، وهو خلق أمه وأنه كانت من قبله في الناسوت، قبلها في اللاهوت، وهو الإله التام، وهو الإنسان التام».

فيا ترى كيف كان موقف إمامنا الصبي الشيخ الفتي، من هذا الباطل الذي تلفظ به هذا الجاهل؟

قال الإمام أبو عبيدة ـ أو أحد نُسّاخ الكتاب ـ: «ولما وقف الصبي على هذه الرسالة زجر موصليها، وامتنع عن مراجعة القسيس، لكونه يومئذٍ بين ظهرانيهم، وفي كنه ديانتهم[3] فألحوا عليه في الجواب. وفي خلال ذلك حان موعد سفره عنهم فكتب هذا الجواب، المسمى: بمقامع هامات الصلبان ورواتع روضات الإيمان وتركه عندهم ومضى وهذه نسخته[4]».

ابتدأ أبو عبيدة رسالته بالتوحيد، واختتمها بالتوحيد فقال في أولها قبل أن يدلف الخزرجي إلى المناقشة والرد، ابتدأ القول: «من فلان إلى فلان، بسم الله الرحمن الرحيم إله فرد، صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»[5] ثم حمد الله وصلى على رسوله ﷺ وتلا آيات الإسلام وأنه دين الله الخالد وقال:

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص٦٩، وكذلك، ص٨٣.

(٢) السفسطة: هي القضايا الوهمية الكاذبة التي يحكم بها الوهم في أمور غير محسوسة والمركب منها يسمى سفسطة. أو هي المغالطة المركبة من مقدمات شبيهة بالحق، ولا يكون حقاً، وتسمى سفسطة انظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ١/ ٢٨٦، ٣٣ تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت ط. الأولى، ١٤٠٥هـ. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد بن عبد الرؤوف المناوي ١/ ٨٣٥، ٨٢٦، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت، دمشق ط. الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٣) لأنه كان مدجناً بين أظهر القوم، وفي قبة ديانتهم. من مخطوط بهامش مقامع الصلبان، ص١١٩.

(٤) مقامع الصلبان، ص١١٩.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢٢.

«فصل: في تقديم الاعتذار عن النزول إلى إجابتك، والاعتذار عن ذلك للاعتراف بأن الالتفات إلى ما لديكم يحل بعقل الإنسان ودينه.

وكما وصف أحد ملوك الهند ـ وقد ذكرت له الملل الثلاث ـ فقال: أما النصارى فإن كان مناصبوهم من أهل الملل يجاهدونهم بحكم شرعي فلقد أرى ذلك بحكم عقلي، وإن كنا لم نربحكم عقولنا قتالاً[1]، ولكن استثنى هؤلاء القوم من جميع العالم، فإنهم قصدوا مضادة العقل، وناصبوه العداوة»[2] ثم يضيف الملك الهندي بعد كلام عقلي ظريف: «فلو لم يجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التي لا تحصى وجوهه، لكفى، وكما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه لا يلام المرء على قتل هؤلاء، فكيف وثم من الموجبات ما تقدم»[3].

قال أبو عبيدة: «فهذا ما بدا له من جهلكم، وليس بمخاصمكم، ولا مناوئكم، ولا بمتهم باتباع الهوى فيكم.

ولم أقدم هذا الفصل قاصداً تبيان ملالتك؛ لأن ذوائبها قد سارت مسرى الشمس وبواطلها لاحت لعيون الجن والإنس، ولكن لأتم الحجة على نفسي، وأحيل: ما رمته أولاً من الاعتذار عن النزول إلى مجاوبتك..»[4] ثم يعتذر الخزرجي اعتذاراً جليلاً جميلاً لقصور علمه وصغر سنه، «على أني بين القصور، لصغر السن وإغفال المطالعة وقلة العناية قبل اعتراضك إياي»[5] فللّه دره ما آدبه وما أعلمه وهذه سيما أهل العلم والفضل، وإن من يقف على كتابه المذكور ليقف إجلالاً وإعجاباً، برده الرصين على عبّاد الصلبان والطين قال أبو عبيدة الخزرجي في رده على زعم النصراني أن المسيح هو الله وأنه خالق مدبر: «أخبرني أيها المخدوع؛ ما الذي أظهره دليلاً على أنه هو الله حتى

---

(١) أي أن العقل لا يحكم بالقتال إلا مع هؤلاء، مقامع الصلبان، ص١٢٣ بهامشه.

(٢) مقامع الصلبان، ص١٢٢، ١٢٣.

(٣) المصدر السابق ص١٢٣ وقد نقلها الإمام القرطبي في كتابه الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ٢/١٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٢٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٦.

تنقطع صحة العالم به دون غيره كما زعمت؟ وما الذي رأوا من العظمة التي لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير؟ ألأجل أن رأوا يديه ورجليه مكتوفة ـ كما تظن من غير يقين ـ مصفوعاً في قفاه، مبصوقاً في وجهه بتاج من الشوك على رأسه، مصلوباً على جذع مسمرة يداه ورجلاه فيه»[١].

وبعد مناقشة طويلة في معتقد الصلب والفداء والألوهية ـ سيأتي ذكرها ـ يضيف: «أخبرني أيها المغرور! من كان الممسك للسموات والأرض، إذا كان الله ـ كما تزعمون ـ مربوطاً في خشبة الصليب؟ هل بقيا ساكنتين؟ أم استخلف عليها غيره، وهبط هو لربط نفسه في خشبة الصليب؟»[٢].

ويبطل الخزرجي دعوى ربوبية عيسى بدليل عقلي: «ثم كتبتم في الإنجيل الذي بأيديكم: أن الرب صعد، فصار على يمين الرب في إثر الصلب»[٣].

أخبرني أيها المخدوع عن هذين الربين:

من خلق منهما صاحبه؟ فالمخلوق ضعيف عاجز، ليس بإله، وإذا أراد أمراً، لمن الحكم منهما؟، فإن كان أحدهما مضطراً إلى مشاورة الآخر، ومساعدته، كان المضطر عاجزاً مقهوراً، ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان قادراً

---

(١) المصدر السابق، ص١٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٨، وبمثل الاستدلال أعلاه استدل شيخ الإسلام ابن تيمية على بطلان ربوبية المسيح فقال في الجواب الصحيح ٣/ ١٦٠ «هؤلاء الضلال لم يكفهم أن جعلوا إله السماوات والأرض متحداً ببشر في جوف امرأة، وجعلوه له مسكناً، ثم جعلوا أخابث خلق الله أمسكوه وبصقوا في وجهه ووضعوا الشوك على رأسه وصلبوه بين لصين، وهو في ذلك يستغيث بالله ويقول إلهي إلهي لم تركتني، وهم يقولون الذي كان يسمع الناس كلامه هو اللاهوت كما سمع موسى كلام الله من الشجرة، ويقولون هما شخص واحد، ويقول بعضهم لهما مشيئة واحدة وطبيعة واحدة، والكلام إنما يكون بمشيئة المتكلم، فيلزم أن يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت وهو المستغيث المتضرع، وهو المستغاث به، وأيضا فهم يقولون إن اللاهوت والناسوت شخص واحد فمع القول بأنهما شخص واحد إما أن يكون مستغاثاً، وإما أن يكون مستغاثاً به وإما أن يكون داعياً وإما أن يكون مدعواً».

(٣) انظر: إنجيل مرقس الإصحاح ١٦: ١٩ بلفظه.

على مخالفته ومدافعته، فهو إذن إله مداهن، ويكون الآخر ضعيفاً، عاجزاً مقدوراً عليه.

أما تعلم أيها المغرور أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾»[(١)].

خلاصة:

إجمال رد الإمام الخزرجي على النصارى في توحيد الربوبية في النقاط التالية:

١ ـ تضمن رده تقدمة، ثم تبيان مناقضة دين النصارى للعقول، وكثير من معتقداته محالات العقول.

٢ ـ رد على القسيس في زعمه أن المسيح خالق السماوات والأرض، فماذا رأوا منه مما يوجب هذا الاعتقاد الفاسد، أهو الصلب واللطم ووضع الشوك على الرأس.

٣ ـ ومن كان الممسك للسماوات والأرض ـ إن كان هو الرب الذي صلب ـ كما زعموا.

٤ ـ الرد على زعم الإنجيل أن الرب صعد وجلس إلى جوار الرب، بعد أن صلب.

ابن عبد ربه[(٢)]

في (منظومته التاريخية الجهادية) وتقرير توحيد الربوبية:

ونظم العلامة أبو عمر خاص في الغزوات الجهادية في أيام الدولة

---

(١) المصدر السابق ذكره، ص١٧٨، ١٧٩، والآية من سورة المؤمنون رقم (٩١)، وقد ذكر نحواً من هذا الكلام ابن أبي العز علي بن علي في شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٨ ـ ٤٠ حول دليل التمانع، تحقيق: د. عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) هو العلامة الفقيه الشاعر الأديب أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، =

الأموية الأندلسية، ابتدأها بذكر توحيد الله وتقريره ـ وهو خير مبتدأ وخير منتهى ـ رداً على من أشرك وكفر وأبى، فيقول:

سبحان من لم تحوه أقطار ... ولم تكن تدركه الأبصار
ومن عنت لوجهه الوجوه ... فما له ند ولا شبيه
سبحانه من خالق قدير ... وعالم بخلقه بصير
وأول ليس له ابتداء ... وآخر ليس له انتهاء
أوسعنا إحسانه وفضله ... وعز أن يكون شيء مثله
وجل أن تدركه العيون ... أو يحوياه الوهم والظنون
وبعد حمد اللّه والتمجيد ... وبعد شكر المبدئ المعيد[(١)]

ونظمها عجيب بديع سيأتي المزيد منه في باب الجهاد والتحريض عليه.

أبو طالب عبد الجبار[(٢)]

في (منظومته العلمية التاريخية) وتقرير توحيد الربوبية:

هذه المنظومة العجيبة في بابها، الشريفة في جنابها أصلها في علم

= جده الأعلى «سالم» مولى الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، ولد بقرطبة ونشأ وتتلمذ على عدد كبير من علمائها، مثل بقي بن مخلد وابن وضاح وغيرهما، قال الحميدي في صفته: «وكان لأبي عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة» غلب عليه الشعر والأدب، وامتدح أمراء الدولة المروانية وعلمائها، وله مصنفات عديدة من أشهرها «العقد الفريد»، توفي سنة ٣٢٨هـ. انظر: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق حسن القنوجي ٢/ ٤٧٩، ٣/ ٦٨، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية بيروت، كشف الظنون ٢/ ١١٤٩، مقدمة المحقق لديوان ابن عبد ربه.

(١) انظر: ديوان ابن عبد ربه،، ص١٨١، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) أبو طالب عبد الجبار، العلامة الأديب، من أهل جزيرة شقر، كان يعرف بالمتنبي، أبرع أهل وقته أدباً وأعجبهم مذهباً، وأكثرهم تفنناً في العلوم، وأوسعهم، ذرعاً بالإجادة في المنثور والمنظوم وكان ـ بلغني ـ يعد نفسه بملك، وينخرط للمجون =

التاريخ، ولكنّ أبا طالب بدأها بعلم التوحيد والثناء على الله ﷻ والصلاة على رسوله بقوله:

أبدأ باسم الله في الترجيز	رب الأنام الملك العزيز
ثم بذكر المصطفى محمد	صلى عليه الله طول الأبد
والطيبون آله الكرام	عليهم الصلاة والسلام

ويلج عبد الجبار إلى تقرير التوحيد بحمد الله والثناء عليه بما أبدعه من مخلوقات فيقول:

والحمد للمبتدع السماء	والأرض ذي الآلاء والنعماء
سبحانه من خالق جبار	يعلم ما في البر والبحار
وكل شيء عنده معلوم	فهو الإله الواحد القيوم
رب عظيم أول لم يزل	باري البرية الكبير المعتلي
أبدعها من بعد أن لم تكن	بدعة خلاق لها مهيمن[(1)]

ابن عطية

في كتابه: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وتقرير توحيد الربوبية والرد على النصارى:

وهذا من أشياخ مفسري الأندلس، وتفسيره الشهير أذاع صيته من بعد ما رمس. وقد رد على النصارى في تفسيره في مواضع كثيرة. أما هذا النوع من التوحيد ففيه ما اختصاره:

= في سلك، لا يبالي أين وقع، ولا يحفل بشيء صنع. وكان قد استتر ببلغة، واقتصر على طريقة، وله أرجوزة في التاريخ أغرب عن لطف محله من الفهم، ورسوخ قدمه في مطالعة أنواع العلم، وقد اشتملت فصولها على علم جليل، وباع في الخبر طويل، وذكر أنه مات بعد عام ٥٣٨هـ. انظر: ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري د. عبد الحليم عويس ص١٤٤، دار الاعتصام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق/ج ٢/ ٩١٦.

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/ ٢/ ٩١٩ ـ ٩٢١.

رد عقلي:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩]، والنصارى تزعم أن عيسى هو الله الخالق المدبر الأول الباقي.

قال القاضي ابن عطية: «المعنى أن المثل الذي تتصوره النفوس والعقول من عيسى هو كالمتصور من آدم، إذ الناس كلهم مجمعون على أن الله تعالى خلقه من تراب، من غير محل، وكذلك مثل الجنة عبارة عن المتصور منها. وفي هذه الآية صحة القياس؛ أي إذا تصوروا أمر آدم قيس عليه جواز أمر عيسى عليه السلام»[١].

ثم ذكر ابن عطية سبب نزول الآية والتي تليها ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا﴾ [آل عمران: ٦١] المباهلة، وأنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا: إن المسيح هو الله، وكيف امتنعوا من المباهلة خوفاً من عاقبتها.

خلاصة:

ردّ عليهم رداً عقلياً في الربوبية بضرب المثل بآدم وخلقه، ما يدل على خلق عيسى وأنه عبد مربوب مخلوق.

الإمام القرطبي

في كتابه: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) وتقرير توحيد الربوبية:

في مبحث سابق عرّفت بمؤلف كتاب الإعلام، وبالكتاب وأبوابه وفصوله وما تضمنته تلك الأبواب والفصول جملة. وفي هذا الجزء استعراض لأهم المسائل التي أثيرت في الكتاب حول الربوبية:

قال النصراني في كتابه «تثليث الوحدانية» «الحمد لله بالغ القوى التي فطرنا عليها»[٢].

---

(١) المحرر الوجيز ٣/ ١١٠.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، ١/ ٤٧.

قال الإمام القرطبي: «وأما قولك بالغ القوى» فكلام مختل صدر عمن لم يحصل تنزيل مفهومه على فائدة؛ لأن المتكلم به عمل (بالغ) موضع (مبلغ) ثم ذهب بمبلغ إلى معنى (خالق). والعرب الذين تكلم هذا السائل بكلامهم وتقاضى مفهوم خطابهم لا يتكلمون بالغ في معنى الخالق؛ لتباين اللفظين، واختلاف المفهومين، ومعنى الخلق المشهور عندهم: اختراع ما لم يكن»[1]، ثم عرّف الإمام بعد ذلك الربوبية، وأن الرب في مستعمل كلام العرب له معنيان مستعملان: أحدهما السيد، والثاني: المالك[2].

ومن أنواع الشرك في الربوبية زعم صاحب كتاب تثليث الوحدانية: «أن موسى سمع كلام الشجرة، وأن الله خلق الصوت والكلام في الشجرة. أو أن الصوت أو الصدى هو الذي خاطب موسى»[3].

وقد ردّ الإمام بكلام طويل أهمه: «.. ثم يلزمك أنت إن جعلته جوهراً[4] غير الله تعالى: أن يكون هو الذي قال عن نفسه: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]، وله اعترف موسى بالربوبية، لا لله، وله سجد لا لله، وإذا انتهى إنسان إلى هذه المخازي فقد كفر بموسى، وبإله موسى نعوذ بالله من أنظار تقود في الدنيا إلى الفضيحة والعار، وفي الآخرة إلى الخلود في النار.

وعلى هذا الكفر الصريح يدل قولك: إن موسى أقر لها بالربوبية ـ تريد للواسطة ـ وإذا أقر لها بالربوبية لم يوف قط من موسى عليه السلام أنه أقر بالربوبية

(١) المصدر السابق ١/٤٨، ٤٩.
(٢) انظر: المصدر نفسه، ١/٥٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ١/١١٣.
(٤) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة: هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل، والجوهر لا يكون عرضاً وما له طول لكن لا يكون له عرض ولا عمق. أو هو كل شيء ما خلقت عليه جبلته. انظر: التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ١/١٠٨، ١٣٣، الحدود الأنيقة، والتعرفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، ١/٧١، تحقيق: د. مازن المبارك، ط. الأولى، ١٤١١هـ، دار الفكر المعاصر بيروت قلت: وهذا مصطلح لم يدل عليه دليل شرعي، وإنما أحدثه في الإسلام أهل البدع من الفلاسفة والجهمية، ومرادهم بذلك نفي ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

لإلهين - فقد اعترف بربوبية الواسطة، وأنكر ربوبية الله. وكذلك يفعل الله بكل مسرف مرتاب، أعاذنا الله من الاختلال المفضي بصاحبه إلى الضلال.

ثم هذه المخارق، يلزم فيها قلب الحقائق.

فإن الصوت لا يقوم بنفسه ولا بخلقه، والقائل لذلك يشهد العقلاء بحمقه، فإن حقيقته صفة الموصوف، يستدعي وجودها محلاً، كما سائر الصفات. إذ لا يعقل قيام صفة بنفسها بل بغيرها، وهذا ضروري.

أما قولك: فإن قلت إن الصدى لم يقل له: أنا الله، ولكنه كان في مسامع موسى أنا الله، قلت لك: إن الصدى هو العامل في مسامع موسى، وهو المحرك له وعليه رد، وإياه أجاب، فيلزمك على هذا الانفصال: أن يكون موسى رسول الصدى لا رسول الله، وعليه يدل كلامك، وعنه تحمل الرسالة، لا عن الله. فإذا كان كذلك فقد كذبت موسى ﷺ، على ما يلزمكم، حيث قال لفرعون: أنا رسول الله. فإن كان بزعمك رسول الصدى، فإذا كان الصدى يقول أنا الله، ويعترف له موسى بالربوبية، ويأمر لموسى بتبليغ رسالته فقولوا: إن الصدى إله وأضيفوه إلى آلهتكم المتقدمة..»[1].

وفي مبحث كلامي طويل زعم النصراني في كتابه أن الحوادث تحل بالرب تعالى وأن الحادث صار إلهاً. فرد عليه إمامنا القرطبي بقوله:

«وأما قولك: صار الحادث إلهاً، فكلام تشمئز منه النفوس، ويشهد لقائله بالويل والعكوس، وكيف لا يستحي العاقل من مثل هذا الكلام، الذي والله هو عار على الأنام. وكيف يتصور أن يعقل الإلهية لمحدث مخلوق، يحزن تارة، ويفرح أخرى، ويجوع تارة، ويشبع أخرى، ويتبول ويتغوط، وتظفر به أعداؤه ويعذبونه بالضرب والإهانة، والشوك والصلب، والقتل بزعمكم»[2].

خلاصة:

يتلخص رد الإمام القرطبي على صاحب كتاب تثليث الوحدانية، فيما يتعلق بالربوبية في هذه النقاط:

---

(١) الإعلام ١/١١٤.

(٢) المصدر السابق ١/١٠٠.

١ ـ الرد على النصراني في جعله عبارة (بالغ القوى) بمعنى خالق القوى، وتعريف الرب في لغة العرب.

٢ ـ رده على شرك النصراني في الربوبية، حيث زعم أن موسى كلم الشجرة أو الصوت أو الصدى لما خاطبه: أنا الله، فالرب هو الواسطة وليس الله تعالى.

٣ ـ رده على زعم الشرك أن الحادث صار إلهاً.

الإمام أبو عبد الله الأنصاري القرطبي

في تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن) وتقرير توحيد الربوبية:

دليل عقلي:

زعمت النصارى أن المسيح هو الرب الخالق المدبر، وهو مع ذلك ابن مريم ورسول إلى الناس.

وقد رد عليهم ربنا في كتابه بأنه عبد مخلوق، ولا تعني معجزة إيجاده أنه رب فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

وهذا دليل على صحة القياس، والتشبيه واقع على أن عيسى خلق من غير أب، كآدم، لا على أنه خلق من تراب. والشيء قد يُشبّه بالشيء، فإن آدم خلق من تراب، ولم يخلق عيسى من تراب، فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقا من غير أب، ولأن أصل خلقتهما كان من تراب لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طيناً ثم جعله صلصالاً ثم خلقه منه، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشراً من غير أب[١].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/١٠٢ لأبي عبد الله القرطبي، مؤسسة العرفان بيروت، انظر: كذلك ١١/١٥٨.

دليل عقلي آخر:

في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١] أي مبدعها، فكيف يجوز أن يكون له ولد ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي من أين يكون له ولد، وولد كل شيء شبيهه، ولا شبيه له ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ أي زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، عموم معناه الخصوص أي خلق العالم، ولا يدخل ذلك في كلامه ولا غيره من صفات ذاته[(١)].

الإمام ابن جزي الكلبي

في تفسيره: (التسهيل لعلوم التنزيل) وتقرير توحيد الربوبية:

تعتقد النصارى أن عيسى هو الرب الخالق المدبر، وقد رد عليهم ربنا في كتابه.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾» [آل عمران: ٥٩]، فعيسى مخلوق وليس خالقاً. والآية حجة على النصارى في قولهم: كيف يكون ابن دون أب؟

فمثله الله بآدم الذي خلقه الله دون أم ولا أب، وذلك أغرب مما استبعدوه، فهو أقطع لقولهم ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] تفسير لحال آدم، فيكون حكاية عن حال ماضية، لكنه وضع المضارع موضع الماضي، ليصور في نفوس المخاطبين أن الأمر كأنه حاضر دائم[(٢)].

ثم ذكر الإمام قصة المباهلة بإيجاز، وما في وقوعها من صدق النبي ﷺ من الآيات والإعجاز.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٧/٥٣، ٥٤.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، للإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ١/١٠٩.

(أنسلم تورميدا) في كتابه: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) وتقريره توحيد الربوبية والرد على النصارى:

وميزة هذا الكتاب تخصصه في الرد عليهم، كون صاحبه كان واحداً منهم، عرف عقائدهم وأسرارهم وشرائعهم وأحوالهم، ومما رد به على افتراءاتهم في الربوبية قولهم إن عيسى هو الله خالق السماوات والأرض وما بينهما.

قال أبو محمد عبد الله الترجمان: «اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن النصارى قد افترقوا على اثنين وسبعين فرقة، ففرقة[1]تعتقد أن عيسى هو الله الخالق الباري الذي خلق السماوات والأرض.

فيقال لهم كذبتم وكفرتم وخالفتم أناجيلكم، فإن «متّى» قال في الفصل الموفي عشرين من إنجيله: إن عيسى قال للحواريين قبل الليلة التي أخذه فيها اليهود: «قد تقاسيت من كرب الموت، ثم اشتد حزنه وتغير وخر على وجهه وهو يبكي ويتضرع إلى الله، ويقول: إلهي إن أمكن صرف كأس المنية عني فاصرفه، ولا يكون ما أشاء أنا بل ما تشاء أنت»[2].

فهذا إقرار من المسيح بأنه آدمي يخاف نزول الموت به وأن له إلهاً ناداه يا إلهي وتضرع إليه»[3]، وبعد تعقيب حول صفات الله (القدرة) أردف قائلاً:

«ويقال لهذه الفرقة أيضاً: قد خالفتم ما قال يوحنا في الفصل الثاني عشر من إنجيله: إن المسيح رفع بصره إلى السماء، وتضرع إلى الله وقال: «يا رب إني أشكر استجابتك دعائي، واعترف بذلك وأعلم أنك كل وقت تجيب دعائي، ولكن أسألك من أجل هؤلاء الجماعة الحاضرين فإنهم لا يؤمنون أنك

---

(١) لم يذكر هذه الفرقة وإنما هو كلام عام يشمل كثيراً من فرق النصارى.

(٢) إنجيل متى الإصحاح: ٢٦/٤٢ وهو في الإصحاح السادس والعشرين كما ورد، بلفظ مقارب.

(٣) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص١٢٢، ١٢٣.

أرسلتني»[1] فهذا المسيح قد اعترف أن الله إلهه وربه وتضرع إليه وشكر نعماءه وإجابته لدعائه، فكيف تقولون إن عيسى هو الله الذي خلق السماوات والأرض؟ وهل يكون في العقول السليمة أشنع من هذا؟[2] ثم أورد ـ بعد كلام له ـ قول المسيح «الرب الذي أرسلني هو يشهد لي»[3]، فهذا عيسى مقر بأنه نبي مرسل، وأن له رباً أرسله، وأن الذي يعمل بما سمع منه ويؤمن بالذي أرسله يدخل الجنة»[4].

ومن عجيب تناقض النصارى زعمهم أن المسيح الرب الخالق لكل شيء، وهو كذلك الابن الولد الإله الذي ولد من مريم. فماذا كان رد ترجماننا على هذا المحال الشبيه بالخيال؟

في الباب الرابع، أورد نص معتقدهم الذي وصفه أحد قدماء كفرتهم، يقال له «بيطر الصفا» في عقيدته، وهذا نصها: (نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها له حق من جوهر أبيه وهو خالق كل شيء)[5].

قال أبو محمد الترجمان: «وكذب الكافر على الأنبياء، وحاشاهم أن يقولوا مثل هذا الكفر المحال.. وهذا الكلام ينقض بعضه بعضاً. فأوله: نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بالرب الواحد المسيح إله حق من جوهر أبيه.

ففي أول الكلام الشهادة لله بأنه واحد، وفيما يليه الشهادة عليه تعالى بأن له ولداً، وهو إله مثله وأنه من جوهره، وهذا غاية الكفر والشرك، وفي

---

(١) إنجيل يوحنا، الإصحاح: ١٢/٣٩ ـ ٤١ بمعناه.
(٢) تحفة الأريب، ص١٢٤، ١٢٥.
(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح: ١٢/٤٤، بلفظ مقارب.
(٤) المصدر السابق، ص١٢٥، بهذه النصوص استدل شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/٤١٦ لما رد على زعم النصارى أن المسيح هو الله، وعقب عليها تعقيباً حسناً.
(٥) المصدر السابق، ص١٧٤، ١٧٥.

غاية الضد والتناقض لوحدانية الله الواحد الأحد الصمد تبارك وتعالى عن كفرهم، وقد قال في أول كلامه: إن الله خالق كل شيء، ثم قال فيما بعد: ونؤمن بأن المسيح خالق الأشياء كلها الذي بيده أتقنت العوالم كلها، وأثبت أنه مع الله خالقاً لكل شيء. وهذا من أفضح التناقض.

وكذلك قوله: إن الله صانع ما يرى وما لا يرى؛ فدخل فيه المسيح لأنه ـ بالضرورة ـ مما يرى وما لا يرى، ثم عقب على ذلك بقوله: «إن المسيح خلق كل شيء، وأنه غير مصنوع»، وهذا تناقض ورعونه، لو ميزتها البهائم لأنكرتها على النصارى، فنعوذ بالله من الخذلان واستحواذ الشيطان، فإنه تلاعب بهم كيف أراد وقادهم إلى جهنم وبئس المهاد.

وقد قال هذا اللعين: إن المسيح خالق كل شيء، ثم قال: ولد من أبيه قبل العوالم، وهو بكر الخلائق كلها، فمتى خلق كل شيء؟ قبل ميلاده وهو عدم؟ أم بعد ميلاده وإيجاده؟ وكيف يكون بكر الخلائق، وهو الخالق لجميعها، بزعم هذا الكافر؛ لأن معنى قوله: بكر الخلائق، أي: أول ما وجد فيها.

وشريعة النصارى مبنية على هذا التناقض والمحال؛ لأنهم مجمعون على أن المسيح أزلي قديم ولد من بطن مريم بعد حملها به، وبهذا قد جعلهم الله تعالى أضحوكة لجميع العقلاء العارفين وقرة لعيون الشياطين[(١)]، ثم ناقشهم ـ في عبارات كلامية ـ استحالة تجسد من ليس بجسد ولا جوهر ويتعالى ربنا خالق الجواهر والأعراض[(٢)] عن أن يتجزأ أجزاء يستقر فيها جزء في بطن مريم مختلطاً بدمها وبولها وروثها، فما أعظم جرم هؤلاء الكفرة على الله وما

(١) المصدر السابق، ص١٧٥ ـ ١٨٠.

(٢) العرض: هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به، كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به، أو هو ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيرها مما يستحيل بقاؤه. انظر: التعريفات ١/ ١٩٢، ١٩٣ التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ٥١٠. قلت: وهو لفظ محدث مبتدع لا أصل له في الشرع.

أعظم حلم الله عليهم. والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم[١].

وبعد هذه المناقشة العقلية لأباطيلهم الخرافية، استدل الترجمان بنصوص كتابهم المقدس، فقال: «واعلموا أن في نصوص كتبهم ما يبطل هذه العقيدة، وجميع عقائد كفرهم في المسيح وهو ما قال لوقا في الفصل الرابع عشر في قصص الحواريين قال: «إن الله هو خالق العوالم بجميع ما فيها وهو رب السماوات والأرض، لا يسكن الهياكل التي طينتها الأيدي، ولا يحتاج إلى شيء من الأشياء؛ لأنه هو الذي أعطى الناس الهياكل والنفوس وجميع ما هم فيه فوجودنا به وحياتنا منه»[٢] وهذا الذي قاله لوقا هو الذي نزلت به كتب الله ونطقت به أنبياؤه ﷺ، فقد تبين أن عقائد النصارى كلها كفر، ومحال ركيك وتناقض قبيح، لم يأخذوها عن كتب الله ولا عن أنبيائه، إنما قلدوا فيها دعاوى باطلة وأهواء كاذبة مهدها لهم كل كافر أثيم.

ويقال لهم: إن هذه العقيدة التي لا اختلاف فيها بين جماهيركم، وإن لم تكونوا نسبتموها لكتاب ولا لنبي، فأخبرونا عنها هل هي كلها حق، أو كلها باطل؟ وإن قالوا: بعضها حق وبعضها باطل، فقد أبطلوا بعضها وكفروا به؛ لأن الباطل لا يدان الله به، وإن قالوا: كلها حق، فقد اعترفوا بأن المسيح مخلوق مولود، وأن الله تعالى خالقه وخالق جميع ما يرى وما لا يرى ثم قالوا: إن المسيح إله خالق لكل شيء. وما ظهر فيه هذا التناقض الفاضح الشنيع لا يكون حقاً أبداً»[٣].

هذا وقد أسهب الترجمان في الرد على أهل الصلبان، وما هذا إلا غيض من فيض، ولقد استعرضت أهم النقاط التي رد بها على شركهم في توحيد الربوبية عياذاً بالله من شرهم وهذا تلخيصها:

---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١٨٠.

(٢) نصه في الإنجيل الحديث: «لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي، كما يقول النبي: السماء كرسي لي والأرض موطئ لقدمي أي بيت تبنون لي يقول الرب، وأي مكان راحتي أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها» أعمال الرسل ٧: ٤٨ ـ ٥٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٨١ ـ ١٨٣.

خلاصة:

١ ـ رد عليهم أبو محمد الترجمان في زعمهم أن عيسى هو الله الخالق البارئ.

٢ ـ أظهر تناقض النصارى، إذ زعموا أن عيسى الرب الخالق لك شيء، هو الابن الولد الذي ولد من مريم.

٣ ـ الرد على بيتر الصفا في عقيدته التي وضعها للنصارى، بأن الله الأب خالق كل شيء ما يرى وما لا يرى، وأن عيسى بكر الخلائق، وهو خالق كل شيء.

٤ ـ الاستدلال بنص كتابهم على إبطال شركهم في الربوبية، ومناقشتهم حول الدليل ودلالاته.

تعقيب على مبحث الربوبية

يعتقد النصارى الكاثوليك وغيرهم في هذا النوع من التوحيد كما في «المجمع الفاتيكاني الثاني»[1] الذي صدر قريباً في العصر الحديث، يعتقدون في توحيد الربوبية ما يعتقده أسلافهم ـ كما ورد آنفاً ـ شبراً بشبر حتى في تناقضاتهم ووصفهم الله تعالى بأنه الأب الخالق الأزلي، ثم نقض ذلك بأنه

---

(١) وقعت يدي على هذا الكتاب الخطير المليء بالشر المستطير ـ بما يشكله من عقائد وخطط تبشيرية، ونظرة شاملة للكون والحياة تدخلت فيها الكنيسة ودرستها دراسة مستفيضة ووجهتها لأهدافها ـ عن طريق أحد المثقفين العرب المسلمين ويحمل دكتوراة، وكان لرجل دين نصراني «قسيس كبير» يتكلم أربع لغات، جلس معه لتحويله إلى النصرانية، وكان يمده بكتب نصرانية صرفه، لصرفه عن دينه، وكان من توفيق الله أن لقيته وكشفت ما ألقاه عليه؛ فكان يجالسني بعده فرأيت بعض الكتب النصرانية التبشيرية عنده ومنها كتاب (المجمع الفاتيكاني الثاني دساتير قرارات بيانات) فأخذته منه، واستأذنته في تصويره، فأبى لخشيته من انكشاف أمره وخوفه على نفسه، وبعد أن أخذ علي العهد ألا أبوح باسمه، أذن في تصويره، وكان هذا في دولة أفريقية.. ومما يجدر ذكره أن هذا المجمع حضره ما يزيد على: ٢٥٤٠ من رجال الدين من مختلف الطوائف خاصة الكاثوليك، وعقد سنة ١٩٥٩م، واستمر حتى سنة ١٩٦٤م في دورات عدة، وتزعمه البابا يوحنا الثالث والعشرون، وسجلت وقائعه باللاتينية، ثم ترجمها إلى العربية الأب حنا الفاخوري وغيره. يذكر أن هذا المجمع عقد بعد اكتشاف مخطوطات البحر الميت التي أثبتت بشرية عيسى وثبوت نبوة محمد ﷺ والتبشير به صراحة لا مرية فيها.

عيسى ابن مريم[1] ويمتاز المتأخرون من النصارى الكاثوليك، أنهم يقولون بالحلول والاتحاد بشكل أوسع، وصراحةٍ أكبر، ومن ذلك قولهم عن الله ﷻ: «قضى أن نكون أبناءً بالتبني؛ لأنه شاء أن يجمع فيه كل شيء»[2]، وقولهم عن الكنيسة: «فهو بيت الله الذي تسكن فيه أسرته، وهو مسكن الله في الروح، وخباء الله في الناس»[3]، وكقولهم ـ كما في الإنجيل ـ: «إن الله محبة، والذي يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه»[4] وكقولهم عن الوحي وفائدته: «... أن البشر يبلغون الأب في الروح القدس بالمسيح المتجسد؛ فيصبحون شركاءه في الطبيعة الإلهية»[5]، وكقولهم عن القداس والسر الفصحي، وضرورة مشاركة النصارى فيه: «بل باشتراكهم فيها معه، فيذوبوا يوماً فيوماً بالمسيح الوسيط في الوحدة مع الله وفيما بينهم، إلى أن يصير الله في الكل»[6]، وهذه نصوص صريحة في القول بالحلول والاتحاد، وهناك نصوص أخرى ذكر فيها هذا الإلحاد قاتلهم الله.

---

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٣٣، ٢٤٢، ٤٨٨، ٤٩٠، ٤٩٢، ٥٦١، ووافقهم بعض آباء الكنيسة العرب، انظر: هذا التناقض في كتاب الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام، عادل تيودور خوري ومشير باسيل عون، بالاشتراك مع آخرين ٨/ ٨٣، ٩٣، ١١٠، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية ١٩٩٩م جونيه، لبنان، وكذلك كتاب أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك ـ جزءان ـ المطران كيرلس سليم بسترس والمطران جورج خضر ١٠/ ١٤، ٤٣، ٦٣، ٦٦، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، ١٩٩٩م ـ ٢٠٠٠م، جونيه، لبنان.

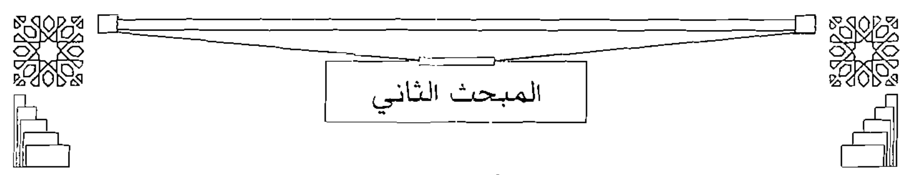
(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٤٣.

(٣) المصدر أعلاه، ص٣٧، وكذلك انظر، ص٣٩.

(٤) المصدر السابق، ص٨٩، والنص من إنجيل يوحنا الإصحاح ٤/ ١٦.

(٥) المصدر نفسه، ص١٢٢.

(٦) المصدر نفسه، ص١٦٥، وللمزيد انظر، ص٢٢١، ٤٥٠، ومن أقوال آباء الكنيسة العرب المعاصرين، المصدر نفسه، ص١٢٢، انظر: كتاب الإسلام والغرب، الإسلام والعلمانية بولس الخوري ٢/ ٥٤، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية ١٩٩٧م، جونيه، لبنان، وكتاب الإصغاء إلى كلام الله في المسيحية والإسلام، أندراوس بشته، عادل خوري بالاشتراك مع آخرين ٥/ ٢١٩، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية ١٩٩٧م، جونيه، لبنان، وكتاب أفكار وآراء ١٠/ ١٥٢، ١١/ ٢٠٣.



المبحث الثاني

توحيد الأسماء والصفات

تقدم في المبحث الأول الرد على النصارى في توحيد الربوبية، وهذا المبحث توحيد الأسماء والصفات، ما هو إلا فرع عن الربوبية، إذ يتضمنه توحيد الربوبية لعمومه وشموله، فالخالق البارئ المصور الرزاق له أسماء تسمى بها، وهذه الأسماء تتضمن صفات هذا الخالق الرازق المدبر الحكيم، فكان من المناسب إيراد هذا المبحث مجاوراً لأصله.

وتوحيد الأسماء الصفات: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، نعتقدها كما وردت في الكتاب والسنة، من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، وأن طريق العلم بها هو الدليل من الكتاب والسنة.

ومن نافلة القول أن كثيراً من الناس قد ضلوا في هذا النوع من التوحيد، ومن أعظمهم ضلالاً فيه، النصارى. وسأورد في هذا المبحث أهم النقاط التي ضلوا فيها في توحيد الأسماء والصفات، وأهم ما رد به علماء الأندلس عليهم.

ومما يجدر ذكره أن تأويل الصفات كثير في كتب جل علماء الأندلس. . ، ولذا سأنوه على كل خطأ في الصفات في محل إيراده، والله المعين والموفق لعباده.

ابن حزم

في كتابه الفصل في الملل والنحل، وتقرير توحيد الأسماء والصفات:

صفتا الحياة والعلم:

من المسائل الأولى الهامة التي استهجنها الإمام ابن حزم ونقم على النصارى في شركهم وضلالهم فيها قولهم: إن صفات الله هي مخلوقاته، فحياته روح القدس، وعلمه هو الابن عيسى ابن مريم.

«قال أبو محمد ﷺ: وقد لفق بعضهم أشياء لا معنى لها، إلا أننا ننبه عليها ليتبين هجنة قولهم وضعفه بحول الله تعالى وقوته، وذلك أن بعضهم قال: لما وجب أن يكون الباري تعالى حياً، وعالماً، وجب أن تكون له حياة وعلم، فحياته هي التي تسمى روح القدس، وعلمه هو الذي يسمى الابن.

قال أبو محمد: وهذا من أغث ما يكون من الاحتجاج؛ لأننا قد قدمنا أن الباري تعالى: لا يوصف بشيء من هذا من طريق الاستدلال، لكن من طريق السمع خاصة، ولا يصح لهم دليل - لا من إنجيلهم ولا من غيره من الكتب - أن العلم يسمى ابناً ولا في كتبهم أن علم الله هو ابنه»[1].

ويرد عليهم - لما قالوا إن هذا تقتضيه اللغة اللاتينية من أن علم العالم يقال فيه: إنه ابنه قائلاً: «قال أبو محمد: وهذا باطل ظاهر الكذب؛ لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى السريانية وغيرها، فعبر عن معاني تلك الألفاظ العبرانية، وبها كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر وادعى»[2].

ويجادلهم ابن حزم إغفالهم صفات السمع والبصر والقدرة، وجعلهم كل صفة هي الأخرى... ويضيف إلى قوله الآنف في تحول الصفات لمخلوقات: «فإن كان الابن هو العلم، وروح القدس هو الحياة، فما بال إقحامهم المسيح عليه السلام في أنه الابن وروح القدس.

أترى المسيح هو حياة الله وعلمه؟ وما بال قول بعضهم إن مريم ولدت ابن الله؟ أتراها ولدت علم الله؟!. أيكون في التخليط أكثر من هذا، وهل حظ المسيح من علم الله وحياته إلا كحظ غيره ولا فرق. وهذا لا مخلص منه. وبالله التوفيق»[3].

وبعد جدل عقلي طويل في اعتقاد فرق النصارى في الاتحاد والحلول

(١) الفصل ١/١١٣.
(٢) المصدر السابق ١/١١٣.
(٣) المصدر نفسه ١/١١٤.

واختلافهم حول هذا الاتحاد، يعود إلى جدالهم في أصل ضلالتهم في الصفات بل والألوهية ألا وهو ضلالهم في صفة الكلام.

صفة الكلام:

يزعم النصارى أن الكلام مخلوق وأن الكلمة هي عيسى عليه السلام، التحمت ببطن مريم، ويورد ابن حزم نص أمانتهم «الأمانة» وعقيدتهم في الكلمة فيقول: «وأيضاً فإنهم يضيفون إلى ذكرهم الأب وروح القدس شيئاً رابعاً وهو الكلمة، وهي المتحدة عندهم بالإنسان، الملتحمة في مشيمة مريم عليها السلام.

فإن أمانتهم التي اتفقوا عليها كلهم هي كما نورده نصاً: ـ وذكر منها قوله ـ: «وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وولد من مريم البتول..»

وقال في أول إنجيل يوحنا التلميذ: «في البدء كانت الكلمة، والكلمة عند الله، والله كان الكلمة»[1].

قال أبو محمد رضي الله عنه: فهذه أقوال إذا تأملها ذو عقل، علم أنها وساوس أو جنون ملقى من الشيطان لا يمتحن به إلا مخذول مشهود له ببراءة الله تعالى منه.

ويقال لهم: الكلمة هي الأب، أو الابن، أو روح القدس؟ أم شيء رابع؟

فإن قالوا: إنها أحد الثلاثة. سئلوا عن الدليل على ذلك، إذ الدعوى لا يعجز عنها أحد. ثم يقال لهم: الأب هو الابن أم غيره؟

فإن قالوا: هو غيره. سئلوا أيضا:

من الملتحم في مشيمة مريم، المتحد مع طبيعة المسيح، الأب أم الابن؟

فإن قالوا: الابن. فقد بطل أن يكون هو الأب. وخالفوا يوحنا إذ يقول في أول إنجيله: إن الكلمة هي الله والتحمت. فإذا كانت هي الله، والكلمة

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح: ١/ فقرة ١ بلفظ قريب جداً.

التحمت في مشيمة مريم فالله تعالى هو نفسه التحم في مشيمة مريم، فعلى هذا فالأب والابن والكلمة كلهم التحموا في مشيمة مريم، وفي أمانتهم: أن الابن هو الذي التحم في مشيمة مريم.

وهذه وساوس لا نظير لها.

ويقال لهم أيضاً: هل معنى التحم إلا صار لحماً؟ وهذا غير قول النسطورية والملكية.

وإن قالوا: بل الأب، فقد بطل أن يكون هو الابن، وخالفوا يوحنا والأمانة. وهذا كله يبطل قولهم: إن الابن هو العلم والقدرة أو غير ذلك.

وإن قالوا: لا هو هو، ولا هو غيره، دخل عليهم من الجنون ما يدخل على من ادعى أن الصفات لا هي الموصوف ولا هي غيره.

وإن قالوا: الأب هو الابن وهو غيره لم يكن ذلك ببدع من سخافاتهم وخروجهم عن المعقول ولزمهم أن الابن ابن لنفسه، وأب لنفسه، وأن الأب أب لنفسه وابن لنفسه وليس في الحمق والهوس أكثر من هذا»[(١)].

ومما يجادل به النصارى أنهم يستدلون ببعض آي القرآن، ليدعموا به باطلهم في أن الكلام مخلوق حيث خلقه في الشجرة فالكلمة مخلوق، وهي عيسى عليه السلام. قال ابن حزم:

«فإن قالوا: ما تقولون فيما في كتابكم: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، وأنه تعالى كلم موسى من جانب الطور من الشجرة من شاطئ الوادي[(٢)].

قلنا: التكليم فعل الله تعالى مخلوق؟!، والحجاب إنما هو المتكلم؟، والتكليم هو الذي حدث في الشجرة وشاطئ الوادي وجانب الطور، وكل ذلك مخلوق محدث، وكذلك تحول جبريل عليه السلام في صورة دحية، إنما هو أن الله تعالى جعل للملائكة والجن قوى يتحولون فيما شاؤوا من الصور، وكلهم

---

(١) انظر: الفصل ١/١١٨ ـ ١٢٠.

(٢) من سورة طه الآية (١٢).

مخلوق تعاقب عليهم الأعراض بخلاف الله تعالى في ذلك»[1].

قلت: وفي كلام الإمام ابن حزم من المخالفة للنص الصحيح والعقل الصريح ما لا يخفى. وقد ذهب يدافع عن توحيد الصفات ويرد على النصارى فوافقهم في قولهم من حيث لا يشعر والله يغفر له. حيث زعم أن الكلام مخلوق كما زعمت النصارى، والذي أورط ابن حزم في هذا تكلمه في الرد عليهم بالجوهر والعرض، وعلم الكلام والفلسفة، مضاهاة لقول الجهمية الضلال. إذ سلكوا هذا المسلك وتركوا كتاب الله وسنة نبيه خلف ظهورهم.

والذي عليه الدليل الصحيح والعقل الصريح هو مذهب سلف الأمة الواضح الفصيح وهو: أن الكلام صفة من صفات الله تعالى، وليس شيء من صفاته مخلوق، وهو يتكلم حقيقةً بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، كل ذلك، كما يليق بجلاله ﷻ. وكان الأولى بإمامنا ابن حزم أن يرد عليهم في هذه الشبهة الأخيرة بما رد به أئمة الإسلام من أهل السنة والجماعة عندما طرحها عليهم المعطلة، حيث قالوا: ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠] على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة فسمعه موسى منها.

وما أفسده من استدلال. إذ عموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [القصص: ٣٠]، والنداء: هو الكلام من بعد، فسمع موسى عليه السلام النداء من حافة الوادي، ثم قال تعالى: ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي أن النداء كان في البقعة المباركة من الشجرة، كما تقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون «من البيت» لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]. وهل قال: إني أنا الله رب العالمين غير رب العالمين؟ ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله، لكان قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله.

---

(١) الفصل ١٢٩/١.

خلاصة:

١ ـ رد الإمام ابن حزم على النصارى في صفتي: الحياة والعلم إذ زعموا أن حياته تعالى هي روح القدس، وعلمه هو عيسى.

٢ ـ رد عليهم في صفة الكلام وأن الكلمة تجسدت وهي عيسى عليه السلام، في نفي أمانتهم وأناجيلهم، وإبطالها بالاستدلال العقلي.

أبو الوليد الباجي

في (رده على رسالة راهب فرنسا) وتقرير توحيد الأسماء والصفات:

قولهم: صفة الدم:

قال راهب فرنسا في رسالة للمقتدر: «فهو الإله الذي اتخذ حجاباً على صورتنا لينقذنا بدمه الطاهر من هلكة إبليس»[(١)].

فماذا كان رد إمامنا الباجي على هذا التلبيس؟

قدم أبو الوليد قبل الرد على رسالة الراهب مقدمة بين فيها أن عقائد النصارى من محالات العقول والشرائع الشيء الكثير، ثم ناقش النصراني في عقائده مناقشات عامة، ومما قاله في زعمهم دم الإله الذي افتدى به خطايا البشر: «ومن أغرب ما تأتون به، قولكم: إنه بذل دمه في خلاص العباد، وكيف يكون للرب دم؟! والدم من الأجسام المحدثة المخلوقة، ولو حددتم الكلام، لزعمتم أنه دم الناسوت دون اللاهوت، وللزمكم أن تقولوا: إن المصلوب هو الناسوت دون ابن الله تعالى، لكنكم حققتم أن إلهكم صلب ومات!!، وهذه صفة لا تصح إلا على محدث مخلوق؛ لأن الحياة القدسية لا يصح عدمها، ولئن جاز هذا عليه، ليجوزن على أبيه ـ بزعمكم ـ؛ لأنه على صفة ابنه بل هو هو عند جماعة منكم، فكيف يكون إلهاً قديماً حياً لم يزل،

---

(١) انظر: شرح قصيدة ابن القيم ١/ ٦٤، ٢٦٣، وشرح العقيدة الطحاوية، ص١٨٢.

من يجوز عليه الموت وعدمت حياته، وكيف لم يذب عن نفسه الموت..»[١].

صفة الكلام:

ضل النصارى في صفة الكلام ـ كما مر آنفاً ـ إذ زعموا أن الكلام مخلوق وأن الكلمة مخلوقة وهي عيسى عليه السلام، وكان مما خاطب به الراهب المقتدر بالله، كلامه الضعيف الركيك الذي يدعو بذاته إلى الكفر به والتشكيك. وهو مع ذلك يأمل بهذا أن يدخل به المسلمون في دينه، فيوبخه الباجي قائلاً: «ولكنها ألفاظ تستعملها في غير مواضعها؛ لأنك لا تعرف مقتضاها، ولوددنا أن الله بفضله ييسر لك الهجرة إلينا والمثول لدينا، فتسمع الكلام على حقيقته في معاني الألفاظ[٢]، وتسمع الكلام الإلهي على الحقيقة كلام رب العالمين، تولى حفظه ربنا عز وجل، وعمر به ألسنتنا وقلوبنا، فلا يمكن أحدٌ تغييره ولا تبديله، ولا صرفه عن وجهه ولا تحريفه، فلو قرع سمعك منه سورة واحدة أو آية كاملة، لرجونا أن يكون ذلك مما ينور قلبك، ويستولي على نفسك، ويعود بك إلى الدين الأفضل والسبيل الأمثل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد ورد مُتَحَمّلاً كتابك، فما أورده إلا كلام البشر الذي جرت عادة أهل الضعف بإيراده عند العجز والفشل والتبلد والخور مع التحير والانقطاع والاضطراب في الدعاوى والأقوال»[٣].

خلاصة:

١ ـ رد الإمام الباجي على النصارى في وصفهم دم الإله ـ لله تعالى ـ

---

(١) المصدر السابق، ص٨٠.

(٢) هذا قول المتكلمين في صفة الكلام: أنه معنى واحد قائم بالذات لا يتجزأ ولا يتبعض.. وهو قول مخالف للدليل وللعقل، ومخالف لمذهب سلف الأمة، فالكلام ليس هو معنى نفسي يعبر عنه الرسول بأية لغة. إذ هذا نفي لصفة الكلام ومشاركة لقول من قال إن القرآن مخلوق بوجه.

(٣) رسالة راهب فرنسا وجواب القاضي الباجي عنها، ص٧٠ ـ ٧٢.

وأنه أهريق دمه تخليصاً للبشر من خطاياهم وما تفرع عن هذا المعتقد الفاسد من صلب الإله وتعذيبه.

٢ ـ رد عليهم في صفة الكلام.

الإمام ابن برجان

أما الإمام ابن برجان: فيتكلم في تفسيره على صفات الباري، المنان، بخاصة صفة الكلام التي خالفت فيها النصارى البيان والبرهان، لما قالوا إن الكلمة هي عيسى وأنه استحال إلى مخلوق. قال أبو الحكم[1] راداً على هذا البهتان: «فصل: سماه ﷻ بكلمة له إما إضافة الكلمة إلى نفسه ﷻ فيما خصه به من معناها من إيجاد عنها كما شاء من آية وخلق ولاية. والكلمة علة الخلق (ومقدار لها) وبها حدث المحدث وبتمامها وقعت النهاية وتمامها بالسنة، وسنة الله تعالى لا تحويل ولا تبديل عن مقصودها من إتمام الكلمة»[2].

وبعد فصل طويل عقب بفصل آخر أوضح فيه معنى الكلمة التي هي روح

---

(١) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال اللخمي الأفريقي ثم الإشبيلي العارف، شيخ الصوفية، مؤلف شرح الأسماء الحسنى، توفي غريباً بمراكش. قال ابن الأبار: كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف، وكان إماماً في اللغة، وله رد على أبي الحسين بن سيده بين أغلاطه في كتابه المحكم، وله استلحاقات كثيرة على اللغويين، مع الزهد والاجتهاد في العبادة، توفي سنة ٥٣٦هـ. انظر: شذرات الذهب ٢/ ٣، ١١٣/ ١٢٤ تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/ ٤٥٤، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م البلغة في تراجم أئمة اللغة، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ١/ ١٣٤، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويت ط. الأولى، ١٤٠٧هـ، طبقات المفسرين للسيوطي ١/ ١٦٨.

(٢) تفسير ابن برجان، عبد السلام بن عبد الرحمن بن برجان ورقة: ١٤٢، تسميته من كشف الظنون مخطوط بمركز الملك فيصل رقم (٨٩) ـ ف، مصور عن مكتبة السليمانية بتركيا ٢٢٤ ورقة. وأوراق منه بمكتبة عنيزة الوطنية بالجامع الكبير، كتاب رقم (٩٧).

منه كما أنزل ربنا تعالى ومن كلامه يرحمه الله: «سماه جَلَّ بأنه روح منه قد تقدم أن معنى إضافته إليه اختصاصه إياه خلقاً وأمراً وولاءاً ورضاً به كما هو حي، فملك الأرحام عليه السلام فيه الروح أو ما هو معناه، وصفات الله جل ذكره أعرب عنها وجود الموجودات وشهد لربها الشواهد كالقدرة والعلم والإرادة والحياة والسمع والبصر وغير ذلك»[1]. ثم تكلم رحمه الله على الآيات التي ذكر فيها الروح عليه السلام والأعمال التي يمتثلها من الله وقال: «فهذا المرسل إلى مريم عليها السلام فما هو خاص رفيع، أضافه إلى نفسه عز وجل وكذلك الروح المنفوخ به في آدم عليه السلام، وأن النافخ في مريم عليها السلام قد نص عليه أنه رسول من عند الله فقد قال: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]، وقال جلّ قوله في آدم عليه السلام: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، فقد جمعهما معاً في ذكر الخلقة مع كون الخطاب بأنه وصف عن نفخ الله جَلَّ، كل ما هو إذاً باين عن الله جل ذكره فهو غير له وما كان غيراً له فهو خلق له وعبد»[2].

أبو طالب عبد الجبار

في (منظومته العلمية التاريخية) وتقرير توحيد الصفات:

وهي كما تقدم في البحث الآنف منظومة علمية تاريخية ضمنها الرد على النصارى، وغيرهم ومما قاله في الصفات:

رب عظيم أول لم يزل ... باري البرية الكبير المعتلي
أبدعها من بعد أن لم تكن ... بدعة خلاق لها مهيمن
وعرشه قد كان فوق الماء ... كذا المقال الحسن الملاء
وسبقت كل البرايا قدرته ... والصفة العليا فتلك صفته
جلت صفات الصانع القديم ... عن قول جهم وذوي التجسيم

ويقول في موضع آخر:

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٣.

(٢) تفسير ابن برجان، ورقة: ١٤٣، وللمزيد انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية ٢/١٧ ـ ١٩.

وقل بما يقول أهل الحق ... من مثبتي صفات رب الخلق
والعلم علمان أيا من يبحث ... علم قديم ثم علم محدث
إن القديم علم رب العرش ... باري البرية الشديد البطش

ويرد على النصارى في مذهبهم الضال في صفات ذي الجلال فيقول:

وللنصارى القول بالتثليث ... أفظع به من مذهب خبيث
وطابقوا اليهود في التجسيم ... أف له من مذهب ذميم

ويقول:

وليس ذا حد ولا انتهاء ... فهو فوق الفوق ذو اعتلاء
أحاط بالأشياء طراً علمه ... وعم فيما قد براه حكمه
أحصى الكثير منه والقليلا ... وعلم الجملة والتفصيلا[1]

إلى أن يقول:

وانفرد الرب بوحدانيته ... فوق النهى والوهم عن بريته

وهو بهذا يرد على النصارى الضالين عقلاً في هذا النوع، وقد ضمن القصيدة الرد عليهم:

وكل محسوس فذوا ابتداء ... ومدةٍ تفضي إلى انتهاء
وكل شيء جوهر أو عرض ... إلا الذي الطوع له مفترض

ويقول ـ بعد أدلة عقلية مطولة ـ مضيفاً:

وصانع العالم فرد صمد ... والصنع لم يشركه فيه أحد
فصنع الاثنين اشتراك منهما ... لا يخلوان من تغايرهما
وكل ما زاد على اثنين كذا ... من خالف التوحيد فهو قد هذى
والانفراد غاية في المدح ... والاشتراك من دواعي القدح
وللنصارى القول بالتثليث ... أفظع به من مذهب خبيث

ويقول أيضاً:

---

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/ج٢/ ٩٢٢ ـ ٩٢٧.

وتعلم الأنواء والمنازل ذا طالع فيها وذا آفل
شواهد تشهد بالتوحيد للواحد المبتدع الحميد[1]

أبو محمد بن عطية

في تفسيره: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وتقرير توحيد الأسماء والصفات:

وقد ضمن بعض تفسيره الرد على النصارى في هذا النوع من التوحيد ومنه:

صفتا الحياة والقيومية:

في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝﴾ [آل عمران: ١ ـ ٢].

تقدم في تفسير قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، في آية الكرسي، والآية هنالك إخبار لجميع الناس، وكررت هنا إخباراً لحجج هؤلاء النصارى، وللرد عليهم أن هذه الصفات لا يمكنهم ادعاؤها لعيسى ﷺ؛ لأنهم إذ يقولون أنه صلب فذلك موت في معتقدهم لا محالة، إذ من البين أنه ليس بقيوم.

وبعد تفصيل لغوي لـ «قيوم»، وقيام، ـ وهو في هذا الشأن إمام ـ قال: «وهذا كله من قام بالأمر يقوم به إذا اضطلع بحفظه وبجميع ما يحتاج إليه في وجوده، فالله تعالى القيَّام على كل شيء بما ينبغي له أو فيه أو عليه»[2].

أبو بكر بن العربي

في كتابه: (أحكام القرآن) وتقريره توحيد الصفات:

صفة الكلام:

يزعم النصارى أن عيسى هو الكلمة وأن الكلمة مخلوقة، وقد يستدلون ببعض آيات الكتاب الكريم كقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ

---

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/ ج٢/ ٩٢٢ ـ ٩٢٦.
(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٨.

﴿مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] فهل لهم مستند، وما معنى هذه الآية الشريفة؟

قال الإمام: أبو بكر بن العربي في بيان معناها عند علماء الإسلام:

«اختلف فيه العلماء على ستة أقوال:

الأول: أنها نفخة نفخها جبريل في جيب درعها، وسميت النفخة روحاً لأنها تكون عن الريح.

الثاني: أن الروح الحياة، وقد بينا ذلك في المقسط والمشكلين.

الثالث: أن معنى روح، رحمة.

الرابع: أن روح؛ صورة؛ لما خلق الله آدم أخرج من صلبه ذريته، وصورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم؟ قالوا: بلى. ثم أنشأهم كرة أطواراً أو جعل لهم الدنيا قراراً، فعيسى من تلك الأرواح أدخله في مريم، واختار هذا أُبي بن كعب.

وقيل في الخامس: روح؛ صورة صورها الله تعالى ابتداءاً ووجهها في مريم.

وقيل في السادس: سرى روح منه، يعني جبريل، وهو معنى الكلام، ألقاها إليه روح منه: أي إلقاء الكلمة كان من الله ثم من جبريل.

قال الطبري: وهذه الأحكام كلها محتملة غير بعيدة عن الصواب.

قال القاضي وفقه الله: وبعضها أقوى من بعض، وقد بيناها في المشكلين»[١].

خلاصة:

بين الإمام ابن العربي أن معنى قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

أن الكلمة ألقاها إلى مريم وكان هذا من الله تعالى ثم من جبريل بنفخة نفخها هي الروح المخلوقة المربوبة التي صورها وأخرجها.

---

(١) أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي ١/ ٦٥٠، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، دار الكتب العلمية. وتحقيق: محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

في كتابه (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان) وتقرير توحيد الأسماء والصفات:

صفتا النزول والكلام:

قال القسيس القوطي في رسالته إلى الصبي الخزرجي ـ لما دعاه لاعتناق دينه ـ: «.. ولينهوهم عن عبادة الأوثان والأصنام الفاشية ضلالتها في جميع الأرض، ولم يمتثلوا، نزل هو سبحانه بعد ذلك من السماء، ليكلم الناس بذاته؛ لئلا تكون لهم حجة عليه، فتنقطع حجتهم حينئذ، من أجل أن كلمهم بذاته لا بواسطة بينهم وبينه، فارتفعت المعاذير...»[1].

فأجابه الإمام الصبي الذكي الخزرجي بقوله في مقدمة رده: «إله فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد»[2]. ثم ذكر قصة الملك الهندي الذي استنتج أن اعتقاد النصارى مخالف للعقل والفطرة، وكان مما قاله في شأن الأسماء والصفات: «إلا أنه يصير العاقل، إذا تشرع به أخرق أحمق، والمرشد سفيهاً، والمحسن مسيئاً.

لأن من كان في أصل عقيدته التي نشأ عليها الإساءة إلى الخالق والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى، فخليق به أن يستحل الإساءة إلى مخلوق»[3].

وقال في رده على باطل القسيس: «ثم قلت: إن الله ﷻ لما كلم العالم على ألسنة أنبيائه، الذين جعلهم رسله، ووسطائه إلى خلقه، ليعلموهم الإقرار بربوبيته، وشرعوا لهم ترك أوثانهم، وأصنامهم الفاشية ضلالتها في جميع الأرض، لم يذعنوا فنزل هو تعالى بعد ذلك من السماء، ليكلم الخلق بذاته لئلا تكون لهم حجة عليه، فتنقطع حجتهم بأن كلمهم بذاته، لا بواسطة، فارتفعت المعاذير عمن ضيع عهده بعد أن كلمه بذاته.

---

(١) مقامع الصلبان، ص٦٩.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٠.

(٣) المصدر السابق، ص١٢٣.

أخبرني أيها المغرور!

ما الذي أوجب ذلك؟ هل كان علمه لم يحط بما فعل أنبياؤه حتى هبط ليطلع على فعلهم؟

أو هل كانت أنبياؤه متهمة عنده لمخالفة أمره؟

أو هل كانت الأنبياء لم تقو على بيان ما جاءت به من الإيمان بالله، وعجزت عن إظهاره في العالم، وضعفت عن إظهار المعجزات العجيبة الدالة على صدقهم، حتى هبط هو ففعل ما لم يفعله من أرسل من قبله؟»[1].

ويعود إلى الرد ـ بعد جدال طويل حول الصلب والفداء ـ إلى الصفات ولا سيما نزول الذات وكان كلامه في مقارنة وموازنة بين دين مشركي العرب والنصرانية، ومما قاله: «.. ما أبين فضل هؤلاء على من اعتقد أن الله تبارك وتعالى نزل من السماء عن كرسي عظمته، ودخل في امرأة، وأقام يتخبط تسعة أشهر في بحر بول ودم وطمث، ثم خرج بعد ذلك إلى لطم اليهود خديه وصفعهم في قفاه وبصقهم في وجهه، ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه وقصبة في يده استخفافاً به، وتسميرهم يديه ورجليه في خشبة، وصلبهم إياه عليها. ولقد جعلتموه سفيهاً حين وصفتموه بهذا، وهو قادر، وأوجبتم شكر اليهود على أنفسهم، فإن فعلهم به أرشد من فعله بنفسه، حين أعادوه إلى سمائه، وصرفوه إلى كرسي عظمته وقد كان سفهاً بأن أهان نفسه وأنزلها في غير نصابها.

نستعيذ بالله من شر هذا الإلحاد الذي شرعتموه، ونستهديه أوضح سبل الرشاد الذي حرمتموه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً»[2].

خلاصة:

رد الخزرجي على النصارى في زعمهم نزول الرب بذاته إلى الخلق وتكليمهم، بردود عقلية.

---

(١) المصدر نفسه، ص١٣٨، ١٣٩. (٢) المصدر نفسه، ص١٥٣.

في كتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) وتقرير توحيد الأسماء والصفات:

لقد رد الإمام القرطبي رداً مطولاً في هذا النوع من التوحيد، ولو ذهبت أحصيه لطال المقام، وهذا البحث مبني على الاختصار قدر الإمكان تجنباً للملام، وسأورد أهم النقاط التي تناولها الإمام بالرد ومنها:

معرفة الله:

قال النصراني صاحب كتاب «تثليث الوحدانية»: «غير واقفين على ذاته، ولا مدركين لشيء منه»(١).

قال الإمام القرطبي: «وأما قولك «غير واقفين على ذاته، ولا مدركين لشيء منه» فلعمري، لقد صدقت، وبما أنت عليه من الجهل بمعبودك نطقت. فأين هذا من قولك: «كتاب تثليث الوحدانية»؟ فقد جعلت هذا الكتاب بزعمك موصلاً إلى معرفة الله، ثم لم ترجع النفس حتى شهدت على نفسك بالجهل بالله. فظهر تناقض اعتقادك على لسانك وفي تقييدك. وكذلك يفعل الله بكل جاهل مهذار. وكيف يعرف الله من لم يقف على معرفة ذاته، ولا علم شيئاً من صفاته؟

وهل ذاته تعالى إلا عبارة عن وجوده؟ فإن الموجودات الموجود من غير مزيد، على ما يعرف في موضعه بالبرهان. فمن لم يعرف ذاته تعالى لم يعرف وجوده، ومن لم يعرف وجوده فإما شاك، وإما جاهل»(٢).

أسماء الله:

ذهب صاحب كتاب «تثليث الوحدانية» وكثير من النصارى إلى أن الله بلا أسماء، وأن أسماءه صفات مخلوقة وأن معنى قادر عالم مريد أنه التثليث، إذ

---

(١) الإعلام ١/٤٧.

(٢) المصدر السابق ١/٥٢.

كل صفة من هذه مخلوقة هي الأب والابن والروح القدس وهي الإله الواحد[1].

قال القرطبي راداً عليه: «وأما قولك: «فإني أسألك إن كانت أسماء لذاته، أو أسماء لأفعاله، فإن قلت: هي أسماء لذاته فقد نقضت، وجعلتها أسماء للذات، ووقعت فيما أنكرت من الجسم» فسؤال لا يستحق أن يسمع، ولا لصاحبه في العقل مطمع، قسمت وسبرت، وبقيت عليك أقسام وما شعرت... ثم انظر إلى بله هذا السائل وعدم حسه، فلقد خرج بجهله عن أبناء جنسه. كيف قال: فإن قلت هي أسماء لذاته فقد نقضت وجعلتها اسماً للذات. وأي فرق بين قوله في المقدم، وبين قوله في التالي؟ وهل هذا إلا بمثابة من يقول: إن قلت هذا اليوم نهاراً فقد نقضت وجعلته نهاراً؟

فما أعرفك يا هذا بنتيجة الشرطي المتصل وحدوده، وبحد النقيض وشروطه.

ولو استرزقت الله عقلاً، لكان الأحرى بك من الكلام في المعتقدات والأولى. ثم أعجب من ذلك كله، أنك ألزمت من قال: «إن العلم والقدرة والإرادة أسماء للذات» القول بالتجسيم. وهذا نتيجة الجهل الصميم، والفهم (غير) المستقيم. وهذا من أين يلزم؟ أمن نقيض التالي أو عين القدم؟ فوالذي خص الأذكياء بالعقول، لقد أربيت في جهلك على كل جهول، وأتيت بما ليس بمفهوم ولا معقول»[2].

وقال في موضع آخر: «وأما قولك: «فجعل هذه الأسماء ثلاثاً»، فيفهم منه أن هذه الثلاثة الأقانيم التي تقدم ذكرها، مجعولة وأن الله تعالى هو الذي جعلها. وإذا كانت بجعل الله فهي بخلقه، وما كان بخلقه فهو محدث، فيلزمك على ظاهر قولك: أن هذه الأقانيم محدثة باختراعه تعالى، وأنتم تقولون إنها أزليات قديمة»[3].

---

(١) انظر: المصدر نفسه ١/٥٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/٥٩، ٦٠.

(٣) المصدر نفسه ١/٦٨.

وقال الإمام القرطبي موبخاً النصراني الغبي في تحكمه وحصره الأسماء الحسنى في ثلاثة أقانيم: «وأما تحكمك في الانفصال، فإنما يتبين إذا حكيت كلامك فهمت مرادك، وذلك أنك وجهت على نفسك، كأن قائلاً قال لك: لم جعلت الأقانيم ثلاثة، وأسماء الله تعالى أكثر من ذلك؟ فانفصلت عن ذلك، وقلت: أسماء الله تعالى، وإن كانت كثيرة فإنما ترجع إلى هذه الثلاثة... ثم تقول: إن قضيت برجوع هذه الأسماء بعضها إلى بعض مع تباين مفهوماتها، واختلاف معانيها، فلم لا تقضي برجوع الإرادة إلى العلم، وبرجوع العلم إلى التجرد عن المادة كما زعمت الفلاسفة؟ ولم لا تقضي برجوع القدرة إلى الوجود، كما قد ذهبت إليه طوائف من النصارى المتقدمين؟ فقد كانت طوائف منهم لا يعدون القدرة إلى الوجود، وكانوا يردونها إلى الوجود، وكانوا يردون الإدارة للحياة، فالأقانيم عندهم الوجود والعلم والحياة، وسيأتي حكاية مذهبهم إن شاء الله تعالى. وهذا كله يدل على أنكم في عقائدكم متحكمون لا ترجعون فيها إلى أصل عليه تعولون»[1].

ومن إلحاد النصارى في هذا النوع من التوحيد أن سموا إلههم بما لم يسم به نفسه، ولم يسمه به رسله ﷺ.. ففي جدال كلامي طويل أثبت أنهم متحكمون ملحدون لا دليل لهم فقال: «ثم نقول لهم لأي شيء تحكمتم بتسمية خالقكم جوهراً، وفي أي موضع كتب الأنبياء وجدتم الأمر بذلك؟ أو على لسان من بلغكم الأمر به، ولا تجدون لإثبات الأمر بذلك سبيلاً غير التحكم؟ ولو كنتم ممن يستحي من الله لما تحكمتم عليه بأن سميتموه بما لم يسم به نفسه، ولو أن واحداً منكم سمي له ولد بغير أمره، لأنف من ذلك، وعظم عليه ولوبخ المسمي؛ لأنه تصرف فيما لا ينبغي. هذا إذا كان الاسم مما يفهم منه المدح. فما ظنك لو سمي بلقب يفهم منه النقص والعيب»[2].

صفات العلم، والقدرة، والحياة:

أما فلسفة النصراني في كتابه الآنف الذكر حول هذه الصفات وكونها

(١) انظر: المصدر نفسه ١/ ٧٢، ٧٣.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٧٨.

مخلوقة، فقد حكاها الإمام القرطبي نقلاً عنه حيث يقول: «.. فأول القضايا: خلق الله الجميع بيد سماها: أباً، وأضافها إلى القدرة، وأضاف قضية وعظ المسيح للناس إلى العلم، وسماه: ابناً؛ لأن العلم لا يوقع عليه، حتى يتولد كلاماً. وأضاف قضية فناء جميع الدنيا، ومكافأة أهلها بأعمالهم إلى الإرادة، وسماها: روح القدس الذي هو قادر، عالم، مريد، اسماً للواحد الذي لا يتكثر». ا. هـ[1].

وبعد حكاية قوله أجاب القرطبي جواباً مطولاً منه قوله: أعلم يا هذا أنك لم تحسن السؤال ولا حصلت منه على صواب مقال، بل حصل منه في عنقك غل وفي رجليك عقال.. ثم ذكر القرطبي أن هذا من أنواع التأويل الذي ما أنزل الله به من سلطان، وأن حمل على التأويل فهو لضرب المثل، وهكذا أكثر كلام المسيح الذي يروى في الإنجيل[2].

قال القرطبي: «.. وما بالنا نطول الأنفاس مع هؤلاء الجهال، فإنه إذا احتمل هذه التأويلات، كان من المتشابهات، ولا ينبغي أن يصير إليه في الاحتجاجات وخصوصاً في الاعتقادات. ثم نقول: لا يخلو المستدل بذلك أو ما يقاربه على المعني المتقدم، أما أن يريد به حقيقة الأب والابن أو لا يريد ذلك. فإن أراد الحقيقة كان محالاً وباطلاً فإن حقيقة الأب عند العقلاء: حيوان ولد من نطفة حيوان هو من نوعه. وبهذه النسبة والصفة تفهم حقيقة الابن. وهذان الوصفان محالان على القدرة والعلم. فإن العلم ليس بحيوان مولود من نطفة حيوان، ولا القدرة حيوان يخرج منها نطفة يتولد منها حيوان.

وهذا معلوم البطلان بالضرورة».

وجادلهم الإمام القرطبي في المجاز، وأنه إن أراد بذلك القول المجاز فلا يصح حمله على المجاز حتى يجتمع المجاز والحقيقة في أمر ما.

---

(١) المصدر نفسه ١/٦٢، وقد فصل ابن تيمية الرد عليهم في زعمهم أن الصفات والأسماء مخلوقات من وجوه سبعة في كتابه: الجواب الصحيح ٣/٢٢١، ٢٦٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه ١/٦٤ ـ ٦٦.

وجادلهم في الصفات: العلم والقدرة والحياة، وأنها في حق الله تعالى أزلية ـ عندنا وعندهم ـ وإذا كان كذلك فلا تتقدم إحداهما على الأخرى في الوجود. وإذا لم يصح ذلك فلا تكون إحداها أصلاً للأخرى[1].

مذهب أغسطين من الصفات (العلم، الحياة، القدرة):

وهو كبير النصارى وصاحب كتابها الشهير «مصحف العالم الكائن» وعليه يعولون في مذهبهم الكثير والجم الغفير، وفي كلامه رد على النصارى فيما وصفوا به ربهم الكبير.

وقد حكى القرطبي تخبط وتخليط علماء النصارى في ضابط الصفات والأقانيم المثلثة، وذكر كلام صاحب كتاب «الحروف» وهو عندهم قسيس معروف، وكلام صاحب كتاب «المسائل» وقوله عندهم فوق كل قائل.

ويقول معقباً بعد رد طويل بديع صريح نبيل من كل الوجوه جميع:

«وإذا وقفت على هذه الأقاويل الضعيفة، والآراء السخيفة لم تشك في تخبطهم في عقائدهم، وحيرتهم في مقاصدهم. قالوا في الله تبارك وتعالى بآرائهم، واتبعوا فيها ظاهر أهوائهم، فهم في ريبهم يترددون، ولجهالهم مقلدون، وبضلالتهم مقتدون.

ولما رأينا هذه المذاهب الركيكة لا تستحق أن تُحكى، بل يُضحك من ذهاب عقول أربابها ويُبكى، أعرضت عنها إعراض المطلع على عوره أمام من يخاف جوره، فعزمت على نقل مذهب كبيرهم «أغستين» فإن مذهبه في الأقانيم مقارب في الصفات مذهب المسلمين.

وذلك أنه قال بعد كلام يرجع حاصله إلى ما نذكره»[2].

وقد ذكر القرطبي كلاماً طويلاً من قول «أغسطين»: «ألستم تقرؤون: أن الذي قدر هو الذي علم، وأن الذي علم، هو الذي أراد، فهو واحد في جميع المعاني. وإنما القدرة والعلم والإرادة أسماء صارت فيما بين الخالق

---

(١) انظر: المصدر نفسه ١/٦٨.

(٢) المصدر السابق ١/٨١.

والمخلوق، وليست لا خالقة ولا مخلوقة؛ لأنه لو لم يكن الشيء المقدور، لم يسم ذا قدرة، ولو لم يكن الشيء المعلوم، لم يسم ذا علم، وكذلك القول في الإرادة، فهذه الأسماء، إنما هي أعراض، وأسماء فيما بينه وبين الخلق، مثل قولنا: ذو رحمة، ذو حكم، وذو عقاب. فلو لم يكن الخلق المرحوم لم يلزمه اسم الرحمة، وكذلك غيرها» ا.هـ[١].

وقد اعترض الإمام القرطبي على بعض قوله الآنف، ومنه زعمه أن هذه الصفات والأسماء إنما هي أعراض لزمته فيما بينه وبين الخلق، وقال القرطبي إنك لست تنكر أنه كان قبل الأشياء، بلا ابتداء. فهل تقدر أن تجحد أنه كان أبداً قادراً؟ فإذا أقررت أنه لم يزل قادراً، فقد أقررت أن القدرة صفة أزلية، وكذلك قولنا في العلم والإرادة[٢].

ومما قاله كبيرهم أغسطين: «إن قلنا عرفناه بوحدانيته، وعلمناه بذاته من غير نظرنا إلى فعله، الدال على قدرته وعلمه وإرادته، فقد كذبنا. لأنه لا يقدر أحد أن يقول: إنه وقع على معرفته إلا بما نظر إليه من خلقه، وتفكر فيه من حكمه، وبمعرفته بنفسه، وكل هذا إقرار بالثلاثة الأقانيم. .»[٣].

قال القرطبي معقباً: «فهذا كلام هذا القسيس، والنصارى يعترفون بأنه أعرفهم بدينهم وأعلمهم بشرعهم ويقينهم، ينص على أن الأقانيم الثلاثة صفات ونعوت للواحد الفرد، ولا يقال فيها: إنها هو، ولا هي غيره. وهو لعمري من المسددين في هذا النظر، إذ قد سلك مناهج البحث والعبر، ولقد قارب الحنيفية، وتباعد عن الملة النصرانية. إلا أننا ننازعه نزاعين:

أحدهما: في تسمية هذه الصفات: الأب والابن والروح القدس، على ما تقرر، وهذا نزاع لفظي ليس بكبير، ولا له خط خطير.

والنزاع الثاني: في أنه قصر الأقانيم على هذه الثلاثة، ولم يعد الحياة فيها كما فعل غيره منهم، وكذلك الوجود الموصوف بهذه الصفات لم يعده

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٨٢.
(٢) انظر: المصدر نفسه ١/ ٨٢، ٨٣.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٨٣.

أقنوماً. وقد صرح بأنها صفات، ولا بد للصفات من موصوف بها بالضرورة.

وسنعطف عليها بالرد إذا تكلمنا مع غيره إن شاء الله تعالى، ومع هذا فقد سلك هذا الرجل مسلك أرباب العقول، وتبرأ من جهالة كل جهول..»[1].

ثم عاد القرطبي إلى جدال النصراني صاحب «تثليث الوحدانية» تحت عنوان: الجواب عن ما ذكره المصدر كلامه: وناقشه القرطبي نقاشاً كلامياً مطولاً ثم تساءل موجهاً كلامه للنصراني:

«..هل أوصافه أزلية أم ليست أزلية؟ والحق أنها أزلية، ولا محرز أن يكون شيء منها حادثاً إذ لو كان شيء من صفاته حادثاً للزم عليه أن يكون محلاً للحوادث، ويلزم على ذلك حدوثه تعالى وهو محال على ما يعرف في موضعه»[2].

ثم يقول: «لأي شيء تحكمتم، بأن الأقانيم ثلاثة؟ وهلا أضفتم إليها القدرة والعلم والسمع والبصر كما تقدم الكلام عليه؟ أو لعلها اثنان. وعدم انتصارهم يدل على ضعف أنصارهم، ولا حجة لهم في هذه المواطن كلها أكثر من التحكم.

فينبغي إذاً أن يتكلم معهم على جهة المناقضة والتهكم. وغايتهم في ذلك أن يرجعوا إلى الاستقرار والتمثيل. وهما في المعتقدات طريقا الخطأ والتضليل»[3].

ومما ألزمهم به أمامنا القرطبي ـ لما قال النصارى بالتثليث وأن الصفات يقوم بعضها ببعض وأن بعضها أصل بعض ـ ألزمهم بالتسلسل[4] في الصفات. فقال: «.. وإن جاز قيام الصفة بالصفة، جاز أن يقوم بالصفة صفة. وبتلك الصفة صفة، ويتسلسل. وما يتسلسل لم يتحصل، ويلزم عليه أن تكون

---

(١) المصدر السابق ١/ ٨٣، ٨٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٨٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٨٦.
(٤) التسلسل: هو ترتيب أمور غير متناهية: التعريفات ١/ ٨٠، التوقيف ١/ ١٧٥.

الأقانيم لا نهاية لها. إذ العلم يقوم به حياة، وتلك الحياة حية بحياة، إلى غير آخر.

ومنها أن تكون القدرة قادرة بقدرة، والعلم عالم بعلم، والحياة حية بحياة، إلى غير ذلك من الصفات. وهذا غير معقول..»[(١)].

قال القرطبي في سياق الرد: «ثم نرجع إلى بقية التقسيم فنقول: وإن لم تكن هذه الأقانيم حية، ولا عالمة، ولا قادرة، فلا تكون إلهية. وقد أطبق النصارى على أنها آلهة. ويلزمهم أن لم تكن الأقانيم موصوفة بهذه الصفات وصفها بأضدادها أو بالانفكاك عنها إن لم يوصف بحياة وصفت بالانفكاك عنها. والمنفك عن الحياة ميت. فيلزم عليه: أن يقولوا بآلهة أموات. وكذلك يلزم في سائر الصفات.

وقد كع المصدر بكلامه من هذا الإلزام، وصعب عليه المرام، فتكلم بما لا يعقل، فليته سكت ولم يتقول. وبعد الخبط والتأول قال: هذا ما لا يجوز لنا به التفوه. ومن أراد أن يقضي العجب العجاب، فليقف على ذلك الكتاب».

وقال في ختام رده على الأقانيم: «ومن أفضى به إلى هذا الهذيان بحثه ونزاعه، فقد تعين تركه وانقطاعه، وحسبك من شر سماعه.

وهذا كله يدل على أنهم ليسوا من العقلاء، ولا معدودين من جملة الفضلاء، بل قد انخرطوا في سلك الحمقاء الجهلة الأغبياء. فهم قد جعلوا إلههم هواهم، فأضلهم لذلك وأرداهم.

فهم كما قال الله العظيم في محكم كتابه الكريم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾» [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤][(٢)].

---

(١) الإعلام ١/٨٧.

(٢) الإعلام ١/٨٧، ٨٨.

صفة الكلام:

ذهب صاحب «تثليث الوحدانية» إلى القول بأن كلام الله مخلوق، فأنكر على المسلمين إثبات صفة الكلام الذاتية لله تعالى، وقد حكى القرطبي قوله كاملاً ـ بطوله ـ ومما حكاه قوله: «.. إن كتابكم يقول: إن موسى سمع الله، وكلمه تكليماً. فكيف كان ذلك.. فإن قلتم: أنه كلمه بذاته، فقد أوجبتم له جارحة النطق ووقعتم فيما أنكرتموه من الجسم، وإن قلتم: إن الله خلق له كلاماً، فقد أثبتم كلاماً مخلوقاً قائماً بخلقه. ولا كان يعجز موسى عن معرفة الأمر والنهي إلا بكلام محدود من جسم مفطور، خلق الله له ناراً أبصرها فنزع إليها، ثم أحجب له فيها صدى، سمعه منها، قام عنده مقام خالق فسماه إلهاً»[1].

قال القرطبي راداً بما ملخصه: «وأما قولك: إن كتابكم يقول: إن موسى سمع الله، وكلمه تكليماً».

فكيف يسوغ لك أن تجنح بما أنت منكر لأصله، ولا تعترف بأنه كلام الله، وأنت منكر لتصديق من جاء به، فلا يحل لك أن تجنح لنفسك ولا لغيرك بما تعتقد أنه كذب. وأما نحن فيمكننا أن نحتج عليكم، وعلى اليهود

---

(١) انظر: الإعلام ١/١٠٥، ١٠٦، ويقول الإمام ابن تيمية موضحاً تخبط النصارى في الصفات ولا سيما الكلام: «والنصارى من أعظم الناس اضطراباً في هذا الأصل، فتارةً يجعلون كلامه الذي تكلم به كالتوراة والإنجيل، مخلوقاً منفصلاً عنه، وينفون عنه الصفات، وتارة يجعلون كلمته قديمة أزلية متولدة عنه لم تزل ولا تزال، ثم يقولون هذه الكلمة هي ابنه ويجعلون هذه الكلمة علمه أو حكمته ويقولون إن هذه الكلمة هي إله خالق، وهو الذي خلق السموات والأرض، وأن هذه الكلمة هي المسيح، والمسيح خالق العالم، ويقولون مع أن هذه الكلمة ليست هي الآب الذي خلق السموات والأرض، فيجعلون كلمته صفة قديمة أزلية ويجعلونها ابناً له ويجعلون الصفة إلهاً خالقاً ويجعلون المسيح هو الإله الخالق، ويقولون مع هذا: هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه، ولهم في كلام الله وصفاته من التناقض والاضطراب ومخالفة كلام الأنبياء، وتفسيره بغير ما أرادوه ومخالفة صريح المعقول...» الجواب الصحيح ٢/١٦٤.

بالتوراة والإنجيل؛ لأننا نعتقد أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى. . . ثم نقول: إن الله تعالى كلم موسى بكلامه الذي هو صفته، وسمعه موسى بالإدراك[1] الذي خلقه الله له، وقولك: «كيف؟» ظلم وحيف. إذ سؤالك بكيف في هذا المحل دليل على أنك جاهل بمطلبها، فينبغي لك أن تعلم: أن صيغ المطالب كثيرة، وهي مع كثرتها لا يتوجه شيء منها على الله تعالى، وعلى صفاته. .

فعلى هذا إذا سألنا سائل كما سألت أنت. قلنا له: السؤال عن الله تعالى وصفاته بـ «كيف» ظلم وحيف. فإن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، وقد سألت بـ «كيف» في موضع لا مدخل لها فيه. فتأدب مع الله قبل حلول عقاب الله. فإن من لم يستعمل مع الله الأدب فقد استحق التعب، وحرم الرتب. ومن لم يستنكر هذا الكلام الحق بالبهائم والهوام. فإنه لو سألك عنين لم يذق قط لذة الجماع. وقال لك: كيف أدركت لذة الجماع؟ لكان الجواب يصعب عليك، ولم يمكنك تفهيمه إذ لم يذق لذة الجماع.

وكذلك كل من لم يسمع كلام الله، كما سمعه موسى عليه السلام فهو كالعنين، بالإضافة إلى إدراك الكلام[2] القديم، إذ لم يسمعه، ولا اتصف بالإدراك الذي اتصف به موسى عليه السلام. وكما لا يقال: كيف يسمع الله كلام الخلق؟ كذلك لا يقال: كيف يسمع كلامه أحد من الخلق؟ وكما لا يقال: كيف يرى الله الخلق؟ كذلك لا يقال: كيف يراه الخلق؟

فإن الكيفية محال على الله تعالى، وعلى صفاته من جميع الوجوه[3].

---

(١) الأولى، أن يقول: سمعه موسى بالسمع الذي خلقه الله له، لكن الإمام القرطبي هنا سلك مسلك المتكلمين الأشعرية، حيث يذهب أنه معنى قائم بالنفس لا يسمع بالأذن وإنما بالإدراك، وقد مر بيان القول الصحيح الذي عليه علماء سلف الأمة وأهل السنّة والجماعة.

(٢) رجع إلى القول بالإدراك وكان السياق صحيحاً مستقيماً فليته بقي على ذلك ولم يتأول هذا التأويل الفاسد. لأنه كما ذكر لا يسأل بكيف في الصفات.

(٣) انظر: الإعلام ١/١٠٨.

قال القرطبي: «ولولا خوف الإكثار، وأنّا وضعنا هذا الكتاب على الاختصار لملأت صدرك من عظمة الله تعالى - إن كنت عاقلاً - حتى يتبين لكم أنكم لم تعرفوا الله حق معرفته، ولا قدرتموه حق قدره.

وأما قولك: «فإن قلتم أنه كلمه بذاته، فقد أوجبتم له جارحة النطق، ووقعتم فيما أنكرتموه من الجسم. فلا يلزم من هذا كله شيء»[1].

ثم عقب الإمام القرطبي تعقيباً كلامياً مطولاً سلك فيه مسلك الأشاعرة المتكلمين وهو أن كلام الله عبارة عن معنى واحد قائم بالنفس قديم أزلي لا يتجزأ ولا يتبعض... إلخ، وهو قول مرجوح لا دليل عليه بل هو مخالف للدليل كما سبق بيانه.

ومن عجائب ما جاء به النصراني في «تثليث الوحدانية» ما سماه بـ تجسد الواسطة:

وتعني عنده أن الكلام مخلوق وأنه هو الواسطة وأن الكلام مخلوق تجسد في الصدى الذي سمعه موسى، وكان الصدى هو الذي خاطب موسى وقال له: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤] فالكلمة تجسدت وهي الإله المعبود[2].

قال القرطبي: «اعلم يا هذا المتكلف في بغيته، المتعسف في تأويل دينه. أنك قلت في هذا الفصل الباطل والكفر ما لا حجة له ولا أصل، خالفت فيه دين النصارى المتقدمين، ولم تعرج على مذهب القسيسين. بل رغبت عن ملة أئمتك الـ«مطارين»[3] فوجب على أهل ملتك أن يعدوك في الخارجين، ومن الجهال المبتدعين.

وذلك أنك زعمت أن الذي قال لموسى:

﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] إنما كان الصدى، ولم يكن الله تعالى، وزعمت أن موسى اعترف للصدى بالربوبية، وأنه كلم موسى، وإياه

---

(١) المصدر السابق ١/١٠٨.

(٢) انظر: المصدر نفسه ١/١١٥.

(٣) المطران: هو رئيس ديني عند النصارى وهو دون البطرك وفوق الأسقف. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ٢/١١٥٨.

حارب، وعنه تحمل الرسالة حتى أتى فرعون، وأنه هو الذي سأل موسى رؤيته، ولذلك زعمت أن موسى قال للصدى: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا كان هذا كله للصدى، فلا حاجة لموسى، ولا لأحد إلى الله تعالى. فإنه لم يقل «لا إله إلا أنا» وإنما قالها الصدى، والصدى صادق بزعمك، فقد بطلت إلهية الله تعالى وثبتت إلهية الصدى.

وإذا كان كذلك فلم لا تعبدون هذا الصدى الذي عبده موسى، وسجد له، وتاب له بعد أن اعترف بربوبيته»[1] ثم استطرد في الرد وتساءل هل علم الأنبياء ذلك أم لا؟ فإن كانوا علموه وتكلموا به فأين نجد ذلك؟ وإن كانوا علموه وكتموه ولم يخبروا الناس بإلهية الصدى فقد كتموا الحق، ولا يبعد أن يكتموا الشرائع. وهذا باطل، فقد تواترت الأخبار بصدقهم وبالقواطع التي لا تجهل بأن الله واحد وأنه ليس له في ألوهيته شبيه ولا مضاد[2].

قال القرطبي: «ثم نقول: هذا الصدى الذي وصفت، وهو إله عندك ـ كما زعمت ـ أهو الله تعالى رب العالمين، وخالق السماوات والأرضين؟ أم إله غيره؟ فإن كان هو الله تعالى، فلم سميته الصدى؟ ولم جعلته واسطاً بين نفسه وبين خلقه؟ وهل هذا إلا محال، فإنه لا يتصور في العقل واسط لا بين اثنين، ويكون الواسط ثالثاً.

ثم يلزمك على هذا أن تجعل ذات الباري، الرب تعالى صوتاً حادثاً. فإن ذلك الصدى عندكم حادث، وهذا كله محال بضرورة العقل.

وإن قلت: إنه غيره. فيلزم أن يكون ذلك الصدى هو المتكلم عن نفسه والمخبر بحقيقته. فإذا سمعه موسى يقول: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]، فإما أن يخبر عن نفسه، أو عن رب العالمين.

فإن أخبر عن نفسه فهو كاذب، فإن الرب تعالى يكون إلهاً آخر وإن أخبر عن الرب، فلأي شيء قلت: إنه إله. وأن موسى اعترف له بالربوبية،

---

(١) الإعلام ١/١١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/١١٨.

وسجد له. بل الإله الحق رب العالمين، والصدى ليس بإله ولا رب»[1].

قال القرطبي بعد جدل كلامي عقلي برهاني: «وأما من قال إن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، فلقد ارتكب حماقة، والتزم عمى، يلزمه عليه جواز عكس مذهبه، وهو أن ينقلب اللحم والدم علماً. والقديم حادثاً، والحادث قديماً، إلى غير ذلك من المحالات التي لا تصدر عن من شدّ أطرافاً من المعقولات، ولولا الحمق والتقليدات، لما وجد مثل هذه الفواقح في كلام أحد من المخلوقات»[2].

صفة الرؤية:

ذهب النصراني إلى القول بأن الله تعالى يرى في الآخرة ومراده أنه جسم يدرك ويرى كسائر المخلوقات. وقد حكى القرطبي قوله ثم عقب عليه فقال: «وأما قولك: «وإذا أوجبتم أن الله لا مفطور، ولا مدرك بحاسة، فقد وجب أن المحاسب المسموع مدرك بالحواس» فهذا لا يلزم فيه شيء كما ذكرت، فإنا إذا قلنا: إن الله تعالى ليس مدركاً بالحواس، فإنما نريد به أن الله ليس مدركاً بالحواس كما تدرك الأجسام والألوان، فيكون محاطاً به، فيكون ذا حدود وأقطار، وذلك محال.

وإذا قلنا: إن الله تعالى يرى في الدار الآخرة، إنما نريد به أن الله تعالى يخلق لنا إدراكاً آخر لا تناسب حاله: إدراك الأجسام ولا الألوان. فإن الإدراكات مختلفة باختلاف متعلقاتها وذلك إدراك خاص. له حكم نفسه، لم يذق منه ذوقاً في هذه الدار، فإنه إنما يكرم الله به أولياءه وأصفياءه يوم القيامة.

وإذا أنعم الله على وليه بذلك الإدراك المعبر عنه بالرؤية، خلق له من اللذة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإن أنكرت أن يرى ما ليس بجسم ولا لون فلتنكر أن يعلم موجوداً ليس بجسم ولا

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١١٩.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٣١.

عرض، وإن زعمت أن الرؤية غير جائزة عقلاً فقد جهلت موسى، حيث سأل الله ما يستحيل عليه.

فكيف جهل موسى من وصف الله، فأعلمه جاهل مثلك؟

وأما استشهادك بحديث نبينا ﷺ على رؤية ذي الجلال والإكرام، فأنت ممنوع منه لإعراضك عنه، وهو من عمدنا على إثبات رؤية الله تعالى في الدار الآخرة لكوننا عالمين بحقه، ودليل صدقه.

ثم إنك نقلت ذلك الحديث فأجحفت، وبالمعنى أخللت، وإنما صوابه: «إنكم ترون ربكم ولا تضامون في رؤيته، إلا كما تضامون في رؤية القمر ليلة البدر»[1] وهذا لا حجة لك فيه فإنا نقول: إن الله تعالى هو المرئي لا غيره بالأبصار في الدار الآخرة على ما تقدم. وأنتم تقولون: إن المرئي الواسطة. وهذا الحديث يعرف معانيه أهله، وهم الذين يصدقون برسالة من هو قوله، فلا تطمع في معرفته، فإنك لست أهلاً لدرايته»[2].

صفة المجيء (الإتيان):

يقر النصراني بهذه الصفة، ولكنه يزعم أن الذي يجيء ويأتي في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] أنه عيسى ابن مريم ﷺ. فبماذا رد الإمام على الكلام المنحرف الذي اقترفه هذا المقترف؟

قال القرطبي: «وأما قولك: «لم تنكرون أن يكون المسيح الذي كان

---

(١) أخرجه البخاري ١/ ٢٠٣، رقم (٥٢٩) باب فضل صلاة العصر ١/ ٢٠٩، رقم (٥٤٧) ٥/ ٢٤٠٣، رقم (٦٢٠٤) باب صفة الجنة، والترمذي ٤/ ٦٨٨، رقم (٢٥٥٤) باب ما جاء في رؤية والحاكم في المستدرك ٤/ ٦٢٦، رقم (٨٧٣٦)، وأبو داود في سننه، السنن، سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ٤/ ٢٣٣، رقم (٤٧٣٠) باب في الجهمية، والبيهقي في السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، مكة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٤م، ١٠/ ٤١، رقم (١٩٦٧٩).

(٢) الإعلام ١/ ١٢٤، ١٢٥.

واسطاً للوعظ أن يكون هو المقبل مع الملائكة كما قال عنه قرآنكم: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾».

فكيف لا ننكر ذلك، ولم يدل على وقوعه عقل، ولا صحيح نقل؟ وليس معنى الإتيان في هذه الآية إلا كالمجيء في الآية المتقدمة، وكلاهما ليس المراد به: المجيء الذي هو نقل الأقدام. بل المجيء والإتيان لهما معان أخر يعرفها العرب المؤمنون.

وهذه الآية فيها محذوف تفسره آية أخرى. تقديره: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣].

فقد ذكر في هذه الآية ما حذف هنالك. وهذا على المعروف في لسان العرب من حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك الكلام على الآية الأولى. وهذا لا خفاء به عند البصير بلسان العرب، فإنها تستعمل الحذف والإضمار والمجاز والاختصار. ثم ما لك ولكتابنا، ولأي شيء تنشد ضالتنا. (دعها معها حذاؤها وسقاؤها. ترد الماء وتأكل الشجر، حتى يلقاها ربها)[1].

ألق السلاح فلست من أكفائنا واقعد مكانك بالحضيض الأسفل»[2].

---

(١) أخرجه البخاري ٤٦/١ رقم (٩١) باب التناوب في العلم، ١٣٦/٢، رقم (٢٢٦٣) باب شراب الناس والدواب. ومسلم صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م ١٣٤٦/٣ رقم (١٧٢٢) كتاب اللقطة. وأحمد في المسند ١١٥/٤، رقم (١٧٠٧٨)، ومالك في الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي مصر ٧٥٧/٢، رقم (١٤٤٤) باب في المرأة تقتل إذا ارتدت، والدارقطني في السنن، علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هشام اليماني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ٢٣٦/٤، رقم (١١٤)، باب المرأة تقتل إذا ارتدت، والطحاوي في شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ١٣٥/٤، رقم (١٨٧٥٠٢)، باب اللقطة والضوال، تحقيق: زهري البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) الاعلام ١٢٥/١.

قلت: أحسن الإمام الفريد بالرد على الملحد العنيد، لكن اقتصر على أحد المعاني في المجيء والإتيان، وترك الآخر هو الراجح، فليته أكمل البيان، فالمولى ﷻ يجيء ويأتي كما يليق به وكما دلت عليه أدلة القرآن والسنة. والله أعلم وهو ذو الفضل والمنة.

صفة الندم (الحزن):

من أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته ما اعتقدوه وانتقصوا به المولى ﷻ حيث: يعتقد اليهود والنصارى أن الله تعالى يندم ويجوز عليه الندم، وقد ورد ذلك في كتابهم المقدس في العهد القديم، وقد حكى ذلك الإمام القرطبي في الموازنة بين كتابنا وكتابهم. ثم تولى الرد.

قال القرطبي: «.. فللّه الحمد على ما أوتي، والشكر له على نعمه التي لا تحصى، فأين اللؤلؤ من الخزف والياقوت من الصدف.

وبعد هذا. فالآن حان أن نذكر بعض ما وقع في التوراة مما تطرق إليها التهم.

من ذلك ما ذكروه فيها في المصحف الأول منها: «ورأى الله أن قد كثر فساد الآدميين في الأرض، فندم على خلقهم. وقال: سأذهب الآدمي الذي خلقت على الأرض والخشاش، وطيور السماء؛ لأني نادم على خلقتها جداً»[1].

وهذا في حق الله تعالى محال. إذ الندم إنما يلحق من لا يعلم مصير المندوم عليه ومآله. واعتقاد هذا في حق الله كفر، إذ ينبئ عن أن الله تعالى جاهل، وأنه متغير، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. ولفظ «الندم» هنا نص لا يقبل التأويل، فهو كذب وباطل قطعاً»[2].

---

(١) سفر التكوين ٦ : ٥، ٨، ولفظه في التوراة المعاصرة: «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه، فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأني حزنت أني عملتهم».

(٢) الإعلام ١/ ١٩٤.

التشبيه والتمثيل بالآدميين:

وهذا من إلحادهم في أسماء الله وصفاته، حيث جعلوا الله تعالى كالإنسان، يخاطب البشر ويجالسهم ولا يسمع إلا أصواتهم المرتفعة إلى غير ذلك مما تنقصوا به الباري تعالى، كما ورد في كتبهم.

قال القرطبي: «ومن ذلك: أنه حكى فيها: أن الله تعالى كالإنسان، شخص ذو جوارح(1)، وهذا على الله بالضرورة محال. ولا للتأويل في هذا اللفظ مجال ثم إن هذا من قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] ومن ذلك أيضاً أن الله تعالى حين أمر بني إسرائيل بالتوجه إلى الشام، وعدهم أن يتوجه معهم وأمرهم أن يعملوا قبة على صفة كذا. ينزل فيها في سيره معهم.

ثم إن موسى قال له: «يا رب إن هذه الأمة القاسية رقابها لا تمضي إليك إلى الشام، حتى تمضي معها كما وعدتها. فقال الله: نعم اعملوا لي القبة، فعمل موسى القبة وسماها قبة العهد، ونزل الله من عرشه وسار معهم في داخل القبة ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم». هذا نص التوراة(2) ومما يذكرونه من بقية هذا وليس في التوراة: أنهم حين جمعوا المال لعمل هذه القبة. أجروا الاتفاق على يد موسى عليه السلام فلما عملها، ادعوا عليه: أنه قد نقصهم من المال ألف رطل وسبعمائة رطل وخمسة وسبعون رطلاً، وقالوا لموسى تهكماً به: أين نقص هذا المال، وإنما جرى الاتفاق على يديك؟ فسمعوا صوتاً من السماء يقول لهم: إن هذا العدد، دخل في رؤوس الأعمدة، وفي التغشية، فحينئذ كفوا عنه. فهؤلاء لم يعرفوا الله حق معرفته

---

(1) الأمثلة على ذلك كثيرة في التوراة، منها: الزعم بأن الله له قلب يحزن به، كما في النص أعلاه صفحة سابقة، هامش رقم (1)، الزعم بأن الله يصارع البشر، يعقوب ويغلبه يعقوب؟ سفر التكوين الإصحاح: 32/23 ـ 29، الزعم بأن الله لما خلق السماوات والأرض في سبعة أيام تعب فاستراح في اليوم السابع سفر التكوين، الإصحاح: 2/1، 2 وسيأتي المزيد من أمثلة إلحادهم.

(2) سفر الخروج الإصحاح، 29/10 ـ 12، 33/7 ـ 13 وكذا الإصحاح 34 إلى 40.

ولا قدروه حق قدره ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن ذلك أيضاً: أنهم ذكروا فيها: أن الله قال لهم: أن يضربوا القرن في عسكرهم قليلاً، حتى يلقوا عدوهم، فحينئذ يضربونهم بأشد ما يقدرون عليه ليسمعهم الله فيؤيدهم على عدوهم[1].

فكأنه ﷻ لا يسمع إلا الأصوات العالية. فأين هذا من وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه ورسوله، حيث قال: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٧، ٨].

وفيها من هذا النوع كثير، لو ذهبت أنقله لطال الكتاب..»[2].

خلاصة:

أهم ما تضمّنه ردّ الإمام القرطبي على النصراني في الأسماء والصفات في نقاط أهمها:

١ ـ رد على النصراني في جهله بمعرفة الله.

٢ ـ رد على النصراني في اعتقاده أن الله تعالى بلا أسماء. وأن أسماءه صفات مخلوقة. وحصره الأسماء الحسنى في ثلاثة أقانيم، وتسمية إلههم بما لم يسم به نفسه.

٣ ـ رد عليه في صفات العلم والقدرة والحياة في كونها مخلوقة، وأن كل واحدة منها أصلاً للأخرى. ثم أورد مذهب أوغسطين فيها.

٤ ـ رد عليه في صفة الكلام، وأن الكلام بزعمه مخلوق. وإنكاره على المسلمين أن يكون الله تعالى متكلماً، كما شمل الرد بأن الكلام تجسد وصار مخلوقاً، فيما يسمونه بتجسد الواسطة، وانقلاب الكلام إلى لحم ودم.

٥ ـ رد على النصراني في الرؤية، حيث: أثبتها وانحرف فيها، بأنه تعالى مدرك، يرى كسائر المخلوقات.

---

(١) سفر العدد الأصحاح: ١٠/٥ ـ ١٠ بمعناه.

(٢) الإعلام ١/١٩٤ ـ ١٩٦.

٦ ـ رد على النصراني في صفة المجيء (الإتيان) وزعمه أن الذي يجيء ويأتي هو عيسى ابن مريم.

٧ ـ رد عليه في اعتقادهم أن الله يندم.

٨ ـ رد عليه في تشبيههم الخالق بالآدميين. وفي بعض أنواع الإلحاد في الأسماء والصفات.

الإمام ابن جزيّ الكلبي

في تفسير: (التسهيل لعلوم التنزيل) وتقرير توحيد الأسماء والصفات:

صفتا الحياة والقيومية:

في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ١، ٣].

أوضح الإمام الكلبي أن صدر هذه السورة نزل لما قدم نصارى نجران إلى المدينة المنورة لمحاجة النبي ﷺ في عيسى عليه السلام. وفيها رد عليهم في قوله: ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ رد على النصارى في قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب، فليس بحي ولا قيوم![1].

عبد الله الترجمان

في كتابه: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) وتقرير توحيد الأسماء والصفات:

مما تعرض له عبد الله الميورقي بالرد على عباد الصليب بعض أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته ومنها:

صفة القدرة:

ذهب كُتّاب الإنجيل إلى التشكيك في قدرة الله تعالى، ومن ذلك ما

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٩٩.

ذكره متى في إنجيله حيث زعم أن عيسى لما خاف من الموت واشتد حزنه وجزعه من كرب الموت قال مخاطباً ربه: «.. وهو يبكي ويتضرع إلى الله ويقول: يا إلهي إن أمكن صرف كأس المنية عني فاصرفه..»[1].

أورد الترجمان هذا النص وقال معقباً: «.. وزادوا هم لعنهم الله، أنه مع آدميته وخوفه وحزنه كان من الشاكين في قدرة الله، حيث قال: «إن أمكن صرف كأس المنية عني فاصرفه». لأن هذا عين الشك في القدرة الإلهية، ولا يخلو المسيح من أن يكون قد علم أن الله لا يعجزه شيء، فما معنى قوله إن أمكن ذلك؟ وإن كان علم أن الله لا يمكنه ذلك فما معنى سؤاله والتضرع إليه؟ وحاشا روح الله، ورسوله من أن يشك في قدرة الله، بل كان في أعلى درجات اليقين، أن الله لا يعجزه شيء، وكل ما كان يجري على يده من المعجزات، فإنما كان بقدرة الله ومشيئته، لا إله إلا هو»[2].

صفات العلم، والقدرة، والحياة، وسائر الصفات:

يعتقد النصارى أن عيسى هو الله وأنه يتصف بصفات الله القديمة الأزلية.

وأن الله ثالث ثلاثة وبعضهم يزعم أن الثلاثة هي: الله تعالى وعيسى ومريم وكلها تتصف بهذه الصفات.

قال عبد الله الترجمان: «.. وبعضهم يقول: الثلاثة هم: الله تعالى وعيسى ومريم. ولا يشك ذو عقل سليم، إن كل من آتاه الله مسكة من العقل، يجب عليه أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السخيف الرذيل الفاسد، الذي تنزه عنه عقول الصبيان، ويضحك منه ذوو الأفهام والأذهان، فالحمد لله الذي أخرجني من زمرتهم وعافاني من بليتهم.

ويلزمهم على مقتضى ذلك قولهم: إن المسيح ابن الله، أن تكون ذاته

---

(١) إنجيل متى الإصحاح: ٢٦/٤٣، ونصه: يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس... (سبق عزوه).

(٢) تحفة الأريب، ص١٢٣، ١٢٤.

كذات الله وله علم كعلمه وقدرة كقدرته، إلى سائر الصفات الأزلية، وهذا باطل.

وبيان بطلانه ما قال ماركوس في الفصل الحادي عشر من إنجيله: «إن الحواريين سألوا عيسى عليه السلام عن الساعة التي هي القيامة، فقال لهم: إن ذلك اليوم لا يعلمه الملائكة الذين في السماء، ولا يعلمه إلا الأب وحده ـ يعني الله تعالى ـ»[1].

فهذا إقرار من عيسى بأنه ناقص علم حتى عن الملائكة، وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامها، وأن عيسى لا يعلم إلا ما علمه الله تعالى»[2].

وحول معتقد التحام الإله عيسى ببطن مريم، واتصافه بصفات الإله رد الترجمان عليهم بقوله: «.. فهذه عقيدة كفرهم البارد الغثيث، ودينهم المرذول الخبيث، كما مهد لهم أوائل شياطينهم من غير استناد إلى دليل ولا نقل عن نبي ولا رسول... فمن المحال أن يكون الخالق الأزلي استحال لحماً ودماً أو يكون له ولد في الأرض أو في السماء، أو يكون قدمه وبقاؤه اللذان لا نهاية لهما محدودين أو متحيزين أو متنقلين[3]، كلا بل هو الله الذي لا شبيه له ولا نظير، فتقدس جلاله وتعالى كماله من أن يحل في بشر يموت. كيف وهو الحي الذي لا يموت؟ أو يصير بذاته العلية القدسية في بطن امرأة وهو الذي وسع كرسيه السماوات والأرض»[4].

وبعد جدل طويل شمل الألوهية والربوبية والنبوات والشرائع، رجع إلى الرد على انحرافهم في معتقد الصفات فقال: «..إن كان المسيح خالقاً أزلياً

---

(١) إنجيل مرقس ١٣/ ٣٢ بلفظه. (٢) تحفة الأريب، ص١٤١ ـ ١٤٣.

(٣) هذه المصطلحات الكلامية لم يعرفها علماء سلف الأمة الصالح، والباري تعالى تعرف صفاته بما ورد في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه الأمين، ولا تعرف بمصطلحات أهل الكلام. والترجمان ها هنا يرد عليهم بمنطقهم علهم يرجعون عما تنقصوا به الخالق ﷻ ويرعوون.

(٤) انظر: تحفة الأريب، ص١٥٠ ـ ١٥١.

كما يعتقدون مع كونه لحماً ودماً، فقد جعلوا بعض الرب المعبود أزلياً، وبعضه محدثاً مخلوقاً؛ لأن المسيح أقر أنه دم ولحم، بنص أناجيلهم، فاللحم والدم يتولدان عن الأغذية والأشربة وهي من أجزاء الدنيا، فيكون على قولهم خالق الدنيا كلها هو جزء من أجزائها، وذلك الجزء هو خالق نفسه أيضاً؛ لأنه جزء من الدنيا التي هي مخلوقة له، وهذا أشنع ما يكون من دعاوى البهتان وأبعد ما يتصور في معقولية الإنسان... وأنا أظن أن صاحب هذه العقيدة الذي مهدها لهم قصد هذا التعطيل بعينه؛ لأنه كان من متزندقة[1] أهل التعطيل، فسخر من النصارى، وألف لهم أنواعاً من الكفر والضلال، مبنية على أشنع المحال؛ لأجل ما تحقق من غفلتهم، وقبولهم لترهات المذاهب والأقوال.

ويقال لهم قد نطق الإنجيل الأول بأن المسيح قلم أظفاره وقص شعره، ونما جسده طولاً وعرضاً، فإن كان على قولهم خالقاً أزلياً وقد بانت منه هذه الأجزاء من الشعر والأظفار، وانفصلت عن كله وصارت رميماً وتلاشت حتى

---

(١) الزنديق: في اللغة: هو القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب وهو بالفارسية زند كراي، يقول بدوام بقاء الدهر، الزندقة الضيق. و ز ن د ق الزنديق من الثنوية وهو فارسي معرب وجمعه زنادقة. انظر: لسان العرب ١٠/١٤٧ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص١١٦، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون بيروت طبعة جديدة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

وهو في الاصطلاح: الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر. شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، ص١٢٢، مكتبة الرياض الحديثة الرياض.

أو سمي زنديقاً؛ لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله، وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى. انظر: العلو للعلي الغفار، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ١/ ٢٠٠، مكتبة أضواء السلف الرياض، ط. الأولى، ١٩٩٥م معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: عمر أبو عمر، دار ابن القيم الدمام ط. الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

أو هو الذي يستبطن الكفر وينكره ولا يظهره. انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٣/٦٧٨، تحقيق: محمد الحلواني، محمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.

لم يبق لها وجود، فالخالق الأزلي على هذا فسد بعضه وتلاشى، وبقي بعضه على حاله. ومن فسد بعضه، فالفساد واصل إلى كله، ومن كان له بعض وكل، فهو محدود ومحتاج إلى ما يحمله ويحده. ومن كان بهذه الصفة فهو مفتقر وليس بغني والإله الخالق الأزلي تبارك وتعالى شهدت براهين العقول، ونصوص النقول بأنه ﷻ لا يكون جسماً ولا جوهراً ولا عرضاً[1] وليس له كل يتجزأ ولا تتبعض ذاته القديمة ولا يلحقها نقص ولا تغير ولا تحول وأنه الغني على الإطلاق وجميع الخلق إليه فقراء في جميع أطوارهم وكافة أحوالهم، وهو كما وصف نفسه الكريمة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»[2].

خلاصة:

١ ـ رد الترجمان على النصارى في صفة القدرة، واستنقاصهم الباري ﷻ، وتشكيك كتابهم في قدرة الله.

٢ ـ رد عليهم في سائر الصفات إذ زعموا أن الثلاثة كلهم يتصفون بصفات الإله الأول.

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذه المصطلحات الكلامية وتعريفها، وطريقه علماء الكلام ذمها السلف وحذروا منها، لأنها طريقة مبتدعة لا تثبت بها العقائد. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية منتقداً هذا المسلك: «.. ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً، والنفي مجملاً، عكس طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جهة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض.. والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات، ولا يتدبرون معانيها.. وأما أهل الحق والسنة والإيمان، فيجعلون ما قاله الله ورسوله هو الحق الذي يجب اعتقاده..» انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ٧٠، ٧١، ويلتمس العذر للترجمان، أنه تكلم بهذا في سياق الرد على النصارى وبما يفهمونه من علم.

(٢) تحفة الأريب، ص١٩٧ ـ ٢٠٠.

◌ تعقيب حول مبحث توحيد الأسماء والصفات

ما تعتقده النصارى اليوم صورة لما اعتنقه أسلافهم من الضلال في هذا الكتاب، وربما زادوا عليهم في جرأتهم ووصفهم الرب سبحانه بما لم يصف به نفسه، ففي كتابهم ـ العظيم ـ الذي يحتكمون إليه في هذه الأزمان وهو كتاب (المجمع الفاتيكاني الثاني) وصفوا الله تعالى على لسان رجال دينهم بما تقشعر له الأبدان ـ على أنهم في تقدمته زعموا أنه ليس بكتاب عقيدة ـ ومن إلحادهم في هذا الكتاب:

زعمهم «إتحاد المؤمنين بجسد الرب تعالى ودمه»[1].

زعمهم أن من اتبع المسيح فقد صار مشابهاً لله[2].

زعمهم أن المسيحيي المهتم بالقداسة يتحول إلى صورة المسيح[3]، وأن المسيحيين يصبحون شركاء في الطبيعة الإلهية[4]، بل إن البشر هم صورة الله في الأرض، وأنهم مخلوقون عليها[5]، وأن الله يسكن في الروح القدس[6]، وأن الله كشف ذاته للشعب المختار «اليهود»[7].

أما صفة الكلام فيعتقدون ما يعتقده أسلافهم من أن صفة الكلام تحولت إلى شيء مخلوق هو المسيح ﷺ[8]، وأن الله «بالكلمة كون الله كل شيء، وبالكلمة حافظ على كل كيان»[9]، وأن «الكلام هو قدرة الله الخلاقة»[10] وهذا حق لا ريب فيه.

ومما قرروه صفة المجيء، وهي صفة ثابتة للرب تعالى، تؤمن بها

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٦٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٩٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٠٢.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٢٢

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص٢٣٠، ٢٦٤، ٤٥٦.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص٣٩٤

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص١٣٢

(٨) انظر: المصدر نفسه، ص٢٣٩. وانظر: من كتب الآباء المعاصرين، الإصغاء لكلام الله ٥/ ١٢٤، وكتاب أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي ١٠/ ٩٠ ـ ١٠٠.

(٩) انظر: المجمع الفاتيكاني، ص١٢٢.

(١٠) انظر: الإصغاء إلى كلام الله، ٥/ ٨٤ وهو من كتب النصارى المعاصرين.

النصرانية وتزعم أن هذا المجيء مرتين «مجيء الرب الأول ومجيئه الثاني»[1]، ولكنهم زعموا أن هذا الرب هو المسيح عليه السلام.

ومن ذلك صفة الرحمة، إذ يؤمنون بها، ويقرون أن الله رحيم[2] كما في كتبهم الحديثة جداً، ولكن انحرافهم يكمن في زعمهم أن صفة الرحمة، هي المسيح إذ تجلت في شيء مخلوق وهو المسيح[3]؟

ومن ذلك إثبات رؤية الرب مع زعمهم أنه المسيح عليه السلام[4] وكذا إثبات صفات الأول والآخر[5]، ويقصدون به المسيح عليه السلام أنه الرب المنعوت بها.

ومن إلحادهم في حق الرب تعالى وصفهم له بأنه له قلب وأحشاء، وأنه ينسى ويغتاظ وأنه له دم[6]، وأنه شخص[7]، وأنه له حضن[8]، وأنه مخطط الشعبة المختار[9] إلى غير ذلك من أنواع الإلحاد في أسماء الله وصفاته، ويكفي ما مضى من رد علمائنا الأجلاء على أصناف إلحادهم في الصفات والأسماء، بل يكفي تصوره في بيان بطلانه. وبالله التوفيق والرشاد.



---

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٤٩٨.

(٢) انظر: الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام ٧/٨، ١١، ٦٦، ١١٠.

(٣) انظر: المصدر السابق ٧/٢٤٠، ٢٤١.

(٤) انظر: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي ١٠/٦٧.

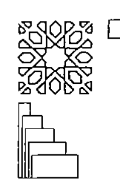
(٥) انظر: المصدر السابق ١٠/٩٠ انظر: الإصغاء إلى كلام الله ٥/٧٤ وهذا من كتب النصارى.

(٦) انظر: الرحمة الإلهية ٨/٦٦، ٨١، ٨٢، ٩٢، ١٥١، ١٨٥.
انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٤٩٧.

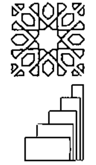
(٧) انظر: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي ١٠/٦٥.

(٨) انظر: المصدر السابق ١٠/١٠٠.

(٩) انظر: الرحمة الإلهية ٨/٩٦.



المبحث الثالث



توحيد الألوهية

تقدم في المبحثين الأول والثاني الكلام على توحيد الربوبية والصفات وتقرير علماء الأندلس لهذين النوعين من التوحيد والرد على انحراف النصارى فيها.

وأما هذا النوع من التوحيد فهو الأهم وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وسائر البشر، ومن أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل. وهو محور الخلاف الكبير بيننا وبين النصارى..

فقد انحرف فيه النصارى انحرافاً كبيراً. إذ عبدوا غير الله وجعلوه سبحانه ثلاثة آلهة وخالفوا النقل والعقل وجميع ما جاءت به الأنبياء، وكل ما نطقت به العقلاء، ولذا فقد رد عليهم كتاب ربنا العزيز في جملته كاملاً مقرراً له بقول وجيز، يفهمه أهل الحجا والنظر والتمييز.

وقد أطال علماء الأندلس بالرد عليهم في هذا النوع من التوحيد، وأوردوا فيه من الحجج والبراهين ما تنقطع به الأعذار، ولا يدع لمتقول عند الحساب مجالاً للاعتذار، وسأورد بمشيئة الله أهم ما ردوا به على النصارى مراعاة للاختصار، وفي هذا عبرة وموعظة لأولى الأبصار.

ابن حزم

في كتابه: (الفصل) وتقرير توحيد الألوهية والرد على النصارى:

تنوعت أساليب ابن حزم في إثبات هذا النوع ويمكن استخلاصها إجمالاً تحت هذه العناوين:

استدلال عقلي على توحيد الألوهية ووحدانية الله:

بعد أن ذكر ابن حزم فرق النصارى واختلافها في معتقد تثليث الواحد

سبحانه، أورد استدلالاً عقلياً مطولاً، مختصره ما ابتدأه بقوله:

«قال أبو محمد: وهذا حين نبدأ بعون الله وتوفيقه وتأييده إن شاء الله لا إله إلا هو، في تبيين أن الواحد ليس عدداً فنقول وبالله تعالى التوفيق.

إن خاصة العدد هو أن يوجد عدد آخر مساوٍ له، وعدد آخر ليس مساوياً له فالواحد ضرورة هو الذي لا أبعاض له، فإذاً لا شك فيه فالواحد الذي لا أبعاض له تساويه عدداً، وهو الذي أردنا أن نبين، وأيضاً فإن الحس وضرورة العقل يشهدان وجود الواحد، إذ لو لم يكن الواحد موجوداً لم يقدر على عدد أصلاً، إذ الواحد مبدأ العدد والمعدود الذي لا يوصل إلى عدد ولا معدود إلا بعد وجوده، ولو لم يوجد الواحد لما وجد في العالم عدد ولا معدود أصلا. وإذ لا بد من وجود الواحد، وليس هو في شيء من العالم ألبته، فهو إذاً بالضرورة شيء غير العالم، فإذ ذلك كذلك فبالضرورة التي لا محيد عنها فهو الواحد الأول الخالق للعالم، إذ ليس يوجد بالعقل البتة شيء غير العالم إلا خالقه فهو الأول، الله لا إله إلا هو الذي لا يتكثر البتة أصلاً لا بعدد ولا صفة ولا بوجه من الوجوه..»(١).

ويقول في الرد على القصيدة النقفورية مؤكداً مخالفتها لبدائه العقول مقرراً لعقيدة التوحيد:

أتقرن يا مخذول ديناً مثلثاً	بعيداً عن المعقول بادي المآثم
تدين لمخلوق يدين لغيره	فيا لك سحقاً ليس يخفى لعالم
أبى الله أن يدعى له ابن وصاحب	ستلقى دعاة الكفر حالة نادم(٢)

نقض ألوهية المسيح بنص الانجيل:

تنوعت ردود ابن حزم في هذا، ومن أبرز ما ذكره رداً ببعض الإنجيل ما ابتدأه بقوله: «فصل: وفي الباب الخامس من إنجيل متى: أن المسيح عليه السلام قال لهم: ليكن دعاؤكم على ما أصف لكم: يا أبانا السماوي تقدس اسمك.

---

(١) انظر: الفصل ١/ ١٣٠، ١٣١.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١١/ ٢٥١.

ثم قال بعد ذلك: «وقد علم أبوكم أنكم ستحتاجون إلى جميع هذا»[1]. وفي آخر الإنجيل أنه قال لهم: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم»[2].

فما ترى للمسيح من النبوة لله تعالى إلا ما لسائر الناس ولا فرق، فمن أين خصوه بأنه ابن الله دون سائر كلهم؟ إلا أن كذبوه في هذا القول. فليختاروا أحد الأمرين ولا بد، ثم من أين خصها كل من سوى المسيح بأن الله تعالى إلهه، ولم يقولوا: إن الله إله المسيح كما قال هو بلسانه. فلا بد ضرورة من الإقرار بأن الله هو إله المسيح، وأن سائر الناس أبناء الله أو يكذبوا المسيح في نصف كلامه، وحسبك بهذا فساداً وضلالاً تعالى الله أن يكون أباً لأحد، أو أن يكون له ابن لا المسيح ولا غيره، بل هو تعالى إله المسيح، وإله كل من هو غير المسيح أيضا»[3].

وباستقراء عام للإنجيل حول إثبات بشرية عيسى قال أبو محمد:

فصل: «وكثيراً ما يحكون في جميع الأناجيل في غير ما موضع أنه إذا أخبر المسيح عن نفسه، سمى نفسه ابن الإنسان، ومن المحال والحمق أن يكون إله ابن إنسان، أو أن يكون ابن إله وابن إنسان معاً، أو أن يلد إنسان إلهاً، ما في الحمق والمحال والكفر أكثر من هذا. ونعوذ بالله من الضلال.»[4].

استدلال ثالث من الإنجيل ثبت بشرية عيسى:

قال ابن حزم يرحمه الله: «فصل وفي الباب الثالث من إنجيل متى: أن المسيح كاشف علماء بني إسرائيل، وقال: «ما تقولون في المسيح؟ وابن من هو؟

قالوا: هو ابن داود. فقال لهم: كيف يسميه داود بالروح إلهاً حيث كنت قال الله إلهي: اقعد عن يميني حتى أجعل من أعاديك كرسياً لقدميك.

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٦/٩، ١٠ بلفظ مقارب.

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠/١٧، ١٨ بلفظه.

(٣) الفصل ٢/٥١.

(٤) الفصل ٢/٥٣.

فإن كان داود يدعونه إنهاً كيف هو ولده؟ فلم يقدر أحد منهم على مراجعته»[١].

قال أبو محمد: هذا هو الحق من قول المسيح عليه السلام، ولقد أنكر عليه السلام المنكر حقاً، والعجب أن هؤلاء الأنذال المنتمين إلى أتباعه عليه السلام لا يختلفون في الاحتجاج بهذا الفصل المذكور، وهو عليه السلام قد أنكر أن يكون المسيح ابن داود، وهم يسمونه في الأناجيل كلها بأنه ابن داود. فاعجبوا.»[٢].

نص آخر. قال أبو محمد بن حزم: «فصل: وفي الباب المذكور أن المسيح قال لتلاميذه: أنتم إخوان، ولا تنسبوا إلى أب على الأرض، فإن أباكم في السماء واحد»[٣].

قال أبو محمد: في هذا الفصل فضيحتان عظيمتان: إحداهما إخباره أن الله تعالى هو أبو التلاميذ، فنراهم مثله سواء سواء، فلم خصه النصارى بأن يقولوا: إنه ابن الله دون أن يقولوا عن تلاميذه متى ذكروهم أنهم أبناء الله؟ تعالى الله عن هذا الكفر، وعن أن يكون أباً أو ابناً.

والأخرى قوله: لا تنتسبوا إلى أب على الأرض.

والنصارى والأناجيل يطلقون أن شمعون بن يوشا، ويعقوب بن سبذاي، ويهوذا ويعقوب ابنا يوسف، فقد أقروا بثباتهم على معصية المسيح إذ نهاهم أن ينتسبوا إلى أب على الأرض، وهم أبداً ملازمون لمخالفة أمره في ذلك متدينون بعصيانه»[٤].

قلت: أورد ابن حزم نصوصاً كثيرة تحت هذا النوع اقتصرت على أهمها، ويليه نوع آخر من الاستدلال وهو:

---

(١) هذا النص في الطبعات المحدثة غير مذكور في الإصحاح الثالث من إنجيل متى وإنما ورد في الإصحاح الثاني والعشرين ٢٢/ ٤١ ـ ٤٦ بالمعنى.

(٢) الفصل ٢/ ١١١.

(٣) في الإصحاح ٥/ ٤٨ من إنجيل متى ورد نص: «فكونوا أنتم كاملين، كما أن أباكم الذي في السماوات هو كامل».

(٤) الفصل ٢/ ١١٣.

نقض ألوهية المسيح باستنقاصه في كتبهم:

ووصفه بأوصاف لا تجوز على عوام الناس فضلاً عن الأنبياء بل الإله.
ومما ذكره ابن حزم تحت هذا النوع:

تناقض كتب اليهود والنصارى وتضاربها في نسبة المسيح ولمن ينسب ولا بد، واستنقاصه بهذه النسبة المخزية خلافاً لما جاءت به الأنبياء، وفي هذا ما فيه من رمي الصديقة أم المسيح عليه السلام:

قال ابن حزم في سياق رده: «.. وكما قدمنا من كذبهم ولا بد، إذ يصدقون بالشيء والضد له معاً. وهم لا يختلفون أن متّى رسول معصوم أجل عند الله من موسى ومن سائر الأنبياء، وكلهم عليهم السلام، وهو قد قال في أول كلمة من إنجيله: «مصحف نسبة المسيح بن داود عليه السلام»[1].

ثم لم يأت إلا بنسبة يوسف النجار زوج مريم الذي هو عندهم ربيب إلههم زوج أمه.

فكيف يقول: إنه يذكر نسبة المسيح ثم يأتي بنسبة يوسف النجار؟ والمسيح عند هذا التيس البوال ليس هو ولد يوسف أصلاً. فقد كذب هذا القذر كذباً لا خفاء به، ولا مدخل للمسيح في هذا النسب أصلا بوجه من الوجوه. إلا أن يجعلوه ولد يوسف النجار، وهم لا يقولون هذا ولا نحن ولا جمهور اليهود»[2].

ومن مضحكات القوم وسخريتهم بأنبيائهم ما ذكره إمامنا بقوله:

«فصل: وفي الباب الثالث من إنجيل متى: «فلحق يسوع - يعني المسيح - بالمفاز وساقه الروح إلى هنالك، فلبث به ليقيس إبليس نفسه فيه، فلما أن صام أربعين يوماً بلياليها، جاع فوقف إليه الجساس وقال له: إن كنت ولد الله فأمر هذه الجنادل تصير لك خبزاً. فقال يسوع قد صار مكتوباً بأن عيش المرء ليس بالخبز وحده، لكن في كل كلمة تخرج من فم الله تعالى.

---

(١) إنجيل متى الإصحاح: ١/فقرة ١.

(٢) الفصل ٢/٢٩.

وبعد هذا أقبل إليه إبليس في المدينة المقدسة وهو واقف في أعلى بنيانها وقال له: إن كنت ولد الله فترام من فوق، فإنه قد صار مكتوباً بأنه سيبعث ملائكة يرفدونك ويدفعون عنك حتى لا يصيب قدمك مكروه، فأجابه يسوع وقال له: قد صار مكتوباً أيضاً ألا يقيس أحد العبيد إلهه، ثم عاد إليه إبليس وهو في أعلى جبل منيف فأظهر له زينة جميع الدنيا وشرفها وقال له: إني سأملكك كل ما ترى إن سجدت لي.

فقال له يسوع اذهب يا منافق مقهقراً، فقد كتب ألا يعبد أحداً غير السيد الإله، ولا يخدم سواه، فتأيس عنه إبليس عند ذلك وتنحى عنه، وأقبلت الملائكة وتولت خدمته»[1].

وفي الباب الرابع من إنجيل لوقا: «فانصرف يسوع من الأردن محشواً من روح القدس وقاده الروح إلى القفار، ومكث به أربعين يوماً، وقايسه إبليس فيه، ولم يأكل شيئاً في تلك الأربعين يوماً، فلما كملها جاع فقال له إبليس: إن كنت ابن الله فأمر هذا الحجر أن يصير خبزاً، فأجابه يسوع وقال له: قد صار مكتوباً أنه ليس عيش الآدمي في الخبز وحده إلا في كل كلمة لله، ثم قاده إبليس إلى جبل منيف عالٍ، وعرض عليه ملك جميع الدنيا في وقته، وقال سأملكك هذا السلطان، وأبرأ إليك بعظمته لأني قد ملكته وأنا أعطيه من وافقني، فإن سجدت لي كان لك أجمع...»[2].

قال أبو محمد: في هذا الفصل عجائب لم يسمع بأطم منها.

أولها: إقرار الصادق عندهم بأن إبليس قاد المسيح عليه السلام مرة إلى جبل منيف وانقاد له ومضى معه، وقاده مرة أخرى إلى أعلى صخرة ببيت المقدس، فما تراه إلا ينقاد لإبليس حيث قاده، ولا يخلوا من أن يكون قاده فانقاد له مطيعاً سامعاً، فما تراه إلا منصرفاً تحت حكم الشيطان، وهذه والله منزلة رذلة

---

(١) إنجيل متى، الإصحاح: ٤/٣ ـ ١١ بمعناه وليس هو في الثالث كما ذكر بل في الرابع في النسخ الأخيرة من الإنجيل وهو في إنجيل لوقا الإصحاح: ٤/٢ ـ ١٣ نسخة حديثة جداً.

(٢) انظر: إنجيل لوقا. الإصحاح: ٤/٢ ـ ١٤.

جداً، وأن يكون قاده كرهاً فهذه منزلة المصروعين، الذين يتخبطهم الشيطان من المس، وحاشا للأنبياء من كلتا الصفتين فكيف إله وابن إله بزعمهم؟!.

وما سمع قط بأحمق من هذا الهوس، ونحمد الله تعالى على عظيم نعمته.

ثم الطامة الأخرى، كيف يطمع إبليس عند هؤلاء؟ في أن يسجد له خالقه وفي أن يعبده ربه وفي أن يخضع له من فيه روح اللاهوت؟ أم كيف يدعوا إبليس ربه وإلهه أن يعبده ربه وفي أن يخضع له من فيه روح اللاهوت؟ أم كيف يدعو إبليس ربه وإلهه أن يعبده؟ والله إني لأقطع أن كفر إبليس وحمقه لما يبلغا قط هذا المبلغ. فهذه آبدة الدهر، ثم عجب آخر كيف يمني إبليس ربه الدنيا وخالقها وخالقه، ومالكها ومالكه، وإلهها وإلهه في أن يملكه زينة الدنيا؟

فهذه كما تقول عامتنا: «أعطه من خبزه كسيرة» ما هذه الوساوس التي لا ينطق بها إلا لسان من حقه سكنى المارستان[1]. أو عبارة كافر مستخف بقوم نوكى يوردهم ولا يصدرهم !! ما شاء الله كان.

فإن قالوا: إنما دعا الناسوت وحده وإياه عنى إبليس.

قلنا: بأن اللاهوت والناسوت عندكم متحدان بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً، والمسيح عندكم إله معبود... وقد كذب لوقا ومتى على كل حال، وأهل الكذب هما فكيف ونص كلامهما جذت ألسنتهما في لظى. ولو لم يكن في الأناجيل إلا هذا الفصل الأبخر وحده لكفى، فكيف وله فيها نظائر جمة!! ونحمد الله على السلامة»[2].

واستنقاص النصارى لنبيهم كثير في كتبهم المقدسة تنوعت عباراته وألفاظه وقد استقصاها ابن حزم وعقب على كل واحد منهما، ومنها: وصفهم

---

(1) المارستان: بفتح الراء، دار المرضى، وهو معرب. انظر: لسان العرب ٦/٢١٨، المصباح المنير ٢/٥٦٨.

(2) انظر: الفصل ٢/٣٥ - ٣٧.

المسيح بأنه ابن الحداد وابن مريم وإخوته يعقوب ويوسف وشمعون... إلخ[1].

ومنه في إنجيل متى ومرقس: أنه صاح بأعلى صوته وهو مصلوب: إلهي إلهي، لم أسلمتني[2].

ومن ذلك ما أورده تحت قوله: «فصل: وبعده في الباب نفسه قال: «ويوماً آخر رأى يحيى المسيح مقبلاً فقال: هذا خروف الله»[3].

قال أبو محمد: هذه طامة أخرى... بينما كان كلمة الله، وابن الله، وإلهاً يخلق صار خروف الله، وحاشى لله أن يضاف إليه خروف إلا على سبيل الخلق والملك، إنما يضاف الخروف إلى من يتخذه للأكل أو الذبح، أو لمن يربيه للفحلة، أو لصبي يلعب به ويصبغه بالحناء. وتعالى الله عن كل هذا.

فصحَّ أنها من عمل عيار مستخف. ونعوذ بالله من الضلال»[4].

نقض ألوهية المسيح لعبادته لله ﷻ:

وهو نوع من أنواع الأدلة الصريحة على بشرية المسيح عليه السلام. وباستقراء كتابه القيم (الفصل) نجد أنه أورد كثيراً من النصوص الإنجيلية في الرد عليهم ومن ذلك ما أورده بقوله:

«فصل: وفي الباب الموفى عشرين من إنجيل متى: «أن أم ابني شيذاي أقبلت إليه مع ولديها فخشعا، ورغبت إليه فقال لها: ما تريدين؟ فقالت: أحب أن تقعد ابني هذين أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك في ملكك.

فقال يسوع: تجهلين السؤال. أيصبران على شرب الكأس الذي أشرب؟

فقالا: نصبر، فقال لهما: ستشربان بكأسي وليس إلى مجلسكما عن

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٨١، وقد ذكره من مصادرهم.

(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/ ١٥٩، وقد سبق عزوها وسيأتي في قصة الصلب التي زعموا.

(٣) في الإنجيل الحالي وصف بـ حَمَل الله. إنجيل يوحنا ١/ ٢٩.

(٤) الفصل ٢/ ١٧١. وانظر: كذلك ٢/ ٤٣.

يميني وشمالي إلا من وهب له ذلك أبي»[1].

قال أبو محمد: ففي هذا الفصل بيان أنه ليس إليه من الأمر شيء، وأنه غير الأب كما يقولون، بخلاف دينهم، فإذاً هو غير الأب وكلاهما إله، فهما إلهان اثنان متغايران، أحدهما قوي والآخر ضعيف؛ لأنه بإقراره ليس له قدرة على تقريب أحد إلا من وهب له ذلك الذي يسمونه أباً، وليت شعري كيف يجتمع ما ينسبون إليه هاهنا من الاعتراف بأنه ليس بيده أن يجلس أحداً عن يمينه ولا عن شماله؟ وإنما هو بيد الله تعالى مع ما ينسبون إليه من أنه قدر على إعطاء مفاتيح السماوات والأرض لأنذل من وجد وهو (باطره)...»[2].

ومنه قوله: «وفي الباب الموفى عشرين من إنجيل لوقا: فلما بلغوا إلى الموضع الذي يدعى الأجرد صلبوه فيه، وصلبوا معه السارقين العابثين عن يمينه وعن شماله.

فقال يسوع: يا أبتاه، اغفر لهم؛ لأنهم يجهلون ما يصنعونه، ولا يدرون فعلهم[3].

قال أبو محمد: في هذا الفصل شنعتان عظيمتان على النصارى كافيتان في وساخة دينهم وبيان فساد كل ما هم عليه جهاراً:

أولاهما: أن نسألهم فنقول لهم: المسيح إله عندكم أم لا؟ فمن قولهم: نعم فيقال لهم: إلى من دعا ورفع طلبته؟

فإن كان دعا غيره، فهو إله يدعو إلهاً آخر. وهذا شرك وتغاير بين الآلهة وهم لا يقولون هذا.»[4].

ومن ذلك ما أورده الإمام من الإنجيل بقوله: «ولا أقوى أن أفعل من

(١) انظر: إنجيل متى الإصحاح ٢٠/٢٠ ـ ٢٤ بالمعنى.

(٢) الفصل ٢/١٠٥، ١٠٦.

(٣) هو في الإصحاح: ٢٣/٣٣، ٣٤ بمعناه في النسخ المعاصرة وليس كما ورد في كلام ابن حزم يرحمه الله، ولعل هذا من تغير ترجماته عبر الأزمان.

(٤) الفصل ٢/١٥٥.

ذاتي شيئاً لكن أحكم بما أسمع، وحكمي عدل؛ لأني لست أنفذ إرادتي إلا إرادة أبي الذي بعثني، فإن كنت أشهد لنفسي فإن شهادتي غير مقبولة، ولكن غيري يشهد لي»[1].

وفي الباب السادس من إنجيل يوحنا أيضاً أن المسيح قال: «إنما نزلت من السماء لأتم إرادة أبي الذي بعثني، لا إرادتي»[2].

وفي الباب السابع من إنجيل يوحنا أنه قال المسيح: «ليس علمي لي لكن الذي بعثني»[3].

وفي الباب الحادي عشر من إنجيل يوحنا أيضاً: «أن المسيح قال لهم: لو أجبتموني لفرحتم بمسيري إلى الأب؛ لأن الأب أكبر مني»[4].

قال أبو محمد: فهل في العبودية والتذلل بالحق لله تعالى أكثر من هذا؟»[5].

توضيح وبيان لشرك النصارى واستنقاصهم لخالق الأكوان:

وهذا أصل أصيل في دين أهل الوثنية والتبديل. وبقراءة كتاب إمامنا الجليل نجد أنه أكثر من هذا في الرد عليهم بنصوص أناجيلهم ومن ذلك قوله:

«فصل في الباب المذكور أن المسيح قال: «لا يعلم الولد غير الأب ولا يعلم الأب غير الولد»[6].

قال أبو محمد: هذا عجب جداً؛ لأن المسيح عندهم ابن الله بلا خلاف منهم والله ـ تعالى عن كفرهم ـ هو والد المسيح وأبوه، وهكذا يطلق النذل

---

(١) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح: ٥/ ٣٠ ـ ٣٢ بلفظ مقارب.
(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح: ٦/٣٨ ـ ٣٩ بلفظ مقارب.
(٣) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح: ٧/ ١٤ ـ ١٧ بلفظ مقارب.
(٤) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤٠/٢٨ بلفظ مقارب.
(٥) الفصل ٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠.
(٦) إنجيل متى الإصحاح: ١١/٢٧، ٢٨.

باطره في رسائله المنتنة، متى ذكر الله ﷻ قال: الله والد ربنا المسيح آمراً بكذا وكذا، ثم ههنا قال: إن المسيح قال: إنه لا يعلم الأب إلا الابن، ولا يعلم الابن إلا الأب، فقد وجب ضرورة أن التلاميذ وسائر النصارى لا يعرفون الله تعالى أصلاً ولا يعرفون المسيح البتة، فهم جهال بالله تعالى وبالابن. ومن جهل الله تعالى ولم يعرفه فهو كافر، فهم كلهم كفار أسلافهم وأخلافهم، أو كذب المسيح في هذا الكلام، أو كذب النذل متى، لا بد والله من أحدهما، وقد أعاذ الله تعالى عبده ورسوله من الكذب، فبقيت الاثنتان، وهما والذي سمك السماء حق، وأن النصارى لكفار جهال بالله ﷻ، وأن الشرطي متّى لكذاب كافر ملعون، فعلى جميعهم لعنة الله.

نعم وفي هذا القول الملعون الذي أضافوه إلى المسيح عليه السلام القطع بأن الملائكة والأنبياء السالفين كلهم ليس منهم أحد يعرف الله تعالى، فاعجبوا لكفر هذا اللعين متّى وعظم حماقته ومن قلده في دينه، ونحمد الله على السلامة كثيراً»[1].

وقد أورد ابن حزم كثيراً من أنواع كفرهم في مواضع متفرقة منها: اعتراف المسيح بأنه يأكل ويشرب[2] بل يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل[3]، وهو عندهم إله، فكيف يأكل الإله ويشرب؟ ما في الهوس أكثر من هذا. والقوم أنذال بالجملة[4].

ومن ذلك: زعمهم أن الله برئ إلى باطرة النذل بمفاتيح السماوات وولاه خطة إلهية ولئن كان كذلك فإنها لخطة خسف أن ترى باطرة وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكاماً على الله تعالى[5].

ومنه زعمهم أن الرب يموت ويقبض[6] ويصلب ويدعو غيره[7].

---

(١) الفصل ٢/ ٧٥، ٧٦.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٧٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١١٠.
(٤) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٧٣.
(٥) انظر: المصدر السابق ٢/ ٨٥، ٨٧ بنص أناجيلهم وقد تقدم ذكرها.
(٦) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٤١ بنص أناجيلهم.
(٧) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٥٩ وهذه العقيدة عندهم أشهر من أن تذكر.

ومن ذلك زعم النصارى أنهم جميعاً أبناء الله. قال ابن حزم:

«فصل: وبعد ذلك قال: «فمن تقبله منهم، وآمن باسمه أعطاهم سلطاناً أن يكونوا أولاد الله، أولئك المؤمنون باسمه، الذين لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم ولا باه رجل لكن توالدوا من الله، فالتحمت الكلمة، والكلمة كانت بشراً، وسكنت فيها، رأينا عظمتها كعظمة ولد الله»[١].

قال أبو محمد: في هذا الفصل من الكفر ما لو انهدت الجبال منه، لكان غير نكير نسأل الله العافية.

أيها الناس تأملوا قول هذا النذل، إن المؤمنين بالمسيح هم أولاد الله، فالنصارى كلهم إذن أولاد الله، فأي ميزة للمسيح عليهم؟ إذ هو ولد الله وهم أولاد الله؟ ثم انظروا لقول هذا المستخف المستهزئ بالسفلة الذين قلدوا دينهم مثله: إن المؤمنين بالمسيح لم يتوالدوا من دم ولا من شهوة اللحم، ولا باه رجل، ولكن توالدوا من الله هكذا هم!! ثم اعجبوا لقوله: فالتحمت الكلمة وسكنت فيها. فكيف تصير الكلمة لحماً. وقد قال: إنها هي الله، فالله إذا صار لحماً، وسكن في أولئك الأقذار، حسبنا الله ونعم الوكيل»[٢].

ومن سخريتهم بالله وصفهم بأن لله ولد واحد في حجره، وهو الله مع ذلك؟ ومن المحال الممتنع أن يكون الله في حجر نفسه فصح ضرورة أن الابن عندهم على نصوص الأناجيل هو غير الأب[٣].

ومن ذلك ما ذكره بقوله: «فصل:... في الباب نفسه أن يحيى بن زكريا قال عن المسيح: «شهدت بأن هذا سليل الله»[٤].

قال أبو محمد: شهدت أنا ونفسي وجسدي وعقلي بشهادة الله التامة، أن هذه كذبة كذبها اللعين يوحنا على رسول الله، وابن رسوله يحيى بن زكريا عليه السلام، وأن الله تعالى عن أن يكون له سليل.

---

(١) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح: ١/ ١١ ـ ١٤ بمعناه.
(٢) انظر: الفصل ٢/ ١٦٥ ـ ١٦٦. (٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٦٧.
(٤) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح: ١/ ٣٢ ـ ٣٤ بلفظ مقارب.

وأعجب شيء نسبتهم إلى يحيى عليه السلام أنه قال في المسيح: هذا خروف الله هذا سليل الله وإنما الخروف سليل الكبش والنعجة، اللهم العن هؤلاء الأنتان فما سمعنا استخفافاً بالله تعالى وبرسله عليهم السلام منهم»[1].

سبب اتخاذ المسيح ولداً إلهاً:

ومن تنقصهم لله تعالى ما ذكره ابن حزم: «فصل: في الباب الخامس من إنجيل يوحنا: أن المسيح قال: «فكما احتوى الحياة في ذاته، كذلك ملك ولده الاحتواء على الحياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً، وملكه الحكومة والسلطان والحياة، كما هي للأب لأنه ابن الإنسان»[2].

قال أبو محمد: فهل سمع قط بأسخف من هذه العلة إذ أخبر أن من أجل أن المسيح هو ابن الإنسان، ساواه الله بنفسه، وهذا كله يوجب أنه غير الله، ولا بد لأن المعطي المملك هو غير المعطي، بلا شك»[3].

ومما ذكر الإمام ابن حزم من كفرياتهم ما زعمه يوحنا لتلاميذه أنهم أولاد الله وأنهم سيكونون مثل الله إذا أظهر، وقال اللعين: إنه رأى الله عز وجل شيخاً أبيض الرأس واللحية[4]. إلى آخر ما قالوه من كفرياتهم نسأل الله السلامة والعافية.

الخلاصة:

تنوعت مناقشات وردود ابن حزم على ضلال النصارى في توحيد الألوهية من خلال كتابه الفصل، ويمكن إجمالها في هذه النقاط:

الاستدلال العقلي على توحيد الألوهية ووحدانية الله.

نقض ألوهية المسيح بنص الإنجيل.

نقض ألوهية المسيح باستنقاصه في كتبهم.

نقض ألوهية المسيح بعبادته لله عز وجل.

توضيح وبيان لشرك النصارى واستنقاصهم لخالق الأكوان.

---

(١) الفصل ٢/ ١٧٣.

(٢) انظر: إنجيل يوحنا، الإصحاح: ٥/ ٢٦ ـ ٢٨ بمعناه.

(٣) الفصل ٢/ ١٧٧.

(٤) انظر: المصدر السابق ٢/ ٢٠١.

في رده على رسالة راهب فرنسا، وتقرير توحيد الألوهية:

زعم راهب فرنسا في رسالته للمقتدر أن عيسى عليه السلام إله اتخذ حجاباً على صورتنا لينقذنا بدمه الطاهر[1]، ثم ختم رسالته بالضراعة والدعاء إلى سيده المسيح أن يرعاه ويهديه إلى دينه المقدس والإيمان الصحيح به[2].

أصل خلقة المسيح:

وقد رد الإمام الباجي في رسالة مطولة ضمها هذا النوع من التوحيد وخاطب الراهب خطاباً عقلياً عله يرعوي عما ادعاه من ألوهية المسيح، وربأ به ورفع قدره عما استفتح به كتابه من أن عيسى ابن الله، بل هو عبد مربوب مخلوق[3] لا يعدو عن دلائل الحدوث من التغير والسكون وأكل الطعام، ثم عقب كاشفاً أصل الخلقة التي جعلت النصارى يعبدون المسيح بقوله: «وإن الله خلق عيسى عليه السلام من غير أب، كما خلق آدم ﷺ من تراب، وقد حملت بعيسى أم، ولم تحمل بآدم أنثى ولا ذكر.

فإذا لم يكن آدم إلهاً، وهو الأب الأول ـ بل مخلوق ـ فعيسى أولى أن لا يكون إلهاً، وهو من ذرية آدم، وولده، بل هو عبد مربوب، وإن هذا لواضح إلا لمن جهل معنى الحدوث ولم يميز الخالق من المخلوق.

وأما من نظر في شيء من أبواب العلم وأيد باعتبار فهم، فعلامات الحدوث أوضح، ودلائلها أصح من أن تخفى أو تشكل أو يمتري في أمرها من له من العلم أدنى محل»[4].

علة اتخاذ الله ولداً من خلقه عند النصارى:

وهي أنه أراد أن يكفر عن خطايا البشر، وينقذهم من النار فاتخذ ولده إلهاً ليذبح تكفيراً لخطاياهم وإنقاذهم من النار.

---

(١) انظر: رسالة راهب فرنسا، ص٥١.
(٢) انظر: الرسالة الآنفة الذكر، ص٥٥.
(٣) انظر: المصدر السابق، ص٦٣ ـ ٦٥.
(٤) المصدر السابق، ص٦٦، ٦٧.

قال أبو الوليد معقباً: «ولو كان عيسى ﷺ إلهاً قادراً، لما احتاج إلى ذلك، ولو شاء الله أن لا يعصى، ما خلق الفتن ولا إبليس اللعين، لكن الله تعالى خلق للجنة أهلاً، بتوفيق الله تعالى يعملون، وخلق للنار أهلاً بخذلان الله يعملون، ولو علم الغيب عيسى ﷺ لما بذل دمه طمعاً فيما لم يتم له، ولا حصل له منه شيء.

فاعتبر أيها الراهب، ضعف ما أنت عليه وفضل ما ندعوك إليه..»[1].

رد عقلي على ألوهية المسيح:

في معتقدات النصارى من البدهيات المسلمات، أن الابن صلب وقتل وسال دمه وناله السبات وهو بعد إله يخلق ويرزق فكيف يكون ذلك وهل يجوزه عقلك أو يخطر ببالك؟

قال أبو الوليد: «.. ومن أغرب ما تأتون به قولكم: إنه بذل دمه في خلاص العباد!، وكيف يكون للرب دم؟ والدم من الأجسام المحدثة المخلوقة. ولو حددتم لزعمتم أنه دم الناسوت، دون اللاهوت، وللزمكم أن تقولوا: إن المصلوب هو الناسوت دون ابن الله تعالى، لكنكم حققتم أن إلهكم صلب ومات!!. ولئن جاز هذا عليه، ليجوزن على أبيه ـ بزعمكم ـ لأنه على صفة ابنه بل هو هو عند جماعة منكم! فكيف يكون إلهاً قديماً لم يزل من يجوز عليه الموت وعدمت حياته؟ وكيف لم يذب عن نفسه الموت، ولم يقدر على دفعه عنها وإن جاز عليه أن يموت ويكون مع ذلك إلهاً، فما نمنع على هذا أن يكون كل من رأيناه أو سمعنا خبره ـ قديماً ـ لم يزالوا آلهة، وإن كان لهم أب أو ماتوا وفنيت حياتهم وعدمت، وهل يصح أن يبلغ من الجهل الواضح وتجويز قلب الحقائق ودعوى المحال إلا من سقطت مقالته واستحكمت جهالته، وعميت بصيرته. فكيف يكون من هذه حاله يدعو إلى ما هو عليه ويندب إليه!!

---

(١) المصدر نفسه ص٧٩، ٨٠.

وهل يمكن أن يكون من المقالات المستحيلة، أو المخايل المرذولة، أشد فساداً من هذه التلفيقات التي تخجل من يوردها، ولا يكاد يصح تكليف من يجوزها ويعتقدها؟!»[1].

نقض ألوهية المسيح بتجويز المحال عليه:

في الإنجيل أن الشيطان دعى المسيح (الإله) ورغبه في عبادته، وهذا محال على الأنبياء فكيف بالله تعالى الخالق الرازق المدبر؟

قال أبو الوليد: «. . ولكن ليس هذا بأغرق من قولكم: «إن إبليس عرض لعيسى ـ الإله بزعمكم ـ ورقى به أعلى جبل وأراه زهرة الدنيا، وقال له: إن عبدتني ملكتك جميع هذا! فلما سمع المسيح من كيد إبليس اللعين، عاذ من شره، واستجار من فتنته بصيام أربعين يوماً وأربعين ليلة؛ فأمسك إبليس عنه»[2].

فهل لمن جوز هذا على ربه، وأخبر به عنه، مسكة أو بقيت بينه وبين التمسك بالحقائق والديانة نسبة؟! أليس هو الإله الخالق لإبليس والقادر على هلاكه متى شاء، والمالك للأرض والسماوات وما بينهما دون شريك ولا ند.

فكيف يخاف من هذه صفته بعض خلقه أن يفتنه؟ أو كيف تحمل إبليس الأرض أو تضله، وهو يدعو ربه ويدعوه إلى عبادته ويعد أن يثيبه على ذلك، ويملكه زينة الدنيا، وهي ملكه ومن خلقه، وربه يخاف من فتنته ويستجير منه بالصيام؟!»[3].

الإمام المفسر أبو الحكم بن برجان

أما الإمام المفسر أبو الحكم بن برجان فيتكلم على هذا المعتقد لما وردت آية المباهلة ويؤكد بشرية عيسى وعبوديته لله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦١ ـ ٦٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٨٠، ٨١. (٢) سبق عزوه آنفاً.

(٣) رسالة أبي الوليد في الرد على راهب فرنسا، ص٨٨، ٨٩.

فيتكلم هذا بما تقدم ذكره مجاورة ومعنى، أما المعنى مما استصحب ذكره من إثبات عبوديته وخلقته إياه وأنه عبده بمثابة عبودية آدم عليه السلام. قال جل قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤] والذين امتروا في عيسى ﷺ هم اليهود وكذبوه وردوا أمره، ثم النصارى غلوا فيه وقالوا قولاً عظيماً»[١].

ثم ذكر كيفية المباهلة وهي التضرع في فصل الحكم بين المحق والمبطل باللعنة والغضب من الله لمن عبد غيره وكذب أنبياءه، ثم تكلم عن العدل وهو إعطاء كل ذي حق حقه، والعدل في العبودية وإفراد الوحدانية لله وحده لا شريك له.

ويتحدث في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧] بأن اليهود غلوا في اتخاذ عزير ابناً لله والنصارى قالوا أن المسيح ابن الله «باتحاد اللاهوت بالناسوت وأكثرت في ذلك من أنواع الأباطيل لاختلاف مذاهبها في كيفية ذلك بقدر مقصود وعقولها وبصائرها العمية..»

ثم قال: «فصل: الخلق والأبوة لا يجتمعان لموصوف بهما أبداً، إذ الخالق ليس بأب ومخلوقه ليس له ما شاء»[٢].

أبو طالب عبد الجبار

في (منظومته العلمية التاريخية) وتقرير توحيد الألوهية:

وقد سبق التعريف بالمؤلف والمنظومة، وذكر شيء من أبياتها التي ضمنها الرد على النصارى، ومما قاله في هذا النوع من التوحيد:

وانفرد الرب بوحدانيته	فوق النهى والوهم عنا
سبحانه من واحد قدير	بريته مصرف الأزمان والدهور

---

(١) تفسير ابن برجان (مخطوط أندلسي) بلا ترقيم سبق ذكره، عند تفسير قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١].

(٢) المصدر السابق ورقة ٢٠١.

ويقول في موضع آخر بعد جدل علمي وعقلي فيمن ضل في هذا النوع من النصارى وغيرهم:

وللنصارى القول بالتثليث — أفظع به من مذهب خبيث
جل الإله الفرد عن شريك — فهو ذو التقديس والتبريك[1]

ابن عطية

في كتابه: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) وتقرير توحيد الألوهية:

وقد تعرض للرد على النصارى في هذا النوع من التوحيد، وهذا اختصار بعض ما رد به عليهم في قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٦ ـ ١١٨].

وأوضح الإمام ابن عطية أن أهل العلم اختلفوا في من يعود الضمير في قوله: ﴿وَقَالُوا﴾، ومما قيل فيه أن الضمير يعود على النصارى؛ لأنهم قالوا: المسيح ابن الله.

ثم نزه نفسه سبحانه؛ لأن كل هذا ملك الله، والذين قالوا: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ داخل في جملة ما في السماوات والأرض، ولا يكون الولد إلا من جنس الوالد لا من المخلوقات المملوكات.

أما قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾، فقيل: إنهم النصارى المذكورون في الآية[2].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/ج ٢/ ٩٢٢ ـ ٩٢٥.
(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٣٨ ـ ٣٤١.

ذكر الإمام ابن عطية أنها نزلت في اليهود أو أنها نزلت في نصارى نجران، لما أبوا ما دعوا إليه من الملاعنة، ولفظ أهل الكتاب يعمهم.

والكلمة السواء، كما قال أبو العالية: لا إله إلا الله.

اتخاذ الأرباب:

هو على مراتب، أعلاها اعتقادهم فيهم الألوهية، وعبادتهم لهم على ذلك، كعزير وعيسى ابن مريم، وبهذا فسر عكرمة، وأدنى ذلك طاعتهم لأساقفتهم ورؤسائهم في كل ما أمروا به من الكذب والمعاصي والتزامهم طاعتهم شرعاً.

وجاءت الآية بالدعاء لترك ذلك كله ﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] بتصريح مخالفتهم بمخاطبتهم ومواجهتهم بذلك وإشهادهم على معنى التوبيخ والتهديد(١).

وفي قوله: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ﴾ [المائدة: ١٧].

ومما قاله الإمام ابن عطية: أخبر تعالى بكفر النصارى القائلين بأن الله هو المسيح. وهذه فرقة من النصارى، وكل فرقهم على اختلاف أقوالهم يجعل للمسيح عليه السلام حظاً من الألوهية، ثم أخبر تعالى أنه لا راد لإرادة الله تعالى في المسيح ولا في غيره، وهذا مما تقضي العقول معه أن من تنفذ الإرادة فيه ليس بإله.

وقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ١٧] إشارة إلى خلقه المسيح في رحم مريم من غير والد، بل اختراعاً كآدم عليه السلام(٢).

وقد تكررت الآية في السورة ذاتها في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى

(١) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ١١٢ ـ ١١٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٥/ ٦٤.

﴿وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ومما قاله ابن عطية شارحاً الآية: أخبر تعالى أخباراً مؤكداً بلام القسم من كفر القائلين ان الله هو المسيح ابن مريم، وهذا قول اليعقوبية من النصارى(١)، ثم أخبر تعالى عن قول المسيح لهم وتبليغه كيف كان؟ إن الله هو ربه وربهم. بأنه من أشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، فضلوا وكفروا بسبب ما رأوا على يديه من الآيات(٢).

في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

عرف ابن عطية الغلو بأنه: تجاوز الحد.

وقد نهاهم الله عن تجاوز الحد وعبادة البشر على لسان نبيه ﷺ، ونهاهم عن اتباع اليهود الذين ضلوا من قبل(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

مما قاله الإمام ابن عطيه في تفسيرها: «.. وسماهم أرباباً وهم لا يعبدوهم، لكن حيث تلقوا الحلال والحرام من جهتهم، وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله ﷻ، ونحو هذا قال ابن عباس وحذيفة بن اليمان وأبو العالية. وحكى الطبري أن عدي بن حاتم قال: جئت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب ذهب فقال: «يا عدي اطرح هذا الصليب من عنقك»، فسمعته يقرأ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فقلت: يا رسول وكيف ولم نعبدهم؟ فقال: «أليس تستحلون ما أحلوا، وتحرمون ما حرموا»

(١) ويسمون اليوم: بالأرثوذكس.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٥/ ١٦٠، ١٦١.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٥/ ١٦٣، ١٦٤.

قلت: نعم، قال: فذاك[1].

خلاصة:

١ ـ رد عليهم في زعمهم اتخاذ الرب سبحانه الولد.

٢ ـ رد عليهم في اتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله ودعاهم إلى كلمة التوحيد.

٣ ـ رد عليهم في زعمهم أن الله هو المسيح ابن مريم.

٤ ـ أوضح أن غلو النصارى في المسيح سبب ضلالهم.

ابن العربي

في كتابه (أحكام القرآن) وتقرير توحيد الألوهية:

وذلك في سورة النساء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

قال ابن العربي: «هذا ردٌّ على النصارى الذين يقولون: إن عيسى ولد الله، وردٌّ على من يقول أن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

يقول الله ﷻ لهم: إن من نسبتموه إلى ولادة الله تعالى، من آدمي وملك، ليس بممتنع أن يكون عبد لله، فكيف تجعلونه ولداً؟

ولو كان اجتماع العبودية والولادة جائزاً ما كان لله سبحانه في ذلك حجة، وذلك قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٢، ٩٣].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٧/١٦٦، ١٦٨ والحديث أخرجه الترمذي في جامعه ٥/٢٧٨، ٣/٩٥. ٣ كتاب التفسير باب سورة التوبة. والطبراني في المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم ١٧/٨٢، رقم (٢١٨)، تحقيق: د. حمدي السلفي، مكتبة دار العلوم والحكم الموصل ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م. والبيهقي في سننه الكبرى ١٠/ ١١٦، رقم (٢٠١٣٧).

فإن قيل: ما معنى يستنكف في اللغة؟

قلنا: هو يستفعل، من نكفت كذا إذا نحيته، وهو مشهور المعنى.

التقدير لن يتنحى من ذلك، ولا يبعد عنه، ولا يمتنع منه»[1].

وفي كتابه: «أحكام الآخرة والكشف عن أسرارها الباهرة»: يذكر اعتذار عيسى عليه السلام عن تأليهه من قبل اتباعه، كما يسأله ربه «أين عيسى ابن مريم؟ فيؤتى به على دأب المرسلين، فيقول: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فيقول من تمجيده ما شاء الله ويثني عليه كثيراً، ثم يعطف على نفسه بالذم والاحتقار، فيقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] فيضحك الله سبحانه ويقول: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٩] صدقت يا عيسى ارجع إلى منبرك واتل الإنجيل..»[2].

الغلو سبب الضلال:

وقد أورد الإمام ابن العربي عند قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

مسائل عدة منها: «المسألة الأولى:

نهى الله سبحانه أهل الكتاب عن الغلو في الدين من طريقته في التوحيد وفي العمل، فغلوهم في التوحيد نسبتهم له الولد سبحانه، وغلوهم في العمل ما ابتدعوه من الرهبانية في التحليل والتحريم والعبادة والتكليف..»[3].

---

(١) أحكام القرآن ١/ ٦٥١، ٦٥٢.

(٢) أحكام الآخرة والكشف عن أسرارها الباهرة، ص٣٧ مخطوط مصور عن الخزانة العامة بالرباط.

(٣) أحكام القرآن ٢/ ١٤١، يضاف إلى الغلو في أسباب انحراف وضلال النصارى ما ذكره ابن تيمية أن لذلك ثلاثة أشياء: أولها: ألفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء، ثانياً: خوارق ظنوها آيات وهي من أحوال الشياطين، ثالثاً: أخبار منقولة ظنوها صدقاً وهي كذب. انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٣١٥.

ومن غلو النصارى ما قصه الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠].

وقد أورد الإمام ابن العربي مسائل في شرح الآية منها: أن من أخبر عن كفر غيره لا حرج عليه؛ لأنه إنما ينطقه على معنى الاستعظام له والرد عليه.

ومنها أن فائدة قوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ أنه قول باطل لا يتجاوز الفم؛ لأنه لا يعلم باضطرار، ولا يقوم عليه برهان[1].

نقض ألوهية الأحبار والرهبان:

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

قال ابن العربي: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: «الحبر»: هو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه، ومنه ثوب محبر؛ أي جمع الزينة. «والراهب: هو من الرهبة: الذي حمله خوف الله على أن يخلص إليه النية دون الناس، ويجعل زمانه له، وعمله معه، وأنسه به.

المسألة الثانية: قوله ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

روى الترمذي وغيره، عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «ما هذا يا عدي؟ اخرج عنك هذا الوثن». وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»[2].

وفيه دليل على أن التحريم والتحليل لله وحده، وهذا مثل قوله: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩] بل يجعلون التحريم لغيره[3].

---

(١) انظر: أحكام القرآن ٢/ ٤٨٣. (٢) سبق تخريجه، ص٢٠٤.

(٣) انظر: أحكام القرآن ٢/ ٤٨٤، ٤٨٥.

خلاصة:

يتلخص رد الإمام ابن العربي في نقاط:

١ - رد ابن العربي على النصارى - مستدلاً بآيات القرآن الكريم - في نقض ألوهية المسيح.

٢ - بين أن الغلو في المسيح هو سبب ضلال النصارى وشركهم بالله.

٣ - بين أن من شرع وأحل وحرم فقد عبد من دون الله، وهذا رد على النصارى وأحبارهم ورهبانهم.

أبو عبيدة الخزرجي

في كتابه: (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان) وتقرير توحيد الألوهية

ابتدأ القسيس رسالته إلى الفتى الخزرجي بادعائه الألوهية للمسيح عليه السلام[١] وأنه الله خالق السماوات والأرض[٢].

وقد أسهب الخزرجي في الرد على ضلالهم وشركهم في توحيد الألوهية، وبعد القراءة والإطلاع يمكن إجمال رده في ثلاثة أنواع:

نقض ألوهية المسيح عقلاً:

قال أبو عبيده: «أخبرني أيها الجاعل إلهه المسيح من حيث هو روح الله روح، لم تظلم آدم؟. وأنتم تقولون وتوافقون: أن الله تعالى نفخ فيه من روح بعد أن سواه من تراب وتقولون: إن المسيح نفخة من روح الله في رجل سواه الله تعالى من لحمة مريم، المتخذة من آدم، فلحمه إذن بمنزلة ترابه، ونفخه من روح الله، بمنزلة نفخة من روح الله»[٣].

---

(١) انظر: رسالة القسيس لأبي عبيدة، ص٥٩ في كتاب مقامع الصلبان.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٧٣.

(٣) هذا الاستدلال العقلي أخذه الخزرجي من قول ربنا العلي: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩].

فلماذا أوجبت الألوهية لعيسى ولم توجبها لآدم، وأنت تقر له بروح من الله في حجاب من تراب؟

ما أزين بك أن تقول: إن الله خلق عيسى وأمه آية للناس عبداً ورسولاً، وهي صديقة مباركة، وكانا يأكلان الطعام. وأكل الطعام هنا كناية عن التغوط، وقد كان يجب لله تعالى لو سبق في حكمه أن يكون إنساناً وينزل لمقابلة عباده ـ كما زعمت ـ أن يمتنع عن التغوط، إذ هو دنية ابتلي بها آدم وبنيه، مبينة لنقصهم واحتقارهم[1].

وهو تعالى المختص بالكمال الموصوف بالعظمة والجلال، فلا يليق به تلك الدنية ولا نعلم في فرق ملتكم من يقول: إن عيسى لم يكن يتغوط، ولا يبول.

حاشى الله أن يحقر خلقاً له بدنية، يراها أخس الآدميين عاراً على نفسه، ثم يتشبه بعبيده فيها، بل كان يتركها دون غيرها من صفات الإنسانية.

أليس من الواضح عند ذوي العقول أنه لما لم يلزم من عدم الأب والأم البشريين. لآدم عليه السلام، أن يكون ابناً له تعالى. ولما لم يبعد خلق آدم من التراب، لم يبعد أيضاً خلق عيسى عليه السلام من الدم الذي كان يجتمع في رحم أمه عليها السلام.

فلو أنصفت وطلبت الحق، لعلمت أن ذلك من البيان، ما يبلغ إلى الغاية القصوى، في تحصيل المرام عن هذه المسألة، ولكنك قد اتخذت التقليد دليلاً على عدم النظر والتأمل في الأمور مذهباً، فلا حول ولا قوة إلا بالله[2].

دليل عقلي آخر:

قال الخزرجي: «لا جرم أنه لو سبق في حكم الله، أن يباشر خلقه، مثل

---

(١) هذا الرد العقلي أخذه ـ والله أعلم ـ من قول الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥].

(٢) مقامع الصلبان، ص١٣٠، ١٦٩.

المباشرة التي ذكرتها؛ لأنبأت بذلك التوراة والأنبياء تصريحاً، لا كناية وألغازاً.

ولجل ذلك عن الأفكار، ولعظم في الأوهام، وانتظرته الأمم بأشد أسباب الانتظار»[1].

وقال في موضع آخر: «أخبرني أيها المغرور عمن كان إلهاً تاماً - كما تصفون - كيف تلحقه الزيادة، ويدركه النقصان، أو تأخذه الآفات؟»[2].

دليل عقلي آخر:

في مفاضلة وموازنة بين شرك العرب قبل الإسلام والنبوة وبين شرك النصارى بعد نبوة عيسى عليه السلام فيقول:

«ولعمري إن العرب عبدة الأوثان - الذين بعث فيهم سيد النبيين والمرسلين ﷺ - كانوا أشد الكفار عبادة للأوثان، وأشنعهم إلحاداً، ورغم هذا فقد اتقوا مثل ما أنتم عليه حين قالوا عن أوثانهم وأصنامهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

فكأنهم نزهوا الله تعالى، إلا أنهم جعلوا واسطة بينهم وبينه جهلاً منهم.

ما أبين فضل هؤلاء على من اعتقد أن الله تبارك وتعالى، نزل من السماء عن كرسي عظمته، ودخل في امرأة، وأقام يتخبط تسعة أشهر في بحر من بول ودم وطمث، ثم خرج بعد ذلك إلى لطم اليهود خديه وصفعهم في قفاه..»[3].

رد عقلي آخر:

قال أبو عبيدة: «أجمعت اليهود على أنه ما ادعى شيئاً من الألوهية، التي نسبتم إليه ادعاءها، ولا محالة أن مرادهم أن يدَّعي ذلك، ليكون أبلغ في التشنيع عليه، فقد ذكروا السبب في استفاضة ذلك - أي التشنيع عليه - فقالوا:

---

(١) المصدر السابق، ص١٤٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥٠.
(٣) مقامع الصلبان، ص١٥٢، ١٥٣.

إن أحبارهم آثروا ما مضى، وبقي ذكره. ولذا خافوا أن تصير عامتهم إليه، إذ كان على سنن تقرب من سنتهم، فشنعوا عليه أموراً كثيرة، منها: نسبوا إليه دعوى الألوهية تزهيداً للناس في أمره.

ثم إن اليهود عندهم من الاختلاف في أمره ما يدل على عدم يقينهم بشيء

من أخباره[١]. يظهر في هذا الاستدلال العقلي بعض التناقض. ولكن المؤلف أراد ـ والله أعلم ـ بالشق الأول الإخبار عن اليهود المتقدمين المعاصرين للمسيح، وبالشق الثاني من الاستدلال عن اليهود المعاصرين له.

رد عقلي آخر:

وكان هذا الرد في خاتمة الكتاب. وهي خاتمة مكونة من شقين:

الأول: خاطب فيها الراهب موبخاً مبكتاً له.. وبعد أيها المغرور: إنكم قلتم جميعاً ـ على اختلافكم وتنازعكم ـ: إنه إنسان حمل به تسعة أشهر، وولد، وختن، وأرضع، ونما ومشى وأكل، وجاع، وعطش، وغاط، وبال ونام. وصلب ودفن، وأنه صاح عن الموت.. إلخ، وهذه كلها صفات إنسان مهين لا إله قوي متين. ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة، ويتلقاكم بالهداية، فهو فعال لما يريد.

الثانية: أنكم ـ على اختلافكم ـ زعمتم أن المسيح هو الله تعالى، وإنما نزل إلى الأرض ليخلص العالم من خطيئة آدم وينصركم على اليهود، ويشرق في سماء مجدكم شمس العود.

فما الذي أوجب نزوله عن مجده الرفيع، وعزه المنيع، إلى حضيض الآفات، مقر الملومات؟.. إلخ[٢].

ثم ختم بضرب مثل: أن لو كان إنسان يعيش ببعض الجزائر، وقيل له هذا المعتقد، فماذا عساه أن يفعل. إلا أن يربأ بنفسه عن إله ركبته الآفات،

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٣٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٩٥، ٢٩٦.

لسلامته هو منها!!. ثم دعا بالهداية إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

نقض ألوهية المسيح بنصوص الإنجيل:

ومما أطال فيه الخزرجي ـ لرد مزاعم النصارى في ألوهية المسيح ـ أن رد عليهم بنصوص إنجيلهم التي تثبت نبوة عيسى وبشريته، ومن ذلك قوله:

«أخبرني أيها المسكين: متى ادعى عيسى ﷺ الألوهية تصريحاً؟ أو متى ذكر الأقانيم التي تقولونها توضيحاً؟

ألم تقرأ في إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسى، أنه قال حين خرج من السامرة[1] ولحق بالجليل[2]: أنه «لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه»[3].

وحسبك هذا أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة.

نص آخر:

«وفي الإنجيل أن عيسى قال لتلاميذه: لا تسبوا أباكم على الأرض، فإن أباكم الذي في السماء وحده، ولا تدعوا معلمين، فإن معلمكم المسيح وحده»[4].

فقوله: ولا تسبوا أباكم على الأرض معناه: لا تقولوا إنه على الأرض، ولكنه في السماء، ثم أنزل نفسه حيث أنزله الله تعالى وقال: ولا تدعوا

---

(١) السامرة: قبيلة من قبائل بني إسرائيل، إليهم نسب السامري، قال الزجاج: وهم إلى هذه الغاية بالشام يعرفون بالسامريين. وهم طائفة من اليهود متشددون في دينهم. انظر: المطلع على أبواب المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، ص٢٢٢، تحقيق: محمد بشير الإدلبي، المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م بيروت، لسان العرب ٤/ ٣٨٠.

(٢) الجليل: بالفتح ثم الكسر، جبل الجليل في ساحل الشام ممتد من حمص، وقيل إنه منزل نوح ﷺ، وأنه بها فار التنور، وهو قرب دمشق أيضاً من أعمال صيداء وبيروت من ساحل دمشق. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٥٨ قلت: وهي مدينة محتلة بأيدي اليهود بفلسطين، فك الله أسرها.

(٣) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٤/ ٤٣ ـ ٤٥ بلفظ مقارب.

(٤) إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٧/ فقرات عدة ١ ـ ٢٦ بالمعنى.

معلمين، فإن معلمكم المسيح وحده. فها هو ذا قد سمى نفسه معلماً في الأرض لهم، وشهد أن إلههم في السماء واحد[1].

نص آخر:

وفي الإنجيل ليوحنا أن عيسى قال لليهود: «لست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئاً، لكنني أحكم بما أسمع؛ لأنني لست أنفذ إرادتي، بل إرادة الذي بعثني»[2].

وفي الإنجيل ليوحنا أيضاً أنه أعلن صوته في البيت وقال لليهود: «قد عرفتموني في موضعي ولم آت من ذاتي، ولكن بعثني الحق، وأنتم تجهلونه»[3] فها هو ذا قد جعل نفسه وموضعه معلومين عند اليهود، وجعل الله عندهم مجهولاً، وقال: إنه لم يأت من ذاته ولكن الله قد بعثه. فما زادني دعواه شيئاً على ما ادعاه من الأنبياء ﷺ»[4].

نص آخر:

قال الخزرجي: «وفي الإنجيل أيضاً: أنه كان عيسى يوماً في اسطوان سليمان فأحاطت به اليهود. فقالت له: إلى متى تخفي أمرك؟ إن كنت المسيح الذي ننتظره فأعلمنا بذلك»[5].

ولم يقولوا: إن كنت الله؛ لأنهم لم يعلموا من دعواه ذلك، ولا اختلاف عند اليهود أن الذي انتظروه هو إنسان نبي، ليس بإنسان إله كما تزعمون»[6].

نص آخر: بتعقيب عقلي عليه:

قال أبو عبيدة: «وفي الإنجيل أن أم ابني زبدى جاءت إلى عيسى، ومعها ابناها فقال: ما تريدين؟ فقالت: أريد أن يجلس ولدي: أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك إذا جلست في ملكك.

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص١٣١، ١٣٢.
(٢) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح: ٥/ ٣٠ بلفظ مقارب.
(٣) يوحنا الإصحاح: ٧/ ٢٨ بلفظ مقارب.
(٤) مقامع الصلبان، ص١٣٣.
(٥) راجع يوحنا الإصحاح: ١٠/ ٢٤.
(٦) مقامع الصلبان، ص١٣٤.

فقال: تجهلين السؤال. أيصبران على الكأس الذي أشرب؟ فقالا: نصبر.

فقال: سيشربان بكأس، وليس تجليسكما عن يميني، ولا عن شمالي إلا من وهب ذلك إلي»[1].

فها هو ذا عيسى قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء.

ومن أعجب الأشياء، التماس بعضكم تأويلاً لهذه المقالات الشنيعة. فتنتقلون من الفلسفة تارة، ومن العلوم الروحانية أخرى حين لا تجدون لنصوصكم مخرجاً شرعياً. وايم الله ما يعلم في معمور الأرض ديانة يتشرع بها إنسان تضاد الفلسفات والعقليات التي ادعيتم تجويز محالاتكم عليها مثل ملتكم»[2].

نقض ألوهية المسيح بنصوص القرآن:

وقد اعتمد الخزرجي على هذا النوع من الأدلة لرد ألوهية المسيح وهو كثير ومن ذلك قوله شارحاً الآية الكريمة: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

قال: «وتبرأنا من قومٍ غدو فيه على طرفي نقيض: مفتون به ضال، وظالم بغيض وهما في عمى بصائرهما سيان، ولدى حلبة الكفر فرسا رهان.

أما المفتونون به الضالون فقد أوقفوا أنفسهم في خطيئة ذي شقين يستحيل غفرانها:

الأول: الإشراك بعبادة الله غيره (غير الله).

الثاني: أنهم أوردوا عيسى بغلوهم فيه مورداً يعتذر عند الله منه يوم الحشر بين يديه، إذ يقول له، وهو تبارك وتعالى أعلم:

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي

---

(١) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٢٠/٢٠ ـ ٢٣ بلفظ مقارب.

(٢) مقامع الصلبان، ص١٥١، ١٥٢.

أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

أما من أبغضه، أو سبه ولعنه، فإنما أوردوه بفعلهم مورداً يكون الله حسيبهم فيه، والقائم دونه يأخذ حقه منهم»[(١)].

نص قرآني آخر:

وحول عقيدة النصارى في ألوهية عيسى وتمسك النصارى بها وجدالهم للنبي ﷺ، قال الخزرجي: «وقد دعا سيد المرسلين محمد ﷺ أربابكم إلى المباهلة حين أنزل الله عليه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦١].

فجزعوا لذلك، وأبوا عليه، فأوعدهم عليه الصلاة والسلام لو باهلوا باضطرام ذلك الوادي ناراً عليهم[(٢)]، فتخوفوا نقمة الله تعالى حين يظهر كرامته عليهم وجاهه لديه، وإلا فلم يجيبوه حينئذ ويتباهلوا، ولا يحترقون كما أوعدهم، فيكون في ذلك عليه ما لا يخفى»[(٣)].

نص قرآني آخر:

وهو رد عقلي شرعي يبين فساد هذا المعتقد، وفساد السماوات والأرض لو كان لها آلهة. وهذا الدليل يسمى دليل التمانع.

قال أبو عبيدة الخزرجي: «أما تعلم أيها المغرور أنه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

---

(١) مقامع الصلبان، ص١٢٨، ١٢٩.

(٢) انظر: ما رواه البخاري ٤/ ١٥٩٢، رقم (٤١١٩)، باب قصة أهل نجران، وأحمد في مسنده ١/ ٤١٤، رقم (٣٩٣٠)، والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٩٩، رقم (٥١٦٢)، ذكر مناقب أبي عبيدة بن الجراح.

(٣) مقامع الصلبان، ص١٤١.

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١][1].

خلاصة:

١ ـ نقض المؤلف ألوهية المسيح بردود عقلية عدة منها:

ضرب المثل ببشرية آدم ومثله فيها عيسى ﷺ، ومن ذلك مفاضلة وموازنة عقلية بين شرك العرب وشرك النصارى ومقالة كل فريق.

٢ ـ نقض ألوهية المسيح بنصوص الإنجيل وعلق عليها.

٣ ـ نقض ألوهية المسيح بنصوص القرآن وعلق عليها.

الإمام القرطبي

في كتابه: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) وتقرير توحيد الألوهية:

في كتاب الإمام القرطبي الحبر الكبير الذي أحسن في رده وحبره أيما تحبير، حمل بين دفتيه من أنواع الجدل والمحاورة والمناظرة الكثير الكثير. ومن ذلك ما كتبه في ألوهية ربنا الكبير:

رد عقلي لألوهية المسيح:

كان السبب الرئيس لتأليف القرطبي كتابه النفيس؛ الرد على صاحب كتاب «تثليث الوحدانية»، ومن مزالقه المهلكة، ادعاءه ألوهية المسيح، وألوهية الله تعالى، ومما سطره قوله: «. . وأمرنا بحمده فنحن نحمده ونشكره ونعظمه، بمثل تعارفنا في الحمد والشكر»[2].

قال القرطبي: «وأما قوله ـ وذَكَره ـ فكلام يدور على اللسان، ولم يستقر لك شيء منه بالجنان. وكيف يحمد الله من ينتقصه؟ وكيف يشكره من يكفره؟

وهل الحمد والنقصان، والشكر والكفران، إلا أمران متناقضان؟

---

(١) مقامع الصلبان، ص١٧٩.

(٢) الإعلام ١/ ٥٠.

بيان ذلك: أنكم تجعلون لله ما تكرهون لأنفسكم، وتنتقصون به أبناء جنسكم. ها أنتم تكرهون لرهبانكم وأقستكم اتخاذ الزوجة والولد، لئلا يتلطخ برذيلة مجرى البول ودم الحيض أو تتشبه نسبة الزوجة والولد.

ثم أنكم بجهالتكم تزعمون: أن اللاهوت تدرع بناسوت المسيح، وسكن في ظلمة الرحم مدة ثم خرج على مجرى البول، ودم الحيض، وتعلقت نسبة الولد والزوجة.

وأنتم تجعلون لله ما تكرهون، وتصف ألسنتكم الكذب، لا جرم أن لكم النار وأنكم مفرطون. وكيف يعظمه من يعبد غيره، ويعظم سواه، ويخالفه في أمره، ويرتكب ما عصاه؟

وها أنتم قد اتخذتم المسيح إلهاً، أو شطر إله، وعبدتم من الله غيره، وعظمتم سواه، وخالفتم في ذلك قول المسيح عليه السلام، وعصيتم أمر خالقه ومرسله ذي الجلال والإكرام...»[1].

رد عقلي آخر:

زعم النصراني في «تثليث الوحدانية» أن المسلمين كفروا النصارى بسبب جعلهم واسطة وهذه الواسطة هي الكلمة أو الصدى المخلوق، الذي خاطب موسى بلفظ الألوهية.

قال القرطبي: «وأما قولك: «إنما أوجبتم علينا الشرك في قولنا بواسطة، فإذن الحق والعقل لا يعيب الواسط». فلتعلم أنا لم نوجب عليك الشرك من حيث الواسط فقط، بل من حيث أثبت واسطاً إلهياً، وذلك أنك زعمت أن الصدى قال لموسى مخبراً عن نفسه: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤] واعترف له موسى بالربوبية، وتحمل عنه الرسالة، وعبده وسجد له. فهذا إثبات إله غير الله، وكذلك قلتم في المسيح أنه قال: «أنا الله» واعترف الحواريون له بالربوبية، فهذان إلهان. ثم إن الأقانيم ثلاثة آلهة، فصارت آلهتكم خمسة.

---

(١) الإعلام ١/٥٠.

فيا ليت شعري هذه الآلهة الخمسة هل اشتركوا في إيجاد الموجودات، واختراع الكائنات، أو انفرد بها أحدهم؟

فإن كان قد انفرد بها أحدهم فهو الإله الحق الواحد الفرد، وإن كانوا قد اشتركوا وتعاونوا على خلق المخلوقات فلا معنى للشرك إلا هذا، ويلزم على تقدير اجتماعهم وتوافقهم على الخلق: أن يكون كل واحد منهم مضطراً إلى مساعدة الآخر، وكل مضطر ناقص والناقص ليس بإله»[1].

دليل التمانع: (عقلي):

وقال في ذات الموضع: «وإن قدرنا اختلافهم في الخلق بحيث يريد أحدهم أن يخلق، فيؤدي ذلك إلى أن لا يخلق أحدهم شيئاً فلا يوجد الخلق. وقد وجد الخلق، فدل ذلك على أن الإله واحد لا شريك له. ولا إله غيره»[2].

دليل عقلي آخر «خلق عيسى كخلق آدم»:

قال القرطبي: «وأما من استدل على ذلك (الألوهية) بأنه خلق من غير أب. فيلزمه أن يعترف لآدم بالألوهية، فإنه لم يخلق من نطفة أب، بل إنما خلق من تربة ومن ثم نفخ فيه من روحه. كما فعل بعيسى، خلقه من نفخة الملك فعلقت بلحمة مريم، فنشأ منها وفيها، فترابه بمنزلة لحمه، ونفخه بمثابة نفخه، وهذا ما لا مخلص منه، ولا خروج عنه.. بل لو أمكن لأحد أن يقول: إن بشراً يتصور أن يكون إلهاً لكونه من غير أب. لكان آدم أولى بذلك من حيث أنه لم تشتمل عليه أوضار الرحم، فقد شارك المسيح في كونه من غير أب، وزاد عليه أنه من غير أم، لم يتكون في ظلمة الرحم، ولم يتلطخ بدم الطمث، ولا خرج من مجرى البول... ولم يختلف أحد في أن آدم مخلوق من غير أبوين.. ثم نقول للمستدل بما تقدم: يلزمك على استدلال أن تكون حواء أم البشر إلهاً، فإنها لم تخلق من أبوين، ولا من نطفة، وإنما

---

(١) الإعلام ١/١٢١.

(٢) المصدر السابق ١/٢١، ١٢٢.

خلقها الله من ضلع من أضلاع آدم»[1].

نقض ألوهية المسيح بنصوص الإنجيل:

وهذا النوع من الاستدلال حجة دامغة لأرباب العقول الفارغة، وهو كثير في كلام إمامنا القرطبي، ومنه قوله: «وأنتم تقرأون في كتبكم عن أشعياء عليه السلام: «هذا غلامي المصطفى، وحبيبي الذي ارتضت به نفسي»[2]، وكذلك تقرأون في إنجيل ماركس (مرقس) أن المسيح قال للعالم الذي سأله عن أول العهود: إن السيد إلهك، إله واحد، وذكر كلاماً، فقال له العالم: «قلت الحق يا معلم، إن الله وحده ولا إله غيره»[3].

فالله تعالى يقول عن المسيح: «هو غلامي»، وأنتم تقولون: «هو ولدك». والمسيح يقول: «لا إله إلا الله». وأنتم تقولون: «أنت إله آخر» فتعالى الله عما تقولون، وسبحانه عما تصفون»[4].

نص آخر:

قال القرطبي: «وهذا إنجيل متاؤوش (متى) يشهد عليكم بخلاف ما إليه صرتم. فإن فيه أن المسيح قال لإبليس حين رام خديعته: «قد صار مكتوباً أن تعبد السيد إلهك، وتخدمه وحده»[5].

وأنتم تعبدون غير الله، وتسجدون لسواه، تتحكمون في ذلك بأهوائكم، وتخالفون قول أنبيائكم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] وتقولون بالعظائم على الله»[6].

تصحيح مغلطه:

قال المصنف في سياق رده على النصراني: «وأما قولك: «إن عيسى عليه السلام قال: «أنا الله»، وإن الحواريين صدقوه في ذلك». فكذب صراح وإفكٌ بواح.

---

(١) المصدر السابق ١/١٣٦، ١٣٧.

(٢) انظر: أشعياء ٤٢: ١ بلفظ «هو ذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سُرت به نفسي».

(٣) انظر: إنجيل مرقس الإصحاح ١٢/٢٨ ـ ٣٤ بلفظ مقارب.

(٤) الإعلام ١/٥٠، ٥١.

(٥) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٤/١٠.

(٦) الإعلام ١/٥١.

فإنهم لم يوردوا عنه ﷺ في ذلك أقوال بوجه صحيح، ولا بنص صريح، بل الذي صح منه، ونقل بالتواتر عنه أنه كان يقول: «اعبدوا الله الذي لا إله إلا هو» وأناجيلكم تشهد بذلك عليكم»[1].

نقض ألوهية المسيح بنصوص القرآن:

مما رد به على النصارى ـ وله صلة بالكلام الآنف ـ قوله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧] وذلك لما زعموا أن المسيح أمرهم بعبادته هو من دون الله[2].

وقال: «ومن اطلع على أناجيلكم علم على القطع أن عيسى ﷺ بريء مما تدعونه به، وتنسبونه إليه، وستلقونه بين يدي الله في الوقت الذي يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فيتبرأ من ذلك القول، فيقول: ﴿سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧][3].

نص آخر:

ألزم الإمام القرطبي ـ فيما مضى ـ النصراني بأن آلهته خمسة، والواسطة أحدها. وقد زعم النصراني: «أن العقل والحق لا يعيب الواسط» والواسط هذا بزعمه هو الصدى أو الكلمة.

قال: «أما من قال هذا، فقد خرج عن غريزة العقل، وتارة وقع في مفازة الجهل فإن العقل الصريح يشهد بضرورته بإبطال الواسطة.

وأما ما الحق فهذه كتب الأنبياء بين أيدينا وأيديكم، ففي أي كتاب منها: أن الآلهة خمسة؟ إنها تدل كلها على أن الإله واحد، ولا ولد له، ولا والد ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ

---

(١) الإعلام ١/ ١٢٠.

(٢) الإعلام ١/ ١٠٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٠١.

ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٢، ٩٣] وستقدم فتعلم»[١].

نص آخر:

نقض به ألوهية المسيح، من قول ربنا ﷻ بلسان عربي فصيح، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١][٢].

نقض ألوهية المسيح بعبادته وخضوعه لله:

ما المسيح إلا عبد الله ورسوله، أرسله تعالى ليبلغ توحيد الله لعباد الله. وكان المسيح ﷺ من أعبد الناس لربه تعالى ـ كما قص القرآن ذلك، وقصه الإنجيل ـ والمؤلف يرحمه الله يستدل بهذا النوع من الأدلة رداً على من غلا في المسيح وزعم أنه رب العالمين، ويبين أنه عابد وعبد، ومن كان كذلك فليس بإله.

قال القرطبي: «... ويقول لكم: «إذا صليتم فقولوا: يا أبانا السماوي، تقدس اسمك، وقرب ملكك»[٣].

نص آخر:

ويقول لإبليس: «إنما أن تعبد السيد إلهك وحده»[٤].

نص ثالث:

ويقول حين قرب رفعه، وأعلمه الله به: «سيلقى ابن الإنسان ما كتب له»[٥]، يعني نفسه ثم تقدم وسجد على الأرض، ودعى أن يزاح عنه ما هو فيه وقال:

---

(١) الإعلام ١/١٢٢.

(٢) المصدر السابق ١/١٣٨.

(٣) إنجيل متى الإصحاح ٦/٩ ـ ١١.

(٤) إنجيل متى الإصحاح ٤/ ١٠ بلفظ مقارب.

(٥) إنجيل متى الإصحاح ٢٤/٢٦ بلفظ مقارب.

نص رابع:

«يا أبتاه إنك قادر على جميع الأشياء فرج عني هذه الكأس»[1].

نص خامس:

وقال في إنجيل لوقا: «يا أبتاه إن كانت هذه الكأس، لا تقدر تجاوزني حتى أشربها، فلتكن إرادتك»[2].

ومن اطلع على أناجيلكم علم على القطع أن عيسى ﷺ بريء مما تدعونه به وتنسبونه إليه...»[3].

وقال في موضع آخر موضحاً وداحضاً حجج النصارى: «ثم نقول لهم: كيف ينبغي لكم أن تقولوا هذه الأفعال العجيبة تدل على أنه: لاهوت، وأنتم تعزون في كتبكم أن عيسى كان إذا أراد أن يفعل شيئاً مما ذكر تضرع إلى الله، ورغب إليه بخضوع وتذلل حتى يقضي الله حاجته. وهذا موجود في كتبكم. كثيراً فيها».

نص آخر:

قال: وكفى دليلاً على نفي ما ينسبونه إليه قوله حين صلبه بزعمكم: «إلهي إلهي لم أسلمتني»[4] وقوله قبل ذلك، يا أبتاه إن كانت هذه الكأس لا تقدر تجاوزني حتى أشربها، فلتكن إرادتك. وهذا كله في سجوده.

وقال بعد إيراد نصوص أخرى: فهذا كله يدل دلالة لا شك فيها أنه كان يفعل ما يفعل بإذن الله، إذا أراده وأقدره عليه.

وأنه إنما كان يتفق له ذلك، بعد أن يتضرع ويرغب لله تعالى»[5].

خلاصة:

تنوعت ردود الإمام القرطبي على النصارى في إشراكهم بالله تعالى في توحيد الألوهية وأهمها:

---

(١) إنجيل متى الإصحاح ٣٩/٢٦ بلفظ مقارب.

(٢) انظر: إنجيل لوقا الإصحاح ٤٢/٢٢ بلفظ مقارب.

(٣) انظر: الإعلام ١/ ١٠٠، ١٠١.

(٤) إنجيل متى الإصحاح: ٤٦/٢٧.

(٥) انظر: الإعلام ٢/ ١٣٤.

١ ـ ردود عقلية لألوهية المسيح.

٢ ـ نقض ألوهية المسيح بنصوص الإنجيل.

٣ ـ نقض ألوهية المسيح بنصوص القرآن.

٤ ـ نقض ألوهية المسيح بعبادته وخضوعه لله تعالى.

الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

في تفسيره: (الجامع لأحكام القرآن) وتقرير توحيد الألوهية:

تناول الإمام القرطبي في تفسيره آيات التوحيد بالتقرير والبيان والتفصيل ـ على كثرتها في كتاب الله ـ لا سيما التي جاءت في الرد على النصارى ومنها: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [البقرة: ١١٦].

دليل عقلي:

لا يكون الولد إلا من جنس الوالد، فكيف يكون للحق سبحانه أن يتخذ ولداً من مخلوقاته، وهو لا يشبهه شيء، والولديّة تقتضي الجنسية والحدوث، والقدم يقتضي الوحدانية والثبوت، فهو سبحانه القديم الأزلي[1]، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. ثم إن البنوة تنافي الرق والعبودية. فكيف يكون ولد عبداً؟ هذا محال، وما أدى إلى المحال محال[2].

ـ في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] الغلو: مجاوزة الحد.

---

(١) القديم الأزلي: ليست من أسماء الله تعالى، ولقد كره علماء أهل السنة والجماعة التكلم بها، والأولى، أن يسمى الأول والآخر كما سمى نفسه، وقد سبق التنبيه على ذلك آنفاً، ولعله استخدمها هنا في مجال الإفهام والإفحام؛ لإثبات توحيد رب الأنام.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٨٥.

والنهي هنا لغلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلوا النصارى فيه حتى جعلوه رباً.

وفي قوله: ﴿عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ دلّ على أن من كان منسوباً بوالدته فكيف يكون إلهاً، وحق الإله أن يكون قديماً لا محدثاً[1].

ومما تعلق به النصارى وتمسكوا به لإثبات ألوهية عيسى، ما كان يجري على يديه من المعجزات وخوارق العادات، وقالوا: قد علمنا خروج هذه الأمور عن مقدور البشر، فينبغي أن يكون المقتدر عليها موصوفاً بالإلهية.

فيقال لهم: لو كان ذلك من مقدوراته مستقلاً به، كان تخليص نفسه من أعدائه ودفع شرهم عنه من مقدوراته. فإن اعترف النصارى بذلك فقد سقط قولهم أنه كان يفعلها مستقلاً به.

وإن لم يسلموا ذلك فلا حجة لهم لأنهم معارضون بالأنبياء بموسى عليه السلام وما جرى على يديه من الأمور العظام[2].

- في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٣٠].

«قيل: كان عيسى يرضع، فلما سمع كلامهم ترك الرضاعة، وأقبل عليهم بوجهه، واتكأ على يساره، وأشار إليهم بسبابته اليمنى، وقال إني عبد الله، فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله وربوبيته، رداً على من غلا من بعده في شأنه»[3].

خلاصة:

تضمن الرد عليهم في شركهم في توحيد الألوهية، وأوضح أن سبب الشرك غلوهم في المسيح.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/٢١. (٢) انظر: المصدر السابق ٦/٢٣، ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/١٠٢.

(التسهيل) و (البحر المحيط) وتقرير توحيد الألوهية:

- في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)﴾ [البقرة: ١١٦].

قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقالت الصابئة[١] وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيه له عن قولهم ﴿بَل لَّهُ﴾، الآية ردٌّ عليهم؛ لأن الكل له، والعبودية تنافي النبوة[٢].

غلو النصارى:

- في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

«هذا خطاب للنصارى لأنهم غلوا في عيسى حتى كفروا، فلفظ أهل الكتاب عموم يراد به الخصوص بدليل ما بعد ذلك، والغلو هو الإفراط وتجاوز الحد»[٣].

عبودية المسيح:

- في قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] أي لن يأنف عيسى من عبوديته لله، أو الملائكة، فيه دليل لمن قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لأن المعنى لن يستنكف عيسى ومن فوقه[٤].

---

(١) الصابئة: فئة زاغت عن منهج الأنبياء، ومدار مذهبهم التعصب للروحانيين والقول بالاكتساب وإثبات تأثير الهياكل والأفلاك في الكون من دون الله، وهم فلاسفة مشركون بالله وأنبيائه وكتبه. انظر: الملل والنحل، محمد عبد الكريم الشهرستاني، ١/ ٥ ـ ٤٥، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ. منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية، لابن تيمية ٢/ ٣٥٩، ٤٤٦، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٥٨، البحر المحيط ١/ ٣٦٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٦٥.

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٦٥.

- في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

«الآية رد على النصارى وتكذيب لهم: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام المسيح أو من كلام الله.

دليل عقلي:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥].

الآية رد على من جعله إلهاً، «وأمه صديقة» ووصفها بهذه الصفة دون النبوة يدفع من قال: إنها نبية. ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ استدلال على أنهما ليسا بإلهين لاحتياجهما إلى الغذاء الذي لا يحتاج إليه إلا محدث مفتقر، ومن كان كذلك فليس بإله؛ لأن الإله منزه عن صفة الحدوث، وعن كل ما يلحق البشر، وقيل: إن قوله يأكلان الطعام: عبارة عن الاحتياج إلى الغائط»[1].

- أما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] الآية.

قال ابن عباس والجمهور: هذا القول يكون من الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، يرى الكفار تبرئة عيسى مما نسبوه إليه، ويعلمون أنهم كانوا على باطل.

وقال السدي: لما رفع الله عيسى إليه قالت النصارى ما قالوا، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك، وسأل الله حينئذ عن ذلك، فقال: سبحانك الآية. ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ [المائدة: ١١٦] نفي يعضده دليل العقل؛ لأن المحدث لا يكون

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٤٨، انظر: البحر المحيط ٣/٤٤٨ ـ ٤٥٠.

إلهاً، ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]، اعتذار وبراءة من ذلك العذل، ووكل العلم إلى الله لتظهر براءته؛ لأن الله علم أنه لم يقل ذلك[1].

خلاصة:

١ ـ تضمن الرد عليهم لشركهم في الألوهية.

٢ ـ أثبت أن غلو النصارى سبب شركهم.

٣ ـ استدل بدليل عقلي على بشرية المسيح، في آيات من كتاب الله.

٤ ـ أثبت عبودية المسيح لربه وخالقه ﷻ، بكتاب الله تعالى.

عبد الله الترجمان

في كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) وتقرير توحيد الألوهية:

ناقش الترجمان ـ في كتابه ـ النصارى نقاشاً مسهباً في الكثير من عقائدهم وشرائعهم ومن أهم تلك العقائد: الإشراك بالله، في زعمهم: أن المسيح ابن الله تعالى، وعلى عادة المصنفين آنذاك. توزعت هذه الردود في توحيد الألوهية في مصنفه ويمكن أن نجملها ونجمعها في هذه الأنواع:

ردود عقلية لإبطال ألوهية المسيح:

تزعم الأناجيل أن المسيح حين عزم اليهود على قتله، تغير في تلك الليل وحزن حزناً شديداً[2] ورداً على هذا وتعليقاً عليه قال الترجمان: «..كل من يحزن ويتغير فليس بإله ولا بابن إله عند كل عقل نقي، صحيح سوي.

وأشنع من قولهم في هذه القاعدة أن عيسى له طبيعتان: لاهوتية وناسوتية، وأنهما صارتا شيئاً واحداً. وهذا أقبح ممن يقول: إن الماء والنار

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٩٤، وانظر: ٣/١٩٠، ١٩١ في تفسير ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الزمر: ٤].

(٢) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٢٦/٣٨ ـ ٤٠ بلفظ: «فقال لهم: نفسي حزينة جداً حتى الموت».

صارا شيئاً واحداً، والنور والظلمة صارا شيئاً واحداً؛ لأن ادعاء هذا في الماء والنار، والنور والظلمة، إنما كان محالاً من جهة أن كل واحد من هذه ضد الآخر وخالف الخلق الغني بذاته وصفاته عنهم المتقدس في عظمته وكبريائه ممن شبه شيء منهم، كيف يقرر في عقل سليم أنه مازج بعض مخلوقاته حتى صار شيئاً واحداً؟ فتعالى الله الملك الحق عما يشركون»[1].

دليل عقلي آخر:

زعم النصارى أن المسيح هو الله (القديم الأزلي)، وهذا بهتان عظيم ومحال مبين ولا يخلو أمر النصارى لادعائهم هذه الدعوى من أوجه:

١ ـ أن تكونوا جعلتموه إلهاً لعجب مولده في كونه من غير أب.

فإن قلتم: لعجب مولده وكونه من غير أب فليس ذلك بأعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم. ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة، ولا يسمى شيء من الملائكة وآدم آلهة، وأنتم تمنعون من ذلك.

فأخبرونا بالفرق بينهم وبين عيسى وهم في حكمة الإيجاب أعجب منه؟

٢ ـ أن تكونوا جعلتموه إلهاً لصعوده إلى السماء فيلزمكم في إلياس وإدريس عليهما السلام أن تجعلوهما إلهين؛ لأنهما صعدا إلى السماء بلا خلاف عندكم في ذلك، وأيونا الإنجيلي صعد إلى السماء بنص التوراة، وإجماع علمائكم، فاجعلوه إلهاً.

٣ ـ أن تكونوا جعلتموه إلهاً لأجل الآيات الخارقة التي ظهرت على يديه.

فعلماؤكم يعلمون أن اليسع النبي عليه السلام أحيى ميتاً في حياته، وميتاً بعد وفاته؟ والتصرف بمعجزة الأحياء في البرزخ بعد الموت أعجب منها قبل الموت.

---

(١) تحفة الأريب، ص١٤٣، ١٤٤.

وذكر الترجمان أن إلياس أحيى ميتاً، وظهرت بعض الخوارق على يديه (وذكرها). وذكر كذلك معجزات موسى التي تضاهي معجزات عيسى، ومنها: المن والسلوى، وشق البحر بالعصى وانبجاس الصخرة بالماء، ومعجزات العذاب والرجز التي أرسلت على الفراعنة على يديه.

ولم يكونوا مع ذلك آلهة؟!

٤ ـ هل قال عيسى هذا وادعى الألوهية لنفسه، فلذلك جعلتموه إلهاً.

فقد جاهرتم بالكذب الفظيع والبهتان الشنيع، وفي أناجيلكم ما يرد عليكم[١].

دليل عقلي آخر:

«وقولهم في المسيح أنه من جوهر أبيه، وإله مثله، يقتضي المماثلة ولا بد، فما الذي صير أحدهما أباً والآخر ابناً؟، وما الذي خصص هذا بالأبوة وهذا بالبنوة دون تعاكس؟ فنسأل الله ربنا العظيم كمال العافية من حالهم ومآلهم»[٢].

ومما استدل به عقلاً على بشرية المسيح أن الأناجيل ذكرت أنه يأكل ويشرب، بل يأكل الجراد ويشرب الماء والخمر، وهذا إقرار منه بأنه إنسان ابن إنسان يحتاج إلى مدد الغذاء، وقوام بنية جسمه بالطعام والشراب، وهذا يكذب دعواهم بأنه إله[٣].

نقض ألوهية المسيح بنصوص الإنجيل:

وقد أورد الترجمان كثيراً من نصوص الإنجيل التي ترد ألوهية المسيح وتؤكد بشريته قال: «ومما بكتبهم أيضاً ما قال ماركوس في الفصل الأول من إنجيله: أنه كان ببيت المقدس مجنون يتكلم الجني على فمه، فاجتاز عليه عيسى عليه السلام، فصاح به الجني، فقال يا عيسى أي شيء لك عندي؟ أتحب أن

---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١٥٢ ـ ١٥٩. (٢) تحفة الأريب، ص١٨٤.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٢١٨.

تخرجني من هذا الجسد حتى يعلم الناس أنك نبي، وأنا أعلم أنك نبي. وأنك روح الله، والله تعالى أرسلك، فأمره عيسى بالخروج فخرج، وقام الرجل صحيحاً سالماً. فتعجب الحاضرون من ذلك[1].

وهذا في غاية الوضوح والدلالة على أن عيسى بشر من جملة البشر، ورسول من جملة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين»[2].

نص آخر:

«قال متَّى في الفصل التاسع عشر من إنجيله، أن عيسى قال للحواريين: اعلموا واعتقدوا أن أباكم السماوي الذي في السماء ـ يعني بذلك الله تعالى ـ هو واحد فرد ولم يلد ولم يولد[3].

فأي شهادة على كذبهم أبين هذا الذي في إنجيلهم بشهادة عيسى عليه السلام»[4].

نص آخر:

«قال متى في الفصل الأول من إنجيله: هذا كتاب نسب المسيح: هو ابن داود بن إبراهيم»[5].

وهذا إقرار بأن عيسى مولود تناسل من ذرية داود النبي عليه السلام، وداود من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وكل من ثبت تناسله من الآدميين فهو بلا شك آدمي»[6].

نص آخر:

«وقال متى في إنجيله: إن الشيطان دعا المسيح إلى أن يسجد له وأراه

---

(١) انظر: إنجيل مرقس الإصحاح ٥/١ ـ ١٣، وقد ورد مطولاً في ثلاث عشرة فقرة.

(٢) تحفة الأريب، ص١٢٦.

(٣) إنجيل متى الإصحاح: ١٩/١٧ بلفظ: «لماذا تدعون صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله».

(٤) تحفة الأريب، ص١٣٠.

(٥) إنجيل متى الإصحاح ١/١ ـ ١٩ في نسب طويل جداً حاز صفحة كاملة في تسع عشرة فقرة.

(٦) تحفة الأريب، ص٨٨ ـ ١٨٥.

ممالك الدنيا وزخرفها وقال: اسجد لي، واجعل لك هذا كله. فقال له المسيح: إنه مكتوب على كل بشر ألا يعبد إلا الرب إلهك ولا تسجد لشيء سواه»[1].

فهذا منه إقرار بأنه بريء من الألوهية، ولو كان إلهاً لما اجترأ عليه الشيطان بمثل ذلك القول. وفي جوابه له اعتراف لله تعالى بأنه هو الإله لا يسجد أحد إلا له تبارك وتعالى. وهذا تنزل مع النصارى، واحتجاج عليهم بما أظهروه في أناجيلهم، وإلا فعيسى وغيره من الأنبياء معصومون من الشياطين في الوسوسة الباطنية الخفية، فكيف يدعوهم للكفر الصريح بالسجود له من دون الله. وهذه مجاهرة جلية، ولا شك أنها من اختلاق كتاب الأناجيل ورعونتهم في تجويز مثل هذا على المسيح عليه السلام»[2].

نص آخر:

«وقال يوحنا في آخر إنجيله: «إن عيسى قال للحواريين: إني اذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم»[3].

ويعني بأبي وأبيكم، المالك لي ولكم، وهو اصطلاح أهل ذلك الزمان، فإن قالوا: هو أبوه من هذا الباب. قلنا: يلزم منه أن يكون أباكم أيضاً؛ لأنه قال: أبي وأبيكم. ثم صرح بعده بما ينفي كل شبهة بقوله: وإلهي وإلهكم، فلم يبق لنفسه في دعوى الألوهية شيئاً»[4].

نقض شركهم في الألوهية بنص القرآن:

مغفرة الذنوب والمعاصي من خصائص الله تعالى التي لا تصح لا لملك

---

(١) إنجيل متى الإصحاح: ٤/١ ـ ١١، وقد صورت الكنيسة الكاثوليكية هذه الهزالة في فيلم مصور بمناسبة عام ٢٠٠٠م عن حياة المسيح وظهر الإله عيسى بزعمهم في صورة شاب وسيم، والشيطان في صورة أفعى تمشي ويتبعها المسيح الإله... فالحمد لله الذي عافانا من هذا الهذيان.

(٢) تحفة الأريب، ص١٩١، ١٩٢.

(٣) انظر: يوحنا الإصحاح: ٢٠/١٥ ـ ١٨ بمعناه.

(٤) تحفة الأريب، ص١٩٢، ١٩٣.

مقرب ولا لنبي مرسل. ولكن النصارى اتخذوا من قساوستهم أرباباً من دون الله، فجعلوا مغفرة الذنوب من خصائص القسيس...

وقد ناقشهم الترجمان في هذا المعتقد الفاسد ـ وسيأتي بيانه إن شاء الله ـ ومما استدل به ما ذكره بقوله: «..وكذلك تقعون مع قسيسكم في نار جهنم خالدين فيها أبداً؛ لأن المغفرة لذنوبكم مع كفركم وإشراككم، قد قطع الله رجاءكم منها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨].

فإذا كانت مغفرته لكم محالاً بخبره الصادق، فمغفرة القسيس أشد من المحال وأقرب لسخرية الشيطان وجنوده منكم واستهزائه بكم. ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾» [آل عمران: ١٣٥][(١)].

نقض ألوهية المسيح بعبادته وخضوعه لله تعالى:

قال الترجمان في هذا النوع من الأدلة: «قال متّى في الفصل الرابع من إنجيله: إن رجلاً قال للمسيح: «يا أيها الخير، فقال عيسى: لأي شيء سميتني خيّراً؟، إن الخيّر هو الله تعالى»[(٢)].

وهذا غاية التواضع منه ﷺ والتأدب مع ربه وخالقه، فكيف يدعى له شريك في الألوهية؟

نص آخر:

«وقال يوحنا في الفصل السادس عشر من إنجيله: إن المسيح رفع عينيه إلى السماء، وتضرع إلى الله الواحد الخالق، وقال: يجب على الناس أن يعلموا أنك أنت الله الواحد الخالق، وأنك أنت أرسلتني»[(٣)].

فهذا اعتراف بأنه نبي مبعوث من الله مع ما أوجبه من توحيده، وأنه سبحانه هو الواحد الخالق»[(٤)].

---

(١) تحفة الأريب، ص١٧٢، ١٧٣، والآية رقم (١٣٥) في سورة آل عمران.

(٢) انظر: إنجيل متى ١٩: ١٦ ـ ١٧ بلفظ مقارب (سبق عزوه).

(٣) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح: ١٧/١ ـ ٣ بلفظ مقارب.

(٤) تحفة الأريب، ص١٨٨، ١٨٩.

خلاصة:

يتلخص من ما مضى أن الترجمان رد عليهم في كتابه بأربعة أنواع من الأدلة:

١ ـ ردود عقلية لإبطال ألوهية المسيح.

٢ ـ نقض ألوهية المسيح بنصوص الإنجيل.

٣ ـ إبطال شركهم في الألوهية بنص القرآن.

٤ ـ إبطال ألوهية المسيح بعبادته وخضوعه لله تعالى.

تعقيب على مبحث توحيد الألوهية

تعتقد النصرانية المعاصرة ما تعتقده أسلافها في توحيد الألوهية من أن المسيح هو الله وابن الله، كما قرروا في المجمع الفاتيكاني الثاني بتوقيع آباء الكنيسة: «فالمسيح يسوع أرسل إلى العالم وسيطاً حقيقياً بين الله وبين البشر، وبما أنه الله، فكل مِلء اللاهوت يحل فيه جسدياً، وهو في طبيعته البشرية آدم الجديد» ويضيف المجمع كلاماً عجيباً مصادماً لبدائه العقول، «وهكذا جاء ابن الله عن طريق التجسد الحقيقي حتى يشرك البشرية في الطبيعة الإلهية»[١].

وعلى هذا فالبشر آلهة شريكة للرب تعالى في ألوهيته ويمثلها المسيح عليه السلام!!

ومما يدل على ذلك زعمهم أنهم أبناء الله بالتبني[٢]؟ وهذا أعجب ما يكون، ومن غلوهم أنهم عقدوا فصلاً عنوانه «الفصل الثامن: مريم أم الله»؟![٣]

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٤٨٩، ومن كتب آباء الكنيسة العرب انظر: الإسلام والغرب ٥١/٢، مقالات لاهوتية في سبيل الحوار، مشير باسيل عون ٩٨/٧ تقديم: كيرلس سليم، تعقيب: عادل خوري مركز الحوار المسيحي الإسلامي حريصا، لبنان المكتبة البولسية ١٩٩٧م، جونيه، لبنان، أفكار وآراء ٩٤/١/١٠، ٩٥، ١٠٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٣٤، ٣٥ وكذلك كتاب العدل في المسيحية والإسلام، عادل خوري، مشير باسيل عون، بالاشتراك مع آخرين ٧٦/١ مركز الحوار المسيحي الإسلامي حريصا، لبنان المكتبة البولسية ١٩٩٦م، جونيه، لبنان.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٠٥.

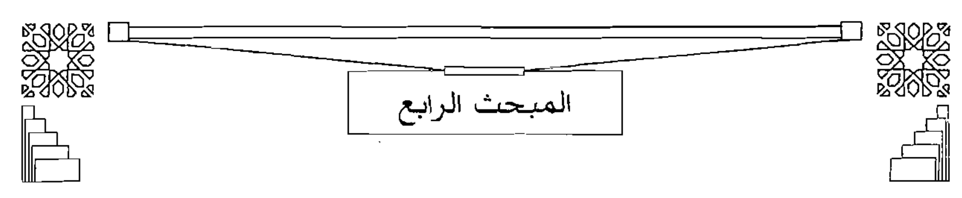
واعتبروا مريم جديرة بكل تكريم بل وعبادة إذ أنها: «أكرمت منذ أبعد الأزمنة أمّاً لله، ويلوذ المؤمنون بحمايتها مبتهلين إليها في جميع مخاطرهم وحاجاتهم»[1]. وعلى ذلك «تهيب الكنيسة بأبنائها لأن يساهموا بسخاء في التعبد للعذراء الطوباوية»[2].

هذا مع نفي النصارى بشدة أن يكونوا عابدين لمريم، وانتقادهم للقرآن لما ذكر عبادتهم لها، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: ١١٦].

ومما يجدر ذكره عند المحدثين منهم تبديعهم لآريوس الموحد وأتباعه وتكفيرهم؛ لأنهم أنكروا ألوهية غير الله والمسيح والروح القدس[3] وانتقادهم الشديد لعلماء المسلمين لاعتقادهم أنهم اتخذوا قرار الألوهية والتثليث بعد أربعة قرون من موت المسيح في مجمع نيقية[4]. نسأل الله التوفيق والهداية.



(١) انظر: المصدر نفسه، ص١١٤. (٢) انظر: المصدر نفسه، ص١١٤.
(٣) انظر: مقالات لاهوتية ٧/ ١٤١، وكتاب أفكار وآراء ١٠/ ١/ ٨٧.
(٤) انظر: أفكار وآراء ١١/ ٢/ ٧٨.



معتقد الصلب والفداء

تعتقد النصارى أن إلههم المسيح ابن مريم صلب وقتل، وأن اليهود هم الذين صلبوه وقتلوه وأن سبب القتل كان تكفيراً لخطايا البشر بعد أن اختار الإله ابنه لهذه المهمة، وهو معتقد قديم حديث لا تختلف عقائد النصرانية حوله[١]، وقد أسهب علماؤنا الأندلسيون في الرد عليهم في هذا البهتان الذي اعتنقوه من قديم الأزمان، وهذا مختصر ما ردوا به، نسأل الله الهداية والتوفيق والسداد.

ابن حزم

والرد على النصارى في معتقد الصلب والفداء:

قرر ابن حزم معتقد المسلمين في معتقد الصلب وأنه لم يقتل ولم يصلب، ولكن توفاه الله ورفعه إليه وأورد الأدلة على ذلك[٢].

وقد تنوعت أساليب إمامنا ابن حزم في رده على النصارى في هذا المعتقد الفاسد، كما أنه أفاض فأطال فيها، وقد أورد الردود في أماكن متفرقة عدة مجملة من غير ترتيب، ويمكن ترتيبها واختصارها تحت هذه النقاط:

١ ـ الإسناد ومعتقد الصلب:

مما يعترض به النصارى ويثبتون به معتقد الصلب، أن الكواف العظام

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٢٣٠ زاعماً أنه من أسرار الكون؟

(٢) انظر: المحلى لأبي محمد أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ١/٢٣، دار الفكر، بيروت.

الناس من اليهود والنصارى نقلت إلينا معتقد الصلب، ثم جاء القرآن ونفى الصلب والقتل، فكيف يكون هذا؟.

الاعتراض الثاني: إن جوزتم على هذه الكثرة من الناس، وهي مختلفة الأهواء والأديان والأزمان والبلدان، فليس هؤلاء بأولى بالخطأ ممن نقل شريعتكم.

الاعتراض الثالث: إن قلتم اشتبه عليهم، ولم يتعمدوا نقل الباطل. فقد جوزتم التلبيس على الكواف من الناس، وليست كوافكم عن التلبيس عليها ببعيد[1].

وقد أجاب ابن حزم على هذه الاعتراضات وغيرها بجواب طويل من أهمه:

قال أبو محمد: هذه الإلزامات كلها فاسدة في غاية الحوالة والاضمحلال. ونحن نبين ذلك فنقول وبالله التوفيق: إن صلب المسيح لم يقله قط كافة، ولا صح بالخبر قط.

لأن الكافة التي يلزم قبول نقلها هي:

إما الجماعة التي يوقن أنها لم تتواطأ لتنابذ طرقهم، وعدم التقائهم، وامتناع خواطرهم على الخبر الذي نقلوه عن مشاهدة، أو رجع إلى مشاهدة ولو كانوا اثنين فصاعداً.

وإما أن يكون عدد كثير يمتنع منه الاتفاق في الطبيعة على التمادي على سنن ما تواطئوا عليه، فأخذوا بخبر شاهدوه ولم يختلفوا فيه. مما نقله أحد أهل هاتين الصفتين عن مثل إحداهما وهكذا حتى يبلغ إلى مشاهدة.

فهذه صفة الكافة التي يلزم قبول نقلها، ويضطر خبرها سامعها إلى تصديقه، وسواء كانوا عدولاً أو فساقاً أو كفاراً، وما عدا هذا من الخبر فليس كافة، ولا يضطر سامعه إلى تصديقه.

---

(١) انظر: الفصل ١/١٢٢.

ولما نظرنا إلى من نقل خبر صلب المسيح وجدناها كواف عظيمة صادقة جيلاً بعد جيل إلى الذين ادعوا مشاهدة صلبه.

فإن هنالك تبدلت الصفة، ورجعت إلى شُرَطٍ مأمورين مضمون منهم الكذب وقبول الرشوة على قول الباطل.

ومما يدل على بطلان إسناد الصلب عن جمع الناس:

إقرار النصارى أنهم لم يأخذوه نهاراً خوف العامة وإنما أخذوه ليلاً.

أنه لم يبق في الخشبة إلا ست ساعات من النهار وأنزل إثر ذلك.

أنه لم يصلب إلا في مكان في بستان ناء عن المدينة.

أنه بعد هذا كله رُشي الشرط على أن يقولوا إن أصحابه سرقوه ففعلوا ذلك.

أن مريم المجدلانية[1] لم تقدم على حضور موقع صلبه، بل وقفت عن بعد تنتظر.

هذا كله بنص الإنجيل عندهم[2] فبطل أن يكون صلبه منقولاً بكافة، بل بخبر يشهد ظاهره على أنه مكتوم متواطأ عليه. وما كان الحواريون ليلتئذ بنص الإنجيل إلا خائفين على أنفسهم، غيباً عن ذلك المشهد هاربين مستترين. فبطل أن ينقل خبر صلبه أحد تطيب النفس عليه على أن تظن به الصدق. فكيف أن ينقله كافة؟!، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ [النساء: ١٥٧].

إنما عنى بذلك تعالى: أن أولئك الفساق الذين دبروا هذا الباطل

---

(١) مريم المجدلية: قديسة نصرانية. قالت الأناجيل: هي التي زنت وتابت وهي التي مسحت قدمي المسيح بالعطر، وهي التي شفاها المسيح من مرضها، ويرمز لها للتوبة والطهر. انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٥٦/٢٧ ـ ٦١ مرقس الإصحاح: ١٥/ ٤٠ ـ ٤٧، والإصحاح: ١٦/ ١ ـ ١٠ لوقا الإصحاح ٣٦/٢ ـ ٥٠ الموسوعة العربية الميسرة، إشراف: محمد شفيق غربال، ص١٦٩٠، القاهرة، دار القلم، ١٩٥٩، ونسخة دار الشعب ومؤسسة فرنكلين.

(٢) انظر: مرقس الإصحاح: ٤١/١٥، ٤٢.

وتواطئوا عليه، هم شبهوا على من قلدهم، فأخبروهم أنهم صلبوه وقتلوه وهم كاذبون في ذلك، عالمون أنهم كذبة.

ولو أمكن ذلك بطلت الحقائق كلها، ولأمكن أن يكون كل واحد منا يشبه عليه فيما يأكل ويلبس وفي هذا خروج إلى السخف.

ثم ضرب ابن حزم مثالاً وقع لهم في عهد هشام بن الحكم المستنصر أنهم رأوا جنة زعموها له، ثم خرج بعد أشهر ولم يكن هو وإنما لبسوا على الناس وهم ألوف[1].

قال أبو محمد: أما قوله: فقد جوزتم التمويه على الكافة، فقد بينا أنها لم تكن كافة قط، ولو صح أنها كافة لكان خبر الله تعالى أنه شبه لهم حاكماً على حواسهم ومحيلاً لها، كخروج النبي ﷺ ليلة هاجر بحضرة مئة رجل من قريش، وقد حجب الله أبصارهم عنه فلم يروه.

ثم نقول لليهود والنصارى بعد أن بينا فساد ما شغبوا به في هذه المسألة:

أن كوافكم قد نقلت عن بعض أنبيائكم فسوقاً ووطء إماء وهو حرام عندكم، وعن هارون عليه السلام أنه هو الذي عمل العجل لبني إسرائيل وأمرهم بعبادته والرقص أمامه، وهذا محرم معلوم البطلان.

وأما نحن فجوابنا، بأن ليس شيء منه نقل كافة، ولكن نقل آحاد كذبوا فيه[2].

٢ - دليل عقلي على بطلان الصلب:

موت المسيح وصلبه:

قال أبو محمد: «وكذلك يسألون عن موت المسيح وصلبه؟

فمن قول الملكية والنسطورية[3]: إن الموت والصلب إنما وقع على الناسوت خاصة.

---

(١) انظر: الفصل ١/١٢٣، ١٢٤.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/١٢٥، ١٢٦.

(٣) سبق التعريف بهما في المبحث الثاني من التمهيد.

فيقال لهم: فأنتم في قولكم: مات المسيح وصلب: كاذبون؛ لأنه إنما مات نصفه فقط، وصلب نصفه فقط؛ لأن اسم المسيح عندكم واقع على اللاهوت والناسوت كليهما معاً لا على أحدهما دون الآخر»[1].

وتعليقاً على ما في الإنجيل أن المسيح صاح بأعلى صوته وهو مصلوب: إلهي إلهي لم أسلمتني ثم فاضت نفسه[2]. قال أبو محمد: فيا للناس أهذه صفة إله؟ وهل يدعو الإله في أن يصرف عنه كأس المنية. أفي الحمق شيء يفوق هذا[3].

ويعلق ابن حزم على هذه المضحكة التي تسمى الصلب في رده على قصيدة نقفور ملك الروم معتبراً أن من اعتقدها فهو أرذل من عقول البهائم، فيقول:

وعود صليب ما تزالون سجداً	له يا عقول الهاملات السوائم
تدينون تضلالاً بصلب إلهكم	بأيدي يهود أرذلين لآثم
إلى ملة الإسلام توحيد ربنا	فما دين ذي دين لها بمقاوم[4]

خشبة الصلب والشوك والدم:

قال ابن حزم: «ومن فضائحهم دعواهم أن إهلاك والدة قسطنطين أول من تنصر من ملوك الروم وذلك بعد أزيد من ثلاث مئة سنة من رفع المسيح، وجدت الخشبة التي صلب فيها المسيح، والشوك الذي جعل على رأسه والدم الذي طار من جنبه والمسامير التي ضربت في يديه.

فليت شعري أين وجد هذا السخام كله؟ وأهل ذلك العين كلهم مطرودون مقتولون حيث وجدوا، والمدينة خربة أزيد من مئتي عام لا أنيس فيها، ثم من لهم بأنها تلك؟

وأين بقي أثر الدم والمسامير والشوك والخشبة تلك المدة العظيمة، في

---

(١) الفصل ١/١٢٨.

(٢) انظر: إنجيل متى ٢٧/٤٥، ٥٠، ولوقا ٢٣/٤٤.

(٣) انظر: الفصل ٢/١٥٩.

(٤) انظر: البداية والنهاية ١١/٢٥١.

البلاد الخالية المقفرة؟ ولا شك في أنه إذا صلب ـ كما يقولون ـ كان أصحابه مختفين وأعداؤه لا يلتفتوا إلى أمره، أن يكون في السخف أعظم من هذا؟! وما عقولهم إلا عقول، من يصدق بالأغرقون[1] والعنقاء[2]، وبكل ما لا يمكن»[3].

وقال في موضع آخر على القضية ذاتها: «.. فلا أدري ممن العجب؟! ممن اخترع مثل هذه الكذبة الغثة المفضوحة؟ أم من قبلها وصدق بها؟ ودان باعتقادها، وصلب وجهه للحديث بها؟»[4].

---

(١) الأغرقون: ورد في القاموس: «وغاريقون أو أغاريقون أصل نبات أو شيء يتكون في الأشجار المسوسة ترياق للسموم، مفتح مسهل للخلط الكدر مفرح صالح للنسا والمفاصل ومن علق عليه لا يلسعه عقرب» القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ١/ ١١٨٠، دون بيانات أخرى للطبعة.

(٢) العنقاء: هو كائن عظيم معروف الاسم مجهول الجسم لم يره أحد، النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ٣/ ٣١٢، تحقيق: طاهر أحمد، محمود الطناحي، المكتبة العلمية ببروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. أو هو الهباء الذي فتح الله فيه أجساد العالم مع أنه لا عين له في الوجود إلا بالصورة التي فتحت فيه وإنما سمي بالعنقاء لأنه يسمع بذكره ويعقل ولا وجود له في عينه التعريفات ١/ ٢٠٤ التوقيف ١/ ٥٢٨.

(٣) الفصل ٢/ ٢٠٦.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٢٩، وفي الجواب الصحيح عند ابن تيمية كلام نفيس حول فكرة الصلب ومدى ثبوتها من عدمه، وحكم من تأول فيها وقصد طلب الحق واجتهد فيه ولم يصبه، وكان من الموحدين، يقول ﷺ: «وإذا اختلفوا في تأويل بعض التوراة والإنجيل، فمن قصد الحق واجتهد في طلبه لم يجب أن يعذب وإن كان مخطئاً للحق جاهلاً به ضالاً عنه؛ كالمجتهد في طلب الحق من أمة محمد وعلى هذا فإذا قيل أن الحواريين أو بعضهم أو كثيراً من أهل الكتاب أو أكثرهم، كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه صلب كانوا مخطئين في ذلك، ولم يكن هذا الخطأ مما يقدح في إيمانهم بالمسيح إذا آمنوا بما جاء به، ولا يوجب لهم النار فإن الأناجيل التي بأيدي أهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح وعندهم أنها مأخوذة عن الأربعة مرقس ولوقا ويوحنا ومتى، ولم يكن في الأربعة من شهد صلب المسيح ولا من الحواريين، بل ولا في أتباعه من شهد صلبه، وإنما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود، فمن الناس من يقول انهم علموا أن المصلوب غيره وتعمدوا الكذب في أنهم صلبوه، وشبه صلبه =

٣ ـ إبطال عقيدة الصلب بنص القرآن الكريم:

«قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

إنما هو إخبار عن الذين يقولون بتقليد أسلافهم من النصارى واليهود: أنه ﷺ قتل وصلب، فهؤلاء شبه لهم القول أي ادخلوا في شبهه منه. وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الوقت، وشرطهم المدعون أنهم قتلوه وصلبوه، وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك، وإنما أخذوا من أمكنهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنع من حضور الناس، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامة الذين شبه لهم الخبر»[1].

٤ ـ إبطال عقيدة الصلب بالإنجيل:

في نص التوراة أن الله لعن من صلب في خشبة، وهم يقولون إن المسيح صلب في خشبة، ولا شك أنه وشمعون أخوا يوسف وأندرياش أخوا باطرة وفليش ويولش صلبوا في الخشب.

فكل هؤلاء ملعونون بلعنة الله تعالى، فاعجبوا لضلال هذه الفرقة المخذولة، فما سمع بأطم من هذه الفضائح أبداً[2].

٥ ـ إبطال الصلب بتناقض خبره في الإنجيل:

تناقض خبر قتل وقيامة المسيح:

ذكر الإمام ابن حزم في فصل من كتابه أخبار هذا القتل المزعوم بنصوص من الإنجيل ثم عقب عليه مفنداً ومبيناً ومما ذكره: أن الأناجيل اتفقت على أن المسيح أخبرهم عن نفسه أنه يقتل. وجميع الأناجيل الأربعة متفقة عند ذكرهم بصلبه أنه مات عن الخشبة حتف أنفه، ولم يقتل أصلاً، إلا

= على من أخبروهم، وهذا قول طائفة من أهل الكلام المعتزلة، وغيرهم وهو قول ابن حزم. وغيره ومنهم من يقول بل اشتبه على الذين صلبوه، وهذا قول أكثر الناس، والأولون يقولون أن قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] أي شبه للناس الذين أخبرهم أولئك بصلبه» الجواب الصحيح ٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٤.

(١) الفصل ١/ ١٢٥.

(٢) انظر: الفصل ٢/ ٤٦، ٤٧.

أن في بعضها أنه طعنه بعد موته أحد الشرط برمح في جيبه، نزف من الطعنة دم وماء.

وفي هذا إثبات الكذب على المسيح، واتفاقهم كما أوردنا على أنه أخبرهم بأنه يقتل واتفاقهم كلهم على أنه لم يقتل، وهذه سوأة جداً. وحاشا لله أن يكذب نبي أو ينذر بباطل هذه علامة الكذابين لا علامة أهل الصدق.

ومن الكذب والتناقض: اتفاق الأناجيل المذكورة، على أنه قال: «ويقوم في الثالث» ثم اتفقت الأناجيل على أنه لم يحي ولا قام إلا في الليلة الثانية، وأنه دفن في آخر يوم الجمعة مع دخول ليلة السبت، وحسبك أنهم ذكروا أنه لم يخبط استعجالاً لئلا تدخل عليهم ليلة السبت، وأنه قام ليلة الأحد قبل الفجر، وهذه كذبة ثالثة فاحشة نسبوها للمسيح وحاشا له من مثلها[١].

خلاصة:

١ ـ أوضح الإمام ابن حزم بطلان عقيدة الصلب لانقطاع إسنادها وضعفه وجهالته.

٢ ـ إبطال عقيدة الصلب بالدلائل العقلية.

٣ ـ إبطال عقيدة الصلب بنص القرآن الكريم.

٤ ـ إبطال عقيدة الصلب بالإنجيل.

٥ ـ إبطال عقيدة الصلب بتناقض خبرها في الإنجيل.

ابن عبد البر

في كتابه: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) والرد عليهم في معتقد الصلب والفداء:

في شرحه لحديث صفة المسيح ابن مريم تكلم الإمام ابن عبد البر[٢] على

---

(١) انظر: الفصل ٩٣/٢٠، ٩٤.

(٢) هو الإمام العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، إمام الأندلس في زمانه، ولد سنة ٣٦٨هـ قال فيه القاضي الباجي: أبو عمر =

بطلان هذا المعتقد ببعض الآثار المروية عن التابعين وتابعيهم[1] وضمن هذه الآثار المطولة قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] وفي الآثار ترى أثر الاختلاف الكبير بين أهل العلم في قضية من الذي صلب ومن الذي شبه لهم ويتحقق عندها قول الحق أنه شبه لهم وأنهم هم في اختلاف كبير لا علم لهم إلا اتباع الظن.

وعند قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وأورد أقوال أهل العلم في معنى الوفاة:

فقالت طائفة: إني رافعك ومتوفيك.

وقال زيد بن أسلم وجماعة: متوفيك: قابضك من غير موت.

وقال الربيع بن أنس: يعني وفاة منام.

وعن ابن عباس: متوفيك: أي مميتك.

وقال وهب: توفاه الله ثلاث ساعات من نهار.

ثم عقب الإمام ابن عبد البر: والصحيح عندي في ذلك، قول من قال: متوفيك: قابضك من الأرض، لما صح عن النبي ﷺ من نزوله[2].

= أحفظ أهل المغرب، تفقه بقرطبة على كبار علماء الأندلس كابن الفرضي، وأحمد بن عبد الملك الإشبيلي، وتعلم على يديه العشرات من طلبة العلم النبغاء، له تآليف كثيرة شهيرة منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في سبعين جزءاً. قال فيه ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله، فكيف أحسن منه، ومنها: الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه موطأ مالك من معاني الرأي والآثار، وكتاب الاستيعاب في أسماء الصحابة وجامع بيان العلم وفضله، وغيرها من الصفات. توفي بشاطبة سنة ٤٦٣هـ. انظر: الصلة ٣/٩٧٣، ٩٧٤، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ٣/١٥٠ طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ١/٤٣١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، بيروت.

(١) انظر: التمهيد ١٤/١٩٢ ـ ١٩٤.

(٢) انظر: التمهيد ١٤/١٩٨ ـ ٢٠٤.

في (رسالته التي رد بها على راهب فرنسا) ورد معتقد الصلب والفداء:

في رسالته المختصرة لم يشأ الإمام الباجي الإطالة، وإنما الرد المختصر على أهم ما في عقيدتهم كالتثليث والألوهية والنبوة، وقد تعرض لمعتقد الصلب في سياق رده على ما ذكرته ومنه.

رد شرعي:

لما تكلم على الشرائع والنبوات ذكر أنه ما آمن به إلا العدد اليسير حتى رفعه الله إليه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] وقد بذل دمه - بزعمكم - حرصاً على استنقاذ الناس من الضلالة، فما آمن به إلا العدد اليسير[١].

رد عقلي:

ورد في موضع آخر وفند قولهم في الصلب: وأنه بذل دمه في خلاص العباد، وتساءل هل يكون للرب دم؟ وإنما يكون الدم للأجسام المخلوقة المحدثة، والحياة القديمة لا يصح عدمها ولو جاز القتل عليه لجاز على أبيه - بزعمكم -، وهو إله عندكم لم يقدر على دفع الموت عن نفسه، وإن جاز الموت على الإله، فما نمنع على هذا أن يكون كل من رأيناه أو سمعنا خبره قديماً لم يزالوا آلهة؟![٢].

الإمامان ابن عطية وابن حيان في تفسيريهما

والرد على النصارى في معتقد الصلب:

عند قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨].

---

(١) انظر: رسالة أبي الوليد الباجي لراهب فرنسا، ص٧٧، ٧٨.

(٢) انظر: الرسالة الآنفة الذكر، ص٨٠، ٨١.

فسر أمامنا أن عيسى رسول الله وهذا رد على من غلا فيه من اليهود والنصارى، ومن زعم من اليهود صلبه لزمه الذنب على أن المصلوب غيره، وعلى أن عيسى كذاب ليس برسول لزمهم الذنب فكأنهم قتلوه إذ اعتقدوا أنه غير رسول.

ثم أخبر تعالى أن بني إسرائيل ما قتلوه ولا صلبوه ولكن شبه لهم، واختلفت الرواة في هذه القصة وكيفيتها اختلافاً شديداً أن (ابن عطية) اختصر عيونه، إذ ليس في جميعه شيء يقطع بصحته؛ لأنه لم يثبت عن النبي ﷺ فيه شيء، وليس لنا متعلق في ترجيح شيء منه إلا ألفاظ كتاب الله. ثم ذكر الإمام ابن عطية أن عيسى كان يدعو إلى الله وكانت اليهود تطلبه.

١ ـ فروي أن أحد الحواريين رُشي فدل عليه، ثم ندم فخنق نفسه.

٢ ـ وروي أن الدال عليه يهودي، فدخل عيسى ومن معه بيتاً، ثم وجد عيسى أصحابه وبقي مع رجل واحد، فرفع عيسى وألقي الشبه على ذلك الرجل فصلب.

٣ ـ وروي أن الشبه ألقي على ذلك اليهودي الذي دل عليه، فصلب.

٤ ـ وروي أن عيسى وعد بالجنة من يلقى عليه الشبه من التلاميذ، فاختار أحدهم ووقع عليه الشبه.

٥ ـ وروي أن الشبه ألقي على الجماعة كلها.

٦ ـ وروي أن القصة لم يكن فيها إلقاء شبه على أحد، وإنما المعنى، ولكن شبه عليهم الملك الممخرق ليستديم ملكه[1].

الإسناد وعقيدة الصلب:

قال القاضي ابن عطية رحمه الله: «الذي صح فيه نقل الكافة على حواسها هو أن شخصاً صلب، وأما هل هو عيسى أم لا؟ فليس من علم الحواس، فلذلك لم ينفع في ذلك نقل كافة اليهود والنصارى.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٤/٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، والبحر المحيط ٣/٣٨٩ ـ ٣٩١.

ونفى الله عنهم أن يكون لهم في أمره علم على ما هو به، ثم استثنى اتباع الظن، وهو استثناء متصل، إذ الظن والعلم يضمهما جنس واحد، أنهما من معتقدات النفس»[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] «.. ومضمن الكلام أنهم ما قتلوه على الحقيقة جملة واحدة، لا يقيناً ولا شكاً..»[2].

أبو عبيدة الخزرجي

في كتابه: (مقامع الصلبان في الرد على عبدة الأوثان) ونقض معتقد الصلب:

في رد الخزرجي على مزاعم القسيس، ضمّن هذا الرد صفحات مطولات حول عقيدة الصلب والفداء، ذلك أن القسيس ابتدأ خطابه بقضية الصلب والفداء.

وبما أن الإمام أطال الرد على أهل البهتان، فلأنه من أهل هذا الشأن، ومن فرسان ذلك الميدان... وفي هذه النقاط اختصرته، كوني في أول هذا البحث قد شرطته وبالله التوفيق.

١ ـ تعليل الصلب وإبطاله عقلاً:

لماذا صلب المسيح عند النصاري؟

نجد الجواب صريحاً في رسالة القسيس لإمامنا الفتى النفيس حيث يقول: «المسيح إلهنا الذي خلق السماوات والأرض وما بينهن والذي فدانا بدمه المقدس ومن عذاب جهنم وقانا ورفع عن أعناقنا الخطيئة التي كانت في أعناق بني آدم بسبب أكلهم من الشجرة التي نهي عنها فخلصنا المسيح بدمه، وفدانا بدمه ومن عذاب جهنم وقانا...»[3].

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٣٠٤.

(٢) المصدر السابق ٤/ ٣٠٥، وانظر: الجواب الصحيح ٤/ ٤٠ بيان عدم تيقن النصارى من حادثة الصلب وتخبطهم في ذلك.

(٣) رسالة القسيس في مقامع الصلبان، ص٥٩، ٦٠.

وقال: «إنه لما لم يمكن أن ينتقم من عبده العاصي آدم الذي كلمه، واستهان بقدره لاعتلاء جلالة السيد وسقوط منزلة العبد أراد الله أن ينتصف من الإنسان الذي هو إله مثله، فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذي هو إله مثله»[١].

قدم الإمام الخزرجي بإبطال ألوهية المسيح من أوجه شرعية وعقلية كثيرة ثم تساءل ما الذي رأوا من العظمة التي لم يكونوا رأوها حتى ترتفع المعاذير؟

ألأجل أن رأوا يديه ورجليه مكتوفة في قفاه مبصوقاً في وجهه بتاج من الشوك على رأسه مصلوباً على جذع، مسمرة يداه ورجلاه فيه؟![٢].

ثم من كان يمسك السماوات والأرض وهو مصلوب؟ ونزل ليوجب اللعنة على نفسه بنص كتابكم... عجباً له إنه المنتقم والمنتقم منه، والحقود والمحقود عليه، وإنه الظالم يأخذ نفساً بذنب غيرها، وهو المظلوم لأنه صلب بذنب غيره[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص٧٢، ويرد ابن تيمية على خرافة الصلب عقلاً، فيقول: «ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب والخطايا، به خلّص الله آدم وذريته من عذاب الجحيم، وبه عاقب إبليس مع أن إبليس ما زال عاصياً لله مستحقاً للعقاب من حين امتنع من السجود لآدم ووسوس لآدم، إلى حين مبعث المسيح والرب قادر على عقوبته، وبنو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم، فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء، والتي لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم، فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل، ويجعلون من عدله أنه لا يأمر الإنسان بتعلم ما يقدر على تعلمه، وفيه صلاح معاشه ومعاده، ويجعلون مثل هذا موجباً لتكذيب كتابه ورسله، والإصرار على تبديل الكتاب الأول، وتكذيب الكتاب الآخر، وعلى أنه يتضمن مخالفة موسى وعيسى وسائر الأنبياء والرسل، والنصارى يقولون إن المسيح الذي هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعاً، إنما مكّن الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة إبليس، قالوا فأخفى نفسه عن إبليس لئلا يعلم ومكن أعداءه من أخذه وضربه والبصاق في وجهه ووضع الشوك على رأسه وصلبه، وأظهر الجزع من الموت، وصار يقول يا: إلهي لم سلطت أعدائي علي، ليختفي بذلك عن إبليس فلا يعرف إبليس أنه الله أو ابن الله، ويريد إبليس أن يأخذ روحه إلى الجحيم كما أخذ أرواح نوح وإبراهيم» الجواب الصحيح ١٠٨/٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٣٩. (٣) انظر: المصدر السابق، ص١٧٧.

ورداً على قوله: إن الله لم ينتقم من عبده آدم لاعتلاء منزلة السيد فانتصف من المسيح... إلخ، قال: «أخبرني أيها المخدوع أولاً عن هذه المماثلة كيف وجبت لعيسى بالله تعالى؟، ثم إذا كان الله لم يرد الانتقام من آدم لاعتلاء منزلة السيد، وسقوط منزلة العبد، فالأولى أن يعفوا عن الذنب ويتوب على المذنب.

وإن الأبعد عنه ﷻ أن يعاقب أحداً بذنب غيره، إن هذا لغاية الظلم ونهاية الجور.

أبيت التوبة احتيالاً للصلوبية وإثباتها، ونسبت إلى الله تعالى ما ينسب إلى شرار الآدميين من الحقد، والغائلة، ونفيت عنه ما يليق به ﷻ من العفو والصفح، وقلت: إنه انتصف من الإنسان الذي هو إله مثله.

وفي اعتقادكم، وفي الإنجيل الذي بأيديكم أن الصلب لحق جسم عيسى المتخذ من آدم، وأن النصف اللاهوتي لم يلحقه الصلب، ومخالفة ذلك عندكم كفر.

فإذا كان هذا فإلى الآن لم ينتقم الله، ولا انتصف من إله مثله، كما قلت، إنما انتصف وانتقم من إنسان من نسل آدم. فكيف ينبغي لله أن يظلم إنسانا فيعاقبه بذنب جده؟ وكيف أجزت لنفسك أن تقول: انتصف من إله مثله؟

ما أبين خلل هذه المقالات وأوضح ضلالها»[1].

٢ ـ إبطال دعوى الصلب بالإنجيل:

تضمن رد أبي عبيدة كثيراً من النصوص ومنها ما ورد في التوراة: «ملعون ملعون من تعلق بالصليب»[2]، فكيف أوجب تبارك وتعالى اللعنة على نفسه؟[3] وقال معقباً على بعض النصوص: «...كيف لا؟ ونصوص الإنجيل،

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٣.

(٢) نصه في سفر التثنية، الإصحاح: ٢١/٢٢، ٢٣، وفيه وعيد لمن صلب على الخشبة «لأن المعلق ملعون من الله».

(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص١٥٣.

والكتب النصرانية متظاهرة دالة على عدم صلب عيسى ﷺ ووقوع الشبه على غيره وذلك في وجهين:

أحدهما: جاء في الإنجيل أن المصلوب قد استسقى اليهود، فأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة، فذاقه ولم يشربه، فنادى: إلهي إلهي لم خذلتني؟ والأناجيل كلها مصرحة بأنه ﷺ كان يطوي أربعين يوماً وليلة.

ويقول للتلاميذ: إن لي طعاماً لستم تعرفونه، ومن يصبر على العطش والجوع أربعين يوماً وأربعين ليلة، كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه بسبب عطش يوم واحد!

هذا لا يفعله أدنى الناس، فكيف بخواص الأنبياء؟ أو كيف بالرب تعالى على ما تدعونه؟ فيكون حينئذ المدعي للعطش غيره، وهو الذي شبه لكم.

ثانيهما: إلهي إلهي لم خذلتني؟! هو كلام يقتضي عدم الرضا بالقضاء، وعدم التسليم لأمر الله تعالى، وعيسى ﷺ منزه عن ذلك، فيكون المصلوب غيره.

لا سيما وأنتم تقولون أن المسيح ﷺ نزل ليؤثر العالم على نفسه، ويخلصه من الشيطان ورجسه، فكيف تروون عنه ما يؤدي إلى خلاف ذلك؟»[1].

٣ ـ إبطال دعوى الصلب بتناقض خبره:

ومما ذكره في تناقض خبر الصلب، وخشبة الصلب قوله: «وعجباً لتمويهكم أيضاً باختلافكم في خشبة صلبه.

فمن قائل: كانت من السرو[2].

---

(١) مقامع الصلبان، ص١٦٤.

(٢) السرو: شجرة من مجموعة أشجار دائمة الخضرة تنمو في آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية في المناطق الدافئة تستخدم في الزينة وخشبها بني فاتح اللون وله رائحة تشبه رائحة خشب الأرز. انظر: الموسوعة العربية العالمية ١٢/٢٣٩، ٢٤٠، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط. الثانية، ١٤١٩هـ.

ومن قال: كانت من الأرز[1].

ومن قائل: كانت أطروشاً من قنبيط[2].

وقلتم: إن الخشبة قطعت وحملت على عنق الله تبارك وتعالى إذلالاً له، أو تبكيتاً. وصلب عليها. تشنعون بذلك خطيئة اليهود لتهزموا قلوب عوامكم ضغناً عليهم»[3].

٤ ـ إبطال دعوى الصلب بالقرآن الكريم:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧].

قال الخزرجي: «في الإنجيل: «أن يسوع عليه السلام كان مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه، فخرج إليهم عليه السلام، وقال لهم: من تريدون؟ قالوا: يسوع وقد خفي شخصه عنهم، ففعل ذلك مرتين»[4].

وهم ينكرون صورته، وما ذلك إلا دليل لشبه، ورفع عيسى عليه السلام. لا سيما وقد حكى بعض منكم أن المسيح أعطي قوة التحول من صورة إلى صورة.

قال متى في إنجيله: بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع عليه السلام، قال: كلكم تشكّون فيَّ هذه الليلة، فإنه مكتوب أني أضرب الراعي فتفترق الغنم.

فقال بطرس: فلو شك جميعهم ما أشك أنا.

فقال يسوع: الحق أقول لك: إنك في هذه الليلة تنكرني قبل أن يصيح الديك[5].

---

(١) الأرز: هو شجر الصنوبر وهو شجر معروف بالشام ويسمونه بالعراق الصنوبر. انظر: مختار الصحاح ٦/١ غريب الحديث، للقاسم بن سلام الهروي ١١٨/١ تحقيق: محمد عبد المعيد خان ط. الأولى، ١٣٩٦هـ، دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) أطروشا من قنبيط: لم أعرفه من خلال بحثي. أو هو القرنبيط. انظر: المعجم الوسيط ٧٦١/٢.

(٣) مقامع الصلبان، ص١٣٩.

(٤) انظر: يوحنا الإصحاحان: ١٨، ١٩.

(٥) انظر: متى ٣١/٢٦ ـ ٣٤، قلت: وقد مثلوا هذه المضحكة تمثيلاً دقيقاً في الشريط الآنف الذكر عن إلههم المسيح! بمناسبة عام ٢٠٠٠م.

فقد شهد عليهم بالشك، بل على خيارهم، (بطرس) فإنه خليفته عليهم.
فقد انخرم حينئذ الوثوق بأقوالكم، وجزم بإلقاء الشبه على غير عيسى عليه السلام.
وصح قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ [النساء: ١٥٧].

ومثل هذا كثير. ومن هنا نعلم أن هذه الأناجيل ليست قاطعة في صلبه، بل فيها اختلافات وشكوك كثيرة..»[١].

٥ ـ إبطال الصلب بدليل تاريخي:

تقدم إبطال الصلب من وجوه عدة وقد استدل الإمام الخزرجي باستدلال فريد، إذ سلك طريق التاريخ في إثبات خرافة الصلب، إذ هو قول قديم جديد.

فقد أثبت أن الصلب إنما قيل بعد نحو مئتين وثلاثين (٢٣٠) من السنين، وهو نقل عن رجل من سالف الدهر ورؤى ومنامات من امرأة اسمها مريم المجدلية، كلها أضغاث أحلام، قبل النصارى بأقوالها من غير يقين ولا تواتر متصل، وسمع بذلك القيصر بن هيلانة لما كثر أعداؤه وكاد ملكه أن يذهب، فحملهم على عقيدته وشريعته، وتركوا عقيدتهم وشريعتهم، إذ كل ما بأيديهم اليوم أو أكثره مما شرعه لهم مع نفر من أحبار اليهود[٢].

خلاصة:

تضمن ردُّ أبي عبيدة على النصارى نقاطاً كثيرة أهمها:

١ ـ تعليل الصلب وإبطاله عقلاً.

٢ ـ إبطال دعوى الصلب بالإنجيل.

٣ ـ إبطال دعوى الصلب بتناقض خبره.

٤ ـ إبطال دعوى الصلب بالقرآن الكريم.

٥ ـ إبطال دعوى الصلب بدليل تاريخي.

---

(١) مقامع الصلبان، ص١٦٧، ١٦٨، وانظر: للمزيد، التمهيد، لابن عبد البر الأندلسي ١٤/١٩٥ ـ ٢٠٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٦٩ ـ ١٧٢.

في كتابه: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) والرد عليهم في معتقد الصلب والفداء:

١ - الصلوبية وسببها وقولهم فيها:

لا خلاف بين النصارى أن إنكار الصلب كفر، ومن أنكره أو شك فيه فهو كافر، وعقيدة الصلب أحد أركان الديانة النصرانية الركين وأصلها المتين.

فما قولهم فيها؟ وما سبب الصلوبية؟ وما معناها عندهم؟

أجاب القرطبي على هذه التساؤلات بإيراد نقول عنهم في هذا. ومما أورده من نقول ما نقلناه آنفاً من رسالة القسيس لأبي عبيدة الخزرجي بنصه. من أن منزلة السيد فوق منزلة العبد المذنب آدم ولم يعاقبه لاعتلاء منزلة السيد، وإنما أنزل ابنه الإله ليعفو عن الإنسان الذي هو إله مثله.

ثم نقل نصاً آخر عن أحد قسسهم للملك «ليون كبول»: «أسرتنا لا يمكن أن تحل، إلا بأن يطلع إنسان من جنسنا وطبيعتنا، من لا تضبطه معصية الذنب على ضد آدم.

ومن بدمه الطاهر تمحو أزلات الريق المهلك، الذي كان حتمه الله، وقضى به منذ البدء، فتم ذلك الفعل عند انقضاء الزمان المحدود. وذلك ليتم الوعد الموعود».

ثم عقب الإمام القرطبي: مفهوم هذا الكلام: أن ذنب آدم كان في رقاب بنيه، إلى أن قتل عيسى، وانتقم منه لأجل آدم، وحينئذ عفي آدم وبنيه...

لهذه الحكمة كانت صلوبية المسيح عندهم[١].

ثم أوضح القرطبي جهل هؤلاء الأغمار وجرأتهم على العزيز الجبار، وشتيمة الأنبياء الأخيار، وأنه لو تتبع هذه الأقوال السخيفة وتناقضها لاحتاج إلى عدة أسفار، ثم بدأ الرد والمناقشة.

---

(١) انظر: الإعلام ٤/ ٤١٠، ٤١١.

٢ ـ إبطال صلب المسيح بوقوع الشك فيه:

أورد القرطبي بعض النقول من الإنجيل حول الليلة التي صلب فيها بزعمهم وأن يهوذا وقف على المسيح مع جماعة من اليهود، وقال من قبلته فهو يسوع، ثم ذكر روايات بعض الأناجيل في اختلاف تفاصيل ما وقع، ومنها إطلاق جملة التلاميذ وأن يهوذا الدال عليه ندم على ما فعل لما رأى ما وقع ورد الدراهم على اليهود ثم ألقاها وتوجه إلى موضع خنق فيه نفسه. وهذا يحتمل احتمالات عدة:

منها: أن يهوذا كذب لليهود هو ذا.

منها: أنه يحتمل أن يكون المسيح في الجماعة الذين أطلقوهم. وكان أحد الأتباع باع نفسه في سبيل الله.

منها: أن أعوان اليهود أخذوا عليه رشوة وأطلقوه.

منها: أنه لا يبعد أن يكون الله رفع المسيح إلى السماء، وصور لهم شيطاناً أو غيره بصورة تشبه صورته.

وإنما نقلوه ليس نصاً قاطعاً، ولا نقلاً متواتراً. فحصل أنهم غير عالمين بصلبه ولا موقنين بقتله، فاليهود في شك فيه والنصارى على غير علم به، وهكذا قال كتاب الله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾[1] [النساء: ١٥٨].

٣ ـ إبطال صلب المسيح عقلاً:

عقب القرطبي على بعض الأقوال التي أوردها بنصها عنهم. ومنها: قولهم: «من رحمته على الناس أنه رضي بهرق دمه عنهم في خشبة الصلب». وهذا تواقح لا يفوه به من الحياء أقل نصيب، وكيف يجترئ أن ينطق بهذه القبائح عاقل؟

---

(١) انظر: الإعلام ٤/ ٤١٢ ـ ٤١٦.

وهلّا كان يرحم عباده بأن يغفر لأبيهم. ولا يحتاج إلى هذا كله؟

أو ليس كان يكون غفران الذنب أهون عليه ابتداء وأليق بالحكمة والرحمة والرأفة من أن يعاقب من لم يجن؟ ثم لم يكفهم هذا من عاقب ابنه بل عاقب نفسه. وهذا قول وقاح وإفك صراح ويلزمكم على هذا أن الله لم يتب على آدم إلا بعد عقوبة المسيح، وهذا تكذيب كتب الأنبياء؛ لأنها قصت توبة آدم وندمه.

قاتلكم الله ما أسخف عقولكم، وما أرك فروعكم وأصولكم، ولقد أحسن بعض عقلاء الشعراء في إفحام هؤلاء الأغبياء فقال:

عجبى للمسيح بين النصارى ... وإلى أي والد نسبوه

أسلموه إلى اليهود وقالوا ... إنهم بعد قتله صلبوه

فإذا كان ما تقولون حقاً ... وصحيحاً فأين كان أبوه؟

حين حل ابنه رهين الأعادي ... أتراهم قد رضوه أم أغضبوه؟

فلئن كان راضياً بأذاهم ... فاحمدوهم لأنهم عذبوه

وإذا كان ساخطاً فاتركوه ... واعبدوهم لأنهم غلبوه

فقد جعلتم أنفسكم ضحكة العقلاء، حيث ارتكبتم كل قبيحة شنعاء[1].

خلاصة:

أجملت الرد المطوّل للإمام القرطبي على النصارى في مبحث الصلب ـ كما ورد آنفاً ـ وهذا تلخيصها:

١ ـ الصلوبية وسببها وقولهم فيها.

٢ ـ إبطال صلب المسيح لوقوع الشك فيه.

٣ ـ إبطال صلب المسيح عقلاً.

---

(١) انظر: الإعلام ٤/٤١٥ ـ ٤١٩.

في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) والرد على معتقد الصلب:

في تأويله لآيات في آل عمران ذكرت المسيح وما وقع له في دعوته لبني إسرائيل، والدعوة إلى توحيد الله والاعتراف والإقرار ببشرية المسيح، وأنه لم يصلب ولم يقتل، عند قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ومما أوله في تفسير الآية الكريمة: «﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ إلقاء شبه عيسى على غيره، ورفع عيسى إليه وذلك أن اليهود لما اجتمعوا على قتل عيسى دخل البيت هارباً منهم، فرفعه جبريل من الكوة إلى السماء، فقال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه فاقتله، فدخل الخوخة فلم يجد هناك عيسى وألقى الله عليه شبه عيسى، فلما خرج رأوه على شبه عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه. ثم قالوا: وجهه يشبه وجه عيسى، وبدنه يشبه بدن صاحبنا، فإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ وقيل غير هذا»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾الآية [آل عمران: ٥٥].

ذهب إلى أن الله رفعه إليه من غير وفاة ولا نوم، وأورد قول الضحاك: كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى، اجتمع الحواريون في غرفة وهم اثنا عشر رجلاً، فدخل المسيح من مشكاة الغرفة، فأخبر إبليس جمع اليهود، فركب منهم أربعة آلاف رجل، فأخذوا باب الغرفة فقال المسيح: أيكم يخرج ويُقتل ويكون معي في الجنة؟ فقال رجل: أنا يا نبي الله، فألقى عليه مدرعة[٢] من صوف وعمامة من صوف وألقى عليه شبه عيسى، فخرج على اليهود فقتلوه

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٩٩.

(٢) هي الدراعة: وهي ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل جبة مشقوقة من المقدم لسان العرب ٨/ ٨٢ ويلبسها اليوم شعب موريتانيا الذي أعيش بين ظهرانيه كذلك بعض شعوب غرب إفريقيا.

وصلبوه. ثم نقل أثراً عن ابن عباس يشبه ما ذكره، ثم ذكر افتراقهم بعده إلى فرق عدة، هم فرق النصارى المشهورة المذكورة في قديم الدهر وحديثه[1].

ابن جزي الكلبي

في كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) والرد على معتقد الصلب:

في أوائل سورة آل عمران، وصف الله نفسه بأنه الحي القيوم، فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] وهذا رد على النصارى في قولهم إن عيسى هو الله لأنهم زعموا أنه صلب فليس بحي ولا قيوم[2].

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عمران: ٥٤]: أي رفع عيسى إلى السماء، وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل عوضاً منه[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧].

ذكر ابن جزيّ أن عيسى قال لأتباعه أيكم يلقى عليه شبهي ويقتل ويكون في الجنة، فقال أحدهم أنا، فألقي عليه الشبه فقتل على أنه عيسى.

وقيل: بل دل عليه يهودي، فوقع عليه الشبه فقتل.

وفي الآية رد على اليهود والنصارى وتكذيب لهم، ورد لعبادة النصارى للصليب على أنه صلب فيه، وكيف تناقضوا في قولهم إنه إله وابن إله ثم يقولون إنه صلب.

أما قوله: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ [النساء: ١٥٧]: فيه تأويلان: أحدهما ما ذكرناه من إلقاء الشبه على الحواري أو اليهودي.

والثاني: شبه لهم الأمر، أنه صلب رجل حتى تغير بحيث لا يعرف، وقالوا هو عيسى. فخلطوا على الناس القول فاعتقد الناس صدقهم وكانوا متعمدين للكذب[4].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/٩٩، ١٠٠، ٦/٩.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/٩٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/١٠٨.

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٦٣.

في كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) والرد على القول بالصلب:

تكلم الترجمان على هذا المعتقد باقتضاب، ولعله بذل الجهد واستفرغ الوسع في الرد عليهم في نقاط أخرى كالتوحيد والنبوة وغيرها. ويمكن أن أوجز أهم ما ردّ به فيما يلي:

١ ـ نقض دعوى الصلب عقلاً:

زعمت النصارى أن الابن الإله صلب، وأنه مات وسال دمه، في سبيل التكفير عن أبناء آدم. ولكن النصارى يزعمون في ذات الوقت أن المسيح الابن الإله مكون من لاهوت وناسوت اتحدا وامتزجا وصارا شيئاً واحداً، ومن هنا أخذ الترجمان في جدالهم وإفحامهم وقد تساءل في سياق الرد: وأين كان لاهوته لما مات ناسوته؟ لا سيما على قولهم إنهما اتحدا أو تمازجا والتحما. فما الذي فرق بينهما عندما ضرب جسده وناسوته بالسياط على زعمهم؟ وعصب رأسه بالشوك وصلب على خشبة وطعن بالرماح حتى مات وهو يصيح جزعاً وخوفاً؟ فأين غاب لاهوته عن ناسوته في هذه الشدائد مع الممازجة والالتحام على قولهم؟ وهم لعنهم الله يزعمون أن لاهوته فارقه عند الصلب والقتل، ثم رجع إليه لاهوته فأخرجه من القبر ورجع إليه ثم صعد به إلى السماء؟

وهذه كلها دعاوى باطلة، وهي من الكفر الركيك، وفضائح لا يرخصها عقل سليم[1].

---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١٤٤، ويعقب ابن قيم الجوزية على هذه الخرافة الماحقة لما أن تكلم على ألوان من سخافة النصارى في الصليب «وكيف ينكر لأمة أطبقت على صلب معبودها وإلهها، ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظمته، وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه وأن تهينه غاية الإهانة إذ صلب عليه إلهها» هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ص١٠، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٢ ـ نقض دعوى الصلب بتناقض خبره وكذب نقلته:

ومن ذلك أن ماركوس (مرقص) زعم أن المسيح لما صلب قام من بين الموتى من يومه[١] ثم صعد إلى السماء.

وخالفه لوقا في كتابه الذي سماه قصص الحواريين، فإنه ذكر أنه صعد إلى السماء بعد قيامه من بين الأموات بأربعين يوماً.

وحسبك بهذا دليل على كذبهما في هذا من أصله. فوالله ما قتل عيسى ولا دفن ولا قام من قبره بعد يوم ولا بعد أربعين يوماً، فلعنة الله على الكافرين[٢].

ومن ذلك: اختلاف عبارات في الليلة التي صلب فيها ـ زعموا ـ حيث ذهب يوحنا أن يهوذا اشكريوط هو الذي خان وأنه يعطي الخبر مصبغاً.

وذهب ماركوس أنه يصبغ خبره هو بنفسه.

وذهب متى أنه معه في التلاميذ فقط.

وهذا اختلاف بين؛ لأن عيسى لم يتكرر منه هذا القول في مجلس واحد وهذا تناقض دل على كذب الذين كتبوا الإنجيل لعنهم الله[٣].

ومن ذلك: قصة اللصين اللذين صلبا مع المسيح واختلاف الخبر في وصفهما وموقفهما من المسيح[٤].

⊙ تعقيب حول المبحث

تعتقد النصرانية المعاصرة ما اعتقده أسلافها من أن المسيح صلب من أجل فداء البشر وتكفيراً لخطاياهم ـ كما سبق وذكرته أول هذا المبحث عن (المجمع الفاتيكاني الثاني) ـ وتزعم أنه من أسرار الكون الكبرى، وأنه لما

---

(١) انظر: إنجيل مرقص الإصحاح: ١٦/١٩ بمعناه.

(٢) انظر: تحفة الأريب، ص١٢٠.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٢٠٥ ـ ٢٠٨.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٢١٠ ـ ٢١٢.

صلب المسيح تخلى عنه جميع البشر وتخلى عنه الله[1]، وأنه لا معنى لقيامة المسيح دون سر الصلب[2]. أما لماذا بقي الصليب بعد صلبه؟ وما حكمته؟ فقد «صلب ليخلص الناس ويفتديهم، ولكنه قام من بين الأموات وصليبه موضوع إكرام من حيث هو علامة الفداء»[3].

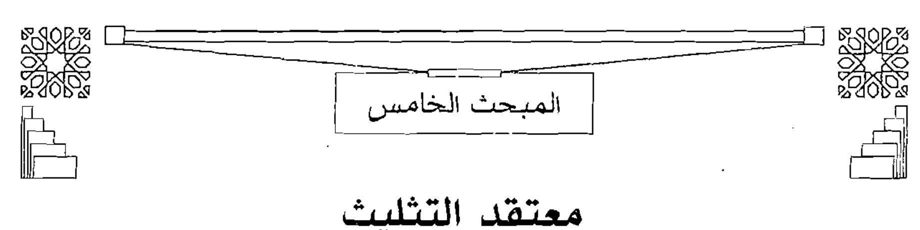
وفيما فرط من رد أهل العلم على هذا المعتقد الفاسد كفاية والحمد لله.



(١) انظر: مقالات لاهوتية ٧/ ١٠٤.

(٢) انظر: أفكار وآراء ١/ ١١/ ٤٤.

(٣) الإسلام والغرب ٢/ ٥٢.



المبحث الخامس

معتقد التثليث

ابن حزم

في كتابه: (الفصل في الملل والنحل) والرد على معتقد التثليث:

وكان هذا المبحث مما اختصر فيه الإمام، حيث صرف إلى قضايا التوحيد كل الاهتمام، ومما لخصته في رده على معتقدهم الباطل في التثليث:

١ ـ نشأة التثليث:

ذهب ابن حزم إلى أن النصارى كانوا على التوحيد منكرين للتثليث موافقين لنا في الاعتقاد[١]، وإنما طرأ التثليث بعد ما ظهر الثلاثة وهم «لوقا» الطبيب الأنطاكي و«مرقس» الهاروني و«بولس» البنياميني، وهؤلاء كذابون مدلسون متسترون في الدين، يعتقدون دين اليهود ويدعون إلى التثليث سراً[٢].

ثم قويت الدعوة إلى التثليث ونشرت بقوة السلطان بعد نحو ثلاثمائة سنة من رفع المسيح في عهد الملك قسطنطين ـ وهو أول من تنصر من الملوك ـ ولم يقدر على إظهار النصرانية حتى رحل عن رومه[٣] مسيرة شهر وبنى بزنطية

---

(١) انظر: الفصل ١/ ١٧٧.

(٢) انظر: الفصل ١/ ٣١٣، ويذهب ابن تيمية ﷺ أن التثليث أُقر به ووضع في المجمع الكنسي الأول الذي حضره قسطنطين. انظر: الجواب الصحيح ٢/ ٤٠٦.

(٣) رومه: هي مدينة النصارى وبها دار البابا الذي جيشهم لقتال المسلمين وهي مدينة كبرى. عجائب الآثار ٢/ ١٨٣ وانظر: أبجد العلوم ١/ ١٧٢ معجم البلدان ١/ ٣٢٣.
قلت: وهي اليوم مدينة روما عاصمة الدولة الإيطالية، وبداخلها دولة الفاتيكان التي يرأسها البابا.

وهي القسطنطينية، ثم أجبر الناس على النصرانية بالسيف والعطاء. وكان من عهوده المحفوظة ألا يولي ولاية إلا من تنصر، ثم لم يلبث دين النصارى أن مات قسطنطين أول من تنصر من ملوك الدنيا، ثم مات ابنه قسطنطين بن قسطنطين، وولي ملكٌ تَرَكَ النصرانية، ورجع إلى عبادة الأوثان إلى أن مات، ثم ولي رجل من أقارب قسطنطين، فرجع إلى النصرانية[1].

هذا ما يتعلق بنشأة التثليث وتاريخه وبدايته، أما من حيث ماهية التثليث الذي تقول به النصارى، والذي ينتج عنه ما يسمونه بالحلول فيجيب عليه:

٢ ـ ماهية التثليث والاتحاد:

ثالوث النصارى مكون من ثلاثة آلهة، الأب، الابن، وروح القدس، وهم يضيفون شيئاً رابعاً وهو الكلمة، وهي المتحدة عندهم بالإنسان، الملتحمة في مشيمة مريم؟![2].

أما الاتحاد عندهم، فهم يقولون: إن الإله اتحد مع الإنسان، بمعنى أنهما صارا شيئاً واحداً.

فقالت اليعقوبية: كاتحاد الماء يلقى في الخمر فيصيران شيئاً واحداً.

وقالت النسطورية: كاتحاد الماء يلقى في الزيت، فكل واحد منهما بحسبه وقالت الملكية (الكاثوليك): كاتحاد النار في الصفيحة المحماة[3].

٣ ـ نقض عقيدة التثليث والحلول عقلاً:

بعد أن أوردت مختصراً لما ذكره الإمام ابن حزم حول عقيدة التثليث والاتحاد وماهيته فإليك أهم ما رد به:

أولاً: أن هذه دعاوى ولا يعجز أي متحامق عن مثلها، وليس في إنجيلهم شيء منها.

ثانياً: أنها كلها محال في غاية الفساد، إذ زعموا أن الإله استحال إنساناً.

---

(١) انظر: الفصل ٢/٢٢٨، ٢٢٩. (٢) انظر: الفصل ١/١١٨.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/١١٦، ١١٧.

والمسيح إنسان وليس إلهاً، وإن كان الإنسان استحال إلهاً فالمسيح إله وليس بإنسان ولم لا يكون الإله استحال إنساناً؟!. وإن كانا استحالا إلى غير الإنسان والإله فالمسيح لا إله ولا إنسان، وكل هذا خلاف قولهم.

أما قول من قال: إنه كالماء في الزيت، فلم يزيدوا أن قالوا: الإله إله والإنسان إنسان[1].

وحول التثليث المذكور آنفاً والكلمة المتحدة بالإنسان ناقشهم ابن حزم:

يقال لهم: الكلمة هي الأب أو الابن أو الروح القدس، أم شيء رابع؟

فإن قالوا: شيء رابع فقد خرجوا عن التثليث إلى التربيع.

وإن قالوا: إنها أحد الثلاثة، سئلوا عن الدليل على ذلك، إذ الدعوى لا يعجز عنها أحد.

ثم يقال لهم: الأب هو الابن أم غيره؟

فإن قالوا: هو غيره سئلوا أيضا:

من الملتحم في مشيمة مريم، المتحد مع طبيعة المسيح، الأب أم الابن؟ فإن قالوا: الابن فقد بطل أن يكون هو الأب. وهذه وساوس لا نظير لها[2].

وقد هزأ ابن حزم في قصيدته التي رد بها على النصارى من معتقد التثليث مبيناً أنه أبعد شيء عن المعقول فيقول:

أتقرن يا مخذول ديناً مثلثاً ... بعيداً عن المعقول بادي المآثم

ويقول بعد ثنائه على رسول الله ﷺ وأنه جاء بحجج التوحيد كالشمس تدحض ما جاءوا به من تخليط وباطل:

براهينه كالشمس لا مثل قولكم ... وتخليطكم في جوهر وأقانم[3]

---

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ١١٧.

(٢) انظر: المصدر نفسه ١/ ١١٨، ١١٩.

(٣) انظر: البداية والنهاية ١١/ ٣٥١، ٣٥٢.

خلاصة:

١ ـ تكلم الإمام ابن حزم على نشأة التثليث وابتدائه.

٢ ـ أوضح ماهية التثليث والحلول.

٣ ـ نقض عقيدة التثليث والحلول عقلاً.

أبو الوليد الباجي

(في رسالته لراهب فرنسا) والرد على معتقد التثليث:

لم يطل إمامنا الحديث حول التثليث وإنما ورد في رسالته إشارات تضمنت الرد في سياق بيان تهالك عقيدة النصارى، وأن عنده من علم شريعة النصارى واختلاف أخبارها في ملتهم وما تورده كل طائفة في الأقانيم والاتحاد، ومعنى اللاهوت والناسوت والجوهر وغير ذلك من تنميقات أناجيلهم.

رد عقلي:

ثم يخاطب الراهب أننا قد رأينا ما في كتابك مما خالفت فيه جميع أهل ملتك؛ فإنه ليس في فرق النصارى من يقول: إن المسيح لا ينبغي الإيمان بأحد سواه، بل هو الإيمان بالأب عندكم واجب، والأب لم يتحد بالناسوت عندكم وإنما اتحد به الابن؟!

فمن لم يؤمن بغير الابن كفر بالأب، وقد تقدم في كتابك أن المسيح ابن الله وهذا نقض لقولك: إنه لا ينبغي الإيمان بغير المسيح الذي هو الابن(١).

وحول عقيدة الاتحاد أجاب معتذراً لضيق المقام: «وقد اختلفت فرقكم في الاتحاد الذي سميتموه التحاماً اختلافاً لعلة لم تبلغك؟ ولو كنت لدينا، لأريناك في هذا من كلام متقدمي أهل ملتك، ثم من تقريع المسلمين على

---

(١) انظر: رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين ورد الباجي عليها، ص٧٢، ٧٤.

ذلك، وتتبع الحجج بما لم يبلغه قط أحد منهم، ولأسمعناك من غرائبه وعجائبه، وتلفيقاته وتناقضه وفضائحه واضطراب رواة الأناجيل، ما يملأ سمعك ويطيش له لبك، لكن الكتاب لا يحتمل التطويل...»[1].

أبو طالب عبد الجبار

في (منظومته العلمية التاريخية) والرد على معتقد التثليث:

وقد قدمت آنفاً رده عليهم في الألوهية والصفات والربوبية. ومن أرجوزته في مسألة التثليث قوله:

«والانفراد غاية في المدح ... والاشتراك من دواعي القدح

وللنصارى القول بالتثليث ... أفظع به من مذهب خبيث

وطابقوا اليهود في التجسيم ... أف له من منطق ذميم

جل الإله الفرد عن شريك ... فهو ذو التقديس والتبريك»[2]

ابن عطية

في تفسيره: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) والرد على معتقد التثليث:

وقد ورد رده على النصارى في سياق تأويله لآيتين من كتاب الله:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وعلق على الآية أن المراد بالثلاثة: أن المعبود ثلاثة، أو الإله ثلاثة، أو الأقانيم ثلاثة، وكيف ما تشعب اختلاف عبارات النصارى فإنه يختلف بحسب ذلك التقدير[3].

---

(١) المصدر السابق، ص٨٤، ٨٥.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/ج ٢/ ٩٢٥.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٤/ ٣١٧.

والثانية: قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ﴾ [المائدة: ٧٣].

هذه الآية إخبار مؤكد كالذي قبله، وهو عن هذه الفرقة الناطقة بالتثليث، وهي فيما يقال الملكية (الكاثوليك) وهم فرق منهم النسطورية وغيرهم، ولا معنى لذكر أقوالهم في كتاب تفسير، إنما الحق أنهم على اختلاف أحوالهم كفار من حيث جعلوا في الإلهية عدداً، ومن حيث جعلوا لعيسى ﷺ حكماً إلهياً[(١)].

بعد ذلك أوضح ابن عطية جزاءهم إن لم ينتهوا، وأبان بشرية عيسى، وأنه رسول كسائر المرسلين كما ذكر الله ﷻ.

أبو عبيدة الخزرجي

في كتابه: (مقامع الصلبان) والرد على النصارى في معتقد التثليث:

١ ـ قول النصارى في التثليث وحقيقته لديهم:

عندما أرسل القسيس رسالته لإمامنا الخزرجي كشف كشفاً جلياً عن هذا المعتقد بقوله: «من فلان إلى فلان[(٢)] باسم الأب، والابن، والروح القدس إله واحد»[(٣)].

وقال داعياً الفتى الخزرجي إلى الإيمان بثالوثه: «فإذا أردت أن يتغمدك الله برحمته، وتفوز بجنته، فآمن وقل إن المسيح ابن الله الذي هو الله، والروح القدس، ثلاثة أقانيم في أقنوم واحد، فستنجح وترشد»[(٤)].

وزعم أنه كان وحيداً في الدنيا والآخرة وهو بذلك ابن الله؟!، وهذا

---

(١) انظر: المحرر الوجيز٥/ ١٦١.

(٢) ورد بهامش الكتاب أن إحدى المخطوطات (من خنا مقار العيسوي إلى عز الدين المحمدي).

(٣) مقامع الصلبان، ص٧١.

(٤) المصدر السابق، ص٦١.

الزعم القديم الحديث أن الله ثلاثة !! وهو واحد في ذات الوقت، نسأل الله الهداية ونعوذ به من الخذلان.

٢ ـ الرد عليهم في عقيدة التثليث من وجوه:

ولم يشأ أبو عبيدة أن يرد عليهم رداً مرتباً معيناً في معتقد التثليث، وإنما ورد الرد في ثنايا كتابه، ويمكن إيجازه في هذه الوجوه:

الأول: أن هذه العقيدة التي قبلوها وتشرعوا بها لم تصل بطريق متصل، وإنما شرعها لهم القيصر ابن هيلانة وحمله على ذلك نفر من أحبار اليهود، لما كاد ملكه أن يذهب، ولم يكن يعرف شيئاً عن المسيح ومعناه، ولا من هو، ولا ما هو؟![1].

الثاني: أن هذه دعوى مجردة من الدليل، فمتى ادعى عيسى عليه السلام الألوهية تصريحاً؟ أو ذكر الأقانيم التي تقولونها توضيحاً؟[2].

الثالث: أنكم تأولتم في التوراة وبعض النبوات لإثبات التثليث بما يخرج عن منهج الحق، بخلاف من سبقكم، وجعلتم هذه التأويلات دليلكم على التثليث. إلى غيرها من التأويلات التي هي رمد في عين الإيمان.

ثم احتال بعضكم لذلك الكفر البشيع والجهل الشنيع، بوجوه من الشبه التي هي أقبح من الذنب، كالشمس ثلاثة أشياء: جرم ونور وحرارة تشبيهاً بالتثليث، وكالحديدة يحميها الحداد إلى غير ذلك من الهذيانات.

وإنما صنعتم هذه الأقوال الوخيمة لتوهموا جهلاءكم أن تلك البشائع التي تعتقدونها، وتنطق بها ألسنتكم أسراراً وأصولاً ثابتة في الحقائق[3].

٣ ـ نقض عقيدة التثليث عقلاً:

يخاطب الخزرجي، القسيس راداً ومفنداً دعاواه حول التثليث: «ومن

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٧٠، ٢٦٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٤٠، ١٤١.

عجيب تناقضكم اتفاقكم على أن التثليث أب، وابن، وروح قدس. وأن كل واحد من هذه الثلاثة لا يبصر، ولا يلحقه ما يلحق الخليقة. وأن عيسى كان يبصر، ويجوع، ويشبع، ويأكل، وغير ذلك من صفات الخليقة. ثم جعلتموه الابن من تلك الثلاثة، ويلحقه ما ليس يلحقها.

فإن قلتم: إن نصفه هو إله تام، والنصف الآخر ليس بإله. فيلزمكم إذا دعوتموه أن تقولوا: يا نصف المسيح ارحمنا. وإذا قيل: من إلهكم؟. فقولوا: هو نصف المسيح وكيف يكون نصفه خالقاً، ونصفه معبوداً لنصفه، وليس بإله تام؟»[1].

رد آخر:

قالت النصارى: إن الابن إله تام، وإن الأب يستحق من الألوهية والقدم ما لا يستحقه الابن. فإذا كان ذلك، فالابن إذن إله غير تام، حيث لا يستحق من الألوهية مثل ما يستحقه الأب. وهذا من مكابرتكم العقول.

ثم ذكر ـ أبو عبيدة ـ مقالات فرق النصارى في الاتحاد وتخبطهم واختلافهم فيه: ..ثم اتفقتم أن أقانيم الأب والابن والروح القدس غير مختلفة بل هي أقنوم واحد؟ فإذا كان هذا الأب هو الابن، وهما روح القدس، الكل شيء واحد، وهذا توحيد !!

فلم خصصتم المسيح بالابن، ولم تقولوا إنه الأب؟ وقد قلتم: إن الأب والابن والروح القدس شيء واحد؟

ثم جعلتم جوهر البدن شيئاً معبوداً وليس من الثلاثة، فهؤلاء إذن أربعة، وقد بطل التثليث، وصار تربيعاً. فإن أبيتم إلا ثلاثاً، فقد جعلتم نفي العبد وإثباته سواء، وكابرتم العقول[2].

خلاصة:

مجمل كلام الخزرجي اختصرته في نقاط:

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص١٨٠، ١٨١.

١ ـ قول النصارى في التثليث وحقيقته لديهم.

٢ ـ الرد عليهم في معتقد التثليث من وجوه.

٣ ـ نقض عقيدة التثليث عقلاً.

الإمام القرطبي

في كتابه: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) والرد على معتقد التثليث والحلول:

١ ـ قول النصارى في التثليث والحلول:

حكى القرطبي قول النصارى في التثليث المذكور آنفاً ـ الأب، الابن، الروح القدس ـ إله واحد من أقانيم مختلفة.

أما الاتحاد وما يعنيه لدى الجم الغفير ـ منهم ـ والقلائل فقد أورده من كلام النصراني السائل وحاصله: أن التثليث يرجع إلى ثلاثة خواص لواحد لا يتبعض. وقد اتحد الابن بالمسيح، دون الأب وروح القدس. والمسيح هو الكلمة التي التحمت وصارت فينا، والقدرة هو الله، والإرادة هي روح القدس؟![1].

وزعم النصراني أن هذا عن الله وعن رسله وهو مما يصدقه العقل والنقل[2].

وقد أجاب إمامنا القرطبي بجواب عقلي رصين منه:

٢ ـ نقض قولهم في التثليث والحلول عقلاً:

أخبره بتهافت قوله وتناقضه، وأنه من الكلام الذي تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع وتساءل أنهم ردوا التثليث إلى ثلاثة خواص، لواحد لا يتبعض. فلم بعضتم ما لم يتبعض؟

وثاني سؤال: لم اتحد الابن بالمسيح دون الأب وروح القدس؟

---

(١) انظر: الإعلام ١/٩١، ٩٢.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/٩٧.

وثالثها: لم سميتم المسيح ابناً؟

ورابعها: لم سميتم الله تعالى أباً؟

وخامسها: لم سميتم إرادة الله تعالى روح القدس؟

أما قولك في جواب من سألك عن الاتحاد وحقيقته: نقول بذلك تقليداً للإنجيل، والنبيين ورسل رب العالمين. فكلام غير متين لا يصدر مثله عن عقل رصين.

ثم جادله أن الأنبياء صادقون مصدقون وما جئت به مناقض للعقول. والصادق ما يخبر بصحة ما يعلم بالعقول فساده.

ولو ادعى أن الله أرسله لنا ليخبرنا: أن الثلاثة واحد من حيث هي ثلاثة، وأن الواحد ثلاثة من حيث أنه واحد. وفهم ذلك منه بنص لا يقبل التأويل، لبادر العقلاء إلى تكذيبه.

وكذلك لو قال: إن الضدين يجتمعان مع مراعاة شروط التضاد. إلى غير ذلك من أنواع المحالات، ومن هذا القبيل: هو ما ادعيتم من الاتحاد[1].

وقد أطال القرطبي في نقض أقوالهم وتركت كثيراً منها لاشتمالها على جدل كلامي منطقي مطول.

خلاصة:

١ ـ أجمل قولهم في التثليث والحلول من كلامهم وكتبهم.

٢ ـ نقض قولهم في التثليث والحلول عقلاً.

---

(١) انظر: المصدر نفسه ١/ ٩١ ـ ٩٩، هذه العقائد الباطلة المخالفة لبدائه العقول جعلت أرباب الكنيسة يتحاشون نشرها بين الناس، ففي وثيقة هامة نشرتها مجلة البيان تضمنت ٣٧ وصية للمنصرين في الجزائر، كان من أهمها:
أن لا تناقش عقيدة الثالوث مع المسلمين.
لا تقل إن المسيح ابن الرب.
حاول الخروج من مأزق الصلب. انظر: مجلة البيان، العدد: ١٥٥ رجب، ١٤٢١هـ، أكتوبر، ٢٠٠٠م، السنة: ١٥، ص٦٧ ـ ٧٣.

في كتابه: (الجامع لأحكام القرآن) والرد على معتقد التثليث:

ورد في ثلاثة مواضع من تفسيره، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ [النساء: ١٧١].

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

وفي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: ٧٣].

نقل عن ابن عباس أن المراد بالثلاثة عند النصارى في الآية: الله تعالى وصاحبته وابنه. ونقل أن النصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث، ويقولون: إن الله جوهر واحد، وله ثلاثة أقانيم، فيجعلون كل أقنوم إلهاً، ويعنون بالأقانيم: الوجود والحياة والعلم.

وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس.

ويعنون بالأب: الوجود، وبالروح: الحياة، وبالابن: المسيح، في كلام لهم فيه تخبط، بيانه في أصول الدين[1].

أما في تفسير الآيتين الأخريين فقد فسرهما: أنهم جعلوا الله أحد الثلاثة، وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية؛ لأنهم يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم، وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة، وذلك انهم يقولون: إن الابن إله والأب إله وروح القدس إله، وقد أكفرهم الله بقولهم[2].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ٦/ ٢٤٩، ٢٥٠.

ثم أوضح القرطبي ما جاء فيها من الدعوة إلى التوحيد وتبري المسيح من الإلهية أو أنه بشر من سائر الناس.

أبو محمد الترجمان الميورقي

في كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) والرد على معتقد التثليث:

١ ـ النصرانية والتثليث:

تقوم عقيدة النصارى ـ وخاصة الكاثوليك، الذين هم أهل الأندلس ـ على اعتبار تعدد الأقانيم أو الآلهة واتحادها في إله واحد.

وقد عرف الترجمان وأوضح هذا في بداية تعريفه للنصراني من هو؟ ومنه: «يا هذا اعلم أن التنصر هو أن تعتقد أن الله ثالث ثلاثة، وأن ربنا عيسى هو ابن الله، وأنه التحم في بطن أمه مريم، وصار إنساناً وإلهاً، فهو إله من جوهر أبيه، وإنسان من جوهر أمه...»(١).

واعتبر الترجمان أن دين النصارى قائم على خمس قواعد، وذكر أن القاعدة الثانية هي: الإيمان بالتثليث، على ما شهد لهم أئمة الضلال والكفر من أوائلهم لعنهم الله.

فيؤمنون بأن الله ـ تعالى عن قولهم ـ ثالث ثلاثة، وأن عيسى هو ولد الله، وأن له طبيعتان ناسوتية ولاهوتية، وهاتان الطبيعتان صارتا شيئاً واحداً.

فصار اللاهوت إنساناً محدثاً تاماً مخلوقاً وصار الناسوت إلهاً تاماً خالقاً غير مخلوق وبعضهم يقول: الثلاثة هم: الله تعالى وعيسى ومريم(٢).

---

(١) تحفة الأريب، ص١٣٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٣٧ ـ ١٤١.

الرد والمناقشة:

بعد إيراد أقوالهم المنكرة، غير النيرة عقب: بأنه: «لا يشك ذو عقل سليم إن كل من آتاه الله مسكة من العقل: يجب عليه أن يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الإفك الغثيث البارد السخيف الرذيل الفاسد، الذي تتنزه عنه عقول الصبيان ويضحك منه ذوو الأفهام والأذهان، فالحمد لله الذي أخرجني من زمرتهم وعافاني من بليتهم»[(١)].

ثم رد على قولهم إن المسيح ابن الله، وضرب صفحاً عن مناقشتهم في قضية التثليث[(٢)]؛ كون تصورها عقلاً كاف في بيان تناقضها وبطلانها.

أما مناقشتهم في القول بالطبيعتين اللاهوتية والناسوتية فأوضح: أن هذه «كلها دعاوى باطلة، وهي من الكفر الركيك لا يرخصها عقل سليم، وكيف يزعمون أن لعيسى طبيعتين صارتا شيئاً واحداً، وفي أناجيلهم ما يشهد أنه ليس له إلا طبيعة واحدة وهي الآدمية، وبرهان ذلك ما قاله متى في الفصل الثاني من إنجيله: إن عيسى عليه السلام لما انتقل إلى مدينته التي ولد فيها استخف الناس به، فقال: «لا يستخف بنبي إلا في مدينته»[(٣)].

فهذا إقرار بأنه نبي من جملة الأنبياء وليس للأنبياء كلهم إلا طبيعة واحدة وهي الآدمية»[(٤)].

---

(١) المصدر نفسه، ص١٤١.

(٢) قال ابن تيمية حول هذه الهزالة: «وقولهم فالإله واحد خالق واحد رب واحد هو حق في نفسه لكن قد نقضوه بقولهم في عقيدة إيمانهم نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد إله حق من إله حق من جوهر أبيه مساو الأب في الجوهر. فأثبتوا هنا إلهين ثم أثبتوا روح القدس إلهاً ثالثاً وقالوا إنه مسجود له فصاروا يثبتون ثلاثة آلهة ويقولون إنما نثبت إلهاً واحداً وهو تناقض ظاهر وجمع بين النقيضين بين الإثبات والنفي، ولهذا قال طائفة من العقلاء أن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى، وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا بل تكلموا بجهل وجمعوا في كلامهم من النقيضين، ولهذا قال بعضهم لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا عن أحد عشر قولاً، وقال آخر لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم؛ لقال الرجل قولاً وامرأته قولاً آخر وابنه قولاً ثالثاً» الجواب الصحيح ٣/ ٢٩٩.

(٣) إنجيل متى الإصحاح: ١٣/ ٥٨ بلفظ: «ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته».

(٤) تحفة الأريب، ص١٤٥.

● تعقيب حول مبحث التثليث

من بدائه عقائد النصارى المعاصرين الإيمان بالتثليث إذ هو من أصول عقائدهم، ويعتقدون ما يعتقده أسلافهم من الإيمان بالثالوث: وهي المبادئ العقدية الأب الابن الروح القدس[١]، و«أن المبدأ الذي لا مبدأ له هو الأب، ويولد منه الابن وينبثق منه الروح القدس بالابن»!![٢].

ويعتبر النصارى المحدثون أن الثالوث ليس شركاً وليس نفياً لوحدة الله وأن الإيمان بالتثليث لا يناقض التوحيد بل يتفق معه[٣] وأن الأقانيم ـ باعترافهم ـ لم تحدث لفظتها إلا في آخر القرن الرابع الميلادي للرد على أهل البدع (آريوس الموحد وأتباعه) التي مزقت الكنيسة[٤]، ويقولون: إن الأقانيم ليست آلهة منفصلة، بل هي صفات للإله، ويمثلون التثليث بمثال الشمس التي تصدر عنها ثلاثة أشياء[٥]، وهي حجة داحضة كون الشمس جوهر واحد وآلهتهم ثلاثة جواهر كل واحد له خصائصه التي لا يشركه غيره.

أما أشدهم في إنكار التثليث وتأويله فهو المطران الارثوذكسي جورج خضر والمطران كيرلس سليم، حيث تعسفا في تأويل التثليث، وأقسما بالله جهد أيمانهما أنهم أهل توحيد!!، في مبحث طويل في التثليث. كما نفيا أن يكون القرآن يقصد المسيحيين بالتكفير لقولهم بالتثليث، وإنما قصد القرآن قوماً آخرين حول الجزيرة العربية اسمهم النصارى، لا دخل للمسيحيين بهم. ودليل ذلك أن القرآن كفرهم لأنهم عبدوا ثلاثة آلهة هي الله والمسيح ومريم، وأنهم لا يعبدون هذه الثلاثة، إنما يعبدون الأب والابن والروح القدس. واعتبرا أنهم أهل توحيد وإيمان؛ لأن الإيمان بالثالوث ليس شركاً وليس نفياً لوحدة الإله. وأن الثالوث خيار المسيحيين الأوحد فإما هو وإما الكفر[٦].

---

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ص٣٧٧.

(٣) انظر: أفكار وآراء ١٠/١/٦٤ ـ ٦٦.

(٤) انظر: المصدر السابق ١٠/١/٨٧.

(٥) انظر: المصدر نفسه ١٠/١/٩٢.

(٦) انظر: المصدر نفسه ١١/٢/٥١، ٨٩، ١٥٦، ٢٢٤، ١٠/١/٦٤ ـ ٩٠.

قلت: وهذه خطوات نحو الصواب، إذ الشعور بهذا الإحساس تجاه التثليث ينم عن شعور عميق - يهاب الظهور - بأن هذا المعتقد يخالف العقل والفطرة، ولا بأس من الرجوع والتراجع عن الخطأ، لا سيما وأن للكنيسة تاريخ لا ينكر في التراجع عن العقائد واستبدالها من مجمع إلى مجمع، من مجمع نيقية إلى تبرئة اليهود من دم المسيح، والمعصوم من عصمه الله.



الفصل الثاني

عقيدتهم في الإيمان بالملائكة

من ركائز إيمان أهل الإسلام الإيمان بالملائكة الكرام حيث قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

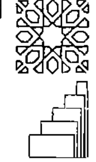
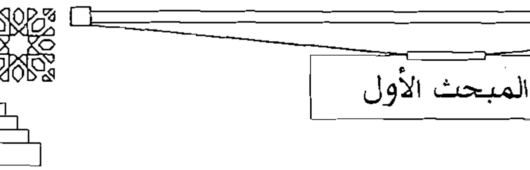
وقد عدها رسول الله ﷺ من أركان الإيمان الستة في حديث جبريل: «قال أخبرني ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»[١].

وهي مخلوقة من نور كما في حديث «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار...»[٢] وهي مسخرة مربوبة لا تعصي الله وتفعل ما أمرها به كما دلّت على ذلك الأدلة الشرعية.



(١) رواه مسلم ١/٣٦، رقم (٨)، باب بيان أن الإسناد من الدين، وأحمد في مسنده ١/٥١، رقم (٢٦٧)، وابن ماجه في سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد القزويني البغدادي ١/٢٤، رقم (٦٢)، باب في الإيمان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.

(٢) رواه مسلم ٤/٢٢٩٤، رقم (٢٩٩٦)، باب في أحاديث متفرقة، وأحمد في مسنده ٦/١٥٣، رقم (٢٥٢٣٥)، وابن راهويه في مسنده مسند إسحاق بن راهويه ٢/٢٧٧، رقم (٧٨٦)، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م والبيهقي في سننه الكبرى ٩/٣، رقم (١٧٤٨٧) كتاب السير، مبتدأ الخلق.

المبحث الأول

انحراف عقيدة النصارى في الملائكة

ابن حزم

في كتابه (الفصل في الملل والنحل) والرد على انحراف النصارى في الملائكة:

يقرر ابن حزم معتقد المسلمين في الملائكة كما ورد في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ[1]، أما في الفصل فقد ورد ذكر الملائكة في كتابه في سياق الرد على انحرافهم في الربوبية والألوهية وغيرها من القضايا الكلية ذات الأهمية، ويمكن أن نستشف بعض النصوص القليلة في كتابه، إذ لم ترد في فصل أو باب مستقل:

١ ـ إيمان النصارى بالملائكة:

وهل تؤمن النصارى بالملائكة وماذا تعتقد فيها؟

والجواب: نعم تؤمن النصارى بالملائكة إيماناً منحرفاً كسائر أصول الإيمان، وقد أورد أبو محمد ما يبين ذلك، ومما أورده:

ما ذكره متى في إنجيله[2] فلحق يسوع ـ يعني المسيح ـ بالمفاز وساقه الروح إلى هنالك.

وفيه: فتأيس عنه إبليس عند ذلك وتنحى عنه، وأقبلت الملائكة وتولت خدمته[3].

---

(١) انظر: المحلى ١/١٣، ١٤.

(٢) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٤/٣ ـ ١١.

(٣) انظر: الفصل ٢/٣٥.

وأورد ابن حزم ما ذكره متى في إنجيله[1]: أن يسوع قال لهم: «إذا قام الناس لا يتزوجون ولا يتناكحون لكنهم يكونون كأمثال ملائكة الله تعالى في السماء»[2].

وذكر نصاً في إنجيل متى ومرقس فيه ذكر الملائكة وأنها لا تعلم اليوم الآخر[3]، وذكر نصوصاً أخرى فيها ذكر الملائكة كل ذلك نقلاً عن أناجيلهم[4].

الرد على انحرافهم في الملائكة:

تنتقص النصارى الملائكة، كما تنتقص رب الملائكة ﷻ، وقد نوه ابن حزم ورد عليهم في سياقه ولم يغفل ذلك فجزاه الله خيراً.

فقد زعموا ـ كما ورد في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذا البحث ـ أنه لا يعلم الولد غير الأب، ولا يعلم الأب غير الولد. وقد أشبعهم رداً، وقال في آخره: «وفي هذا القول الملعون الذي أضافوه إلى المسيح ﷺ القطع بأن الملائكة والأنبياء السالفين كلهم ليس منهم أحد يعرف الله تعالى. . .»[5].

ورداً على النص الآنف من إنجيل متى أن الناس يكونون يوم القيامة كالملائكة في السماء لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتمتعون بملذات الجنان، وكان مما قاله أبو محمد: إن الناس في الجنة كالملائكة، وفي التوراة التي يصدقون بها أن الملائكة أكلت عند لوط وعند إبراهيم ﷺ الفطاير واللحم واللبن والسمن. وأن الإله عندهم يأكل الحيتان المشوية[6].

وهو بهذا يطعن في معتقدهم في الملائكة، فتارة يزعمون أنها لا تأكل وتارة يزعمون أنها تأكل وتشرب، ولا عجب أن جعلوها كذلك فقد جعلوا ربها يأكل ويشرب!!

---

(١) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٢٢/٢٩ ـ ٣١.
(٢) انظر: الفصل ٢/١٠٩.
(٣) انظر: المصدر السابق ٢/١١٩.
(٤) انظر: المصدر نفسه ٢/١٢٨، ٢٠١.
(٥) المصدر نفسه ٢/٧٦.
(٦) انظر: المصدر نفسه ٢/١١٠.

وحول شريعتهم وعبادتهم، أثبت أنهم يعبدون الملائكة، ولا بد أن تكون هذه مشاهدة حسية رآها ابن حزم بنفسه حيث يقول: «واعلموا أنهم بأجمعهم متفقون على أن يصوروا في كنائسهم صورة يقولون: هي صورة الباري ﷻ، وأخرى صورة المسيح وأخرى صورة مريم، وصورة باطرة وصورة بولس، والصليب، وصورة جبريل، وصورة ميكائيل، وصورة إسرافيل، ثم يسجدون للصور سجود عبادة، ويصومون لها تديناً.

وهذه عبادة أوثان بلا شك والشرك المحض، وهم ينكرون عبادة الأوثان، ثم يعبدونها علانية»[1] إلى آخر ما ناقشهم ورد عليهم فيه من معتقداتهم الفاسدة المنحرفة ثم تسائل هل تطيب نفس من به مسكة عقل أن يبقى ساعة على دين هذه صفته؟

الإمام القرطبي

في كتابه: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) والرد عليهم في معتقد الملائكة:

استدل النصراني في مجادلته لإمامنا القرطبي بقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، وبقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فهل استدل بها إيماناً وتصديقاً، أم استدل بها لأمر آخر؟

والجواب: أنه استدل بها ليثبت شركه بزعمه - وهي كلمة حق أريد بها باطل - فعيسى الذي هو الابن واسطة للوعظ يقبل ويأتي مع الملائكة فهو الرب. ولا خير إذا عبدت الواسطة الواعظة لأنها الله.

كما استدل بقوله ﷺ: «ترون ربكم ولا تضامون في رؤية القمر ليلة البدر»[2].

---

(١) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٠٥.

(٢) سبق تخريجه.

ويزعم أن الحديث يدل على رؤية الإله الذي هو الواسطة عيسى ابن مريم ويتساءل فلم ننكر عليه معاشر المسلمين عبادة الابن الواسطة؟[1].

الجواب: وقد أجابه الإمام القرطبي جواباً شافياً تقدم أكثره في مبحث الألوهية والصفات ولكن لما ذكر النصراني الملائكة واستشهد بآيات فيها الملائكة أوردت هذا. ومما أجابه: اعلم يا هذا المتكلف في بغيته، المتعسف في تأويل دينه، أنك قلت من الباطل والكفر ما لا حجة له. ثم رد عليه بقوله: أنه جعل الصدى الذي تكلم هو الواسطة وهو الذي قال: ﴿أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤] وأن موسى اعترف له بالربوبية. وإذا كان كذلك فلماذا لا تعبد الصدى الذي عبده موسى وسجد له؟!

ثم تهدده بالملائكة الغلاظ الشداد الذين زعم أن المسيح يأتي معهم وهو الواسطة. إذ قد جاءه الحق وعرفه فأبى إلا الجحود والكفران وعبادة الأوثان. ويوم القيامة يقال لهؤلاء الملائكة ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٢].

وكأني والله بك ـ إن مت على ما أنت عليه ـ يؤخذ بناصيتك وقدمك، وتخبط بك ملائكة ربك ﴿مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فتنادي وتقول: يا عيسى يا سيدي، يا إلهي، يا ولد الله، فيقول لك: كذبت ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ولست بإله ولم أقل لك كذلك ولا أبلغك ذلك، وإنما بلغتك أن لا إله إلا هو.

وأما قولك: يقول قرآنكم: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]. فلست لها، فما شأنك وإياها.

أنت لا تعرف لسان من خوطب بها ولا تعرف مضمونها. فكيف يمكنك الاستدلال بها والتطواف حولها؟ وأنت عري عن الشرط الذي به يعرف معناها، ويفهم فحواها.

---

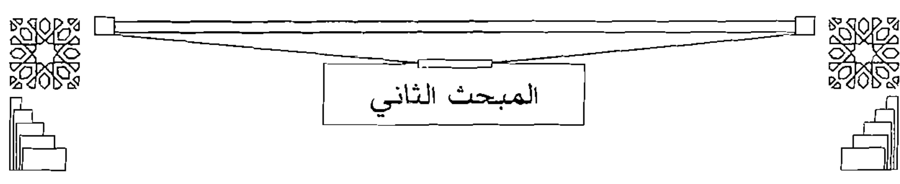
(١) انظر: الإعلام ١/١١٦، ١١٧.

وأما قولك: لم تنكرون أن يكون المسيح الذي كان واسطاً للوعظ. أن يكون هو المقبل مع الملائكة، كما قال عنه قرآنكم: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

فكيف لا ننكر ذلك، ولم يدل على وقوعه دليل عقل، ولا صحيح نقل؟ وليس معنى الآيتان في هذه الآية إلا كالمجيء في الآية المتقدمة، وكلاهما ليس المراد به: المجيء الذي هو نقل الأقدام، بل المجيء والإتيان لهما معان أخر يعرفها العرب المؤمنون[1].



(١) انظر: الإعلام ١/١١٦ ـ ١١٧.



المبحث الثاني

معتقدهم في روح القدس

ابن حزم

في كتابه: (الفصل في الملل والنحل) والرد على معتقدهم في روح القدس:

وهو جبريل عليه السلام الموكل بإنزال الوحي والرسالات لأنبياء رب السماوات، وهو من قال الله فيه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

فماذا تعتقد النصارى في هذا الملك العظيم والرسول الكريم؟!

تعتقد النصارى أن روح القدس هو أحد ثلاثة الأقانيم التي هي الإله[1]، ويزعمون أن روح القدس هو الحياة؟! كما أن المسيح هو العلم. فحياة الله روح القدس، وعلمه المسيح[2].

ويقولون: نؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي هو مشتق من أبيه روح محبة[3]..

وأن الابن عيسى نزل من السماء وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً[4] وروح القدس مقدس مطهر معبود وفي إنجيل لوقا[5]: «من قال شيئاً

---

(١) انظر: الفصل ١/ ١١٢، ١١٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/ ١١٤، ٢/ ١٦٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه ١/ ١١٨.

(٤) انظر: المصدر نفسه ١/ ١٢١.

(٥) إنجيل لوقا الإصحاح ١٢/ ١٠ بلفظ: «وكل من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له، وأما من جدف على روح القدس فلا يغفر له».

في ابن الإنسان يغفر له ومن سب روح القدس لا يغفر له»[1].

المناقشة والرد:

لم يسهب ابن حزم في الرد عليهم في روح القدس؛ لأنه تقدم الرد في معتقد التثليث إذ جعلوا الروح القدس إلهاً ثالثاً، ولكنه لم يغفل ما مر به مما يستحق المناقشة ومن ذلك:

أنه عند ذكر التثليث وروح القدس أحد أقانيمه، وصف الزعم بأنه عين التخبط والتخليط، إذ الثلاثة ومنها الروح القدس متغايرة، فالأب ليس الابن، والابن ليس هو الأب، والأب ليس هو الروح القدس[2].

ويتساءل ابن حزم في سياق الرد على قولهم الآنف إن الابن هو العلم، وروح القدس هو الحياة ـ يتساءل ـ ما بال إقحامهم المسيح عليه السلام في أنه الابن وروح القدس؟![3].

وألزمهم في موضع آخر على قولهم أن الروح القدس هو حياة الرب أن يزول التثليث ويصير تخميساً: الأب، علمه، حياته، الابن، الروح القدس[4].

ورداً لقولهم في الإنجيل: من قال شيئاً في ابن الإنسان يغفر له، ومن سب روح القدس لا يغفر له.

إذ المسيح هو روح القدس وروح القدس هو المسيح وهذا أمر عجيب.

«قال أبو محمد: هذا إبطال لقولهم كاف؛ لأن ابن الإنسان عند هؤلاء الأقذار هو روح القدس نفسه.

ونص كلام المسيح هاهنا يبين أنهما شيئان متغايران، أحدهما يغفر لمن سبه، والآخر لا يغفر لمن سبه، وهذا بيان دافع للإشكال جملة، فإن كان المسيح هو ابن الإنسان، فليس هو روح القدس أصلاً بنص كلامه، وإن كان هو روح القدس فليس هو ابن الإنسان كذلك أيضاً.

---

(١) انظر: الفصل ٢/ ١٥٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/ ١١٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه ١/ ١١٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه ٢/ ١٢١.

ولئن كان ابن الإنسان هو روح القدس فقد كذب المسيح، إذ فرق بينهما بجعل أحدهما يغفر لمن سبه والآخر لا يغفر لمن سبه وفي هذا كفاية»[1].

ابن عطية

في كتابه (المحرر الوجيز) وتقرير المعتقد الحق في روح القدس:

في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومما أورده أبو محمد في تفسيرها: قرأ ابن كثير ومجاهد «روح القدس» بسكون الدال، وقرأ الجمهور بضم القاف والدال، وفيه لغة فتحها، وقرأ أبو حيوة «بروح القدوس».

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «روح القدس» هو الاسم الذي به كان يحي الموتى وقال ابن زيد: هو الإنجيل كما سمى الله تعالى القرآن روحاً.

وقال السعدي والضحاك والربيع وقتادة: «روح القدس جبريل ﷺ، وهذا أصح الأقوال. وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: «أهج قريشاً وروح القدس معك»[2].

وقال الربيع ومجاهد: القدس. اسم من أسماء الله تعالى كالقدوس، والإضافة على هذا إضافة الملك إلى المالك، وتوجهت لما كان جبريل عليه السلام من عباد الله تعالى، وقيل القدس: الطهارة، وقيل القدس: البركة[3].

وفي هذا التقرير لعقيدة المسلمين في روح القدس أنه مخلوق لله به يؤيد الأنبياء والصالحين، ولا يعني ذلك أنه إله كما ادعت النصارى إذ ليس كل

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ١٥٣.

(٢) رواه البخاري ١/ ٧٣، رقم (٢٤٢)، باب الشعر في المسجد ٥/ ٢٢٧٩، رقم (٥٨٠٠)، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء. والطبراني في المعجم الكبير ٤/ ٣٨، رقم (٣٥٨٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٢٨٦، ١٨٧ ٢/ ٢٣٠ وللمزيد انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٥٣، ١٦٥.

مؤيد بالروح القدس إله أو ابن إله[1].

الإمام القرطبي وابن حيان

في تفسيريهما (الجامع لأحكام القرآن، والبحر المحيط) وتقرير المعتقد الحق في روح القدس:

مَنْ روح القدس؟ ولم خلق؟ وما عمله ومكانته؟

يجيب على هذا إمامنا القرطبي في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] معنى أيدناه: قويناه: ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ عن ابن عباس ومعمر عن قتادة قالا: جبريل عليه السلام وقال حسان:

وجـبـريـل رسـول الله فـيـنـا ... وروح الـقـدس لـه بـه خـفـاء

قال النحاس: وسمي جبريل روحاً، وأضيف إلى القدس؛ لأنه

---

(١) في كلام علمي نفيس يقرر ابن تيمية ذلك المعتقد الحق ويرد على غلو النصارى في روح القدس فيقول: «فصل وأما قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] فهو حق كما أخبر الله به وقد ذكر تعالى تأييده عيسى ابن مريم بروح القدس في عدة مواضع فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧] وقال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال تعالى: ﴿يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]، ويورد ابن تيمية الكثير من الآيات المبينة أن روح القدس أيد به الأنبياء من قبل عيسى ومن بعده وأيد به الصالحون كحسان. وغيره من المؤمنين ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] ثم يعقب: «فعلم أن اخباره بأن الله أيده بروح القدس لا يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت، فعلم أن التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح وأهل الكتاب يقرون بذلك» الجواب الصحيح ٢/١٨١ ـ ١٨٤ و٣/١٩٥.

بتكوين الله ﷻ له روحاً من غير ولادة والد ولده، وكذلك سمي عيسى روحاً لهذا.

وعن مجاهد قال: القدس هو الله ﷻ، وكذا قال الحسن: القدس الله، وروحه جبريل وعن ابن عباس: «بروح القدس» قال: هو الاسم الذي كان يحي به عيسى الموتى، وهو اسم الله الأعظم.

وقيل: المراد الإنجيل؟ سماه روحاً كما سمى الله القرآن روحاً. والأول أظهر والله أعلم، والقدس: الطهارة[1]، وقد رجح ابن حيان أنه جبريل عليه السلام، وعزى هذا القول لابن عطية بأنه أصح الأقوال وأوضح أن تسميته جبريل بذلك؛ لأن الغالب على جسمه الروحانية، أو لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح[2].

عبد الله الترجمان

في كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) والرد عليهم في معتقد روح القدس:

أورد الترجمان نصاً في عقيدة شريعتهم ألفه رجل من كفرة قدمائهم يقال له «بيطر الصفا» من أهل مدينة رومه، ويجمع النصارى على متن هذه العقيدة..،ومما ذكره الترجمان مما يخص روح القدس عليه السلام قولهم: نؤمن بالله الأب مالك كل شيء، ونؤمن بالرب المسيح ابن الله. نزل من السماء وتجسد من الروح القدس... ونؤمن بالروح القدس الذي يخرج من الأب والابن ربه[3].

وتصور هذه العبارات كافٍ لبيان بطلانها، وأنها من كلام بعض زنادقة البشر لا من كلام رب البشر.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٢٤، ٣/ ٢٦٥، ١١/ ٩٠، ٩١، وللمزيد انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٣، والبحر المحيط ١/ ٢٩٩.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/ ٢٩٩.

(٣) انظر: تحفة الأريب، ص١٧٤، ١٧٥.

أما ترجماننا فقد سلك في حدته مسلك ابن حزم فبادرهم بالقول: «وكذب الكافر على الأنبياء. وحاشاهم أن يقولوا مثل هذا الكفر المحال..

وهذا الكلام رحمكم الله ينقض بعضه بعضاً»[1] ثم أورد ما يتعلق بالنقض. وقد نقلته بتمامه في مبحث: توحيد الربوبية. وبالله التوفيق.

◌ تعقيب حول مبحث الروح القدس

ما سبق بيانه من معتقد النصارى في الروح القدس عليه السلام، هو ما تعتقده نصارى هذا الزمان إلا أن هؤلاء أبعد زمناً من أولئك وأشد تخليطاً وهذياناً من أسلافهم، فالروح القدس عند هؤلاء تارة إله وتارة ملك وتارة يسكن فيه وتارة يسكن في غيره... إلخ، وهم في الجملة يدعون إلى القول بالحلول والاتحاد.

ففي كتاب المجمع الفاتيكاني الثاني الذي أقرته آباء الكنيسة أن «الروح القدس يسكن في الكنيسة وفي قلوب المؤمنين»[2].

وفي كلام عن الكنيسة أنها: «تجمعت في الروح القدس»[3]؟؟، فيا ترى أيهما يسكن في الآخر؟

وحول هذا المعنى أن الله يسكن الكنيسة، والكنيسة في الروح القدس «لتكون مسكناً لله في الروح القدس»[4].

وعند وعظهم لمن سموهم بالعلمانيين ـ وهم كل من لا ينتمي إلى رجال الكنيسة أو الرهبان أو القسس ـ أهابوا بهم أن يتبعوا تعاليم الكنيسة «وينقادوا لدفع الروح القدس»[5] !!، وهذا من أعجب ما يكون كيف يدفع البشر الإله وهو معبودهم الأقوى؟!

وفي كتب بعض المعاصرين من النصارى العرب أن الروح القدس ليس

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٧٥، ١٧٦.

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٩٤.

(٥) المصدر نفسه، ص٤٨٢.

إلهاً آخر إلى جانب الله، بل هو الله نفسه»[1].

وفي الكتاب ذاته ما ينقض هذا وهو قوله: «إن الله جاء في شخص الروح القدس وتجلى للناس»[2].

ومما يعقل في كلامهم إن حُمل على التأويل الحسن قولهم إن: «الروح القدس يعبر عن قوة الله العظيمة التي تفوق الإدراك»[3]وقولهم: «الروح القدس نطق بالأنبياء»[4].



(١) انظر: أفكار وآراء ١٠/١/٩١.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٠/١/٦٥.

(٣) الإصغاء إلى كلام الله ٥/ ٨٤.

(٤) أفكار وآراء ١٠/١/٨٨.

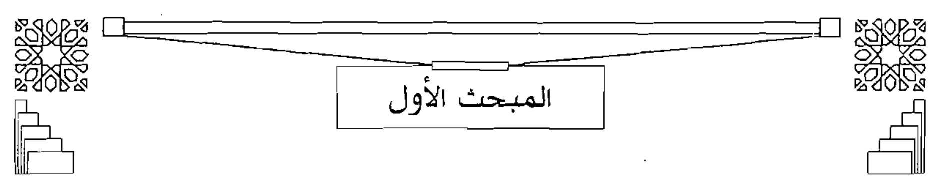
الفصل الثالث

عقيدتهم في الإيمان بالكتب

لا ريب أن الله ﷻ أنزل التوراة والإنجيل على رسولين كريمين هما موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام. كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣] والإيمان بهما من صميم اعتقاد المسلمين إذ هو أحد أركان الإيمان، بل إن الله أوصى بهما وأنهما فيهما ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥][1]، لكن هل يؤمن المسلمون أن التوراة والإنجيل التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم هي المنزلة؟ والجواب بالنفي إذ قد غيرت وبدلت وزيد منها ونقص منها وبدلت فيها العقائد والشرائع وأمر فيها بالشرك والفحشاء، وخالفت ما أنزل ربنا على نبيه محمد ﷺ من الأمر بتوحيد الله وعبادته وحده والعمل بما شرعه. وبقي فيها من نور النبوة والحق ما يقيم الحجة على أهل الكتاب.



(١) انظر: البحر المحيط ٢/٣٧٨.



الكتاب المقدس عندهم

(العهد القديم والعهد الجديد)

معنى التوراة والإنجيل:

تناول بيان هذا الإمام **ابن عطية** في تفسيره وأسهب فيه ومما ذكره، أن التوراة والإنجيل: اسمان أصلهما عبراني، ولكن النحاة وأهل اللسان حملوها على الاشتقاق العربي فقالوا من التوراة: إنما من ورى الزناد يرى إذا قدح وظهرت ناره. يقال أوريته نوري، وزعم أبو عثمان أنه استعمل في هذا الكلام فقط ولم يجاوز به غيره.

وقالوا في الإنجيل: إنه إفعيل من النجل، وهو الماء الذي ينز من الأرض، والنجل الولد والنسل. قال الزجاج: الإنجيل مأخوذ من النجل وهو الأصل، فهو مستخرج أما من اللوح المحفوظ أو من التوراة[1].

ابن جزي الكلبي

أما ابن جزي الكلبي فقد خالف ما ذكره من قبله، وجزم أنهما أعجميان ولا يصح ما ذكره النحاة من اشتقاقهما ووزنهما[2].

وقد اجتمعت فرق النصارى قاطبة على الإيمان بالكتاب المقدس. وهو مرجع أساسي في عقيدتهم وشريعتهم. ويتكون من قسمين:

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٣/١١، ١٢ ٥/١١٧، وقد نقل عنه هذه التعريفات الإمام القرطبي في تفسيره، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/٥.

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/٩٩، ١٠٠.

١ ـ العهد القديم: وهو التوراة:

(العهد): وهو الميثاق الذي أخذه الله على موسى ﷺ، وهو مكون من تسعة وثلاثين سفراً أطلق عليها (العهد القديم) في تاريخ النصرانية، ليفرقوا بينها وبين العهد الجديد.

واعتقد النصارى أن هذه الأسفار التسعة والثلاثين أسفارٌ مقدسة أوصي بها.

قسمت أسفار العهد القديم إلى أربعة أقسام:

(القسم الأول): كتب موسى أو الأسفار الخمسة: أهم كتبهم حيث يعتقدون أنها بوحي من الله وهي إجمالاً:

سفر التكوين: يقص تاريخ العالم من خلق السماوات والأرض إلى خبر الأنبياء، نوحاً وإبراهيم ويعقوب.

سفر الخروج: يقص تاريخ بني إسرائيل وخروجهم من مصر مع موسى والتيه... إلخ.

سفر التثنية: عني بأحكام شريعتهم الخاصة بالحروب والسياسة والمعاملات والعقوبات، وسمي تثنية لأنه يعيد التعاليم التي تلقاها موسى من ربه وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل.

سفر اللاويين: عني بشؤون العبادات، المباحات والمحرمات، واللاويون من نسل لاوي أحد أبناء يعقوب ومنهم موسى وهارون.

سفر العدد: عني بإحصائيات عن عدد بني إسرائيل وجيوشهم... إلخ.

(القسم الثاني): الأسفار التاريخية:

وعددها اثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استقرارهم في فلسطين.

(القسم الثالث): الأسفار الشعرية أو الأناشيد:

وعددها خمسة أسفار، وهي أناشيد ومواعظ دينية.

(القسم الرابع): أسفار الانبياء:

وعددها سبعة عشر سفراً، وتتحدث عن أنبياء بني إسرائيل[1].

وقد دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة هي اللغة العبرية وقيل أنه دخلت فيها بعض اللغات كالآرامية ثم ترجمت بعد ذلك إلى لغات كثيرة[2].

ولكن هل يعني إثبات النصارى التوراة والإيمان بها اتفاقهم حول نصوصها وشرائعها؟!، والجواب أتى به رب الحجة والبرهان والخطاب، الإمام الأشم ابن حزم، حيث أثبت بالبرهان القاطع والدليل الساطع أن التوراة التي بأيدي اليهود غير التوراة التي بأيدي النصارى[3] وأنه يناقض بعضها ويكذب بعضها. وليس هذا مجال بيانه، وسيأتي إيضاحه وبرهانه. وبالله التوفيق.

أهمية العهد القديم لدى النصارى:

يجيب على هذا المجمع الفاتيكاني الثاني، ففي مدونته في الفصل الرابع: العهد القديم، وتحت عنوان: «أهمية العهد القديم بالنسبة إلى المسيحيين»، ذكروا أنه إرهاص لوجود المسيح المخلص وأنه «تهيئة له، وتنبؤ عنه وتعريف به تعريفاً رمزياً مختلف الأوجه»، «ولذلك فالمسيحيون ملتزمون أن يتقبلوها (الأسفار) بورع وخشوع لأنها تنضح فكراً إلهياً حياً»[4].

٢ ـ العهد الجديد: وهو الإنجيل:

الميثاق الذي أخذه الله على عيسى ﷺ، وترجع أسفاره إلى ثلاث مجموعات وسفرين

(المجموعة الأولى): مجموعة الأناجيل وعددها أربعة وتمثل هذه الأناجيل أهم مجموعات العهد الجديد، بل إنها تستغرق ما يقارب نصفه[5]،

---

(١) انظر: الأسفار المقدسة، ص١٣، ١٦، وللمزيد انظر: الفصل ١/ ٢٤٥ ـ ٢٨١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٩.

(٣) انظر: الفصل ٢/ ٢١.

(٤) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٣٢، ١٣٣.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص٨٥، ٨٦.

وهذه الأناجيل لم تنزل على عيسى في نظرهم وليست منسوبة له، ولكنها منسوبة لبعض تلاميذه ومن ينتمي إليهم، وهي تشتمل على أخبار المسيح وقصصه ومحاوراته وخطبه وبدايته ونهايته في الدنيا -حسب اعتقادهم[١].

ماهية الأناجيل:

يوضح المجمع الفاتكاني الثاني بما لا يدع مجالاً للشك أن الأناجيل لا تعدوا أن تكون كتباً فكرية بحتة، كتبت فيها ما قام به المسيح في حياته من أعمال، ثم قيدها من بعده بعض التلاميذ مستخدمين اجتهاداتهم وأساليبهم المتنوعة من الدمج والانتقاء والشرح. . . إلخ، وأن الوحي عبارة عن حكايات كتبت ثم صارت وحياً.

يقول المجمع: «بما أن الله قد تكلم في الكتاب المقدس بلسان البشر وعلى طرائق البشر، فإذا شاء مفسر الكتاب المقدس أن يدرك إدراكاً كاملاً حقيقة ما قصد الله مما أبلغنا إياه، توجب عليه أن يتفحص كلام كاتب الوحي متسائلاً: ما هي حقيقة ما هدف إليه في قوله؟ وماذا حَسُن لدى الله نفسه أن يكشف على لسانه؟

ولكي يستخلص المرء نية كاتب الوحي مما قاله، توجب عليه، فيما توجب، أن يولي «الأنماط الأدبية» اهتماماً خاصاً؛ لأن الكتاب الذي بسط حقيقة ما قد يعبر عنها بطرق متنوعة وفي نصوص تعتمد أساليب مختلفة فتأتي تاريخية أو نبوية أو شعرية أو بأنماط أخرى من أنماط التعبير، فيجب إذن على المفسر أن يبحث عن المعنى الذي قصده كاتب الوحي، ويرى كيف عبر عنه في أجواء خاصة وفي بيئة لازمة، وفي أوضاع ثقافية راهنة، معتمداً أنماطاً أدبية شائعة في زمانه، وإذا ما شاء المرء أن يكشف حقيقة ما قصد كاتب الوحي تأكيده في كتاباته، وجب عليه أيضاً أن يتنبه تنبهاً دقيقاً إلى ما شاع في بيئة الكاتب من طرق موروثة، تستعمل للتعبير عن عاطفة، أو لرواية قول، أو

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، لأبي زهرة، ص٥٠.

لسرد حادثة، وإلى ما شاع في مختلف البلدان، في العهد عينه، بين المجتمعات الإنسانية، من طرق للتعامل»[1].

مكانة الإنجيل:

من نافلة القول أن الإنجيل أقدس كتاب لدى النصارى وأنه خاتم الكتب والمهيمن عليها، ويكفي قول أحد آباء الكنيسة المعاصرين وهو بولس الخوري أن الإنجيل أحد الجواهر الخمسة التي تقوم عليها الديانة النصرانية[2].

وهي بالجملة وشيء من التفصيل:

١ ـ إنجيل متى:

وهو أحد الحواريين الاثني عشر ـ زعموا ـ وقد كتبه باللغة العبرية أو السريانية على خلاف كبير في هذا، وقد ألفه بعد ستين سنة (٦٠) من الميلاد وقيل غير ذلك[3]، وهو لم ير المسيح عليه السلام ولا أدركه إلا في السنة التي رفع فيها إلى السماء، وبعد أن رفع كتب إنجيله بخطه...[4].

محتوياته:

تكلم عن مولد عيسى ويحيى وزكريا، ثم عن ختان عيسى في المعبد، ثم عن طفولة عيسى وحياته داخل معابد اليهود. ثم ذكر نسب عيسى بن يوسف النجار؟! حتى أوصله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام. ثم نشاط عيسى في دعوته، وإرساله الحواريين[5].

٢ ـ إنجيل مرقص:

ولم يكن من الحواريين وما رأى عيسى قط، وقد دخل في النصرانية بعد

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٣٠، ١٣١.

(٢) انظر: الإسلام والغرب ٢/ ٥١.

(٣) انظر: الأسفار المقدسة، ص٨٦، محاضرات في النصرانية، ص٤٠.

(٤) انظر: تحفة الأريب، ص١٠١، ١٠٣، الفصل ٢/ ١٥.

(٥) انظر: منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل د. عزية علي طه، ص١٧٢، ١٧٣ ط. الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

رفع عيسى عليه السلام على يد بترو وأخذ عنه الإنجيل بمدينة رومه[1]، وقد كتب إنجيله باللغة اليونانية، وقيل أنه كتب سنة ٦١ للميلاد وقيل غير ذلك[2].

محتوياته:

يبدو أن الأناجيل تتحدث في الجملة عن حياة المسيح ودعوته ومعبوداته، ولكن هذا الإنجيل تميز باختصاره الشديد عن البقية. وفيه مقدمة ثم كلام عن رسالة عيسى ووعظه وعلاجه للمرضى ثم الحديث عن إرسال المسيح الحواريين للوعظ، ومحاكمته وصلبه[3].

٣ - إنجيل لوقا:

الذي ولد في أنطاكية[4] ودرس الطب، وتنصر على بولس اليهودي ورافقه في أسفاره وأعماله[5].

وقد كتب باللغة اليونانية، وهذا ما ذكره القس إبراهيم سعيد ونقله عنه أبو زهرة: أنه كتب لليونان، ومتّى كتب لليهود، ومرقص كتب للرومان، ويوحنا كتب للكنيسة العامة. وقد ألفه وكتبه سنة (٥٣) للميلاد أو (٦٤)[6].

محتوياته:

كسابقيه، وتحدث فيه عن كيفية صلبه بزعمه وحادثة القبض عليه ومحاكمته وأسطورة الموت والقيام[7].

---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١١١، ١١٢.
(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، ص٤٢، ٤٣.
(٣) انظر: منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص١٦٨، ١٦٩.
(٤) أنطاكية: مدينة بالإقليم الرابع أول من بناها أنطاكية بنت الروم، وهي قصبة العواصم من الثغور الشامية، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وكثرة الماء ولها مسجد عظيم. انظر: معجم البلدان ١/ ٢٦٦ قلت: وهي اليوم مدينة جنوب الدولة التركية.
(٥) انظر: الفصل ٢/ ١٥، تحفة الأريب، ص١٠٧، ١٠٩، محاضرات في النصرانية، ص٤٤.
(٦) انظر: المصدر السابق، ص٤٥.
(٧) انظر: منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص١٧٤، ١٧٥.

٤ - إنجيل يوحنا:

أحد الحواريين الاثني عشر[١] وهو ابن خالة عيسى عليه السلام[٢] ألفه حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد على خلاف في ذلك. وكتبه باللغة اليونانية[٣].

محتوياته:

كسوابقه إلا أنه انفرد عن سائرها بأمر خطير وهو: أنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح، ويعتبر هذا الإنجيل نص إثباتها وركن الاستدلال فيها[٤]، وصفه ابن حزم بقوله: «وهو أعظم الأناجيل كفراً، وأشدها تناقضاً وأتمها رعونة»[٥].

هذا ما حواه العهدان القديم والجديد، وهما الكتابان المقدسان عند النصارى يستمدون منهما الشرائع والعقائد. يليهما في التعظيم:

كتاب الأفركسيس: وهو كتاب ألفه لوقا في أخبار الحواريين، وأخبار صاحبه بولش (بولس) البنياميني.

كتاب الوحي والإعلان: وهو كتاب في غاية السخف والركاكة، ذكر ما رأى من الأحلام، وإذ أسري به وخرافات باردة.

الرسائل القانونية: وهي سبع رسائل فقط، فيها ثلاث رسائل ليوحنا ورسالتان لباطرة شمعون، رسالة ليعقوب بن يوسف النجار، وأخرى لأخيه يهوذا ابن يوسف. تتكون كل رسالة من ورقة إلى ورقتين في غاية البرد والغثاثة.

رسائل بولش: وهي خمس عشرة رسالة، تكون كلها نحو أربعين ورقة، مملوءة حمقاً ورعونة وكفراً[٦].

وكل ما نقله النصارى أوله عن آخره، شريعة وعقيدة إنما نقلوه عن

---

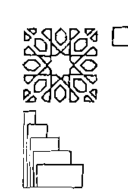
(١) انظر: الأسفار المقدسة، ص٨٨.
(٢) انظر: تحفة الأريب، ص١١٣.
(٣) انظر: الأسفار المقدسة، ص٨٨.
(٤) انظر: محاضرات في النصرانية، ص٤٦.
(٥) الفصل ٢/ ١٦١.
(٦) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٤، ١٥.

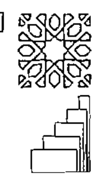
بولس ومرقص ولوقا، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط وهم: باطرة ومتى ويوحنا ويعقوب ويهوذا. وكل هؤلاء فأكذب البرية وأخبثهم[1].

هذا كتابهم المقدس الذي دنسوه بالشرك والباطل كل مدنس، وهو تمهيد وتقدمة وإلماحة لما نويت بيانه وإيضاحه في المبحثين اللاحقين وبالله التوفيق وهو المعين على التحقيق.



(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٥.





المبحث الثاني

تعارض الأناجيل وتكذيب بعضها بعضاً

تكفل ربنا ﷻ بحفظ كتابه المنزل فقال عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

ولا تزال المعجزة الخالدة عند الأمم الحاضرة، في قديم الدهر في كل عصر ومصر.

أما كتب الأمم السالفة ـ لا سيما أهل الكتاب ـ فقد وكل الله حفظها لأهلها. فقال تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وذلك بعد ذكر إنزالها وبعد ذكر أنبيائهم وبعد ذكر الأحبار والعلماء فأي الفريقين أحق بالأمن والصدق والبر؟!، المسلمون الذين تكفل الله بحفظ دينهم بحفظ كتابه الذي أنزله على رسوله. أم أهل الكتاب الذين وكلهم الله إلى أنفسهم لحفظ كتبهم؟!

لذا وقع التحريف والتضارب والتضاد في كتبهم. وستقرأ في هذا المبحث ما يزيدك إيماناً ويقيناً بصدق كتاب ربنا، وبكذب النصارى وتحكمهم وهواهم في اتخاذهم عقيدة وشريعة غير ما شرعه الله تعالى وذلك بتحريف وتبديل وتغيير ما اسموه بالكتاب المقدس.

الإمام ابن حزم

في كتابه: (الفصل في الملل والنحل) وإثبات تعارض الأناجيل واضطرابها:

أفاض ابن حزم يرحمه الله في بيان تعارض الأناجيل واضطرابها وتكاذبها ومخالفتها للشرعيات والعقليات. أورد هذا في فصول طويلة

ومفصلة، وعند ابتداء ذكر الأناجيل قال: «قال أبو محمد: وأما الإنجيل وكتب النصارى فنحن إن شاء الله ﷻ موردون من الكذب المنصوص في أناجيلهم ومن التناقض الذي فيها أمر لا يشك كل من رآه في أنهم لا عقول لهم وأنهم مخذولون جملة...»[1].

وقد احتد في نقاشهم والرد عليهم لا سيما إن وجد من المتناقضات المضحكات المبكيات ما يستحيل الجمع بينه، ومما يخالف ضرورة جميع الشرعيات والعقليات.

وسأورد بمشيئة الله ما يوفي بالغرض ويكفي دون إطالة لئلا تحدث الملالة، وبالله التوفيق.

من ذلك: التناقض والاضطراب في نسب المسيح:

أن الإنجيل[2] في أوله ذكر نسب يسوع المسيح إلى إبراهيم ـ وقد أورده ابن حزم كاملاً ـ تضمن عشرات الأسماء، وصار بذلك جميع الوالد من إبراهيم إلى المسيح اثنان وأربعون مولوداً. ثم عقب أن في هذا الفصل خلاف لما في كتب اليهود والتوراة التي هي عندهم في الفصل كالتوراة وهما: كتاب ملاخيهم وكتاب وبراهياشم، ثم ذكر الاختلاف البين الظاهر الذي لا لبس فيه بين النسبتين. وقال: وحي الله تعالى لا يحتمل هذا، فأحد النقلين كذب بلا شك.

فإن صدقوا كتب اليهود ـ وهم مصدقون لها ـ فقد كذب متّى وجهل.

ولئن صدقوا متّى فإن كتب اليهود كاذبة، لا بد من أحد ذلك. وقد حصلوا على التصديق بالشيء وضده معاً[3].

ثم ذكر كذبهم في هذه النسبة إذ جعلوه ولداً ليوسف النجار. إذ لا

---

(١) الفصل ٢/١٣ ونظراً كذلك ٢/١٨، ١٩.
(٢) راجع إنجيل متى الإصحاح: ١/١ ـ ١٩ وقد حاز سوق النسب صفحة كاملة مطولة، لوقا الإصحاح: ٣/٢٣ ـ ٣٨.
(٣) انظر: الفصل ٢/٢٧ ـ ٢٩.

مدخل للمسيح في هذه النسبة بوجه من الوجوه. فقد جعلوه إلهاً ابن إله ثم أرجعوا نسبه لبشر ابن بشر فأي شيء هذا التناقض؟! وقد قدمت بيان هذه العقيدة في المبحث الثالث من الفصل الأول في بابنا هذا.

ثم أورد ما ذكره متَّى وأورده لوقا، في إنجيلهما من نسبة المسيح في صفات طوال، وعقب: «قال أبو محمد فاعجبوا لهذه المصيبة الحالة بهم ما أفحشها وأوحشها وأقذرها وأوضرها وأرذلها وأنذلها، متى الكذاب ينسب المسيح إلى يوسف النجار؟! ثم ينسب يوسف إلى الملوك من ولد سليمان بن داود عليه السلام أباً فأباً.

ولوقا ينسب يوسف النجار إلى آباء غير الذين ذكر متَّى ختى يخرجه إلى ماتان بن داود، أخي سليمان بن داود، ولا بد ضرورة من أن يكون أحد النسبين كذباً، فيكذب متى أو لوقا، ولا بد أن يكون كِلا النسبتين كذباً، فيكذب الملعونان لوقا ومتى جميعاً، ولا يمكن أن تكون كِلا النسبتين حقاً، ولوقا عندهم - لوق الله صورهم وألاق وجوههم ولقاهم البلاء، وألقى عليهم الدمار واللعنة - فوق جميع الأنبياء عليهم السلام. فهذه صفة أناجيلهم. فاحمدوا الله تعالى أيها المسلمون على السلامة والعصمة»[1].

ومن ذلك: اضطرابهم في صحبه شمعون وأخيه للمسيح وتفاصيلها.

فقال متى ومرقص[2] أنهما صحبا المسيح بعد أن سجن يحيى بن زكريا، وقال يوحنا[3] بل صحباه قبل أن يسجن.

ثم تكلم على تفاصيل متعارضة مضطربة من وجوه عدة وقال: فاعجبوا لهذه الفضائح وتأملوها وهذه أربع كذبات؟:

إحداها: في الوقت الذي كان ابتداء صحبتهما للمسيح فيه.

والأخرى: في الموضع الذي كانت فيه أول صحبتهما للمسيح.

---

(١) المصدر السابق ٢/٣٣.

(٢) راجع متى الإصحاح: ٤/١٢ - ٢٢، ومرقص الإصحاح: ١/٩ - ٢٣.

(٣) راجع يوحنا الإصحاح: ١/٣٥ وما بعدها.

والثالثة: في صحبتهما للمسيح معاً أم أحدهما قبل الثاني.

والرابعة: في صفة الحال التي وجدها عليهما أول ما صحباه.

وبالضرورة ندري أن أحد هذه الاختلافات الأربعة كذب بلا شك، ومثل هذا لا يمكن أن يكون من عند الله ﷻ ولا من عند نبي ولا من عند صادق، بل من كذاب عيار لا يبالي بما حدث.

وأغرب من هذا قولهم كلهم: إن يوحنا ترجم إنجيله من العبرانية إلى اليونانية، فإذا رأى هذه القصص في إنجيل متى بخلاف ما عنده فلا بد ضرورة من أن يكون عرف أن قول متَّى كذب، أو عرف أنه حق، لا بد من أحدهما ضرورة.

ولقد كانت هذه وحدها تكفي في بيان أن الأناجيل من عمل كذابين ملعونين، شاهت وجوههم، وحاقت بهم لعنة الله تعالى[1].

ومن ذلك: تكذيب الإنجيل لبعضه في قضية نسخ الشريعة اليهودية.

فقد قال متى في إنجيله: أن المسيح قال لتلاميذه: «لا تحسبوا أني أتيت لنقض التوراة، إنما لإتمامها أقول لكم إلى أن تبيد السماء والأرض، لا تبيد ولا حرف واحد من التوراة حتى يتم الجميع، فمن حلل عهداً من هذه العهود الصغيرة وحمل الناس على تحليله، فسيدعى في ملكوت السماوات صغيراً، ومن أتمه وحض على إتمامه فسيدعى في ملكوت السماوات عظيماً»[2]، وذكر نصوصاً أخرى في هذا السياق، قال أبو محمد: وهذه نصوص تقتضي التأبيد وتمنع النسخ جملة، ثم لم يمض بعد الفصل المذكور إلا أسطاراً يسيرة حتى ذكر متى...، وذكر نصاً فحواه أن طلاق المرأة لا بد له من كتاب كما في التوراة، وأن المسيح حرم ذلك إلا من زناً ترتكبه، وأن من تزوج مطلقة فهو فاسق[3].

---

(١) انظر: الفصل ٢/٤١ ـ ٤٤.

(٢) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٥/٧ ـ ٢٠.

(٣) انظر: متى الإصحاح: ١٩/٣ ـ ١١.

ثم عقّب: وهذا نقض لحكم التوراة الذي ذكر أنه لم يأت لنقضها لكن لإتمامها[1].

ومن ذلك: تعارض الإنجيل في يحيى هل يأكل ويشرب أم لا يأكل ولا يشرب ففي إنجيل متى: أن يحيى لا يأكل ولا يشرب حتى قلتم إنه مجنون[2].

وفي إنجيل مرقص: أن يحيى كان طعامه الجراد والعسل الصحراوي[3].

وأحد الخبرين كذب بلا شك[4].

ومن ذلك: اضطراب الأناجيل في الراية التي ركبها الملك عند جبل الزيتون فقد ذكر متى أنه ركب حماره[5].

وذكر مرقس أنه ركب فلواً[6].

وقال أبو محمد معقباً على هذا التناقض: فهاتان قضيتان كل واحدة منهما تكذب الأخرى، متى يقول ركب حماره، ومارقش يقول ركب فلواً[7].

ومن ذلك: اضطراب الأناجيل فيما تدعيه من صلب المسيح، إذ ذكر متى ومارقش (مرقس) أنه صلب معه لصان، أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكانا يشتمانه[8].

بينما ذكر لوقا أن أحد اللصين كان عن يمينه وكان يسبه، والآخر كان ينكر على الذي يسب المسيح ويؤمن به[9].

---

(١) انظر: الفصل ٢/ ٤٥، ٤٦.

(٢) انظر: متى الإصحاح ١١/ ١٨ ـ ١٩ بلفظ: «جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون فيه شيطان. . .».

(٣) انظر: إنجيل مرقس الإصحاح ١/ ٦ بلفظ: «وكان يوحنا يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه ويأكل جراداً وعسلاً برياً».

(٤) انظر: الفصل ٢/ ٧٣.

(٥) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٢١/ ١ ـ ٧.

(٦) انظر: إنجيل مرقس الإصحاح: ١١/ ٢ ـ ٨ بلفظ: «الجحش».

(٧) انظر: الفصل ٢/ ١٠٧، ١٠٨.

(٨) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٢٧/ ٢٨، ٢٩، ومرقس الإصحاح: ١٥/ ٢٧ ـ ٣٢ ولم يذكر السبب في النسخ الحديثة في مرقس.

(٩) انظر: لوقا الإصحاح: ٢٣/ ٣٩، ٤٠.

وعلق ابن حزم على هذا الاضطراب بعد أن ذكره بنصه كما في الإنجيل: «قال أبو محمد: إحدى هاتين القضيتين كذب بلا شك؛ لأن متى ومارقس أخبرا بأن اللصين جميعاً كانا يسبانه، ولوقا يخبر بأن أحدهما كان عن يمينه وهو يسبه، والآخر كان ينكر على الذي كان يسبه ويؤمن به، والصادق لا يكذب في مثل هذا، وليس يمكن هنا أن يدعي أن أحد اللصين سبه في وقت، وآمن به في وقت آخر؛ لأن سياق خبر لوقا يمنع من ذلك، ونجد أنه أنكر على صاحبه شبه إنكار من لم يساعده قط على ذلك، وكلهم متفق على أنه كلام اللصين، وهم ثلاثتهم مصلوبون على الخشب. فوجب ضرورة أن لوقا كذب أو كذب من أخبره، أو أن متى كذب، وكذب مرقس أو الذي أخبره ولا بد»[١].

ومن ذلك: تناقض الأناجيل في رواية أحداث قيام المسيح وحديثه مع أتباعه[٢].

وقد سرد الإمام نصوصهم ثم تناولها بالنقد العقلي وأثبت مدى كذب واضعيها وتناقضهم.

ومن ذلك: تكذيب إنجيل يوحنا لبعضه في أن الأب هو الذي يحكم تارة، وأن الأب قد برئ بالحكم كله إلى ولده المسيح[٣].

ومن ذلك: ادعاء يوحنا أن المسيح هو الله وأنه خاطب التلاميذ أن الله فيه وهو في الله وأنهم يرون الله. ونقضه لذلك حيث ذهب في أول إنجيله أن الله لم يره أحد؟![٤].

هذا الذي ذكرته واختصرته من كلام ابن حزم قليل من كثير أبان فيه تكاذب الأناجيل واضطرابها وتعارضها في كثير من القضايا العقدية والشرعية وتاريخ حياة المسيح . . ، ولو ذهبت أحصيه لطال المقام واستهلك المداد وفي هذا القدر كفاية نسأل الله التوفيق والسداد.

---

(١) انظر: الفصل ٢/١٢٥، ١٢٦.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/١٢٧ ـ ١٣٢.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/١٨٩.

(٤) انظر: المصدر السابق ٢/١٩٣، ١٩٤.

أبو الوليد الباجي

في رسالته إلى راهب فرنسا: وبيانه تعارض الأناجيل وتكذيب بعضها بعضاً:

في رسالته المختصرة تعرض أبو الوليد لهذا الاضطراب وضرب له مثلاً واحداً معتذراً عن الاختصار؛ لأن المقام لا يحتمل إلا هو.

من ذلك: اضطراب الأناجيل في عدد وأسماء آباء المسيح إلى يوسف بعد ذكر شركهم ونقضه وبيان التوحيد، تكلم على نبوة محمد ﷺ وثبوتها في كتبهم التي تعرضت للتغيير والتبديل، ويقول: «فقد قرأناها معربة وعلمنا من اختلافها واضطرابها ما دلنا على أنه قد دخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان.

ومن ذلك ما في الإنجيل من رواية متى: أن بين إبراهيم ويوسف ـ الذي تزعمون أنه زوج مريم ـ اثنتان وأربعون ولادة.

وفي رواية لوقا: بين إبراهيم والمسيح خمسة وخمسون رجلاً، ليس فيهم من أسماء الذين في رواية متى إلا عدد يسير، ولا تكاد هذه الروايات تتفق في شيء، والإيمان بها عندكم واجب ـ على اختلافها ـ لأن الإنجيل كتابكم وأصل شرعكم! فكيف يصح لكم الإيمان بما يختلف ولا يتفق، ويتباين ولا يتعاضد؟! وكتابنا المحفوظ يحفظه الصغير والكبير، لا يمكن أحداً الزيادة فيه ولا النقصان والذي يقرأ به من في أبعد المشرق، هو الذي يقرأ به من في أبعد المغرب، دون زيادة حرف ولا لفظة ولا اختلاف في حركة ولا نقطة»[1].

أبو عبيدة الخزرجي

في كتابه: (مقامع الصلبان) وبيانه مدى تضارب الأناجيل وتناقضها:

استثار القسيس إمامنا الخزرجي لما خاطبه بقوله: «إن في التوراة والإنجيل والزبور خللاً كثيراً، وأننا قد زدنا فيها ونقصنا، وهذا من كفركم وليس معكم على ذلك دليل، ولا هو مكتوب أيضاً في الكتاب الذي جاء به

---

(١) رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد عليها، ص٨٦، ٨٧.

صاحب شريعتكم، وإنما هو كلام قلتموه أنتم»[1].

أجابه أبو عبيدة جواباً مطولاً أتى فيه بالعجائب، وأبان فيه تخليط اليهود والنصارى وتخبطهم، وكشف فيه عن كل قول خائب، من زيادة ونقصان واضطراب وتناقض غير صائب، ومما ذكره في هذا الباب: القول بأن شهادة المسيح مقبولة وغير مقبولة، حق وباطل.

فاذكر في الإنجيل: «إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة وغيري يشهد لي»[2].

وفي موضع آخر من الإنجيل: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق.

أخبرني كيف تكون شهادة حقاً وباطلاً، مقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى؟[3].

ومن ذلك: جزع المسيح وقد أمر بهبة النفس لله.

ففي الإنجيل الذي بأيديكم، أنه حين أحس بوثوب اليهود عليه ـ بضنكم ـ صاح صياحاً عظيماً حين رفع إلى الخشبة وجزع، وقال: «إلهي إلهي لم أسلمتني»[4].

وفي موضع آخر من الإنجيل أنه قال قبل ذلك: من أحب أن يقفوا أثري فليوهب نفسه[5].

فحرص على إتلاف النفوس، فكيف يجزع هو مما حرض عليه قبل؟ أم كيف يكون إلهاً وتجزع نفسه؟ أم كيف يكون ابناً لله يدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت فلم يستجب له؟[6].

---

(١) مقامع الصلبان، ص٩١.

(٢) انظر: إنجيل يوحنا الإصحاح: ٥/٣١، ٣٢ بمعناه.

(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص١٤٦.

(٤) انظر: إنجيل متى الإصحاح: ٢٦/٣٨ ـ ٤٠.

(٥) انظر: مرقس الإصحاح: ٨/٣٤: بلفظ: «من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني».

(٦) انظر: مقامع الصلبان، ص١٤٧.

ومن ذلك: اضطراب الأناجيل في نسب المسيح وأسماء آبائه وأعدادهم.

وقد ذكر الخزرجي نصوصهم وعقب: فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله تعالى؟، حتى أن أحد ملوك العجم غير المتنصرة اطلع في أناجيلكم على هذا التناقض في نسب عيسى فعابه عليكم، وشافه أربابكم فيه، فلم يكن فيهم من يعتذر عن ذلك وسقط ما بأيديهم[1].

ومن ذلك: تناقض الأناجيل في وصف الدابة لاثنين من تلاميذه، تارة جحشاً وتارة أتاناً[2].

ومن ذلك: في إنجيل لوقا يخبر عن المرأة التي صبت الطيب على رجلي المسيح[3].

وفي إنجيل متى يصف الخبر بعينه ويذكر إنما صبت الطيب على رأس المسيح[4].

فما أبعد اليقين عن خبر فيه هذا الاختلاف[5].

ومن ذلك: الزعم بأن المسيح أتى ليلقي العداوة والبغضاء لا ليصلح، ونقضه في الإنجيل بأنه جاء ليصلح بين الناس وليحيوا وليزدادوا خيراً[6].

ومن ذلك: شريعة الطلاق التي نسخها من التوراة، والزعم بأنه جاء ليتم وليقر شريعتها، وكذلك من لطمك على خدك الأيمن... إلخ، نقض في الإنجيل حيث التوراة تقول العين بالعين والسن بالسن. ويتساءل الخزرجي بعد إيراد نصوصها وتناقضها: أخبرني أيها المغرور عن هذا الخلاف أتعده تتميماً أو نقضاً لشريعة من سبقه؟[7].

ومن ذلك: قول الإنجيل أنه لا نبي بعد عيسى. ثم إثباتكم أنه كان بعده

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٤٧.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص١٥٠.
(٣) انظر: لوقا الإصحاح ٧/٣٦ ـ ٥٠.
(٤) انظر: متى الإصحاح ٢٦/٧.
(٥) انظر: مقامع الصلبان، ص١٥١.
(٦) انظر: المصدر السابق، ص١٥٤.
(٧) انظر: المصدر السابق، ص١٥٤، ١٥٥.

بأنطاكية أنبياء منهم برنابا، وسمعان، ولوكيوس، ومناين[1].

وفيها ـ أي الكتب ـ أن جرجيس جاء بعده وبعث إلى ملك الموطي وهو من أهل فلسطين، وكان قد أدرك بعض الحواريين.

فأنتم القائلون أن لا نبي بعد المسيح، وأنتم المصدقون بنبوة هؤلاء كلهم، ولم يكن لهم من الذكر في الكتب ولا في أخبار الأنبياء مثل ما للذي كفرتم.

ويعقب على ما مضى من التحريفات والاضطرابات: «وأقتصر على هذا من تهافت أناجيلكم، وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل. ومن طالع كتبكم وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت أيدي سبأ...»[2].

ويضيف الخزرجي بعد هذا مواضع كثيرة ستأتي ضمناً بمشيئة الله في الفصول القادمة: التشريع، والنبوات، واليوم الآخر.

القرطبي

في كتابه: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام) وبيانه تضارب الأناجيل واضطرابها:

ابتدأ إمامنا القرطبي في بيانه هذا بما يسمونه العهد القديم وهو التوراة، وأبان بعض ما طرأ فيها من الخلل، وأنها لم تنقل نقلاً متواتراً فلم تسلم لأجله من الخطأ والتخليط والزلل... وقد أوضح وجلى ذلك ببيان ساطع كسطوع الشمس، وأنها ليست منزلة من عند الله بل زيد فيها ونقص وبدلت شرائعها وغيرت، في كلام طويل ليس هذا مكانه ولا يتسع له، والذي يعنينا هنا ما رد به على كتابهم المقدس (العهد الجديد) الإنجيل فأبرز فيه تناقضهم وتضاربهم بقوله: «وكثيراً ما يوجد بينهم من اختلاف مساق وتناقض بين قولين

---

(١) انظر: أعمال الرسل الإصحاح ١/١٣.

(٢) انظر: مقامع الصلبان، ص١٥٦، ١٥٧.

وزيادة ونقصان وسترى بعض ذلك إن شاء الله تعالى»[1].

ثم ابتدأ بذكر بعض تناقضهم ـ التي اقتبس كثيراً منها وغيرها في كتابه من الإمام أبي عبيدة الخزرجي في كتابه مقامع الصلبان ـ بقوله:

فأول ذلك: أنهم ذكروا في أول ورقة من إنجيل يوحنا حيث ذكر المسيح فقال:

«ولد المسيح الذي هو بادئ الأشياء وعلتها الأولى، علة جميع الأشياء، وكل زمان. ورأس كل نظام، وأولية جميع المراتب»[2].

ثم قال بعد ذلك في معرض مدحه: «المكلوم في لحمه، المعلق في الخشبة»[3].

كيف يجترئ عاقل أن يتحدث بمثل هذا العار؟ أو كيف تصح نسبة هذا التناقض البين إلى أحد من الأخيار؟»[4].

ومن ذلك: اتهام المسيح للأنبياء قبله بأنهم لصوص وسراق وأنه قدم عليهم ليزدادوا خيراً[5].

ومن ذلك: في الإنجيل أنه أخبر أن شهادته غير مقبولة وفي موضع آخر أنها شهادة حق[6].

وعقب القرطبي على ذلك بقوله: «فكيف تكون شهادته حقاً وباطلاً، مقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب ينسب إلى الله تعالى؟»[7].

ومن ذلك: صياح المسيح وجزعه عند صلبه وقوله: «إلهي إلهي لم

---

(١) الإعلام ٢/٢٠٣.

(٢) انظر: يوحنا الإصحاح: ١/١ ـ ٥، ٢٩ وكذا الإصحاح: ١٠.

(٣) انظر: المصدر أعلاه.

(٤) الإعلام ١/٢٠٦.

(٥) انظر: المصدر السابق ١/٢٠٦، وهو في الإنجيل: انظر: يوحنا الإصحاح: ١٠.

(٦) انظر: يوحنا الإصحاح: ٥/٣١، والإصحاح: ٨/١٤، وكلا النصين في سفر واحد؟ فما أعجب هذا التناقض، قاتلهم الله.

(٧) انظر: الإعلام ١/٢٠٦.

أسلمتني»[1]، وفي أول ورقة منه: إنما أسلم نفسه لتظهر قدرته بسلطانه على الموت، وظفرته على جميع الآلام والمهن التي تستقبحها أوهام الآدميين.

وقال القرطبي معقباً: «فكيف يصيح ويجزع مما تظهر به قدرته وقهرته؟ وهل سمع قط أسخف من هذا القول؟ وأظهر تناقضاً منه؟»[2].

ومن ذلك: نسب المسيح إذ عده الإنجيل تسعة وثلاثين أباً[3]، وفي لوقا عد إلى إبراهيم نيفاً وخمسين أباً[4].

وقال القرطبي: «فيا ليت شعري كيف يجوز مثل هذا على الله؟ أو كيف ينقل هذا في كتاب معلوم عن الله؟، وقد أراد بعض أساقفتهم أن يرقع هذا الجزء المتسع بأن قال: أحد النسبين طبيعي، نسب التوليد، والآخر نسب شرعي، نسب الولاء والكفالة، والتناقض باق عليه بعد اختراع هذا الهذيان..

ثم انظر إلى هذه الشناعة التي ارتكبوها، حيث نسبوا عيسى عليه السلام إلى رجل زعموا أنه خطب مريم، وأي نسبة بينهما بأن أراد أن يتزوج إنسان أمه؟ ثم إنهم يبلغون نسب يوسف إلى آدم ثم يقولون إلى الله؟

فهلا عليهم يستغنون عن ذكر نسب من لا ينتسب في عيسى ويقولون في عيسى ما يقولون في آدم؟ لولا الجهل والتحكم»[5].

ومن ذلك: إخبار المسيح لرجلين من تلاميذه أنهم يركبان حمارة تارة، وتارة أنهما يركبان فلواً[6].

ومن ذلك: خبر المرأة التي صبت الطيب على رأس المسيح. ونقضه في آخر بأنها إنما صبته على رجليه[7].

ومن ذلك: أن أم بني زبدي سألته أن تجلس ولديها إلى جانبه فاعتذر

---

(١) انظر: متى الإصحاح ٢٧: ٤٦.

(٢) انظر: الإعلام ١/٢٠٧.

(٣) انظر: متى ١/١ ـ ١٩.

(٤) انظر: لوقا ٣/٢٣ ـ ٣٨.

(٥) انظر: الإعلام ١/٢٠٨، ٢٠٧.

(٦) انظر: المصدر السابق ١/٢٠٨ وقد سبق عزوهما في الإنجيل.

(٧) انظر: المصدر السابق ١/٢٠٩ وقد سبق عزوه.

بأن ذلك لا سبيل إليه إلا لمن وهب ذلك[1].

فقد أخبر هنا أنه لا يقدر. وفي أول ورقة منه: أنه بارئ الأشياء وعلتها وعلة كل زمان. فكيف يصح أن يكون بارئ الأشياء كلها وعلتها، ولا يقدر أن يجلسهما عن يمينه ولا عن يساره. ثم يتبرأ من ذلك بقوله: إلا لمن وهب ذلك لي ولا مزيد في التناقض والفساد على هذا[2].

قال القرطبي ـ بعد أن ضرب كثيراً من أمثلة التضاد والتناقض ـ: «ولو تتبع ما فيه من هذا القبيل لاحتاج ذلك إلى التكثير والتطويل، وبموضع واحد من هذه المواضع يحصل: أن كتابهم قابل للتحريف والتغيير فكيف بالتزيد والتكثير؟»[3].

عبد الله الترجمان

في كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) وبيانه تناقض الأناجيل وتضاربها:

تناول ترجماننا هذه النقطة بالبحث المستفيض وذكر فيه أنواعاً من تعارض وتضارب الأناجيل تحت عدة أبواب منها: الباب الأول: في ذكر الأربعة الذين كتبوا الأناجيل، والباب الثاني: في افتراق النصارى وتعدد مذاهبهم، والباب الثالث: في فساد قواعد دين النصارى، وكذا البابان الرابع والخامس: في شريعتهم ونفي ألوهية المسيح وتناقض الأناجيل، والسادس: في اختلاف الأناجيل.

وقد أورد كثيراً من التناقضات التي سبق ذكرها عند أهل العلم المتقدمين عنه وذكرت في هذا المبحث وانفرد بأشياء أخر. ومما ذكره وسبق ذكره في هذا المبحث:

تناقض الأناجيل وكذبها في زعمهم أن المسيح صاح عند صلبه إلهي

---

(١) انظر: متى الاصحاح ٢٠/٢٠ ـ ٢٣. (٢) انظر: الإعلام ٢/٢٠٩.

(٣) الإعلام ٢/٢١١.

إلهي لم خذلتني[1].

- تناقض الأناجيل وكذبها في تعيين الذي يخونه من التلاميذ. وقد عقب الترجمان على هذا التناقض والاختلاف بقوله: «وهذا تناقض دل على الكذب من جميع الأربعة الذين كتبوا الأناجيل لعنهم الله، وبالله التوفيق»[2].

- تناقض الأناجيل في اللصين اللذين صلبا مع المسيح: وعلق الترجمان على هذه الأكذوبة بقوله: «وقد كذب متى ولوقا في أصل قضية صلب المسيح، وكفرا بذلك فعليهما لعنة الله»[3].

- تناقض الأناجيل في أن يحيى لا يأكل ولا يشرب تارة. والزعم بأنه يأكل الجراد ويشرب العسل تارة أخرى[4].

- تناقض الأناجيل في أن المسيح قال أن الأب هو الذي أرسله ولا يراه أحد. وقولهم أن المسيح أخبر أن من رآه فقد رأى الله[5].

ومما انفرد به من المتناقضات في الأناجيل التي يكذب بعضها بعضاً:

من ذلك: «ما قاله ماركوس، إن سيدنا المسيح لما قام من بين الموتى كلم الحواريين ثم صعد إلى السماء من يومه[6]. وخالفه لوقا في كتابه الذي سماه قصص الحواريين، فإنه ذكر فيه أن عيسى صعد إلى السماء بعد قيامه من بين الأموات بأربعين يوماً[7].

وحسبك بهذا دليل على كذبهما في هذا من أصله، فوالله ما قتل عيسى ولا دفن ولا قام من قبره بعد يوم ولا بعد أربعين يوماً، فلعنة الله على الكافرين»[8].

من ذلك: الخلاف في عدد المكفوفين الذين كلموا المسيح واضطرابهم

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١٥٩، ١٦٠، وقد سبق عزو القول.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٠٥ ـ ٢٠٨.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٢١٠ ـ ٢١٢.
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٢١٨.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ص٢١٩، ٢٢٠.
(٦) انظر: مرقس الإصحاح: ١٦/٩.
(٧) انظر: أعمال الرسل الإصحاح: ١/١ ـ ٣.
(٨) تحفة الأريب، ص١١٩، ١٢٠.

فيه حيث ذهب متى أن عيسى لما خرج من أريحا[1] ناداه مكفوفان اثنان[2].

وذكر ماركوس أن عيسى لما خرج من البلد المذكور ناداه مكفوف واحد[3].

ثم عقب الترجمان على الخبرين: «ومعلوم في الإنجيل أن عيسى لم يمر بتلك البلدة إلا مرة واحدة فقد كذب متى في كونهما مكفوفين، وكذب ماركوس في كونه مكفوفاً واحداً؛ لأن القصة واحدة»[4].

من ذلك: ركوب المسيح على الدابة واضطرابهم فيها.

قال ماركوس: «إن المسيح كان راكباً على جحش ابن الدابة[5] ولم يذكر أنه ركب الدابة أصلاً.

وقال لوقا: إنه كان راكباً على الدابة مثل ما قال متى[6].

وقال يوحنا: إنه كان راكباً الجحيش ابن الدابة مثل ما قال ماركوس.

فانظروا رحمكم الله إلى اختلافهم البارد وكذبهم الظاهر في قولهم إنه ركب الجحيش ـ وصغره لصغر سنه ـ وما كان كذلك كيف يركبه الإنسان؟[7].

ومن ذلك: إفساد الشيطان لبيترو (بطرس).

قال لوقا: إن عيسى ﷺ قال للحواريين: إن الشيطان أراد فساد يقينكم.

ثم قال لبترو منهم: أنا رغبت من أبي أن لا يجعل للشيطان سبيلاً على

---

(١) أريحا: هي مدينة قريبة من بيت المقدس من أعمال الأردن، بالغور، بينها وبين بيت المقدس خمسة فراسخ، ذات نخل وموز، وهي مدينة الجبارين. انظر: معجم البلدان ٣/ ١١١ قلت: وهي مدينة بفلسطين المحتلة فك الله أسرها.

(٢) انظر: متى الإصحاح ٢٠/ ٢٩ ـ ٣٣.

(٣) انظر: مرقس الإصحاح ١٠/ ٤٩ ـ ٥٢ وقد رجحوا في فيلم المسيح ٢٠٠٠ الآنف الذكر قصة الأعمى الواحد.

(٤) انظر: تحفة الأريب، ص٢٠٩.

(٥) انظر: مرقس: ١١/ ١ ـ ٧ وقد سبق عزوه.

(٦) انظر: لوقا الإصحاح ١٩/ ٢٩ ـ ٣٦.

(٧) انظر: تحفة الأريب، ص٢١٢ ـ ٢١٤.

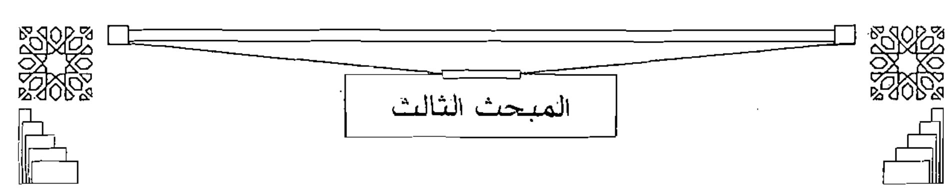
فساد يقينك[1]. ثم إن بترو[2] هذا كفر بعيسى وارتد عن دينه بعد أيام من إخبار عيسى له بأن الشيطان لا سبيل له على فساد يقينه وأن تلاميذ عيسى لم يكفر أحد منهم إلا بترو هذا.

فانظروا ـ رحمكم الله ـ إلى تناقض هؤلاء المخاذل فيما ينقلونه عن رجل اعتقدوا أنه نبي معصوم وأنه ابن الله. ثم يقولون أن التلميذ الذي خصه بهذا الدعاء هو الذي كفر وارتد فأفسد الشيطان دينه ويقينه من دون جميع التلاميذ، وهل يكاد أحد يجهل هذا التناقض، مع الكفر في تجويز الكذب على الأنبياء ووقوع الخلف في أخبارهم، وهذا كله من صريح أكاذيبهم على عيسى، ووالله ما قال شيئاً من هذه الأضاليل فنعوذ بالله من الخذلان[3].

وقد استطرد الترجمان بضرب الأمثلة وفي هذا القدر كفاية والله الموفق.



(١) انظر: لوقا: ٢٢/٣١ بالمعنى.
(٢) هو بطرس كما ذكره محقق الكتاب.
(٣) انظر: تحفة الأريب، ص٢٢٣ ـ ٢٢٦.



المبحث الثالث

إثبات تحريف الأناجيل وتأليفها

بعد أن تقدم في المبحث الآنف الذكر الأمثلة الكثيرة الشهيرة على تضارب وتكاذب واضطراب الأناجيل ورواتها وبيان وإجلاء وإيضاح ـ أهل العلم من الأندلسيين ـ لكل عاقل ذكي لماح، كان من المناسب أن يورد هذا المبحث ختاماً لهذا الفصل.

وقد أثبت الأئمة من الأندلسيين علماء الأمة وضع الأناجيل وتأليفها وتحريفها وسيحدد في هذا المبحث بيانه، وممن أثبت التحريف والتأليف: الإمام ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل وإثبات تحريف الأناجيل وتأليفها:

وقد ابتدأ الإمام **ابن حزم** بذكر التحريف الذي وقع في العهد القديم (التوراة) وأفاض فيها جداً، ثم إلى العهد الجديد (الإنجيل) وأبان عواره وتأليفه من أربعة ممن جاء بعد المسيح وقد ضرب أمثلة يصعب حصرها في هذا المقام ويصعب نقلها في هذه العجالة وقد اختصرت أكثرها بالمعنى الذي أورده، **ومنها**:

أن النصارى تدعي الثالوت وتعتقده وتزعم أن الله ثلاثة هم: الأب والابن والروح القدس.

ورد ابن حزم على هذه العقيدة الفاسدة وجلى خطرها وانحرافها بأدلة عقلية وبأدلة إنجيلية كثيرة ـ وقد مر بيانها في الفصل الأول من هذا الباب ـ وأبان أن هذا افتراء على الله وكذب لا شك فيه بقوله: «قال أبو محمد: وهذا باطل ظاهر الكذب؛ لأن الإنجيل الذي كان فيه ذكر الأب والابن وروح القدس، لا يختلف أحد من الناس في أنه إنما نقل عن اللغة العبرانية إلى

السريانية وغيرها. فعبر عن تلك الألفاظ العبرانية، وبها كان فيه ذكر الأب والابن والروح القدس، وليس في اللغة العبرانية شيء مما ذكر وادعى»[1].

ومن الأمثلة على التحريف والتأليف:

مسألة اتحاد الثلاثة ببعضها حيث زعموا أنها كاتحاد الماء في الخمر أو الماء في الزيت... إلخ.

وقد رد ابن حزم على ذلك وبين كذب الإنجيل بقوله:

«قال أبو محمد: وكل هذا في غاية الفساد. أول ذلك أنها دعاوى لا يعجز عن مثلها متحامق، وليس في إنجيلهم شيء من هذه الأقسام»[2].

ومن الأمثلة على تحريف الإنجيل وتأليفه:

ادعاؤهم أن الابن هو الأب، والأب هو الابن في قولهم بالتثليث، وقد رد ابن حزم أن هذا من سخافاتهم وخروجهم عن المعقول وقال: «وليس في الحمق والهوس أكثر من هذا ولا متعلق لهم بشيء مما في الزبور ولا في كتاب شعياء وغيره»[3].

وعن التثليث الذي ورد في نص الأمانة في كتبهم قال: «إنما هي تقليد لأسلافهم من الأساقفة ونعوذ بالله من الخذلان»[4].

ومن ذلك: الكذب على لسان المسيح.

ورد في متى أن «من قبل نبياً على اسم نبي فإنه يكافأ بمثل أجر النبي»[5].

ومما عقب به ابن حزم: وهذا كذب ومحال، ولو كان كل من اتبع نبياً له مثل أجر النبي لكان أهل الإيمان كلهم في الآخرة سواء لا فضل لأحد على أحد عند الله تعالى، وهذا يعلم أنه محال بالضرورة، ولو كان هذا لوجب أن

---

(١) الفصل ١/١١٣.
(٢) المصدر السابق ١/١١٧.
(٣) المصدر السابق ١/١٢١.
(٤) المصدر نفسه ١/١٢١.
(٥) انظر: متى ١٠/٤١ بالمعنى.

يكون أجر كل كلب من النصارى مثل أجر باطرة والتلاميذ وبولش ومارقش ولوقا، وليس منهم أحد يقول بهذا ولا يدخله في الممكن، فكلهم متفق على أن إلههم كذب، وحاشا لله من أن يكذب نبي من أنبيائه[(١)].

ومن الأمثلة على الكذب؟ في الإنجيل: منزلة يحيى بن زكريا:

زعم متى في إنجيله أن المسيح قال ـ وقد ذكر يحيى بن زكريا ـ أنا أقول لكم: «إنه أكثر من نبي وأنه ملك مبعوث بين يدي المسيح»[(٢)].

وقد كذّب ابن حزم ما ذكره الإنجيل وعده دليلاً على الكذب والوضع لأنه ليس إلا رسولاً نبياً بإجماعهم وهو بشر رسول ليس إلا إنسان ابن رجل وامرأة عاش إلى أن قتل، وليس هذه صفة الملك ويحيى لم يكن ملكاً[(٣)].

ومما زعمه متى أنه نقل عن المسيح: «أقول لكم إنه لم يولد أحد من الآدميين أشرف من يحيى، ولكن من كان صغيراً وفي ملكوت السماء فهو أكبر منه»[(٤)].

ومما رد به أبو محمد: «تأملوا هذا الفصل تروا مصيبة الدهر فيهم، وقرة عيون الأعداء، وهو قول لا يقوله من يرجى فلاحه، إلا أن تكون أمة مدخولة العقل.

إذ زعم أنه أشرف مخلوق؟ ثم زعم أن كل من دخل ملكوت السماء فهو أكبر من يحيى. فوجب أن كل مؤمن أكبر من يحيى، فما هذا الهوس وما هذه العيارة وما هذا الكذب؟ ووالله ما قال المسيح قط شيئاً من هذه الرعونة، وما قالها إلا الكذاب متى ونظراؤه عليهم اللعنة، فلقد كانوا في غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين»[(٥)].

---

(١) انظر: الفصل ٢/ ٦٥.
(٢) انظر: متى الإصحاح ١١/ ٩ ـ ١٢ بلفظ مقارب.
(٣) انظر: الفصل ٢/ ٦٧.
(٤) انظر: متى الإصحاح ١١/ ١١ بلفظ مقارب.
(٥) انظر: الفصل ٢/ ٦٩.

ومن الأمثلة على التحريف والتأليف في الأناجيل: موت الرب:

ما جاء في الإنجيل: «والرب لما أن تكلم بهذا قبض إلى السماء وجلس عن يمينه الله»[1].

«قال أبو محمد: هذا شرك أحمق، رب يقبض إن هذا لعجب، ورب يجلس عن يمين الله تعالى!!»[2].

ومن الأمثلة على الكذب والتحريف: الحلول في الرب:

جاء في إنجيل يوحنا أن المسيح قال لتلاميذه: «أنا في أبي وأنتم في، وأنا فيكم».

ومما رد به أبو محمد أنه لا مزية للمسيح على التلاميذ وأي مزية له عليهم إذ كلهم في الله والله فيهم وفيه؟ وهل يمكن أن يكون الرب محلاً للحوادث؟ ثم هذا الكلام لا يعقل ولا يفهم منه إلا الاستخفاف والكفر فقط[3].

والأمثلة على هذا التحريف ودلالته التي تدل على التأليف كثيرة جداً تركت كثيراً منها من أجل الاختصار وفيما ذكرته من كلام الإمام ابن حزم عبرة لأولي الأبصار.

ذكر من ألّف الإنجيل وحرّفه، وتشنيع ابن حزم عليهم:

عند ابتداء ذكر الأناجيل ومن حرّفها وعد ابن حزم بإيراد النصوص الدالة على كذبها وتناقضها وتكاذبها، ثم تكلم على فساد دينهم وأنه لا إشكال فيه على من له مسكة عقل. وأن الأناجيل وكتب النصارى ليست من عند الله، ولا من عند المسيح عليه السلام.

وقد كفانا النصارى هذه المؤونة لأنهم لا يدّعون أن الأناجيل منزلة من عند الله تعالى على المسيح، ولا أن المسيح عليه السلام أتاهم بها، بل كلهم أولهم

---

(١) انظر: مرقس الإصحاح ١٦/١٩.

(٢) الفصل ٢/١٤٠.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/١٩٥.

عن آخرهم لا يختلفون في أنها عن أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة.

ثم ذكر من ألّفها والسنة التي تم فيها التأليف:

فأولها: تاريخ ألفه متى اللاواني بعد تسع سنين من رفع المسيح بالشام.

والثاني: تاريخ ألفه مارقش الهاروني بعد اثنين وعشرين عاماً من رفع المسيح.

والثالث: تاريخ ألفه لوقا الطبيب الأنطاكي بعد تأليف مارقش.

والرابع: تاريخ ألفه يوحنا بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة.

دليل على التأليف:

وذلك أن لوقا ذكر أن سبب تأليفه أنه رأى نفراً ممن وصفوا الأشياء التي كملت، فأحب أن يقفوا أثرهم من أوله على التجريد، ويقول مخاطباً غيره: «وأكتب لك أيها الكريم لأن تفهم حق الكلام الذي علمته، واطلعت عليه، وأنت به ماهر»[1].

عقب ابن حزم بقوله: «هذا يبين أن الأناجيل تواريخ مؤلفة، كما ترى بنص كلام لوقا»[2].

ومما قال عنهم بعد ذكر الرسائل الأخرى المقدسة لديهم: وجميع نقل النصارى أوله عن آخره حيث كانوا هو راجع إلى الثلاثة الذين سمينا فقط وهم: بولش ومارقش ولوقا، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون إلا عن خمسة فقط وهم: باطر ومتى ويوحنا ويعقوب ويهوذا ولا مزيد وكل هؤلاء فأكذب البرية وأخبثهم[3].

وقال عنهم في موضع آخر بعد ذكر بعض تأليفاتهم وأكاذيبهم: «ويصحح

---

(١) انظر: لوقا الإصحاح ١/١ ـ ٤ بلفظ مقارب.

(٢) الفصل ٢/١٤٣، وللمزيد انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية ٢/٣٩٨ ـ ٤٠٠، ٢/ ٢٢، ٣٢ وفيه إثبات عدم اتصال السند وأن المسيح لم يكتبه ولم يأمر من كتبه، وإنما كتب بعد زمن طويل.

(٣) انظر: الفصل ٢/١٢ ـ ١٥.

عند كل من طالع كلامنا هذا أن الذين كتبوا الأناجيل وألفوها كانوا كذابين، مجاهرين بالكذب، لتكاذبهم فيما أوردوه فيها من الأخبار، وأنهم كانوا مستخفين مهلكين لمن اغتر بهم»[1].

ومما ذكره عنهم وعن دينهم:

«وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن من يلعب بعذره وما يخرج من أسفله يصدق بشيء من هذا الحمق» وقال: «وكل ما أوردناه بيان واضح، في أن الذين ألفوا الأناجيل كانوا عيَّارين[2] مستخفين بمن أضلوه، متلاعبين بالدين»[3].

ومن ذلك: لما ذكر نصوصاً تفيد أن المسيح هو الله.

قال معقباً: «.. هذه مصيبة الدهر إذ لم يقنعوا بالمساواة حتى جعلوه يشرف الله...، يا للناس هل سمعتم بأعظم من هذا الكفر؟ والله والله قطعاً ما قال هذا الكلام قط مؤمن بالله تعالى أصلاً، وما كانوا إلا دهرية مستخفين رقعاء، فعليهم أضعاف كل لعنة لعنها الله سواهم من الكفرة»[4].

وفي قصيدته في الرد على القصيدة النصرانية النقفورية، ـ لما تعرض لنقض عقائدهم ـ وذكر تحريفهم لكتبهم:

أناجيلكم مصنوعة قد تشابهت ... كلام الألى فيها أتو بالعظائم

وعود صليب ما تزالون سجداً ... له يا عقول الهاملات السوائم[5]

وكلامه يرحمه الله في بيان التأليف والتحريف كثير جداً، أوردت منه أهمه ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق وبالله التوفيق.

---

(١) الفصل ٢/١٩.

(٢) عيَّارين: العيار هو الرجل الخفيف الذي يذهب ويجئ بكثرة لخفته. انظر: تحرير ألفاظ التنبيه، يحيى بن شرف النووي ١/٢٠٨، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد الأزهري ١/٢٤٠، تحقيق: محمد الألفي، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

(٣) المصدر السابق ٢/٨٣.

(٤) انظر: المصدر السابق ٢/١٩٩.

(٥) انظر: البداية والنهاية ١١/٢٥١.

في كتابه (مقامع الصلبان) والكلام على تحريف الأناجيل وتأليفها:

اقتبس واستفاد الفتى ممن سبقه في الرد على النصارى، ومنهم ابن حزم يرحمه الله، ولذا نجده متأثراً بكلامه وأسلوبه وقد اقتبس منه كثيراً من النقاط في الرد عليهم.

وقد مضى في المبحث الآنف بيان وتوضيح الخزرجي لتناقض كتب النصارى وتضاربها، مما يدل على أنها ليست مقدسة ولا منزلة، وفي هذا المبحث نختم كلامه ونؤيده بما أورده يرحمه الله من أن الأناجيل مؤلفة محرفة:

استفز القسيس أبا عبيدة لما دعاه للدخول في دين النصرانية وهجر الملة الحنيفية، وحاول إقناعه بصحة معتقدهم وصحة كتابهم، وأثار الشبهات حول القرآن الكريم. فقلب الخزرجي المجن على القسيس النصراني وأثبت له تحريف وتأليف الإنجيل، وتحريف الدين والعقيدة الصحيحة بعد المسيح ﷺ، ومما ذكره في هذا الباب:

وإذا تأملتم ـ بعين الإنصاف ـ الإنجيل الذي بأيديكم، فإنكم تجدون فيه نصاً على ما قدمت من الدلائل على براءة عيسى مما نسبتموه إليه من التحريف من ادعاء الألوهية لنفسه، غير أن من ضل بعده إلى مدة نحو ثلاثمائة سنة كانوا مهرة في استدراك الأكاذيب، وتقفية الإنجيل بها.. ولما هموا بالتحريف بعد مدة من وفاة الحواريين ﷺ، وكرهوا ما ندبهم إليه عيسى، وأمرهم به فانحرفوا عنه بتأويلات وخيمة اخترعوها، وإلى شرائع مضلات شرعوها[١].

ثم ساق الأدلة الكثيرة على اضطراب الأناجيل وتناقضها وقد سبق هذا في ذات المبحث.

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص١٤١، ١٤٢.

تأليف الإنجيل وتحريفه:

أما التأليف الذي وقع بأيد بشرية غير أمينة فقد أثبت ما تبنته النصارى أنه من وضع أناس ليسوا أنبياء ولا رسل، ومما ذكره عنه: إنما هو كتب أربعة مختلفة من تأليف أربعة رجال وهم: يوحنا بن زبدي، ومتى العشار، ومرقس وهو تلميذ بولس وبرنابا ولوقا[(١)].

«ومن طالع كتبكم وأناجيلكم وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت أيدي سبأ وأنكم لا تلتزمون مذهباً، وليس هذا بغريب، فأناجيلكم ما هي إلا حكايات وتواريخ وكلام كهنة، وتلاميذ وغيرهم. حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين، وإنما هو فكاهات في المجالس.

وتقولون مع ذلك أن الإنجيل كتاب الله، أنزل إلينا، وأمر المسيح باتباعه، فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله؟ وأين كلماته من هذه الكلمات؟!

إن الذي تنقلونه عن عيسى ﷺ لفظاً ـ وهو قليل ـ لا يلزم أن يكون منزلاً من عند الله؛ لأن المسيح ﷺ كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية وغير ذلك، وهذا كله ليس من عند الله»[(٢)].

ثم ضرب أمثلة كثيرة على التحريف والتأليف ومنها:

أن الإنجيل شهد أن المسيح ﷺ شهد للتلاميذ الاثني عشر بالسعادة[(٣)].

وشهادتة حق، «ولا شك أن السعيد لا يتم منه الفساد العظيم إذا شرع فيه، ويهوذا أحد الاثني عشر فيلزم:

إما أن يكون يهوذا لم يدل عليه، أو يكون المسيح ﷺ ما نطق بالصدق، أو يكون كتابكم قد تحرف وتبدل، فاختاروا لكم واحدة من هذه الثلاثة»[(٤)].

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٢٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٥٧.

(٣) انظر: متى الإصحاح ١٩/٢٨.

(٤) مقامع الصلبان، ص١٦٨.

ومن ذلك: الافتراءات التي وردت في كتبهم ـ في العهدين القديم والجديد ـ على الله وعلى أنبيائه عليهم السلام مما يستحي من ذكره والكلام فيه[1].

ومن ذلك: الشرائع التي زعمتم أنه جاء بها المسيح ـ وهي من اختلاق قسطنطين بعد ثلاث مئة سنة من موت المسيح ـ من التغطيس وترك الختان وغيرها وتزعمون أن يحيى وعيسى جاءا بها، وكتبتم ذلك في أناجيلكم وزيد عليها من التحايل وغث الأقاويل بما يطول وصفه.

فكيف يرغب يحيى والمسيح عن شريعة شرعها إبراهيم وهذا ما يدل على التحريف والتأليف[2] ويختم الخزرجي الكلام على كتبهم بقوله: «وأما الإنجيل الذي بأيديكم، فحسبي ما قدمت من ذكره في هذه الرسالة، فإذا كان هذا حال توراتكم وأناجيلكم، وسائر الصحف المنزلة عند اليهود ـ أئمتكم وعمد ملكتكم ولا محالة أن هذه الكتب قطب شرائعكم، وأصل ديانتكم ـ فكيف حال سائر أحاديثكم مما نقلتموه بينكم من الآثار؟ ولولا الأدب والحياء لكنت أورد عليك بعضاً من تلك القبائح والمستحيلات التي هي أشهر من أن تذكر، ولكن فيما مر عليك الكفاية، وأنت أعلم بباقي الخرافات والناس أجمعون»[3].

الإمام القرطبي

في كتابه (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام):

والكلام على تحريف الأناجيل وتأليفها لما تكلم النصراني مؤيداً دينه مادحاً كتابه زاعماً أنه الحق وأنه خال من التحريف والتبديل وأنه يجب على المسلمين اتباعه[4] والإيمان به لأنه الحق.

رد الإمام القرطبي على قوله هذا مفنداً ما فيه من الباطل موضحاً الحق الذي يعرفه كل عاقل، فأول ما بدأ به إظهار ما في التوراة من التناقض

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٣٨، ٢٥٦. (٢) انظر: المصدر نفسه، ص٢٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٥٩. (٤) انظر: الإعلام، ٢/١٨٣ ـ ١٨٧.

والاضطرابات والافتراءات، ثم عقب على الإنجيل بإيضاح ذلك، ثم ثنى ببيان ما في التوراة من التحريف والتبديل، ثم ما في الإنجيل من ذلك التحريف والتأليف والتبديل. وكيف أن الله وكل حفظ كتبهم إليهم، وتولى هو حفظ كتابه: «ولقد حفظ الله القرآن العظيم فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] ولذلك كره علماؤنا ﷺ كتب التفاسير وأسماء السور في المصحف، وإن كانت بخط آخر، ولون آخر، وقد اتفقوا فيما أحسب على أنه لا يجوز كتب فواتح السور - يعني أسماءها - بخط المصحف، وبلون مداده، لئلا يختلط به ما ليس منه، فالحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، والمنهج المستقيم»[١].

إثبات التأليف والتحريف في الإنجيل:

سلك القرطبي رحمه الله المسلك العقلي والاستدلال المنطقي في إثبات التأليف والتحريف، وجادلهم في صحة تواتر الإنجيل من عدمها، وأثبت أنه أخبار آحاد منقطعة ومتناقضة بالزيادة والنقصان وبالتالي فهو غير ثابت وما كان كذلك فهو محرف.

ابتدأ هذا بفصل عنوانه: فصل في بيان أن الإنجيل ليس بمتواتر وبيان بعض ما وقع فيه من الخلل.

ثم قال: «نقول وبالله التوفيق: إن هذا الكتاب الذي بيد النصارى اليوم الذي يسمونه بالإنجيل ليس هو الإنجيل الذي قال الله فيه على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣، ٤]..».

ذكر من ألّفه: ثم قال بعد ذكر التوراة: «وأما هذا الكتاب الذي يدعي النصارى أنه الإنجيل، فقد توافق هؤلاء النصارى على أنه إنما تُلقِّيَ عن اثنين من الحواريين وهما: متاوؤش (متى) ويوحنا. وعن اثنين من تلاميذ الحواريين وهما ماركش ولوقا»[٢].

(١) الإعلام ٢/ ١٨٩.

(٢) الإعلام ٢/ ٢٠٣.

وقال بعد كلام له عن الوحي: «وإذا انتهينا إلى هذا، فقد حصل غرضنا، وهو أن هذا الإنجيل الذي بأيديهم ليس منزلاً، ولا يقال عليه كتاب الله المنزل»[1].. «..فقد حصل من هذا الكلام أنه ليس منزلاً من الله حقيقة وأن نقله ليس بتواتر، فإنه راجع إلى الأربعة الذين ذكرناهم، والعادة تجوز عليهم الغلط والسهو والكذب»[2].

دليل عقلي على عدم التواتر:

بعد أن قدم كلامه الآنف انتقل إلى المجادلة العقلية، حيث يورد القول منهم ويرد عليه: إذ زعموا أنه نقل عن أنبياء معصومين.

ورد عليهم القرطبي بأن هذا لا يسلم لهم، وإن سلم فما دليل عصمتهم؟

قالوا: الخوارق التي ظهرت على أيديهم، وشهادة عيسى لهم بذلك.

أجاب على هذا برد مطول أبرز ما فيه:

أحدها: أنكم استندتم على الإنجيل في ذلك، ولا يثبت ذلك حتى يثبت الإنجيل ذاته.

الثاني: أنا لو سلمنا لكم ذلك فغاية ما في الإنجيل أنهم يعانون في بعض الأوقات وليس في ذلك حجة.

الثالث: أن ما ذكروه معارض بما ورد في الإنجيل، حيث وصف المسيح هؤلاء الحواريين بالكفر[3]، ووصف أحدهم بأنه شيطان[4].

وكذلك معجزاتهم لم يثبت منها شيء بالتواتر وإنما هي أخبار آحاد غير صحيحة.

ينتج عن ذلك عدم ثبوت الأناجيل وبالتالي لا يصح نسبتها إلى المسيح أو إلى الله ﷻ[5].

ثم ذكر أنواعاً من التناقض والتضاد في أخبار الإنجيل وقال: «ولو تتبع

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٠٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٤.
(٣) انظر: لوقا: ٩/ ٤١، ومتى الإصحاح ١٦/ ٨ نعتهم بأنهم «قليلي الإيمان».
(٤) انظر: متى الإصحاح ١٦/ ٢٣.
(٥) انظر: الإعلام ٢/ ١٢٠، ٢١١.

ما فيه من هذا القبيل لا-حتاج ذلك إلى التكثير والتطويل، وبموضع واحد من هذه المواضع يحصل: أن كتابهم قابل للتحريف والتغيير، فكيف بالتزييد والتكثير؟

فقد حصل من هذا البحث الصحيح: أن التوراة والإنجيل لا تحصل الثقة بهما، فلا يصح الاستدلال بهما لكونهما غير متواترين وقابلين للتغيير. وقد دللنا على بعض ما وقع فيها من ذلك، وإذا جاز مثل ذلك في هذين الكتابين وهما أشهر ما عندهم، وأعظم عمدهم ومستند ديانتهم. فما ظنك بغير ذينك من سائر كتبهم التي يستدلون بها مما ليس مشهوراً مثلهما، ولا منسوباً إلى نسبتهما؟ فعلى هذا هما أولى بعدم التواتر، وبقبول التحريف فيهما، فإذا ادعوا تواتر شيء من ذلك فلينظر هل كملت شروط التواتر أم لا؟ فإن كملت قبلنا وآمنا، وإن لم تكمل طالبناهم بالطريق الموصل إلى العلم»[1].

عبد الله الترجمان

في كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) والكلام على تحريف وتأليف الأناجيل:

أثبت الترجمان في المبحث الآنف مقدار التناقض والاضطراب الذي وقع فيه كتاب الأناجيل، وفي هذا المبحث نختم بما تكلم به في التحريف والتأليف وهو الخبير بمعتقد النصارى إذ كان واحداً من قسسهم حيث لا يبارى:

أما طريقته في إثبات التحريف، فهي فريدة من نوعها، حيث ذكر أصحاب الكتب ثم ثنى بضرب الأمثلة على التحريف، بمعنى أنه يذكر اسمه وبعض أحواله ثم يثبت أن ذلك الإنجيل غير صحيح ويستدل عليه ويعلق على الاستدلال، وهذا مختصر لبعض ما أورده:

---

(١) المصدر السابق ٢/٢١١، ٢١٢.

ذكر المؤلفين ووقوع التحريف:

ابتدأ بذكر الباب الأول: اعلموا رحمكم الله أن الذين كتبوا الأناجيل الأربعة هم: متى ولوقا وماركوس ويوحنا. وهؤلاء الذين أفسدوا دين عيسى وزادوا ونقصوا وبدلوا كلام الله تعالى، مثل ما أخبر سبحانه عنهم في كتابه العزيز، وليس هؤلاء الأربعة من الحواريين الذين أثنى الله عليهم في القرآن الكريم[1].

مثال على التحريف:

وقال إن متى لم ير عيسى ولا أدركه. وذكر من أكاذيبه قصة الملك رودوس لما سمع بمولد المسيح فاستشار اليهود فأشاروا بقتله وقد ولد في بيت لحم، فأمر الملك بالسير إليه لقتله، فنزل ملك وأخبر مريم فهربت به إلى مصر.

علق الترجمان على القصة بقوله: «هذا نص كلام متى في إنجيله وهو كذب وزور وبهتان.

وبيان ذلك أن بيت لحم بينها وبين بيت المقدس خمسة أميال، فلو كان الملك رودوس خائفاً من هذا المولود وباحثاً عنه لسار بذاته مع الثلاثة نفر، أو بعث من ثقاته من ينصحه في البحث عن المولود على أتم الوجوه، وهذا دليل على كذب متى في هذه الحكاية، وأيضاً فإن لوقا وماركس ويوحنا لم يذكروا شيئاً من هذا في أناجيلهم، ومتى لم يحضر المولد، ولكنه نقله عن كذاب افتعله على ما نقله»[2].

ثم ذكر لوقا وذكر أنه لم يدرك عيسى وإنما تنصر بعد رفع عيسى عليه السلام على يد بولس:

مثال على التحريف:

ما ورد في الإنجيل من قصة نزول المسيح وتكلمه مع بولس وتوبة بولس

---

(١) انظر: الإعلام، ص٩٤ ـ ١٠٠.

(٢) تحفة الأريب، ص١٠٧.

ودخوله في النصرانية[1].

ومما علق به الترجمان: هذه الحكاية كذب وهي أو هي من خدع الشيطان، وقال عن لوقا وبولس: وكلاهما لم يدرك عيسى ولا رآه قط، فهذا هو التخليط، وفيه دليل كذبهم وباطلهم أبعدهم الله[2].

ثم ذكر ماركوس (مرقس) أنه لم ير عيسى بل تنصر على يد بترو.

والأمثلة على التحريف: سبق ذكرها في المبحث الآنف، ومنها قول لوقا إن من رآى المسيح فقد رآى الله، مع تكذيب الأناجيل لذلك، حيث ذهبوا في القصة ذاتها أنه لا يرى ولا يسمع قط[3].

ثم ذكر يوحنا وذهب إلى أنه ابن خالة عيسى عليه السلام.

مثال على التحريف والكذب:

قول يوحنا إن عيسى حضر في يوم عرسه وحول الماء خمراً؟![4].

وعقب الترجمان بتكذيب هذا الأمر وإنكاره[5].

ومن الأمثلة على التحريف والكذب:

تكذيب الأناجيل بعضها وكذبها على عيسى أنه قال يمكث في بطن الأرض ثلاثة أيام[6].

وعقب الترجمان بأن هذا من صريح الكذب والبهتان إذ كذبوه وزعموا أنه يمكث يوماً وليلة واحدة فقط. وظهر بالتالي الكذب في كلام هؤلاء الملاعين الذين كتبوا هذه المسألة؛ لأن عيسى لم يخبر عن نفسه، ولا أخبر الله

---

(١) انظر: لوقا الإصحاح ٩/ ١٠ - ١٩ لكن لم يصرح باسم بولس في النسخ المعاصرة، وقد ورد ذلك في أعمال الرسل الإصحاح ١٣/ ٢.

(٢) انظر: تحفة الأريب، ص١٠٧ - ١١١.

(٣) انظر: تحفة الأريب، ص٢١٩ - ٢٢١.

(٤) انظر: يوحنا الإصحاح ٢/ ١ - ٤ غير أنه في النسخ الحديثة لم يصرح بأن يوحنا هو العروس.

(٥) انظر: تحفة الأريب، ص١٣، ١٤.

(٦) انظر: متى الإصحاح ١٢/ ٤٠.

عنه بأنه يقتل ويدفن يوماً لا ليلتين ولا ثلاثة أيام ولياليهم، بل هو كما أخبر الله عنه أنه لم يقتل ولم يصلب، فلعنة الله على الكاذبين[1].

ومن الأمثلة على التحريف والكذب في الإنجيل:

أن المسيح دعا قبل موته وقال: يا إلهي أعلم أنك تستجيب لي فأسألك أن تنجي تلاميذي في الدنيا والآخرة[2].

قال الترجمان معقباً: «ومعلوم بتواتر النقل عن جميع علماء النصارى أن تلاميذ عيسى ﷺ أكثرهم مات مقتولاً بالسيف ثم صلب بعضهم وسلخ جلد بعضهم وعذبوا بأنواع العذاب، وحاشا أن يسأل الله رسوله عيسى ﷺ أن يجنب تلاميذه من كل شيء في الدنيا والآخرة، ثم تنالهم هذه المثلات، وقبائح الموتات، ويوحنا كذب هذه الكذبة على المسيح وأصحابه الثلاثة لم يقولوا شيئاً منها البتة»[3].

وضرب الترجمان أمثلة أخرى كثيرة كان يعقب عليها وينقدها ويلعن قائلها وكاتبها وقال فيمن ألف الإنجيل وحرَّفه: «وهؤلاء الأربعة هم الذين جعلوا الأناجيل الأربعة وحرفوها وبدلوها وكذبوا فيها، وما كان الذي أنزله الله وجاء به عيسى إلا إنجيلاً واحداً لا تدافع فيه ولا اضطراب ولا اختلاف، وهؤلاء الأربعة ظهر عندهم وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلاف والكذب على الله وعلى نبيه عيسى ما هو معلوم ومشهور لا يقدر النصارى على إنكاره»[4].

ومما يحسن ذكره والختام به لهذا المبحث ما ابتدأ به الترجمان عند ذكر الأناجيل وتعريفها بقوله: «واعلموا رحمكم الله أن الذين كتبوا الأناجيل اختلفوا في أشياء كثيرة وذلك دليل على كذبهم، فلو كانوا على الحق ما اختلفوا في شيء.

---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١١٧ ـ ١١٩.

(٢) انظر: يوحنا الإصحاح ١٧/ ١٥ ـ ١٦ بلفظ مقارب.

(٣) تحفة الأريب، ص٢٢٧ ـ ٢٢٩.

(٤) المصدر السابق، ص١١٥.

قال الله ﷻ في كتابه العزيز الذي أنزل على صفيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] فجعل الاختلاف دليل الكذب على الله؛ لأن كل ما هو من عند غير الله لا تختلف معانيه ولا تضطرب مبانيه، وكل ما كذبه الكاذبون عليه الآن وأن يفضحهم لوجود الاختلاف والاضطراب فيما كذبوه ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧] وهو الحكيم العليم»[١].

◆ تعقيب على مبحث الكتب

تحتكر الكنيسة الكاثوليكية الحق الإلهي في تأويل الإنجيل، مع إقرارها أن نص الكتاب المقدس تكلم الله به على لسان البشر وطرائقهم، ثم كتبه البشر بأساليب مختلفة، تاريخية وشعرية، وعند تفسيره يدخله احتمال التأويل في كل نقطة منه، ولذا فإن على من أراد تفسيره أن يحيط بمعرفة المعنى الدقيق للكتب المقدسة، وأن لا يغفل التقليد الجاري في الكنيسة[٢]، لماذا؟ «لأن كل ما يتعلق بأصول تفسير الكتاب خاضع في النهاية لحكم الكنيسة»[٣].

وهذا هو الاحتكار الطاغوتي لفهم الكتاب المقدس مع اعترافهم أنه نص بشري تحول عبر الأزمان إلى كلام إلهي، ودليل ذلك قولهم بعد صفحة واحدة من الكلام الآنف، وتعقيباً عليه: «إن تدابير الله الخلاصية كانت وعوداً في البداية ذكرها كتاب الوحي ثم تحولت إلى وقائع سردوها، وإلى تفسيرات نظموها، فجاءت كلاماً من الله حقاً»[٤].

هذا الاحتكار الإلهي الكنسي للنص النصراني المسيحي، إذ كل ما قررته الكنيسة أو أبطلته يعد من الله، من مجمع نيقية ـ الذي قرر التثليث ـ مروراً بإبطال شريعة موسى عليه السلام واستحلال ما حرم الله، وانتهاء بالتحلل العقدي وآخره إبطال عقيدة النصارى في اليهود بتبرئتهم من دم المسيح.

---

(١) تحفة الأريب، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) المصدر السابق، ص١٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص١٣٢.

وهذه نقطة الخلاف الرئيسة بين الكنيسة الكاثوليكية وبين بقية الكنائس الغربية على وجه الدقة (البروتستانت) فالمسيحيون الإنجيليون يرون أن للنصوص قداسة إلهية ـ وهذا ما نراه في تعاطفهم وتأييدهم المطلق لليهود بناء على نصوص التوراة ـ بخلاف الكاثوليك، ويفصح عن رأيهم قولهم:

«إذا كان المسيحيون المنفصلون عنا يؤكدون للأسفار المقدسة سلطاناً إلهياً فإن رأيهم يخالف رأينا ـ ويختلف أيضاً في ما بينهم ـ في شأن العلاقة القائمة بين الكتاب المقدس والكنيسة، ففي الكنيسة، بحسب الإيمان الكاثوليكي، تحتل الهيئة المعلمة الرسمية في تفسير كلمة الله المكتوبة، والوعظ بها، محلاً خاصاً»[1].

وبما أن الخلاف بين المنهجين جذري عميق في فهم الكتاب المقدس، وبما أنه يصادم كثيراً من المعقولات، فقد تطورت الكنيسة الكاثوليكية في تطوير التأويل للكتاب المقدس، مع بقاء الكنائس الإنجيلية المعاصرة ـ المتهودة ـ على الفهم الحرفي لنصوص الكتاب المقدس.

يقول أحد آباء الكنيسة المعاصرين وهو المطران كيرلس سليم: «المسيحية تطورت كثيراً بدخولها في عصر الحداثة، ولم تعد تخاف من تطور العلم، وقد قامت المدارس اللاهوتية بتفسير جديد للكتب المقدسة، يتخطى التفسير الحرفي الذي كان سائداً في القديم»[2].

والسؤال الذي يفرض نفسه ها هنا، أين ذهبت أعراض ودماء وأموال الأبرياء من غير المسيحيين، والمبدعين النصارى كجاليليو وغيره من الذين بطشت بهم الكنيسة لما خالفوها في الحقائق العقدية والعلمية، فنالوا التحريق والتقتل والسحل؟! ألا يدل ذلك على بطلان أعمال رجال الكنيسة واعتقادهم؟

بل تطور الفكر اللاهوتي النصراني المعاصر إلى حد إخضاع الكتاب المقدس إلى منهج النقد الأدبي والتاريخي، ومطالبة المسلمين أن يفعلوا هذا بالقرآن الكريم؟!، يقول المطران العربي جورج خضر: «... زد على ذلك

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٦٥.

(٢) أفكار وآراء ١٠/١/٢٠٦.

كله أن منهج النقد الأدبي الذي يستعمله اللاهوتيون المسيحيون في دراسة الكتاب المقدس يرفض علماء الإسلام تطبيقه على القرآن»[١].

ما يفيد أن آباء الكنيسة المعاصرين شعروا بما حواه الكتاب المقدس بين دفتيه من التناقض الكبير ومخالفته لكثير من حقائق العقل والشرع والتاريخ، ولذا بدءوا مرحلة النقد التاريخي والأدبي والتنقيح العلمي.. وحاشا لله أن يخضع نص إلهي أنزل من السماء، لمناهج بشرية في النقد الأدبي والتاريخي. فوق ذلك كله يشعر النصارى المعاصرون بالمرارة من اعتقاد المسلمين بتحريف كتبهم[٢] وينكرون على المسلمين أن يتهموا النصارى بأنهم حرفوا الإنجيل.

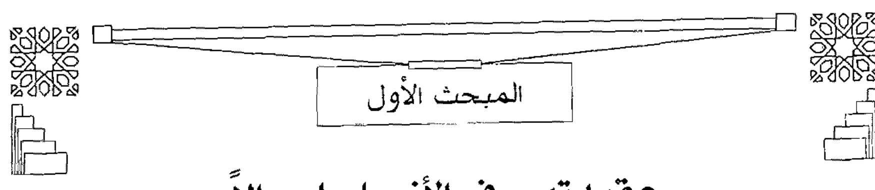


(١) المصدر السابق ١١/٢/٢١٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٠/١/٥٩.

الفصل الرابع

عقيدتهم في الإيمان بالأنبياء



المبحث الأول

عقيدتهم في الأنبياء إجمالاً

يشاطرنا النصارى في الإيمان بأن الله تعالى أنزل أنبياء إلى الناس يعظونهم ويعلمونهم دين ربهم ﷻ، ولكنهم يخالفوننا في كفرهم بآخر النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، وقد أجمل الاعتقاد في أنبياء الله تعالى العلامة الأديب:

أبو طالب عبد الجبار

في (منظومته العلمية)، ومما قاله:

ونعمة الله ببعث الرسل ... بحمدها ينطق كل مِقْوَلِ
أولهم آدم الصفي ... وآخرهم محمد النبي
أرسلهم طراً ليهدوا الناسا ... مؤلفاً بالدعوة الأجناسا
فأدحضوا كل مقال زائف ... أكرم بهم من صفوة خلائف
تأتيهم الملائك الكرام ... بكل ما يريده العلام
فبينوا الحلال والحراما ... وأنفذوا الأمور والأحكاما
حتى بدا الصبح لذي عينين ... وأسمعوا من كان ذا أذنين
تألفهم صحابة أمجاد ... أسد حروب قادة أنجاد
حتى هدى اللّه بهم من اهتدى ... لولاهم لأصبح الناس سدى
فاختص كل مرسل بمعجزه ... من آية وكلمات موجزه[1]

وقد تكلم علماء الأندلس على عقيدة النصارى من الأنبياء كلاماً

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/ج٢/ ٢٢٨، ٢٢٩.

مجملاً، ولم يولوه من الاهتمام ما أولوا غيره من المعتقدات كالكلام في الربوبية والألوهية والصفات أو الشرائع، أو الكلام على نبوة عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ؛ لأنهم تكلموا على الأهم فالأهم، ومن أبرز من ناقش عقائد النصارى في الأنبياء إجمالاً:

الإمام ابن حزم

في كتابه (الفصل في الملل والنحل) الكلام على الأنبياء في معتقد النصارى:

تعرض أبو محمد في الكلام على النبوة والأنبياء إجمالاً وتناول فيها نقاطاً أهمها:

١ ـ الوحي[١]:

ومدى ثبوت الإنجيل عمن نقله: تناول فيه صحة الوحي وصحة ما يأتي به النبي واتساقه وانتظامه على العكس مما في أناجيل النصارى من التناقض والكذب.

وأثبت تاريخياً أن كل كتاب وجد بعد سليمان فهو ظني الثبات؛ لأن جميع الأنبياء بعده، إما مقتول أو مطرود أو منفي. حاشا مدة يسيرة. وكذلك نعلم يقيناً أن أتباع المسيح كانوا كذلك، بل العارض الذي عرض لأتباع المسيح كان أشد وأفحش مما تعرض له من جاء بعد موسى.

فلا كافة متواترة في العالم متصلة إلى المسيح أصلاً، وإنما هو منقول عن خمسة ـ وذكرهم ـ وهؤلاء ثبت الكذب في نقلهم التناقض جهاراً لا لبس فيه[٢].

---

(١) عرف ابن العربي النبوة لغةً واصطلاحاً على وجه التفصيل، وما الشئ الذي تثبت به النبوات، وضرب لذلك أمثلة. انظر: الذخيرة في علم الدار الآخرة مخطوط بالمكتبة الوطنية بمدريد بلا ترقيم وترقيمي له، ص١٧ ـ ١٩.

(٢) انظر: الفصل ١/٣١١ ـ ٣١٤.

٢ - الإيمان بجميع الأنبياء وأنهم مخلوقون كسائر البشر:

قرر هذا المعتقد تحت مسألة من مسائل المحلى بقوله: «وأن جميع النبيين وعيسى ومحمداً عليهم السلام عبيد مخلوقون، ناس كسائر الناس مولودون من ذكر وأنثى إلا آدم وعيسى»(١)، واستدل على ذلك بآيات في هذا المعنى تدل على بشريتهم وخلقهم.

٣ - إثبات النبوة لغير الأنبياء:

من افتراءات النصارى في معتقداتهم أنهم أثبتوا النبوة لأكذب الكذابين الذين وضعوا دين النصارى، ليثبتوا - بهذه السوابق - الانحرافات والشركيات المحدثة فيها، بعد رفع المسيح عليه السلام بل إنهم يغلون فيهم ويثبتون لهم المعجزات التي كانت لأهل النبوات(٢). وأكثر من هذا أنهم يثبتون النبوة لمتى الكذاب، وهو عندهم رسول معصوم أجل من موسى ومن سائر الأنبياء عليهم السلام(٣).

٤ - إثبات النبوة ليحيى وغلوهم فيها:

يحيى بن زكريا هو نبي الله الذي فصّل الله خبره في كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ إلى قوله ﷻ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ [مريم: ٢ - ١٢].

فهو رجل اصطفاه الله واختصه بالنبوة كغيره من الأنبياء، أما عند ديانة الغلو والضلال والانحراف، فيحيى أكثر من نبي بزعمهم كما نص على ذلك متى في إنجيله(٤) وأنه ملك أرسله إليه؟!. وقد كذب ابن حزم هذا المعتقد في **شيئين هما:**

زعمهم أنه أكثر من نبي وهذا محال إذ هو رسول بإجماعهم.

---

(١) المحلى ١/١٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/١٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه ٢/٢٩.

(٤) انظر: متى الإصحاح ١١/٩ - ١٢ بقوله في حقه: «نعم أقول لكم وأفضل من نبي.. ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي...».

والغلو الثاني: زعمهم أن يحيى ملك، وهذا كله كذب؛ لأنه إنسان ابن رجل وامرأة عاش إلى أن قتل. ثم ذكر فيه أنه آدمي[1] ثم ذكر أنه غلو وكذب وحاشا لله أن يكذب نبي.

ومن غلوهم ما ذكره متى أن المسيح قال: «أنه لم يولد أحد من الآدميين أشرف من يحيى المعمد»[2].

عد ابن حزم هذا من الكذب والعيارة التي اخترعها متى ونظراؤه عليهم اللعنة إذ كانوا في غاية الوقاحة والاستخفاف بالدين. حيث زعموا أن كل من دخل ملكوت السماء فهو أكبر من يحيى؟![3].

٥ ـ انتهاء النبوة بعد يحيى:

وأضاف متى: أن كل كتاب ونبوة فإن منتهاها إلى يحيى، وهذا فيه كذبتان، فتارة يزعم أنه أكثر من نبي، ومرة هو نبي وتارة ليس هو بنبي، تبارك الله كم هذا التخليط والكذب الفاحش.

والأخرى قوله: إن كل نبوة فمنتهاها إلى يحيى، وليس بعد النهاية نبي، فهو على هذا آخر الأنبياء.

وفي متى أن المسيح قال لهم: «أنا باعث إليكم أنبياء وعلماء». فقد كذب أن يحيى آخر الأنبياء وأن منتهى النبوة إليه. والنصارى مقرون بأنه كان بعد يحيى أنبياء[4].

وفي يوحنا ذكر شهادة يحيى لما سأله اليهود: «. . . أفأنت نبي؟ قال: لا»[5].

وقد عاب وشنع عليهم ابن حزم هذا التناقض والتكاذب في شأن نبوة يحيى عليه السلام من عدمها[6]. أو رفعه فوقها. وبالله التوفيق والسداد.

---

(١) انظر: الفصل ٢/ ٦٧.

(٢) انظر: متى الإصحاح ١١/ ٩ ـ ١٢.

(٣) انظر: الفصل ٢/ ٦٩.

(٤) انظر: الفصل ٢/ ٧١.

(٥) انظر: يوحنا ١/ ١٩ ـ ٢٢.

(٦) انظر: الفصل ٢/ ١٦٩.

٦ ـ هل تعصي الأنبياء أم لا؟

واختتم كلام ابن حزم بهذا التساؤل الهام، وقد أجاب إمامنا بقدرة واهتمام، فقال: «قال أبو محمد: اختلف الناس في هل تعصي الأنبياء أم لا؟

فذهبت طائفة أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله ﷻ في جميع الكبائر والصغائر عمداً، حاشا الكذب في التبليغ فقط، ـ وذكر بعض الفرق البدعية ـ وهو قول اليهود والنصارى»[(١)].

٧ ـ انتقاص الأنبياء ورميهم بالكبائر:

وهذا ما ثبت في كتابهم المقدس القديم والجديد، وقد تكلم كلاماً مطولاً، لا سيما لما ذكر اليهود ـ أساتذة النصارى ـ وناقشهم في ثبوت الكتاب المقدس من عدمه، فذكر لهم أن كوافكم نقلوا عن بعض أنبيائكم فسوقاً ووطء إماء، وهو عندكم حرام. وعن هارون عليه السلام أنه هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل وأمرهم بعبادته والرقص أمامه!![(٢)].

وادعاء كتبهم أن لوطاً شرب الخمر وزنى بابنتيه!!، وخداع يعقوب لأبيه حتى يبارك عليه[(٣)]، وذكر أموراً أخرى من أنواع الفرى والجرأة على أنبياء الله، كمثل ما نسبوه لعيسى عن الصلب والقتل وأنواع الكذب والنقائص والتناقض والجرأة على الله بلسان المسيح، واستدل على بطلان أديانهم واندثارها وحلول هذه الأديان، التي لم يضعها إلا دهرية كفرة لا يؤمنون بالله وأنبيائه.

---

(١) انظر: المصدر السابق ٤/ ٥.

(٢) انظر: الفصل ١/ ١٢٦، ومما يؤسف له أن هذا مما يردده النصارى اليوم من العرب وغيرهم. انظر: الرحمة الإلهية ٨/ ٥٥ مع تراجعهم عن بعض العقائد التي شابهت هذه العقيدة ووضع الكتاب المقدس تحت مشرحة النقد التاريخي والأدبي.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٢٣ ـ ٢٤٠، وانظر: كلامه عن ذلك في رسالة الرد على ابن النغريلة اليهودي ٤/ ٥٧، ٥٨ ضمن كتاب «رسائل ابن حزم» لابن حزم الأندلسي تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. الثانية، ١٩٨٧م.

والكلام على الأنبياء في معتقد النصارى:

ومن العلماء الأندلسيين - أهل اتباع سنن النبيين - الذين تكلموا على عقائد النصارى الضالين في النبوة والأنبياء والنبيين، الإمام أبو عبيدة سيد الخزرجيين، حيث أسهم في رده على القس بالكلام على النبوات وضلال النصارى فيها، وقد جمعت ما تكلم به في نقاط أربع هذا مختصرها:

١ - إثبات المعجزات والنبوات للحواريين والنساء والقسيسين:

خاطب القسيس أبا عبيدة يدعوه إلى الإيمان بدينه، وذكر من محاسن دينه النبوات والمعجزات، وذكر أن إلهه عيسى أحيا الموتى، ثم إنه أيد بعض الحواريين بإحياء الموتى فأحيوا الموتى كما فعل المسيح[(١)].

ناقشه الخزرجي هل إحياء الموتى دليل الألوهية، أم لا؟ وأوضح أنه لا يعني الألوهية بحال، إذ ثبت ذلك لغير عيسى بنص كتبهم، وقد سبق بيانه في مبحث الألوهية. ثم ذكر أنهم أثبتوا نهاية النبوة بعد عيسى وناقضوها بإثباتها لبرنابا وسمعان ومناين[(٢)].

أما معجزات القسيسين والرهبان فقد أثبتها القسيس مخاطباً الفتى: ولو شاهدت نزول النور الذي يأتينا في كل سنة في ليلة عيدنا الكبير، لرأيت أمراً عجيباً وشيئاً غريباً[(٣)].

وأجابه أبو عبيدة جواباً شافياً، ذكر فيه كثيراً من الخدع الكهنوتية التي يلبسون بها عوام الناس البسطاء[(٤)].

أما نبوة النساء فهي من أعجب الأشياء، حيث يؤمنون بنبوة مريم وحنة وهما امرأتان[(٥)].

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٦٣ رسالة القسيس لأبي عبيدة.
(٢) انظر: أعمال الرسل ١/١٣.
(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص١٠٣.
(٤) ذكر الخزرجي أنواعاً من الخدع منها: ص٢٦٧ - ٢٧٢، وسيأتي المزيد في بيان ذلك.
(٥) انظر: لوقا الإصحاح ٢/٣٦ - ٣٨.

وقد رد الخزرجي: بأن هذا لم يرد لا في كتاب ولا معجزة، ولم تذكرا في كتب الأنبياء. ثم تعجب منهم إثباتهم نبوة من ليس بنبي ولم ينص عليه، وكفرهم بنبوة محمد ﷺ وقد نص عليه؟![1].

٢ ـ ازدراء واحتقار الأنبياء على لسان عيسى؟

وهذا من جملة افتراءات النصارى حيث عَرَّض عيسى عليه السلام بمن قبله من الأنبياء، إذ جعلهم لصوصاً وسراقاً، وإنما قدم هو ليحيوا ويزدادوا خيراً[2].

عقب الخزرجي بأن هذا افتراء على عيسى عليه السلام، ولقد رأيت مفسركم «أوجستين» قد اعتذر عن هذا بهذيان لا يلتفت إليه[3].

٣ ـ غلوهم في يحيى:

حيث زعموا أنه أكثر من نبي وأنه لم تلد النساء مثل يحيى[4]، ثم نفي يحيى النبوة عن نفسه حين سأله اليهود[5]، ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته[6].

٤ ـ رمي الأنبياء بالكبائر وبما لا يليق بهم:

ومن ذلك: رمي المسيح بأنه صلب وقتل وبصق في وجهه وأنه ابن الله ـ تعالى الله ـ ومن ذلك رمي آدم بالذنب وتوريثه لأولاده وعدم توبته وقد تاب الله عليه[7].

ومن ذلك: ما ورد في كتبهم المقدسة عن رمي لوط بالزنا بابنتيه[8].

ومن ذلك أن معجزة يد موسى كانت مبروصة كالثلج، وأن هارون هو الذي صنع العجل، وأن يعقوب صارع الله فغلبه وألقى به إلى الأرض، وأن داود نظر من داره فرأى امرأة إحدى جنوده وهي متعرية تغتسل فعشقها وبعث

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٢١٣.

(٢) انظر: يوحنا الإصحاح ١/٨ ـ ١٨.

(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص١٤٦.

(٤) انظر: متى الإصحاح ١١/١١.

(٥) انظر: يوحنا الإصحاح ١/٢٠ ـ ٢٣.

(٦) انظر: مقامع الصلبان، ص١٥٦.

(٧) انظر: المصدر السابق، ص١٧٧.

(٨) انظر: تكوين الإصحاح ١٩/٣٠ ـ ٣٨.

إليها وقدّم زوجها إلى المعسكر ليقتل[1]، ثم عجب الخزرجي منهم ومن دينهم وكتابهم الذي زعموا أنه من عند الله.

أبو محمد عبد الحق بن عطية

والكلام على النبوة والأنبياء في الرد على النصارى:

قرر القاضي أبو محمد المعتقد الحق في ركن الإيمان بالأنبياء، وذلك في ضوء آيات الكتاب الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تناول هذا في تفسيره إذ هو من عمد تفاسير أهل الأندلس، ومن أهم ما بينه في كتابه:

١ ـ الإيمان بجميع الأنبياء، وأنهم ليسوا هوداً أو نصارى:

في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

هذا الخطاب لأمة محمد ﷺ، علمهم الله الإيمان بهؤلاء الأنبياء ـ وذكرهم الإمام وذكر كتبهم ـ وقال: فالمعنى أنا نؤمن بجميع الأنبياء؛ لأن جميعهم جاء بالإيمان بالله[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠﴾ [البقرة: ١٤٠].

المحاجة موجودة في دعواهم الأنبياء عليهم السلام، ووقفهم ـ تعالى ـ على موضع الانقطاع في الحجة؛ لأنهم إن قالوا أن الأنبياء المذكورين على اليهودية والنصرانية كذبوا؛ لأنه قد علم أن هذين الدينين قد حدثا بعدهم، وإن قالوا لم

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٢٤٠ ـ ٢٥٧، ولا يزال آباء الكنيسة النصرانية حتى اليوم يصمونه ﷺ بهذا: «حياة انحلال داود النبي» قاتلهم الله. انظر: الإسلام والغرب ٢/ ٥٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٦٨، ٣٦٩.

يكونوا على اليهودية والنصرانية قيل لهم فهلموا إلى دينهم إذ تقرون بالحق.

ثم أنكر عليهم تعالى كتمان الشهادة، وهي: ما في كتبهم من أن الأنبياء على الحنيفية، أو هي ما عندهم من الأمر بتصديق محمد بن عبد الله ﷺ[1].

وفي سياق تقرير الإيمان بالأنبياء أثبت القاضي نبوة آدم عليه السلام وعده أول نبي مرسل مكلم واستدل قائلاً: وقد سئل رسول الله ﷺ عن آدم أنبي مرسل هو؟ فقال: نعم نبي مكلم»[2].

٢ ـ التفاضل بين الأنبياء:

في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

نص الله في هذه الآية على تفضيل الأنبياء على بعض وذلك في الجملة دون تعيين مفضول. واستدل بأحاديث في هذا الباب كحديث يونس وحديث موسى، ثم رجح أن المعنى بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾ أنه محمد بن عبد الله ﷺ إذ به ختم الله النبوات وأرسله إلى جميع الأجناس[3].

٣ ـ الصديقة أم النبي:

في مواضع من القرآن ذكر الله تعالى مريم عليها السلام كسورة آل عمران وسورة مريم، ومن أهم ما تكلم به في تأويله لهذه الآيات:

ـ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ١/٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/٢٧١، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٥/١٧٩، رقم (٢١٥٢٩)، ٥/٢٦٥، رقم (٢٢٣٤٢). وابن حبان في صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام محمد بن حبان التميمي ١٤/٦٩، رقم (٦١٩٠)، باب ذكر الأخبار عما كان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما من القرون، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م. والحاكم في المستدرك ٢/٢٨٨، رقم (٣٠٣٩) تفسير سورة البقرة. والطبراني في الكبير ٨/٢١٧، رقم (٧٨٧١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢/٢٧٠.

أوضح القاضي ابن عطية اختلاف المفسرين في كلام الملائكة هل هو جمع من الملائكة أم هو جبريل عليه السلام؟

ثم ذكر الخلاف في قوله: ﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] هل الاصطفاء هو النبوة كما قال بعض الناس؟، وجمهور الناس على أنه لم تنبأ امرأة[١].

قلت: وممن جعلها نبية جمهور النصارى ـ وقد تقدم ـ بل بعضهم جعلها إلهاً بل زوجة الإله تعالى الله عما يقولون.

ثم رجح في موضع آخر أنه إنما يكون كمالاً بشرياً لمريم، وليس في تكليم الملائكة لها دليل نبوة كما تمثل جبريل في صورة رجل ورآه الصحابة[٢].

٤ ـ زكريا ويحيى من بيت نبوة:

وذلك في الوصفين الآنفين من سورة آل عمران وسورة مريم، ذكر ثبوتهما وقصة زكريا عليه السلام في دعائه لربه، والبشرى بيحيى ونبوته وتصديقه بابن مريم، وأنهما ابنا خالة[٣]، مستدلاً بآثار في هذا المعنى، وفيها ذكر رد على غلو النصارى في حال يحيى إذ زعموا أنه أكثر من نبي، أو هو ملك من الملائكة وقد تقدم ذكر ذلك.

الإمام القرطبي

في كتابه (الإعلام) والكلام على النبوة والأنبياء في معتقد النصارى:

ومما تكلم به الإمام القرطبي في كتابه الجليل، من أهمه:

١ ـ الحواريون والأتباع، نبوتهم وإرسالهم لتبليغ الناس، ونبوءة مريم:

أمثال برنابا، وشمعون، وليوقيوش، ومناين، وأغفانوس وغيرهم، تثبت لهم النصارى النبوة والمعجزات[٤]، وأن المسيح بعث الحواريين إلى جميع

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٨٢ ـ ٨٤. (٢) انظر: المحرر الوجيز ١١/ ١٩.

(٣) انظر: المصدر السابق ٣/ ٨٢ ـ ٩٦ ١١/ ١٠ ـ ١٨.

(٤) انظر: الإعلام ٣/ ٢٧١.

الأجناس. وقد رد عليهم، أنا لا نصدقكم ولا نكذبكم، ولكنا نعلم يقيناً أن كتابكم نص على خصوصية رسالة المسيح[1].

أما نبوة مريم فيثبتونها ويغلون فيها، بل يزعمون أنها زوجة الإله[2]، وأم ولده التي اصطفاها الله، وأنها تنزل بجامع طليطلة على المطران في ليلة النصف من شهر (أغشت) ومن أجل ذلك يعظمون تلك الليلة[3]، نعوذ بالله من الضلال والخذلان. وسيأتي قريباً ما ادعوه من نبوة بعض الحواريين والأتباع.

٢ ـ تأييد الأنبياء والحواريين بالمعجزات هل هو دليل ألوهيتهم:

يعتقد النصارى أن المسيح إله، ودليل ذلك تأييده ببعض المعجزات ومنها إحياء الموتى.. فيرد عليهم القرطبي بأنهم أثبتوا المعجزات والنبوات للحواريين ولم يكونوا بذلك آلهة، بل كانوا بشراً من جملة البشر، ثم نقول: إن كان إحياء الأموات يدل على الألوهية، فلأي شيء لا تقولون: إن إلياس واليسع كانا إلهين، وشأنهما في إحياء الموتى لا يقدر أحد على دفعه ولا يخفى، ولم لا تعتقدون ألوهية النبي حزقيال الذي أحيا قومه. ولا تستطيعوا إنكار ذلك إذ نصت عليه كتبكم وقصص أنبيائكم[4].

٣ ـ رمي الأنبياء بالشركيات والموبقات:

وهذا مما تعرض له القرطبي وأبانه وأوضح أنه مما تعتقده النصارى إذ نصت عليه كتبهم المقدسة.

ومن ذلك: زنى لوط بابنتيه في غار، عند هروبه من قومه.

ومن ذلك: احتيال يعقوب على أبيه إسحاق ليباركه بدلاً من أخيه عيسو.

ومن ذلك: مضاجعة رأوبين لسرية يعقوب.

ومن ذلك: عشق داود لامرأة أحد أتباعه لما رآها تغتسل، فقدمه إلى المعسكر ليقتل وليتزوجها.

---

(١) انظر: المصدر السابق ١/ ٦٤.
(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٥٤.
(٣) انظر: المصدر نفسه ٣/ ٣٨٦.
(٤) انظر: الإعلام ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٦ ٢/ ٢٥٤.

ومن ذلك: أن أمنون بن داود عشق أخته تامار بنت داود واغتصبها.

ومن ذلك: أن ابشالوم زنى بنساء داود والده.

ومن ذلك: أن سليمان بن داود عليه السلام أرتد وختم عمره بعبادة الأصنام.

ومن ذلك: أن موسى لما خرج من مصر استعار حلي ثم فر بها ليلاً.

عقب القرطبي بأن هذه الفواحش المنكرة وهذه الصفات المذمومة المستقذرة، هل تليق بأولي الديانات؟ فكيف بمعدن النبوات؟ وهل يحمد ذكرها عند أولي المروءات؟ تباً لهم ولمصدقهم فوالله لقد افتروا على رسل الله، وكذبوا على كتب الله، افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين[1].

وقال مبكتاً لهم ولمعتقدهم: «ثم نقول للنصارى بعد ذلك: العجب منكم ومن جهلكم حيث صدقتم بوقوع هذه الفواحش من الأنبياء، واعترفتم مع ذلك بنبوتهم».

٤ ـ إنكارهم نبوة إسماعيل وذريته:

وهذا مما أورده صاحب كتاب تثليث الوحدانية محتجاً بما ورد في كتابهم المقدس (العهد القديم) مستدلاً بها على بطلان نبوة محمد ﷺ إذ هو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد ذم القسيس إسماعيل وأمه هاجر وأنه ـ أي إسماعيل ـ نطفة قذرة في جلد مدبوغ، أي في رحم هاجر[2].

وأجابه القرطبي أنا نؤمن بالتوراة والإنجيل قبل أن يعتريهما التحريف والتبديل، وإنه قد استدل على بطلانهما وتناقضهما وتكاذبهما بالكثير الجم

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/١٩٦ ـ ٢٠١، ٣/٣٠٧.

(٢) انظر: سفر التكوين الإصحاح ٢١/٩ ـ ١٣، ويحدثني أحد المطلعين على أحوال النصارى من المستشرقين من المعاصرين أنه سألهم عن سبب التحيز الغربي والكنسي ضد العرب والمسلمين، في قضايا الدماء المسفوكة والأعراض المستباحة، والحريات التي يتمتع بها كل العالم في الجملة، عدا العرب والمسلمين، ودعم كل من يقاتل المسلمين، فكان جوابهم واحداً: أنتم أبناء الأَمَة!!.

فلا يسلم لهم قولهم هذا، إذ هو من جملة الكذب فيهما ثم إن كتابهم المقدس قد نص عليه ـ وسيأتي قريباً ـ في مواضع كثيرة منه، وهذا ما يرد عليهم.

أما سبابه للنطفة التي خلق منها إسماعيل، فهو سب لإبراهيم وسب لإسحاق ولا فرق إذ منها خلق الاثنان ومن أبيهم خرجت، ويلزم منه ذم سارة، كما ذمت هاجر، إذ فيهما أودعت وهذا كله ذم لإبراهيم ولعن. وقد لعن الله لاعني إبراهيم كما في التوراة فأنت ملعون بلعنة الله، إذ افتريت على أنبياء الله[1]. ثم ساق خبر التوراة واستدل بنبوة إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة السلام بنص كتبهم، والله الموفق.

٥ ـ إنكارهم نبوة يحيى عليه السلام:

أورد كلامهم في نص الإنجيل أن النساء لم تلد مثل يحيى[2]، ثم ينكرون نبوته لما سألته اليهود هل أنت نبي؟ قال: لا[3].

وعقب قائلاً: فنفى عن نفسه كونه نبياً، ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته فإنه يكون كاذباً والنبي الصادق لا يكذب.

فيلزمهم أحد أمرين: إما أن يكون يحيى ليس بنبي، وهو باطل.

أو يكون إنجيلهم محرفاً وهو حق[4].

٦ ـ إنكارهم النبوات بعد المسيح وما يلزم من ذلك:

ومرادهم بذلك نفي نبوة ورسالة محمد بن عبد الله ﷺ، وختم النبوات بعيسى عليه السلام، وهم مع ذلك يؤمنون بأن بعض الحواريين وأتباع المسيح أنبياء ـ وقد تقدم ذكر بعضهم ـ ويلزمهم على هذه الدعوى أن هؤلاء ليسوا بأنبياء إذ ختمت النبوات بعيسى، وهذا في غاية التناقض والفساد[5].

---

(١) انظر: الإعلام ٢/٢١٧ ـ ٢٣٠.

(٢) انظر: متى الإصحاح ١١/١١.

(٣) انظر: يوحنا: الإصحاح ١/٢٠ ـ ٢٣.

(٤) انظر: الأعلام ٢/٢١٠، ٢١١.

(٥) انظر: المصدر السابق ٣/٢٧٠ ـ ٢٧٢.

٧ ـ **تعريف المعجزة:**

عرفها الإمام القرطبي في سياق الكلام على النبوات وتمييز الصادق من الكاذب تعريفاً لغوياً واصطلاحياً وذكر شروطها[١] وكان التعريف مدخلاً وتمهيداً لإثبات معجزات نبينا محمد ﷺ.

أبو العباس القرطبي

رد في شرحه لكتاب مسلم على النصارى القائلين بنبوة الحواريين وأنهم أرسلوا إلى الناس بعد عيسى عليه السلام، وذكر أنه «قول أكثر النصارى كما ذكرنا في كتاب الإعلام»[٢]، وهذه إشارة أخرى إلى كتاب الإعلام كما قدمنا آنفاً أن القرطبي صاحب الإعلام هو القرطبي أبو العباس على الراجح والله أعلم.

الإمام القرطبي

في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) والكلام على النبوة والأنبياء والرد على النصارى:

ضمن القرطبي رده على النصارى في الآيات التي ورد فيها ذكرهم أو ذكر الأنبياء أو دعوتهم إلى الإيمان بهم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ . . .﴾ الآية [البقرة: ١٣٦].

أوضح أن سبب نزول الآية ما رواه ابن عباس أنه جاء نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فسأله عمن يؤمن به من الأنبياء، فنزلت الآية، فلما جاء ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا من آمن به[٣].

ـ وفي أول سورة مريم تناول القرطبي مسائل في النبوة أثبت فيها معتقد المسلمين الحق، ومنها: ذكر زكريا ونبوته ودعائه لربه بأدب جم.

---

(١) انظر: الإعلام ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠.
(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، كتاب النبوات ٦/ ١٧٥ ـ ١٩٠.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٤٠، ١٤١.

- وراثة الأنبياء هل هي وراثة الأموال أو وراثة العلم والنبوة أو وراثة الحكمة؟ ورجح الثاني.

- ذكر نبوة يحيى وفضائله وحنانه وشفقته وذكر أن الكتاب المذكور في قوله: ﴿خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] أنه التوراة بلا خلاف، وذكر ابتلاءه وقتله، وأنه ابن خالة عيسى وعيسى ابن خالته[١].

عبد الله الترجمان

والكلام على معتقد النصارى في النبوات:

وكان كلامه في النبوات كمن سبق من أهل العلم، يرد في ثنايا رده على معتقدات النصارى في التوحيد والشرائع، وهنا نقاط تعرض لها، وفيها بعض الطرافة استخرجها من جملة معتقداتهم ومنها:

١ - الأنبياء في جهنم:

وليسوا في الجنة، وسبب ذلك خطيئة أبيهم آدم، التي وضعت أبناءه في الجنة. وأن المسيح هبط بعد ذلك إلى جهنم وأخرج منها آدم ونوحاً وإبراهيم، وجميع الأنبياء وأنهم كانوا فيها بسبب خطيئة أبيهم آدم في الأكل من الشجرة؟![٢].

٢ - معجزات الأنبياء هل تدل على ألوهيتهم:

تستدل النصارى على ألوهية عيسى بمعجزاته التي وقعت كإحياء الموتى ونحوها، ويرد الترجمان على بني قومه الذين فارقهم إلى الإسلام والإيمان، بأن إلياس أحيا الموتى واليسع أحيا الموتى، وأنه وقع لموسى أكبر مما وقع لعيسى بنص كتبهم ولم تدل هذه على ألوهيتهم، فلا تدل على ألوهية المسيح بل على نبوته وبشريته كسائر الأنبياء والمرسلين[٣].

---

(١) انظر: المصدر السابق ١١/ ٧٤ - ٨٩.

(٢) انظر: تحفة الأريب، ص١٢٧ - ١٢٩، ص١٤٤، وقد اقتبسه من الخزرجي في مقامع الصلبان، ص١٧٤.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١٥٣ - ١٥٧.

٣ ـ الدعوى أن المسيح أتى بمعجزات لم يأت بها أحد قبله:

وهذا ما قاله يوحنا في إنجيله[١].

وعقب الترجمان على هذه الدعوى: «حاشا عيسى أن يقول هذا، فإنه يعلم بالضرورة أن موسى عليه السلام أتى بمعجزات كثيرة عظيمة ـ وقدم ذكرها ـ وكذلك إلياس واليسع عليهما السلام كانا قبل عيسى وكلاهما أحيا الموتى، واليسع أبرأ الأبرص كما أبرأه عيسى، فكيف يزعمون أن عيسى قال: أتيت من المعجزات بما لم يأت به أحد قبلي، بل كذب عدو الله اللعين يوحنا في هذا. وأصحابه الثلاثة لم ينقلوا شيئاً من ذلك»[٢].

٤ ـ زواج الأنبياء والتسمي بأسمائهم:

إذ يعيب النصارى على المسلمين أن يتزوج نبيهم، وأن يجمع في عصمته تسع نساء.

وأجابهم الترجمان أن هذا من ابتداع رهبان النصارى، حيث أنكم متفقون على أن كتبكم نصت أن داود عليه السلام تزوج مائة امرأة، وسليمان عليه السلام

---

(١) انظر: يوحنا الإصحاح ١٥/ ٢٤ بلفظ «لو لم أكن قد عملت لهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري».

(٢) تحفة الأريب، ص٢٢٩، ويبين الإمام ابن تيمية مدى الخلل والاضطراب في عقائد النصارى تجاه الأنبياء عليهم السلام ويقول: «وأما النصارى فمع غلوهم في المسيح وأتباعه يستخفون بغيره، فتارة يجعلون الحواريين مثل إبراهيم وموسى أو أفضل منهم، وتارة يقولون كما قال اليهود إن سليمان لم يكن نبياً بل سقط من النبوة، وتارة يجعلون ما خاطب الله به داوود وغيره من الأنبياء، إنما أريد به المسيح، مع أن اللفظ لا يدل على ذلك، بل يتأولون كتب الله بمجرد هوى أنفسهم، وتارة يقولون إن الواحد منهم إذا أطاع الله بما يزعمون أنه طاعة صار مثل واحد من الأنبياء، ويسوغون لمثل هؤلاء أن يغيروا شرائع الأنبياء ويضعوا ديناً ابتدعوه، ومحمد وأمته أقاموا توحيد الله الذي كان عليه إبراهيم وموسى وسائر الرسل وآمنوا بكل كتاب أنزله الله وكل رسول بعثه الله وأقاموا دين الرحمن إقامة لم يقمها أحد من الأمم، فعامة أهل الأرض مع محمد إما مؤمن به باطناً وظاهراً، وهم أولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون، وإما مسلمون له في الظاهر تقية وخوفاً من أمته وهم المنافقون». الجواب الصحيح ٥/ ٩٧، وانظر: كذلك ٢/ ٢٦١.

تزوج ألف امرأة، وكذلك أن جميع الأنبياء تزوجوا وولد لهم أولاد غير يحيى وعيسى، إنكم لم تدينوا بما شرعه الله في التوراة والإنجيل من الزواج[1].

ويعيبون على المسلمين التسمي بأسماء الأنبياء.

وأجابهم: كيف تنكرون علينا ذلك ونحن قد تسمينا بأسماء الأنبياء تبركاً بذلك وهم من جنس بني آدم، صلوات الله عليهم، وكيف لا تنكرون على أنفسكم حيث تسمون أسماء الملائكة كجبريل وميكائيل وعزرائيل، ولا جواب لهم عن هذا وبالله التوفيق[2].

تعقيب حول مبحث الإيمان بالأنبياء إجمالاً

مما سبق ذكره آنفا في كلام أهل العلم من غلو النصارى في إثبات النبوة لغير الأنبياء ومن الأتباع والتلاميذ، وتناقضهم في ذلك، بنفي النبوة بعد عيسى وإثبات كتبهم لأنبياء آخرين بعده، تصر الكنيسة المعاصرة على إثبات خصائص النبوة لغير الأنبياء، ولأعداد لا تحصى من الأساقفة والقسس والرهبان، ومن تلك الخصائص النبوية «العصمة»، وبما أن رجال الدين النصارى معصومون فإن ما يتخذونه من قرارات كنيسية، تعد نافذة بإرادة إلهية.

تقول الكنيسة الكاثوليكية: «إن العصمة التي تلحق الرهبان بالحبر الأعظم أو بسلطة أخرى كنسية، والتي تخرجهم من سلطة الأساقفة، إنما هي لنظام المؤسسة الداخلي في الأكثر، وبها تصبح العلاقات الرهبانية في تلك المؤسسات أوفر انتظاماً وتلاحماً، ويشتد السهر على نمو الحياة المشتركة وكمالها، والعصمة تتيح أيضا للحبر الأعظم أن يستخدم هؤلاء الرهبان في ما يؤول إلى خير الكنيسة الجامعة، وتتيح لسلطات أخرى ذات صلاحية أن تستخدمهم في ما يؤول إلى خير الكنائس التي تتعلق بسلطتهم الخاصة.

ولكن هذه العصمة لا تعفي الرهبان في كل أبرشية من الخضوع لسلطة

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٤٠، ٢٤٢.

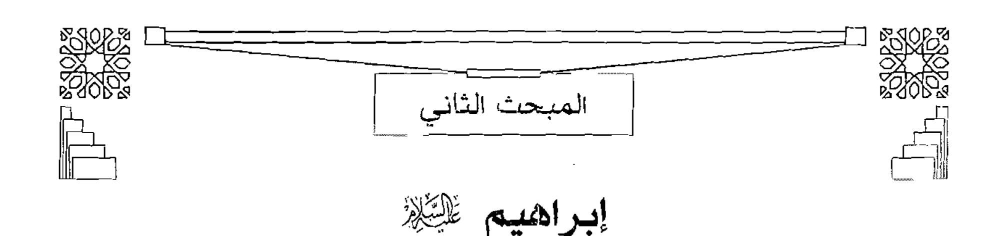
(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٢٥٣، ٢٥٤.

الأساقفة وفاقاً للقانون، وذلك بمقدار ما تقتضيه المهمة الراعوية وبمقدار ما تطلبه خدمة النفوس في نظامها الصحيح»[1].. «على جميع الرهبان، سواء كانوا من ذوي العصمة أو لا، أن يخضعوا لسلطة الأساقفة المحليين»[2].



(١) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٣٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٤٥، وقد رد على هذا المعتقد الفاسد شيخ الإسلام ابن تيمية لما زعموا العصمة للحواريين وغيرهم، انظر: الجواب الصحيح ٣/٤١٩ ـ ٤٢٧.



المبحث الثاني

إبراهيم عليه السلام

يعتقد المسلمون أن إبراهيم عليه السلام نبي رسول وهو خليل الله الذي اصطفاه الله وجعله نبياً وجعل النبوة في ذريته إلى خاتمهم وآخرهم وسيدهم نبينا محمد بن عبد الله ﷺ. وتعتقد النصارى في إبراهيم عليه السلام ما نعتقده من إجلاله والإيمان به وبرسالته وكتابه واعتباره أباً للأنبياء حتى المعاصرين منهم[1].

أما العلماء الأندلسيون الذين تكلموا على معتقد النصارى في إبراهيم فهم نزر يسير، إذ كان الكلام في الأنبياء مجملاً، ذكر فيه الأنبياء ومنهم إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، ولم يخصص الكلام عن هذا النبي الكريم في فصول مستقلة، وإنما ورد في سياق الرد على معتقدات النصارى في الربوبية أو الألوهية أو الأناجيل. . . إلخ، ومن النقاط التي تكلم فيها العلماء، ونافحوا فيها عن المعتقد الحق في نبوة هذا النبي الكريم:

١ ـ معنى إبراهيم:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٤] إذ فسر ابن عطية أن معنى كلمة إبراهيم بالعربية: أب رحيم، وقرأها نافع في جميع سورة البقرة إبراهام[2].

٢ ـ هل كان إبراهيم يهودياً أو نصرانياً؟

أجاب على هذا رب السماوات دحضاً لأهل الشبهات والشهوات من اليهود والنصارى ومن اقتفى أثرهم ممن جادل أو مارى فقال عز من قائل:

---

(١) انظر: أفكار وآراء ١٠/ ١٤ ـ ١٩.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٤٧.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٧].

اختلف المفسرون فيمن نزلت الآية فقيل إنها نزلت في اليهود وقيل إنها نزلت في نصارى نجران وأحبار اليهود، إذ ادعى كل فريق أنه منهم، فأكذبهم الله بنزول هذه الآيات. وذكر أن التوراة والإنجيل ما أنزلت إلا من بعده، فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً؟!. ثم عاب عليهم مجادلتهم في أمر لا يعلمونه، وهو دعواهم في إبراهيم أنه كان يهودياً أو نصرانياً.

ثم نزَّهه تعالى من دعاويهم الكاذبة وأخبر عن حقيقة أمره وبين أنه لم يكن يهودياً ولا نصرانياً: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا﴾، ونفى عنه الشرك الذي هو عبادة الأصنام، ودخل في ذلك الإشراك الذي تتضمنه اليهودية والنصرانية، ثم أثبت له التوحيد والإسلام[١].

٣ ـ شك إبراهيم في وعد ربه:

تعتقد اليهود والنصارى أن إبراهيم رد على ربه لما أخرجه من بين أعدائه ووعده أن يورثه ذلك البلد، فرد إبراهيم بماذا أعرف أني أرث هذا البلد[٢]، هذا ما ذكرته كتبهم المقدسة عن نبي الله وخليله إبراهيم، وكان عليه السلام يطلب من ربه دليلاً على وعد ربه.

قال أبو محمد بن حزم: حاشى لله أن يقول إبراهيم عليه السلام لربه هذا الكلام. فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل، حتى طلب على ذلك برهاناً[٣].

---

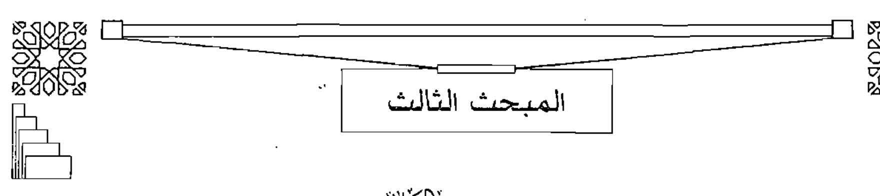
(١) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ١١٤ ـ ١١٨، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٠٧ ـ ١٠٩.
(٢) انظر: سفر التكوين في التوراة الإصحاح ١٥/ ٧ ـ ٩.
(٣) انظر: الفصل ١/ ٢١٧، ٢١٨.

٤ ـ ذم إبراهيم عليه السلام في كتب النصارى واليهود:

وهذا ما ورد في عهدهم القديم إذ عرضوا بإبراهيم وإسماعيل وهاجر في جهل قبيح من الاستعارة؛ لينفوا نبوة إسماعيل وذريته[١]، وقد سبق بيانه في المبحث الآنف.



(١) انظر: المبحث الآنف: عقيدة النصارى في الأنبياء.



عيسى عليه السلام

جمع دين النصارى بين المتناقضات؟! وفرق بين المتماثلات، ووعّر السهل، وسهل الوعر. وتعتقد النصارى بنبوة عيسى وتغلوا فيها وفي إثباتها، فيقولون هو ابن الله بل هو الله، فكيف يكون نبياً وإلهاً خالقاً مدبراً؟، وكيف يكون بشراً إنساناً وإلهاً خالقاً؟، فالأولى تنقض الثانية والثانية تنقض الأولى، ولا بد، فالنبي لا يكون إلهاً والإله لا يكون نبياً..

من هو عيسى ابن مريم؟

عيسى هو كلمة الله خلقه بمعجزة منه سبحانه، إذ صدر عن كلمة منه تعالى لا بسبب إنسان آخر كعرف البشر[١].

هذا لدينا نحن المسلمين أما النصارى فتقدم قولهم فيه عليه السلام، وتسميه النصارى يسوع، ويسوع معناها لديهم مأخوذ من اللفظ اليوناني للاسم العبري «يشوع» والذي يعني «الرب يخلص»[٢].

أما لفظ المسيح، فاختلف الناس في اشتقاقه، فقال قوم: هو من ساح يسيح إذا ذهب في أقطار الأرض، وقال جمهور الناس هو من مسح فوزنه فعيل، وقال قوم من العلماء سمي بذلك من مساحة الأرض؛ لأنه مشاها فكأنه مسحها وقال آخرون: سمي بذلك لأنه ما مسح بيده على ذي علة إلا برئ، وقال ابن جبير: سمي بذلك لأنه مسح بالبركة[٣].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٧٤.

(٢) إنجيل لوقا الدراسي شرح إنجيل لوقا ص٧، دار الكتاب المقدس، ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٨٧، البحر المحيط ٢/ ٤٥٩، ٤٦٠ تفسير ابن برجان، ورقة ١٤١، كذا تناولها ابن العربي في كتابه: القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، للإمام =

وعند القرطبي في تذكرته أنه «اختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولاً ذكرها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه مجمع البحرين، وقال: ولم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ولقي الرجال»[1]، ثم ساقها القرطبي بتمامها. وقيل غير ذلك من التعريفات، والله أعلم.

أما الكلمة التي طالما ضلت بها النصارى وطالما كرروها وأعادوا في منتدياتهم أنه «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله»[2].

وهم الذين زعموا ـ كما تقدم ـ أن الكلمة استحالت إلى جسد هو المسيح الإله؟! وهو في القرآن مخلوق بكلمة الله كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٥].

فسمى الله عيسى عليه السلام كلمة لصدوره بكلمة كن بلا أب، قاله قتادة، وقيل تسميته المسيح كلمة من الله أي من كلام الله. وقيل لوعد الله به في الكتب السابقة، وقيل لأن الله يهدي بكلمته، وقيل سماه بذلك كما سمى من شاء من خلقه[3].

وتقدم الرد عليهم في أول الباب في زعمهم ربوبية المسيح وألوهيته، أما في هذا المبحث فهو عرض لضلالهم وغلوهم وافترائهم على هذا النبي الكريم وأبرز ما رد به علماء الأندلس والله الموفق.

أبو محمد بن حزم

تناول ابن حزم في سياق رده على النصارى ـ في أمور العقيدة والشريعة ـ نقاطاً هامة بين فيها ضلال النصارى وأوضح المعتقد الحق ومنها:

١ ـ أدلة نقلية على إثبات نبوة المسيح دون إلهيته:

أورد الإمام نصوصاً من كتبهم المقدسة وعلق على كل نص، ومن ذلك:

= أبي بكر بن العربي، ٢/١١٠٥، ١١٠٦ وذكر لها تسعة تعليلات. تحقيق: د. عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٩٩٢م.

(١) التذكرة، ص٥٦٤، ٥٦٦.

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ١/الفقرة ١.

(٣) انظر: البحر المحيط ٢/٤٥٩، ٤٦٠.

ما قاله في إنجيله: إنه كان نبياً مقتدراً، عند الله[1]. وعد ابن حزم هذا من تناقضهم وكذبهم في زعمهم أنه إله[2]، وأنه لا يعدو أن يكون نبياً من جملة الأنبياء.

ومن ذلك: في ذات الإنجيل قول المسيح: أما إني أقول لكم: إنه لا يقبل أحد من الأنبياء في موضعه[3].

وعقب ابن حزم بكلام حاصله: أن هذا هو الحق الذي أفلت من تبديلهم، وأبقاه الله حجة عليهم، والحمد لله رب العالمين[4].

ومن ذلك: في ذات الإنجيل، الحوار الذي دار بين اثنين من تلاميذ المسيح، وهو يسمعهم إلى أن خاطبهم بقوله: يا جهال ويا من عجزت عن فهم مقالة الأنبياء قلوبهم...[5].

عد أبو محمد هذا دليلاً على نبوته، ولكن طمس الشيطان على قلوبهم ولوى ألسنتهم، فكذبوا المسيح أشد الكذب وحسبنا الله ونعم الوكيل[6].

ومن ذلك: في يوحنا لما أطعم الخمسة آلاف من خبزات وحوتين قالت الجماعة: هذا النبي حقاً[7].

عقب الإمام: فيا للعجب هلا قالوا فيه مثل هذا القول ولو مرة واحدة[8].

٢ ـ هل رسالة المسيح عامة لكل الناس؟

تقول النصارى أن المسيح بعث أتباعه لكل الأجناس، ولكن يكذبهم ما

---

(١) انظر: لوقا الإصحاح ٢٤/٢٠ بلفظ «كان إنساناً نبياً مقتدراً في الفعل والقول أمام الله».
(٢) انظر: الفصل ١/١٢٠.
(٣) انظر: لوقا الإصحاح ٤/٢٢ ـ ٢٥ بلفظ: «أقول لكم إنه ليس نبي مقبولاً في وطنه».
(٤) انظر: الفصل ٢/١٥١.
(٥) انظر: لوقا الإصحاح ٢٤/١٢ ـ ٢٧ بألفاظ توبيخية مشابهة.
(٦) انظر: الفصل ٢/١٥٩.
(٧) انظر: يوحنا الإصحاح ٦/٤ ـ ١٥.
(٨) انظر: الفصل ٢/١٨١.

ورد في كتابهم أن المسيح بعث التلاميذ فأوصاهم بوصايا منها: أن يختصروا في دعوتهم ووعظهم إلى الضأن التالفة من بني إسرائيل[1].

وهذا الأمر يكون بعد رفعه إلى السماء، ولكنهم خالفوا أمر المسيح وعصوه؛ لأنهم لم يذهبوا إلا إلى الأجناس، فهم عصاة لله فساق بإقرارهم[2].

٣ ـ اختفاء المسيح بمعجزاته:

ورد في لوقا: أن العامة تعجب من قوله فقال لهم: قد علمت أنكم ستقولون لي يا طبيب داو نفسك، وافعل في موضعك، كما بلغنا أنك فعلت بكفر ناحوم آمين، أما إني أقول لكم إنه لا يقبل أحد من الأنبياء في موضعه[3].

واعتبر ابن حزم هذا اعترافاً أنه لم يأت بآية بحضرة الجماعة، وإنما ذكر أنه أتى بالآيات في القفار، وهذه عظيمة وكبيرة[4].

ورد في يوحنا أن إخوة يسوع قالوا: اذهب إلى بلد يهوذا، واخرج من ها هنا لتعاين تلاميذك التي تطلع، فليس يختفي أحد بفعل يريد أن يطلع عليه، فإذا كنت تريد هذا فأطلع على نفسك أهل الدنيا، وكان إخوته لا يؤمنون به[5].

قال أبو محمد: ففي هذا أنه كان يختفي بمعجزاته كما نرى[6]، وفي هذا رد لقول النصارى وزعمهم أنه أظهر معجزاته للناس وأنها دلت على ألوهيته.

---

(١) انظر: متى الإصحاح ١٠/٤ ـ ٦ ونصه: «إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»، وانظر: جواب ابن تيمية في الجواب الصحيح ١/٣٨٢، ٣٨٣، ٢/٣٩ ـ ٤٢ على هذه المسألة، بجواب مفصل.

(٢) انظر: الفصل ٢/٥٩.

(٣) انظر: لوقا: ٤/٢٢ ـ ٢٥ مع تغير وزيادة في الترجمة الحديثة.

(٤) انظر: الفصل ٢/١٥١.

(٥) انظر: يوحنا الإصحاح ٧/٢ ـ ٥ بلفظ مقارب.

(٦) انظر: الفصل ٢/١٨٥ وانظر: ٢/٨١.

٤ ـ إهانة المسيح في كتب النصارى:

من ذلك: إقرارهم بأن الشيطان قاد المسيح إلى جبل منيف وشككه في وعد ربه، ودعاه لعبادته[١]، وهذه منزلة رذلة جداً أن ينقاد نبي لشيطان فضلاً عن إله[٢].

ومن ذلك: وصفهم بأنه ابن الحداد وابن مريم، وأن إخوته، يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا[٣]، وهذا إهانة للمسيح؛ لأنه لا أب له ولا إخوة، ومن ذكروا إنما هم أولاد يوسف النجار أو الحداد[٤].

ومن ذلك: وصفهم له أنه ابن داود[٥].

٥ ـ كذب المسيح في كتبهم:

من المسلمات أن الأنبياء أصدق الناس، ولكن النصارى وصفوا نبيهم بالكذب ومخالفة الواقع في حوادث كثيرة منها:

أن رجلاً جاء المسيح يرجوه أن يحيي ابنته التي ماتت فقال لهم: إنها نائمة ولم تمت، ولما خرجت الجماعة، أمسك بيدها ثم أقامها[٦].

وهذه مصيبة إذ هذا تكذيب للمسيح، وأنه كذب جهاراً إذ قال لهم: إنها لم تمت، إنما هي راقدة ليست ميتة، فإن كان صادقاً أنها ليست ميتة، فلم يأت بآية ولا بعجيبة، وحاشا لله أن يكذب نبي فكيف إله!![٧].

ومن ذلك: أنه وعدهم لا تستوعبوا مدائن بني إسرائيل، حتى يأتي ابن الإنسان[٨] يعني رجوعه إلى الدنيا ظاهراً بعد رفعه إلى جميع الناس.

وهذا كذب فقد استوعبوا مدائن بني إسرائيل وغيرها ولم يروا ما وعدهم به وحاشا لله أن يكذب نبي[٩]، إلى غير ذلك من النصوص التي تظهر خلف

---

(١) انظر: لوقا الإصحاح ٤/٥ ـ ١١.

(٢) انظر: الفصل ٢/٣٦.

(٣) انظر: متى الإصحاح ١٣/٥٤ ـ ٥٨.

(٤) انظر: الفصل ٢/٨١، ٨٢، ١٥١.

(٥) انظر: الفصل: ٢/١١١، ١٤٧، ونصه في متى: ٢٢/٤١ ـ ٤٦.

(٦) انظر: متى الإصحاح ٩/١٨ ـ ٢٦، وقد مثلت هذه الأعجوبة في الشريط ٢٠٠٠ الآنف الذكر!!

(٧) انظر: الفصل ٢/٥٥، ٥٦.

(٨) انظر: متى الإصحاح ١٠/٢٣ بلفظه.

(٩) انظر: الفصل ٢/٥٩.

المسيح وعده أو مخالفة الواقع، وهذا دليل كذبهم على نبي الله عيسى عليه السلام.

٦ - حواريو المسيح:

في سياق الكلام على النبوة، تكلم ابن حزم على أصحاب النبي عيسى الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وقال: ليعلم كل مسلم أن هؤلاء الذين يسمونهم النصارى، ويزعمون أنهم كانوا حواريين للمسيح كباطرة ومتى الشرطي ويوحنا ويعقوب ويهوذا الأخساء لم يكونوا قط مؤمنين فكيف حواريين؟ واعتبرهم زنادقة غلاة دهرية؟، وقرنهم ببعض الفرق الباطنية والصوفية الغالية، ثم رضي عن حواريي المسيح الذين لم يسمهم القرآن[١].

٧ - نزول المسيح:

يقرر الإمام ابن حزم نزول المسيح في مقدمة محلاه[٢]، في باب التوحيد مسألة: نزول عيسى عليه السلام، ويستدل على هذا المعتقد بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[٣].

الإمام ابن برجان

والكلام على نبوة عيسى:

يبيّن أبو الحكم بن برجان الفرق بين المرسل والنبي والمدعي للنبوة، ومهمة النبي المنوطة به عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١] وفي موضع آخر يثبت بالأدلة القاطعة معجزات المسيح عليه السلام،

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٨٩ - ٩١. (٢) انظر: المحلى ١/ ٩.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٨٤، رقم (١٥١٦٧)، مسلم ١/ ١٣٧، رقم (١٥٦)، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ والصفحة في تفسير ابن برجان بلا ترقيم، وهي في الموضع أعلاه من الذكر الحكيم.

وأخيه محمد ﷺ وسائر الأنبياء من فلق البحر وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونبع الماء من بين الأصابع وحنين الجذع والناقة، وغير ذلك من معجزات الأنبياء، ثم تكلم على فتنة الدجال وتلبيسه على الناس بسحره على هيئة المعجزات[1].

ويعرف ابن برجان «الحواريين»: «الحواريون مأخوذ اسمهم من الحور الذي هو الرجوع، الأسماء ليست لصناعات الدنيا بل هي على الأغلب لما وجدت من عمل بأول الآخرة، أو شقاوة أو سعادة، أو ما إلى ذلك وتصريف ذلك من حار يحور حوراً أي رجع»[2]، «وذهب الأكثر من المعتبرين وأهل الكلام على اللسان العربي أن اشتقاق الحواريين من الحواري وهو البياض، وقالوا إنهم كانوا يبيضون الثياب ويقصرونها، فسموا من أجل ذلك بالحواريين والأشبه في اشتقاقه أن يكون مشتقاً من الحور الذي هو الرجوع، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [الإنشقاق: ١٤] أي ظن أن لن يرجع معاد إلينا[3].

وعن سؤال الحواريين عيسى عليه السلام إنزال المائدة ـ يبين رحمه الله ـ أن هذا السؤال لم يكن سؤال تعنت وكفر؛ لأنه غير معهود منهم، إنما كان جهلاً منهم بالله جل ذكره أو جهلاً منهم بمنزلة رسوله عليه السلام[4].

أما الطائفتان اللتان افترقتا بعد ظهور المعجزات «فآمنت طايفة من بني إسرائيل وكفرت طايفة، وكانت الطايفة التي كفرت اليهود، ومن كان من سواهم ممن تابعهم. . . والذين آمنوا معه عليه السلام فلم يؤيدوا على عدوهم وإنما يظهروا عليهم بتأييد الله إياهم في جيئته الآخرة»[5]، ثم يبين معنى التوفي المذكور في كلام طويل حاصله أن التوفي معناه: «ما أراه في سماواته من

(١) انظر: تفسير ابن برجان مخطوط، ورقة ١٤١ ـ ١٤٣.
(٢) المصدر السابق، بلا ترقيم عند تفسير قوله: «قال الحواريون نحن أنصار الله».
(٣) تفسير ابن برجان، (مخطوط) صفحات بلا ترقيم، عند تفسير الموضع الآنف الذكر.
(٤) انظر: المصدر السابق، (مخطوط) ورقة ٢١١.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ورقة ١٤٤.

عجائب ملكوته وملائكته وغير ذلك من أحكام رفعه إليه»[1].

ويجلي رَحِمَهُ اللَّهُ معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، يحتمل أن يكون رجوع الضمير في موته على عيسى صلوات الله عليه ويحتمل رجوعه على كل واحد من أهل الكتاب، وفي قراءة أُبيّ ليؤمنن به قبل موتهم بالهاء والميم»[2].

ابن عطية وابن العربي

والكلام على نبوة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وتقرير المعتقد الحق:

حيث تناولا نقاطاً هامة في إثبات نبوته ومنها:

١ - معجزة المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كما وردت في كتاب ربنا عَزَّ وَجَلَّ وسنّة نبيه ﷺ ومنها:

إحياء الموتى، إبراء الأكمه والأبرص، خلق الطير من الطين، تأييده بروح القدس، تكليم الناس في المهد وكهلاً، نزول مائدة السماء عليه، كف بني إسرائيل عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، رفعه إلى السماء[3] إلى غير ذلك من المعجزات التي وردت في الكتاب والسنّة.

٢ - نزول المسيح:

من قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

اختلف المتأولون في معنى الآية فقيل الضمير في موته راجع إلى عيسى، والمعنى أنه لا يبقى من أهل الكتاب أحد إذا نزل عيسى إلى الأرض إلا يؤمن بعيسى، كما يؤمن سائر البشر وترجع الأديان كلها واحداً.

---

(١) المصدر نفسه، ورقة ١٤٤، وانظر: كذلك ورقة ٢١٢ مقرراً هذا المعتقد الحق.
(٢) المصدر السابق، ورقة ٢٠٠.
(٣) انظر: المحرر الوجيز ٢/٢٧١، ٥/٢٣٠، ١١/٢٧.

وقيل الضمير في (به) لعيسى، وفي موته للكتابي أي أنه لا يموت يهودي إلا آمن بعيسى وعلم أنه نبي، وقيل غير ذلك.

وفي جل الأقوال يعود الضمير إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦١].

ذكر القاضي أبو محمد قصة ابن الزبعري في محاجته للنبي ﷺ، وأنهم ما ضربوه إيماناً به بل جدلاً لنبيه. وقرأ جمهور الناس «لعِلْمٌ» بكسر العين وسكون اللام.

وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة وأبو هند الغفاري ومجاهد وأبو نضرة ومالك بن دينار والضحاك «لعَلَم» بفتح العين واللام، وقرأ غير ذلك.

ومن قال إن الإشارة إلى عيسى حسن مع تأويله عِلْم وعَلَم أي هو إشعار بالساعة وشرط من أشراطها، يعني خروجه في آخر الزمان[2].

وذكر الإمام أقوالاً غير ما ذكر منها أن المراد به محمد ﷺ والله الموفق.

ويتناول **ابن العربي**[3] هذا المعتقد بالإقرار ويوضح أنه من العلامات المتقدمة بين يدي الساعة، وأنه يقتل المسيح الدجال، وهذا من كراماته ومعجزاته عليه السلام إذا أنزل من السماء.

ويؤكد القرطبي هذا المعتقد في تذكرته ذاكراً الآيات والأحاديث التي تبين نزوله وقتله المسيح الدجال[4]، وبيان حواريي عيسى إذا نزل، وأن

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ٤/ ٣٠٤ـ٣٠٦، ٨/ ١٦٨، والجامع لأحكام القرآن، ٦/ ١٠ ـ ١٢.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧١، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ١٠٥، ١٠٦، ومما يجدر ذكره أن الكنيسة المعاصرة تؤمن بنزوله عليه السلام، ولكن باعتباره إله، وتنكر على المسلمين اعتقادهم بشرية المسيح وعبوديته لله ﷻ، انظر: أفكار وآراء ١١/ ٢/ ٧، ٤٠.

(٣) انظر: الذخيرة في علم الدار الآخرة مخطوط بالمكتبة الوطنية بمدريد بلا ترقيم وترقيمي: ص٢٢ وهو عند الموضع المذكور أعلاه من كتاب الله.

(٤) انظر: الأحاديث الصحاح في قتل المسيح الدجال على يد عيسى عليه السلام في البخاري ومسلم وغيرهما.

المسيح ﷺ إذا نزل يجد في أمة محمد خلقاً من حواريه[1]، واستدل بأحاديث كثيرة مقرراً هذا المعتقد، منها حديث: «لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله حاجاً أو معتمراً أو ليجمعن الله ذلك له»[2] وأحاديث قتل الدجال على يد عيسى ﷺ[3].

أبو عبيدة الخزرجي

والكلام على نبوة عيسى ﷺ:

من القضايا التي تناولها الفتى الخزرجي في سياق رده على القسيس النصراني، نبوة عيسى ﷺ، وقد أوضح الحق وقرره فيهما ومنها:

---

(١) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص٥٦٩ ـ ٥٧٠.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٩١٥ رقم (١٢٥٢)، كتاب الحج باب إهلال النبي ﷺ، وعبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٤٠٠ باب الدجال رقم (٢٠٨٤٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٦٥٤ كتاب الفتن. . . وابن الجعد علي بن الجعد بن عبيد في مسنده، رقم (٢٨٨٨) تحقيق: أحمد عامر حيدر، مؤسسة عامر ببروت ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ.

(٣) انظر: التذكرة، ص٥٥٦ ـ ٥٧٠ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية مقرراً هذا المعتقد في الجواب الصحيح ٤/ ٣٦ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] دل على أن المراد بإيمانهم قبل أن يموت هو علم أنه أريد بالعموم عموم من كان موجوداً حين نزوله أي لا يتخلف منهم أحد عن الإيمان به لا إيمان من كان منهم ميتاً، وهذا كما يقال إنه لا يبقى بلد إلا دخله الدجال إلا مكة والمدينة أي من المدائن الموجودة حينئذ وسبب إيمان أهل الكتاب به حينئذ ظاهر فإنه يظهر لكل أحد أنه رسول مؤيد ليس بكذاب ولا هو رب العالمين فالله تعالى ذكر إيمانهم به إذا نزل إلى الأرض فإنه تعالى لما ذكر رفعه إلى الله بقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وهو ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ويموت حينئذ أخبر بإيمانهم به قبل موته كما قال تعالى في آية أخرى سورة الزخرف الآيات ٥٩ ـ ٦٥. ويقول في موضع آخر: «وقد أخبر أن المسيح عيسى بن مريم مسيح الهدى ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل مسيح الضلالة، وهذا هو الذي تنتظره اليهود ويجحدون المسيح عيسى بن مريم، ويقولون هذا هو الذي بشرت به الأنبياء ويتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً مطيلسين، ويقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم شر قتلة حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال. . .» الجواب الصحيح ٢/ ٣٣٤ وللمزيد في الكلام على المسيحين مسيح الهدى ومسيح الضلالة، انظر: ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧.

١ ـ نص الإنجيل على نبوة المسيح عليه السلام:

وأنه لا يتجاوز هذا الحد، نبياً رسولاً أكرمه ربه واختصه برحمته، ومن النصوص قول المسيح: أنه لم يكرم نبي في وطنه[١].

وقوله: أنه لم يقبل نبي في وطنه[٢].

عقب الخزرجي: وحسبك هذا من دليل على أنه ما ادعى غير النبوة المعلومة[٣].

ثم ذكر نصوصاً أخرى منها قول المسيح لما خاطبه الناس بالرجل الصالح:

لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله[٤].

ودعاء المسيح ربه لما أرادت اليهود القبض عليه أن يؤمنوا بالله إلهاً واحداً، وبالمسيح الذي بعثه[٥].

٢ ـ الافتراء على لسان المسيح عليه السلام:

أورد الإمام كثيراً من الافتراءات التي وضعها النصارى على لسانه عليه السلام **ومن ذلك:** قوله عندما أراد اليهود صلبه «إلهي إلهي لم خذلتني»[٦] وقد تقدم. وهذا جزع ويدل على عدم الرضا بالقضاء وعيسى منزه عن ذلك، لا سيما أنهم يقولون إنه إنما جاء ليكفر عن خطايا البشر.

٣ ـ المسيح لم يأت بمعجزة؟

في سياق رد الخزرجي على الزعم بأن المسيح صلب أو قتل وأنه ابن الإله، جادلهم باختلافهم الشديد في أمره مع اليهود، وأن ما جاء به النصارى

---

(١) انظر: يوحنا الإصحاح ٤/ ٤٤ بلفظ: «لأن يسوع نفسه شهد أنه ليس لنبي كرامة في وطنه».

(٢) انظر: لوقا الإصحاح ٤/ ٢٣ ـ ٢٤ بلفظ مقارب.

(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص١٣١، ١٣٢.

(٤) انظر: متى الإصحاح ١٩/ ١٦ ـ ١٩ بلفظه.

(٥) انظر: يوحنا الإصحاح ٨/ ٤٢ ـ ٤٣.

(٦) انظر: مقامع الصلبان، ص١٦٤.

إنما كان بعد ما ينيف على مئتين من السنين، عن منامةٍ رئيت، وكيف تثبتون نبوته وإلهيته عن طريق المعجزة، واليهود مجمعة على أنه لم يظهر لهم معجزة، ولا بدت لهم منه آية، وفي الإنجيل ما يشهد أن لا معجزة له، ولا آية **ومن ذلك**:

لما طلبته اليهود معجزة كالمن والسلوى، فرد المسيح: «إن كان موسى أطعمكم خبزاً بالمفاز فأنا أطعمكم خبزاً سماوياً»[١]، يريد نعيم الجنة.

فلو عرفوا له معجزة، ما قالوا له ذلك، ثم هو لم يجبهم على قولهم بمعجزة ولا آية[٢].

ومن ذلك: قوله لليهود لما سألوه آية: إن القبيلة الفاجرة الخبيثة، تطلب آية ولا تعطى ذلك[٣].

ومن ذلك: أن اليهود قالوا وهو في الصلب: إن كنت المسيح فأنزل نفسك، نؤمن بك[٤] يطلبون منه آية فلم يفعل[٥].

وساق الخزرجي نصوصاً أخرى، يبين بها إفك النصارى وغلوهم في نبوة المسيح، حتى أوصلوه للإلهية، وأنه حتى في كتبهم أنه لم يأت بمعجزة، فلماذا يصل الغلو بهم هذا الحد؟!

الإمام القرطبي

صاحب (الإعلام) والكلام على نبوة عيسى عليه السلام:

سار القرطبي على نهج من سبقه في الرد على ضلالتهم ومعتقدهم في نبوة المسيح عليه السلام، وجدّ بإبداع بعض الردود عليهم، ومما ساقه من أنواع الردود.

---

(١) انظر: يوحنا الإصحاح ٢٨/٦ ـ ٣٥ بلفظ مقارب.
(٢) انظر: مقامع الصلبان، ص٢٣٢، ٢٣٤.
(٣) انظر: متى ٣٨/١٢ ـ ٣٩ بلفظ: «جيل شرير فاجر وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية».
(٤) انظر: متى الإصحاح ٣٩/٢٧، ٤٠.
(٥) انظر: مقامع الصلبان، ص٢٣٤، ٢٣٥.

١ ـ نص الإنجيل على نبوة المسيح:

أورد القرطبي كثيراً من النصوص التي تدل على نبوة المسيح ﷺ كسائر الأنبياء، ورد كثير منها فيما مضى، ومما أورده من النصوص:

قول المسيح يناجي ربه: «رب أعلم أنك تعطيني كل شيء، ولكن من أجل الجماعة الواقفة ليؤمنوا بي، وليصدقوا أنك أرسلتني»[١].

فها هو المسيح يستدل على رسالته لا غير، وأنتم تستدلون به على ألوهيته وهذا من العدول عن شرع عيسى المنقول، ومصادمة للعقول[٢].

ومن ذلك: لما أحيا الميت قالت الناس: إن هذا النبي لعظيم[٣]. ولم يقولوا إنه إله عظيم.

ومن ذلك: أنه قال لليهود: قد عرفتموني موضعي، فلم آت من ذاتي ولكن بعثني الحق[٤]، وساق نصوصاً أخرى[٥]، مستدلاً بها على نبوة المسيح ﷺ دون إلٰهيته كما تزعم النصارى.

٢ ـ إلزامات عقلية دالة على نبوة المسيح:

استدل الإمام القرطبي على نبوته ﷺ بآيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] الآيات.

وذكر سبعة إلزامات عقلية على بطلان ألوهيته وثالوثه وتناقضهم في ذلك. وذكر منها إلزاماً يختص بنبوته يختصره: قد تقرر أن عيسى ﷺ كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طائراً، فإذا قلنا هذا، فإما أن يكون عيسى هو الذي يفعل ذلك أو غيره.

---

(١) انظر: متى ٧/ ٢١ بالمعنى ٢٣/ ٩، ٢٣.
(٢) انظر: الإعلام ١/ ١٣٣، ١٣٤، وكذلك تردد آباء الكنيسة المعاصرة أنه نبي أرسله الله. انظر: أفكار وآراء ١٠/ ١/ ١٩، ٤٣.
(٣) انظر: لوقا الإصحاح ٧/ ١٠ ـ ١٦.
(٤) انظر: يوحنا الإصحاح ٥/ ٣٠.
(٥) انظر: الإعلام ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٥١.

فإن كان غيره فليس ذلك إلا الله تعالى، وغاية عيسى أن يكون عبداً يرغب لله تعالى في قضاء حاجته.

وإذا قلنا إن عيسى هو الذي يفعل ذلك، فإما أن يفعله بقدرة وعلم وإرادة، ولا بد أن يكون موصوفاً بها أولاً، فإن لم يكن موصوفاً بها فلا تنسب إليه.

وهذه الأفعال منسوبة إلى عيسى وهي تنسب لواحد، إما لله وإما لعيسى؟! وهذا ما لا خفاء به عند العاقل الموفق[1].

٣ - أقسام الناس وعقيدتهم في عيسى عليه السلام:

أثار القسيس بعض الاعتراضات على المسلمين، ومنها أنهم يكذبونه وهو مذكور في كتابهم ويكفرون به وهم مأمورون بالإيمان به.

وورد تفنيد هذه الدعوى في سياق رده الطويل على معتقدهم في عيسى، وأوضح القرطبي أن الناس انقسموا في عيسى أقساماً:

فقالت اليهود بكذبه والكفر به والافتراء عليه وعلى أمه البتول المبرأة عند الله من كل ما قالوا وما علمتموه من قولهم، فلعنهم الله وغضب عليهم.

وقالت النصارى بنبوته، وغلت فيه حتى ألهوه وعبدوه من دون الله.

وقد ذكر الله أقسام أهل الكتاب فيه: ﴿فَآمَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ [الصف: ١٤] وكل ما يدّعيه فريق لا دليل له عليه، وهي دعوى لم يثبتها كل فريق منهم.

أما القسم الثالث فهم المسلمون الذين أثبتوا نبوته ورسالته وبرأوا أمه الطاهرة الزكية مما رماها به اليهود، وقالوا إنه عبد الله ورسوله، فتوسطوا بين الطائفتين الغاليتين فيه عليه السلام.

ورد على النصراني بأن ما نسبه إلى المسلمين من الكذب على المسيح والسب له، بأنا لا نفعل ذلك ولا نرضى به ولا يرضى به متدين ولا عاقل،

---

(١) انظر: الإعلام ٢/ ١٤٠.

وكيف يجوز ذلك، ونحن نكفر من سبه أو سب أمه عليهما السلام، وهذا أصل من أصول عقائدنا، ونحن أولى بعيسى ابن مريم منكم ومن اليهود، وإنا نؤمن بنبوة المسيح؛ لأن الله أخذ الميثاق أن نؤمن بجميع الأنبياء[١].

٤ ـ نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان:

في بيان إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ زعم بعض جهلة النصارى أن المذكور في كتبهم ونعته، أنه نبي سيأتي في آخر الزمان، زعموا أنه رجوع بعض الأنبياء السابقين ـ لئلا يثبتوها له ﷺ ـ ورد بأن هذا لا يصدر إلا عن معاند جاهل ولم يثبت شيء من ذلك على لسان نبي فاضل، إلا ما صح على لسان نبينا من رجوع عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه، إذا خرج الدجال وقتله عيسى[٢].

وفي إنجيلكم إشارة إلى هذا، وهذا عندنا مبني على أن الله تعالى رفع المسيح إليه، ولم يقتل ولا مات ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وإنما يموت إذا قتل الدجال عند باب لد[٣]، وبعد أن يهلك الله يأجوج ومأجوج على يديه[٤].

وتكلم الإمام القرطبي على بعض افتراءات النصارى على المسيح[٥] ونافح عنه وقرر المعتقد الحق يرحمه الله.

---

(١) انظر: الإعلام ٢/ ١٣٧، ١٧٨، ٢١٢، ٢٢٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأحمد. مسلم ٤/ ٢٢٥٠، رقم (٢٩٣٧)، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، والترمذي ٤/ ٥١٠، رقم (٢٢٤٠)، باب ما جاء في الدجال وأحمد في مسنده ٣/ ٤٢٠، رقم (١٥٥٠٤)، ٤/ ١٨١، رقم (١٧٦٦٦)، والحميدي في مسنده. مسند الحميدي، لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ٢/ ٣٦٥، رقم (٨٢٨)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨١هـ. وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، للإمام أحمد بن عمر بن أبي عاصم ٤/ ١٤٤، رقم (٢١٢٤)، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٣) باب لد: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، ببابها يدرك عيسى بن مريم الدجال فيقتله انظر: معجم البلدان ٥/ ١٥. قلت: وهي اليوم تحت الاحتلال الصهيوني فك الله أسرها.

(٤) انظر: الإعلام ٣/ ٢٧١، ٢٧٢.

(٥) انظر: المصدر السابق ٣/ ٣٢٠.

الإمام أبو العباس القرطبي

أما الإمام أبو العباس القرطبي فيقرر في مفهمه النصوص الشرعية من سنّة النبي ﷺ التي وصفت المسيح ووقت نزوله في آخر الزمان تحت قوله: باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم وما ينزل به، وساق أحاديث الإمام مسلم في ذلك[1]، وفي كتاب النبوات يترجم بباب في ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام ويورد قوله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم...»[2]، وأوضح أن معنى أولى «أي أخص وأقرب وأقعد كقوله ﷺ «فلأولى عصبة»[3] أي أقرب وأحق»[4].

الإمام ابن حيان

أما الإمام ابن حيان فيقرر المعتقد الحق في هذا النبي الكريم عند قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، بإنه نبي كريم أضيف إلى أمه رداً على اليهود فيما أضافوه إليه أما «البينات» فهي «الحجج الواضحة الدالة على نبوته، فيشمل كل معجزة أوتيها عيسى عليه السلام»، ثم أثبت بشريته ونبوته وتأييده بالروح القدس عليه السلام[5].

كما رد عليهم في افتراءاتهم أن عيسى أرسل لكل الناس ـ كما ورد آنفاً ـ بقوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وذكر معجزاته التي أثبتها الله له في قوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/ ٣٧٠ ـ ٣٧٢.

(٢) رواه البخاري ٣/ ١٢٧٠، رقم (٣٢٥٨) كتاب التفسير، باب قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟﴾ ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٣٦، رقم (٢٣٦٥)، باب فضائل عيسى عليه السلام، وابن حبان في صحيحه ١٤/ ٧٤ رقم (٦١٩٤)، باب ذكر البيان بأن الأنبياء أولاد علات.

(٣) رواه البخاري ٦/ ٢٤٧٦ رقم (٦٣٥١)، باب ميراث الولد من أبيه ومسلم ٣/ ١٢٣٣ رقم (١٦١٥)، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/ ١٧٥.

(٥) انظر: البحر المحيط ١/ ٢٩٩، ٣٠٠.

فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ...﴾ الآيات [آل عمران: ٤٩، ٥٠]، في صفحات طويلة[١] لا كما أنكرتها النصارى وأنه ليس له معجزة.

عبد الله الترجمان

والكلام على نبوة المسيح عليه السلام:

تناول الترجمان كثيراً من القضايا التي عالجها العلماء في الرد على ضلال النصارى ومنها ما ورد ومنها ما لم يرد بيانه، ولكنه لم يتعمد تخصيص الكلام على نبوته عليه السلام، ولكنه ورد في سياق رده على القضايا الكبرى في الربوبية والألوهية والتحريف للكتب ونحوها، ومنها:

١ - إثبات نبوة المسيح بنص الإنجيل[٢]:

وأنه لا يعدو أن يكون نبياً رسولاً.

٢ - الافتراء على المسيح:

إذ يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام حضر في عرس يوحنا، وأنه حول الماء خمراً في ذلك العرس[٣] وكانت هذه أول معجزة لعيسى[٤].

(قلت): هذا ورد في سياق إظهار تناقض كتبهم، ولكن الترجمان لم يعلق على هذا الافتراء.

إذ الخمر محرمة في جميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء، ومما يدل على أن كاتب هذه الأناجيل إنما هو زنديق دهري يروم السخرية بالأنبياء، إذ اختار أخبث مشروب وأخس مطلوب؟ ولماذا لم يتحول الماء إلى عسل أو إلى لبن مثلاً؟ ولماذا تحولت على يد نبي طاهر شريف إلى خمر خبيثة نجسة؟!

ومن ذلك: أن المسيح مشى إلى الحواريين في غير فصل التين، وأخذه

---

(١) انظر: البحر المحيط ٢/٤٦٣ - ٤٦٥.

(٢) انظر: تحفة الأريب الصفحات، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٩، ٢١٨.

(٣) انظر: يوحنا الإصحاح ٢/١ - ١١.

(٤) انظر: تحفة الأريب، ص١٣، ١١٤.

الجوع، فرأى شجرة تين قرب الطريق، فقصدها ليأكل منها، فما وجد فيها ثمرة، فدعا عليها، فيبست من ساعتها[1].

عقب الترجمان: أن انظروا رحمكم الله كيف نسبوا إلى نبي الله، أنه يلتمس التين في أشجار الناس في غير فصله، وهذا لا يفعله الصبيان والمجانين، ثم قالوا: إنه دعا عليها فيبست، وليس لها ذنب.

وعيسى على زهده وورعه ورفعة رتبته لا يطلب الأكل منها بغير إذن مالكها وإن كانت مباحة لا يدعوا عليها[2].

(قلت): بل الأمر أكبر من ذلك، فهم يزعمون أنه إله فكيف يجوع الإله ويحتاج للأكل، ولا يعرف أنها غير مثمرة حتى وقف عليها، ثم انتقم منها بالدعاء عليها وهو إله؟! أليس هذا عين الظلم والجهل والمسكنة والطيش؟!

٣ ـ شك في قدرة الله:

وذلك عندما صلب المسيح بزعمهم أنه جزع وصاح يتضرع إلى الله ويقول: «يا إلهي إن أمكن صرف المنية عني فاصرفه»[3].

وهذا عين الشك في قدرة الله، ولا معنى لقوله إن أمكن، فلا بد إما أن يكون علم قدرة الله أنه لا يعجزه شيء، وإما أن يكون لم يعلم، وحاشا روح الله أن يشك في قدرة الله أن يجهل ذلك[4].

تعقيب حول مبحث نبوة عيسى عليه السلام

تردد النصرانية المعاصرة ما ذكرناه في هذا الباب من رد أهل العلم على فساد معتقداتهم، فتؤمن أن أول معجزات المسيح إنما ظهرت في ذلك العرس[5]، وتؤمن إيماناً عجيباً مضاداً للعقل، بأن المسيح يتحد بالقسس ويحل فيهم، وأنه يحضر احتفالات وصلوات الكنيسة مهما كثرت الكنائس

---

(١) انظر: متى الإصحاح ٢١/١٨ ـ ١٩.
(٢) انظر: تحفة الأريب، ص٢٣٧.
(٣) انظر: متى الإصحاح ٢٦/٣٧ ـ ٤٠.
(٤) انظر: تحفة الأريب، ص١٢٢، ١٢٣.
(٥) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٠٩.

وتعددت، وأنه حاضر ذبيحة القداس، وفي شخص خادم السر، وأن الذي يقدم في الكنيسة بوساطة الكهنة هو نفسه الذي قدم، وأنه على الصليب، وأنه حاضر بقوة في الأسرار بحيث أنه إن عمد أحد كان المسيح نفسه هو المعمد[1].

أما عنصرية الكنيسة المعاصرة فحدث ولا حرج، فهي لا تفتأ تذكر شعب الله المختار وتردده دوماً، وأن عيسى أرسل إلى الشعب المختار[2] وتقول: «إن السيد المسيح ابن الله الحي الذي أتى لينقذ شعبه من الخطيئة»[3]، «فالإنجيل هو في الحقيقة قوة الله التي تخلص كل مؤمن من اليهود أولاً، ثم من اليونانيين»[4].

إذن فهي رسالة خاصة لهم فقط لشعبهم المختار واليونان، ولا شأن لكافة الناس بهذه الرسالة المسيحية التي زعموا عالميتها.

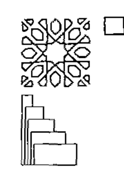


---

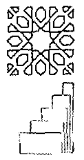
(١) انظر: المصدر السابق، ص٥٩، ١٥١. (٢) انظر: المصدر نفسه، ص٢٥١.

(٣) المصدر نفسه، ص٣١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٦٥ وانظر: كذلك ص٥٠٣، وكتاب الاصغاء إلى كلام الله، ص٨٥.



المبحث الرابع



عقيدة النصارى في رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ وطعنهم في نبوته

ينكر النصارى نبوة محمد بن عبد الله ﷺ ويطعنون فيها، بل يتهمونه بالكذب قاتلهم الله، وقد تصدى علماء الأندلس لهذه العقيدة الفاسدة. فبينوا مطاعنهم في نبوته وردوا عليها بالتفصيل، وهم بين مقل ومكثر في هذا ومنهم:

أبو محمد بن حزم

والكلام على عقيدة النصارى في رسول الله ﷺ وطعنهم في نبوته:

١ - نص كتبهم المقدسة على التبشير به ﷺ:

يرد ابن حزم إجمالاً على مطاعنهم في إنكار نبوته ﷺ، ويورد نصوص كتبهم على الإخبار عنه والتبشير به، مما يبين كذبهم وانحرافهم عن دين الله وشرعه.

أورد ذلك بعد رد عقلي مطول في إثبات نبوته، ومن ذلك:

ما ورد في التوراة من الإنذار المبين برسول الله ﷺ: «سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم، أجعل على لسانه كلامي، فمن عصاه انتقمت منه»[١].

«قال أبو محمد: ولم تكن هذه الصفة لغير محمد ﷺ، وإخوة بني إسرائيل هم بنوا إسماعيل»[٢].

---

(١) انظر: سفر التثنية الإصحاح ١٨/١٨ بلفظ: «أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

(٢) الفصل ١/١٩٤.

وذكر نصاً آخر: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»[(١)].

علق ابن حزم: «سيناء هي موضع مبعث موسى عليه السلام، بلا شك، وساعير هو موضع مبعث عيسى عليه السلام، وفاران بلا شك هي مكة موضع مبعث محمد ﷺ.

بيان ذلك أن إبراهيم عليه السلام أسكن إسماعيل «فاران»، ولا خلاف بين أحد في أنه إنما أسكنه مكة، فهذا نص على مبعث النبي ﷺ»[(٢)].

ومن ذلك: الرؤيا التي فسرها دانيال في أمر الحجر الذي رأى الملك في نومه، الذي دق الصنم الذي كان بعضه ذهباً، وبعضه فضة، وبعضه نحاساً، وبعضه حديداً، وبعضه فخاراً، وخلطه كله، وجعله شيئاً واحداً ثم ربا الحجر حتى ملأ الأرض، ففسره دانيال: أنه نبي يجمع الأجناس، ويبلغ أمره ملأ الآفاق، فهل كان نبي قط غير محمد ﷺ جمع الأجناس والأمم على اختلافها في أديانها ولغاتها وجعلهم أمة واحدة وديناً واحداً ومملكة واحدة؟[(٣)].

---

(١) سفر التثنية الإصحاح ٣٣/ ١ ـ ٢ بلفظ: «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبال فاران وأتى من ربوات القدس».

(٢) الفصل ١/ ١٩٤، وقال ابن تيمية معلقاً على النص المذكور: «وقوله ستشرق الشمس على الأرض ويهتدي بها الضالون ويضل عنها بنو إسرائيل. يناسب قوله في التوراة جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران، فإن إشراقه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح كما أن مجيئه من طور سيناء هو ظهور نوره بموسى واستعلائه من جبال فاران هو ظهور نوره بمحمد، وبهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله في القرآن بقوله: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١ ـ ٣] فبلد التين والزيتون هي الأرض المقدسة التي بعث منها المسيح وكان بها أنبياء بني إسرائيل وأسري بمحمد إليها وظهرت بها نبوته وطور سنين المكان الذي كلم الله فيه موسى بن عمران وهذا البلد الأمين هو بلد مكة التي بعث الله منه محمداً وأنزل عليه القرآن» الجواب الصحيح ٣/ ٣٧٣، ٣٧٤، انظر: كذلك ٥/ ٢٠٠ منه.

(٣) انظر: المصدر السابق ١/ ١٩٤، ١٩٥.

٢ ـ دليل عقلي لإثبات نبوته ﷺ:

من ذلك: أنه جادلهم وألزمهم، فإما أن يقولوا ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام وإما أن يقولوا بإمكان النبوة بعده عليه السلام، فلزمهم الإقرار بنبوة محمد ﷺ إذ ثبت نقل أعلامه بالكواف التي بعثها نقلت أعلام عيسى وغيره عليهم الصلاة والسلام.

وإن قالوا ببطلان النبوة بعد عيسى عليه السلام، لزمهم ترك جميع شرائعهم من صلاة وصيام وأعياد واستباحة الميتة والدم ولحم الخنزير. إذ كل هذا ليس فيه من أناجيلهم شيء، بل أناجيلهم مبطلة لكل ما هم عليه اليوم.

وأن عيسى كان يلزم هو وأصحابه السبت وأعياد اليهود بخلاف ما هم عليه اليوم.

فإذا منعوا من وجود النبوة بعده، كانت الشرائع لا تؤخذ إلا عن الأنبياء، وإلا فإن شارعها عن غير الأنبياء، حاكمة على الله، وهذا أعظم ما يكون من الشرك والكذب. وشرائعهم مأخوذة عن غير نبي أصلاً، فهي معاص مفتراة[1].

وذكر الإمام دليلاً آخر على نبوته ﷺ، إذ تحدى العرب بمعجزة خالدة هي القرآن وهم أفصح الناس على أن يأتوا بمثله، ولم يستطيعوا ذلك.

وكذا محاولات الفتك به وقتاله ووأد دعوته وطرده حيث خرج طريداً شريداً حتى فتح الله عليه البلاد والعباد[2]، وهذه لا تكون إلا لنبي يؤيده الله ويمكنه حتى يتم أمره.

وذكر دليلاً آخر على صدق نبوته ﷺ، ومنها المعجزات التي بهرت العقول، وأخرست الألسنة كالإنذار بالغيوب والإخبار عنها، وشق القمر، وإخباره عن انحراف اليهود والنصارى وتحدي الناس بدعوته والجهر بها بين عداء القريب والبعيد[3]، وذكر أنواعاً من المعجزات الدالة على صدقه، وفي

---

(١) انظر: الفصل ١/١٢٩، ١٣٠.

(٢) انظر: الفصل ١/١٨٦ ـ ١٨٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه ٢/٢٢٣ ـ ٢٢٧.

قصيدته التي رد بها على القصيدة النقفورية - وسيأتي الكلام عليها تفصيلاً - لما طعن النصراني في نبوة النبي ﷺ وقال لعنه الله ساخراً بنبي الله متنقصاً لجنابه الكريم:

فعيسى علا فوق السماوات عرشه ... يفوز الذي والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى ... فصار رفاتاً بين تلك الرمائم

فضمنها ابن حزم الثناء على نبيه الكريم ﷺ وذكر محاسنه ومعجزاته والدفاع عنه وعن عرضه الشريف، وأنه من جاء بالنور المبين ومنها:

وصدق رسالات الذي جاء بالهدى ... محمد الآتي برفع المظالم
وأذعنت الأملاك طوعاً لدينه ... ببرهان صدق طاهر في المواسم

ثم ذكر من دخل من الأملاك وشعوبهم في دين الله مستجيبين لداعي الله الذي جاء بالبراهين وقال:

أجابوا لدين الله لا من مخافة ... ولا رغبة يحظى بها كف عادم
فحلوا عرى التيجان طوعاً ورغبة ... بحق يقين بالبراهين فاحم
وحاباه بالنصر المكين إلهه ... وصير من عاداه تحت المناسم
فقير وحيد لم تعنه عشيرة ... ولا دافعوا عنه شتيمة شاتم

ثم يذكر الكثير من المحاسن والفضائل النبوية ويذكر بعدها المعجزات والمساواة بين سائر الأجناس:

وكم آية أبدى النبي محمد ... وكم علم للشرك أبداه حاطم
تساوى جميع الناس في نصر حقه ... بل الكل في إعطائه حال خادم
به صح تفسير المنام الذي أتى ... به دانيال قبله حتم حاتم
وشق له بدر السماوات آية ... وأشبع من صالح له كل طاعم
وسالت عيون الماء في وسط كفه ... فأروى به جيشاً كثيفاً هماهم[1]

(١) انظر: البداية والنهاية ١١/٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢.

والكلام على عقيدة النصارى في النبي ﷺ وطعنهم في نبوته:

نص القسيس في رسالته إلى الفتى الخزرجي على التكذيب بنبي الإسلام وإنكار نبوته، وكتابه وأنهم على غير الحق بل على الباطل، وإنما الحق معهم وحدهم[(١)].

ويمكن أن نستخلص رد الإمام الخزرجي على كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق فيما يلي:

نص كتبهم على التبشير به ﷺ:

أوضح الخزرجي اختراع أغلب دين النصارى بعد موته إلى مدة ثلاثمائة سنة في استدراك الأكاذيب وفي أضغاث الأحلام لتثبت عقيدتهم وإنكار نبوة محمد ﷺ.

وقد نصت كتبهم على الأمة الإسماعيلية العظيمة ونعتت النبي ﷺ.

قال الله تعالى في المصحف الأول لهاجر أم إسماعيل عليه السلام: «إني أجعله في أمة عظيمة»[(٢)].

نص آخر: لما دعا إبراهيم فيه: سمعت في إسماعيل ها أنا قد باركته وكثرته جداً جداً[(٣)].

ومما يبيّن هذا قوله أيضاً في إسماعيل: «ويقابل جميع الناس ويقابلونه، ويضع فسطاطه في بلاد إخوته»[(٤)].

---

(١) انظر: رسالة القسيس في كتاب مقامع الصلبان، ص٦٢، ١٨٤.

(٢) لم أجد هذا النص بعينه ولعله يقصد صحف إبراهيم أو المصحف الأول والمقصود به التوراة لأنها مقدسة عند النصارى، ويسمونها العهد الأول أو العهد القديم والنص في سفر التكوين الإصحاح ١٧/ ١٨ ـ ٢٠.

(٣) انظر: سفر التكوين الإصحاح ١٧/ ٢٠ بلفظ مقارب.

(٤) انظر: المصدر السابق ١٦/ ١١ ـ ١٢.

ولا محالة أن هذه صفة محمد ﷺ، لا صفة جده إسماعيل، ومثل هذه الكناية بالجد عن الحفيد في الكتب كثيرة، من ذلك في الزبور الذي بأيديكم قوله: سبحوا للرب تسبيحاً جديداً، سبحوا الذي يسبحه الصالحون ليفرح اسرائيل بخالقه[1]. وكيف يفرح إسرائيل، وكان قبل الزبور بزهاء خمسمائة سنة؟، وإنما أراد ليفرح بنوا إسرائيل.

وأورد الخزرجي نصوصاً أخرى وهذا إلزام للنصارى ليؤمنوا بمن هداهم إلى الحنيفية ملة إبراهيم، ولذا كان من اتقى الله من أهل الكتابيين، لما سمعوا بأمره ساروا إليه باحثين عليه وعلى دينه، فأذهب كفرهم بإيمانه، فاتبعوه على دينه، وفيهم أنزل الله من القرآن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

ولا محالة أن البكاء دال على صحة العقيدة، وثبات اليقين وإخلاص النية ومعرفة الحق[2].

الإمام القرطبي

في (الإعلام) والكلام على معتقد النصارى في نبوة النبي ﷺ وطعنهم في رسالته:

أنكر النصراني في كتابه رسالة النبي ﷺ ونبوته، وزعم أن لا دليل على صدقه، إذ لا دليل على نبوته.

ولم تنص عليه كتبهم أنه منتظر، ولو نصت على ذلك ووافقت علاماته ما في الكتب فقد أصاب المسلم ولزم النصراني الخروج عن رضا معبوده[3].

---

(١) انظر: المزامير ١٤٩/١ ـ ٢ بلفظ «هللو ياه غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته في جماعة الأتقياء ليفرح إسرائيل بخالقه».

(٢) انظر: مقامع الصلبان، ص١٤٢، ١٨٤، ١٨٧.

(٣) انظر: الإعلام ١٦٢/٢ ـ ١٦٥.

أما رد إمامنا الخزرجي فقد أسهب فيه جداً، ابتدأ فيه بتعريف النبوة والمعجزة والكلام بالأدلة النقلية والعقلية على أن المسيح ما ادعى غير النبوة والرسالة[١].

ثم أدلف منه إلى الرد على مطعن النصراني بأدلة كتبهم وبأدلة أخرى سيرد ذكرها. وشمل هذا الرد، ربع كتاب الإعلام تقريباً في نصف مجلد كبير يشمل جزءاً واحداً، فجزاه الله خيراً لذبه عن عرض ودين النبي ﷺ.

في إثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام:

واستدل على ذلك بأدلة صادعة وبراهين قاطعة، على صدق نبوته ورسالته، في أنواع أحسبها أربعة:

١ ـ الأول: أخبار الأنبياء قبله، ووصفهم له في كتبهم:

فمن ذلك: ما جاء في التوراة: أن الله قال لموسى: «إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبي مثلك، أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمت منه»[٢].

والمراد بهم العرب والنبي هو محمد، حيث ورد في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: أنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته[٣].

فكنى عن بني إسرائيل بإخوة إسماعيل، كما كنى عن العرب بإخوة بني إسرائيل، في قوله إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبي مثلك، ويدل على ذلك قوله: وأجعل كلامي على فيه، وهذا تصريح بالقرآن، وهو كلام الله الذي جاء به محمد ﷺ، وتلقيناه من فيه، ويدل على ذلك قوله: من عصاه انتقمت منه، إذ قد فعل ذلك صناديد قريش، وعظماء ملوك الروم وغيرهم.

ومن ذلك: ما جاء فيها: جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير،

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٨٠ ـ ٢٤٨.

(٢) انظر: سفر التثنية الإصحاح ١٨/١٨، وقد سبق عزوه.

(٣) انظر: التكوين: ١٦/ ١٢ بلفظ: «أنه يكون إنساناً وحشياً، يده على كل واحد ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن»، في التوراة الحديثة.

واستعلن من جبال فاران، ومعه جماعة من الصالحين[١].

فمجيئه من جبل سيناء، أن الله أنزل فيه التوراة، وكلم عليه موسى.

وإشراقه من جبال ساعير، وهي جبال الروم من أدوم[٢].

واستعلائه من جبال فاران، أن الله بعث منها محمداً ﷺ، وأوصى إليه فيها.

ولا اختلاف أن فاران «مكة»، وقد قال في التوراة: «إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران»[٣].

ومن ذلك: ما جاء فيها: أنه قال لإبراهيم، قد استجبتك في إسماعيل، وباركته وكثرته وأنميته جداً جداً، يولد له اثنا عشر عظيماً، وأجعله لشعب عظيم[٤].

من ذلك: ما ورد في الزبور الذي بأيديكم أنه قال: «سبحوا الرب، ليفرح إسرائيل بخالقه، من أجل أن الله اصطفى لهم أمه، وأعطاهم النصر، يسبحون الله على مضاجعهم ويكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم، الذين لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال»[٥].

عقب القرطبي: أخبرونا يا هؤلاء الجاحدون للحق المعرضون عن أخبار الصدق: من هذه الأمة التي سيوفها سيوف ذوات شفرتين، فينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه؟، ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟، ومن الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في الأذان؟ هذه أوصاف محمد ﷺ، وأوصاف أمته بلا ريب، ولا رجم غيب.

---

(١) انظر: التثنية الإصحاح ٣٣/١ ـ ٢، وقد سبق عزوه.

(٢) أدوم: وردت في معجم البلدان بلفظ «أدم» قال: «بقرب العمق قال نصر: وأظنه جبلاً» معجم البلدان ١٢٦/١ قلت: وهي مدينة بفلسطين المحتلة نصرها الله.

(٣) انظر: التكوين الإصحاح ٢١/٢١.

(٤) انظر: سفر التكوين الإصحاح ١٨/١٧ ـ ٢٠ بلفظ مقارب.

(٥) انظر: المزمور: ٦/١٤٩ ـ ٨.

ومن ذلك: ما جاء في إنجيلكم أن المسيح قال: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وسأرغب إلى الأب، في أن يبعث إليكم البرقليط، ليكون معلمكم إلى الأبد»[1].

ومن ذلك: «أن المسيح ذكر من كرهه وحاد به بلا ذنب، فإذا أقبل البرقليط الذي أبعث إليكم من عند الأب»[2].

فالبرقليط بالرومية: المنحمنا بالسريانية، وهو محمد بالعربية.

فتأمل هذه البشائر التي لا ينكرها إلا معاند مجاهر، فقد أخبر به المسيح بالعين والاسم والأفعال، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

ومن ذلك: في الصحف المنسوبة للاثني عشر نبياً: «إن الله يستجلي من القبلة، وتظهر كلمة القدس من جبال فاران ظهوراً أبدياً، ويحمد الله على ذلك في السماوات والأرض، وكلمة أحمد تملأ الأرض»[3].

ثم ساق القرطبي كثيراً من النصوص الدالة على ظهور أولى الناس بالمسيح ﷺ تارة بالتصريح وتارة بالتلميح ثم خاطب القسيس: يا أيها الجاهل الناكث عن الحق العادل، قد كنت ذكرت في كلامك: أن المسلم إن أقام شاهداً من كتب الأنبياء أن محمداً ﷺ منتظر، فدينه حق، ودين النصارى باطل، وقد أقمنا والحمد لله الشواهد من كتب الأنبياء الأوائل.

بل هذه الشواهد في دلالتها على نبوة محمد أوضح وأقص مما استدللت أنت بها على نبوة المسيح.

وقد وكلت العاقل المنصف للنظر في أي الدلالات أبين وأوضح. أدلالتنا أم دلالتكم؟ وعند الوصول إلى هذا القدر، والوقوف على تلك الشواهد الغر، تتبين أن دين النصارى واليهود باطل، وأنهم إما معاند وإما جاهل[4].

---

(١) انظر: يوحنا: ١٤/ ١٥ ـ ١٨، ولم تذكر لفظه «البارقليط» بل وضع مكانها في الترجمة الحديثة «المعزي»، وهذا من تحريف الكتاب، لئلا يثبتوا نبوته عليه الصلاة والسلام.

(٢) انظر: يوحنا: ١٥/ ٢٣ ـ ٢٧ أيضاً لم تذكر لفظة «البارقليط» بل «المعزي».

(٣) انظر: حزقيال: ١٩.

(٤) انظر: الإعلام ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٧٨.

٢ ـ النوع الثاني: الاستدلال على نبوته بقرائن أحواله ﷺ:

ذكر في هذا النوع غرائب القرائن التي تبشر بالنبوة من ولادة أبيه إلى حمله وما رأت أمه، وخروجه إلى الشام ولقياه الراهب بحيرا، وصدقه وأمانته في تجارته وتعامله مع الخلق.

ثم ذكر ما خص به من صفات الكمال والفضائل، وأسهب فيه جداً، وذكر ما لا يمكننا من الاختصار من أحوال سيد الأنبياء والأبرار ﷺ.

ثم ختم هذا النوع بخاتمة جامعة في صفاته وشواهد صدقه وعلاماته:

٣ ـ النوع الثالث: الاستدلال على نبوته بالكتاب العزيز:

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، أثبت في هذا النوع إعجاز القرآن الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ مصدقاً بنبوته ورسالته وهو معجزة من عجائب معجزاته، إلا أنه تميز عنها بالخلود والبقاء.

ثم ذكر وجوهاً لإعجاز القرآن منها:

- نظمه العجيب وأسلوبه الغريب.
- عجز العرب وهم أفصح الناس عن الإتيان بسورة مثله.
- ما تضمنه من الأخبار بالمغيبات.
- ما تضمنه من الأخبار عن الأمم السالفة والشرائع الداثرة.

وساق تحت كل وجه من الآيات والحكايات والقصص الكثير الجم لإثبات صدق نبوته ﷺ.

٤ ـ النوع الرابع: في الاستدلال على نبوة محمد ﷺ بجملة من الآيات الخارقة للعادات:

وذكر العشرات منها وكل آية في فصل مستقل غالباً، يورد الأدلة ويدفع الشبه، كانشقاق القمر، وحبس الشمس، ونبع الماء وتكثيره، كلام الشجر والجمادات وشهادتها له بالنبوة، كلام ضروب من الحيوان، في كلام الموتى وإحيائهم وكلام الصبيان والراضع، في إجابة دعائه ﷺ وذكر جمل من بركاته ومعجزاته ﷺ، ما أخبر به مما أطلعه الله من الغيب.

عصمة الله له ممن أراد كيده، ما ظهر على أصحابه والتابعين لهم من الكرامات الخارقة للعادات، وعدّ الإمام القرطبي كل هذا من دلائل النبوة وصدق الرسالة، وليس هو من قبيل الخدع التي يمخرق بها النصارى على ضعاف العقول منكم، وذكر بعض خدع رجال الدين النصارى التي يفعلونها ليتبعهم الناس ويدينوا لهم[1] وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله.

ومما يجدر ذكره أن القرطبي قد استدل تاريخياً على صدق رسالة ونبوة النبي ﷺ وذكر قصصاً مما وقع مصدقاً لرسالته ﷺ، كالخبر مع النجاشي لما هرب الصحابة إليه، والخبر مع هرقل لما ذهبت بعض قريش إليه[2].

ابن العربي

يثبت ابن العربي في كتابه (الذخيرة في علم الدار الأخيرة) نبوة النبي العربي ورسالته ﷺ ويؤكدها ببعض المعجزات الكثيرة المتواترة الثابتة عنه ﷺ ويسردها في باب بيان فضله على جميع إخوانه من الأنبياء عليهم السلام[3].

أبو العباس القرطبي

أشار إلى إثبات معجزات النبي ﷺ لما عرض لبركاته عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك رد على افتراءات النصارى وقال: «وذكرنا من ذلك جملة صالحة في كتاب (الإعلام) بمعجزات النبي عليه السلام»[4] هذا موضع.

والثاني: في كتاب النبوات من شرحه لمسلم عند ذكره لأنواع دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام وتعداد معجزاته، بعد أنواع معجزات الأنبياء قبله، وقال عقب ذلك كله: «..كما أوضحناه في كتابنا المسمى بـ (الإعلام بصحة

---

(١) انظر: الإعلام ٣/ ٢٦١ ـ ٣٨٥. (٢) انظر: الإعلام ٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٨.

(٣) انظر: الذخيرة في علم الدار الأخيرة مخطوط مصور عن المكتبة الوطنية بمدريد بلا ترقيم وترقيمي، له ص١٦.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم كتاب الوصايا، باب ميراث الكلالة، حديث رقم (١٧٢٠)، ٤/ ٥٧٠.

نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام»[1].

والثالث: لما رد على أهل الأديان المكذبين لنبوته عليه الصلاة والسلام وأنه موصوف منعوت بما لا شك فيه في كتب الأنبياء السابقين من بني إسرائيل، قال: «وقد ذكرنا منه مواضع كثيرة جاءت في كتب أنبياء بني إسرائيل في كتاب الإعلام»[2].

وهذا ما يفيدنا أن ننسب كتاب الإعلام الآنف الذكر إلى أبي العباس القرطبي دون جزم بذلك، كونه تناول هذه القضايا العلمية بإسهاب في كتاب الإعلام كما سبق بيان ذلك في الفصول الآنفة وكذا في اللاحقة.

عبد الله الترجمان

والكلام على معتقد النصارى في النبي ﷺ وطعنهم في نبوته:

مما يؤكد قول الله تعالى في نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

قصة الترجمان:

إذ كان قساً نصرانياً يسمى انسلم تورميدا، وقد تكلمنا على قصته بإشارات في أول هذا البحث في التمهيد، ويحكي قصته العجيبة... «فسكنت في كنيسة القسيس كبير السن عندهم عظيم القدر، فقرأت عليه أصول النصرانية وأحكامها.

فلازمته على ذلك والخدمة له عشر سنين، ثم مرض يوماً من الدهر فتخلف عن حضور مجلس أقرانه، فتذاكروا وهم ينتظرونه مسائل منها قول الباري ﷻ: على لسان نبيه عيسى عليه السلام في الإنجيل: إنه يأت من بعده نبي اسمه البارقليط.

---

(١) المصدر السابق كتاب النبوات، باب كونه مختاراً من خيار الناس، حديث رقم (٢١٩١)، ٦/ ٥٠.

(٢) المصدر نفسه ٦/ ١٤٨.

فبحثوا في ذلك وعظم المقال جداً، ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة.

فأتيت مسكن الشيخ القسيس صاحب الدرس المذكور فسألني ماذا تذاكرتم في غيبتي؟

فأخبرته باختلاف القوم في اسم البارقليط، وتلوت عليه ما قاله كل واحد، فقال: أخطأ فلان وكاد أن يقارب فلان، ولكن الحق خلاف هذا كله.

لأن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا الراسخون في العلم، فبادرت إلى تقبيل ذقنيه وقلت له يا سيدي: علمت إني ارتحلت إليك من بلد بعيد وخدمتك عشر سنين ودرست عليك الكثير، ولعل من جميل إحسانكم أن تمنوا علي بمعرفة هذا الاسم.

فبكى الشيخ وقال: إنك لتعز علي كثيراً، وفي معرفة هذا الاسم فائدة عظيمة، لكني أخاف عليك أن يظهر شيء من ذلك، فتقتلك النصارى وأخذ علي العهد أن لا أتكلم بشيء من ذلك.

فقال: يا ولدي إني سألتك في أول قدومك علي من بلدك وهل هو قريب من المسلمين؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم، لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم أن البارقليط هو اسم من أسماء نبيهم محمد ﷺ، وعليه نزل الكتاب الرابع المذكور، وهو صاحب الدين الحق وملته هي الملة البيضاء، ولو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله، ولكن بدلوا وكفروا»[1].

ثم سأله الترجمان من الخلاص فدله، وهاجر إلى المسلمين في تونس ثم أسلم في قصة عجيبة غريبة هذا جزء منها، وقد تقدم شئ منها، وحال هذا القسيس حال كثير منهم، فهم يعرفونه ـ كما ذكر الله ـ كما يعرفون أبناءهم وهو النبي المذكور في التوراة والإنجيل: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص٦٢ ـ ٦٩.

نص كتبهم على إثبات نبوة النبي ﷺ والتبشير به:

وضع الترجمان عنواناً للباب التاسع في إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام بنص التوراة والإنجيل والزبور، وأن جميع الأنبياء قد بشروا به وذكروه في كتبهم، وذكر نصوصاً عدة سيق بعضها، ومما أورده: النص الذي يذكر هاجر لما هربت من سارة، وجاءها الملك وأخبرها أن تعود إليها وأن الله سيكثر زرعك وعن قريب تحملين ولداً اسمه إسماعيل، ويكون ولدك عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، ويكون أمره في معظم الدنيا[1].

عقب الترجمان على هذا النص بأن المراد به محمد ﷺ إذ لم يكن إسماعيل أو من بعده متصرفين في معظم الدنيا، والإشارة لمحمد ﷺ؛ لأن دينه علا على أهل الأرض، وقد نصرت أمته في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا أمر يعلمه علماء اليهود وأحبارهم، ولكنهم يكتمونه، لما أوجبه الله عليهم من اللعنة والخذلان.

نص آخر: سبق ذكره وهو الذي يذكر: جاء الله من سيناء...، وظهر من جبال فاران.

وعقب الترجمان: جبال فاران هي مكة وأرض الحجاز، فإن فاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض، فكان الحجاز من تخومه فسمي القطر كله باسمه.

وحتى مجيئه لموسى ظهور دينه ووحيه إلى موسى، وساعير جبل بالشام وبه كان ظهور دين عيسى.

وظهوره من جبال فاران: ما أظهره وأكمله من دين الإسلام بمكة والحجاز على يد نبينا محمد ﷺ والقديسون هم الرجال الصالحون المراد بهم: أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ١٦/١ ـ ١٦، ويذكر د. جمال بدوي ـ المهتم بهذا الموضوع ـ أن النبي ﷺ ذُكر في الإنجيل في ٣٨٣ موقعاً. انظر: جريدة المسلمون، العدد: ٦٩٥، السبت، ١٤١٩/٢/٥هـ، ٣٠ مايو، ١٩٩٨م.

وهم الذين كانوا عن يمينه وشماله ولم يفارقوه قط.

نص آخر: سبق ذكره وهو تبشير عيسى بنبي اسمه البارقليط.

وعلق عليه: بأن هذه الاسم باللسان اليوناني، وتفسيره بالعربية أحمد كما قال الله تعالى.

وهو في الإنجيل (باللطى براكلتس) وهذا الاسم الشريف المبارك كان سبب إسلامي كما سبق ذكر ذلك.

ومن ذلك: ما قاله النبي ميشا في كتابه: «في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة وتختار الجبل المبارك ليعبدوا الله منه ويجتمعون من كل الأقاليم فيه ليعبدوا الله الواحد ولا يشركوا به شيئاً»(١).

وهذا الجبل هو جبل عرفات بلا شك، والأمة المرحومة هي أمة محمد ﷺ، والاجتماع بالجبل المبارك هو اجتماع الحجاج بعرفات، وإتيانهم إليه من جميع الأقاليم.

نص آخر: نقله عن النبي أشعيا: «إن الرب يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه، يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه، وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين، ويحكم بين الناس بالحق ويمشي بينهم بالعدل، ويخرج الناس من الظلمات إلى النور»(٢).

وهذه رحمكم الله صفات نبينا محمد ﷺ؛ لأن الله بعثه في آخر الزمان بعدما اصطفاه لنفسه وبعث له روح الأمين جبريل عليه السلام وعلمه دين الإسلام وشرائعه وهو الذي يمشي بالعدل بين الناس فكل أمر أمر به أو نهي نهى عنه أجمع أهل العقول على عدله وصوابه(٣).

---

(١) انظر: ميخا، الإصحاح ٤/١ ـ ٣.

(٢) انظر: سفر أشعياء، الإصحاح ٤٢/١ ـ ٤.

(٣) انظر: تحفة الأريب، ص٢٥٥ ـ ٢٧٣، وقد أورد شيخ الإسلام ابن تيمية القصة العجيبة الخبر اللطيفة المأخذ في سياق رده على النصارى وإثبات نبوة خير الأنام قال: «ولما دخل جماعة من الصحابة على المقوقس ملك النصارى بمصر واستخبرهم عن دينهم فأخبروه بذلك، فإذا عنده شبه الربعة العظيمة مذهبة، وإذا فيها أبواب صغار =

أدلة أخرى على صدق نبوته ﷺ:

أشار الترجمان[1] إلى صدقه ﷺ ونبوته ورسالته إلى ما ورد في كتاب القاضي (الشفا) وأنه ضمنه ما يدل على ذلك في عشرات المعجزات والفضائل السنيات التي لا تكون إلا في نبي عظيم الدرجات.

⊂ تعقيب حول المبحث الآنف محمد ﷺ وطعنهم في نبوته

لم تزل الكنيسة النصرانية تصر عبر الأزمان منذ بعثة النبي ﷺ تكذب نبوته ورسالته وتطعن في أخلاقه ودينه، وقد تصدى علماء الإسلام لإثبات نبوته بكل الدلائل مهما تنوعت، والدفاع عن عرضه الشريف أما في هذا الزمان، فقد اعترفت الكنيسة بنبوته جزئياً على مضض واستحياء[2]، على لسان بعض آباء الكنيسة، وتارة تنعته بالنبوة والرسالة بلفظ صريح[3]، وتارة

= ففتح منها باباً فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها، صورة بيضاء، فإذا رجل طوال أكثر الناس شعراً، فقال: أتعرفون هذا قالوا قلنا: لا، فقال: هذا آدم، ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فإذا رجل ضخم الرأس عظيم له شعر كشعر النبط أحمر العين، فقال: أتعرفون هذا؟ فقلنا: لا، فقال: هذا نوح، ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء فإذا رجل أبيض الرأس واللحية كأنه يبتسم، فقال أتعرفون هذا؟ فقلنا: لا، فقال: هذا إبراهيم، ثم أعاد وفتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: النبي. قال: هذا والله محمد رسول الله ﷺ، قال: والله يعلم أنه قام ثم قعد ثم قال: الله بدينكم إنه نبيكم قلنا: الله بديننا إنه نبينا كأنما ننظر إليه، ثم قال: أما إنه كان آخر الأبواب، ولكني عجلته لكم لأنظر ما عندكم ثم أعاد وفتح باباً وهو يقول: هذا موسى هذا هارون هذا داود هذا سليمان هذا عيسى، وهذا كله لظهور المراد به ومعرفة الناس بمقصود المتكلم كما يقال لمن كتب اسمه في كتاب هذا فلان» الجواب الصحيح ٣/ ٣٩٥، ٣٩٦. وانظر: كذلك ٥/ ١٨٤، ١٨٥.

(١) انظر: تحفة الأريب، ص٢٧٠، ٢٧١.

(٢) انظر: الإسلام في عقيدته ونظامه ٦/ ١١، ٣١، ٧٧، ٨٣، أفكار وآراء ١١/ ٢/ ٣٠.

(٣) انظر: الرحمة الإلهية، عادل تيودور خوري ٨/ ١٣، مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، ١٩٩٧م، جونيه، لبنان.
أفكار وآراء ١٠/ ١/ ١٠٩.

تعترف بالقرآن العربي الفصيح بأنه منزل: «من هنا المكانة المميزة للغة الفصحى، فهي أولاً لغة القرآن، اللغة المقدسة لغة التنزيل النهائي والمبين، لغة الصلاة والعبارة، ثم ليس من عربي إلا ويؤخذ بسحر اللغة القرآنية. .»[1].

وعند الاعتذار في التباطؤ المسيحي بالنبي العربي يظهر الاعتراف بنبوته ﷺ «ولذلك ينبغي للمسلمين الذين يعاتبون المسيحيين على تباطئهم في الاعتراف بالدين الإسلامي وبنبوة محمد اقتداءاً بالمسلمين الذين يعترفون بالدين المسيحي وبنبوة المسيح»[2].

وهذا الاعتراف بالنبي العربي خطوة مهمة ومتقدمة جداً نحو طريق الصواب ـ على ما فيها من الاستحياء والتخوف والاجتزاء ـ ولو كانت باللسان فقط دون الجنان، يقول أحدهم: «ولم يعد المسيحيون يتهمون محمداً بأنه مدعي النبوة أو نبي كاذب، بل بالعكس من ذلك، منهم من يقر بأنه نبي على نحو سلبي من النبوة، ثم إن حياته التي كانت توصف بالانحلال، لم تعد أكثر انحلالاً من داود النبي، والقرآن إذ يعتبره المسيحيون مصدقاً للتوراة والإنجيل صار هو نفسه في سلالة هذا الوحي. . .»[3].

لكن ما هو الاعتراف النصراني المعاصر بنبوة محمد ﷺ وما هي حدوده، وهل يترتب على هذا الاعتراف، الانسلاخ من الوثنية والتثليث والحلول النصراني إلى التوحيد الإلهي الرباني؟

والجواب ما ذكره المطران كيرلس سليم تحت مبحث طويل في المقال الحادي عشر من كتابه، حيث سأل سؤالاً هو: «هل يمكن للمسيحيين أن يعترفوا بنبوّة محمد؟».

أجاب المطران بجواب طويل بعد أن وضع الأدلة التي يستدل بها المسلمون، كدليل: الفارقليط أو المعزي، إذ نفى بشدة أن يكون المقصود به

---

(١) تراث وحداثة، قراءة للفكر العربي، بولس الخوري ٩/٣٦ مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، ١٩٩٧م، جونيه، لبنان.

(٢) مقالات لاهوتية ٧/١٤٦.

(٣) الإسلام والغرب ٢/٥٣.

محمد ﷺ، راداً على استدلال مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد ـ يرحمه الله ـ بهذا الاستدلال وبغيره، ثم خلص إلى القول: «. .ومع كل هذا الاختلاف يمكننا بشأن نبوة محمد أن نقبل بأنه كانت له خبرة دينية خاصة قادته إلى الإيمان بالله الواحد وإلى تكريس حياته للدعوة إلى هذا الإيمان. .» وقال «وكان النبي محمداً في خبرته الدينية لم يؤمر بإنشاء دين جديد، بل أن يكون من المسلمين الذين قبله»؟؟ وقال: «لا مانع لدينا من القبول ببعض النبوة لدى محمد، فيمكن أن نعده نبياً على غرار أنبياء العهد القديم الذين ظهروا قبل السيد المسيح» ثم ذكر التعاليم التي بشر بها الأنبياء من إبراهيم إلى السيد المسيح وقال: «ولا بد من الاعتراف بها لدى النبي محمد، ويجب على المسيحيين كما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني: أن يروا فيها «قبساً من نور الحقيقة الإلهية التي يضيء كل إنسان»[1].

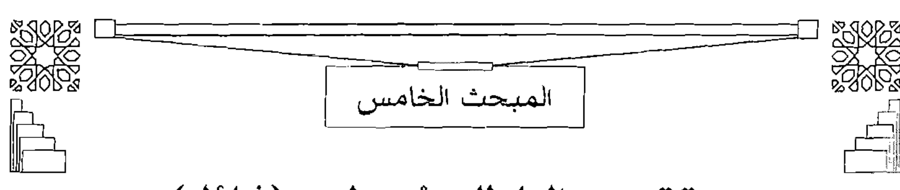
وقال في المقال التاسع عشر: «لا مانع لدينا من اعتبار محمد نبياً بمعنى أنه بشر بإرادة الله»؟![2] «ولذلك يمكننا أن نعتبره نبياً من أنبياء العهد القديم»[3].

وهذا اعتراف قاصر بنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين، وإيمان ببعضها وكفر بالبعض الآخر، وتُشجع الكنيسة على المضي قدماً في هذا الطريق عل هذا أن يكون طريقاً للهداية لكثير من أتباعها الباحثين عن الحق، وهذا هو الحوار الحقيقي الذي نبحث عنه ونشجعه.



---

(١) أفكار وآراء ١٠/١/١١٧ ـ ١٢٣.
(٢) المصدر السابق ١٠/١/١٧٢.
(٣) المصدر نفسه ١٠/١/١٧٣.



المبحث الخامس

معتقدهم الباطل في بولس (شاؤل)

بولس (شاؤل) هو منشئ النصرانية المحدثة وهو واضع أصولها ومبدل شرائعها وهي تنسب له أكثر مما تنسب لغيره، وله شأن كبير وحال خطير في الديانة النصرانية. فمن يكون بولس؟ وما خلفياته العقدية والعرقية؟ وأين ولد؟ وكيف تنصر؟ وما أهميته في دينهم؟

بولس في كتابهم المقدس

ورد الجزء الأكبر من حياة هذا الرجل في سفر أعمال الرسل، ولئلا نرمى بالتحيز والتجني فإنني أترجم له من كتبهم أولاً ومن غيرها ثانياً حتى يكون العاقل على بصيرة في شأن ديانة هؤلاء النصارى الذين اتخذوا تعاليمه ديناً وشريعة.

وقد جاء فيه أنه رجل اسمه شاؤل، ولد في طرسوس[1]، وتربى في أورشليم[2]، وهو من أصل يهودي.

حيث ورد حكاية عنه: أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس (ولاية) كيليكية، ولكني ربيت في هذه المدينة[3] أي أورشليم.

وورد في السفر ذاته أنه روماني لما هدد وضرب قال: «فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة واقف: أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير

---

(١) طرسوس: بفتح أوله وإسكان ثانيه من الثغور الجزرية الرومية. انظر: معجم البلدان ٣/ ٨٩٠ قلت: وهي اليوم مدينة ساحلية بالدولة التركية.

(٢) أورشليم: اسم لبيت المقدس بالعبرانية انظر: القاموس المحيط، ص١٤٥٥ فك الله أسرها من أيدي اليهود الغاصبين.

(٣) انظر: أعمال الرسل الإصحاح ٢٢/ ٢.

مقضي عليه، إلى قوله: وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه، واختشى الأمير لما علم أنه روماني»[1].

ولكنه عاد وكرر الاضطراب وعارض القول الآنف واعترف أنه يهودي فرّيسي.

قال: «ولما علم بولس أن قسماً منهم صدوقيون، والآخر فريسيون، صرخ في المجمع: أيها الرجال الأخوة أنا فريسي ابن فريسي»[2].

وهذا تعارض غير مبرر يفيد كذب الرجل أو كذب واضع هذا السفر، ولكن المرجح والمشتهر عند النصارى أنه يهودي كما ذكر، ولعله ادعى أنه روماني خوفاً من التعذيب، أو لأي سبب آخر.

حياته:

مهما ذكر من خلاف حول أصله إلا أن المتفق عليه الذي ذكرته كتبهم أنه كان من أشد الناس عداء للنصرانية وأكثرهم فتكاً بأتباعها وأبلغهم أذى لمن يتبعها، إذ لم يكن سوى يهودي شرطي متعصب ضدها.

ففي السفر ذاته ما يبين هذا: وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم... إلى قوله: وأما شاؤل فكان يسطو على الكنيسة، وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن[3].

وفيه: «أما شاؤل فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب... حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم إلى أورشليم»[4].

وفي هذا السفر يتحول الجبار الذي كاد للنصرانية وأهلها واضطهدهم وعذبهم وصلبهم في الميادين إلى رجل مؤمن بها، هكذا بغير مقدمات ولا ممهدات؟!، وصار من المنافحين عنها، في قصة عجيبة غريبة: «تقول

---

(١) انظر: المصدر السابق، الإصحاح ٢٢/٢٦ ـ ٢٨.

(٢) انظر: المصدر نفسه، الإصحاح ٢٣/٦ ـ ٨.

(٣) انظر: المصدر نفسه، الإصحاح ٨/١ ـ ٣.

(٤) انظر: المصدر نفسه، الإصحاح ٩/١ ـ ٣.

روايتهم: وفي ذهابه حدث أن اقترب إلى دمشق، فبغته أبرق حوله نور من السماء.

فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له شاول شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيدي؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده... فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل، فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل»[1].

ثم ذهب إلى المدينة ولقيه أحد التلاميذ في رؤيا رآها أنه آمن بالمسيح. ولكن التلاميذ لم يقبلوا شاول لماضيه معهم، إلى أن شهد له برنابا بالإيمان وأنه كلمه الرب وأوصى إليه أن يبشر بالمسيح إلهاً.

وللوقت انطلق يكرر في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله؟![2].

وهكذا انطلق بولس يبشر بدينه الجديد ويتنقل في البلاد دون كلل أو ملل بل بجد واجتهاد وقد تعرض للكثير من المتاعب في سبيل نشر دينه.

واستخلص من خلال قراءتي لتاريخ بولس في كتبهم ما يلي:

١ ـ صبر شاؤل (بولس) الشديد في تبليغ دعوته مهما تعرض للمتاعب والصعاب.

٢ ـ دهاء وحيلة وذكاء بولس في صنع واستثمار المواقف لصالحه.

٣ ـ قدرة بولس على التشكل العقدي الذي يرضي جميع الأطراف، كإرضاء الوثنيين في التثليث، وإرضاء المغالين في المسيح، وإرضاء أتباع المسيح.

٤ ـ نشر دعوته بين العوام والبسطاء وقوة تأثيره عليهم حتى ذاع صيته بين الناس وتقبلت دعوته وهابه من هو أكبر منه، حتى صار ثالث إله.

بهذا الدهاء والذكاء والتلبيس على البسطاء في وقت فتنة وانقطاع من الوحي واضطهاد لأتباع المسيح استطاع أن ينشر دعوته وأن يجعل نفسه مركزاً

---

(١) انظر: المصدر نفسه، الإصحاح ٩/ ٣ ـ ٧.

(٢) انظر: المصدر نفسه، الإصحاح ٩/ ١٠ ـ ٣١.

ومرجعاً ومحوراً للدين النصراني به يقتدى وبأمره وتعاليمه وتشريعاته يعمل ويحتذى.

وعرفته مصادرهم الحديثة بأنه:

«بولس رسول الأمم العظيم. كان اسمه العبري شاؤل أي «مطلوب» وتسمى بهذا الاسم في سفر الأعمال»[1]. وورد أن معناه «الصغير»، وأنه ولد في طرسوس في ولاية كيليكية من أعمال الدولة الرومانية، وأنه كان من عائلة شريفة، من أبٍ فريسي.

أما ثقافته فكانت يهودية متبحرة في الناموس.

ومن حيث اضطهاده للمسيحيين، فقد ظهر في تعصبه ضدهم، ونفى أن يكون المصلوب هو المسيا، وكان يشكل خطراً كبيراً عليهم، ويقوم بمهاجمتهم داخل الدولة وخارجها.

ومن حيث تجدده في العقيدة، ما ورد أنه كان في الطريق إلى دمشق في وسط النهار عندما أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وكان الذي تكلم معه هو الرب يسوع بنفسه، بل إن شاؤل رآه رأي العين. ثم دخل دمشق حسب تعليمات المسيح وبقي فيها أياماً، ثم اختلى بنفسه ثلاث سنين، خرج بعدها بالتعاليم الجديدة ملتهباً بنفس الغيرة التي كان يحارب بها يسوع[2].

أما علماء الأندلس فقد تعرضوا لنقد معتقدات هذا الرجل وتشريعاته التي ابتدعها في دين النصرانية ولم يخصصوا فصولاً مستقلة، وإنما ورد ذكره عرضاً عند الحديث عن عقائدهم وشرائعهم.

وممن تكلم في ذلك:

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص١٩٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٩٧ ـ ١٩٨، وانظر: كذلك الإصغاء إلى كلام الله ٥/ ٩٥ الرحمة الإلهية ٨/ ٧٢، ٩٤.

حاولت جمع شتات كلام الإمام ابن حزم ـ عن شاول (بولس) ـ الذي تفرق في مواضع عدة من كتابه في نقاط منها:

١ ـ منزلة بولس وأثره في دين النصرانية:

عند كلامه في التوحيد يصف ابن حزم شاول (بولس) بأنه عند النصارى فوق الأنبياء(١).

ووصفه في موضع آخر لما تكلم عن تشريعاته التي أوصى بها للنصارى: «هو عندهم ـ لعنه الله ـ أصدق من موسى بن عمران عليه السلام»(٢).

أما تأثيره في دينهم فيتمثل في تعاليمه التي ألزم النصارى بها في رسائله، وهي خمس عشرة رسالة، تكوّن كلها نحو أربعين ورقة، مملوءة حمقاً ورعونة وكفراً(٣).

٢ ـ نماذج من تحريفات بولس في دين النصرانية:

فمن تحريفاته: زعمه أن المسيح ابن الله، وذلك أنه من صفاته، فهو قدرة الله وعلمه(٤).

وقد أجيب عليه في أول الباب في مبحث الصفات.

ومن ذلك: أن هذا اللعين بولس في إحدى رسائله قال: إن يسوع بينما كان في صورة الله لم يغتنم أن يكون مساوياً لله، بل أذل نفسه ولبس صورة عبد.

قال أبو محمد: فهل سمع قط بأوحش من هذا الكفر، أو أحمق من هذا الكلام؟ أو أسخف من هذا الاختيار؟ وهل يتذلل الإنسان، ويحمل كل بلاء في الدنيا إلا ليصل إلى رضا الله عز وجل فقط؟

---

(١) انظر: الفصل ١/١١٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/٢٠٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه ٢/١٥.

(٤) انظر: المصدر نفسه ١/١١٣.

فليت شعري هل بعد الوصول إلى مساواة الله تعالى عند هؤلاء الأقذار منزلة تبتغى فيرفضها المسيح لينال أعلى منها؟[1].

ومن ذلك: «قول هذا النذل في بعض رسائله: إني كنت أتمنى أن أكون محروماً من المسيح. قال أبو محمد: ليت شعري من ضغطه؟ وما المانع له أن يكفر بالمسيح فيبلغ مناه ويصير محروماً منه...؟ ووالله إنه لمحروم منه بلا شك»[2].

ومن ذلك: قوله في بعض رسائله: إنه لا تبقى دعوة كاذبة في الدين أكثر من ثلاثين سنة.

قال أبو محمد: هو عندهم ـ لعنه الله ـ أصدق من موسى بن عمران عليه السلام، فإن كان صدق هاهنا فما يحتاج معهم إلى برهان في صحة دين الإسلام، ونبوة محمد ﷺ سوى هذا، فإن لهذه الدعوة أربعمائة عام ونيفاً وخمسين عاماً ظاهرة، والحمد لله رب العالمين، فيلزمهم أن يرجعوا إلى الحمق، أو يكذبوا بولس بشيرهم[3].

ومن ذلك: تحريف شريعة الختان لدى النصارى، وستأتي في الباب الثاني في التشريع.

ووصفه في مواضع متعددة عند ذكر تحريف دين النصارى وكتبهم:

بأن بولس ويوحنا ومتى ما كانوا إلا كفاراً كاذبين، وما كانوا قط من صالحي الحواريين[4].

وقال عنه وعنهم: وكل هؤلاء فأكذب البرية وأخبثهم، على أن بولس حكى في الأفركسيس، وفي إحدى رسائله، أنه لم يبق مع باطرة إلا خمسة عشر يوماً، ثم لقيه مرة أخرى، وبقى معه أيضاً يسيراً، ثم لقيه الثالثة فأخذا جميعاً وصلبا إلى لعنة الله[5].

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٢٠٣.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥.
(٤) انظر: المصدر السابق ١/ ١٢٧.
(٥) انظر: المصدر نفسه ٢/ ١٥، ١٦.

وقال عن بولس وعنهم: أنه لا يمكن البتة أن ينقل أحد عنهم آية ظاهرة ولا معجزة فاشية، لما ذكرنا أنهم كانوا مختلفين مستترين مظاهرين بدين اليهود من التزام السبت وغيره طول حياتهم، إلى أن ظفر بهم فقتلوا[1].

الإمام القرطبي

في (الإعلام) والكلام على معتقد النصارى في بولس (شاؤل):

في سياق الكلام على نبوة المسيح وشريعته تعرض القرطبي لبولس رسول النصارى، وكيف بدأ وعظم أمره ويمكننا تلخيص ما أورده القرطبي فيما يلي:

١ ـ ظهور بولس، سطوته، تنصره:

وذلك أن عيسى ﷺ لما بعثه الله إلى بني إسرائيل استجاب له من شاء الله منهم، ثم لما رفعه الله استحلى الناس كلامه حتى بلغ عددهم سبع مئة رجل، وكانوا يجاهدون ويدعون إلى الإيمان، فقال بولس اليهودي، وكان هو الملك في بني إسرائيل[2]، فحشد عليهم الأجناد وقاتلهم حتى انتهوا إلى الدروب، فأعجزوه، فقال بولس الملك لجنوده: إن كلام هؤلاء لمستحلى، وقد قدموا على عدوكم، وسيرجعونهم في ملتهم، فيخرجون إلينا ويطردوننا من بلاد الشام، ولكني أرى لكم رأياً، قالوا: وما هو؟ قال: تعاهدوني على كل شيء، كان خيراً أو شراً، ففعلوا.

فترك ملكه، ثم لبس لباسهم، وخرج إليهم ليضلهم، حتى انتهى إلى عسكرهم.

فأخذوه، وقالوا: الحمد لله الذي أخزاك وأمكن منك، فقال اجمعوا رؤوسكم، فإنه لم يبلغ من حمقي أن آتيكم إلا ومعي برهان.

---

(١) انظر: المصدر نفسه ٢/١٧.

(٢) الرواية في سفر أعمال الرسل محتملة ـ كما ورد آنفاً ـ والمتحقق أنه كان صاحب سطوة على النصارى.

فاجتمعوا، فقال لهم: إني لقيني المسيح فنصرني عنكم، فأخذ سمعي وبصري وعقلي - إلى أن ذكر عهده له أن يدخل في أمرهم وينتظم في زمرتهم - فصدقوه، وأمرهم أن يبنوا له بيتاً ليعبد الله فيه بزعمه ويعلمهم التوراة[1].

٢ ـ نماذج من تحريفات بولس في دين النصرانية:

بعد أن قبلت النصارى قول شاول، بدأ في خلوته باختراع التشريعات.

ومن ذلك: تحويل قبلتهم:

حيث عرض عليهم رأيه بأنه لا تسرح سارحة إلا من عند ربها، ولا تخرج إلا من حيث تؤمر به؟ فوافقوا فقال: إني رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج إنما تجيء من ها هنا. وما أوجب ذلك إلا وهو أحق الوجوه أن يصل إليه، قالوا: صدقت. فردهم عن قبلتهم.

ومن ذلك: تحليل كل ما دب من الحيوان:

فلما قبلت النصارى ذلك، فتح عليهم باب خلوته، وقال ألستم تزعمون أن الرجل إذا أهدى للرجل الهدية وأكرمه بالكرامة، فردها شق ذلك عليه، وأن الله تعالى سخر لكم ما في الأرض، وجعل ما في السماء لكم كرامة، فالله أحق ألا ترد كرامته.

فما بال بعض الأشياء حلال وبعضها حرام؟ ما بين البقة إلى الفيل حلال.

قالوا: صدقت.

ومن ذلك: القول بإلهية المسيح:

فلما قبلت النصارى ذلك، أغلق على نفسه ثم فتح خلوته، وزعم أنه رأى رأياً فقال لهم: هل علمتم أحداً من الإنس خلق من الطين خلقاً فجعله نفساً أو أبرأ الأكمه أو أحيا الموتى أو أخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

---

(١) انظر: الإعلام ٢/٢٤١، ٢٤٢.

قالوا: لا، قال: فإني أزعم أن الله تجلى لنا، ثم احتجب[1].

فقال بعضهم: صدقت، وقال بعضهم: لا ولكنه ثلاثة، والد، وولد، وروح القدس.

وقال بعضهم: الله وولده، وقال بعضهم: هو الله تجسم لنا[2].

ثم ذكر القرطبي كيف حارب بولس المؤمن ومن معه وقاتلهم، وإلى أي حال انتهى بهم الأمر، بعد قتالهم وحربهم.

الإمام القرطبي

المفسر والكلام على معتقد النصارى في بولس (شاول):

مما يفيدنا أن القرطبي ابن فَرْح المفسر غير القرطبي صاحب الإعلام أنه عند تناول قصة بولس اختلفت تفصيلاتها بين الإمامين في الكتابين، ومما ذكره الإمام ابن فَرْح المفسر في ذكره وظهوره: إن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى، يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس، قتل جماعة من أصحاب عيسى، فقال: إن كان الحق معهم كفرنا ومصيرنا إلى النار ونحن مغبونون، ولكن احتال فيهم فأضلهم فأدخلهم النار، وكان له فرس يقال لها العقاب، فأظهر الندامة، ووضع على رأسه التراب، وقال للنصارى: أنا بولس عدوكم قد نوديت من السماء أن ليست لك توبة إلا أن تتنصر، فأدخلوه الكنيسة فاعتزل سنة لا يخرج ثم خرج إليهم بعد تعلم الإنجيل، فخرج وقال: نوديت من السماء أن الله قد قبل توبتك، ثم مضى إلى بيت المقدس، واستخلف عليهم نسطوراً وأعلمه أن عيسى إله، ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وأن عيسى تجسم وأنه ابن الله. لرجل يقال

---

(١) انظر: رسالة بولس إلى تيموثاوس، الإصحاح ٣/١٦ بلفظ «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد...».

(٢) انظر: الإعلام ٢/٢٤٢ ـ ٢٤٤.

له يعقوب، ثم علّم رجلاً يقال له الملك (الملكانية) وقال: إن الإله لم يزل ولا يزال.

فلما استمكن دعا هؤلاء الثلاثة وأخبرهم واحداً واحداً أنه رأى المسيح أني غداً أذبح نفسي وأتقرب بها، ثم دخل المذبح وذبح نفسه، فلما مات دعا كل واحد منهم إلى نحلته فاقتتلوا واختلفوا إلى يومنا هذا وكان هذا سبب شركهم، وهو معنى قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤] والله أعلم[١].

عبد الله الترجمان

والكلام على عقيدة النصارى في بولس (شاول):

تكلم الترجمان ـ الذي كان واحداً من قسسهم ـ على عقيدتهم في بولس عند الكلام على تحريف كتبهم وتحديداً على لوقا، وتناول ما يمكن أن نوجزه في ثلاث قضايا:

١ ـ بولس ظهوره وتنصره:

لما ذكر الترجمان لوقا بيّن أنه إنما تنصر على يد بولس بعد أن رفع عيسى عليه السلام، وبولس الإسرائيلي لم يدرك عيسى ولا رآه، وكان من أكبر أعداء النصارى، حتى حصل بيده أوامر من الملوك الروم، فإنه حيث وجد نصرانياً يأخذه ويحمله إلى بيت المقدس، ويسجنه هناك.

وقد حكى لوقا في كتابه قصص الحواريين[٢]: أن بولس هذا كان يسير مع جملة فرسان وإذا به ينظر إلى شعاع كشعاع الشمس، وسمع صوتاً من الضوء يقول له: أنا عيسى المسيح.

هذه الحكاية كذب أو هي من خدع الشيطان.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢٤، ٢٥.

(٢) يسمونه اليوم: «أعمال الرسل» وقد تقدم ذكر قصته كاملة.

فقال بولس: وكيف ضررتك وما رأيتك؟ فقال له: إذا ضررت أمتي فقد ضررتني، فارفع يدك عنهم واقبلهم فهم على الحق. ثم توجه إلى رجل في دمشق، يعرفك ما يكون عملك ثم علمه أن يدخل في دين النصرانية.

فأجابه لما طلب وعظمه بعد أن بيّن له إيمانه بعيسى عليه السلام. وهذا إيمانه وتنصره، مما يدل على كذبهم وباطلهم أبعدهم الله[1].

٢ ـ منزلة بولس في النصرانية:

أوضح الترجمان أن منزلته عالية إذ زعم كفار أوائل النصارى أنه بمنزلة نبي[2].

٣ ـ بعض تحريف بولس في النصرانية:

ذكر الترجمان تحريفاً واحداً من تحريفات بولس في دين النصرانية وهو: أمر بولس أن لا يتزوج الرجل غير امرأة واحدة، فإذا ماتت عوضها بأخرى، وأمر أن يتزوج القسيس امرأة واحدة بكراً لا ثيباً، فإذا ماتت حرم عليه التزويج.

وهذا خلاف شرائع الأنبياء وخلاف دينكم في التزويج[3].



---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١٠٧ ـ ١١١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٤٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٢٤٢، ٢٤٣.

الفصل الخامس

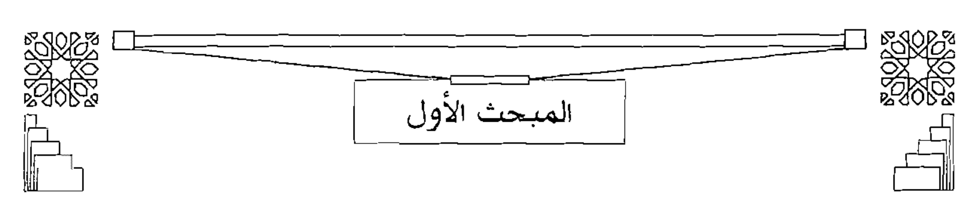
عقيدة النصارى في الإيمان باليوم الآخر

جاءت الأنبياء بتوحيد الله والإيمان باليوم الآخر ومنهم نبينا محمد ﷺ، وجاء الإسلام بعقيدة الإيمان باليوم الآخر، جلية واضحة لا لبس فيها ولا غموض، وبتفصيل دقيق لأحداث هذه الحياة الأخروية الأبدية في آيات وأحاديث أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، والإيمان باليوم الآخر من أهم عقائد المسلمين وأحد أركان الدين، ومن لا يؤمن به فليس له نصيب من الدين، إذ هو الركن الركين، والأساس المتين.

وقد تكلم العلماء الأندلسيون على هذه العقيدة الجليلة في كتبهم الفقهية والحديثية والعقدية[1]، ولولا الإطالة لأوردت شيئاً من كلامهم في هذا، وبالله التوفيق.



(١) تكلم ابن حزم على هذا تفصيلاً في مقدمة المحلى، باب التوحيد ١/ ١٠ ـ ١٢.



المبحث الأول

مفهوم اليوم الآخر عندهم

أديان أهل الكتاب أديان مادية دنيوية يندر فيها أن تجد الإيمان بالغيب واضحاً ومن أول ذلك الإيمان بالله واليوم الآخر، وهذه النصوص وإن وجدت فهي نصوص عامة محتملة على جنة الدنيا ونعيمها لا سيما التوراة، إذ لم يرد فيها شيء واضح يبيّن عقيدة اليهود في ذلك اليوم[1]، هذا فيما علمته واستقصيته من خلال قراءاتي في كتبهم وكتب علماء المسلمين.

أما النصارى فلهم خبط واختلاف في فرقهم في مسألة الإيمان باليوم الآخر، وأقوالهم فيه لا تنحصر واختلافهم لا ينضبط، لكن مذهب جماهيرهم، ومعظمهم، ومن ينتسب إلى التدين منهم أن الخلق لا بد أن يجتمعوا في القيامة[2].

وقد ورد في الإنجيل نصوص محدودة معدودة فيها ذكر القيامة واليوم الآخر أو الجنة أو النعيم أو العذاب، لكنها نصوص فيها من العموم والاحتمال، أن يكون المراد نعيم الدنيا أو عذابها الكبير، وعلى كل فالإنجيل

---

(١) وجدت كلاماً نفيساً لأحمد بن القاسم الحجري الأندلسي، يقول عند ذكر كتب اليهود: «ولم نر في جميعها ذكر جنة ولا نار، ولا عذاب الآخرة» ناصر الدين على القوم الكافرين، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب، لأحمد بن القاسم الحجري الأندلسي ص٨٧، تحقيق: محمد رزوق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، وهو أندلسي من الذين طردوا وعذبوا على يد رجال الكنيسة وكتابه المذكور قيم، ولولا خروجه من الإطار التاريخي لهذا البحث، لأوردت منه كثيراً من الردود النفيسة على النفوس الضالة المنحرفة الخسيسة.

(٢) انظر: الإعلام ٢/ ٤٣٣.

أحسن حالاً من كتابهم المقدس (العهد القديم) في ذكر اليوم الآخر أو القيامة، ومن النصوص أحصيتها في هذا الباب قول المسيح: إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده، وإن الابن لا يعلمها[1].

نص آخر: أن المسيح قال: «إن دخول الجمل في سم الخياط أهون من دخول المثري في ملكوت الله»[2].

نص آخر: أن المسيح قال لأحد اللصين اللذين صلبا معه: «اليوم تكون معي في الجنة»[3].

نص آخر: أن المسيح قال مخاطباً اليهود: «أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم»[4].

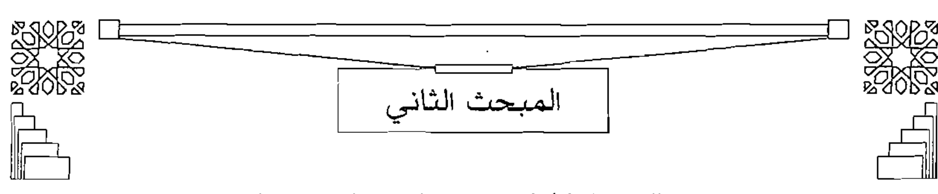
نص آخر: قول المسيح لتلاميذه: «لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي»[5].

ومن ذلك: «فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدنيوية»[6].

إلى غير ذلك من النصوص القليلة العامة في ألفاظها المحتملة في معانيها الشبيهة بهذه النصوص.



(١) انظر: متى الإصحاح ٢٤/٣٦.
(٢) انظر: متى الإصحاح ١٠/٥٤، ٢٥.
(٣) انظر: لوقا الإصحاح ٢٣/٣٩ ـ ٤٣.
(٤) انظر: متى الإصحاح ٢٣/٣٣ ـ ٣٩ وكذلك ٢٦/٢٩، ٣٠.
(٥) انظر: لوقا الإصحاح ٢٢/ ٣٠ بلفظه، وفي كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين ص١١٨، ١١٩ للحجري الأندلسي: أنه جادله راهب في اعتقاد المسلمين في الجنة، هل فيها أكل وشرب؟ فقلت له: نعم وأكثر من ذلك. كما شهد إنجيلكم وذكر نصاً شبيهاً بهذا، فأنكر الراهب أشد الإنكار وقال: ليس ذاك الكلام على ظاهره؟
(٦) انظر: يوحنا ٥/٢٩، ٣٠.



القيامة والخلاص والحساب والجزاء عند النصارى

تقدم في المبحث الأول في هذا الفصل إيمان النصارى ـ في الجملة ـ باليوم الآخر والقيامة والجزاء والحساب.

ولهم في هذا المعتقد الكثير من التناقض والفساد والباطل الذي يخالف دين الله، دين الإسلام. فكل فرقة من فرق النصارى تعتقد اعتقاداً يخالف غيرها في قضايا البرزخ والبعث والحشر والحساب والشفاعة والجنة والنار، يخالف الفرق الأخرى، وكأنها أديان متباينة متناقضة تنتمي إلى أصول شتى[(١)] وقد تناول علماء الأندلس الرد عليهم في بعض قضايا اليوم الآخر التي ظهر فيها فسادهم وانحرافهم عن جادة الصواب، والمعتقد الحق.

ويرد هذا في كلام النصارى الذين خاطبوا المسلمين أو ناظروهم كالرسالة التي أرسلها أحد القسس الفرنسيين لأحد ملوك المسلمين ورد عليها الباجي حيث رغب الملك للدخول في دينه لينجو من عذاب يوم الحكم والجزاء. وهذا ما يسمونه بـ«الخلاص».

ـ ولقي إبليس العذاب الأليم من الله سيدهم المسيح يسوع[(٢)].

وكذا ما ورد في كتاب القسيس للفتى الخزرجي مرغباً له أن يلحق بهم وأن إلههم المسيح فداهم بدمه المقدس، ومن عذاب جهنم وقاهم، وأنه إن

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في كتاب: اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د. فرج الله عبد الباري أبو عطا الله، ص٩٢، ١٢٨، ١٧٢، ١٩٢، ٢١٩، ٢٧٦، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، ط. الثانية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) انظر: رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي الباجي عليهما، ص٥٣، ٥٤.

أراد الفوز بالجنة فلا بد أن يؤمن بدينهم[1]، إلى غير ذلك من المخاطبات التي سترد قريباً بعون الله وما فيها من التخليط والفساد والانحراف الذي رد به العلماء الأندلسيون وأوضحوه، ومنهم:

ابن حزم

قرر الإمام ابن حزم معتقد الإيمان باليوم الآخر ومفهومه ومفهوم الحساب والقيامة وعرصاتها واستدل عليها بأدلة شرعية[2].

وتناول الإمام قضايا اليوم الآخر في رده على النصارى وانحرافهم وفساد معتقدهم فيها وتلخيص ما ردّ به عليهم يمكن إجماله في النقاط التالية:

١ ـ تناقضهم في عقيدة الإيمان باليوم الآخر:

إذ تزعم النصارى أن المسيح هو الله الذي خلق الكون، ومع ذلك فلا يعلم متى تقوم القيامة، إذ قد ذكر في كتابهم: أن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده، وإن الابن لا يعلمها[3].

قال أبو محمد: هذا الفصل يوجب ضرورة أن المسيح هو غير الله تعالى، وإذا كان بنص أناجيلهم أن الابن لا يعلم متى الساعة؟ والأب يعلم متى هي؟ فبالضرورة القاطعة نعلم أن الابن غير الأب، وأن أحدهما كامل والآخر ناقص، فصح ضرورة أن من هو غير الله فهو مخلوق مربوب، وبطل هوسهم وتخليطهم والحمد لله رب العالمين[4].

٢ ـ انحرافهم في معتقد الحساب:

تعتقد النصارى أن البشر سيحاسبون يوم القيامة، وأن يسوع سيجلس بجوار أبيه ويحاسب الناس[5].

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٥٩، ٦١. (٢) انظر: المحلى ١/١٤ ـ ١٨.

(٣) سبق عزوه في المبحث الآنف، وهو في مرقص: ١٣/٣١ ـ ٣٢.

(٤) انظر: الفصل ٢/١١٩، ١٢٠.

(٥) انظر: لوقا الإصحاح ٢٢/٧٠ ولفظه: «منذ الآن يكون ابن الإنسان جالساً عن يمين =

وهذا يبطل قولهم إن الأب هو الابن ولا بد أن يتركوا قولهم: إن الابن يجلس عن يمين أبيه وأن الأب يعلم وقت القيامة والابن لا يعلمها.

كما يدل على بطلان قولهم، إذ لا يقعد المرء عن يمين نفسه ويفوض الأمر إلى نفسه[١].

٣ ـ انحراف عقيدتهم في الجنة:

أورد الإمام ابن حزم نصاً في إنجيل متى يفيد أن أهل الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون. ولكنهم يكونون كأمثال ملائكة الله تعالى في السماء[٢].

ثم أورد نصين آخرين معارضين له هما:

أن المسيح قال لتلاميذه ليلة أخذه: «لا شربت بعدها من نشل الزرجون[٣] حتى أشربها معكم جديدة في ملكوت الله تعالى»[٤].

نص آخر: أن المسيح قال لحواريين: «لتطعموا أو تشربوا على مائدتي في الملك»[٥].

في الفصل الأول أن الناس في الآخرة لا يتناكحون، وفي الفصول بعده أن في الجنة أكلاً وشرباً للخبز والخمر على الموائد.

والنصارى ينكرون كل هذا، ولا مؤنة عليهم في تكذيبهم للمسيح وأنه ربهم وإلههم، لا سيما في الفصل الأول أن الناس في الجنة كالملائكة، وفي التوراة التي يصدقون بها أن الملائكة أكلت عند لوط وإبراهيم الفطاير واللحم

= قوة الله»، ويلاحظ أن هذا النص مجمل محتمل لا دلالة فيه بوجه أن عيسى ابن الله أو أنه سيجلس بجوار والده الله الجلوس الحسي، ولكن لغلو النصارى وتأولهم، قطعوا أنه دليل على البنوة لله ومحاسبته للخلق.

(١) انظر: الفصل ١/١١٢، ١١٩، ١٢٠.

(٢) انظر: متى الإصحاح ٢٢/٢٩ ـ ٣١، ومرقس: ١٢/٣٤ ـ ٣٦ بالمعنى.

(٣) نشل الزرجون: الخمر انظر: انجيل متى الإصحاح ٢٦/٢٩.

(٤) انظر: متى الإصحاح ٢٦/٢٩. (٥) انظر: لوقا، الإصحاح ١٤/١٥.

واللبن والسمن، وإذا كانت الملائكة يأكلون والناس في الجنة مثلهم، فالناس في الجنة يأكلون ويشربون بلا شك. وقد أخبروا أن الإله يأكل الحيتان المشوية ويشرب عليها العسل؟، فأي نكرة في أكل الناس وشربهم في الجنة؟، وإذا كان الله تعالى اتخذ عندهم ولداً من امرأة اصطفاها، فأي عجب في اتخاذ الناس النساء في الجنة؟ ألا إن في دعوة هؤلاء النوكى لعبرة لمن اعتبر[1].

٤ ـ انحرافهم في قدر الثواب والعقاب في الآخرة:

من ذلك الإفراط في الثواب:

حيث ورد في الإنجيل أن المسيح قال: من قبل نبياً على اسم نبي فإنه يكافأ بمثل أجر النبي[2].

وهذا كذب ومحال؛ لأنه لا تفاضل للناس عند الله في الآخرة إلا بأجورهم التي يعطيهم الله تعالى فقط، لا بشيء آخر أصلاً، فمن كان أجره فوق أجر غيره فهو بالضرورة أفضل منه، ولو كان كل من اتبع نبياً له مثل أجر النبي لكان أهل الإيمان في الآخرة كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد عند الله تعالى، وهذا يعلم أنه كذب ومحال بالضرورة، ولو كان هذا لوجب أن يكون أجر كل كلب من النصارى مثل أجر باطر (بطرس) ومارقش ولوقا، وليس منهم أحد يقول هذا، فكلهم متفق على أن إلههم كذب وحاشا لله أن يكذب نبي من أنبيائه[3].

إلى غير ذلك من النصوص الدالة على حصول أضعاف ما يملك الإنسان في الدنيا إلى مئة ضعف وفي الآخرة لمن اتبع الإنجيل وآمن به وهو شيء لم يقع البتة.

---

(١) انظر: الفصل ٢/١٠٩، ١١٠.

(٢) انظر: متى، الإصحاح ١٠/٤١ بلفظ مقارب.

(٣) انظر: الفصل ٢/٦٥، وانظر: كذلك في هذا المعنى ٢/١٣٥.

ومن ذلك الإفراط في العقاب:

ما ورد في إنجيل مرقس، أن المسيح قال لتلاميذه: «إن دخول الجمل في سم الخياط أهون من دخول المثري في ملكوت الله»[1].

قال أبو محمد: هذا قطع من كلامه بأن كل غني لا يدخل الجنة... أبداً، وفي أتباعه أغنياء كثر، وما رأينا قط أنه أحرص على جمع المال وادخاره ومنعه منهم بخاصة الأساقفة والقسس والرهبان في كل دير وكنيسة، فعلى موجب كلام إلههم أنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، وهذا والله حق[2].

ابن عطية

والكلام على معتقد القيامة والحساب والجزاء عند النصارى:

رد الإمام ابن عطية على انحراف النصارى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١].

وقد ردّ الإمام ابن عطية على هذا الانحراف والاحتكار للجنة بهذه الآية وأوضح أن الله تعالى كذبهم وجعل قولهم أمنية، وقد قطعوا قبل ذلك بقوله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ [الجمعة: ٦] وأمر محمداً ﷺ بدعائهم إلى إظهار البرهان[3].

أبو عبيدة الخزرجي

والكلام على معتقد القيامة والحساب والجزاء عند النصارى:

قدم القسيس في رسالته إلى الخزرجي دعوة إلى الإيمان بإلههم المسيح

---

(١) انظر: مرقس، الإصحاح: ١٠/ ٢٤، ٢٥ بلفظ مقارب سبق عزوه.

(٢) انظر: الفصل ٢/ ١٣٣.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٢٩ ـ ٣٣١، وانظر: القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٧٤، ٧٥.

الذي وقاهم من عذاب جهنم ووعدهم بالجنة[1]، وهذا في سياق شرحه لعقيدتهم الوثنية المنحرفة التي بها آثار من الإيمان بهذا اليوم ولكن بانحراف عن منهج الحق تعالى ومنهج أنبيائه عليهم السلام.

وتناول الخزرجي الرد على هذا الانحراف الذي يمكن أن نجمله في نقاط هي:

١ - انحرافهم في أهل النار من هم:

إذ تزعم النصارى في عقيدة الفداء أن آدم وجميع ولده إلى زمن عيسى كانوا كلهم ثاوين في الجحيم بخطيئة أبيهم آدم، حتى فداهم بإهراق دمه، ونزل إلى الجحيم وأخرج منها جميعهم ما عدا يهوذا الاسخريوطي.

ويرد الفتى الخزرجي على هذا المعتقد الفاسد: أخبرني أيها المغرر عن موسى بن عمران كيف تفهم أن الله تعالى أدخله الجحيم وخلده فيها بعد أن كلمه واصطفاه وفضله وبعثه إلى عباده نبياً وهادياً ولم يكفر بعد ذلك؟

وكذلك إبراهيم الذي كان قد اتخذه خليلاً واصطفاه وفضله بهدايته، ونبوته وأظهر على يديه توحيده؟! ولو كان كذلك لما سكتت عنه الأنبياء لكبر مصيبته وعظمها مما يدل على بطلان قولكم ومعتقدكم[2].

٢ - انحراف عقيدتهم في الجنة ونعيمها:

قدم النصراني اعتراضاً على المسلمين بقوله: «وأنتم تقولون إن في الجنة أكلاً وشرباً ونكاحاً وجميع ذلك عندكم في الكتاب الذي جاء به صاحب شريعتكم، ونحن ننكر جميع ذلك، ولا يمكن بوجه من الوجوه وقوعه عندنا ذلك أننا إذا حشرنا يوم القيامة، حشرنا بأجسادنا ونفوسنا، ولكن لا نأكل هناك ولا نشرب»[3].

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٥٩، ٦١.

(٢) انظر: مقامع الصلبان، ص١٧٤، ١٧٥.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص١٠٥، ١٠٦.

أما الفتى الخزرجي فقد رد رداً مطولاً حاصله ومختصره:

أن هذا من عتوكم على الله وتكذيبكم لدين الله وشرعه بغير علم ولا برهان وثبوت هذا بمقتضى سنن الأنبياء.

موقف التوراة من اليوم الآخر:

بما أن التوراة العهد القديم المقدس لدى النصارى، وتعتقد قدسيته فلا بد من الإشارة إلى نظرتها للقيامة.. فالتوراة التي بأيديكم وأيدي اليهود، فلا ذكر فيها للآخرة، ولا لبعث، ولا لحشر الأجساد ولا لشيء من أحوال القيامة.

وفي كتبكم أن موسى عليه السلام لم يخبر بذلك مخافة أن يكذبه بنو إسرائيل جملة واحدة فيرجموه؛ لأنهم كانوا ينقضون أفعاله من المعجزات.

ثم أوضح بطلان هذا برد عقلي وشرعي، وأثبت عقيدة بعث الأجساد في اليوم الآخر.

الرد على النصارى بنص أناجيلهم:

وذكر نصوصاً تدل على أن النعيم في الجنة بالأكل والشرب ومن ذلك قول المسيح:

«إني لا أشربها معكم أبداً حتى تشربوها معي في الملكوت عن يمين الله»[(١)].

نص آخر: في قصة الفقير والغني، فناداه الغني وهو في النار يا أبي إبراهيم إبعث لعازر إلي بشيء من الماء أبل به لساني[(٢)].

ومن ذلك: قول المسيح لتلاميذه: «لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي»[(٣)].

---

(١) انظر: متى، الإصحاح ٢٦/ ٢٩، ومرقص، الإصحاح ١٤/ ١٥.

(٢) انظر: لوقا، الإصحاح ١٦/ ١٩ ـ ٢٧.

(٣) سبق عزوه.

وساق نصوصاً أخرى وعقب: وهذا كله يبيّن ما كفرت به، ويوجب ما أنكرته في كتابك[1].

الإمام ابن العربي

أما الإمام ابن العربي: فيقرر المعتقد الحق في هذا اليوم وأحواله من النعيم والجزاء والعقاب والحساب والحوض والميزان والصراط وعرصات القيامة في كتابه الجليل (الذخيرة في علم الدار الأخيرة)[2]، مستدلاً على ما يورده بأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنّة نبيه ﷺ، ولولا الإطالة لأوردت نصوصاً في كلامه ولكني آثرت الاختصار.

كما قرر المعتقد الحق في كتابه (أحكام الآخرة والكشف عن أسرارها الباهرة)[3]، مستدلاً بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنّة مقرراً عقيدة المسلمين في اليوم الآخر، وتحديداً بتركيز أكبر في عذاب القبر والبرزخ وعرصات القيامة وأهوالها.

الإمام القرطبي

والكلام على معتقد القيامة والجزاء والحساب عند النصارى:

ناقش القرطبي في رده على النصراني قضايا عدة في انحرافاتهم باليوم الآخر ومنها:

١ ـ ذكر الحساب والجزاء في كلام النصراني:

لما قال مخاطباً المسلمين: وأنتم لما أوجبتم أن الأمة تحاسب بعملها يوم القيامة أن محاسبها يخاطبها يوم القيامة ويكافئها بأعمالها.

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٢٧٩ ـ ٢٨٤.

(٢) انظر: الذخيرة في علم الدار الأخيرة (مخطوط أندلسي)، لأبي بكر بن العربي، بلا ترقيم، وترقيمي، ص٣٧ إلى آخر الكتاب (مصور أخذته من المكتبة الوطنية بمدريد).

(٣) انظر: أحكام الآخرة والكشف عن أسرارها الباهرة (مخطوط أندلسي) لأبي بكر بن العربي، ص١٩، إلخ... مصور أخذته عن الخزانة العامة بالرباط ٧/٧ ط.

أقر القرطبي بهذا وأنه مما يجب الإيمان به، ثم استدل له بأدلة قرآنية ودعاه إلى الإيمان بالله وبالنبي ﷺ قبل أن تجره الملائكة إلى عذاب جهنم وهو ينادي: يا عيسى يا إلهي يا ولد الله، فيقول لك: كذبت ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد[1].

٢ ـ انحراف عقيدتهم فيمن يحاسب الناس:

قال القسيس في كتابه: «في الإنجيل يقعد ابن الإنسان في مجلس عظمته، وتقدم جميع الأمم بين يديه، ويميزهم كما يميز الراعي الغنم».

رد القرطبي: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومع ذلك فنعلم على القطع والثبات أن كل أمة تدعى يوم القيامة بإمامها، وتنادى بمعبودها، ويتبع كل عابد ما كان يعبده.

وإذا كان كذلك فلا بد أن يجمع لعيسى كل من لزمه اتباع شرعه، وحينئذ يميزهم كما يميز الراعي الغنم، فمن آمن به وبنبوّته على نحو ما رسم كان من الفائزين، ومن اعتقد فيه أنه إله وابن إله فالنار مأواه بعد أن يتبرأ عيسى من دعواه[2].

٣ ـ انحراف عقيدتهم في الحساب وفي نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار:

حكى القرطبي قول النصراني صاحب كتاب «المسائل» في إنكاره النعيم في جنة الخلد وأنهم في الدنيا لا ينتظرون شيئاً من ذلك النعيم الأرضي، ثم ذكر بعض أصناف النصارى الذين قالوا بزواج العرائس في الجنة، وقال صنف منهم بالأكل والشرب فيها، وقال صنف منهم بقيام قيامتين الأولى للصالحين والثانية للكافرين.

هذا مجمل قول النصراني وقد عقب القرطبي برد مطول في صفحات ملخصة:

قد بيّن هذا المتكلم الحاكي خبط النصارى، واختلاف فرقها في هذه

---

(١) انظر: الإعلام ٢/ ١٢٢، ١٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٢٤.

المسألة بما أغنى عن البحث عن كثير من فرقهم، واختلافهم لا ينضبط وفرقهم لا تنحصر، واختلافهم كاختلاف المجانين، لكن مذهب جماهيرهم ومعظمهم ومن ينتسب إلى التدين منهم: أن الخلق لا بد أن يجتمعوا في القيامة.

وأن عيسى محاسبهم، فينعم ويعذب، لكن ليس عذاباً بنيران وسلاسل، وليس نعيماً بمأكول ومشروب والتذاذ بنكاح.

وقد شبه القرطبي مذهبهم هذا بمذهب الفلاسفة الذين ينكرون العذاب المحسوس والنعيم المحسوس، لكنهم لا يصرحون بهذا كالفلاسفة.

ثم أثبت إمكانية ذلك وعدم امتناعه عقلاً.

بعد الرد العقلي انتقل إلى الرد الشرعي: إذ لا يصح للنصراني أن يثبت ذلك من كلام الأنبياء بل كلامهم يدل على إثباته.

من ذلك: أن التوراة ذكرت إسكان آدم في الجنة، وكان يأكل منها ويشرب قبل هبوطه إلى الأرض ونصها محتمل أن تكون جنة عدن بخلاف كتابنا الذي جزم بها[1].

ثم أورد نصوصاً سبق ذكرها مستدلاً بها على إثبات المعتقد الحق من كتبهم وبالله التوفيق.

الإمام ابن برجان

والكلام على انحرافهم في الجنة:

يبين ابن برجان رحمه الله معتقدهم في الجنة واحتكارهم لها وسبب ذلك عند قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ**﴾ [البقرة: ١١١]، وكان اعتقادهم أن الآخرة خالصة لهم من دون الناس، وشبهة هذا من مذاهبهم في أعمالهم أنها مشكورة وذنوبهم مغفورة، قال الله عز وجل: ﴿**يَأْخُذُونَ**

(١) انظر: الإعلام ٤/٤٣٢ ـ ٤٣٧.

﴿عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ﴾ [الأعراف: ١٦٩]»(١).

ثم بين أن ذلك قول بلا دليل ولا برهان، ثم عقب في موضع آخر على هذا البهتان عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٩٩﴾ [البقرة: ٩٩]، بأنهم كفرة مفترون فاسقون(٢).

الإمام ابن حيان

والكلام على انحراف النصارى في اليوم الآخر:

رد عليهم في تفسيره بقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١١١﴾ [البقرة: ١١١].

وأوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن سبب نزولها تناظر اليهود بين يدي الرسول ﷺ، فقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، ولفهم القول في ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ﴾، أن ذلك صدر من الجميع باعتبار أن كل فريق منهم قال ذلك لا كل فرد مع تضليل بعضهم لبعض وزعمهم أن اليهود أو النصارى هم أهل الجنة، ثم أوضح الله بطلان ذلك بأنها أماني باطلة، ليس عندهم دليل ولا برهان على ذلك، وأكد أن الجنة لمن دخل في الإسلام ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝١١٢﴾ [البقرة: ١١٢]»(٣).

الإمام الشاطبي

أما الإمام الشاطبي(٤)، فيقرر المعتقد الإسلامي بمناظرة وقعت بين أحد

---

(١) تفسير ابن برجان، ص٥٢ مخطوط أندلسي مصور.

(٢) انظر: تفسير ابن برجان، ص٥٩.

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢.

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي، الشهير بالشاطبي العلامة المؤلف المحقق أحد الجهابذة، كان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف، أحد العلماء =

علماء النصارى الرهبان وبين خالد بن يزيد، لما أنكر الراهب النعيم الجسدي البدني في الجنة[1].

وستأتي الإشارة إلى ذلك في فصل المناظرات من الباب الثاني وبالله التوفيق.

الإمام القرطبي

ويقرر الإمام القرطبي في تذكرته معتقد المسلمين المنزل من رب العالمين في مئات من الصفحات، وفيه ذكر أحوال الساعة وأشراطها والبرزخ وأحواله وصفة البعث واليوم الآخر وصفة الجنة ونعيمها وأكل أهلها وشربهم ورؤيتهم لله، والنار وما فيها وعذابها[2].

تعقيب حول المبحثين الآنفين في اليوم الآخر والقيامة والحساب والجزاء

لم ألحظ خلال قراءتي في كتب النصارى المعاصرين اختلافاً كبيراً بينهم وبين أسلافهم في هذا المعتقد الأصيل المهم، إلا أنهم أصرح وأوضح وأكثر ترديداً لهذا المعتقد[3] من سابقيهم ـ ولعل ذلك بتأثير قراءتهم في كتب المسلمين، إذ ورد في كتبهم أوضح من غيره، وبتأثير المجادلات بينهم ـ بل ورد الإيمان صريحاً بأول منازل الآخرة وهو البرزخ في المجمع الفاتيكاني

= الأثبات وأكبر الأئمة الثقات، الفقيه الأصولي المفسر المحدث، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة، مع العفة والصلاح والورع واتباع السنة واجتناب البدع، أخذ عن كثير من أهل العلم، وعنه الكثير منهم، له كتب كثيرة ومصنفات جليلة كالموافقات والاعتصام والحوادث والبدع وغيرها، توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: شجرة النور الزكية، ص٢٣١، نيل الابتهاج، ص٧٥.

(١) انظر: الاعتصام، للإمام أبي إسحاق الشاطبي ٢/ ٢٠٩، ٢١٠، مراجعة: خالد عبد الفتاح، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، على سبيل المثال، ص١٦٠، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٨١، ٤١٤، ٥٦٩.

(٣) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٦١٦ الإسلام ٦/ ٤٧، الرحمة الإلهية ٨/ ٨٤، أفكار وآراء ١٠/ ١/ ٤٣.

الثاني ومنه: «إن الإيمان الخليق إيمان آبائنا بشركة الحياة بيننا وبين إخواننا الذين قد بلغوا المجد السماوي، أو لم يزالوا في مرحلة التطهير بعد الموت»[١].

ومن صريح ألفاظهم في الإيمان باليوم الآخر قول المجمع عند ذكر المسلمين ومحاسن إيمانهم: «أنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس بعدما يبعثون أحياء»[٢]. «ومن عناصر فرادتنا المسيحية أننا نؤمن بأن المسيح لم يبشرنا إلا بحقيقة واحدة جوهرية عميقة في معانيها وغزيرة في مقتضياتها، ألا وهي حقيقة اقتراب ملكوت السماوات»[٣].

ولكن مما تخالفنا فيه النصرانية المعاصرة والقديمة تفاصيل جوهر هذا اليوم العظيم، إذ تصر الكنيسة على الأغلاط والانحرافات التي وردت قديماً ولم تستطع الانفكاك منها، يقول المطران بطرس سليم: «يؤكد المسيحيون والمسلمون على السواء وجود دار الثواب وهي الجنة أو السماء ودار العقاب وهي النار أو جهنم، وإن اختلفوا كثيراً في وصفهم جوهر كل من الدارين»[٤].

ويقول في المقال الثاني عشر: تحت عنوان: إيمان المسيحية والإسلام باليوم الآخر - ذاكراً بعض انحرافهم في ذلك اليوم، محرضاً المسلمين على اتباع مسلكهم - وهو نوع من الإيمان المشترك بهذا اليوم، وإن اختلف المسلمون والنصارى اختلافاً كبيراً في موضوع اللذات الجسدية، وزعم أن المسيح ذكر أنهم يكونون كملائكة السماء، ثم دعا المسلمين إلى الانحراف المعهود في معتقدهم فقال: «ولكن هناك نزعة في الإسلام المعاصر تميل إلى تفسير الآيات القرآنية التي تصف حياة الناس في الجنة تفسيراً رمزياً مجازياً، وهذا التفسير الرمزي هو الذي نأمل أنه سينتشر أكثر فأكثر...»[٥].

أما **الخلاص** عند المعاصرين فيعني اتباع الحق والإيمان بيسوع المخلص

---

(١) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٠٣.
(٢) المصدر السابق، ص٦٢٩.
(٣) مقالات لاهوتية ٧/ ١٠١.
(٤) أفكار وآراء ١٠/١/ ٦٥.
(٥) المصدر السابق ١١/٢/ ١٠٤.

وأن الله يريده لكل الناس: «يتبين من العهد الجديد بكل جلاء ووضوح أن الله يريد الخلاص لجميع الناس، فالإنجيل هو قدرة الله لخلاص كل من آمن، والله يريد أن يخلص جميع الناس ويبلغوا إلى معرفة الحق. وإرادة الله هذه الرامية إلى خلاص الجميع تتحقق في يسوع المسيح، وبواسطة يسوع المسيح تشمل جميع الناس؛ لأن الجميع مدعوون إلى الخلاص بالنظر إليه، فالسبيل الطبيعي للخلاص يمر إذاً عبر يسوع إلى الأب»[1].

و**الخلاص والفداء** لاهوت إلهي[2] مسيحي صرف يرفضه دين الإسلام جملة وتفصيلاً والعبارة الآنفة والنص السابق يفسران الرفض الإسلامي لهذا الشرك الصريح مع التناقض الظاهر فهو يمر عبر يسوع إلى الأب مع ادعاء النصارى أنهم لا يفرقون بين الابن والأب والروح القدس وأنها أقانيم أو صفات لهذا الإله. والسؤال الجدير بالإيراد ها هنا هو: من هم الذين يشملهم الخلاص؟ وهل المسلمون منهم؟

والجواب من كتب معاصرينا النصارى عجيب غريب، ويشكرون على تقدمهم في فهمهم للدين الإسلامي ولنصوصه وآياته، وعلى تسامحهم وشعورهم بغمط المسلمين طوال القرون الماضية وفتحهم لباب الحق الذي بدأ يلج إلى الكنائس المعاصرة واعتبارهم أن دين الإسلام يؤدي إلى الخلاص. وإنها لخطوة عظمى، وفرصة أعظم؛ ليصحح المسيحيون إيمانهم بالله، ويلجوا إلى الحق من بابه ويؤمنوا بدين الله وعبده المسيح ورسوله ﷺ ما دام أن الإسلام طريق للخلاص.

يقول المجمع الفاتيكاني الثاني في هذا الصدد: «إن تصميم الخلاص يشمل أيضاً الذين يعترفون بالخالق، لا سيما المسلمين الذين يقرون أن لهم إيمان إبراهيم ويعبدون معنا الله الواحد الرحيم الذي سيدين البشر في يوم القيامة»[3].

---

(١) الإسلام ٦/٢٤٧.

(٢) انظر: مقالات لاهوتية ٧/١٤٧.

(٣) الإسلام ٦/٢٤٨.

«إن المسلم يجد في دينه ما يمكن أن يقوده إلى الخلاص، إذ أنه يؤمن بالله الواحد خالق العالم والإنسان، الديان في اليوم الآخر. . .» «ومن ثم يستطيع الإسلام ـ على الرغم مما فيه من وجهة نظر مسيحية، من مواطن الضعف والنقص التي علينا أن نناقشها في الحوار ـ يستطيع أن يكون لأتباعه طريقاً إلى الخلاص»[(١)].

نعم إن الكنيسة اليوم تؤمن أن المسيحية ليست الطريق الوحيد للخلاص، وأن الإسلام طريق للخلاص، وهذا التنازل والتغيير العقائدي يفتح الباب مشرعاً أمام المسلمين لاستقطاب النصارى الحيارى وإدخالهم في الإسلام.

وهذا التنازل والتغيير الإيجابي إنما جاء بعد انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، قبل أربعين سنة، واستمر المجمع أربع سنوات خرج بنتائج فيها تحول كبير[(٢)].

بل تنازلت الكنيسة، وأعلنت قبول تعدد الخلاص: «لقد أعلنت الكنيسة رسمياً في المجمع الفاتيكاني الثاني أن الكنيسة الكاثوليكية ليست الطريق الوحيد للخلاص»[(٣)]، «فالقول لا خلاص خارج الكنيسة تعبير متشدد للدعوة إلى الدخول في الكنيسة بحجة أنها تملك وحدها الحقيقة الدينية الكاملة»[(٤)]، ويقول المطران كيرلس سليم: «إن المجمع الفاتيكاني الثاني قد أحدث تغييراً

(١) المصدر السابق ٦/ ٢٤٩.

(٢) جدير بالذكر أن هذا المجمع عقد بعد العثور على مخطوطات البحر الميت، وقد ذكر الشيخ عبد المجيد الزنداني ـ حفظه الله ـ في برنامج: براهين الإيمان ومعجزاته ليلة ٢٥/ ٩/ ١٤٢١هـ، أن هذه المخطوطات وجدت سنة ١٩٤٥م، وأن نسخاً منها في الفاتيكان وألمانيا و(إسرائيل) وأمريكا. وقد بثت وكالات الأنباء خبراً يفيد العثور على نسخة من «رقاقة الملاك» من جلد طولها ١،٨ متر، كتبها الأسينيون قبل عشرين قرناً، ولم يصدق الخبير الأمريكي ستيفن بفان ما سمع إلا عندما أطلعه (الإسرائيليون) الثلاثة على قسم من الترجمة من النص الأصلي. واحتوت الرقاقة على ألف كلمة مكتوبة بالعبرية القديمة، ووصفها ستيفن بأنها «قنبلة لاهوتية موقوتة». انظر: صحيفة الشرق الأوسط، العدد: ٧٦٢٧، السبت ١٦/ ١٠/ ١٩٩٩م.

(٣) مقالات لاهوتية ٧/ ٨.

(٤) المصدر السابق ٧/ ٩.

جذرياً في موقف الكنيسة من خلاص غير المسيحيين فقال: إن الكنيسة الكاثوليكية ليست الطريق الوحيد للخلاص»[1].

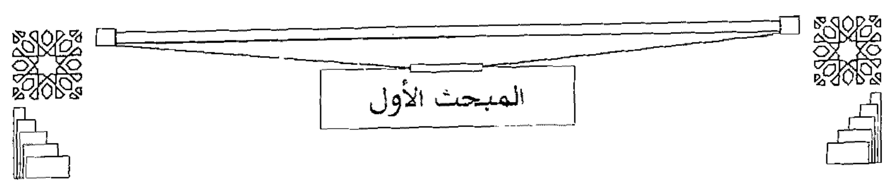
وإن كان من تعقيب على هذه النصوص النصرانية فبقول الحق تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وعلى الكنيسة أن تتبع القول بالفعل فتكف عن تنصير الناس وإخراجهم من دينهم تحت ضغط الفقر والبؤس والحروب، ولا سيما المسلمين، ولا أخالهم يفعلون.



(١) أفكار وآراء ١٠/١/١١٢.

الفصل السادس

الرد على النصارى
في أبرز التعاليم الكنسية



التشريع في النصرانية

من المعلوم لدى المطلعين على الملل والنحل أن لكل دين قواعد تتكون من: العقائد والشرائع والمعاملات، والأخلاق، ولكن الديانة النصرانية ـ كما يقول أربابها ـ هي دين عقيدة بلا شريعة، إذ أحالوا الشق الآخر من الدين إلى دين آخر مضاد ومعاند لدى النصرانية. وهو الدين الموسوي دين اليهود الذين صلبوا إلههم كما يزعمون. من العهد القديم، فهل التزمت النصرانية بالشريعة القديمة أم خالفتها وانحرفت عنها؟! وهذا ما يوضحه ويبينه هذا الفصل.

وقد سبق في التمهيد الإشارة إلى المصادر المعتمدة لدى النصارى وهي كتبهم المقدسة (العهدان، القديم والجديد) ورسائل أنبيائهم والمجامع العامة والخاصة وقرارات آباء الكنيسة.

وأثبت في الفصول الآنفة ـ بكلام أهل العلم من الأندلسيين الجهابذة ـ أن ما اخترعوه من الشركيات والبدع المهلكات، ونسبوها إلى عيسى عليه السلام ـ في كتبهم ورسائلهم ـ ما هي إلا أوهام وتلبيس من إبليس عدو الأنام، وذلك بالدليل القاطع والبرهان الساطع.

أما المجامع الكنسية فدورها خطير في تحريف الشريعة النصرانية، إذ اتخذت فيها القرارات التي ألغت شريعة رب السماوات، ومن ذلك على سبيل المثال الذي يتضح به القول والمقال:

تقرير ألوهية المسيح، في مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥م، تقرير الثالوث والأقانيم، في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م، إثبات أن مريم والدة الإله، والقول بالطبيعتين، في مجمع أفسيس الأول عام ٤٣١م، إثبات أن عيسى إله وإنسان، في مجمع خقدونية عام ٤٥١م، تقرير إثبات الطبيعة الواحدة

للمسيح، في مجمع القسطنطينية الثاني عام ٥٥٣م[١].

هذا في تقرير بعض العقائد في بعض المجامع أما الشرائع والفروع فحدث ولا حرج، حيث تثبت في مجمع وتنقض في آخر ويلعن أصحاب المجامع بعضهم بعضاً ويطردون بعضهم باللعنة[٢] من رحمة الله ﷻ وباعترافهم أنها كانت سبباً في تفريق الكنيسة.

هكذا بدأت سلطات آباء الكنيسة في تحريم الحلال وتحليل الحرام واعتبار أن الإرادة البابوية إرادة الله، إذ هو (الناطق الرسمي عن الله) في الأرض، يلعن من شاء، ويحرم من شاء من الجنة ويهبها لمن شاء، ولأضرب مثالاً اتخذ في أحد المجامع، بأمر البابا جريجوري السابع وكان من الأوامر البابوية:

أن البابا وحده يتمتع بسلطة عالمية مطلقة، على جميع الأمراء أن يقبلوا أقدام البابا طاعة له، أن لا يعلن في الكنائس إلا باسمه بل في جميع الأرض، أن للبابا وحده تعيين الأمراء والسلاطين، وسلطة تعيين الأساقفة وعزلهم، لا يجوز عقد أي مجمع ديني إلا بأمره، للبابا وحده محاكمة جميع الناس، لا يسأل البابا عما يفعل ولا يحاكم على تصرفاته[٣].

---

(١) انظر: المجامع المسيحية، ص١١٤ وما بعدها، محاضرات في النصرانية، ص١١٢، وما بعدها.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية حول هذا المعنى: «والنصارى لهم سبع مجامع مشهورة عندهم وهم في كل مجمع يلعنون طائفة منهم كبيرة ويكفرونهم، ويقولون عنهم إنهم كذبوا ببعض ما في تلك الكتب، ولم يوجبوا طاعة بعض أمرها وتلك الطائفة تشهد على الأخرى بأنها كذبت ببعض ما فيها، ثم فرقهم الثلاثة المشهورة النسطورية والملكية واليعقوبية كل طائفة تكفر الأخرى وتلعنها وتشهد عليها أنها مكذبة ببعض ما في النبوات غير موجبة لطاعة بعض ما فيها، بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة فزعم كل فريق منهم أن المسيح جاء بما هم عليه، والمسيح ﷺ وجميع الرسل بريئون من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وبريئون ممن يقول على الله غير الحق أو يقول على الله ما لا يعلم وبريئون من كل قول باطل يقال على الله ﷻ وإن كان قائله مخطئاً لم يتعمد الكذب، وفي مقالات النصارى من هذه الأنواع ما يطول وصفه وقد بسط في غير هذا الموضع» الجواب الصحيح ٢/ ٤١١، ٤١٢.

(٣) انظر: المجامع المسيحية، ص٣٥٤ ـ ٣٥٧ الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة، ص٢٥٢.

إلى غير ذلك من تحريم الزواج على الأساقفة، وطرد من يفعل ذلك ولعنه، وهي سلطات مطلقات لا تكون إلا لرب السماوات، والعجب أن كل أب من آبائهم يجدد أو ينقض شريعة من سبقه، وآخر ذلك ما وقع في زمن البابا يوحنا بولس الثاني، بابا الكنيسة الكاثوليكية اليوم، إذ برأ اليهود من دم المسيح في عام ١٩٩٤م، ونقض عقيدة اعتنقها النصارى ما يزيد على تسعمائة وألف من السنين!!، ولقد صدق رب العالمين إذ وصفهم بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وهذه في الجملة شريعتهم ومصادر تشريعهم، ولقد انبرى العلماء الأندلسيون في إثبات الشريعة الإلهية وتعرية الشريعة البابوية، وبيان تناقضها وتعارضها مع كتابهم المقدس أولاً ومع مقتضيات العقل والمنطق.

ابن حزم

وكلامه على الشريعة والتشريع في النصرانية:

يذهب ابن حزم يرحمه الله إلى أن واضع شريعة النصرانية المبدلة هم بضعة رجال: بولس ومرقس ولوقا وباطرة (بطرس) ومتى ويوحنا ويعقوب، وهؤلاء هم أكذب البرية وأخبثهم[1]، فهم المحرفون لشريعة المسيح بتحريفهم الأناجيل التي اعتمدت عليها النصارى . . ، ومن النقاط التي أثارها الإمام ابن حزم في شريعة النصارى:

١ ـ النسخ والتبديل في شريعتهم:

دلت النصوص الإنجيلية على تحريم النسخ في الشريعة النصرانية، وقد أورد ابن حزم نصين في ذلك:

الأول: قول المسيح لتلاميذه: «لا تحسبوا أني أتيت لنقض التوراة وكتب الأنبياء إنما أتيت لإتمامها آمين. أقول لكم إلى أن تبيد السماء والأرض لا

(١) انظر: الفصل ٢/ ١٢ ـ ١٥، ٨٩، ٩٠.

تبيد واحدة ولا حرف من التوراة، حتى يتم الجميع، فمن حلل عهداً من هذه العهود الصغيرة وحمل الناس على تحليله، فسيدعى في ملكوت السماوات صغيراً، ومن أتمه وحضر الناس على إتمامه فسيدعى في ملكوت السماوات عظيماً»[1].

الثاني: قوله: «ستحول السماوات والأرض ولا يحول كلامي»[2].

قال أبو محمد: وهذه النصوص تقتضي التأبيد وتمنع من النسخ جملة.

وما هي إلا أسطار يسيرة حتى ذكر متى أن المسيح قال لهم: قد قيل من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق. وأنا أقول لكم: من فارق امرأته إلا لزنا فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنا. ومن تزوج مطلقة فهو فاسق[3].

وهذا نقض لحكم التوراة الذي لم يذكر أنه لم يأت لنقضها بل لإتمامها[4].

وذكر ابن حزم أشياء من آكد شرائع التوراة نسخها بولس الملعون وغيره، مثل النهي عن الختان وإباحة الخنزير وكل حيوان حرمته التوراة وترك السبت، وهذا هدم لها عن آخرها.

٢ ـ التحليل والتحريم في شريعة النصرانية:

التحليل والتحريم حق الخالق وحده يوحيه على من اصطفاه من عباده. ولكن النصرانية جعلت هذا الحق لله، ثم جعلته للمسيح، ثم جعلته لبعض من سموهم بالحواريين، ثم جعلته لآباء الكنيسة وليس يضبطهم ضابط، ولهم في هذا خبط وتخليط.

من ذلك: أن المسيح وكل مفاتيح السماوات والأرض وبرأ إلى بطرس بها، فكل ما حرمه بطرس فهو حرام في السماوات والأرض وما حلله فهو

(١) انظر: متى الإصحاح ٥/١٧ ـ ٢٠ بألفاظ مقاربة.

(٢) انظر: متى الإصحاح ٥/١٨ بلفظ مقارب.

(٣) انظر: متى الإصحاح ١٩/٣ ـ ١٢.

(٤) انظر: الفصل ٢/٤٥.

حلال في السماوات ـ وقد سبق الكلام عليه في الفصل الأول من هذا الباب ـ ثم إن المسيح أشرك معه سائر الاثني عشر تلميذاً ومن جملتهم السارق الكافر المرتشي الذي دل على المسيح[١].

ثم نقض هذا في يوحنا[٢]، وأنه لا حكم له إنما لله الذي بعثه. فكيف يجمع بين هذا وهو قد برئ بالحكم كله إليه وللتلاميذ؟[٣].

ومن ذلك: ما حلله بولس الملعون في النهي عن الختان وإباحة أكل الخنزير وغيرها من التشريعات[٤].

٣ ـ نماذج من تحريف الشريعة النصرانية:

الزنا ولحم الخنزير محرمة في شريعة موسى وعيسى، أباحهما بولس وتبعته النصارى في ذلك كما مر آنفا.

الأعياد والسبت والفصح والختان والطلاق والصيام: إذ التزمها عيسى وتلامذته إلى أن ماتوا، وقد أخبر في الإنجيل أنه لم يأت لنقض التوراة، ثم نقضها بولس ومن معه، وهذا تناقض عظيم كيف يكون التحليل والتحريم وتغيير الشرع لهؤلاء، وما سمع بأطم من هذه الفضائح، فقد بدلوا الأعياد واتخذوا الأحد مكان السبت، وتركوا الختان وحرموا الطلاق، وأحدثوا صوماً آخر بعد أزيد من مئة عام من رفع المسيح[٥].

ومن ذلك: عبادة الصور في الكنائس والسجود لها، من صور التلاميذ والمسيح والملائكة يسجدون لها ويصومون لها تديناً وهذه عبادة الأوثان بلا شك[٦].

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٧٦، ٨٧.

(٢) انظر: يوحنا الإصحاح ٨/ ١٦ ـ ١٩.

(٣) انظر: الفصل ٢/ ١٨٩.

(٤) انظر: الفصل ٢/ ٤٥، ٤٦، ٢٠٢.

(٥) انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٦ ـ ٥٠، ١٧٨.

(٦) انظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٠٥.

والكلام على الشريعة والتشريع في النصرانية:

ما أحله وما حرمه المسيح:

في ضوء قول الباري تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ﴾ [آل عمران: ٥٠].

فسر الإمام أبو عبد الحق بن عطية أن عيسى جاء مصدقاً بالتوراة متبعاً عاملاً بما فيها، حيث كان يسبت ويستقبل بيت المقدس.

وعن قتادة: أن الذي جاء به ابن مريم ألين مما جاء به موسى، وقال ابن جريج: أحل لكم لحوم الإبل والشحوم، وقال الربيع: وأشياء من السمك، وما لا صيصية[1] له من الطير، وكانت في التوراة محرمات تركها شرع عيسى على حالها[2].

البدعة والابتداع في النصرانية:

في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ﴾ [الحديد: ٢٧].

الرأفة والرحمة في القلب لا تكسب للإنسان فيها و«ابتدعوها» صفة الرهبانية وحقها بأنها ابتدعت، وأما الرهبانية فهي أفعال بدن مع شيء في القلب، ففيها موضع التكسب.

وروي في ابتداعهم الرهبانية أنهم افترقوا ثلاث فرق ففرقتان قاتلت

---

(١) صيصية: «هي القرن، سميت بذلك لأن البقرة تتحصن بها وكل ما يحصن به فهو صيصية» الفائق، محمود بن عمر الزمخشري ٢/٢٣٢، تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل، دار المعرفة، ط. الثانية، لبنان، غريب الحديث، للقاسم بن سلام ٢/ ٨٤، لسان العرب ١٤/٤٧٤، ٤/٢٩١.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣/٩٨، ٩٩، و٣/٩٢، ٩٣.

الملوك على الدين وفرقة دعت إليه وقتلت، وفرقة خرجت إلى الفيافي وبنت الصوامع فتركت وهذا ابتداعهم، واختلف في قوله فما رعوها لمن يعود الضمير فقيل: إن الذين ابتدعوها لم يدوموا على ذلك، وقيل يعود للملوك الذين قاتلوهم وقيل غير ذلك(١).

أبو عبيدة الخزرجي

والكلام على الشريعة والتشريع في النصرانية:

تناول الخزرجي بعض قضايا الشريعة والتشريع في دين النصرانية، وهذا ملخص لما ذكره:

١ ـ من الذي وضع دين شريعة النصارى؟

ذهب الخزرجي إلى أن واضع دين النصرانية بتثليثها وصليبها هو القيصر ابن هيلانة، حيث كثر عدوه وكاد ملكه أن يذهب، فأراد أن يحملهم على شريعة يتألفهم بها فأشاروا عليه بأمة النصرانية، إذ تفرقوا واختلفت آراؤهم، وجمعهم عداء اليهود فأراد أن يوطد ملكه بجمعهم على أخذ الثأر والدم لإلههم المصلوب. فانقادوا لقسطنطين هذا انقياداً حسناً وشرع لهم ما شاء من الشرائع التي بأيديهم إلى اليوم(٢).

٢ ـ مكانة الأحبار والرهبان كالإله في شريعة النصرانية:

خاطب القسيس أبا عبيدة مؤكداً مكانتهم في شريعتهم قائلاً: «وقد جعل الله في أيدي المطارين ما لم يجعله في يد أحد، وذلك أن كل ما يفعلونه في الأرض يفعله في السماء: فإذا أذنبنا فهم الذين يقبلون التوبات، ويعفون عن السيئات، بأيديهم صلاح الأحياء والأموات»(٣).

وقد تقدم في الألوهية الرد على هذه الدعاوى الباطلة، ويكفي في

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ١٥/٤٢٨ ـ ٤٣٠.

(٢) انظر: مقامع الصلبان، ص١٧٠، ١٧١.

(٣) مقامع الصلبان، ص١٧٠، ١٧١.

تصورها بطلانها، واليقين بأنها من وضع بعض زنادقة البشر، نسأل الله أن يمن علينا بالهداية أيام الدهر. وهذا ما يعتقده النصارى إلى اليوم.

٣ ـ النسخ في شريعتهم:

مما عابه النصراني على المسلمين في شريعتهم أن النسخ مقدمة من مقدمات شريعتنا، وأن النسخ ممتنع عندهم في التوراة والإنجيل.

وقد أثبت الفتى الخزرجي النسخ في شريعتهم وفي كتبهم في التوراة والإنجيل، **فمن ذلك**: تحريم العمل في يوم السبت والحروب وغيرها من الأشغال، وهو أكبر فروض التوراة.

وقد ثبت في التوراة لهارون: في يوم السبت خروفان حوليان صحيحان، وعشران دقيق ملتوت بزيت تقدمه مع سكيبة[١].

وهذا عمل طويل، وشغل ممتد من ذبح وسلخ، وتفصيل وعجن بالزيت... إلخ.

وضرب مثالاً آخر: هو أمر يشوع بالحرب في جميع الأيام المتصلة وبتخفيفها يوم السبت[٢].

وقال: فاعتبر ففي التوراة الناسخ والمنسوخ أوضح من الصبح لذي عينين!!

وكيف جاز لكم أن تصرفوا الختان تغطيساً، والسبت أصلاً، وهما من فروض التوراة، ومن ذلك الطلاق ومخالفة التوراة فيه.

كيف جاز لكم أن تقولوا: إن شريعة الإنجيل غير ناسخة لما شرعته التوراة؟!

هذا تنكيس بالألفاظ، أن تسموا التبديل تتميماً[٣].

---

(١) انظر: سفر العدد، الإصحاح ٢٨/٩، والنص بأنها ستة أيام فقط.

(٢) انظر: يشوع: ٦/٢ ـ ٤.

(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص٢٦٥ ـ ٢٦٧، وللمزيد في بيان تبديل وتشريع رجال الدين النصارى انظر: الجواب الصحيح ١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١.

٤ ـ نماذج من تحريف الشريعة النصرانية:

وهو كثير في شريعتهم كالطلاق والصلاة والأعياد والختان والسبت ونحوها. ومما ناقشه الإمام الخزرجي غير ما سبق:

ـ الانتصار بعد الظلم:

يزعم النصارى أنهم أهل التسامح والعفو والصفح ويرمون غيرهم بالبطش والظلم، وهذا من قلب الحقائق وتزوير التاريخ والواقع... وقد زعم القسيس النصراني أن حكمهم أفضل من غيرهم وقال مخاطباً أبا عبيدة:

فالأول: الحكم التوراتي: من لطمك فالطمه[١].

والثاني: الحكم الإنجيلي: من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر[٢].

وأنت، ترى فضل هذا على الأول ثم لا تجد لهذين الحكمين ثالثاً[٣].

وقد عد الخزرجي هذا من تناقض شريعتهم ونقضها للتوراة التي زعموا أن المسيح لم يأت لينقضها بل ليتمها..

ثم أخبرني عن تفضيلك الحكم الإنجيلي على التوراتي، كيف أجزت ذلك وقد نسبت إلى الله أنه أبى أن يغفر لآدم حين أكل من الشجرة، ولم يزل غاضباً عليه حتى أنزل ابنه وذبحه من أجل ذنب غيره. فلو كان العفو بحكم شريعتك أفضل ما سبق الخالق إليه.

وهذا من التناقض في تفضيلك حكماً نسبت ضده إلى الله تعالى، ولا جرم أن العفو أفضل وإنما جادلتك بتناقض عقيدتك..

ثم أبان الخزرجي فضل حكم الإسلام على اليهودية والنصرانية في

---

(١) انظر: سفر اللاويين، الإصحاح ٢٤/١٩ ـ ٢٠ «كسر بكسر وعين بعين وسن بسن... ومن قتل إنسانا يقتل».

(٢) انظر: متى، الإصحاح ٥/٣٨ ـ ٣٩ بلفظ «لا تقاوموا الشر من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر».

(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص٧٨، ٧٩.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] وبقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وأوضح نقص ذينك الحكمين، إذ بعض الأحوال لا ينفع فيه إلا القصاص، وبعضها لا ينفع إلا العفو، جمع بينهما الإسلام ووضح أن الحكمين الآنفين ناقصان عما فيه صلاح العالم، جاءت الآيات القرآنية بخير الدارين[1].

الإمام القرطبي

والكلام على الشريعة والتشريع في النصرانية:

تكلم الإمام القرطبي على هذا ـ كغيره ممن تعرض للرد على النصارى واقتبس منهم ومن ردودهم ـ ومن جملة القضايا التي أوردها في الرد عليهم:

١ ـ كيف وضعت شريعة النصرانية؟

يذهب الإمام القرطبي إلى ما ذهب إليه الإمام الخزرجي من أن واضع الشريعة النصرانية في الأساس هو قسطنطين ملك الرومان في ذلك الزمان[2] وينقل كلام الخزرجي الآنف، وفيه الكفاية وبالله التوفيق.

٢ ـ الابتداع في الشريعة النصرانية:

ذكر القرطبي هنا ما ذكره ابن عطية آنفاً في تفسير الآيات من ابتداع الرهبانية وانقسامهم إلى أربع فرق كلها اختلفت وتقاتلت عدا واحدة وهي فرقة المؤمن الذي قوتل وفيهم أنزل الله: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، بالحجة وظهور محمد ﷺ[3].

٣ ـ التقليد عند النصارى:

ادعى القسيس في كتابه «تثليث الوحدانية» أن اليهودي والمجوسي

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص١٥٤، ١٥٥ و١٧١ ـ ١٨٣.

(٢) انظر: الإعلام ٢/ ٢٤٥.

(٣) انظر: الإعلام ٢/ ٢٤٤.

والمسلم وغيرهم كل نشأ على عقيدة باطلة يقلدها، ويطيب عندهم الخبر في مدح دينهم والدعوى أنهم مؤمنون وغيرهم كافر[١].

ورد القرطبي بأن هذه دعوى هم أبعد منها، وذكر خبر بعض حكماء الهند لما ذكرت له الأديان فاستنتج أنهم إنما أرادوا مضادة العقل ومناقضة البرهان، وقد سبق ذكرها في هذا الباب، فالنصارى أبعد الناس عن الدليل وأعظم من يقلد بلا هدى.

وأضاف القرطبي: بأن أمور الاعتقاد والإيمان لم يقنع فيها أحد من الفضلاء بالتقليد من غير برهان؛ ولأجل هذا حرّم الله علينا الركون إلى التقليد، وذم من عول في اعتقاده على اتباع الآباء والأجداد ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف: ٢٢ ـ ٢٤]، وذكر آيات التفكر والنظر في كتاب الله.

وكفى شرفاً بهذا الدين ودليلاً على صحته أنه حرم التقليد، وإني لا أشك في أنك لا تعرف حقيقة التقليد ولا أقسامه، ولا أحكامه، ولا في أي محل يجوز؟ ولا في أي محل يحرم؟ ولا من الذي يقلد؟ ولا من المقلد؟

واعتبر القرطبي أنهم أضل الناس في هذا الباب إذ عد تقليدهم لعقائدهم وشرائعهم من عمى التقليد والتبعية[٢].

٤ ـ نماذج من تحريف الشريعة النصرانية:

ذكر نصوصاً من الإنجيل تفيد أن عيسى لم يأت لنقض شرع من سبقه بل لإتمامه.

ثم ذكر نقض هذه الشريعه التي زعموا أن المسيح لم يأت لنقضها، **ومن ذلك:**

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/١٦٣، ١٦٤.

(٢) انظر: الإعلام ٢/١٦٩ ـ ١٧١.

الطلاق: من فارق امرأته فليكتب لها كتاب طلاق وأنا أقول: من فارق امرأته فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنا؟ ومن تزوج مطلقة فهو فاسق[١].

ومن ذلك: القصاص: فعند اليهود العين بالعين... إلخ.

وعند النصارى من لطمك على خدك الأيمن فانصب له الأيسر[٢]؟

وهذا تناقض ونقض للشريعة السابقة، وعيسى مبرأ من كل تناقض وفساد.

ومن ذلك: الختان: إذ نصت التوراة على الختان في اليوم السابع[٣] ـ وأورد نصاً يفيد وجوبه ـ، ثم ذكر القرطبي أنه وجد في كتبهم الفقهية تأويلاً للختان بأنه نقاوة القلوب وصفاء النية. ثم ذكر افتراءاتهم على الله من وجوه في هذه التأويلات. ثم عقب بفوائد الختان الشرعية والصحية من وجوه.

الصيام: من افترائهم على الله ما أحدثوه من الصيام، وذكر قول أعقلهم وأرشدهم حفص بن البر. والصيام في شريعة بني اسرائيل أربعون يوماً زادوها ثلاثة من تشريع بولس. وقد خلط حفص هذا وخبط فلم يجد ما يثبت به ما ابتدعوه من الصيام فإن قالوا: بولس عقلنا، قلنا لهم: هو الذي أفسد عليكم دينكم وشريعتكم وصرفكم عن القبلة وحلل لكم ما حرم عليكم.

ويدلك على ذلك أنه ما ذكر قول في شريعتهم إلا وجدته مناقضاً لما سبقه من أحكام[٤].

---

(١) انظر: متى الإصحاح ٥/٣١، وتصر الكنيسة المعاصرة على ذلك وتسميه وباء الطلاق، وتحرم تعدد الزوجات بشدة. انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٢٥٥ أفكار وآراء ١١/٢/١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٣) انظر: سفر اللاويين: ١٢/١ ـ ٤.

(٤) كذلك تعتقد الكنيسة المعاصرة وتسميه الصوم الأربعيني. انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٨٣، ويذكر الدكتور: محمود حماية أنواعاً عجيبة وغريبة من الصيام لم يسمع بمثلها في أنواعها وأجناسها. انظر: العبادات المسيحية، ص٧ ـ ٤٥، ط. الثانية، مصر.

الأعياد والمصانة: نقل القرطبي سبعة أعياد ـ مقدسة تجب على النصارى ـ من كلام حفص البر، خلاصتها وحاصلها سبعة أعياد: الأول يوم البشارة بميلاد المسيح، اليوم الثاني: ميلاد المسيح، الثالث: إذ ختن إلى ثمانية أيام، والرابع: إذ ظهر للمجوس يوم النجم، واليوم الخامس: يوم الفصح إذ قام عند القبر، السادس إذ تخطفته السحابة ورقى إلى السماء، والسابع: إذا نزل روح القدس للحواريين وتكلموا بجميع الألسن.

ناقشهم القرطبي بما ملخصه: نقول هل تعتقد أنه واجب بالشرع أم لا؟ فإن قالوا: ليس بواجب في الشرع، نقول لهم: لماذا تلتزمون شيئاً غير واجب وتلزمون ما ليس بلازم.

وإن قالوا بالشرع: نسألهم بأي شرع وجبت بشرع موسى أم بشرع عيسى؟ فإن قالوا: بشرع موسى.

قلنا: كذبتم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] وليس في التوراة شيء مما ذكروا، وكذا ليس في الإنجيل منها شيء، وإنما هو محض هوى وتحكم ونتج منه أنها ليست بفاضلة ولا مقدسة، إنما هي محض افتراء وكذب على شرع الله[(١)].

أبو العباس القرطبي

في شرحه صحيح مسلم رد على النصارى في تركهم الختان بلا دليل وقد نصت عليه كتبهم وقال: «وليس هذا بأول جهالاتهم، فكم لهم منها وكم؟ ويكفيك من ذلك أنهم زادوا على أنبيائهم في الفهم وغلطوهم فيما عملوا عليه، وقضوا به من الحكم» قال: «وقد أسبغنا القول في هذا في كتاب (الإعلام)»[(٢)].

ولله دره فقد كتبه في الموضع الآنف ووزنه وأثبته، وهذا ـ على الراجح ـ يفيد أن الإعلام كتابه والله تعالى أعلم وأكرم.

---

(١) انظر: الاعلام ٢/٢٢١ ـ ٢٢٦، ٤/٤٢٠ ـ ٢٢٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٦/١٨٣، كتاب النبوات، باب كونه مختاراً من خيار الناس.

والكلام على الشريعة والتشريع في النصرانية:

في قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

يعني من الأطعمة، قيل إن عيسى إنما حرم عليهم كما حرم عليهم بذنوبهم، ولم يكن في التوراة تحريم الشحوم وكل ذي ظفر، وقيل إنما أحل لهم أشياء حرمها عليهم الأحبار ولم تكن محرمة في التوراة.

والصحيح أنه أحل لهم أشياء حرمها عليهم موسى عليه السلام(١).

الابتداع في شريعة النصرانية:

في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

الرأفة والرحمة والشفقة لأنهم أمروا في الإنجيل بترك إيذاء الناس بخلاف اليهود قساة القلوب ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾؛ أي أعطاهم الله الرأفة والرحمة فابتدعوا وغيروا فيها، ذلك لأنهم حملوا أنفسهم على المشقات من الامتناع من الطعام والشراب والنكاح وتعلق بالكهوف، ذكره الماوردي.

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي ما فرضناها ولا كتبناها عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾، الاستثناء منقطع؛ أي: ما كتبناها عليهم ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾؛ أي: فما قاموا بها حق القيام، وقيل الاستثناء متصل؛ أي: كتبناها فما رعوها حق رعايتها والأول أصح(٢).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٤/٩٦، ٩٧.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٦٢ ـ ٢٦٥، أحكام القرآن ٤/١٨١ ـ ١٨٣، وانظر: كذلك التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٠٠، ١٠١. وتدعو الكنيسة المعاصرة إلى هذه المعاني الرهبانية، الفقر، الطاعة، اللباس.. إلخ من وجهة نظر كنسية. انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٤٣٢، ٤٣٦، ٣٨٥، ٤٣٣، ٣٨٨، ٤٣٤، ٤٣٦، كما دعت إلى الالتزام بالوصايا العشر: ١ ـ أنا هو الرب إلهك، لا يكن لك إله غيري، =

۞ تعقيب حول مبحث التشريع في النصرانية

تؤمن الكنيسة النصرانية المعاصرة بما آمنت به أسلافها، إذ تؤمن الكنيسة أن لرجال الدين وللكنيسة سلطاناً إلهياً، وأن لرجل الدين ذلك السلطان؛ لأنه فيض إلهي من المسيح بالروح القدس[١] كما منحتهم الكنيسة امتيازات ليست لغيرهم[٢]، وميزت درجاتهم وذلك بخضوع الرهبان ـ الأقل درجة ـ لسلطان القسيس بنص رسمي[٣].

ومن ذلك ما ذكرناه آنفاً ـ في باب النبوات ـ من منح العصمة لرجال الدين[٤]، ولذا تحرص الكنيسة كل الحرص في تمكين رجال الدين من الحرية الكاملة والاستقلال عن كل سلطة مدنية أو ضغط من الحكام، وكذا حرية الكنيسة من أية ضغوط[٥].

وبناء على المعطيات السابقة فإذا فسرت الكنيسة شيئاً فهو تفسير إلهي لا يرد؛ لأن المسيح يحضر الكنيسة. يقول المطران جورج خضر تحت عنوان: الكنيسة «ينبغي إطلاع الإسلام على طبيعة الكنيسة في ضوء الإنجيل المعاش والمفسر بواسطة المسيح، خير المفسرين، ليس في شخصه التاريخي، بل في حضوره المعاش، الدائم المتجدد في وحدة الجماعة»[٦].

أما الشريعة النصرانية فيجملها بعضهم «بعصبية واحدة، هي محبة الله ومحبة القريب»[٧]، فهي كما قالوا دوماً: دين عقيدة بلا شريعة، إذ هي محبة وعطف وروحانيات لا شأن لأمور الحياة الأخرى العامة بها.

= ٢ ـ لا تحلف باسم الله بالباطل ٣ ـ احفظ يوم الرب ٤ ـ أكرم أباك وأمك ٥ ـ لا تقتل ٦ ـ لا تزن ٧ ـ لا تسرق ٨ ـ لا تشهد بالزور ٩ ـ لا تشته امرأة قريبك ١٠ ـ لا تشته مقتنى غيرك. أوجزها المسيح بوصيتين: وصية محبة الله ومحبة القريب. انظر: أفكار وآراء ١٠/١/٧١، ١٨٢، ١٨٤.

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني، ص٥٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٣٢٠ ـ ٣٢٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٣٤٣.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٣٤٤، ٣٤٥.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص٣٣٢.

(٦) أفكار وآراء ١١/٢/٥٤.

(٧) الإسلام والغرب ٢/٥٢.

ويتحدث النصارى عن الفارق بين الشريعتين من هذا الباب فالشريعة الإسلامية شاملة للكون والحياة قائمة على حفظ الشريعة. أما النصرانية فقائمة على التبني لله أي تبني الله للبشر، وهذا فرق جوهري بين الديانتين في علاقة الله بالبشر، فالشريعة الإسلامية قائمة على الطاعة المطلقة لله، والنصرانية على نظام التبني لله، فكل ما يفعله كثير من البشر داخل تحت هذه البنوة(١).

وبما أن البون شاسع بين الشريعتين فالإسلامية شاملة للحياة وتختلف وتتناقض من النصرانية المقتصرة على الروحانيات. يدعو رجال الدين النصارى إلى إلغاء شريعة الإسلام والحكم بمبدأ العلمانية، حيث لا تناقض ديانتهم(٢) وها هم يفترون على نبي الله الكريم عيسى ابن مريم ويزعمون أنه رجل علماني؟! «ومن خصوصيتنا نحن المسيحيين أن مسيحنا هذا ما كان قط رجل دين، بل راعياً يقود حركة علمانية ويناهض المؤسسة الدينية اليهودية»(٣)، وفي تناقض الكنيسة الكبير بين القول والفعل، نجد الكنيسة النصرانية المعاصرة تشارك في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل تشارك في إنشاء دول وإسقاط أخرى.

وفي دستور الكنيسة المعاصرة ومرجعها لدى الأصاغر والأكابر: «المجمع الفاتيكاني الثاني»، يرى الناظر الفاحص أن الكنيسة لم تدع أمراً أو شأناً من شؤون الحياة الخاصة أو العامة، حتى الفن والأخلاق والإعلام، إلا ووجهته وجهة شرعية كنسية(٤).

وتناقض الكنيسة نفسها فتدعي أنها لا تريد التدخل في شؤون الإدارة

---

(١) انظر: أفكار وآراء ١٠/١/١٢٠، ١٢١.

(٢) انظر: المصدر السابق ١٠/١/٢٠، ٢١، ٣٠، ٢٠٧.

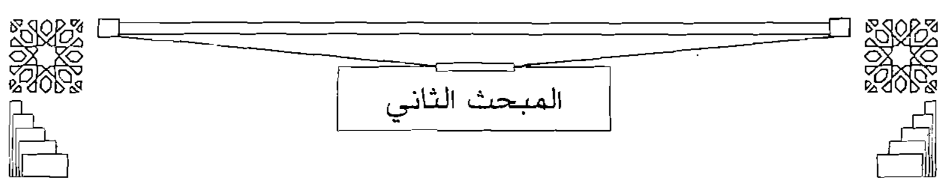
(٣) مقالات لاهوتية ٧/ ١٠٠.

(٤) انظر: المجمع الفاتيكاني، ص١٠، ٢٧٧، ٢٩٠، ٣١٠، ٣٧٥، ٤٤٩، ٤٨٥، ٥٩٣، والعدل في المسيحية والإسلام ١/١/٧٧.

المدنية الأرضية[1]، كما حاول بعض النصارى أن يربط الصلة بين شؤون الحياة والدين النصراني، وأن يفند مفاهيم الناس من القطيعة العامة بينها وبين الحياة على ضوء نص «ردّوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله»[2]، وحاول تأويل النص وأنه لا يعني بالضرورة إقصاء الدين[3]، وهذا من أعجب ما يكون، إذ باعترافهم أن الدين النصراني ليس ديناً حياتياً بل دين روحي، يقول المسيح: «إن مملكتي ليست من هذا العالم»[4]، فلا يعني الكنيسة التدخل في الأمور الدنيوية، ولذا دعت النصرانية إلى العلمانية وتخوفت من تطبيق الشريعة الإسلامية[5]، وصارت هاجساً لكثير من الحكومات والشعوب ـ النصرانية على وجه الخصوص ـ.



(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٢٤٨، ٥٠٢.
(٢) إنجيل مرقس ١٢/١٧.
(٣) انظر: مقالات لاهوتية ٧/٥٦ ـ ٦١.
(٤) إنجيل يوحنا ١٨/٣٦.
(٥) انظر: أفكار وآراء ١٠/١/١٧٠.



المبحث الثاني

الكنيسة طقوسها وأسرارها

الكنيسة: معناها في قاموس كتابهم المقدس: اسم سرياني معناه: مجمع.

والكلمة اليونانية في العهد الجديد تعني: مجمع المواطنين في بلاد اليونان التي كانت الحكومة تدعوهم للتشريع أو لأمور أخرى. وقد استعمل الكتاب الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين الذين يعترفون أن يسوع هو رأسهم الأعلى، ويجتمعون للعبادة في أوقات معينة. ولما تكاثر أتباع المسيح في مدن عدة، بدأوا استعمال كنائس بصيغة الجمع للدلالة عليهم، وكانت الجماعة الواحدة في كل بلد تدعى كنيسة.

وتستعمل لفظة كنيسة الآن: للتمييز بين طائفة وأخرى من الطوائف المسيحية إلا أنها لم ترد أصلاً بهذا المعنى في الكتاب المقدس[١]. «والكنيسة هي الحظيرة التي إنما المسيح بابها الذي لا باب سواه ولا بد منه، وهي القطيع الذي أعلن الله من قبل أن سيكون هو راعيه»[٢]، «وكثيراً ما تنعت الكنيسة بأنها بناء الله «وسميت الكنيسة أيضاً «أورشليم العليا»»[٣] وهي شعب الله[٤]، وهي مسكن الله..، «وهي بخاصة الهيكل المقدس الممثل بالمعابد من مجاره»[٥].

إذاً الكنيسة تطلق على الطائفة التي تتبع عقيدة خاصة بها، وتسمي أتباعها بأتباع الكنيسة الكاثوليكية أو الأرثوذكسية وهكذا. كما أنه يطلق أيضاً

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٧٨٨، ٧٨٩.

(٢) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٣٦.

(٣) المصدر السابق، ٣٧.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٤٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٧.

على مكان الاجتماع الذي تؤدى فيه العبادات النصرانية، فالكنيسة هي المعبد المعد للاجتماع للعبادات.

أما أتباع الكنيسة فهم شعب الله الذي ما فتئت الكنيسة تنعتهم بأنهم صنف من البهائم العجماء، فهم: القطيع والله يرعاه[١]، وأن رجل الدين يرعى نعاجه وخرافه باسم الرب، وأنها أسرة نعاج كاملة وأنها قطيع الرب[٢].

وكثيراً ما يردد المجمع الفاتيكاني الثاني هذه الألفاظ الراعي والنعاج. فهل يقر هذا عاقل أن يتحول المؤمنون إلى بهائم ونعاج وخرفان عجماء، والله تعالى كرمهم بالآدمية والإنسانية وفضلهم على سائر الخلق؟.

ولما تكلم العلماء الأندلسيون على عقائد وشرائع النصارى لم يغفلوا ما يدور في كواليس الكنيسة من طقوس وأسرار فرضتها رجال الدين على الأتباع وأمرتهم أن يعتنقوها دون سؤال أو استفسار، كما فعلوا في أمر العقائد وممن تكلم على طقوس الكنيسة وأسرارها:

أبو محمد بن حزم

في سياق مناقشاته لعقائد وشرائع النصارى أورد ابن حزم فصلاً من طقوس الكنيسة واعتبره وسواساً ولم يسمه وإنما أورده على علاته، ثم نقده، وهو ما تسميه النصرانية اليوم:

العشاء الرباني:

أورد نصاً في إنجيل يوحنا، وذكر أنه أورد كلاماً كثيراً لا يعقل من جملته أنه قال لهم: «آمين أقول لكم لئن لم تأكلوا لحم الإنسان وتشربوا دمه، لن تنالوا الحياة الدائمة فيكم، فمن أكل لحمي وشرب دمي ينال الحياة الدائمة، وأنا أقيمه يوم القيامة، فلحمي هو طعم صادق، ودمي شراب صادق، فمن أكل لحمي وشرب دمي كان فيَّ وكنت فيه».

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٣٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٦.

ثم ذكر يوحنا أنه قال جماعة من التلاميذ: هذا الكلام شاق، ومن أجل ذلك ارتد جماعة من التلاميذ، وذهبوا عنه[1].

قال أبو محمد: وهذا الكلام وسواس صحيح لا يقوله إلا مختلط، وقد أعاذ الله نبيه منه[2].

قلت: وقد أدى هذا القول وما شابهه من أقوالهم المضادة للعقول بارتداد كثير من النصارى عن دينهم لا سيما في عصرنا هذا، منذ الثورة الفرنسية، مروراً بالماركسية والوجودية والفرويدية، وانتهاءً بعبدة الشيطان.

وليس فقط ما ذكره يوحنا من ارتداد التلاميذ الذين ذهبوا عنه لمصادمته لبدهيات العقول. ومع ذلك يشدد ـ الأب المعاصر ـ الأرشيد ياكون حبيب جرجس أن هذا العشاء هو دم المسيح ولحمه على الحقيقة لا المجاز وأنهم يأكلون لحم المسيح ويشربون دمه؛ لأنه حاضر حضوراً فعلياً[3] نعوذ بالله من ارتكاس العقول.

أبو الوليد الباجي

أما أبو الوليد الباجي وكلامه عن طقوس الكنيسة وأسرارها:

فقد أورد كلام النصراني في رسالته إذ صرح القسيس أن دين النصرانية مما يعجز عنه إدراك الإنسان، واعتبر أن هذا من أسرارها الخالدة[4].

وقد أطال الباجي ونقد عقائدهم المناقضة للعقول التي زعم القسيس

---

(١) انظر: يوحنا الإصحاح ٦/ ٤١ ـ ٦٧، في ست وعشرين فقرة مطولة، وإذا تأملها القارئ في كتابهم يجزم قطعاً بأنه هذيان واختلاط كما ذكر ابن حزم، وقد مُثِّل هذا الهذيان في الشريط المصور الآنف الذكر بمناسبة الألفية الثالثة للنصرانية.

(٢) انظر: الفصل ٢/ ١٨٣.

(٣) انظر: أسرار الكنيسة السبعة، ص٦٥، الأرشيد ياكون جرجس، مكتبة المحبة، الطبعة السادسة.

(٤) انظر: رسالة الراهب في رد أبي الوليد الباجي عليها، ص٥٢ وما بعدها. وهكذا يعتقد النصارى المعاصرون أن دين الإسلام دين مبسط لا غموض ولا فلسفة فيه، أما دينهم فهو دين الأسرار والعقائد اللامعقولة، ويعدون هذا مما يميز دينهم!!

عجز العقول عن إدراكها، وقد سبق الكلام على ذلك في باب التثليث والصلب والألوهية. ثم عقد الباجي مقارنة بين الشريعتين وأبان فضل شريعة الإسلام على شريعة الطلاسم والأوهام.

ابن عطية

والكلام على طقوس وأسرار الكنيسة:

أكل أموال الناس بالباطل[1]:

من أهم طقوس الكنيسة التي عليها يعتمد رجالها ليرفعوا هاماتهم الخسيسة ما يصادرونه ويأكلونه من أموال البسطاء من الناس، حتى لقد صارت الكنيسة في زمن الإقطاع الأوروبي المظلم من أعظم الملّاك الإقطاعيين الذين يملكون ما لا تملكه الملوك والأمراء. وهذا ما أنزله ربنا ﷻ على سيد الأنبياء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

المراد بالآية ذكر نقائص المذكورين ونهي المؤمنين عن فعلهم، وذلك بأنهم يأخذون من أموال أتباعهم ضرائب وفروضاً باسم الكنائس والبيع وغير ذلك مما يوهمونهم النفقة فيه من الشرع والتزلف إلى الله، وهم خلاف ذلك يجمعون تلك الأموال لهم باسم حماية الدين، وقيل كانوا يرتشون في أحكامهم. ويصدون بالباطل عن سبيل الله؛ أي عن سبيل الله في الإيمان بمحمد ﷺ والإسلام، وقيل يصدون عن سبيل الله في أكلهم الأموال بالباطل، والأول أرجح[2].

---

(١) يقول ابن حزم: «فتأمل أساقفة النصارى وقسيسيهم وحثالتهم، تجدهم جملة أفسق الخلق، وأرياهم وأجمعهم للمال، لا سبيل أن تجد منهم واحداً بخلاف هذا...» الفصل ١/٢٠٧، ويتحدث ابن برجان في كلام نفيس حول هذا المعنى عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ انظر: تفسير ابن برجان، ورقة: ٢٠٥، وسيأتي مزيد بيان فسادهم السلوكي والأخلاقي وبالله الهداية والرشاد.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٨/١٦٩ ـ ١٧١.

والكلام على طقوس الكنيسة وأسرارها:

وقد جعل هذا تحت فصل عنوانه: شعائر الدين النصراني وطقوسه.

ومما ذكره **من ذلك:**

التعميد[1]: وذكر إطباق النصارى على هذا الطقس، وذلك أن من أراد أن يدخل في دينهم أو يتوب تمنعه الأقسة من اللحم والخمر أياماً، ثم يلقفونه عقيدتهم، ثم يغمر في الماء ثلاث مرات، ثم يدعو له الأسقف بالبركة. وهذا فعلهم قديماً في الأندلس أما اليوم فلعله اختلف فعلهم.

ثم يبيّن ويضيف: وتأويل هذه الغطسات: مكث المسيح ثلاثة أيام في القبر ثم خروجه، وكذلك يفعل به ثم يخرج من الماء.

نقل هذا عن أسقف من أساقفتهم في رسالة أرسلها إلى آخر ومنهم من تأول الغطسات الثلاث: أنه التثليث الذي يعتقدون.

وناقشهم القرطبي بأن هذا من خصائص يحيى عليه السلام والحواريين الذين هم أنبياء عندكم، فكيف أخذتم هذه الخصيصة وادعيتموها. ثم يقال: لعل يحيى والحواريين إنما عمدوا الناس لأن ماءهم كان مقدساً ودعاءهم متقبلاً ولستم كذلك.

ثم يقال لهم: هذا الماء الذي تعمدون فيه أهو مقدس أم غير مقدس؟ فإن قالوا: مقدس قلنا: من قدسه؟، فإن قالوا: إن الله قدسه. قلنا: فمن أين علمتم ذلك. وعورض بنقيضه، أن الله نجّسَهْ.

وإن قالوا: نحن قدسناه، قلنا من أنتم حتى تقدسوا شيئاً. بل أنتم مذنبون زائدون في الذنوب ثم ناقشهم في مسألة تعميد يحيى لعيسى؟ وما الفائدة منه؟

---

(١) تكلم الإمام ابن برجان عن طقوس التعميد والختان في شريعة اليهود والنصارى، وما ابتدعوه من التعميد حتى يتهود المرء أو يتنصر، وأن ذلك مخالف لشرع الله، عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨]. انظر: تفسير ابن برجان، ورقة: ٦٥.

وهل كان عيسى مذنباً أو نجساً قبل التعميد؟ في كلام حسن لا مخرج لهم منه.

مسألة: في غفران الأساقفة والقسيسين الذنوب، واختراعهم الكفارة للعاصين وهذا من القوانين التي وضعها القسس، وقد قسموا الذنوب إلى ما يغفر وإلى ما لا يغفر. فمن غفر له قُبِل، ومن لم يغفر له طردوه وهولوا عليه سنين طويلة وربما عاد إلى الكنيسة بمال أو نحو ذلك.

ثم ضرب القرطبي أمثلة لمن لا تغفر القسس له:

المثال الأول: العابثون بالصبيان: لا يغفرون لهم بوجه ولا يعطى قرباناً في حياته ولا بعد موته، وإن كان قسيساً يبعد إبعاداً شديداً، وإن كان مذهبهم من غيرهم ينكل به ويجلد مئة سوط، وهذا قانونهم الأول أما الآن فلا ندري ماذا أحدثوا؟[1].

مثال ثان: نكاح القرابات: وهو محرم بنص التوراة، ومن فعل ذلك رتبوا عليه عقوبات كالحرمان ومنع القربان إلى غير ذلك.

مثال آخر: الذي يأتي البهيمة إن كان له زوجة لم يعط القربان إلا بعد ثلاثين سنة... إلخ.

مثال ما يغرمون فيه الأموال:

الزواج من غير بركة القسيس مئه دينار ويضرب الزوجان مئة سوط وضرب أمثلة: كقاتل عبده، عمداً وغير عمد. وقال: وعلى الجملة فهذياناتهم وتحكماتهم أكثر من أن تحصى، ومن اطلع على كتب فقههم رأى فيها عجائب وغرائب. ثم ناقشهم في مسألة غفران الذنوب والحرمان وغيرها.

قال: إنما ننكر عليهم: أن يجعلوا أنفسهم شارعين، وينزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين.

---

(١) هذا في زمن القرطبي، وكيف لو رأى الكنائس كيف انجرفت وانحرفت الانحراف الكبير عن منهج الأنبياء، وفي أي هوة سحيقة هوت إذ أباحت الشذوذ الجنسي، وغدت تزوج الرجال ببعضهم داخل أروقتها. وهذا لعمرو الحق عار على أهل أي دين.

مسألة: في قربانهم:

وهذا الذي تسميه النصارى في عصرنا (العشاء الرباني) وقد سماه الإمام القرطبي بما يسمونه في زمنهم وذلك أن القربان في شريعة التوراة من العجول والجزر والخرفان، ثم حرفته النصارى إلى الخمر والخبز، مغيرين لشريعة التوراة لا كما زعموه وعيسى لم ينقض ذلك، بل عدلوا منها بأهوائهم وعقولهم.

ثم ذكر نصوصاً تبيّن أن المسيح جاء لإقرارها وأن ما تأولوه من النصوص أنه الخبز النازل من السماء، إلا أنه بمنزلة الخبز الذي يتغذى به؛ لأنه غذاء للأرواح. أو غير ذلك مما يسوغه التأويل فثبت أن دينهم من فعل القسيسين المغيرين للدين المحرفين لكتاب رب العالمين[1].

ابن عبدون[2]

وكلامه على أسرار الكنيسة وفسادها:

وهو العالم الأندلسي المحتسب الذي له اليد الطولى في الحسبة وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيتكلم على أسرار الكنيسة من جهة أخرى، من جهة ما فيها من فساد أخلاقي، وهو سر يكتمه القسس، ويظهرون خلافه للنصارى حتى لا ينفضوا من حولهم ويلحقوا بالمسلمين. ولله دره فلقد علم من أحوالهم ما لم يعلمه غيره، يقول:

«يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المشنوعة[3]؛ فإن القسيسين فسقة زناة، لَوَطَة.

ويقول مضيفاً فتواه: يجب أن تمنع الإفرنجيات من الدخول في الكنيسة،

---

(١) انظر: الإعلام ٤/٤٠٢ ـ ٤٠٩، ٤٢٠ ـ ٤٢٩.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) المشنوعة: شنع بمعنى: القبيح أو المهيأ، والمشنوع: المشهور. انظر: لسان العرب لابن منظور ١٨٦/٨، ١٨٧ مادة شنع.

إلا في يوم فضل أو عيد، فإنهم يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين، وما منهم واحد إلا وعنده منهن اثنتان أو أكثر، يبيت معهن، وقد صار هذا عرفاً عندهم؛ لأنهم حرموا الحلال واستحلوا الحرام[1]، يجب أن يؤمر القسيسون بالزواج كما في ديار المشرق.

ويقول: يجب أن لا يترك في دار القسيس امرأة ولا عجوز، ولا غيرها، إن تأبّى الزواج»[2].

---

(١) من أجل هذا فقدت الكنائس زبائنها من المترددين عليها في العالم، وأكدت دراسات أن المترددين في أمريكا على الكنائس عام ١٩٦٣م هبط من ٧١٪ إلى ٥٠٪ في العام الذي يليه. وهذا يعني اتجاه الناس للإلحاد وترك الأديان؛ بسبب خرافات الكنيسة وفضائحها العقلية والأخلاقية!!

أما فضائح الكنائس والأديرة فهو أكثر من أن يحصر، وقد استقصى صاحب كتاب «فضائح الكنائس» نماذج كثيرة من فضائح القسس كالاعتداء على النساء من الفتيات الصغيرات والاعتداء على الأطفال وسقوط القسس في الشذوذ الجنسي. . . إلخ، وفي إحصائية لأحد القسس الذي هو عالم اجتماع ويسمى «ريتشارد سيب» بالولايات المتحدة. أفادت دراسة التي أجراها على رجال الكنيسة بأن ٢٠٪ من ٧٥ ألف كاهن كاثوليكي، ئمصابون بالشذوذ الجنسي؟! وأنهم يزدادون كل يوم باضطراد، ويقدرها بعض الدارسين بـ ٤٠٪ بينما أظهرت دراسات عن النظام الكهنوتي الإكليروسي تفيد بأن النسبة تفوق ٥٠٪ في بعض مناطق الولايات المتحدة.

كما ذكر المؤلف بعض التائبين الذين تركوا الكنيسة لشذوذها وفسادها، وأوضح بالبراهين إباحة القسس للشذوذ وتبنى الكنيسة له وتزويجها للرجال الشاذين مع بعضهم وكذلك للنساء الشاذات.

انظر: كتاب فضائح الكنائس والبابوات والقسس والرهبان والراهبات، لمصطفى فوزي غزال، ص١٠٠ ـ ١٢٠، توزيع دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط. الثالثة.

(٢) انظر: رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص٤٨، ٤٩ ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، اعتنى به الأستاذ: ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ص٤٨، ٤٩، عام ١٩٥٥م. ويقول الأستاذ: جوزيف ماك كيب عن الطغيان الكنسي الكبير ذلك العصر: «كان ذلك العهد أشد سواداً وظلمة وانحطاطاً من سائر عصور البابوية، ومن ذلك الزمن أطلق الأساقفة القسيسون والرهبان والراهبات، الأعنة في الدعارة والشهوات البهيمية، ولم يكونوا في ذلك الزمان يتسترون حتى بجلباب النفاق». مدنية المسلمين في إسبانيا ـ جوزيف ماك كيب ص٢٩، =

وصف الشعراء والأدباء الأندلسيين لما يدور داخل الكنائس من طقوس وفضائح وأسرار:

وهو شيء كثير، الغرق أهون من إحصائه وقد يفوت العمر باستقصائه، ولكن هذه إشارات لما أدركه الناس في ذلك الزمن المتقدم لما هم عليه من فساد اعتقاد وانحلال أخلاق.

ابن دارج القسطلي[1]

يصف ابن دارج الكنيسة التي يحج إليها النصارى في غرب أوروبا وهي كنيسة القديس يعقوب (شانت ياقب) في المدينة المسماة باسمه، ويزعمون أنه أحد حواريي المسيح في شمال الأندلس في منطقة وعرة تحيطها الجبال المرتفعة[2].

يصف ابن دارج مكانة هذه الكنيسة المقدسة لديهم وحجهم من أبعد البلاد إليها وانكسارهم عند قبرها وبذلهم الأموال فيها، يستوي في ذلك الملوك والساقة:

مما اصطفت عبد الطاغوت واعتقدت	وشيد الكفر من الآلاف من حِقَبِهِ
عمود شركهم السامي ذوائبه	والروم الحبش والإفرنج من طنبه
تحجه فرق الكفار سائلةً	كالجو أظلم فيه ملتقى شُحُبِهِ
مستودع في شعاب الأرض حيث نأى	شم الجبال ولج البحر من حجبه

= ترجمة: د. محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف ط. الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(١) ابن دارج: أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص بن أحمد بن سليمان بن عيسى بن دارج الأندلسي القسطلي، الشاعر الكاتب الأديب العلامة، الذي قال فيه ابن حزم: «لو لم يكن لنا من فحول الشعراء إلا ابن دارج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي»، كان من كتاب الأندلس، وله نظم شهير بديع فيه الرائية التي عارض بها أبا نواس. توفي سنة ٤٢١هـ. انظر: شذرات الذهب ٢/٢١٧ سير أعلام النبلاء ١٧/٣٥١ وفيات الأعيان ٢/١٠٣.

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي، ص٣٠٦.

وكل مهد إلى أركان بيعته ... ما عز من نفسه فيها ومن نشبه
قد طالما أحفت الأملاك أرجلها ... فيه وخرت على الأذقان من رهبه[1]

ابن شهيد[2]

وهو من الأدباء العظام والشعراء أولي الأفهام، وهو ممن عني بوصف الأجواء الداخلية للكنائس وما يدور فيها من منكرات وحفلات حيث «بات ليلة بإحدى كنائس قرطبة وقد فرشت بأضغاث آس[3]، وعرشت بسرور استئناس، وقرع النواقيس يبهج سمعه، وبرقه الحميا يسرج لمعه، والقس قد برز في عبدة المسيح، متوشحاً بالزنانير أبدع توشيح، وأطرحوا النعم كل اطراح:

لا يعمدون إلى ماء بآنية ... إلا اغترافا من الغدران بالراح

وأقام بينهم يعملها حميا، كأنما يرشف من كأسها شفة لميا، وهي تنفح له بأطيب عرف، كلما رشفها أعذب رشف. ثم ارتجل بعد ما ارتحل فقال:

ولرب حانٍ قد شممت بديره ... خمر الصبا مزجت بصرف عصيره
في فتية جعلوا السرور شعارهم ... متصاغرين تخشعاً لكبيره
يهدي لنا الراح كل معصفر ... كالخشف[4] خفّره التماح خفيره
والى عليّ بطرفه وبكفه ... فأمال من رأسي لعبّ كبيره
والقس مما شاء طول مقامنا ... يدعو لعود حولنا بزبوره

---

(١) انظر: ديوان ابن دراج القسطلي تحقيق: د. محمود علي مكي، ص٤٤١، ٤٤٢، المكتب الإسلامي دمشق ط. الأولى، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، ياقوتة الأندلس، د. حسن الوراكلي، ص١٣٦، دار الغرب الإسلامي، ط. ١٩٩٤م.

(٢) هو الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي القرطبي، الشاعر حامل لواء البلاغة والشعر بالأندلس، قال ابن حزم: توفي في جمادى الأولى، وصلى عليه أبو الحزم بن جهور ولم يخلف له نظيراً في الشعر والبلاغة، وكان سمحاً جواداً عاش بضعاً وأربعين سنة. انظر: شذرات الذهب ٢/ ٢٣٠، مطمح الأنفس، ص١٨٩، التكملة ٣/ ٦٧.

(٣) آس: الآس: البلح، وضرب من الرياحين. لسان العرب ٦/ ١٨.

(٤) الخشف: ولد الظبية. المغرب في ترتيب المعرب ١/ ٢٥٥، المصباح المنير ٢/ ٤٤٧.

وترنـم الـناقـوس عـنـد صلاتـهـم ففتحت من عيني لرجع هديره
يتنـاول الـضـرفـاء فيه وشربـهـم لـسلافه والأكـل من خنزيـره[1]

وأشبهه في هذا الوصف شاعر آخر يسمى ابن الحداد، حيث يصف ما بداخل كنيسة في بلدته في حفل عيد يصف فيه وقوف القس بالمصباح وحوله صبايا حسناوات وفتيات جميلات، يأكلهن بنظراته الشهية، ويصف صوت الألحان والأنغام في أبيات[2].

أبو زكريا بن هذيل[3]

أما أبو زكريا بن هذيل: فيصف حاله ومن معه وهم شر عصابة ما رأوه وما وقع لهم من المنكرات المهلكات في الكنيسة وما تندروا به على باطل القسيس فيقول:

طرقنا ديور القوم وهنا وتغليسا وقد شرّفوا الناسوت إذ عبدوا عيسى
وقد رفعوا الإنجيل فوق رؤوسهم وقد قدسوا الروح المقدس تقديسا
فما استيقظوا إلا لصكه بابهم فـأدهـش رهـبـانـاً وروع قـسـيـسـا
وقام بها البطريق يسعى ملبياً وقد ليّن الناقوس رفقاً وتأنيسا
فـقـلـنـا لـه آمـنـا فـإنـا عـصـابـة أتينا لتثليث وإن شئت تسديسا
ومـا قـصـدنـا إلا الـكـؤوس وإنـمـا لحنّا له في القول خبثاً وتدليسا

---

(١) انظر: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، لأبي نصر الفتح ابن خاقان، ص١٩٤، ١٩٥، تحقيق: محمد على شوابكه، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق: يعقوب زكي، ص١١٥، ١١٦، مراجعة: د. محمود علي مكي، دار الكاتب العربي للطباعة القاهرة، نفح الطيب ١/ ٥٢٥.

(٢) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق١/ج ١/ ٧٠٥، ٧٠٦.

(٣) هو يحي بن أحمد بن إبراهيم بن هذيل التجيبي الغرناطي، أبو زكريا الإمام فيلسوف الأندلس، قرأ العربية والأدب والطب والأصول، والهندسة والعلوم العقلية والهيئة، مع الأدب وامتاع المؤانسة والمحاضرة وعموم الفائدة. وكان مؤثراً للخمول، وله مصنفات في الطب توفي سنة ٧٥٣هـ. انظر: الدرر الكامنة ٦/ ١٧٩ نفح الطيب ٥/ ١٨، ٤٨٨ البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني ٢/ ١٩١، دار المعرفة، بيروت.

ففتحت الأبواب بالرحب منهم	وعرس[1] طلاب المدامة تعريسا
فلما رأى زقي[2] ومزهري	دعاني أتأنيسا لحنت وتلبيسا
وقام إلى دنٍ[3] يفض ختامه	فكبّس أجرام الغياهب تكبيسا
وطاف بها رطب الجنان مزنرٌ[4]	فأبصرت عبداً صير الحر مرؤوسا

ثم يصف بعد هذا البيت أنواعاً من الفسق والمجون داخل الكنيسة التي زعم النصارى أن من لم يدخلها مؤمناً بها فهو مغبون، ونختم ببيت له يبين أنهم شر عصابة عصت ربها:

فبتنا يرانا الله شر عصابة	نطيع بعصيان الشريعة إبليسا[5]

---

(١) عرس: يقال عرّس وأعرس إذا نزل في آخر الليل، ومنه الإعراس بالمرأة. الفائق ٢/ ٤٠٩، غريب ألفاظ التنبيه ١/٢٥٨.

(٢) زقي: الزق السقاء. والزق من الأهب: كل وعاء اتخذ للشرب ونحوه. انظر: لسان العرب ١٠/١٤٣، العين ٥/ ١٣.

(٣) دن: الدن ما عظم من الرواقيد، كهيئة الحب إلا أنه طويل مستوى الصنعة في أسفله كهيئة قوس البيضة. انظر: العين ٨/ ٩، لسان العرب ٣/ ١٨٣.

(٤) مزنر: الزنارة ما على وسط المجوسي والنصراني، وفي التهذيب ما يلبسه الذمي يشده على وسطه. لسان العرب ٤/ ٣٣٠، العين ٧/ ٣٩٥.

(٥) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ٤/٣٩٩، ٤٠٠.

وللمزيد في هذا انظر: الذخيرة ق١/ج ١/٦٨١، ٧٠٥، ٧٠٦، ومن المقامات فيه في كتاب ياقوتة الأندلس ص١٤١ ـ ١٤٣، والمقامات اللزومية بتحقيق: الدكتور حسن الواركلي، ص٥٨ دار الغرب الإسلامي، ط. ١٩٩٤م. وقد قال بعض الشعراء في وصف هذا الخبث والدنس الكنسي:

وَألْوَط من راهب يدعي	بأن النساء عليه حرام
يحرم بيضاء ممكورة	ويغنيه في البضع منها غلام
إذا مشى غض من طرفه	وفي الليل منه عرام
ودير العذارى فضوح لهن	وعند اللصوص حديث تمام

ويقول جحظة البرمكي فاضحاً قساً من هؤلاء الفسقة الذين عاندوا الفطرة واتبعوا خطوات الشيطان وحرموا على أنفسهم ما أباحه خالق الأكوان:

إن بالحيرة قساً قد مجن	فتن الرهبان فيها وافتتن
الإنجيل حباً للصبا	ورأى الدنيا مجوناً وافتتن =

إلى غير ذلك من المقامات والأبيات التي تصف بعض ما بداخل الكنائس والأديرة من زيغ وانحراف سلوكي، وليس هذا من خيالهم وأوهامهم بل شاهدوه عياناً وتبينوه تبياناً.

التَرجمان

وكلامه على طقوس الكنيسة وأسرارها:

وهو ممن فضح أسرارهم وهتك أستارهم إذ كان واحداً من أحبارهم قبل إسلامه وإيمانه، حيث أفرد لها باباً وأنشأ لها خطاباً، حتى جعلها يباباً.

ومما ذكره من قواعدهم الكنسية التي تعتمدها الملة النصرانية، خمس قواعد شيطانية هي:

التغطيس، التثليث، اعتقاد التحام اقنوم الابن في بطن مريم، القربان، الإقرار بجميع الذنوب للقسيس.

وبعض هذه القواعد الكنسية سبق الكلام عليها تفصيلاً في هذا الباب كالتثليث والأقانيم المتفرعة واعتباره من الأسرار التي لا يسأل عنها، بل يجب الإيمان بها والتسليم لها دون سؤال، وبقي الكلام هنا على التغطيس والقربان والإقرار للقسيس.

التغطيس وصفته:

اعتمادهم في التغطيس على نص فيه أن عيسى عليه السلام قال: من تغطس دخل الجنة، ومن لم يتغطس فله جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً[1].

وهذا كذب على المسيح وافتراء، ويقال لهم: ما تقولون في إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء أفي الجنة أم لا؟ ولا بد أن يقولوا نعم.

= انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر، عبد المجيد الشرفي، ص٤٥٩، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

(١) انظر: مرقس الإصحاح ١٦/١٦ بالمعنى.

فيقال لهم: ما تقولون في آدم وذريته فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط. وهم في الجنة بنص أناجيلكم، وليس لهم عن هذا جواب البتة.

أما صفة التغطيس: أن في كل كنيسة حوضاً من رخام، يملأ بالماء، ويقرأ عليه ما تيسر من الإنجيل فإن كان المتنصر كبيراً في السن اجتمع له القسس ولقنوه التثليث والالتحام والقتل والصلب، فيقول المتنصر: نعم، ثم يسكب عليه الماء ويشهد له بالنصرانية.

أما الولدان ففي اليوم الثامن من ولادتهم ويوضع أمام القسيس، ويلقن العقيدة النصرانية، ويجيب والده بنعم. وهذه صفة تغطيسهم، لعنهم الله.

حيلة القسيس:

ذكر الترجمان حيلة القسيس في أن الماء الذي يوضع في الحوض يبقى سنين طويلة لا ينتن ولا يتغير، فيتعجب عوام النصارى من ذلك، ويعتقدون أنه من بركة القسيس.

ولا يعلمون أن ذلك من كثرة الملح ودهن البلسان[1]، ولا يفعل القسيس ذلك إلا في الليل أو في وقت لا يراه أحد من عامة النصارى البتة، وهذا من بعض حيل القسيسين في ضلالهم وإضلالهم، وقد كنت في خلال جاهلية ذلك الدين صنعت هذا وغطست كثيراً من الناس مراراً، والحمد لله الذي هداني إلى الحق وأخرجني من الظلمات إلى النور[2].

قلت: وهذا غيض من فيض من حيلهم وتلبيسهم على العوام، وهو الذي دفع كثيراً من النصارى إلى الإلحاد والتحلل من الأديان؛ لأنهم ناقضوا المعقولات وادعوا أنها منزلة من رب السماوات. وسيأتي المزيد لبيان ذلك بإذن خالق المشيئات.

---

(١) البلسان: هو شجر كشجر الحناء لا ينبت إلا بعين الشمس... القاموس المحيط ٢/ ٢٠٩.

(٢) انظر: تحفة الأريب، ص١٣٢ ـ ١٣٩.

الإيمان بالقربان:

وهو الذي أشرت إليه آنفاً من كلام أهل العلم ويسمى بالعشاء الرباني أو «الاستحالة». ولخص الترجمان هذا، وعدّه من كفر النصارى، وهو أن القسيس في كل كنيسة يحضر عند الصلاة كل يوم زجاجة خمر مع قطعة من الفطير، فيعتقد النصارى أن الخبز صار جسد عيسى والخمر دمه ويأخذونه من إنجيل متى[١] ويوحنا[٢] الذي كان حاضراً لعيسى حين رفع لم يذكر شيئاً من خبر الخمر والخبز، وهذا دليل كذب متى ونقله للمحال والبهتان.

والنصارى لعنهم الله يعتقدون أن أجزاء الفطيرة مهما صغرت وتجزأت ولو بلغت مئه ألف جزء، أن كل جزء منها هو عيسى بجسده في طوله وعمقه وعرضه.

ناقشهم ـ في هذا المجال الذي لا يقبله عقل سليم ـ من وجوه عدة، وذكر نص صلاتهم على الفطيرة والخمر، ثم يظهر القسيس الفطيرة فيخرون جميعاً سجوداً لها، ثم يتناولها القسيس ويتلو بعض الإنجيل ثم يدعون ثم يتفرقون، وهذه صفة صلاتهم وقربانهم لعنهم الله يتلاعب بهم الشيطان[٣].

الإقرار بجميع الذنوب للقسيس:

اعلموا رحمكم الله أن النصراني لا يمكنه دخول الجنة، حتى يعترف ويقر للقسيس بكل الذنوب، وإن أخفى عليه ذنب لم ينفعه إقراره، هذا في كل سنة عند صيامهم، ولا يقرون لعنهم الله إلا عند مرض أحدهم أو موته فيحضر القسيس ويغفر له، ويعتقدون أن أي ذنب يغفره القسيس، فإنه مغفور عند الله. لعنهم الله.

فمن أجل ذلك صار البابا الذي بمدينة رومه وهو خليفة عيسى بزعمهم

---

(١) انظر: متى الإصحاح ٢٦/٢٦ ـ ٢٨.

(٢) في يوحنا الإصحاح ٤١/٦ ـ ٦٧، لا ذكر للخمر في الترجمات الحديثة.

(٣) انظر: تحفة الأريب، ص١٦١ ـ ١٧٣.

يعطي غفران الذنوب والتسريح من النار ودخول الجنة، ويأخذ على ذلك الأموال الجليلة، وكذلك من ينوب عنه من القسس، يأكلون أموال الناس بالباطل. ثم ناقشهم وأثبت أن عيسى لم يفعل ذلك ولا أحد من الحواريين، إنما هو شرك بالله ابتدعه القسس أخزاهم الله[١].

تعقيب حول مبحث أسرار الكنيسة وطقوسها

تؤمن الكنيسة المعاصرة بنظام الأسرار وتشدد عليه، فالدين سر، والكنيسة سر، والمسيح سر، والعقيدة سر، والشريعة سر... إلخ، وكل هذه الأسرار تسمى طقوساً، والواجب على قطيع الكنيسة (أتباعها) الإيمان بهذه الأسرار مهما ناقضت العقول ونافرت المنطق، والتسليم لرجال الدين وإرادة الكنيسة.

أما تعريف الأسرار الكنسية «فقد جاءت بمعنى مواهب، ولها علامات تشير إلى أمور مقدسة خفية»[٢].

ورد «فالسر الكنسي إذن معناه نعمة غير منظورة نحصل عليها بممارسة طقس ظاهر ذي علاقة بها على يد كاهن شرعي»[٣].

أما فائدة الأسرار فهي: «تظهر النفس وتجديدها بالنعمة»[٤]، «وتهدف إلى تقديس البشر وبيان جسد المسيح»[٥].

ونستشف من خلال النصوص الآنفة ومن خلال المراجع النصرانية أن الطقس الكنسي: هو الفعل التعبدي في هيئتهم العملية، التي تميز النصراني عن غيره، وأن السر الكنسي هو ما وراء الفعل التعبدي من حكم ظاهرة خفية على الناس.

---

(١) انظر: تحفة الأريب، ص١٦١ ـ ١٧٣.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة، الأرشيد ياكون جرجس، ص٦، مكتبة المحبة، الطبعة السادسة.

(٣) المصدر السابق، ص٦. (٤) المصدر عينه، ص٧.

(٥) المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٦٩.

وللكنيسة الشرقية ـ وغيرها من الكنائس ـ أسرار سبعة هي:

١ ـ سر المعمودية:

وهو تغطيس النصراني بالماء ثلاثاً على اسم الثالوث الأقدس: الأب، الابن، الروح القدس، حتى يطهر من الخطيئة التي ورثها عن آدم. ويشترك في ذلك الأطفال والكبار[١]، وحق التعميد إنما يكون للأساقفة ـ خلفاء الرسل ـ ومنهم إلى القسس فقط[٢].

٢ ـ سر الميرون:

أو المسحة المقدسة، وهي وضع الأيادي مباشرة بعد التعميد بمسح المتعمد بالميرون وهو طيب خاص، والغرض منه النمو والتدرج في الحياة الروحية[٣].

٣ ـ سر الشكر أو الأفخارستيا:

وسمي كذلك: العشاء الرباني، والعشاء السري، والعشاء الإلهي، ومائدة الرب، ومائدة المسيح، والمائدة المقدسة، والمائدة السرية، وسر الذبح، وخبز الرب، وخبز الله، وجسد المسيح، ودم المسيح، والذبيحة المقدسة السرية... إلخ[٤].

«وهو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح الأقدس، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر»[٥].

ولكن هل هذا الدم واللحم على الحقيقة أم المجاز والمعنى؟

---

(١) انظر: أسرار الكنيسة السبعة، ص٢٢ ـ ٣٢.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٤٤.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٤٧ ـ ٤٩، المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٥٧٨، ١٧٢.
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٦٢.
(٥) المصدر السابق، ص٦٢ وانظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٤٧، ١٦٤، ٣٦٤، ٤٩٩.

والجواب: أنه في العشاء «يستحيل الخبز والخمر استحالة سرية إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين، حتى أن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزاً وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه، تحت شكلي الخبز والخمر.

ونؤمن أن ربنا يسوع المسيح حاضر في هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الإشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز، ولا بأنه مستتر في الخبز بل هو حاضر حضوراً فعلياً، وهذا الإيمان هو إيمان الكنيسة كلها شرقاً وغرباً منذ ابتدائها»[١].

ويكفيك في تصور هذا الهذيان، ما وصل إليه القوم من مضادة ومعاداة للعقول والأذهان، وكيف لا ينتشر الإلحاد ويخرج من عبادة الكنيسة وهي تأمر أتباعها بمثل هذا الكفران.

٤ ـ سر التوبة:

«هو سر مقدس به يرجع الخاطئ إلى الله ويتصالح معه تعالى باعترافه بخطاياه أمام كاهن الله ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع»[٢].

ومن أهم شروطه: ندم القلب على ما سلف، العزم على إصلاح السيرة، الإيمان الوطيد بالمسيح، الاعتراف الشفوي بالخطايا أمام القسيس[٣].

وحقيقة الاعتراف: «هو الاعتراف الشفوي بالخطايا أمام الأب الروحي وهو نتيجة طبيعية تقتضيها وظيفة الكاهن المعطى له من السيد المسيح سلطان حل الخطايا وربطها في هذا السر»[٤] وهذا الاعتراف يعد جزءاً من التوبة.

إذن فالقسيس هو غافر الذنب وقابل التوب، بتوصية إلهية بابوية، لا ينزله عنها ولا ينتزعها أحد مهما كان.

---

(١) المصدر نفسه، ص٦٥. (٢) المصدر نفسه، ص١٠٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٩، وانظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٧٢، ٣٦٤.

وعلى ضوء هذا أخذت الكنيسة في رومه في توزيع أوراق (صكوك) الغفران، ما دام أن هذه موهبة إلهية، ولا مانع من الترغيب بها والترهيب، وحتى البيع والشراء ما دام يحقق للكنيسة مطالبها، ويشمل التكفير الخطايا الماضية والمستقبلة. وهذا التوسع الكبير لم يرض الكنائس الشرقية، وعدت أن هذه هرطقات ومبتدعات من قبل الكنيسة الرومانية لا أساس لها في الديانة...

«وأوضحنا بطلان تعليم كنيسة رومه التي تزعم أن الغرض من هذه التأويلات وفاء العدل الإلهي، ونذكر بالأسف أن كنيسة رومه بناء على ذلك التعليم الباطل اخترعت تعليماً آخر منافياً للمبادئ المسيحية وهو الغفرانات»..
«وبناء على هذه النظرية الفاسدة يصدرون أوراق غفرانات يوزعها البابا، وتباع وتشترى كالسلع متضمنة الصفح والغفران، ليس عن الخطايا الماضية فقط بل والمستقبلية أيضاً»[١].

٥ ـ سر مسحة المرضى:

«هو سر مقدس به ينال المريض المؤمن شفاء أمراضه الروحية والجسدية، إذ يمسحه الكاهن بزيت مقدس ويستمد له النعمة الإلهية»[٢].

٦ ـ سر الزيجة:

وله غايتان: الأولى: حفظ النوع البشري، الثانية: التعاون والتعاضد بين الزوجين وهو زواج دائم لا تعدد فيه ولا طلاق، إذ هو من المحرمات والموبقات، وأن حالة التبتل أشرف من حالة الزواج[٣].

٧ ـ سر الكهنوت:

وهو: «سر يقلد ولاية روحية، ويخول نعمة مباشرة الخدم الكنيسة كما ينبغي. وعرفه آخرون بأنه عمل مقدس، به يضع الأسقف يده على رأس

---

(١) أسرار الكنيسة، ص١٢٤. (٢) المصدر السابق، ص١٢٨.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ١٣٦ ـ ١٥٢، المجمع الفاتيكاني الثاني، ص١٧٢.

الشخص المنتخب ويطلب من أجله فتنسكب عليه النعمة الإلهية»[1].

وهذه الأسرار السبعة هي الأسرار الكنسية القديمة في الكنائس الشرقية، أما الكنيسة الغربية فتزيد عن ذلك وتتحدث عن أسرار كثيرة[2]، ويسمى نظام الأسرار القديم في الكنائس الشرقية[3]، وهو خلاف بين الكنيستين ومما تحدثت عنه الكنيسة البابوية:

سر الكنيسة: ويعني أن المسيح ابن الله الحقيقي أبناء الله بالتبني والله كشف عن سره الحقيقي وفدانا بابنه حيث صلبه[4].

السر الفصحي: ويعني ذبائح الخطايا المكفرة للذنوب[5].

العذراء في سر المسيح: تحت فصل: مريم أم الله في سر المسيح، وأنه ابن الله المولود من امرأة، وهو سر الخلاص الإلهي، فهي أم ابن الله وابنة الأب[6]، وهي الحبيبة وهيكل الروح القدس.

العرس السري: بأن يمتنع الرهبان من الزواج لأجل الزواج السري وهو عرس الكنيسة مع العريس الوحيد الذي هو المسيح[7].

كما تحدثت الكنيسة عن سر الخلاص، وحياة الأسرار الخلاصية، وسر افتداء البشرية بالمسيح عند صلبه[8]، والأسرار الأخرى وأشباه الأسرار، «وهي علامات مقدسة تعني في بعض مشاكلتها للأسرار مفعولات في الأكثر روحية، تنال توسلات الكنيسة»[9].

---

(١) المصدر السابق، ص١٥٧، وانظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٥٨، ٦٧، ١٧٢، ٣٢٨، ٣٥٩، ٥٦١ ويسميه: سر الأسقفية.

(٢) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٥١، ٥٦١.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٥٧٨.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٤٣، ٤٠٨.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص٣٢٨.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص١٠٥، ١٠٦.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ص٣٨٦.

(٨) انظر: المصدر نفسه، ص١٨٤، ٢٥١، ٣٩٠، ٤٩٢، ٥٠٤، ٥٦٥.

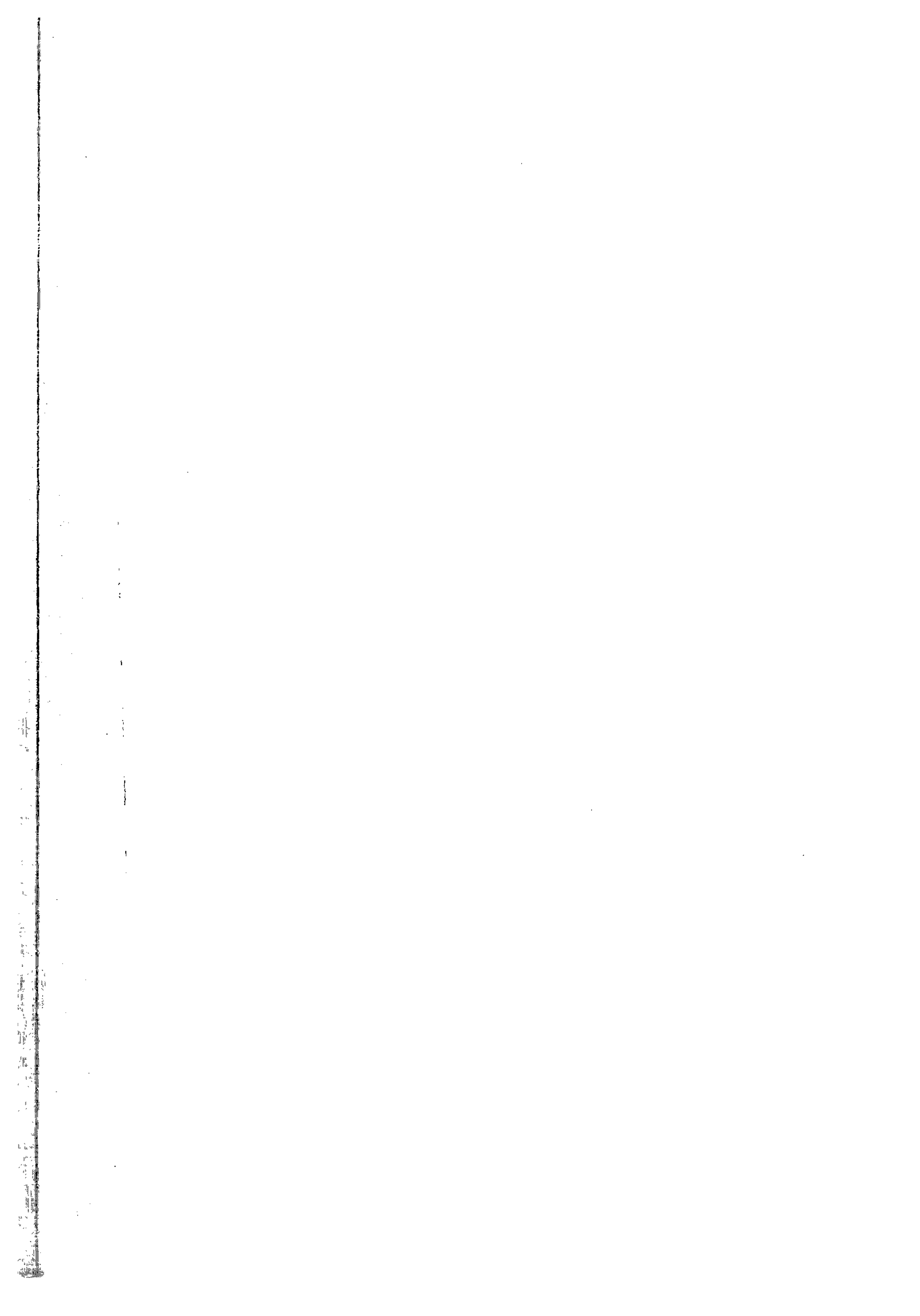
(٩) المصدر نفسه، ص١٦٩.

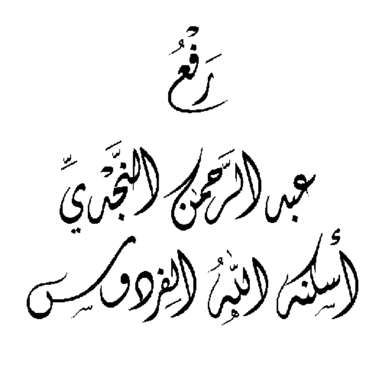
وتحدثت عن الطقوس الكنسية وإعادة النظر فيها، كالعشاء الرباني، وطقوس التوبة، وطقوس مسحة المرضى وطقوس الزواج وطقوس الأسرار وطقوس المعمودية وطقوس التثبيت وطقوس الجنازة[1].

وهي خطوة إيجابية إن كان المقصود منها نبذ هذا الشذوذ أو التخفيف منه.



(١) انظر: المصدر نفسه، ص٦٧، ١٦٥، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤.





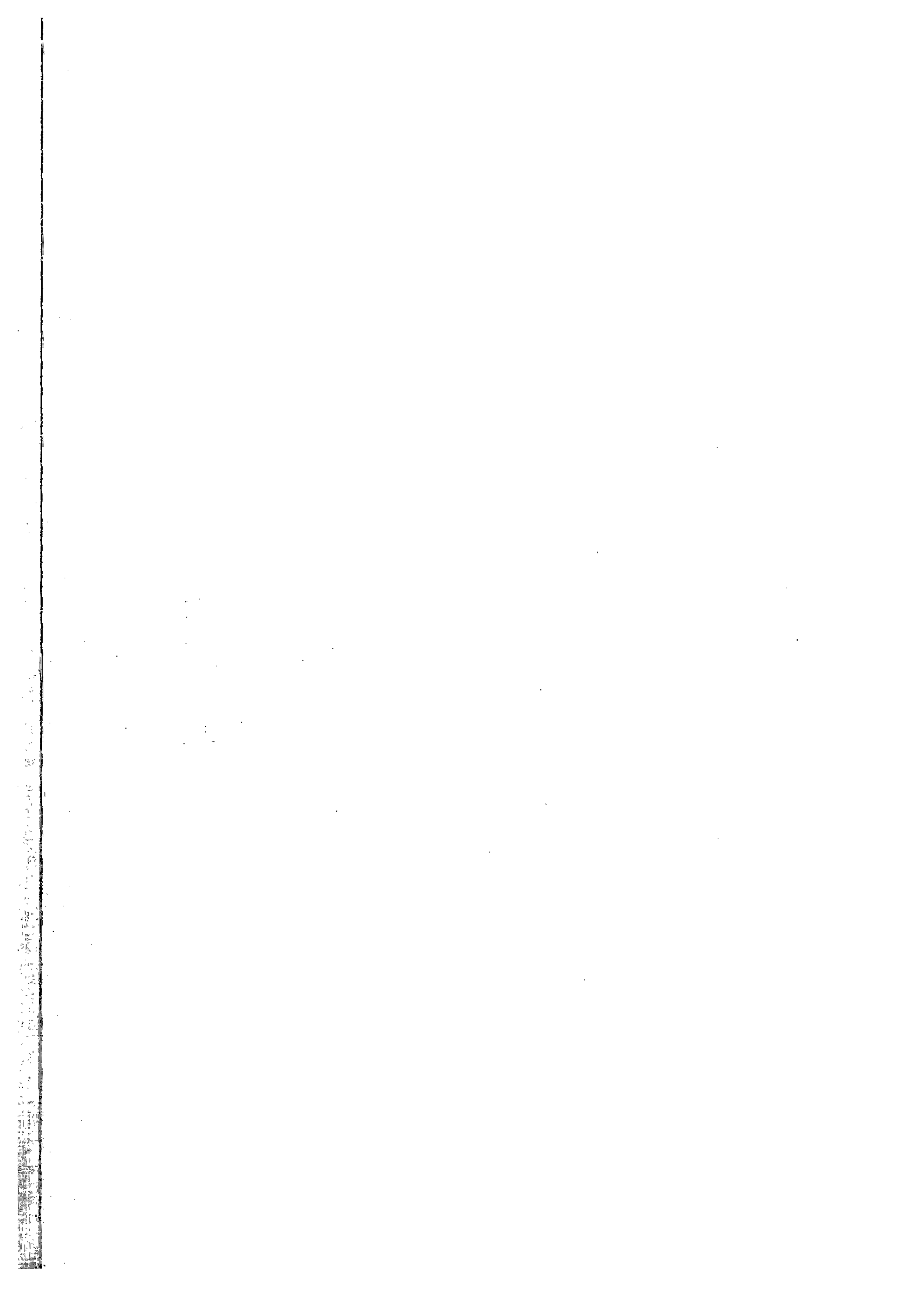
الباب الثاني

تطبيق علماء الأندلس لمنهج الإسلام في معاملة أهل الكتاب مع بيان مواقف عملية مع النصارى

اتخذ العلماء العاملون من أهل السنّة والجماعة في شبه الجزيرة الأندلسية كتاب الله وسنّة نبيّه نبراساً ومرجعاً لهم في جميع شؤونهم، ومن ذلك تعاملهم مع أهل الكتاب، الذين كانوا يخالطون المسلمين في قراهم ومدنهم، لمّا فتحت البلاد لم يجبروهم على ترك دينهم واعتناق الإسلام، وما عرف ذلك قط، ولم يجبروهم على ترك ديارهم ـ كما فعلت النصارى بهم لما انتصروا ـ بل امتثلوا قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وبقوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الممتحنة: ٨، ٩]. وبقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ . . .﴾ [المائدة: ٥١].

وبسنّة النبي ﷺ الفعلية والقولية والتقريرية في تعامله مع أهل الكتاب وسيرد في هذا الباب بعون الله ومشيئته الكثير من المواقف القولية والعملية في تعاملهم وبالله التوفيق ومنه التسديد.

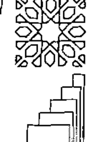
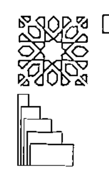






الفصل الأول

جهودهم في الجدل والمناظرة

الفصل الأول

جهودهم في الجدل والمناظرة

تعريف المناظرة وشرعيتها:

تعريف الجدل: ورد في القاموس المحيط أن الجَدَل «محركة اللدد في الخصومة والقدرة عليها وجادله فهو جدل»[1]، «ورجل مجدال أي خصم»[2]، «وجدلته جدلاً مجزوماً فانجدل صريعاً. وأكثر ما يقال: جدلته تجديلاً أي صرعته»[3]، وفي كتاب المغرب «جدل: جادله مجادلة وجدالاً وهو شدة الخصام ومراجعة الكلام، وفي التنزيل ﴿وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ أي ولا مراء»[4] وعند ابن الأثير أن «الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة المخاصمة.

والمراد به في الحديث الجدل على الباطل وطلب المغالبة به، فأما الجدل لإظهار الحق فإن ذلك محمد لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]»[5].

تعريف المناظرة:

ورد في اللسان: «دورنا تناظر أي تقابل، وقيل إذا كانت محاذية»[6].

---

(١) القاموس المحيط، ص١٢٦١.
(٢) كتاب العين، للخليل ٦/ ٧٩.
(٣) المصدر السابق ٦/ ٧٩.
(٤) المغرب في ترتيب المغرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن المطرز ١/ ١٣٥، تحقيق: محمد فاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد ط. الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
(٥) النهاية في غريب الأثر ١/ ٢٤٧، والآية رقم (١٢٥) من سورة النحل.
(٦) لسان العرب ٥/ ٢١٥.

و«المناظرة أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه»[1].

و«التناظر: التراوض في الأمر، ونظيرك الذي يراوضك وتناظره، وناظره، والنظير المثل وقيل المثل في كل شيء، وفلان نظيرك أي مثلك»..

«وقال الجوهري: نظير الشيء مثله، وحكى أبو عبيدة: النظير والنظير بمعنى مثل، الند والنديد»، «ويقال: ناظرت فلاناً أي صرت نظيراً له في المخاطبة. وناظرت فلاناً بفلان أي جعلته نظيراً له»[2].

وعرفها ابن عبد البر بأنها: «المعارضة وطلب الحجة ومواضع الصواب»[3].

شرعية المناظرة:

استدل **الإمام ابن عبد البر** على شرعيتها بحديث عبد الله بن سلام ﵁ بالدعوة المستجابة في يوم الجمعة، وأنها آخر ساعة فيها إذا قام يصلي العبد. فراجعه أبو هريرة ﵁ واعترض عليه بأنها ساعة لا يصلى فيها.

واعتبر ابن عبد البر أن هذا يدل على أن القوم حرصوا على البحث عن الحق، وأن هذا أدل دليل على إثبات المناظرة، وإذعان أبي هريرة لما استدل ابن سلام بأن المراد في صلاة ما انتظر الصلاة. وذلك دليل بيّن على ما كان عليه القوم من البصر بالاحتجاج والاعتراضات والإدخال والإلزامات في المناظرة.

وفرّق ابن عبد البر بين المذاكرة العلمية التي سماها بعض أهل التقليد مناظرة جهلاً منهم بحقيقة المناظرة التي ينزع إليها أهل النظر والبصر[4].

وقد عقد لها باباً في كتابه القيم: جامع بيان العلم وفضله، سماه: باب إثبات المناظرة والمجادلة، وإقامة الحجة. مستدلاً على شرعيتها بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟

---

(١) المصدر السابق، ٥/٢١٧.

(٢) المصدر نفسه ٥/٢١٩.

(٣) التمهيد ٢٣/٤٩،

(٤) انظر: التمهيد ٢٣/٥٠.

بُرۡهَـٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١] وبقوله تعالى: ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وبقوله تعالى: ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ [يونس: ٦٨]. قال المفسرون «من حجة»، قالوا: والسلطان الحجة ثم ذكر بعض الأحاديث في الباب ومزيداً من الآيات التي فيها جدل أهل الشرك والنصارى وقال: فهذا كله تعليم من الله ﷻ بالسؤال والجواب والمجادلة[1]، واستدل كذلك بمناظرة بعض الصحابة لمخالفيهم من اليهود والنصارى.

ويستدل **أبو الربيع الكلاعي**[2] على شرعية المناظرة بقصة نصارى نجران ويعقب: «كل هذا من قولهم، قد نزل القرآن مدحضاً حججهم ومبطلاً دعاويهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»[3].

أما **أبو الوليد الباجي**: فله مواقف جلية في الجدل والمناظرة مع إخوانه من الفقهاء كابن حزم وغيره، ومواقف مشهورة مع أهل الديانات والملل الأخرى، فهو الذي ردّ على رسالة القسيس النصراني، لمّا أرسلها لأحد الأمراء المسلمين وجادله بالتي هي أحسن وأقام عليه الحجة، يقول مؤصلاً لهذا العلم: «ولما تكررت علينا رسائلك ورسلك، تعيّنت علينا مفاوضتك فيما رضيناه من مسألتك، ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك في النصح الذي يجري عليه أهل الفضل، وأمرنا الله أنه على ألسنة الرسل، وكففنا عن معارضتك على ما استقبحناه من خطابك وسخطناه من كتابك، ومن سب

---

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر ٢/٩٥٣ ـ ٩٧٤، دار ابن الجوزي.

(٢) ستأتي ترجمته في فصل العلماء ودورهم في الجهاد.

(٣) الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، ١/٤٨٦ تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م. يرجع لأقوال المفسرين، ابن عطية، القرطبي، ابن حيان، عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقوله: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

الرسل الكرام والأنبياء المعظمين عليهم السلام...»[1].

ابن العربي: استدل بآية المباهلة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١] على شرعية المجادلة والمناظرة وجعل في تأويله للآية مسائل.

المسألة الأولى: استدل فيها على شرعية المناظرة بما رواه المفسرون أن النبي ﷺ ناظر أهل نجران حتى ظهر عليهم بالدليل والحجة، فأبوا الانقياد والإسلام، فأنزل الله ﷻ هذه الآية، فدعا حينئذ فاطمة والحسن والحسين، ثم دعا النصارى إلى المباهلة[2].

غاية المناظرة والمقصد منها والمرجع المتفق عليه بين الطرفين (من المناظرة):

عند **الإمام الشاطبي** في الكلام والمناظرة والفائدة منها ومدى شرعيتها، يشدد على «أن الخصمين إما أن يتفقا على أصل يرجعان إليه أم لا؟ فإن لم يتفقا على شيء لم تقع بمناظرتهما فائدة بحال.. وإذا كانت الدعوى لا بد لها من دليل وكان الدليل عند الخصم متنازعاً فيه فليس عنده بدليل، فصار الإتيان به عبثاً لا يفيد فائدة ولا يحصل مقصوداً، ومقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه؛ لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق»[3].

أهمية المناظرة والمجادلة:

المناظرة والمجادلة أسلوب علمي اعتمده أهل الأندلس من العلماء

---

(١) رسالة الباجي في الرد على راهب فرنسا المتقدم ذكرها، ص٦٥.

(٢) انظر: أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي ١/ ٣٦٠، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية ط. الأولى، دار الكتب العلمية. تحقيق: محمد على البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. وحديث المباهلة سبق تخريجه.

(٣) انظر: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي ٥/ ٤١٤/ ٤١٥، تعليق: أبو عبيدة مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، الخبر.

وطلبة العلم في تقرير المسائل والدفاع عنها أمام الملأ، بل إنه من طرق التعليم وأخذ الفقه عندهم، وهذه طريقة ثانية ومرتبة عالية لا تكون إلا لمن وصل إلى درجة معينة من العلم والرواية من الفقهاء والعلماء[1].

ذلك أن أهل الباطل من اليهود والنصارى كانوا يتمرسون ويتعلمون هذا العلم، ويؤلفون الكتب ضد دين المسلمين وعقيدتهم، بل تعلّموا اللغة العربية، والعلوم الشرعية، حرّكهم في ذلك الدافع الجدلي لمنازلة المسلمين ومنهم القس الدومينكي القطلوني: رايموند مرتين (Raimound Maritin) ١٢٣٠م ـ ١٢٨٦م وقد تعلّم لغة العرب حتى أتقنها، ووضع هذا القس كتاباً سماه: (خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود)، وفيه مديح للنصرانية يمتاز عن كل ما سبقه من الإسبان.

ومنهم: القس توما الأكويني في كتابه: (جامع الحجج في جدال الكافرين).

ومنهم: ريموند لوليو (٦٣٢هـ ـ ٧١٤هـ) وهو كاتب لا يرقى الشك في تحققه بالعربية وهو صوفي نصراني إشراقي، وهو ممن عانى مما قرأ من كتب المسلمين وحاول تقليدهم في استهلال كتاباته باسم المسيح كما أن المسلمين باسم محمد ﷺ؟ وقال بفصل الرجال عن النساء في الكنائس، وامتدح المسلمين في إخلاصهم لدينهم[2]، إلى غير ذلك من الأمور كترتيل الإنجيل في الكنائس كالمسلمين في المساجد...

ومن ذلك الرسالة التي أرسلها أحد الرهبان الفرنسيين يسمى: (هيو St,Hugh) كبير رهبان دير (Cluny) عام ١٠٤٩م ـ ١١٠٩م إلى المقتدر بالله[3] يدعوه فيها

---

(١) انظر: تاريخ التعليم في الأندلس، د. محمد عبد الحميد عيسى، ص٣٤٩، ٣٥٠، دار الفكر العربي، ط. الأولى، ١٩٨٢م، دار الفكر العربي، حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس، خالد الصمدي، ص١٣٣، طبع وزارة الأوقاف المغربية ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٣م.

(٢) انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل جنثالنث بالنثيا، ص٣٦٨، ٥٤١ ـ ٥٤٣.

(٣) انظر: مقدمة المحقق لرسالة الباجي والراهب الفرنسي.

إلى النصرانية ويرغبه فيها في النصرانية ويكرهه في الإسلام.

وقد تولى الرد عليها أبو الوليد الباجي. وكذا ما وقع لابن رشيق لمّا ناظروه وكانوا كما قال: «مشرئبون للنظر في علوم المسلمين، وترجمتها بلسانهم برسم النقد خيب الله سعيهم»[1]، ستأتي بعد قليل.

إلى غير ذلك من أنواع المراسلات والمناظرات التي تشكك المسلمين في دينهم وتدعوهم إلى النصرانية، وسيأتي مزيد بيان لذلك في هذا الفصل.

وبالتالي كان لا بد لعلماء المسلمين من أن يتعلموا المناظرة - وهم أربابها - ويعلموها غيرهم من طلابها، حتى من اليهود والنصارى.

فها هو العالم الفقيه **محمد بن لب**[2]، صاحب الأمور الغريبة، كان له أرب في التطواف، وخصوصاً بأرض النصارى، يتكلم مع الأساقفة في الدين ويظهر عليهم[3].

وكذلك **عبد الله بن سهل**[4]، الفقيه المحدث صاحب العلوم، الذي امتد صيته من أجلها، وأجمع المسلمون واليهود والنصارى أن ليس في زمانه مثله، وكانت النصارى تعتقده وتتعلم منه، وله مع قسيسهم مجالس في التناظر حاز فيها قصب السبق[5].

وكذا **ابن حزم** في كتابه الفصل، حيث رد على اليهود والنصارى

---

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي ١١/ ١٥٥، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: د. محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت.

(٢) هو محمد بن محمد بن لب الكناني من أهل مالقه، يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن لب، وكان عالماً ذاكراً لمذهب العلماء معنياً بها، عالماً بالطبيعيات والإلهيات، ولمذهب المتكلمين. انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/ ٧٩.

(٣) انظر: الإحاطة ٣/ ٨٠.

(٤) هو عبد الله بن سهل الغرناطي، يكنى أبا محمد وينبز بالوجه نافخ، عالم عنى بعلوم القرآن والحديث والنحو عناية تامة، ثم بعلم المنطق والعلوم الرياضية وسائر العلوم القديمة. انظر: الإحاطة ٣/ ٤٠٤.

(٥) انظر: المصدر السابق ٣/ ٤٠٤.

وأصناف المشركين، وأقام الحجة عليهم عقلاً ونقلاً، وله رسائل أخرى، كرسالته التي رد فيها على ابن النغريلة اليهودي، لما أثار الشبه حول المسلمين ودينهم ونبيهم.

يقول: «.. فألف كتاباً قصد فيه بزعمه إلى إبانة تناقض كلام الله ﷻ في القرآن..، فلما اتصل بي أمر هذا اللعين، لم أزل باحثاً عن ذلك الكتاب الخسيس؛ لأقوم بما أقدرني الله ﷻ، من نصر دينه بلساني وفهمي، والذب عن ملته ببياني وعلمي..»[1].

وكذا أبو الوليد الباجي في رده على الراهب الفرنسي، لما أرسل إلى الأمير المقتدر، يدعوه إلى النصرانية.

وممن عني بالمناظرة الإمام القرطبي صاحب الإعلام، ويذكر أن سبب تأليفه لكتابه رجل منتحل لدين النصرانية، تعرض للملة الحنيفية، نال فيها من عصابة الحق المؤمنين في كتاب سماه: «تثليث الوحدانية»..، ويخاطبه على طريقة المناظرة: «..إني أجاوبك إن شاء الله بمنطق عربي فصيح. أسلك فيه مسلك الإنصاف، وأترك طريق التعسف والاعتساف..»[2]، ويذكر كلاماً يفيدنا تمكنه من هذا العلم: «.. وإنما كلامنا على طريق المناظرة الجارية بيننا، وذلك أن أرباب النظر ربما يسلمون ما هو معلوم الفساد، ليتبيَّن تناقض الخصم وتحكمه للعباد..»[3]. ويؤكد تمكنه قوله: «.. فأقول لك: ما حد النظر وحقيقته؟ وما أصوله؟ وكم أقسامه؟ وما أحكامه؟ وما حقيقة المناظرة؟ وما شروطها؟ وكم هي؟ وما الشئ الذي يطلب بالمناظرة؟ وما حقيقة الدليل؟ وكم أقسامه؟ وكم شروطه؟ وما وجه الدليل؟ وما المدلول؟ وكم أقسامه؟.

فإن كنت تدعي المناظرة، فأجبنا عن هذه الأسئلة محاورة..»[4] هذا علم المناظرة، وهذه خطورته، وأهميته لدى العلماء الأندلسيين، فهو طريق

---

(١) انظر: رسائل ابن حزم رسالة في الرد على ابن النغريلة لابن حزم، ص٤٢.

(٢) انظر: الإعلام ١/ ٣ ـ ٤.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ١٦٤.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٧١.

وعر، ومسلك عصي، لا يجيده إلا من درس أصوله وتمرس في معرفة داله ومدلوله، في حلق العلم ومجالس الفقه. وهو علم يهدي إلى الحق، ويرشد إلى السبيل لمن وفقه الله لذلك.

مجلس المناظرة:

مجلس المناظرة مجلس موقر معظم يحضره جمع من طلبة العلم النابغين والمشايخ المشهورين بالعلم والفقه ـ وهو كما ذكر آنفاً ـ من طرائق التعليم وفيها يطرح العالم مسألة من مسائل العلم أو حديثاً من أحاديث النبي ﷺ ثم يدور النقاش حوله ـ ويحتفظ لنا أصحاب التراجم بصورة من ذلك ـ، فابن بشكوال في صلته يحدثنا عن مجلس أحد علماء الأندلس، وهو **أحمد بن عثمان**[1].

أنه كان يبدأ في المناظرة بذكر الله ﷻ والصلاة على محمد ﷺ ثم يورد الحديث والحديثين والثلاثة والموعظة. ثم يبدأ بطرح المسائل من غير الكتاب الذي كان يناظرون عليه فيه[2]، وهذا أحد أنواع المناظرات.

والفقيه **فرج بن أبي الحكم**[3] نوظر عليه في المسائل، وكان حفيل المجلس[4].

وقد راعى العلماء الأندلسيون نوعية مجلس المناظرة، وشددوا أن يتجنب طالب العلم مجلس أهل الأهواء والمجالس المختلطة التي يلتبس فيها الحق بالباطل. من ذلك ما رواه **أحمد بن سعدى**[5] أنه سأله بعض أهل العلم

---

(١) هو أحمد بن عثمان الطليطلي، يعرف بابن القشاوي، يكنى أبا محمد، روى عن جماعة من علماء بلده، كان ديناً ثقة ورعاً قليل التصنع، وكان شاعراً مشاوراً في الأحكام، توفي سنة ٤١٨هـ. انظر: الصلة ٢/ ٤٠٤.

(٢) انظر: الصلة ٢/ ٤٠٤.

(٣) هو فرج بن أبي الحكم بن عبد الرحمن اليحصبي من طليطلة، فاق أهل زمانه في العلم والعقل والفضل، توفي سنة ٤٤٨هـ. انظر: الصلة ٢/ ٦٧٢.

(٤) انظر: الصلة ٢/ ٦٧٢.

(٥) هو أحمد بن محمد بن سعدي، أبو عمر فقيه فاضل محدث رحل الى المشرق، =

هل حضرت مجالس أهل الكلام؟، فقال: بلى حضرت مرتين، ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها.

فقال له أبو أحمد: ولم؟، فقال: أما أول مجلس حضرته فرأيت مجلساً قد جمع الفرق كلها، المسلمين من أهل السنّة والبدعة والكفار من المجوس الدهرية والزنادقة واليهود والنصارى وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم عن مذهبه ويجادل عنه، فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان، قامت الجماعة إليه قياماً على أقدامهم حتى يجلس فيجلسون بجلوسه، فإذا غصّ المجلس بأهله، رأوا أنه لم يبق لهم أحد ينتظرونه، قال قائل من الكفار: قد اجتمعتم للمناظرة فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم ولا بقول نبيهم، فإنا لا نصدق ذلك ولا نقر به وإنما نتناظر بحجج العقل وما يحتمله النظر والقياس فيقولون نعم لك ذلك.

قال أبو عمر: فلما سمعت ذلك لم أعد إلى ذلك المجلس.

قيل لي: ثَمّ مجلس آخر للكلام، فذهبت إليه فوجدتهم في سيرة أصحابهم سواء، فقطعت مجالس أهل الكلام، فلم أعد إليها.

قال ابن أبي زيد: ورضي المسلمون بهذا من الفعل والقول؟

قال أبو عمر: هذا الذي شاهدت منهم.

فجعل أبو محمد يتعجب من ذلك، وقال: ذهب العلماء، وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه، وكيف يبيح المسلمون المناظرة بين المسلمين، وبين الكفار؟ وهذا لا يجوز أن يفعل لأهل البدع الذين هم مسلمون ويقرون بالإسلام ومحمد ﷺ، وإنما يدعى من كان على بدعة من منتحلي الإسلام إلى الرجوع إلى السنّة والجماعة، فإن رجع قبل منه، وإن أبى ضربت عنقه.

وأما الكفار فإنما يدعون الى الإسلام، فإن قبلوا كف عنهم، وإن أبوا بذلوا الجزية كف عنهم، وإما أن يناظروا على أن لا يحتج عليهم بكتابنا ولا

= وحدث عن كثير من أهل العلم، توفي بعد ٤٠٩هـ. انظر: الصلة ٦/ ١٧٥.

بنبينا فهذا لا يجوز. فإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

هذا منهج العلماء الأبرار الأتقياء الملتزمون لسنّة سيد الأنبياء، ولله در أبي عمر كيف لو رأى مجلس مناظرات هذا الزمان، التي نبذت ما دعا إليه والتزمه واختلطت فيها أصناف المشركين والمبتدعين من رجال ونساء وانتهكت فيها ثوابت الدين وقواطع الشريعة.

ومما يميز مجلس المناظرة طلب الحق والخضوع له إذ ظهر عند أي أحد من سائر الخلق. ومنه إرادة النصح والدعوة بالحسنى لمن استحق ذلك.

وعند مناظرة الباجي للراهب خاطبه: بأنا تعينت علينا الإجابة والمعارضة فيما قلت من منهجك في النصح، الذي يجرى عليه أهل الفضل.

ويجاوبه بأقوال: «وفقنا الله وإياك»، «وقصدنا الرفق والتأنيس لك.. إلخ[2]»؛ لأن النصراني خاطبه خطاباً مهذباً فبادله به.

مناظرات الفقهاء:

وهم ممن عُنِيَ بها وتعلموها وربما جالسوا بها الأمراء والملوك[3] من بعض مناظراتهم.

وقد يستخلف الفقيه من يثق بعلمه ليناظر بعده. **فابن الحاج**[4] ابن القاضي الشهيد، لما ارتفع أبوه عن المناظرة قعد هو مكانه، وخلفه في حلقته، وكان حافظاً للفقه، ولم يكن يعرف الحديث[5].

---

(١) انظر: الصلة ٢/ ١٧٥ ـ ١٧٧.

(٢) انظر: رسالة الباجي في الرد على راهب فرنسا، ص٦٤ ـ ٧٥.

(٣) انظر: الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، د. سعد البشري، ص٢١٧، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

(٤) هو محمد بن محمد بن أحمد بن خلف التجيبي، المعروف بابن الحاج، من أهل قرطبة وابن قاضيها الشهيد، تجول بالاندلس وطلب الحديث. انظر: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، لابن الأبار، ص١٨٩، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص١٨٩.

والحديث عن مناظرات الفقهاء حديث ذو شجون يجتمعون فيتناظرون وقد يناظر واحدهم مجموعة حتى تظهر الحجة. ومن هؤلاء **أبو المطرف ابن الحصار**[1]، فقد روى ابن عتاب قال: كنا نجتمع عنده مع شيوخ الفتوى من ذلك فيشاور في المسألة فيختلفون فيها، ويخالفون مذهبه، فلا يزال يحاجهم ويستظهر عليهم بالروايات والكتب، حتى ينصرفوا ويقولوا بقوله[2].

فهؤلاء هم شيوخ الفتوى يجتمعون عنده ويناظرونه، وهذا يفيد أنهم كبار العلماء والفقهاء الذين يقومون بهذا الفن البديع من المناظرات.

و**ابن الحداد**[3] العالم الفقيه «لقي القاضي أبا الأصبغ عيسى بن سهل، وكانت له معه مناظرة في مسائل من العلم، أدته إلى عمل رسالة سماها: رسالة الامتحان لمن برز في الشريعة وعلم القرآن، خاطب فيها ابن سهل المذكور، وطلب فيها الجواب على مسائل عويصة، تدل على قوته في العلم واتساعه»[4].

وممن برز من العلماء في مناظرات الفقهاء الإمام **أبو بكر ابن العربي** الذي ناظر عدداً من الفقهاء، منهم أحمد بن محمد بن ورد التميمي. وحدث أن تناظرا بحضرة بعض أهل العلم، فكانا يثيران العجب والدهشة، مما أوتيا من علم ونباهة وذكاء، فإذا تحدث ابن العربي ظن السامع أنه ما ترك شيئاً إلا أتى به، ويجيبه ابن ورد بأبدع جواب؛ فينسى السامع ما سمع قبله، وكانا أعجوبتي دهرهما[5]. كما ناظر ابن العربي الفقيه المجتهد عبد الرحمن بن

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد يكنى أبي المطرف ويعرف باسم الحصار، من العلماء القضاة المحدثين، توفي سنة ٤٣٣هـ، الصلة ٢/ ٤٨٥.

(٢) انظر: الصلة ٢/ ٤٨٦.

(٣) هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، يعرف ابن الحداد، من بلنسية، رحل إلى المشرق لطلب العلم، فلحق بفارس وواسط وبغداد والموصل وخراسان ومصر وغيرهما. انظر: التكملة، ص٤٢.

(٤) التكملة، ص٤٢.

(٥) انظر: طبقات المفسرين للداودي ١/ ٨٤، ٨٥، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف، ص٦١٢.

قاسم الشعبي المالقي، وكان من أبرع أهل زمانه بالفقه ومسائله، وجرت بينهما مناظرات علمية رائعة في ضروب من المعرفة تنم عن علم عظيم(١).

وهذا **أحمد القطان الأنصاري** الواعظ(٢)، له مشاركة في معرفة الأصول على مذهب أهل العراق، وطريق الحجاج والنظر(٣).

وهذا **المنصور ابن أبي عامر** الفقيه الشجاع ـ الذي دوخ النصارى ـ كان محباً للعلماء، يكثر مجالستهم ويناظرهم(٤).

«وجرت مناظرة بين يدي منصور بني عبد المؤمن، بين الفقيه العالم أبي الوليد بن رشد، والرئيس أبي بكر بن زهر (الفيلسوف)، فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه: ما أدري ما تقول، غير أنه إذا مات عالم بأشبيلية فأريد بيع كتبه، حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع تركته، حملت إلى أشبيلية»(٥).

ومناظرات الفقهاء كثيرة لا تحصر، ومن أشهرها مناظرات ابن حزم ـ الظاهري المذهب ـ مع الباجي ـ المالكي المذهب ـ وقد مرّ في ترجمتهما شيء من ذلك. إلى غير ذلك من الفقهاء والعلماء والنبلاء، الذين اعتنوا بهذا الجانب في الفقهيات والشرعيات، ولو ذهبت أحصي ما وقع من هذه المناظرات لطال المقام جداً، ولخرجت عن ضرب المثال إلى إحصاء كل

---

(١) انظر: تاريخ قضاة قرطبة، لأبي الحسن النباهي، ١٤٠، ١٤١، تحقيق: د. مريم طويل، دار الكتب العلمية ط. الأولى، لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الواعظ، يعرف بالشارقي، كان فقيهاً وله مؤلف في أحكام الصلاة، سمع البخاري في رحلته إلى الحج، توفي قريباً من سنة ٥٠٠هـ. انظر: التكملة، ص٤٦.

(٣) انظر: التكملة، ص٤٦، وللمزيد انظر: التكملة أيضاً، ص٥٨، ٧٨، ٢٢٢، المرقبة العليا، ص١٨٢، المعجب، ص٢٥١، ٢٥٢، فهرس ابن عطية، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، ص٦٠ ـ ٦٣، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط. الثانية، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٣م.

(٤) دولة الإسلام في الأندلس، ق١/ ١/ ٥٨٤.

(٥) نفح الطيب ١/ ٤٦٣.

الأقوال، وفيما ذكرته كفاية ـ كمدخل للمناظرات ـ وبالله التوفيق وإليه المآل.

مناظرات القادة دفاعاً عن شريعة الإسلام:

في أجواء التنافس التي عاشها الأندلسيون حكاماً وشعوباً، يحدث أن يتناظر القادة ويتراسلون، ويحاول بعضهم إقناع الآخر بما يريد، أو يتهدده ويتوعده إذا لم يطبق ما يريد، وبالتالي يرد الخصم بالطريقة التي يراها الأنسب في ذلك المقام.

وفي الرسائل تشكيك في الدين، أو دعوة إلى الدين أو ترهيب من فعل أو من ترك. . إلخ، وكان كتبة الرسائل ـ غالباً ـ من علماء الفريقين.

وقد أرسل أحد كبار رهبان فرنسا رسالة حملها رهبانه إلى الأمير المقتدر، يدعوه فيها إلى دينه، ويشرحون له دين المسيح، وتضمنت الرسالة الغض من شريعة الإسلام واللمز والغمز في دين المسلمين[1]؛ فأجابه الإمام الباجي برسالة مماثلة، ـ سبق الحديث عن أكثرها ـ بإيعاز من الحاكم المقتدر.

وعلماء الإسلام وفقهاء الشريعة كانوا ـ غالباً ـ هم الذين يتولون الرد على تلك الرسائل، ويجادلون الخصم ويناظرونه ويظهرون عليه بكلام فريد السياق لطيف المأخذ، مونق مثمر. ولا عجب إذا وجدنا فيها نفساً إسلامياً ظاهراً، ورداً شرعياً باهراً، يقيم الحجج العقلية، ويستدل بالأدلة النقلية، فهؤلاء هم فقهاء الملة وورثة النبوة، ومنبع البر وهداة الخير.

ومن ذلك: ما جرى من مراسلات ومناظرات بين عبد الرحمن الناصر، الملك الأندلسي، فخر الأندلسيين في التمكين للإسلام وعزة أهله وعزة دولته.

وكان ملوك النصارى يراسلون هذا الملك العظيم رغبةً ورهبة، فمن ذلك: رسل ملوك الصقالبة، وهو يومئذٍ الملك بيتر أو بطرس. وقد تلقاهم

---

(١) وردت رسالة الراهب الفرنسي في مخطوط بمكتبة الأسكوريال أسبانيا، رقم (٥٣٨)، انظر: دولة الإسلام في الأندلس ع٢/٢٨٢، ٢٨٣، وهي مطبوعة ومنشورة، مع رد أبي الوليد.

الناصر وأكرمهم، وبعث معهم ربيعاً (رينا) الأسقف إلى ملكهم.

وكذا أرسل ملك فرنسا لويس الرابع في طلب الصداقة والمودة..[1].

وأهم سفارة تلقاها الملك الناصر يومئذٍ هي سفارة أوتويو (هوتويو) الأكبر إمبراطور ألمانيا، ملك الصقالبة، أو ملك اللّمان، وكانت هذه السفارة سنة (٣٤٤هـ) أو (٣٤٢هـ) الموافقة لسنة (٩٥٦م)، وفي ذلك العام وفد على قرطبة سفيرها، وهو حبر يدعى يوحنا الجورزيني، نسبة إلى الدير[2] الذي ينتمي إليه في جروزني[3]. وكان يوحنا هذا من أكابر العلماء وأقطاب البحث والمناظرة[4]. والظاهر أنه قد وقعت فعلاً قبل ذلك مراسلات كلامية بين الناصر وأوتو عن الإسلام والنصرانية، وأن الناصر قد عرض في بعض رسائله بالنصرانية، فألفى أوتويو الفرصة سانحة لأن يدافع سفيره العلامة الذلق عن قضية النصرانية لدى خليفة قرطبة.

ولكن الناصر لم يبادر باستقباله لما علم أن رسالته تتضمن الجدل الديني أعرض عنه ولم يقبل أن تكون المسائل الدينية موضوع جدل بينهما، وعند إصرار يوحنا وإلحاحه، أجاب الناصر أنه سبق أن أرسل رسولاً أسقفاً من رعاياه فاعتقله أوتويو ملك النصارى مدة ثلاثة أعوام، وأنه مضطر إلى اعتقال يوحنا ضعف هذه المدة؛ لأنه ـ أي الناصر ـ أعلى مقاماً من ملك الألمان.

ولم تذكر الروايات شيئاً غير هذا[5]، ثم إن الناصر افتك أسيرهم بمراسلات أخرى، لا يتسع المقام لذكرها.

ومن ذلك: ما وقع من المنصور بن أبي عامر[6]، العالم العلامة

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ١/ق٢/٤٥٦.

(٢) الدير: قال ابن سيده: الدير خان النصارى وفي التهذيب، دير النصارى والجمع أديار، وصاحبه الذي يسكنه ويعمر ديّار. انظر: لسان العرب ٤/٣٠٠ المغرب في ترتيب المغرب ١/٣٠١.

(٣) لعلها جروزني عاصمة الشيشان اليوم، فك الله أسرها.

(٤) انظر: العبر لابن خلدون ٤/١٤٣، البيان المغرب ٢/٢١٨.

(٥) انظر: العبر ٤/١٤٣، دولة الإسلام في الأندلس ١/ق٢/٤٥٧.

(٦) ستأتي ترجمته في فصل الجهاد والرباط، وقد سبق ذكره قريباً.

الرباني، الأمير الشجاع الفتى القحطاني، لما أظهر عز الإسلام، عالي الشان أمام رسل الرومان. فاختال واحتال بحيلة هي نوع من المناظرة العملية في إظهار القوة وقهر معنويات الخصم؛ حيث جاء بمثاقيل الذهب والفضة، وجاء ببركة فيها أميال من النيلوفر (نوع من الورد)، ووضع الذهب والفضة فيها، ثم أمر بألف من الغلمان الصقالبة عليهم مناطق الذهب والفضة في أحسن صورة، ثم استدعى سفير الرومان، فلما رآهم دهش من حسنهم وجمال هيئتهم، ثم لما طلعت الشمس، أمر الغلمان بلقط الذهب والفضة من النيلوفر. . ، وكان منظراً بهياً إذا سطعت فيها شمس الضحى، والغلمان يلتقطون الذهب والفضة ويضعونها في أطباق الذهب والفضة. فدهش العلج وأعظم ذلك، وطلب المهادنة من المسلمين، وذهب مسرعاً إلى مرسله، وقال له: لا تعاد هؤلاء القوم، فإني رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها[1].

عقب المقَّري التلمساني بقوله: وهذه القضية من الغرائب في عز الإسلام وأهله.

أما سليمان بن هود ـ أحد أمراء الأندلس ـ الذي كان له حروب مع فرناندو ملك قشتالة، فقد حاصر طليطلة وعاث بأطرافها خراباً بين عامي (٤٣٥هـ ٤٤٠هـ) تقريباً، يسألونه الصلح والمهادنة، فطلب منهم أموالاً طائلة، واشترط شروطاً هائلة، فراجعوه؛ لو أنا نملك الأموال لأنفقناها على البربر ليدافعوا عنا.

فرد عليهم فرناندو بقول صارم يمثل سياسة إسبانيا النصرانية نحو الأندلس، بل يمثل سياسة الدول الصليبية كافة إلى اليوم ـ في نظرتهم لامتداد الإسلام ـ، فيقول مخاطباً المسلمين: «أما استدعاؤكم البرابرة، فأمر تكثرون به علينا، وتهددونا به، ولا تقدرون عليه، مع عداوتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم ما نبالي من أتانا منكم، فإنما نطلب بلادنا التي غلبتمونا عليها قديماً في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضي لكم، وقد نصرنا عليكم برداءتكم،

(١) انظر: نفح الطيب ٣/ ٨٥.

فارحلوا إلى عدوتكم، واتركوا لنا بلادنا، فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم، أو يحكم الله بيننا وبينكم»[1].

وهذا النوع من المناظرة بين قادة المسلمين وقادة النصارى كانت نتيجته مفجعة على المدى البعيد، فقد وقع المسلمون فيما وصفهم به النصراني من عداوة البربر لهم، ومن رادءتهم وبعدهم عن دينهم، ومن تصميم الأمم الصليبية على حرب الإسلام وإخراج المسلمين من الأندلس، وقد كان ما تنبأ به وتوقعه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن أحداث الدويلات الطائفية بالأندلس، حيث والت النصارى ضد بعضها، بمعاهدات عسكرية وغيرها ـ وما أشبه الليلة بالبارحة في تمزق أحوال المسلمين وضعفهم، وتوجسهم من بعضهم، ومن ثم التسلط على بعضهم بحروب غبية، لا هدف من ورائها ولا طائل ـ ما وقع من الفونسو السادس ملك قشتالة في حدود ٤٨٧هـ (١٠٨٥م) لما استولى على طليطلة[2] أرسل إلى المتوكل ـ أحد أمراء الطوائف ـ يتوعده ويطالبه بتسليم المدن، ودفع الجزية إلى غير ذلك من الشروط، لما شعر النصراني أنه قادر على هزيمة ملوك الطوائف جميعاً، أمام تخاذلهم وخيانتهم وممالأة الأعداء ضد بعضهم كما مرّ آنفاً مع ابن هود وغيره من أجل مصالح آنية، وألقاب فخرية، وعظمة وهمية، وصفها ابن رشيق بقوله:

---

(١) انظر: البيان المغرب ٣/٢٧٨، ٢٢٠، والنص في ص٢٨١، ٢٨٢. وأعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، أو تاريخ أسبانيا الإسلامية، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، ص١٧٨، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف ط. الثانية، ١٩٥٦م بيروت، دولة الإسلام في الأندلس، ق١/١/١٠٠.

(٢) كان سقوط طليطلة نذير شؤم على الأندلس، حيث صور هذا أبو عبد الله بن فراج اليحصبي المشهور بابن العسال بأبيات قال فيها:

يا أهل أندلس حثوا رحالكم	فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى	ثوب الجزيرة منسول من الوسط
من جاور الشر لا يأمن عواقبه	كيف المقام مع الحيات في سفط

انظر: نفح الطيب ٤/٤٥٥.

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد[1]

فرد المتوكل برسالة جيدة قوية حازمة تفيض شجاعة وإباء ونبلاً منها:

«وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير، وأحكام العزيز القدير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ثم يفرق، ويهدد بجنوده الوافرة وأحواله المتظافرة، ولو علم أن لله جنوداً عز بهم الإسلام، فأظهر بهم دين نبينا ﷺ أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله لا يخافون. أما تعييرك المسلمين، فيما وهى من أحوالهم، فبالذنوب المركوبة، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك علمت أي مصاب أذقناك، كما كانت آباؤك تتجرعه..»[2].

ثم ندب المتوكل قاضيه العلامة الفقيه أبا الوليد الباجي، ليتصل بالرؤساء الأندلسيين، وبحواضر الأندلس ليلم الشعث ويوحد الكلمة، لمدافعة العدو[3] وكان له الجهد المشكور في ذلك.

ومن ذلك ما وقع مع أبي يوسف يعقوب المنصور[4] العالم الفقيه الحاكم الأمير، لما خاطبه وتهدده ملك الإفرنج الفنش (الفونسو) في كتابه فمزقه، وقال لرسوله: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل: ٣٧] ثم قال لكاتبه: أكتب على هذه القطعة، يعني من كتابه الذي مزقه، الجواب ما ترى لا ما تسمع:

فلا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمرم[5]

---

(١) انظر: نفح الطيب ١/٢١٤.

(٢) انظر: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول ص٣٦، تحقيق: سيل زكار، عبد القادر زمامه، الرباط ١٩٧٩م، وطبعة تونس، ١٣٢٩هـ، دولة الإسلام في الأندلس ق٢/ ٩٠، ٩١.

(٣) انظر: الحلة السيراء لابن الابار ٢/ ٩٨، منشور بعناية: دوزي القاهرة.

(٤) ستأتي ترجمته في فصل الجهاد والرباط.

(٥) انظر: نفح الطيب ٢/ ١٠٢، ٤/ ٣٥٠، ٣٥١.

فرحم الله أبا يوسف في هذا الجواب السديد الذي افتقدته الأمة من زمن بعيد، والله المؤمل أن يعيده من جديد، إنه الناصر ذو القوة المجيد.

رسالة تهديدية أخرى أرسلها الفنش (الفونسو) إلى الأمير المعتمد ابن عباد، يتهدده ويأمره بتسليم بعض القلاع والحصون، وإلا فمصيره كمصير أهل طليطلة[1]، قاصداً تحطيم معنويات المسلمين.

فلما وصلت الرسالة رد عليه المعتمد ـ أبو البلاغة والأدب والشعر حسن الصياغة ـ برسالة جريئة، هزئ به وبجيشه ومن تسميته لنفسه «ذو الملتين» ونعته بالطاغية الباغية، ورد عليه بما يشفي الغليل ومنها:

«إلى الطاغية الباغية أذفونش بن شانجة، الذي لقب نفسه بملك الملوك، وسماها بذي الملتين، قطع الله دعواه، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنه أول ما نبدأ به من دعواه أنه «ذو الملتين» والمسلمون أحق بهذا الاسم...».

وعلل ذلك بصغر مملكتهم وضعف قدرتهم، ثم يفخر بجنود المسلمين، ويذكره بماضي قومه الأذلاء مع المسلمين: «.. أما تعلم أنّا في العدد والعديد، والنظر السديد، ولدينا من كماة الفرسان وحماة الشجعان، يوم يلتقي الجمعان، رجال تدرعوا الصبر، وكرهوا الكبر، تسيل نفوسهم على حد الشفار، وتنعاهم الهام في القفار. وقد أعدوا لك ولقومك جلاداً، وشفاراً حداداً...»[2]، ولله دره فقد صدق ما وعد، وأنجز ما تأمله ورنا إليه وهو

= وقيل إن الرسالة كانت موجهة ليوسف بن تاشفين والجواب له أيضا. انظر: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقيا، د. محمد ماهر حمادة، ص٢٥٦، ٢٥٧، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م، مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره، د. محمد بن عبود، ص١٥٧ ـ ١٦٣، منشورات عكاظ، ١٩٨٩م، الرباط.

(١) انظر: الرسالة بكاملها في الحلل الموشية، ص٣٨ ـ ٣٩، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي القيسي، ص١٨٥، دار البشير، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) انظر: الحلل الموشية، ص٤٠، أدب الرسائل في الأندلس، ص١٨٥، ١٨٦، الحلة =

متئد، فكسر الله الفونسو في شر هزيمة عرفتها الأندلس في موقعة الزلاقة الشهيرة، ويا ليت لنا من يجدد لنا عز الأمة، ويخرجها من هذه الحيرة.

ومن ذلك: ما وقع **لحريز بن محصن**[1] مع أذفونش (الفونسو) ملك الروم لما نزل بساحته، فبدأ بخراب الضياع والديار وقطع الأشجار، فكتب إليه حريز: ليس من أخلاق القدير الفساد والتدمير، فإن قدرت على البلاد أفسدت ملكك، فلما وصلته الرسالة عفى، وأمر بالكف[2] ثم لاطف الملك وأمر بالاجتماع به، فأظهر له حريز من عجائب قدرته وقوة المسلمين ما أذهله وأذهل النصارى، يرحمه الله.

ويذكر الشنتريني في الذخيرة استخذاء ملوك الطوائف بالأندلس لهذا الأذفونش اللعين وسخريته بهم، وضرب بعضهم ببعض وانتهاز ذلك لنهب الثروات وتقوية الذات ـ وهذا ما يفعله نصارى اليوم ـ ولما أن هزمه الله في الزلاقة الشهيرة شر هزيمة، ولى مدبراً وركب الجبال، قال فيه شاعر مسلم يقال له عبد الجليل قصيدة طويلة يذكر فيها مفاخر المسلمين ويمدح أمير المسلمين ناصر الدين ابن تاشفين، ومنها:

فثار إلى الطعان حليف صدق ... تثور به الحفيظة والذمام
نمى في حمير[3] ونمتك لخم[4] ... وتلك وشائج فيها التحام

= السيراء ٢/١٣٢، المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، ٢/٢٢، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، ط. الثانية، ١٩٦٤م، دار المعارف مصر، وذكر أن كاتب الرسالة فقيهاً مسلماً ارتد على عقبيه لما دخلت النصارى وكتب الرسالة للطاغية، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) هو الأمير حريز بن عكاشة من ذرية عكاشة بن محصن صاحب رسول الله ﷺ. انظر: نفح الطيب ٣/٣٥٨، ٥٥٨.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢/٥٥٨، ٥٥٩.

(٣) حمير: بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وفتح الياء، من أصول القبائل التي نزلت بأقصى اليمن. انظر: الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، ص١٧٨، نشره المستشرق د.س مرجليوث، طبع مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م.

(٤) لخم: حي من جذام، وقال ابن سيده: لخم حي من اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية. انظر: لسان العرب ١٢/٥٣٩.

فأين العجب يا أذفونش هلّا | تجنبت المشيخة يا غلام
ستسألك النساء ولا رجال | فتخبر ما وراءك يا عصام
أقمت لدى الوغى سوقاً فخذها | مناجزة وهَوْنٌ ما تسام
رأيت الضرب تصليباً فصلب | فأنت على صليبك لا تلام(١)

ومن ذلك: مناظرة كتابية بين الخليفة الموحدي المرتضي لأمر الله وبين البابا إنوسان الرابع.

وكان البابا أنوسان يريد توطيد النصارى في دولة الموحدين ـ كما يفعلون اليوم بدولة الصهيونيين ـ؛ لأن الموحدين اعتمدوا في بعض حروبهم على المرتزقة النصارى، فاجترأ البابا وأرسل رسالة إلى الخليفة مع أحد قسسه (لوبي فرنانديت)، وفحوى خطابه: تهنئته بالانتصار على بعض الخصوم، الإشارة بالجند النصراني المرتزق، حث الخليفة على اعتناق النصرانية، لكي يغنم حماية الله والكرسي الرسولي..

فرد الخليفة الموحدي برسالة لم يلق فيها أي اعتبار لدعوة البابا، وضمّنها عقيدة التوحيد الناصعة البيضاء، وتدور الرسالة حول النقاط التالية: مخاطبة البابا والثناء عليه بعد الثناء على الله ورسوله ﷺ الإشارة إلى توحيد الله، والتثليث، ذكر الأنبياء، ذكر دين الإسلام وعلوه، ذكر شأن النصارى الذين هم في دولة الموحدين.

ومن مقتطفات الرسالة: «إلى مطاع ملوك النصرانية ومعظم عظماء الأمة الرومية، وقيم الملة المسيحية، ووارث رئاستها الدينية، البابه إينه سانس أش، أنار الله بصيرته بتوفيقه وإرشاده...»

ومنها: «أما بعد فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو حمد من علم أنه الرب الواحد، الذي دلت عليه وحدانيته البراهين القاطعة والشواهد، ونزهته العقول الراجحة عن أن يكون له ولد أو يدعى أنه الوالد، تعالى الملك الرحمن عما يقول المثلث والمشبه والجاحد، ونصلي على سيدنا محمد...

---

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٢/ ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٩.

ونسأله ﷻ رضاه عن الإمام المعصوم[1]. وقد كتب عام (٦٤٨هـ)[2].

ونختم مراسلات ومناظرات القادة بما اختتم به المسلمون الأندلسيون حياتهم ووجودهم فيها. ألا وهي مراسلة الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا، لأحد الأمراء الخونة الذين باعوا الأرض والدين والعرض، وتخلوا عن ذلك أمام بعض الأطماع الشخصية والأغراض الآنية، بنفوس ذليلة خاضعة متهالكة، أمام بعض الضغوط الصليبية، والمفاوضات المظلمة الظالمة، إذ أخلدوا إلى الأرض، وتقاعسوا ونبذوا الجهاد، وتم كل ذلك في غيبة وسرية واستتار عن الحاضر والباد، وباسم الملايين من الشعب الأندلسي الأبي البطل.

يقول ملك قشتالة فرناندو مخاطباً يحيى النيار: «... وإنه إذا صحت عزيمتكم حقاً على اعتناق النصرانية، وعلى أن تخدمني وتعاونني برجالك، فإني سوف أكتم ذلك طول مدة الفتح، حتى لا يتقول عليك رجالك، ولهذا فإنك تستقبل التعميد المقدس سراً في غرفتي حتى لا يعرفه المسلمون إلا بعد تسليم وادي آش[3]، ثم أطمعه الملك ببعض المخصصات والامتيازات، وكان ذلك في سنة ٨٩٥هـ ١٣٩٠م تقريباً[4]، ولم تمض أسابيع حتى أثمرت هذه الرسالة وهذه الخيانة، فسلمت بعض مدن الأندلس في الإقليم الجنوبي إلى

---

(١) مما تجدر الإشارة إليه أن هذه واحدة من بدع دولة الموحدين التي جمعت خليطاً من البدع المنكرة، كالقول بالإمامة والعصمة من الروافض، وبدع الجهمية والقدرية، وتكفير المسلمين... إلخ، ودورهم كبير في حماية الإسلام بالأندلس والمغرب مدة طويلة من الزمن، ولهم وقعة شهيرة مع النصارى، انكسرت بعدها مئات السنين، مع ذكر أن بعض ملوكهم رجع إلى السنّة.

(٢) انظر: روض القرطاس، ص١٦٧، دولة الإسلام في الأندلس ٣/ق٢/ ٤٣٩، ٥٣٦ - ٥٤٠، ٧٣٨.

(٣) وادي آش: قرية من أعمال غرناطة وتوابعها، يقع في الجزء الجنوبي من الأندلس شمال الجبل المطل على البحر. انظر: المغرب ٢/ ٢٨ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لأبي عبد الله محمد بن إدريس ٢/ ٥٣٧، ٥٧٠، عالم الكتب، ط. الأولى، بيروت، ١٩٨٩م.

(٤) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق٣/ ١/ ٢٢٦، ٢٢٧.

النصارى، ثم تساقطت بهذه الطريقة واحدة بعد الأخرى، حتى أخرج المسلمون من الأندلس. والذي نخشى أن يكون التاريخ يعيد نفسه ببعض المعاهدات والامتيازات ببيع أراضي المسلمين ومقدساتهم، وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان.

المناظرات العقدية الشرعية في الرد على النصارى وغيرهم ممن جادل أو مارى:

كل ما سبق ذكره من الباب الأول في الرد على ضلال النصارى في أركان الإيمان وأصول الدين يدخل ضمنياً تحت هذا النوع، ممن ذكرنا أقوالهم من جهابذة العلماء وسادة الفقهاء. وسأورد تحت هذا العنوان ما ينطبق عليه من معنى كلمة المناظرة، وهي الكلام الجدلي المقنع، ومقارعة الحجة بالحجة ووضع ذلك أمام الملأ ليتبيّن الحق وينجلي أمام مريده وباغيه.

فالإمام الزاهد: **أبو مروان بن ميسرة**[1]، هو الذي اجتمعت أساقفة النصارى بطليطلة ـ أعادها الله ـ وكتبوا له رسالة بذلوا فيها جدهم، وأجهدوا جهدهم في بطاقة صغيرة عدد أسطارها نحو ثلاثين، لحنوا فيها وصحفوا في تسعة وعشرين موضعاً منها فأخلوا بالكلام، ولم يتحصل لهم من سؤالهم مطلب ولا مرام.

فأجابهم الإمام القاضي رحمه الله وأحسن في الجواب، وأظهر لهم جهلهم وتبلدهم في ذلك الكتاب[2]. ولم ينقل القرطبي عن هذا الإمام غير هذا الكلام، ومع البحث والتقصي لم أجد غير ما ذكره عنه في الإعلام.

---

(١) هو أبو مروان عبد الملك بن ميسرة بن خلف بن الفرج بن عزيز اليحصبي، من أهل شنتمرية الشرق، سكن قرطبة وولي قضاء الجماعة بها، سمع عن كثير من أهل العلم، كان من أهل الزهد والورع والتواضع والتقلل من الدنيا على تمكنه منها، والهدي الصالح على منهج السلف، تحمل عنه في ذلك أخبار عجيبة، قال فيه ابن بشكوال: «هو ممن جمع الله له الحديث والفقه، مع الأدب البارع والخط الحسن، استعفى من ولاية القضاء فأعفي مرغوباً فيه، توفي سنة ٥٥٢هـ وسنه ثمانون أو نحوها». انظر: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص٢٥٧، ٢٥٨ الديباج المذهب ١/ ٧.

(٢) انظر: الاعلام ١/ ٤٩.

والإمام **ابن حزم** في كتابه الفصل في الملل والنحل الذي ضمّنه الرد على اليهود والنصارى وأصناف المشركين، وأورد فيه من أنواع فن المناظرة، وأنواع الحجج العقلية ما ذكر بعضه في الباب الأول.

وله يرحمه الله في باب المناظرات العقدية قصيدة ميمية بليغة ـ أوردت منها في الباب الأول أبيات في الرد على ضلالاتهم العقدية ـ وكان سبب إنشائها أن اللعين نقفور المسمى بالدمستق ملك الأرمن، أرسل إلى الخليفة العباسي المطيع لله قصيدة نظمها له بعض من خذله الله وختم على سمعه وقلبه، يفتخر فيها به ويتعرض لسب الإسلام والمسلمين، ويتوعد فيها أهل حوزة الإسلام بأنه سيملكها كلها حتى الحرمين الشريفين، وزعم أنه ينتصر لدين المسيح عليه السلام وربما تعرض فيها لجناب الرسول ﷺ.

وسأورد بعض أبياتها ـ على أنها بلغت تسعة وستين (٦٩) بيتاً ـ مقتصراً على نموذج يعرف بهذه القصيدة النقفورية النصرانية فيقول:

من الملك الطهر المسيحي مالك | إلى خلف الأملاك من آل هاشم
إلى الملك الفضل المطيع أخي العلا | ومن يرتجي للمعضلات العظائم

بعد هذا المطلع الرائع الفخم ـ المتظاهر بالتسامح ـ ينتقل إلى التهديد والوعيد ويذكر بلاد الفرس والترك والديلم وبعض البلاد التي أعادها، ويسخر ببعض حكام المسلمين كبني حمدان وكافور:

ألا شمروا يا أهل بغداد ويلكم | فكلكم مستضعف غير رائم...

ويقول:

وأخرج منها نحو مكة مسرعا | أجر جيوشاً كالليالي السواجم
فأملكها دهراً عزيزاً مسلما | أقيم بها للحق كرسي عالم
وأحوى نجداً كلها وتهامها | وسراً واتهام مذحج[1] وقحاطم

---

(١) مذحج: أكَمة ولد عليها أبو هذه القبيلة، فسمي بها، وعن قطرب أنه أكمة حمراء باليمن، وهي من قبائل الأنصار. انظر: الفائق في غريب الحديث ٢/ ٣٧٨، المغرب في ترتيب المغرب ١/ ٣٠٣.

فأتركها أيضاً خراباً بلا قعاً ... خلاء من الأهلين أهل نعائم
أعود إلى القدس التي شرفت بنا ... بعز مكين ثابت الأصل قائم
وأعلو سريري للسجود معظماً ... وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم ... لكل نقي الدين أغلف[1] زاعم
نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم ... وأعلنتمو بالمنكرات العظائم
سأفتح أرض الله شرقاً ومغرباً ... وأنشر ديناً للصليب بصارمي
فعيسى علا فوق السموات عرشه ... يفوز الذي والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى ... فصار رفاتاً بين تلك الرمائم[2]

والعجيب أن ابن كثير لما ذكر القصيدة الأرمنية الملعونة المخذولة، ذكر أنه لم يبلغه أنه رد عليها أحد من أهل ذلك العصر، إما لأنها لم تشتهر، وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه؛ لأنه كالمعاند الجاحد[3]. وقد انتخى للجواب

---

(١) أغلف: الغلفة بالضم الغرلة والقلفة، وإذا لم يختن فهو أغلف. انظر: المصباح المنير٢/ ٤٥١، غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ١٦٠.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١١/ ٢٤٤، ٢٤٥.

(٣) هذا ما بلغ ابن كثير، ولكن العلامة أبا بكر محمد بن علي القفال الشاشي، رد عليها قبل ابن حزم في حينها وكان ـ يرحمه الله ـ ممن غزا الروم من أهل خراسان وما وراء النهر، وذكر أنها شقت على المسلمين لما وصلتهم لما فيها من التهديد والوعيد. انظر: فهرسة ابن خير، لأبي بكر محمد بن خير الأموي الأشبيلي ٢/ ٥٣٦، تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م وقدر لي أن أجد بعض هذه القصيدة الشاشية، ومنها:

أتاني مقال لامرئ غير عالم ... بطرق مجاري القول عند التخاصم
تسمى بطهر وهو أنجس مشرك ... مدنسة أثوابه بالمداسم
وليس مسيحياً جهول مثلث ... يقول لعيسى جل عن وصف آدم
ومن رام فتح الشرق والغرب ناشراً ... لدين صليب فهو أخبث رائم
ومن دان للصلبان يبغي به الهدى ... فذاك حمار وسمه في الخراطم

انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع/العاشر، عبد المجيد الشرفي، ص٤٥٦، ٤٥٧، الدار التونسية للنشر ١٩٨٦م، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ناقلاً القصيدة عن مستشرق يسمى قوم قرنباوم، مجلة: I; studia arabic ص٤٧ ـ ٥٣.

عنها بعد ذلك، أبو محمد بن حزم الظاهري، فأفاد وأجاد، وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد.

وقصيدة ابن حزم الفريدة الإسلامية المنصورة بلغت أبياتها مئة وخمسة وثلاثين (١٣٥) بيتاً ضمنها الرد التفصيلي على تلك القصيدة الكفرية، ومن أهم ما فيها، وقد قالها ارتجالا غضباً لله ورسوله، على نفس الوزن والقافية:

من المحتمي بالله رب العوالم ... ودين رسول الله من آل هاشم
إلى قائل بالإفك جهلاً وضلة ... عن النقفور المفتري في الأعاجم

ويذكر ابن حزم البلاد التي فتحوها عنوة وانتزعوها من أيديهم، مذكراً هذا النقفور بماضيه المخزي، وماضي الأمة الجديدة المشرق:

ألم تنتزع منكم بأعظم قوة ... جميع بلاد الشام ضربة لازم
ومصراً وأرض القيروان بأسرها ... وأندلساً قسراً بضرب الجماجم
مشاهد تقديساتكم وبيوتها ... لنا وبأيدينا على رغم راغم
ضممناكم قسراً برغم أنوفكم ... وكرسي قسطنطينية في المعادم
وساقوا على رسل بنات ملوككم ... سبايا كما سيقت ظباء الصرائم
وجمع كجمع البحر ماض عرمرم ... حمى بنية البطحاء ذات المحارم
ستفتح قسطنطينية وذواتها ... ونجعلكم فوق النسور القشاعم[1]
ونفتح أرض الصين والهند عنوة ... بجيش لأرض الترك[2] والخزر[3] حاطم
ونملك أقصى أرضكم وبلادكم ... ونلزمكم ذل الحر أو المغارم

ثم تقصى الرد عليهم في عقائدهم الفاسدة وكتبهم المحرفة، التي سبقت الإشارة إليها في الباب الأول في مواضعها، وختم قصيدته متهكماً بهم وبعقولهم.

---

(١) القشاعم: القشعم النسر الذكر العظيم. القاموس المحيط، ص١٤٨٤.

(٢) الترك: جيل من الناس حنس الأنوف. انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٨٤، أنيس الفقهاء، قاسم بن عبد الله القونوي ١/ ١٨٦، تحقيق: أحمد عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء ط. الأولى، جدة، ١٤٠٦هـ.

(٣) الخزر: بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند، قريب من سد ذي القرنين، ويقولون هو مسمى الخزر بن يافث بن نوح ﷺ. انظر: معجم البلدان ٢/ ٣٦٧.

لنا كل علم من قديم ومحدث وأنتم حمير داميات المحازم
أتيتم بشعر باردٍ متخاذلٍ ضعيف معاني النظم جم البلاعم[١]
فدونكها كالعقد فيه زمرد ودر وياقوت بإحكام حاكم[٢]

كما رد على النقفورية عالم أندلسي آخر ذكره الإشبيلي في فهرسة ابن خير فقال: «وجواب قصيدة نقفور هذه أيضاً للفقيه أبي الأصبغ عيسى بن موسى بن عمر بن زروال الشعباني، ثم الغرناطي صاحبنا رَحِمَهُ اللَّهُ. روايتي لذلك عن قراءة مني عليه وأولها:

من الملك المنصور من آل هاشم سليل السراة المنجبين الأعاظم

إلى آخرها، وهي مئة بيت واثنان وسبعون بيتاً»[٣].

قلت: وليته أوردها وأتحف طلاب العلم بها؛ لأنها فيما يظهر جيدة في بابها شريفة في جنابها.

وممن أسهم في المناظرات العقدية الشرعية **الإمام الباجي** في الرسالة

---

(١) البلاعم: البلعوم مجرى الطعام في الحلق وهو المرئ، وفي حديث علي: «لا يذهب أمر هذه الأمة إلا على رجل واسع السرم ضخم البلعوم»، يريد على رجل شديد عسوف أو مسرف في الأموال والدماء، والبلعم البياض الذي في جحفلة الحمار في طرف. انظر: لسان العرب ١٢/ ٥٥، العين ٢/ ٣٤١.

(٢) انظر: البداية والنهاية ١١/ ٢٤٤ ـ ٢٥٢، في أحداث سنة ٣٥٥هـ، طبقات الشافعية، تاج الدين السبكي ٣/ ٢١٤، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، مطبعة الحلبي بمصر ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م، فهرست ابن خير ٢/ ٥٣٦.

(٣) انظر: فهرسة ابن خير ٢/ ٥٣٧، ومما يجدر الإشارة إليه أن للإمام ابن حزم مناظرات كثيرات حتى مع مشايخه وزملائه، وقد حوت من الطرافة وتوقد الذهن وقوة الحجة والجنان الكثير. ومن ذلك: مناظرة ابن حزم لمن أراد معارضة القرآن وإقامة الحجة على عجز كل من رام ذلك، مناظرته لبعض علماء اليهود في الاختتان، مناظرة ابن حزم للنغرالي حول معنى أخت في العبرية، مناظرة ابن حزم للجرجاني حول وجود الله وتناهي الزمان، مناظرة ابن حزم لبعض المالكية، مناظرة ابن حزم لشيخه حسان بن مالك، مناظرة ابن حزم لليث بن حرفش. انظر: نوادر الإمام ابن حزم، لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ١/ ٣٨، ١٥٩، ١٧٣، ١٩٥، ٢٠٨، ٢١٥، خرجها وعلق عليها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

الآنفة الذكر، وتدل على تمكن أبي الوليد في فنون المناظرة - وقد سبق ذكر الكثير من ردوده على النصارى - من الكلام النفيس الدال على ذلك قوله - لما قال الراهب: صلب الإله وبذل دمه وهو ثالث ثلاثة، إلى غير ذلك من الشركيات - قال له: إن اعتقاد هذا الذي يعرف من تصور بيان فساده ومخالفته لبديهة العقل وأظن الحامل لك على ذلك أمران:

١ - إما أنك لم تر من الشرائع غير ما نشأت عليه، فاعتقدت أن سائر الشرائع تجري هذا المجري في الاستحالة والفساد، فأردت أن تستمر على ذلك إذ لم يظهر لك سبيل أفضل منه.

٢ - أو رأيت أنك قد نلت بهذا المحال عند جهال أهل ملتك، منزلة تكره أن تنحط عنها وتبعد منها، إذا انتهت إلى الدين الصحيح[١].

ومن فن مناظراته وإبداعاته مخاطبة الخصم مخاطبة الناصح المشفق مخاطبة وجدانية حيث يقول: «وإني لأعجب أيها الراهب على ما ينقل إلينا من فضلك في قومك، وتقدمك عند أهل ملتك، مما يبدو من فرط غفلتك وعدم معرفتك، فيما تضمنه كتابك...»[٢].

ومنهم **أبو عبيدة الخزرجي** في مقامع الصلبان.

ومنهم **الإمام القرطبي** في الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وتقدم ذكر شيء من كلامه النفيس في الرد على باطل القسيس.

ومنهم: **عيسى بن موسى**[٣]، من أهل غرناطة وهو عالم فقيه، ذكره صاحب حلة الصلة، وذكر أن له قصيدة ميمية حسنة في الرد على الروم وقفت

---

(١) انظر: رسالة الباجي الراهب فرنسا، ص٨١ - ٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص٨٧.

(٣) هو عيسى بن موسى بن عمر بن زروال الشعباني، من غرناطة، شيخ أديب فقيه محدث جليل، وله ابن من جلة الفقهاء، لم يذكر تاريخ وفاته لكنه بعد ٥٣٣هـ، بزمن. انظر: صلة الصلة لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي ٤/٥، تحقيق: عبد السلام الهراس، سعيد أعراب، طبع وزارة الأوقاف المغربية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

على القصيدة[1]، (قلت): وليته أوردها حتى لا يضيع هذا العلم النادر.

ومن ذلك: المناظرة التي جرت بين **ابن رشيق**[2] وقسيس:

فقد «ذكر أبو علي الحسين بن رشيق في كتاب الرسائل والوسائل قال: كنت بمدينة مرسية[3] جبرها الله أيام محنة أهلها بالدجن[4]، الذي عصم الله تعالى من غوائله وخلص من حبائله، وكان قد ورد عليها من قبل طاغية الروم، جماعة من قسيسهم ورهبانهم شأنهم الانقطاع في العبادة بزعمهم، ونظر العلوم مشرئبّون للنظر في علوم المسلمين وترجمتها بلسانهم برسم النقد، خيب الله تعالى سعيهم[5]، ولهم حرص على مناظرة المسلمين، وقصد ذميم في استمالة الضعفاء، يأكلون على ذلك مال طاغيتهم، ويستمدون به الجاه من أهل ملتهم قطع الله تعالى دابرهم. وكنت في ذلك الوقت أجلس بين يدي والدي رحمه الله تعالى لكتب الوثائق وعقود الأحكام، وأنا إذ ذاك لما بقل وجهي. فوجبت لمسلم على نصراني يمين في حق حكم عليه بها، وأمرت أنا وشاهد آخر بالحضور عليها ليتقاضاها المسلم منه على ما يجب، بحيث يعظم النصراني من دينه، فتوجهنا معهما إلى مجتمع أولئك الرهبان، بدار كان لهم فيها كنيسة يعظمونها، فلما فرغنا من قصدنا استدعاني قسيس منهم، من بلاد مراكش[6]، فصيح اللسان مدرك للكلام، معتدل في المناظرة، وأخذ

---

(١) انظر: المصدر السابق، ٤/ ٥٠ يرجع لفهرسة ابن خير، ص٤١٠.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) مرسية: بضم أوله والسكون وكسر السين، مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن الحكم، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها. انظر: معجم البلدان ٥/١٠٧.

(٤) الدجن: يقال دجن بالمكان إذا أقام والحمام والشاة إذا ألفت البيوت، وهي داجن. انظر: القاموس، ص١٥٤١ المغرب ١/ ٢٨٢.

(٥) هذه طلائع المستشرقين، وليت أن الأمة جهزت الطلائع الإسلامية لمقاومتهم، ولكن للأسف أنهم أهملوا حتى عصرنا الحاضر، وحتى تتلمذ على أيديهم الآلاف من أبناء المسلمين، ليقوموا بدورهم.

(٦) مَرّاكُش: بالفتح ثم التشديد وضم الكاف. أعظم مدينة بالمغرب وأجلها، وهي في البر الأعظم. بينها وبين البحر عشرة أيام في وسط بلاد البربر، اختطها يوسف بن =

يستدرجني للمكالمة ويقول: أنت طالب ونبيه، وقد سمعت بوالدك وبك، وحدثني المسلمون عنكما بخير وعلم وأنا أريد أن أكلمك فيما لك فيه منفعة ولي. وأنت لست ممن تخاف أن يخدع بالباطل، ولا ممن يخفى عليه الحق ويعاند فيه إذا ظهر له، فاجلس معنا نأخذ في مسألة من المذكراة، فأعجبني كلامه وتصرفه في كلام العربي، فجلست معهم، وقعد إلي منهم أربعة، وهو أحدهم، وكأنهم تركوه للمكالمة، فأخذ معي في أمر معجزة، أخذ متأدب مع الشارع صلوات الله عليه وسلامه، وذلك منه خوف أن ينفرني ومكيدة يستميلني بها لسماع كلامه، وكنت بحمد الله قد أحكمت شيئاً من أصول الدين مع والدي رحمه الله تعالى. وقال لي: أنتم تقولون: إن من أعظم معجزات نبيكم: القرآن العظيم الذي بأيديكم.

قلت له نعم، قال: وأنا لا أتكلم معك في غيره، وأنتم تقولون: إن نبيكم تحدى به العرب قاطبة في أحفل ما كانوا من الفصاحة فعجزوا. وإن هذه النكتة هي أوضع نكت الإعجاز وأجلاها وأبقاها على الدهر، بحيث يقف عليها المتأخر، كما وقف عليها المتقدم، ويستوى في التوصل إليها الخاص والعام.

قلت له: نعم، قال: وأنتم تقرؤون فيه: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة: ٢٤]. وذلك في آية التحدي ومعرض التعجيز، وتقولون: إن نفي المستقبل الذي في قوله: ولن تفعلوا. وهو النص على أن ما كان من العجز عنه في الوقت باق فيما بعد ذلك إلى باقي الدهر.

قلت له: نعم. قال: ثم لم يبق معارض واحد في الوقت، ثم مضت السنون والأحقاب، وانقرض لسان العرب الصحيح، واستولى عليه الفساد، أقمتم الإعجاز وصح ذلك النفي المتقدم، وجود أو صدق الخُبْر الخَبَر رأيتم أنه لم يبق للمعارضة مظنة تقدير، وأن المتأخر في هذا حصل على ثلج اليقين من المتقدم.

= تاشفين، ومعناها بالبربرية أسرع المشي. انظر: معجم البلدان ٥/ ٩٤ قلت: وهي مدينة تاريخية سياحية بجنوب المملكة المغربية.

فقلت له: أما هذا فلا أقول فيه إلا أن الأمر استمر على ما كان عليه أولاً، ولا يزيد المتقدم على المتأخر ولا المتأخر على المتقدم. والحق إذا ظهر من وجه واحد في وقت ما لا تزيده كثرة الوجوه صحة، ولا تدفع عنه الشبهة، ولكن هذا واقع في الوجود كما قلت، فما تريد أن تبني على هذا؟

فقال: ـ تعالى الله عن قوله ونزه الوحي الكريم عن تخييلاته ـ. أسمع الآن ما أقوله، ولا تفهموا عني أني أريد به أن أحداً عارض القرآن، أو أتى في ذلك بالشيء يوقع في النفس احتمالاً، لا والله، لا أقول ذلك وأدعي ما لم يقل به أحد من أهل ملتكم أو غيرها، ولكني أقول شيئاً آخر. أفهمه عني وتثبت فيه فإنه موضع نظر، في نفسي منه شيء، ولم أجد من أهل ملتكم أحداً يزيله عنها، على كثرة سؤالي عنه من كل من توسمت فيه المعرفة منكم، وذلك أن الكتاب المسمى بالمقامات، قد أجمع أهل ملتكم على أن أهل الأدب عجزوا عن معارضته، وكل من تعرض لذلك لم يأت بشيء يقاربه، ولا يقع موقعه. ثم إن مؤلفه مع ذلك تحدى أهل اللسان قاطبة بشيء منها، رأى أنه لا يؤتى بمثله، وزاد إلى ذلك، بأن صرح بنفي الإتيان بمثله في المستقبل تصريحاً لا يمكن إنكاره.

وذلك قوله في المقامة السادسة والأربعين أنشد البيتين والمطربين المشتبهي الطرفين، الذين أسكتا كل نافث، وأمنا أن يعززا بثالث، فأنشده:

سم سمة يحسن آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمة
والمكر مهما استطعت لا تأته لتنتقي السودد والمَكْرُمَه

وقد مضت بعد الأعصار، وانقرضت الأجيال، فلم يأتي أحد لهما بثالث كما قال، لا في عصره، ولا بعد عصره، على كثرة درس الناس لها وتداولها في مجالس المذاكرة ومحافل الأمراء واشتهارها في الأمصار. فعلى ما تقرر أولاً وجدناه عند جمهوركم في حق القرآن مسلماً ينبغي أن يكون ما أتى به الحريري أيضا في هذا الموضع معجزة، وإن لم يرد هو ذلك، ولا قصد هذا المقصد الذي نحن بسبيله، لكنه قد وقع ذلك في الوجود اتفاقاً، ووقع وقوعاً لا مرية فيه وأنتم مع ذلك لا تقولون إنه نبي، ولا يمكنكم قول ذلك ولا أنا

أريده، ولكن أريد أن هذا أمر قد وقع لمن حصل التسليم منكم فيه أنه غير نبي. فما الفرق بينه وبين ما كنا بسبيله أولاً؟، اللهم إلا أن نستعين على ذلك بقرينة أخرى أو بقرائن من غير القرآن غير مستقل بإثبات نبوءة نبيكم. وليس هذا قول أئمتكم، وأخذ يقرر أشياء من هذا القبيل، يتحذر فيها من تنفيري فيتأدب مع القرآن عند ذكره، ويعظم النبي ﷺ متى عرض له ذكراً، ويقول: النظر في هذا أحق عليك منه علي.

فأدركني والله انبعاث عظيم للزيادة على البيتين لم أر آكد علي منه في الوقت ولا ألجم لذلك المخزي منها، فأخذت أبدي له الفرق بين المسألتين بطرائف البراهين الأصولية والأقاويل العلمية، وخاطري مشتغل بالتفرغ للزيادة عليهما، وهو يقول في كل ما أقول له: قد سمعت هذا وناظرني به فلان.

فقلت له: كذا وسمعت هذا الآخر، وقد ذكر هذا الآخر فلان في كتاب كذا، واعترضني فيه كذا كذا كذا إلى أن يسر الله في زيادة بيت واحد.

فقلت له: مع هذا فقد زاد الناس على البيتين ولم يغفلوا عنهما فقال لي وأين هذا؟ فوالله ما رأيت أحداً ادعى هذا ولا أذكره يوماً قط.

فقلت له أنا أذكر بيتاً ثالثاً لهما ولا أذكر الآن قائله، ولم أر أن أنسبه لنفسي في الوقت؛ لأني قدرت أنه إن فعلت ذلك لا يقع منه موقعاً مؤثراً ثم أنشدته.

والمهرَ مهرَ الحور وهو التقى بادر البكرة والمهرَمَة

فلما سمعه وأعدته عليه حتى فهمه، فكأنما ألقمته حجراً، ورأيت فيه من الانكسار لذلك ما لم أره عند سماع الحجج العقلية، والمآخذ الأصولية فأخذ في الثناء علي، وأخذ أصحابه يسألونه عن تفهيم ما قلته له، فأفهمهم إياه، وقيدوا البيت، ولم أنفصل إلا وهم كالمسلمين في انقطاع شبهتهم قطع الله دابرهم»[1].

---

(١) المعيار المعرب ١١/١٥٥ ـ ١٥٨، وقد ذكر المراكشي في الذيل بعض من ذيّل هذه الأبيات تبعاً للحريري وفيها بلاغة ظاهرة، لا يتسع المجال لذكرها هنا. انظر: الذيل =

ومنهم **عبد الله الترجمان** في كتابه (تحفة الأريب) وفيه من أصناف المناقشات الشيء الكثير العجيب، الذي لم يجد بمثله الزمان.

ومنهم الفقيه القاضي **أسلم بن عبد العزيز**[1] لمَّا جاءه أحد النصارى مستقتلاً يطلب الموت فيما عرف (بحركة الاستخفاف) التي أثارها القسس ورجال الدين النصارى[2] وسمّوها حركة الاستشهاد. فوبخه القاضي أسلم وقال: من أغراك بنفسك أن تقتلها بلا ذنب؟، فبلغ من سخف النصراني وجهله أن ينتحل فضيلة ليست لعيسى عليه السلام، فقال للقاضي: وتتوهم أنك إذا قتلتني أني أنا المقتول؟، فقال القاضي ومن المقتول؟.

فقال له: شبهي يلقى على جسد من الأجساد فتقتله، وأما أنا فأرفع في تلك الساعة إلى السماء، فقال له أسلم: إن الذي تدعيه من ذلك غائب عنا، والذي يخبرك به من تكذيبك غائب عنك. ولكن ثَمّ وجه يظهر صدقه لنا ولك، فقال له النصراني: وما هو؟، فالتفت أسلم القاضي إلى الأعوان، ثم قال: هاتوا السوط، ثم أمر بتجريد النصراني فجرد، ثم أمر بضربه، فلما أخذته السياط جعل يقلق ويصيح، فقال له أسلم: في ظهر من تقع هذه السياط؟ فقال في ظهري.

= والتكملة لكتابي الموصول والصلة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، سفر: ٤/٤٩، تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت ومطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

(١) هو أسلم بن عبد العزيز بن هاشم، أبو الجعد، من موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه، كان عظيم القدر شريف البيت، سمع من علماء الأندلس ومصر، وله أحوال عجيبة في القضاء، وتركه سنة ٣٠٩هـ. انظر: قضاة قرطبة، أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني، ص٢١٢ ـ ٢١٦، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) انظر: الفتن والنكبات العامة وأثرها في الشعر الأندلسي، د. فاضل فتحي، ص١٨، دار الأندلس، ط. الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، والأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، محمد إبراهيم أبا الخيل، ص٢٢، ٩٣، مكتبة الملك عبد العزيز، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.

فقال له أسلم: وكذلك السيف والله في عنقك يقع، فلا تتوهم غير ذلك[1].

ومنهم **ابن لب** العلامة الفقيه الذي كان له تطواف كثير، خصوصاً بأرض النصارى حيث كان يناظر الأساقفة في الدين ويظهر عليهم بسنّة المسلمين[2].

وممن كان لهم دور في ذلك **أبو الحسن النباهي الأندلسي**[3] في كتابه القيم: المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، وقد أورد فيه نموذجاً رائعاً للمناظرات، وهو الإسهام الوحيد له في الرد على النصارى - حسب اجتهادي في البحث عن سيرة هذا القاضي الفاضل - والمناظرة التي أوردها بديعة في بابها، لطيفة في أسلوبها نادرة في وقوعها؛ ألا وهي المناظرة التي وقعت **لأبي بكر ابن الطيب**[4] مع النصارى.

إذ وجهه الخليفة العباسي عضد الدولة إلى القسطنطينية ليلقى ملك الروم. وأورد النباهي مناظرات عظيمة هذا مختصرها:

انشقاق القمر:

منها أن الملك قال له: هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر كيف هو عندكم؟.

قلت: هو صحيح عندنا. وانشق القمر على عهد رسول ﷺ حتى رأى الناس ذلك. رآه الحضور ومن اتفق نظره له في تلك الحال.

---

(١) انظر: قضاة قرطبة، ص٢١٥ - ٢١٦. (٢) انظر: الإحاطة ٣/ ٨٠.

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد المالقي النباهي، ولد بمالقة سنة ٧١٣هـ، في بيت علم وفقه، وكان فقيهاً وزيراً له تجوال في طلب العلم، ولا يعرف له تاريخ وفاة. انظر: نفح الطيب ٦/ ١١٩، أزهار الرياض ٢/ ٥، نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكتي، ص٢٠٥، نشر عبد الحميد الهرامة، ط. الأولى، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٩م. وط. الأولى، ١٣٢٩هـ، مطبعة السعادة، بمصر.

(٤) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، المعروف بالباقلاني المالكي، متكلم على مذهب أهل الحديث وطريقة الأشعرية، إمام وقته وعالم عصره، صلاحه أكثر من علمه، وهو إمام رأس الأربعمائة. انظر: المرقبة العليا، ٥٦، ٥٧.

فقال الملك: وكيف لم يراه جميع الناس؟.

قلت: لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد شقوقه وحضوره.

فقال: وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقرابة؛ لأي شيء لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس وإنما رأيتموه أنتم خاصة؟.

قلت: فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة، وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس، والبراهمة[1] وأهل الإلحاد. وخاصة يونان جيرانكم فإنهم منكرون لهذا.

فتحير الملك وقال في كلامه: سبحان الله. وأمر بإحضار فلان القسيس، وقال: نحن لا نطيقه.

فلم أشعر إذ جاؤوا برجل كالدب أشقر الشعر، فقعد. وحكيت له المسألة.

فقال: الذي قال المسلم لازم، ما أعرف له جواباً إلا الذي ذكره.

فقلت له: أتقول إن الكسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض، أم يراه أهل الإقليم الذي في محاذاته؟.

قال: لا يراه إلا من كان في محاذاته.

قلت: فما أنكرت من انشقاق القمر؟ وذكر قوله الآنف.

فقال: هو كما قلت لا يدفعك عنه دافع. وإنما الكلام في الرواة الذين نقلوا.

فقال الملك: وكيف يطعن في النقلة؟.

فقال النصراني: لا بد أن ينقله الجم الغفير وهذا لم ينقل عنكم فدل على بطلانه.

---

(١) البراهمة: هم قوم قالوا بإنكار النبوات والرسل، وقالوا في العقل مندوحة عن النبوة، كما قالوا بحدوث العالم، وخلقه من واحد، وهم يعبدون النجوم ويستدلون بها على الغيب. انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي ١/١٤١، ٣٤٨، دار الآفاق الجديدة، ط. الأولى، ١٩٩٧م بيروت، رسالة التوحيد، إسماعيل عبد الغني الدهلوي ١/١٣١، بلا بيانات.

قلت: يلزمه في نزول المائدة ما لزمني من انشقاق القمر. فلو كان نزول المائدة صحيحاً، لوجب أن ينقله العدد الكثير، ولو نقله العدد الكثير لم يبقى يهودي ولا نصراني إلا ويعلم هذا بالضرورة؛ ولما لم يعلموا الخبر بالضرورة، دل على أن الخبر كذب. فبهت النصراني والملك ومن ضمه المجلس وانفض المجلس على هذا.

مناظرة أخرى حول المعجزة:

وذكر أبو الحسن النباهي مناظرة أخرى مع الملك حول عبودية المسيح وهل العبد يحي الموتى ويخلق الطير؟

فأجابه أبو بكر الباقلاني: بأن هذا من الله، كما وقع مع موسى من فلق البحر والعصى واليد البيضاء.

مناظرة حول الألوهية:

ونقل عن ابن حيان: أن الطاغية وعده بالاجتماع في يوم محفل من محافل النصرانية. وكان الملك يجلس في أبهته إذ جاء البطرك، فقام له الملك وتمسحوا به، فعرفه لي بأنه ولي النحلة وقيم الديانة. فسلم القاضي عليه أحفل سلام. ثم قال له كيف الأهل والولد؟

فعظم قول أبي بكر عليهم وأطبقوا على وجوههم.

فقال: يا هؤلاء تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد، وتربون به عن ذلك ولا تستعظمونه لربكم؟

فسقط في أيديهم ولم يردوا جواباً، وتداخلتهم هيبة عظيمة ولم يردوا جواباً[(١)].

كما ذكر هذه المناظرات صاحب نفح الطيب وزاد أشياء أخرى، اكتفيت فيها بما أورده القاضي النباهي.

---

(١) انظر: المرقبة العليا، ص٥٧ ـ ٦٠، نفح الطيب ٢٩١/٥، ٣٠٣، ٣٠٤.

وممن له إسهام في هذا الباب **محمد بن أحمد القرموطي الأندلسي**[١] وعند تغلب طاغية الروم على مرسية ، عرف له حقه وبنى له مدرسة يقرئ فيها المسلمين واليهود والنصارى.

فقال له يوماً ـ وقد أدنى منزلته ـ: لو تنصرت وحصلت الكمال، لكان لك ذلك عندي، وكنت كذا وكذا. فأجابه بما أقنعه.

ولما خرج من عنده قال لأصحابه: أنا عمري كله أعبد إلهاً واحداً، وقد عجزت عما يجب له. فكيف حالي لو كنت أعبد ثلاثة كما طلب الملك مني؟[٢].

قلت: ليته ذكر هذا أمام الملك؛ لكان هو الجواب الدقيق، ولكان باتباعه حقيق، ولكن لعل المقام لا يحتمل ذلك، وبالله التوفيق.

وهذا الذي تقدم من ذكر المناظرات والمجادلات يمكن احتسابه في باب العقائد، وهي الفيصل بين أهل الديانات.

ومما ورد ذكره في الشرائع والتشريعات:

ما ذكره صاحب نفح الطيب عن العلامة الشاعر **يحيى الغزال**[٣] الذي بعثه الأمير المرواني عبد الرحمن بن حكم إلى ملك الروم، وجالس الغزال الملك وزوجته فأعجبهما حديثه وخفة فيه.

ولكنهما جادلاه في مسألة شرعية وردت بها سنن الفطرة، وهي:

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر القرموطي المرسي، من أعرف أهل الأندلس بالعلوم القديمة، آية الله في المعرفة بالأندلس يقرأ الأمم بألسنتهم في فنونهم التي يعرفونها. انظر: نفح الطيب ٤/ ١٣٠.

(٢) انظر: نفح الطيب ٤/ ١٣٠.

(٣) هو يحي بن حكم الغزال شاعر مطبوع جليل العلم عظيم النفس، أدرك خمسة من أمراء دولة الأمويين بالأندلس، ولقب بالغزال لحسنه وجماله توفي سنة ٢٥٠هـ، وهو ابن أربع وتسعين سنة. انظر: جذوة المقتبس ٢/ ٨٨٨، ٨٨٩، نفح الطيب ٢/ ٢٥٥، المغرب في حلى المغرب ٢/ ٩.

مسألة الختان:

فأمرت الملكة المترجم أن يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين إلى الختان، وتجشم المكروه فيه، وتغيير خلق الله، مع خلوه من الفائدة؟

فقال الغزال للترجمان: عرفها أن فيه أكبر فائدة. وذلك أن الغصن إذا زبر قوي واشتد وغلظ، وما دام لا يفعل به ذلك لا يزال رقيقاً ضعيفاً، فضحكت وفطنت لتعريضه[١].

ولله دره في هذا القول العجيب، وهكذا كان سفراء الدول الإسلامية، من أهل النظر السديد والجواب المفيد.

ومن ذلك ما ورد في نفح الطيب، عن **ابن عاشر**[٢] أنه سأله رجل.

فقال له: ما الفرق بين مكاشفة النصراني ومكاشفة المسلم؟

فقال له: المسلم الذي له هذه الدرجة يبرئ من العاهة والنصراني لا يبرئ؟

فقال: وهل يبرئ الفقيه من العاهة؟

فقال له: نعم.

ثم قال: وسئل بعضهم عن هذا، وكان السائل نصرانياً في زي المسلم.

فقال له: الفرق بينهما سقوط الزنار من وسطك.

قال: فسقط، وفضحه الله تعالى، وأسلم بسبب ذلك[٣].

قلت: وهذه المناظرة فيها نفس الصوفية فليتنبه له، ولعله أراد بإبراء الفقيه من العاهة ما يحدث عن طريق الكرامة. وبالله العصمة.

ومما يدخل في هذا الباب المناظرة التي وقعت بين نقفور طاغية الروم وبين أبي الحسن الشلباني.

---

(١) انظر: نفح الطيب ٤/٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) هو أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر الأندلسي، نزيل سلا، كان زاهداً معتزلاً مجاب الدعاء، له كرامات مشهورة كان معدوداً في كبار العلماء، توفي سنة ٧٦٥هـ. انظر: نيل الإبتهاج ص٧٠، نفح الطيب ٤/٤٩١، ٤٩٢.

(٣) انظر: نفح الطيب ٤/ ٤٩٤.

ومن **ذلك** المناظرة التي وقعت بمجلس المأمون العباسي بين العتابي وأبي قرة النصراني[1].

كذلك ما ذكره **الشاطبي** في اعتصامه من طريق ابن وهب من حديث علي رضي الله عنه ما وقع له من مناظرة يهودي ونصراني في حديث الافتراق. كما ذكر مناظرة أخرى وقعت لخالد بن يزيد بن معاوية، مع راهب نصراني حول إنكارهم نعيم الجنة الجسدي، ودحضه بالحجة، بضرب أمثلة دنيوية على النعيم فالصبي في بطن أمه ينعم ويطعم بلا أذى، وهذه إشارات إلى موضعها لمن أراد الرجوع إليها وفي ما أوردته عن علماء الأندلس من مناظرات ومجادلات للنصارى كفاية والحمد لله.

ومن المناظرات التي تجدر الإشارة إليها، إذ هي من ثمرة الإلحاد النصراني في تشويه العرب وأهل الإسلام، مناظرات كتابية وأدبية شعوبية، تولى كبرها بعض المولدين الصقالبة من أصل نصراني، ومن رجال الحركة الشعوبية: حبيب الصقلبي الذي تعصب لقومه في كتاب سماه: «الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة»[2].

وقد سبق هذا رجال منهم: محمد بن سلمان بن تليد المعافري، قاضي وشقه[3]، (ت: ٢٩٥هـ)[4].

ومنهم: عبد الله بن الحسن، المعروف بابن السندي، قاضي وشقه (ت: ٣٣٥هـ)[5]. ومن الشعوبيين المشهورين بالأندلس في القرن الخامس الهجري اللغوي الكبير أبي الحسن علي بن إسماعيل المرسي - نسبة إلى مرسية -

---

(١) انظر: المصدر السابق ٥/ ٢٩١.

(٢) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٤/ ١/ ٣٤، وذكر أنه من الفتيان المحبوبين وأنه من دهاة الناس وفصحائهم وبلغائهم، وممن فتن به الملوك.

(٣) وشقه: بفتح أوله وسكون ثانيه بُليد بالأندلس ينسب إليها طائفة من أهل العلم. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٧٧.

(٤) انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ٢/ ٢١، ت١١٤٩.

(٥) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، ت٦٨٧.

الضرير المعروف بابن سيده (ت: ٤٨٥هـ)[١]، وهو من المولدين.

أما الرسالة الشعوبية الشهيرة التي تولى كبرها أحد المولدين من أصل نصراني، نشأ في كنف المسلمين، وتعلم لغتهم، وعرف دينهم، وخبر عاداتهم، ثم غدر بهم، بعدما ذاق طعم الأمان والعلم والمعرفة ـ النادرة في القطر الأوروبي آنذاك ـ وكتب هذا المارق الذي يدعى **ابن غرسية**[٢] رسالة ذم فيها العرب، ومدح بني جلدته من العجم، وأحدثت هذه الرسالة دوياً كبيراً في الأندلس، وجد صداها في بعض كتب عنها، ومنهم صاحب الذخيرة: وهي رسالة ذميمة..، ذم فيها العرب وفخر بقومه العجم، وأراد أن يعرب فأعجم، وإذ قد أفضى بنا القول إلى ذكرها، فأنا أثبتها ها هنا بأسرها، وأجتلب فصولاً من رسائل جلائل لبعض أهل العصر ردوا عليه وبكتوه حتى أسكتوه[٣].

وهذا التحامل ضد العرب ـ أصل الإسلام ومادته ـ حمل في ثناياه بصورة بلاغية عجيبة، التنويه بوضاعة منبته، وخسيس صفاته، وابتذال عيشه ومعيشته، وانغماسه في شهوات الجنس... إلخ، والرفع من شأن العجم ـ أجناس الفرنجة ـ وترفعهم عن الدنايا، ونجدتهم وفروسيتهم وتبحرهم في العلوم باختلافها..

وجه هذه الرسالة ـ التي تحمل للعرب المقت والحقد ـ بأسلوب مقذع حمل أصناف الهجاء والكراهية، وجهها إلى أحد العلماء ممن كان يجالسهم وهو الكاتب الشاعر: **أبو عبد الله الجزار**[٤] أو الخراز أو الحداد

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٤٤، ١٤٥.

(٢) هو أبو عامر أحمد بن غرسية. من عجائب دهره وغرائب عصره، وإن كان نصابه في العجمية، فقد شهدت رسالته المشهورة بالتمكن من أعنة العربية، وهو من أبناء نصارى البشكنس ـ أي من شمال أسبانيا، الأقليم المعروف بالباسك، الخارج على إرادة الدولة ـ سُبي صغيراً وأدبه مولاه مجاهد العامري، ملك الجزر ودانية. انظر: المغرب ٢/ ٤٠٦، ٤٠٧، ط. دار المعارف الثانية، التكملة لكتاب الصلة ص٣٠.

(٣) انظر: الذخيرة ق٣/ج ٢/ ٧٠٣، ٧٤٦.

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد الانصاري الأوسي، من أهل سرقسطة، يكن أبا عبد الله ويعرف باب الجزار، وكان عالماً أديباً شاعراً راوية، يكثر الخط، ووالده كذلك، وهو الذي خاطبه أبو عامر بن غرسية. انظر: التكملة لكتاب الصلة، ص٤٦٢.

على اختلاف الروايات في ذلك، وإليك بعض المقتطفات منها:

وصفهم بالشجاعة في ظل السيوف والرماح، وليسوا كرعاة الشاة والبعير: «وما دريت أنهم الصهب الشهب، ليسوا بعرب ذوي أينق جرب، بل هم القياصرة الأكاسرة، مجدٌ نجدٌ بهمٌ، لا رعاة شويهات ولا بهم، شغلو بالماذي[1] والمران[2] عن رعي البعران، وبجلب العز عن رعي المعز...».

ثم يفخر بمظاهر الحياة الإفرنجية من الملبس والمأكل والمشرب وغيرها، مقابل حياة العرب، الذين لا نصيب لهم في ذلك، بل قنعوا بالشهوات ومعاقرة الخمريات «... شدهوا برنات السيوف عن ربات الشفوف[3]، وبركوب السروج عن الكلب والفروج، وبالنفير عن النقير[4]، وبالأمر والذمر[5]، عن معاقرة الخمر والزمر...»، ثم يفخر بفلسفاتهم وعلومهم المنطقية والرياضية والموسيقى، ويختم بفعل وقول المنافقين، حيث يفخر بالنبي العربي، وهو يذمهم، ولا فخر لهم في ذلك؛ لأن التبر من التراب والمسك بعض دم الغزال.. «لكن الفخر بابن عمنا الذي بالبركة عمنا، الإسماعيلي الحسب الإبراهيمي النسب»[6]، ثم يختم بالصلاة والسلام عليه وعلى صحبه.

---

(١) الماذي: الدرع. انظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي، ابن دريد ٢/ ٣٢٠، مكتبة المتنبي بغداد، وطبعة دار صادر بيروت.

(٢) المران: بالضم، الرماح الصلبة اللّدْنة، انظر: لسان العرب ١٢/ ٤٠٤، القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ١/ ٦١٠، بلا بيانات أخرى.

(٣) الشفوف: هو ما يعلق في الأذن من الأقراط والزينة. انظر: جمهرة اللغة ١/ ٢٥، دار صادر بيروت.

(٤) النقير: أصل النخلة ينقر فينبذ فيه. والنقير: الصوت. انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٩٨ ولعل المراد في السياق الخمرة والغناء.

(٥) الذمر: يقال بلغ الأمر المذمر إذا اشتد. انظر: التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة، للحسن بن محمد الصغاني ٢/ ٥٢٨، تحقيق: إبراهيم الأبياري، محمد خلف الله، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

(٦) انظر: الرسالة كاملة في الذخيرة ق٣/ ٢/ ٧٠٥ ـ ٧١٤.

موقف العلماء من الرسالة ومحتواها وذكر بعض من رد عليها:

أثارت هذه الرسالة المرارة في أوساط العلماء والأدباء ـ الأندلسيين ـ على حد سواء، ولما وقفوا عليها أثارتهم فردوا عليها بردود من جنسها، ومن العلماء الذين تصدوا لذلك:

أبو جعفر أحمد بن الدودين البلنسي[(١)]، ومن رسالتة البليغة إلى هذا المارق: «اخسأ أيها الجهول المارق، والزنديق المنافق، أين أمك؟ ثكلتك أمك، أوما علمت أنك سحبت من عقالك لعقّالك، وقدمت أول قدمك لسفك دمك...»[(٢)]. ويخبره أنه لو كان معه رجال أهل حمية، لما استطاع أن ينال من الإسلام وأهل الإسلام، ولكنه «بين همج هامج، ورعاع مائج، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء»، ويبادله السباب بالسباب، لما وصف بني جلدته بالصهب الشهب، «الصهب السبال من ولغ الدم وشرب الأبوال، أكلة الجيف وحلل الكنف»[(٣)]، ثم يصفهم ابن الدودين بممارسة الرذيلة وعدم الغيرة على نسائهم، الذين أباحوا فروج نسائهم، أما مجالس العرب فهي السروج، وموسيقاهم رنات السيوف...

ويسخر منهم ابن الدودين في دينهم البعيد عن المعقول، إذ يستمسكون بمعتقدات زائفة لا أصل لها ولا يقبلها ذوو العقول، ويبيّن كذبهم على الله وعلى رسل الله في اعتقادهم بألوهية غير الله، وبصلب الله، وتحريفهم لكتاب الله؟.

«ولم يزالوا يتعاورون أصلهم الإنجيل بالزيادة والنقصان، إلى أن صاروا في حيز الهذيان وحسبك بهم جهلاً، أنهم يعتقدون إلهاً بنبيهم، فوسموه بالرب

---

(١) هو أحمد بن الدودين البلنسي، كان شاعراً وناثراً مجيداً. انظر: الذخيرة ق٣/٢/ ٧٠٣، المغرب ٢/ ٣٢٢، نفح الطيب ٤/ ١٥٧.

(٢) انظر: الذخيرة ق٣/ ج٢/ ٧١٥.

(٣) الكنف: هو المرحاض الذي يستتر فيه. انظر: العين ٣/ ١٠٣، المطلع على أبواب المقنع، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي ١/ ١١، تحقيق: محمد بشير الإدلبي، المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م بيروت.

المعبود، وصيروه بعد مصلوب اليهود...»[1].

ومنهم: **أبو الطيب عبد المنعم القروي**[2] في رسالة طويلة جداً.

ومنهم: كاتب سماه الشنتريني: **ابن عباس**[3] في صفحات مطولات قاربت العشر.

ومنهم: **أبو عبد الله بن الخصال**[4] الكاتب الوزير في رسالة أوردها صاحب الذخيرة، سماها «خطف البارق، وقذف المارق في الرد على ابن غرسيه الفاسق»[5].

ومنهم: **أبو يحيى بن مسعدة**[6] برسالة مطولة.

منها: «وبعد قرع صفاك[7] وصفع قفاك، ننتقل إلى نقلة أديانكم، وجملة

---

(١) انظر: الذخيرة ق٣/ ٢/ ٧٤٦.

(٢) هو عبد المنعم بن عبد الله القروي، عالم دخل الأندلس وحدث في شرقيها عن ابن عبد البر الصقلي، وكان أديباً شاعراً، توفي سنة ٤٩٣هـ. انظر: الصلة ١/ ٣٧١، ٣٩٢، الذخيرة ق٣/ ٢/ ٧٢٢.

(٣) انظر: الذخيرة ق٣/ ٢/ ٧٤٦.

(٤) هو أبو عبد الله أحمد بن مسعود بن خصلة بن فرج بن مجاهد الغافقي بن أبي الخصال، شقوري، سكن قرطبة، كان من أهل الحفظ للفقه والتقدم في البصر بالمسائل والمعرفة بالنوازل، تولى خطة الأحكام زمناً واتسم بجودة النظر فيها. انظر: الديباج المذهب ١/ ٥٨، قتل شهيداً ظلماً سنة ٥٤٠هـ. انظر: كشف الظنون ١/ ٧١٦، التكملة ١/ ٤٠.

(٥) انظر: رسائل ابن أبي الخصال، للفقيه أبي عبد الله بن الخصال، ص١٤، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الذخيرة ق٣/ ٢/ ٧٢٢، دولة الإسلام في الأندلس ق٢/ ٢٠٦.

(٦) هو الفقيه الكاتب أبو يحيى محمد بن أبي الحسن بن مسعدة، من مشاهير الكتاب، مات عن سن عالية، ولي الخطبة بجامع غرناطة، توفي سنة ٦٠١هـ. انظر: المقتضب من كتاب تحفة القادم، لأبي عبد الله بن الأبار، اختيار وتقييد: أبي إسحاق البلفيقي، ص١٤٠، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، التكملة، ت: ١٦٢٥، المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد ٢/ ١١٣.

(٧) الصفا: الصخرة الملساء، يقال في المثل: ما تندى صفاته، ولا تقرع لهم صفاة، أي لا ينالهم أحد بسوء. انظر: لسان العرب ١٤/ ٤٦٤.

أحباركم ورهبانكم، وإقامة أقانيمكم الثلاثة في سنودِساتكم الست[١].. يا تبعة المجوس وقرعة القرن والناقوس، ألسنا بالقوس، وأنتم بالقرقوس[٢]، عبدة التثليث، وشردة أجراء الثالوث.. ومن فضائح العقول اتخاذهم الجوهر وروح القدس وابن الانسان إله واحد؟»

وفي فصل منها: «وأما أنتم النصارى الخسارى فقد اتخذتم المسيح وأمه إلهين من دون الله وقلتم بالمحال في قضايا العقول والاستدلال، قلتم: إله واحد وأب وابن وروح قدس، فهو إذن ابن نفسه، وأبو نفسه وروح روحه...» إلخ[٣]. وهي فريدة في معناها ومبناها، أجاد فيها ما أراد، يرحمه الله.

ومنهم **أبو مروان عبد الملك بن محمد الأوسي**[٤] في رسالة (الاستدلال بالحق على تفضيل العرب على جميع الخلق)[٥].

وقد استمر السخط على رسالة ابن غرسيه ما يزيد على قرنين، فهذا عالم أندلسي يسمى: **أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي**[٦] في كتابه: «الف با».

---

(١) السندوس: المجمع الديني. انظر: مروج الذهب ومعادن الجواهر، لأبي الحسن علي بن الحسن المسعودي ١/٣١٨، ٣١٩، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط. الرابعة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) القرقوس: القف الصلب، قال ابن شميل: هو القاع الأملس الغليظ الأجرد الذي ليس عليه شيء، ويكون مرتفعاً ومطمئناً. والقرقوس: الأملس. انظر: لسان العرب ٥/٩١ ـ ٦/١٧٣.

(٣) انظر: رسائل أندلسية، ص١٩١ ـ ٢١٩.

(٤) لم أجد له ترجمة عدا ما ذكره صاحب كشف الظنون في ١/٧٨، لما ذكر كتابه، وفي ١/٨٥٦، لما ذكر رسالة ابن غرسيه الفاسق.

(٥) انظر: كشف الظنون ١/٧٨، ٨٥٦.

(٦) هو الإمام القدوة المجاب الدعوة أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن غالب البلوي المالقي، المعروف بابن الشيخ، أخذ عنه كثير من أهل العلم وعنه كثير منهم، كان ربانياً متألهاً قانتاً لله كثير الغزو يعد من الأبدال وفحول الرجال، تلا بالسبع فأفاد، توفي بمالقة عن خمس وثمانين سنة عام ٦٠٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/٤٧٩، نفح الطيب ١/١٥١، التكملة ٣/٦١.

يقول مندهشاً متعجباً من تفريط وغفلة أهل ذلك العصر، أنهم لم يتخطفوا هذا المفتري: «والعجب من أهل ذلك الزمن، كيف استقروا على هذه الفتن، وأقروا هذا المجترئ على هذا الاجتراء، وما جاء به من الافتراء، أم كيف أبلغوه ريقه وأوسعوا له طريقه، ولم يهلكوه وفريقه»[1].

وذكر أنه «أنشأ رسالة يفضل فيها العجم على العرب، ظن أنه أعرب فيها وأغرب، ففسق بها وبدع، وسب بسببها وجدع»[2].

ويرحم الله أبا الحجاج، كيف لو رأى ما كتب بعده أفراخ المستشرقين..؟، وها هو الخرق قد اتسع على الراقع، وظهر من أصناف الزنادقة والمارقين ما يجعل دنيا بلا قع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

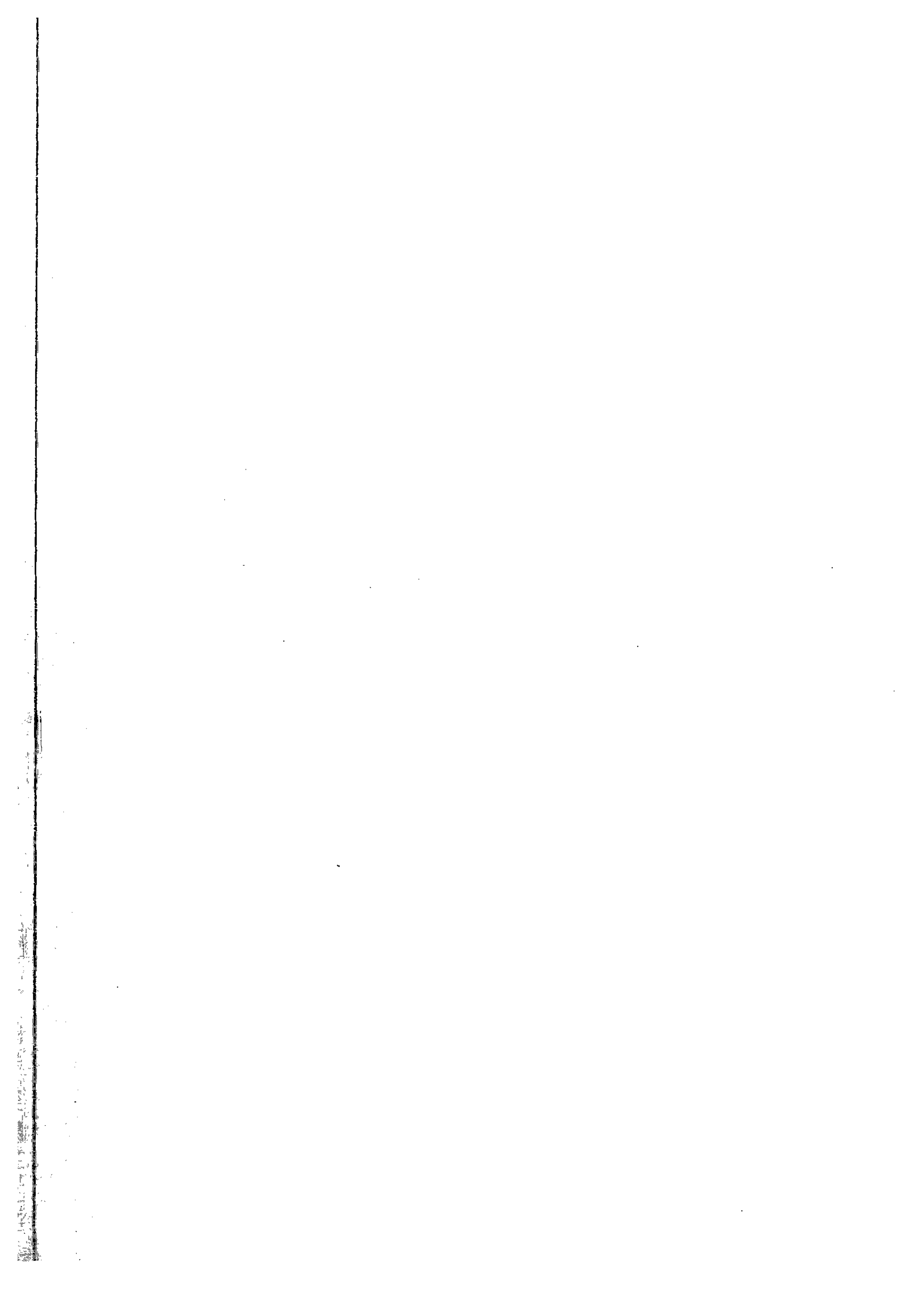
هؤلاء بعض من ردوا على ابن غرسية، ولولا الإلزام والالتزام بالاختصار لأوردت مقتطفاً من نصوصهم ما يشفي، وفيما ذكرته ما يكفي، وسيأتي لذلك مزيد في فصل قواعد في التعامل مع النصارى، والله الموفق.



---

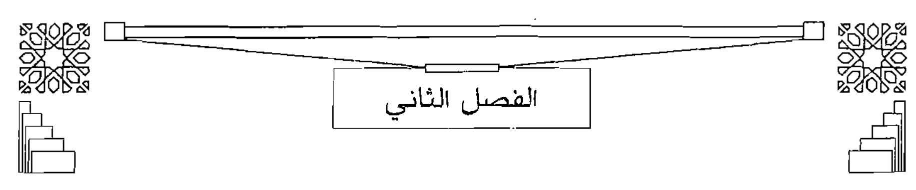
(١) انظر: كتاب الف باء، للأمام أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي، ١/٣٥٣، عالم الكتب، توزيع مكتبة المتنبي القاهرة، مكتبة سعد الدين دمشق. ودولة الإسلام في الأندلس ق٢/٢٠٦.

(٢) ألف باء، لأبي الحجاج البلوي ١/ ٣٥٠.



الفصل الثاني

جهودهم في رد شبهات النصارى



جهودهم في رد شبهات النصارى

عند وقوفي على ما جمعت في هذا الفصل والفصل السابق (الجدل والمناظرات)، وعند صياغتهما في البحث ترددت في جعلهما فصلاً واحداً، ذلك أن كل مناظرة ما هي إلا نتاج شبهة، وكل جدل ما هو إلا لدفع الشبهة. وكان من المناسب أن يدرج هذا الفصل تحت سابقه؛ إذ كل ما مضى من البحث لا سيما الفصل السابق، إنما ورد في سياق دفع شبهات النصارى التي أوردوها ليصدوا عن سبيل الله.

ومما شجعني على إبقاء هذا الفصل مستقلاً: أني وجدت بعض العلماء الأندلسيين أفردها ورد عليها، وأن بعض هذه الشبهات التي أثارها القسس، توارثوها حتى وصلت إلى خلفهم ممن يسمون بالمستشرقين، ثم تلقفها منهم بعض بني جلدتنا من تلامذة المستشرقين من العلمانيين أو ممن ينعتون أنفسهم بالمستنيرين، كشبهة نشر الإسلام بالسيف.

وليكون من باب عطف الخاص على العام أبقيته على حاله، مستعيناً بالله في كل حاله، متوكلاً على ذي الجلالة.

ومن تكلم على هذا النوع من العلماء الأندلسيين:

ابن حزم

يتناول بعض الشبهات التي يثيرها النصارى اليوم، ويحتجون بها على المسلمين ويجعلونها مستنداً لهم فيما يسمى بحوار الأديان؛ إذ أن الأديان ـ بناء على الشبهة ـ منزلة من عند الله فلا بأس أن يبقى كل على دينه؟!

شبهة:

يقول أهل الكتاب أنكم تستدلون علينا بثبوت نبوة النبي ﷺ، بما ورد في التوراة والإنجيل - وهذا دليل ثبوتهما - وقد استشهد نبيكم عليهم بنصها في قصة الرجم.

وروي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه ضرب يد عبد الله بن صوريا إذ وضعها على آية الرجم[1].

وروي أن النبي ﷺ أخذ التوراة، وقال: «آمنت بما فيك»[2].

وفيه أيضا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾ [المائدة: ٦٨].

وفيه أيضاً: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣].

ثم أورد ابن حزم آيات أخرى كثيرة مما يستدلون بها في هذا وأجاب:

أن هذا كله حق حاشا قوله عليه السلام: «آمنت بما فيك»، فإنه باطل لم يصح قط بل هو خبر مكذوب موضوع، وكله موافق لقولنا في التوراة والإنجيل. ونحن نؤمن بأن الله أنزل التوراة والإنجيل والزبور، ولكن اليهود والنصارى مع تقادم الأزمان بدلوا وغيروا كما ذكر الله، وأبقى بعضه حجة عليهم من ذلك ما ذكر فيه من نعت نبينا ﷺ، ثم ذكر الآيات الواردة في تحريفهم للتوراة والإنجيل واحدة واحدة، وذكر من مخازيهم في التحريف والتبديل والكذب الشيء الكثير. وأفاد أن إقامتهم للتوراة والإنجيل والحكم بما فيهما هو الإيمان بالنبي ﷺ، وأنهم كما أخبر الله عنهم يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد ٢/ ٥، رقم (٤٤٩٨)، وأبو داود ٣/ ٣١٣، رقم (٣٦٢٦)، باب كيف يحلف الذمي، وابن حبان ١٠/ ٢٨٠، رقم (٤٤٣٥)، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٢٣١، رقم (١٦٧٩٠)، باب الحبلى لا ترجم. وأبو يعلى في مسنده، الإمام أحمد بن علي الموصلي ٤/ ٢٩، رقم (٢٠٣٢)، تحقيق: حسين سليم أسعد، دار المأمون دمشق ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م والحميدي في مسنده ٢/ ٥٤١، رقم (١٢٩٤).

(٢) لم أجده في كتب الأحاديث وهو كما سيأتي من كلام ابن حزم: لا أصل له.

(٣) انظر: الفصل، ١/ ٣١٣ - ٣١٩.

إذن لا حجة لهم أنهم أهل دين سماوي أو أهل إيمان بل هم كفار من أهل النار.

شبهة:

أن كتابكم أورد ذكر الحواريين وأثنى عليهم وعلى صدقهم، وهؤلاء الذين كتبوا الأناجيل، فكيف تكذبونهم فيما ذكروه عن الله؟

وقد أجيب على هذا آنفاً وفيه الكفاية[1].

شبهة:

ومما يورده أهل الكتاب من الشبه ـ وقد أوردها ابن النغريلة اليهودي، في كتاب له ـ أن الله لم يرسل النبي إذ هو في شك من رسالته، قول الله تعالى في القرآن: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [يونس: ٩٤].

قال هذا المجنون فهذا محمد كان في شك مما ادعاه.

«قال أبو محمد: كان يلزم هذا الخسيس أن لا يتكلم في لغة لا يحسنها، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يبدي سوءته ويبدي عورته، وليعلم أن «إن» في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط؛ لأن من المحال العظيم أن يقاتل إنسان أهل الأرض ثم يقول إني في شك مما أدعوكم إليه، إلا مثل هذا السخف في دماغ المجنون الجاهل..

وإن معنى إن ها هنا: «ما»، وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية، كما قال تعالى آمراً نبيه: ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] بمعنى ما أنا إلا نذير. وكما قال: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١]. ثم أورد آيات في هذا وأنها تعني «ما»، وقال: فعلى هذا المعنى خاطب نبيّه ﷺ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾، ثم قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾،

---

(١) انظر: الباب الأول، الفصل الثالث، المبحثان الثاني والثالث.

بمعنى ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك، ما هم في شك مما أنزلنا إليك، بل هم مؤمنون بصحة قولك وأنك نبي حق..»، ثم وبخ الجاهل المعاند في رد طويل هذا أهم ما فيه[1].

أبو عبيدة الخزرجي

تناول الشبهات التي أثارها القسيس في رسالته، وهي شبهات كثيرة، والعجب أن هذه الشبهات لا يزال يرددها النصارى وأفراخهم من المارقين الذين تتلمذوا على أيديهم من أبناء المسلمين، ومن أبرز الشبهات التي تناولها:

شبهة:

زعم النصراني أن أساقفة النصارى طعنوا في النبي لأنه صاحب حيل، ولذلك فإن المسلمين ليسوا على الحق، وأنهم هم على الحق، بدليل أن رهبانهم يظهرون الآيات والمعجزات، ومن ذلك: نزول النور عليهم ليلة عيد السنة[2].

أجاب الخزرجي على هذا بإيراد عشرات المعجزات الثابتة للنبي ﷺ، وأنه إذا ألغيت نبوة الأنبياء ومعجزاتهم بهذه الدعوى، فكل نبي يجوز عليه ذلك ومنهم موسى وعيسى.

ورداً على المعجزات والكرامات التي يظهرها الرهبان، أوضح أن هذا من تلبيسهم على العوام، وذلك أن حذاقكم وعقلاءكم لما علموا أن دينهم ليست له قاعدة يبنى عليها، ولا أصل يرجع إليه جمعوا عقول العامة بتخيلات موهمة وأباطيل مزخرفة، وصنعوها في الكنائس والمزارات.

---

(١) انظر: الرد على ابن النغريلة، ضمن رسائل ابن حزم، ٣/٥٣ ـ ٥٥، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. الثانية، ١٩٨٧م، وأشار إليه في الفصل ٤/٥١ عند ذكر الشبهة بقوله: ولنا في هذه الآية رسالة مشهورة. ومما يجدر ذكره أن الرسالة المذكورة كلها في رد الشبهات التي أثارها اليهودي.

(٢) انظر: مقامع الصلبان، ص٧٨، ١٠٣، ١٠٤.

ثم ذكر الخدع الكنسية وضرب لها ستة أمثلة منها:

خدعة كنيسة: فمنها ما وصف لي عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم، أن يد الله تخرج لكم فيها، وفي يوم واحد، معلوم من السنة من وراء ستر، وسرها خاف عنكم، وأنا أكشفه لك، فقد حكى لي من أثق بصدقه وقريحته، أن رجلاً من اليهود كان قد حظي عند أحد رؤسائكم بالأندلس بوصلة، كانت بينهما، يرعاها الرئيس له.

فكان قد رغبه في الخروج عن دين اليهودية، إلى دينه، وقال له: ألا ترى هذه الأعجوبة، ظهور يد الله لنا في يوم معلوم من السنة؟

فقال له اليهودي: يا مولاي أنا قد رضيت في هذا الأمر بشهادتك، وصدقتك فيما سوف تروي لي، فابحث عنه، فإن كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقاً، صبوت إلى دينك.

فخالط الرئيس حينئذ الشك، فلما دنا ذلك اليوم الذي تظهر فيه اليد، سافر بحملته نحو المشهد، وأخذ معه مالاً، يهديه هناك، فبرز إليه الأساقفة، وقربوه لتقبيل اليد، فلما ظهرت اليد له من وراء الستر، وضع يده فيها، ومسكها مسكاً شديداً، وقال:

والله لا أترك هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها.

فصاحوا به يقولون: اتق الله الآن تخسف بك الأرض!! الآن تقع عليك السماء!

الآن ترسل عليك الصواعق!!

فقال: دعوا عنكم هذا كله، فإن هذه اليد، لا أحل يدي عنها، حتى أعلم أحقاً ما تصفون أم باطلا.

فلما رأوا إلحاحه، لم يبق معه منهم إلا اثنان، أسرا إليه القول وقالا: ما تبغي في ذلك؟ أرجعت عن دين آبائك؟

قال: لا.

قالا: أتريد أن تحل ربطاً ربط منذ ألف سنة أو نحوها؟

قال: لا، ومعاذ الله!!، ولكني أحب الوقوف على سر هذه اليد.

قالا: هي يد أسقف، واقف دون هذا الستر.

قال: أحب أن أراه.

قالا: أنت وذاك.

فكشفوا له عن قس مجرود الخدين، واقف وراء الستر، فلما عاينه الرئيس أرسل يده، وخرج إلى عسكره.

فقال اليهودي: يا مولاي ما تأمرني به في ديني؟

قال له: أنت ورأيك، خرجت منه أو بقيت عليه، فأنت المخير!!

ففهم اليهودي، وسكت. ومن ذلك الوقت بطلت هذه الحيلة.

(قلت): ولسان حال الملك يقول: كلاهما دين باطل، فلا بأس عليك أن تبقى على ما أنت عليه.

خدعة أخرى: ومن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة، إذا قرئ الإنجيل عندها تبكي، وتجري دموعها، يشاهدها الخاص والعام، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل.

وحقيقة الأمر، أن لها مجاري دقاق في أجوافها، متصلة من ورائها بزق مملوء ماء، يعصره بعض الشماسة[1]، فيندفع الماء في تلك المجاري، وتخرج من عيون تلك الأصنام على هيئة الدموع.

خدعة ثالثة: ومن ذلك كنيسة بالأندلس، كان فيها ثُريّا تقف على نحو وقوف الصليب المتقدم ذكره، وينزل فيها نور يوقد فتيلها في يوم من السنة.

فذكر ذلك لأحد أمراء بني أمية بالأندلس، فتعجب من ذلك، وسأل عنه فأخبره رجل من أهل إفريقية، أنهم مدوا مع الحائط قصبة من حديد، ضيق جوفها، وأبرزوا لها أنبوباً كسم الخياط، موضعه موزون مع طرف فتيل الثريا.

---

(١) الشماس: كلمة يونانية معناها خادم، ووظيفتة الخدمة الروحية والوعظ في الكنائس. انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٥٢١.

ثم أنهم في ذلك اليوم يرسلون نار النفط في القصبة متراكماً، حتى يخرج في غاية القوة إلى فتيل الثريا الذي هو في زنة واحدة معه.

ووصف الإفريقي مع ذلك حيلاً ودهاء، وذكر ما ذكر في وقوف الصليب. فاجتاز الأمير على تلك الكنيسة في إحدى غزواته، وقد دنا يومها فتذكر ذلك، فدعا الإفريقي، فعاين معه ما يفعلون، فأعجبه، وسأل الإفريقي كشفه، فعمد إلى الحائط، فاستخرج منها قناة من النحاس الأصفر، على نحو ما كان ذكر.

ثم عمد إلى سماء الثريا، فأخرج منها حجراً كبيراً من المغناطيس، فسقطت وأمر الأمير عند ذلك بأن يعاقب القسيسون.

وذكر الخزرجي خدعاً أعجب من هذه، كوقوف الصليب في الهواء دون ممسك له. عن طريق المغناطيس، وأسقط الخزرجي التلبيس وتخريف الدين على النصرانية ورهبانها وعدها هذيانات لا تجوز إلا على النصارى، ولا يتعبد بها من جهال العالم غيرهم[١].

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص٢٦٧ ـ ٢٧٣، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنواعاً من المخارق، التي يُضل بها رجال الدين أتباعهم من العوام، فيقول: «وقد صنف بعض الناس مصنفاً في حيل الرهبان، مثل الحيلة المحكية عن أحدهم في جعل الماء زيتاً، بأن يكون الزيت في جوف منارة فإذا نقص صب فيها ماء، فيطفو الزيت على الماء، فيظن الحاضرون أن نفس الماء انقلب زيتاً ومثل الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة، وهو أن بعضهم مر بدير راهب وأسفل منه نخلة فأراه النخلة صعدت شيئاً فشيئاً حتى حاذت الدير فأخذ من رطبها ثم نزلت حتى عادت كما كانت، فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض، إذا أرسل عليه الماء امتلأ حتى تصعد السفينة وإذا صرف الماء إلى موضع آخر هبطت السفينة. ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة يضعون كحلاً في ماء متحرك حركة لطيفة، فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة فيخرج من عينها، فيظن أنه دموع. ومثل الحيلة التي صنعوها بالصورة التي يسمونها بصيدنايا، وهي أعظم مزاراتهم بعد القمامة وبيت لحم حيث ولد المسيح وحيث قبر، فإن هذه صورة السيدة مريم وأصلها خشبة نخلة سقيت بالأدهان حتى تنعمت وصار الدهن يخرج منها دهناً مصنوعاً يظن أنه من بركة الصورة. ومن حيلهم الكثيرة النار التي يظن عوامهم أنها تنزل من السماء في عيدهم =

شبهة:

أورد النصراني شبهة أخرى شهيرة لكثرة ترددها. فحواها أن الإسلام انتشر بالسيف، بخلاف النصرانية، وأن القتال محرم في شريعتهم بخلاف شريعة الإسلام التي ذكر فيها القتال - وهي شبهة شهيرة لا يزال يرددها المستشرقون وأفراخهم من بني جلدتنا ممن في قلبه حيرة وريبة وتردد -.

فأجاب مخاطباً النصراني: كأنك قد غفلت عما كتبه مؤرخوكم وغيرهم من أن ابتداء دينكم، إنما كان بأسباب القتال مع اليهود، وكنتم تحرقونهم بالنيران، وتغرقونهم في البحار، وتعملون فيهم جميع أنواع الذل والهوان.

ولولا ذلك لم تبق لكم اليهود أثراً، فإن الدولة كانت لهم، وقد قتلوا إلهكم على زعمهم! ولم يترك بعده أكثر من اثني عشر حوارياً، وسبعين مبشراً هاربين خائفين. ولو ظهر منهم واحد لقتل شر قتلة.

فلو التزمتم ما أوجبته عليكم شريعتكم بالمسالمة!! لما قامت لكم قائمة، وما بقي منكم باقية. ولكنكم أقمتم دينكم برفض معالمه، ونصرتموه بمحو آثاره والتزمتم القتل والقتال، فعصيتم في الأول، وما زلتم إلى الآن على خلاف ما أمركم به إنجيلكم تعملون.

ثم بصرف النظر عن هذا، فإن كنت قلت ذلك لتعيب به الإسلام، فإنك عبت موسى بن عمران ويوشع بن نون، ومن قبلهما، ومن بعدهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فإنهم حاربوا الأمم الطاغية ببلادهم، وسبوا الذراري وناوشوا الأعداء في ديارهم كما هو مكتوب في التوراة - وفي سائر الكتب لديكم - وبينته في قتال داود عليه السلام مع جالوت، وسليمان عليه السلام مع طوائف الكفر، ولم يقدح ذلك في صحة أديانهم.

= في قمامة، وهي حيلة قد شهدها غير واحد من المسلمين والنصارى ورأوها بعيونهم أنها نار مصنوعة يضلون بها عوامهم، يظنون أنها نزلت من السماء ويتبركون بها، وإنما هي صنعة صاحب محال وتلبيس، ومثل ذلك كثير من حيل النصارى. فجميع ما عند النصارى المبدلين لدين المسيح من الخوارق، إما حال شيطاني وإما محال» الجواب الصحيح ٢/٣٣٩، ٣٤٠.

وإذا كان القتال سنّة الله تعالى لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنّة سالكون، وبها عاملون. فيكون من مناقبنا، لا من مثالبنا، ومن حسناتنا، لا من سيئاتنا.

ومن هنا نعلم أن تعييبك لنا قد انعكس عليك، فيا ليتك لم تقله.

وأما إن كنت تريد بذلك إظهار محاسن حالة الصلح التي أمركم بها الإنجيل، على حالة الجهاد التي أمر بها سيد النبيين، فإنك قد ظلمت ولم تدر، وكفرت ولم تعلم، ها هو ذا إنجيلكم - بين أيديكم ناطق مصرح - كما قلت: بالمسألة والتزام التواضع والمذلة.

ثم ذكر نصوصاً من الإنجيل في التسامح والمحبة: من لطمك على خدك الأيمن.. .إلخ[1]، أحبوا أعداءكم، احسنوا إلى مبغضيكم... إلخ[2]، ويعلق الخزرجي:

ومع ذلك كله، فإنا نراكم أشد الناس تكالباً، وحرصاً على القتل والقتال، وبسط الأيدي بالاعتساف في أقطار الأرض، تقتلون النفوس، وتسلبون الأموال، وتعتقدون [أن] ذلك من أوثق أسباب السعادات، وأعظم القربات إلى الله تعالى، مع تحريم إنجيلكم ذلك عليكم، وإيجابه الاستسلام لأعدائكم، ومن استحل حرمات الله تعالى، فهو أشد الناس كفراً بالله، وكتبه، وأحكامه.

وأما نحن فكتابنا قد أوجب علينا القتال، فامتثلنا أمر خالقنا جل شأنه، فكنا أولياءه، ناصرين لدينه، قائمين بحقه في أرضه على خلقه، سعداء، شهداء، أولياء، أعزاء، نناظر بالمعجزات الباهرة، والبراهين القاطعة فندعو إلى مكارم الأخلاق، وننهى عن لئامها، فمن اهتدى إلينا ظفر بالسعادة،

---

(1) انظر: متى، الإصحاح ٥/ ٢٩ بلفظ: «وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر فمن لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً».

(2) انظر: متى، الإصحاح ٥/ ٤٤٠ بلفظ: «وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم...».

وأسباب السيادة، ومن أعرض عنا، كان جديراً بالصغار، والذل، والعار(١).

أبو سعيد بن لب(٢)

وله إسهام في كشف الشبهات، إذ سأله ذمي بأبيات حسينات في مسألة عقدية تكررت فيها التساؤلات، حيث أورد الذمي شبهة قائلاً:

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا ... فهل أنا راض بالذي فيه شقوتي؟
دعاني وسد الباب دوني فهل إلى ... دخولي سبيل بينوا لي قضيتي؟
فإن كنت بالمقضي يا قوم راضياً ... فربي لا يرضى بشؤم بليتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيدي ... وقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة ... فهل أنا عاص لاتباع المشيئة؟
وهل لي اختيار أن أخالف حكمه؟ ... فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

فأجابه أيده الله، بما نصه:

قضى الرب كفر الكافرين ولم يكن ... ليرضاه تكليفاً لدى كل ملة
نهى خلقه عما أراد وقوعه ... وأنفذه والملك أبلغ حجة
فنرضى قضاء الرب حكماً وإنما ... كراهتنا مصروفة للخطيئة
فلا ترض فعلاً قد نهى عنه شرعه ... وسلم لتدبير وحكم مشيئة
دعى الكل تكليفاً ووفق بعضهم ... فخص بتوفيق وعم بدعوة
فتطغى إذا لم تنتهج طرق شرعه ... وإن كنت تمشي في طريق المشيئة

---

(١) انظر: مقامع الصلبان، ص١١٥، ٢٨٥ - ٢٨٧.

(٢) هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، وقيل ليث التغلبي الغرناطي، كان عارفاً بالعربية واللغة مبرزاً في التفسير قائماً على القراءات مشاركاً في الأصلين في الفرائض والأدب، جيد الحفظ والنظم والنثر، قعد للتدريس ببلده وولي الخطابة، وكان معظماً، توفي سنة ٧٨٣هـ. انظر: شذرات الذهب ٢/ ٢٨٠ الديباج المذهب ١/ ٨، ٢٢٠ رحلة ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي، ٢/ ٤٦٩، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة بيروت ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ.

إليك اختيار الكسب والرب خالق ... مريد بتدبير له في الخليقة

وما لم يرده الله ليس بكائن ... تعالى وجل الله رب البريئة

فهذا جواب عن مسائل سائل ... جهول ينادي وهو أعمى البصيرة

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالبيت الأول منه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ۗ﴾ [الأنعام: ١٠٧]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [الأنعام: ١١٢] مع قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ﴾ [الزمر: ٧].

والبيت الثاني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩] يعني حجة الملك، كما وقع في صحيح مسلم، حين سأل عمران أبا الأسود عما قضى على الكافرين من كفر، فلا يكون ظلماً، فقال أبو الأسود: كل شيء خلق الله وملكه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٢٣] فقال له عمران: أحسنت، إنما أردت لأحزر عقلك[1] الحديث... إلخ.

والبيت الثالث والرابع مأخوذان من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، ومع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥﴾ [يونس: ٢٥]. فعم بالدعاء إلى الجنة، وخص بالهداية.

والبيت السادس مأخوذ من قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣]. مع قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعام: ٣٩]. ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٦].

والبيت السابع مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦].

والبيت الثامن مأخوذ من قوله ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]. ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّۖ﴾ [النحل: ٣٧]. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

---

(١) الحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابه ورزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٥٠).

وأجاب الشيخ أبو الحسن القزويني:

صدقت قضى الرب الحليم بكل ما ... يكون وما قد كان وفق المشيئة

وهـذا إذا حـقـقـتـه مـتـأمـلاً ... فليس يسد الباب من بعد دعوة»[1]

الإمام القرطبي

والشبهة التي أوردها في كتابه في سياق رده على النصارى شبيهة بالشبهات السابقات منها:

شبهة:

أن القرآن أقر بالتوراة والإنجيل وهذا دليل أنهما حق وأنهما من عند الله[2]؟

وقد سبق الجواب عليها.

شبهة أخرى:

في إنكار معجزات النبي ﷺ؛ لأنها إنما ثبتت بأخبار الآحاد. فكيف تنكرون علينا إثبات معجزاتنا وكتبنا؟

أجاب القرطبي أن المتواتر ضربان: ضرب يتواتر لفظه ومعناه، مثل القرآن، والآخر معناه دون لفظه، وذلك أن تتوارد روايات كثيرة من أخبار الآحاد على شيء يتحصل العلم اليقيني به كخبر شجاعة علي رضي الله عنه. وإذا ثبت هذا فاعلم أن كثيراً من المعجزات ثابتة بالمتواتر اللفظي والمعنوي، وأخرى بالتواتر المعنوي. فيحصل من هذا أننا لم نستدل على المعجزات بخبر آحاد[3].

---

(١) تقريب الأمل البعيد في فتاوي الأستاذ أبي سعيد مخطوط أندلسي مصور خاص بمكتبة د. حسن الوراكلي المغربي، ص٢٧، ٤٤، وهي في مكتبة معهد إحياء المخطوطات العربية بمصر، رقم (٥)، مصورة عن الأسكوريال، رقم (١٠٩٦). وقد أوردها الونشريسي في المعيار المعرب ١١/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ١/ ٢٢٠.

(٢) انظر: الإعلام ٢/ ٢١٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨١.

شبهة:

أن محمداً ﷺ ظهر في لباس الحملان وأخفى عمل الذئاب، وقتل غيره من أهل الأديان.

والجواب: أن هذا كذب صراح وإفك وقاح وأننا قد بيّنا سمته وعمله ومنهاجه ـ في كلام شمل جزءاً من الكتاب ـ ثم استدل بما في صحفهم: أنه النبي الصادق الذي تسمونه ضالاً، بكثرة ذنوبكم وعظم فجوركم. ودليل ذلك أنه خاطب بني إسرائيل جميعاً ولم تجمع بني إسرائيل على تكذيب نبي مثل تكذيبهم لمحمد ﷺ.

ثم تلا بعض الآيات التي تبيّن عظم خلق النبي ﷺ ورحمته.

وأما قوله: والتحريض على قتال من خالفه. فإن هذا مما لا يعاب به دين.

وإن جاز أن يعاب أحد بقتال الكافرين، جاز أن يعاب موسى بأنه جاء بقتال الجبارين وكذا يوشع بن نون حيث أذاق الجبارين أشد القتل وأعظم الهون. وأعجب من جهلهم بما في كتبهم وما يعيبونه على غيرهم.. وأعجب منه أنهم يجدون في كتبهم أوصاف النبي ﷺ، ويجدون فيها أنه يبعث بالقتل والسيف، ثم ينكرون ذلك.

وتعجب القرطبي من ذلك كله تلبسهم بالقتال والإكثار منه أبد الدهر إلى اليوم، ـ وإلى يومنا هذا ـ وهم مع ذلك يدعون أن القتال غير مشروع لهم، ويذمون الشريعة التي جاءت به وهذا من مناقضاتهم للمعقول والمشروع.

شبهة:

ذم النصارى شرع الإسلام لأنه أباح تعدد الزوجات. (وهي شبهة قديمة حديثة).

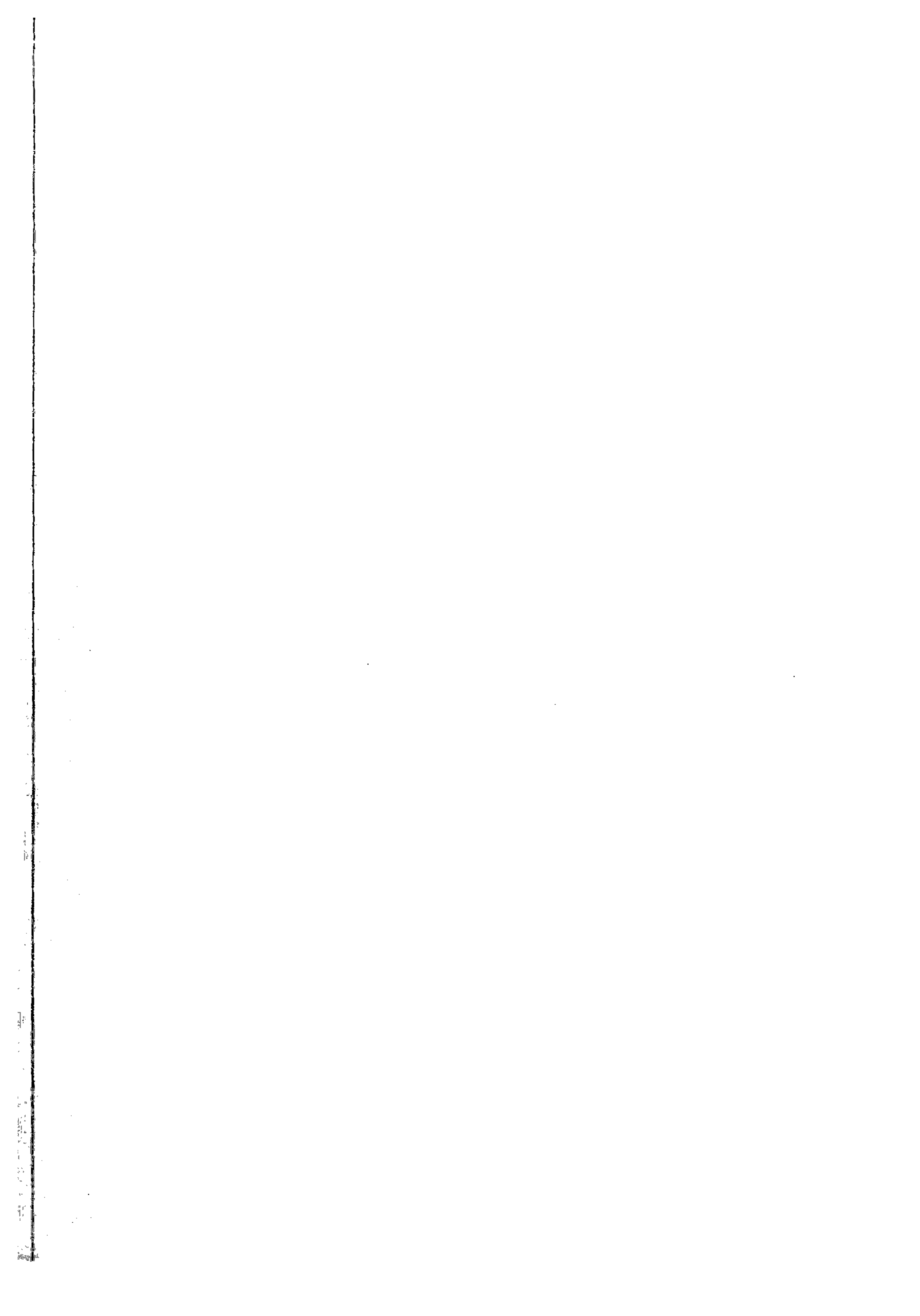
أجاب القرطبي: أن هذا مما لا ينبغي أن تنكره العقلاء، فإنه من مجوزات العقول، واستدل على تعدد الزوجات عن كثير من الأنبياء، فإبراهيم ـ بإقرار أهل الكتاب ـ كانت له سارة وهاجر، وفي التوراة أن يعقوب جمع

بين أختين: ليئة وراحيل، وسليمان كانت له مئة امرأة وسبع مئة سرية[1]، وأبان إن أنكرتم ذلك علينا فيلزمكم إنكاره على الأنبياء وفيهم أنبياء بني إسرائيل. ثم أفاد ما ينتج عن تعدد النكاح من حكم كثيرة ـ عدد بعضاً منها ـ لا يعلمها إلا من شرعها[2].



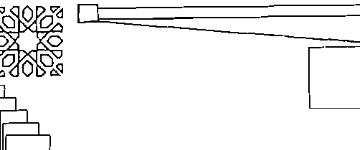
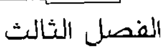
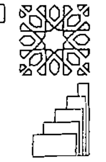
(١) انظر: سفر الملوك: ١١.

(٢) انظر: الإعلام ٤/٤٤٨ ـ ٤٥٥.



الفصل الثالث

موقفهم من الدعوة إلى التسامح

موقفهم من الدعوة إلى التسامح

لم يكن مفهوم التسامح عند علماء الأندلس ـ بالضرورة ـ كما يفهمه كثير من الناس هذه الأيام أنه تسامح مطلق بلا قيد ولا شرط، بل فهموا التسامح على وجهه الشرعي، سنده من ذلك كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ. واستدلوا بها على تسامحهم مع أهل الكتاب مراقبين لله متقربين إليه أن يهدي هؤلاء الضلال إلى دين الله وتوحيده، وأن ينقذهم من ظلام الشرك والتثليث والوثنية إلى دين الحق والتوحيد وأضوائه النورانية.

وقد أوضح العلماء مدى هذا التسامح وجوازه من عدمه في ضوء الدليل الشرعي:

ففي قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥] عم الذين كفروا، ثم بيّن أجناسهم من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان. والمراد كل خير لا يودون نزوله على المسلمين(١).

ويصور لنا القرآن مدى الحقد الذي تكنه قلوبهم على المسلمين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

والمعنى أنهم لم يجدوا ذلك في كتاب ولا أمروا به، فهو من تلقائهم(٢).

ويحذرنا القرآن من خداعهم ومكرهم ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ

(١) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣١٤، ٣١٥.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٢٨، الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٧٠، ٧١.

﴿تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥﴾ [البقرة: ١٣٥] روي أن سبب نزولها، أن اليهود والنصارى طلبوا من رسول ﷺ الهدنة، ووعدوه أن يتبعوه بعد مدة خداعاً منهم، فأعلمه الله تعالى وأطلعه على سر خداعهم[(١)].

هل التسامح يقتضي المحبة، وهل الولاء والبراء يقتضي عدم التسامح والإكراه على الدين؟.

هذه نفسيات النصارى واليهود تجاه رسول رب العالمين وتجاه المسلمين ونصارى اليوم هم نصارى الأمس، بل أشد ضلالاً وفساداً وأبعد عن الله من الأقدمين ولذلك نهى الله عن موالاتهم واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ . . .﴾ [المائدة: ٥١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ . . .﴾ [المائدة: ٥٧].

نهى الله تعالى المؤمنين في الآيتين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء في النصرة والخلطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة، وكل من أكثر مخالطة هذين الصنفين، فله حظ من هذا المقت الذي تضمنه «فإنه منهم»، وحكم هذه باق ولا يعني عدم الموالاة وعدم التعامل مع أهل الكتاب، فإنها لا تدخل في النهي، وقد عامل رسول الله يهودياً ورهن درعه[(٢)].

فالولاء والبراء لا يعني عدم التسامح والإحسان إليهم لقوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ [الممتحنة: ٨].

أما الإكراه على الدين، فلم يكره النبي ﷺ أحداً على اعتناق الإسلام من أهل الكتاب بتواتر ذلك. وكذلك صحابته الذين فتحوا الدنيا، بل كان الناس يدخلون في دين الله لحسن معاملة المسلمين وعدم إكراههم غير

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٣٦٥ _ ٣٦٧.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٥/١٢٦، ١٢٧، ١٣٥، ١٣٦.

المسلمين، إذا امتثلوا قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

واختلف العلماء هل هي منسوخة بآية السيف أم لا؟.

قال الضحاك وقتادة: أن الآية محكمة خاصة في أهل الكتاب الذين يؤدون الجزية عن يد صاغرة، والأمر بالقتال كان للعرب أهل الأوثان لا يقبل منهم إلا التوحيد أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل الجزية، ونزلت فيهم ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦][(١)].

الأحاديث في هذا الباب:

من ذلك ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»[(٢)].

وما رواه الطبراني في معجمه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قذف ذمياً حد له يوم القيامة بسياط من نار. فقلت لمكحول: ما أشد ما يقال؟ قال: يقال له: يا ابن الكافر»[(٣)].

«وعن موسى بن أيوب الغافقي قال حدثني رجل أن مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص أتى عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني أريد غزو البحر فأوصني، قال عليك بالبر، لا تؤذي ولا تؤذى، قال إني أردت البحر. قال عبد الله: إن حفظت ستاً استوجبت ثمانياً من الحور العين، لا تغل، ولا تخف غلولاً، ولا تؤذي جاراً ولا ذمياً، ولا تسب إماماً، ولا تفرن وخف»[(٤)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٢/ ٢٨٠ - ٢٨٢.

(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٥٣٣، رقم (٦٥٢)، باب إثم من قتل ذمياً بغير جرم. والبيهقي في الكبرى ٨/ ١٣٣، رقم (١١٤٤٧٨)، باب ما جاء في إثم من قتل ذمياً بغير جرم يوجب القتل.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٥٧، رقم (١٤٨٥٥٢).

(٤) رواه ابن المبارك في الجهاد لعبد الله بن المبارك، ص١٥٨، رقم (٢٠٤)، تحقيق: نزيه حماد، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٢م.

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث والآثار الدالة على التسامح مع النصارى أهل الذمة وأهل العهد في حدود الشرع الحنيف.

التسامح النصراني:

من أبجديات الديانة النصرانية ـ زعمهم ـ أن دينهم دين التسامح، وأنه دين العطف والعفو والصفح والمحبة وتستدل النصرانية عليه بنصوص: «من لطمك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر..؟!». و«أحبوا أعداءكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم...»[1].

ولكن التاريخ والواقع يثبتان أنهم أبعد شيء عن التسامح، بل عكسوه ونقضوه وبدلوه، كما بدلوا دين المسيح ﷺ!!، وفي أثناء إعدادي لهذا السفر جمعت تحت هذا الفصل نصوصاً وحوادث عن التسامح النصراني... إنه تسامح المسح والبطش والإلغاء والإبادة التي لم يسمع بمثلها في التاريخ عدا ما وقع هذا العصر ـ في أوروبا المتحضرة ـ من إبادة مئات الألوف من مسلمي البوسنة والهرسك، وكوسوفا والشيشان، وبمباركة رجال الدين النصارى، الذين يزورون ثكنات الجيوش ويباركون الجنود، إلا أن الأوائل امتازوا عنهم بالإكراه القسرى والتحريق بالنار لاعتناق النصرانية، أما هؤلاء فبتنصير الأطفال والجياع تحت رداء القهر والخوف والإذلال، في هيئة معونات إنسانية، وبإبادة الرجال القادرين.[2]، وهذه النصوص وجدتها بالمئات، في عشرات المراجع

---

(١) سبق عزوهما.

(٢) أجرت صحيفة المدينة السعودية، (ملحق الرسالة) لقاء مع أحد رجال الدين النصارى الكبار، وهو أستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية، ويسمى (فلوبرس) ومنَّ الله عليه بالهداية واعتناق الإسلام وتسمى بإبراهيم خليل فلوبرس، واعترف بأنه سعى لتدمير الإسلام والمسلمين، وكان أحد رجال النصرانية الذين لا يبارون، وألف رسالة ماجستير حوت مئات الصفحات، تحت عنوان: (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين) وذكر في المقابلة أنواعاً خبيثة من مكر الكنائس النصرانية في كيدها للإسلام والمسلمين. انظر: صحيفة المدينة، ملحق الرسالة، عدد: ١٣٦٦٢، ٢٠/٦/١٤٢١هـ، الموافق ١٨/سبتمبر/ ٢٠٠٠م.

تثبت مدى هذا البطش الشديد الذي تعرض له المسلمون في الأندلس، ولو ذهبت أسردها لاستغرقت أجزاء وأجزاء، وهذه أمثلة للتسامح النصراني في عصر الأندلس الذاهبة ـ أعادها الله ـ، وبه يتبيّن لنا مدى سماحه الإسلام وعلماء الشريعة مع النصارى.

لما أن دخل المسلمون الفاتحون شبه الجزيرة الأيبيرية، عاملوا أهل البلد الأصليين معاملة المتحضر المترقي بأخلاقه عن همجية الشعوب الأوروبية المتوحشة ـ آنذاك ـ بل أعطوا جميع الأديان من اليهود والنصارى وغيرهم حرياتهم بشرط مرتبة التزمها المسلمون.

يقول المستشرق العلامة «رينهارت دوزي»: «لم تكن حال النصارى في ظل الحكم الإسلامي بما يدعو إلى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل. أضف إلى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح فلم يرهقوا أحداً في شؤون الدين....»[(١)].

ولا أدل على التسامح الذي انتهجه المسلمون من فقيههم وعالمهم إلى أدنى رجل منهم. أن المعاهدين من أهل الكتاب لم يغادروا بلادهم، بل مكثوا فيها وخالطوا المسلمين واعتنق كثير منهم الدين الإسلامي، ومن بقي منهم على دينه، بقي معززاً مكرماً محفوظ الحقوق التي ضمنها له الإسلام، حيث كان كل فاتح أو حاكم يكتب معاهدة يلتزمها الطرفان، الحاكم والرعية من أهل الذمة.

ومن ذلك على سبيل المثال المعاهدة التي كتبت أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، التي حفظ لهم فيها حقوقهم واشترط عليهم شروطاً التزموها كما التزمها المسلمون[(٢)].

ومن ذلك: المعاهدة التي كتبت إبان الفتح الاسلامي، على يد القائد

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق١/ ١/ ٦٣.

(٢) انظر: سراج الملوك، للإمام أبي بكر الطرطوشي، ص٣١٩، دار صادر، ط. الأولى، ١٩٩٥م، بيروت.

الظافر ابن القائد الظافر: عبد العزيز بن موسى بن نصير:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندرليس، إذ نزل على الصلح.. ومنها: وأن له ذمة الله وذمة محمد ﷺ ألا يقدم ولا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، وأن لا يسبون، ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم، ولا يقتلون، ولا تحرق كنائسهم، ولا يكرهون على دينهم»[(١)].

وكذا على سبيل المثال ما كتبه عبد الرحمن الداخل لجيرانه النصارى:

«بسم الله الرحمن الرحيم: كتاب أمان الملك العظيم عبد الرحمن، للبطارقة والرهبان والأعيان والنصارى والأندلسيين أهل قشتالة، ومن تبعهم من سائر البلدان، كتاب أمان وسلام، وشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب...»[(٢)].

أمام هذا التسامح والرقي الأخلاقي الحضاري، واجه المسلمون أنواعاً من الغدر والخيانة والتعصب والبطش والوحشية من النصارى عامة، ورجال الدين خاصة، وسأضرب لذلك أمثلة على حوادث من هذا الصنف انتهت بكوارث دينية وإنسانية واجتماعية، **ومن ذلك:**

هجوم نصراني ـ من المعاهدين ـ على أهل قرطبة، ولم تكن إلا ساعة حتى قتل من أهلها عشرون ألف رجل في جبل هنالك يعرف بجبل قنطش، وهي الوقعة المشهورة، ذهب فيها من الخيار والفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين خلق كثير[(٣)].

ومن ذلك: الوجود الاسلامي في غاليس[(٤)] وجبال الألب[(٥)] وسويسرة،

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق ١/٥٥، ٥٦، التاريخ الأندلسي، ص٨٠، ٨١، الحلل السندسية ٣/٢٦٦.

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق١/١/١٩٩.

(٣) انظر: المعجب للمراكشي، ص٨٨، ٨٩.

(٤) غاليس: لم أجدها ولعلها قديماً البلاد التي كانت تسمى غاله، وهي فرنسة.

(٥) جبال الألب: سلسلة من الجبال العالية تتوسط أوروبا، ومنها أجزاء في يوغسلافيا =

حيث استمر هذا الوجود لعشرات السنوات، وأقيمت في هذه المستعمرات دويلات إسلامية، ولكن مع الضعف الاسلامي تقهقر المسلمون إلى الجنوب، أما المستعمرات فيقال إنها طوردت ومزقت، واعتنق الذين أسروا النصرانية، وقيل بل لبثت المستعمرات نحو جيل آخر، حتى أواخر القرن العاشر الميلادي إلى أن تولى مطاردتها زعيم يسمى جيرولدوس[1].

ومن ذلك: ما فعله الأذفونش لما هُزم المسلمون في وقعة العقاب، حيث بث القسيسين والرهبان من البرتقال[2] إلى القسطنطينية العظمى يستنفرون الناس، فجاءه عباد الصليب من كل مكان، واجتمع له من مقاتلي أوروبا ما يقارب مئه ألف صليبي. . . بتشجيع ومباركة البابا أنوصان الثالث.

هزم المسلمون شر هزيمة ودخلها النصارى وأبادوا من وجدوا بها[3] واستاقوا النساء والأطفال سبايا حتى ملؤا بها أرض الروم، فكان ذلك أشد على المسلمين من الهزيمة[4].

ومن ذلك: دخول السيد الكنبيتور إلى بلنسية بعد أن حاصرها حصاراً عظيماً بمجموعة من المرتزقة الأوروبيين ـ كاليوم ـ حيث عدم الناس الطعام والشراب وأكلوا الفئران والكلاب والجياف، إلى أن أكل الناس، ومن مات منهم أكلوه، وقد ألّف ابن علقمة كتاباً في أمرها وحصارها يبكي القارئ ويذهل العاقل، وبعد دخول الكنبيتور أمسك بالقاضي ابن حجاف، حاكم البلد

= وألبانيا، محاذية للبحر الإدرياتي. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ١/١٩٣.

(١) انظر: دولة الإسلام في الاندلس ٢/٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) برتقال: هي دولة البرتغال اليوم، وتشاطر الدولة الإسبانية الجزء الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية.

(٣) يذكر صاحب المن بالإمامة أن النصارى في كثير من المعارك إذا دخلوا البلد ولم يجدوا فيها الأقوياء عمدوا إلى الضعفة من الشيوخ والنساء والأطفال فأبادوهم قتلاً وذبحاً. انظر: المن بالإمامة لعبد الملك بن صاحب الصلاة، ص٤١٣، ٤٢٨.

(٤) انظر: المعجب، ص٤١٢، البيان المغرب، ص٢٤١، التاريخ الاسلامي، ص٤٢٤، ٤٩٢.

ثم أمر بنار عظيمة فأوقدت ثم حفرت له حفرة أدخل فيها إلى حجزته، وضمت النار نحوه، فلما دنت منه ولفحت وجهه قال: بسم الله الرحمن الرحيم، وقبض على أقباسها وضمنها إلى جسده يتعجل المنية، فاحترق رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، ثم سام أهلها سوء العذاب وأشكال النكال.

ومن ذلك: مأساة مدينة بربشتر[2] إذ هاجمها النورمان، وبتأييد اسكندر الثاني، بجيش تعداده أربعون ألف مقاتل، وحاصروها أربعين يوماً، ولما أراد أهلها التسليم، رفضت النصارى ودخلوها عنوة واستباحوها، وبلغ عدد القتلى ما بين أربعين ومئة ألف، ثم أعطوا من بقي أهل المدينة الأمان، ثم نقضوا العهد وقتلوا ستة آلاف ذبحاً بالسيف وارتكبوا أبشع الجرائم قتلاً وهتكاً للأعراض[3].

ومن ذلك: الاعتداء على جامع طليطلة وتحويله إلى كنيسة بعد إعطاء العهود للمسلمين، بتحريض أحد الرهبان[4].

ومنه: غدر النصارى بأهل سرقسطة وتهجيرهم خمسون (٥٠) ألفاً من

---

(١) انظر: الحلة السيراء ٢/١٢٦، أعمال الأعلام، ص٢٠٣ ـ ٢٠٥، البيان المغرب ٤/٣١ ـ ٤٠، ١٤٧، ١٤٨. ٣/٣٠٥، ٣٠٦، الإسلام في المغرب والأندلس، ليفي بروفنسال، ص١٩٢، ٢٢٣، ويصور ابن خفاجة هول الفاجعة التي حلت بالمسلمين في بلنسية بقوله:

عاثت بساحتك العدا يا دار	ومحا محاسنك البلى والنار
فإذا تردد في جنابك ناظر	طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها	وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها	لا أنت أنت ولا الديار ديار

انظر: ديوان ابن خفاجة، ص٣٥٤، تحقيق: د. سيد غازي، ط. الثانية، ١٩٧٩م، مكتبة المعارف مصر، الذخيرة ق٣/١/١٠٠، نفح الطيب ٤/٤٥٥.

(٢) بربشتر: بضم الباء، مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من أعمال بربطانيا، ينسب لها بعض العلماء. انظر: معجم البلدان ١/٣٧١.

(٣) انظر: الذخيرة ق٣/١/١٧٩ ـ ١٩٠، الحلل السندسية ٢/١٣٣ وما بعدها، التاريخ الاسلامي، ص٢٥٩ ـ ٣٦١، دولة الاسلام في الاندلس ٢/٢٧٦.

(٤) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ٣/٣٩٧.

أهلها، وتحويل الجامع إلى كنيسة[1].

ومنه: حملة بطره القائد النصراني، ومحاولة استئصال المسلمين بالأندلس بمباركة بابا روما[2].

ومنه: وفود صليبية تعدادها سبعون (٧٠) ألفا، لمحاربة المسلمين بمباركة البابا أنوصان الثالث وغفرانه ذنوب من قاتل المسلمين[3].

ومنه: إنشاء جماعات الفرسان الدينية الصليبية، بشعار الجهاد من أجل الدين المسيحي وتحويلها إلى الأندلس كما في المشرق[4].

ومنه: إسباغ البابا جريجوري التاسع، صفة الحروب الصليبية على قتال المسلمين[5] وكذا البابا أوربان الثاني[6].

ومنه: قتال الأساقفة والرهبان مع الجيوش الصليبية على هيئة رجال دين، وفتواهم نقل الحروب الصليبية من المشرق إلى الأندلس العدو الأقرب[7].

---

(١) انظر: المصدر السابق ٤/١٠١. (٢) انظر: نفح الطيب ١/٤٤٩.

(٣) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ٥/٢٨٨ ـ ٢٩٤، التاريخ الأندلسي، ص٤٩١.

(٤) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ٤/٥٢٨، ٦/٧٨.

(٥) انظر: التاريخ الأندلسي، ص٤٧٣.

(٦) انظر: دولة الاسلام في الأندلس، ق٤/١١٦، وتذكر صحيفة الشرق الأوسط مقالاً لأحد الباحثين عن البطش الكنسي الكاثوليكي ـ حتى بالنصارى المخالفين ـ من أن البابا جريجوري الثالث عشر هنأ ملك فرنسا على المجازر التي راح ضحيتها ثلاثون ألف بروتستانتي. انظر: صحيفة الشرق الأوسط، العدد: ٧٧٥١، الخميس ١٧/١٢/٢٠٠٠م.

ولا تزال الكراهية والحقد الديني يثير رجال الدين النصارى خوفاً من توسع الإسلام في أوروبا، فقد ظهر أسقف بولونيا الكردينال: جاكو موبيجي في رسالته يوم الأربعاء ١٥/٦/١٤٢١هـ، الموافق ١٣/٩/٢٠٠٠م انتقد فيها وجود المسلمين بشدة وحدة، محرضاً على إخراجهم، وقد رد عليه أمين رابطة العالم الإسلامي السابق د. عبد الله العبيد في ٢٩/٦/١٤٢١هـ، على القناة الإيطالية الأولى، بأنها مضادة للتوجه البشري. انظر: صحيفة المدينة ملحق الرسالة، عدد: ١٣٦٧٦، ٥/٧/١٤٢١هـ، ٣/١٠/٢٠٠٠م.

(٧) انظر: دولة الإسلام في الأندلس، ق٤/٩٠، ٢/٤٩٧.

ومنه: معاهدة تسليم غرناطة (آخر معاقل الأندلس) مع الملكين الكاثوليكيين، ونقضهم المعاهدة بمدة يسيرة، وإجبار المسلمين على اعتناق النصرانية، وتحويل المساجد إلى كنائس، وارتكاب أشد الفظائع من قتل وسحل ومحاكم تفتيش وتشريد وتهجير يشيب لهولها الولدان[1].

المسلمون المدجنون ومحاكم التفيش:

أوصى أحد حكام المسلمين في الأندلس عند مرض موته، فقال: اتقوا الله في الأيتام واليتيمة فقالوا له من اليتيمة والأيتام؟ فقال اليتيمة هذه الجزيرة الأندلسية، والأيتام هم المسلمون[2].

هذا الإدراك والوعي لم يكن يعرفه كثير من حكام المسلمين وشعوبهم في الأندلس، بل تناحروا وتحاربوا وتحالفوا في معاهدات مع النصارى ضد بعضهم، حتى سقطت غرناطة آخر معاقل الاسلام في الأندلس، وانتهت بذلك الأندلس ومسلموها، ولم يتقوا الله في اليتيمة والأيتام. ذهبت اليتيمة إلى النصارى سبية، وبقي الأيتام تحت مائدة اللئام... وهؤلاء المسلمون الذين كتبت لهم معاهدة التسليم بين ابن الأحمر والملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا عام (٨٩٧هـ الموافق ١٤٩١م)[3].

تضمنت بنودها (٦٧) سبعة وستين بنداً[4]، عدم إكراه الناس على ترك دينهم (حرية المعتقد) الإبقاء على المساجد، الإبقاء على الوقوف الإسلامية، عدم مصادرة الأملاك والأموال... إلخ.

وبقي في الممالك الإسلامية مئات الألوف من هؤلاء المسلمين الذين

---

(١) انظر: نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، لمؤلف أندلسي مجهول، كاملا وعلى الأخص، ص١١٨.. إلخ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار حسان دمشق ط. الأولى، ١٤٠٤هـ، أزهار الرياض ١/ ٦٦ ـ ٧٣.

(٢) الحاكم هو المنصور الموحدي. انظر: الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس.. ص٢١٣.

(٣) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ١/ق١/ ٢٤٥ ـ ٢٥٠.

(٤) انظر: نفح الطيب ٤/ ٥٢٥.

رضوا بالدَّجَن[١] والبقاء تحت القهر النصراني، ولذا أطلق عليهم المدجنون، وفيما بعد سموهم بالموريسكيين وتعني العرب المتنصرين ظاهراً[٢].

نقض النصارى العهود والمواثيق التي أبرموها، ففي عام (٩٠٤هـ) بدأت حملات الإكراه ـ بتحريض رجال الدين ـ على التنصر أو ترك الديار، وفي غضون أيام طبقت سياسة الإكراه فهاجر مئات الألوف[٣]، ومن لم يستطع أكره على التنصير، ومن أبى عقدت له محاكمة التفتيش وأحرق حياً أو صلب أو طورد[٤].. حتى إن هؤلاء «المدجنين» كانوا يرسلون بالاستنجاد لحكام المسلمين كالأتراك وبعض حكام المغرب، وما من مجيب[٥].

ولما طال بهم العذاب والتعذيب أرسلوا إلى علماء المغرب يستفتونهم في حكم بقائهم مع هذا النكال، فرد عليهم أحد علمائها بجواب سماه «أسنى المتاجر في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر»[٦]، ومضمون الفتوى أنه يحرم عليهم الإقامة بدار

---

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق٤/ ٥٥ ـ ٥٨، الحلل السندسية ٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، الوثائق السياسية الإدارية، ص١٠٩.

(٢) انظر: الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون. د. لويي كادرياك. ترجمة: د. عبد الجليل التميمي كاملا، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجزائرية، تونس، ١٩٨٣م، التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني، د. محمد حتاملة، ص٨٢، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، نشر بدعم الجامعة الأردنية.

(٣) انظر: التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين، د. محمد حتاملة، ص٢٧، ط. الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، نشر بدعم الجامعة الأردنية، نفح الطيب ٣/ ٥٢٧ وقد أبرز دور القسس في هذه الحملة القذرة لاستئصال الإسلام من الأندلس.

(٤) انظر: دولة الاسلام في الأندلس ق٤/ ٣٤٦، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦ ـ ١٧، محمد رزوق، ص٦١، ط. الثالثة، أفريقيا الشرق ١٩٩٨م، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون، ص٩٠، مدنية المسلمين في أسبانيا، ص١٠١.

(٥) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ٦/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ ـ ٣٤٦، ٣٨٢، الحلل السندسية ٢/ ٢٠٩.

(٦) لأحد علماء المغرب ويسمى أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، نشر ضمن =

الكفر وتكثير سوادهم ومن ثم الاقتداء بهم وتقليدهم والدخول في دينهم رغبة أو رهبة، وأورد الأدلة الشرعية على ذلك. وكذا رسالة لأحد فقهاء مراكش لهم، يسميهم فيها الغرباء يوصيهم فيها بالصلاة ولو سراً، والزكاة ولو كانت على هيئة هدية... إلخ وإن لم يستطيعوا فعليهم الهجرة[1].

وكذلك أفتى العلامة محمد العبدوسي (ت٨٤٩هـ) هؤلاء بأن المقام بين أظهر الكفار اختياراً كبيرة عظيمة، وبأنه يجب الخروج على من قدر ولو بتسليم أمواله، إن كان يبقي له ما يبلغه إلى دار الإسلام، وأما المقام بأرض الكفر من أجل الخوف على النفس والمال فهو جائز ولا يكون جرحة في المقيم[2].

ولكن للأسف لم يهاجر إلا قلة من هؤلاء، وبقيت أكثرية حافظت على دينها سراً ما يقارب مئة وخمسين عاماً، ثم طرد «المستعربون» الموريسكيون المسلمون أو تم تنصيرهم وأعلن الانتهاء الرسمي للوجود الاسلامي في القرن السابع عشر عام (١٦١٣م)[3]، ووقع ما كان محذوراً ولله الأمر من قبل ومن

= صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ١٢٩/٥، عام ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م، تحقيق: د. حسين مؤنس. وقد هاجم مؤنس هذا الفقيه وسفه رأيه في كلام طويل، والذي يظهر أن د. مؤنس جانبه الصواب، إذ تكلم بلا علم ولا حجة، لا من الشرع ولا من الواقع، فقد تنصر الذين بقوا في الأندلس ولم يهاجروا ولم يأخذوا بفتوى العلماء. وهذه الفتوى تقع ضمن كتاب النوازل الفقهية المسمى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب له. وهو قيم في بابه، منشور مطبوع.

(١) انظر: نهاية الأندلس، محمد عبد الله عنان، ص٣٤٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) انظر: الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن علماء الحضرة مخطوط مجهول الجامع، دير الأسكوريال، رقم (١٠٩٦)، ورقة ٣٢.

(٣) انظر: كتاب محنة الموريسكوس في إسبانيا، د. محمد قشتيليو، «مغربي من نسل المسلمين الذين طردوا من الأندلس»، مطبعة الشويخ المغرب، بلا تاريخ، وهو كتاب عجيب غريب في بابه يصور مدى الفظاعة والقمع الذي مورس ضد المسلمين بعد سقوط الأندلس عبر عشرات السنين. وانظر: كذلك الحلل السندسية ١١٩/٢، التربية الإسلامية في الأندلس، خوليان ريبيرا، ص٢٣٩، حضارة الإسلام في إسبانيا، =

بعد وكان أمره قدراً مقدوراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذه وقفات سريعات لبعض أحداث التعصب النصراني ـ وهي بالمئات ـ ويحمل كل حدث بداخله الكثير من المآسي المهلكات، وكان من نتاج تسامح المسلمين ظهور حركتين متعصبتين تحارب الإسلام من داخل الوطن الإسلامي من قبل بعض المعاهدين النصارى وبتشجيع رجال الدين النصارى:

الأولى: حركة الاستخفاف «الاستشهاد» كما يسميها النصارى، وتتلخص: أن رجال الدين النصارى كانوا يوغرون صدور العامة على المسلمين ـ وقد تقدم شيء من ذلك ـ، ويعدون بالجنة لمن سب الإسلام ونبي الإسلام. فكان بعض المتعصبين من العوام يخرج إلى الشوارع ويسب ويطعن في النبي ﷺ، وحدث بذلك فتنة كبرى في بعض المدن الأندلسية[1].

الثانية: الحركة الشعوبية، وقد سبق الحديث عنها.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن ماذا كان موقف علماء وفقهاء الأندلس من هذا الطغيان وهذا العدوان؟

والجواب: أنهم اتخذوا من هذا العدوان السافر موقفين:

الأول: دفاعهم عن أرضهم ودينهم بالجهاد في سبيل الله، وسيأتي نماذج من العلماء المجاهدين في الفصل الآتي، بحول الله ومشيئته.

والثاني: أنهم نافحوا وجاهدوا في سبيل عقيدتهم ودينهم بأقلامهم ومصنفاتهم، للرد على عدوان النصارى، ومن ذلك ما ورد في الباب الأول، والباب الثاني من ذكر بعض جهودهم في الرد على معتقداتهم الفاسدة، ومن ذكر مناظراتهم ومجادلتهم لهم، وكشف الشبه التي أثاروها لتشكيك المسلمين في دينهم.

كان علماء الأندلس يقارعون عبّاد الصليب ويجاهدونهم بالسيف والقلم

= أمريكو كاسترو، ص٣٤ ـ ٣٧ ترجمة: د. سليمان العطار. دار الثقافة القاهرة ١٩٨٣م.

(١) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٢٦٧ ـ ٢٧٠.

ممتثلين قول الله ﷻ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

وهذه الآية تضمنت قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى يقتلوا أو يؤدوا الجزية. أما أهل الكتاب من العرب فاختلف هل تقبل منهم الجزية أم لا بد من الإسلام. والصواب أنه تؤخذ منهم الجزية.

واختلف في الجزية هل لها حد. وقال الشافعي أنه يؤخذ دينار على الرأس، وقال كثير من أهل العلم ذلك باجتهاد الإمام[١].

أما جهادهم بالقلم فهو كثير، لا سيما مع من ذكرهم الله في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وتسامح علماء الأندلس مع الصنف الأول كثير جداً، وهو تسامح أشبه بالمستحيل بالنسبة لرجال الدين النصارى آنذاك.

فها هو **عبد الله بن سهل الغرناطي**[٢]، العالم العلامة الذي أجمعت اليهود والنصارى والمسلمين، أن ليس في زمانه مثله، «كانت النصارى تقصده من طليطلة وتتعلم منه[٣]، وله مع قسسهم مجالسات ومناظرات حاز فيها

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ١١٨/١٥٨ ـ ١٦٢.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) انبهر طلاب العلم النصارى في الأندلس وغيرها بالمسلمين وباللغة العربية، وأقبلوا على تعلم العلوم الإسلامية، وهنا أطلق الفارو القرطبي ـ وهو مطران مستعرب ـ قوله الشهير عام ٨٥٤م: «من الذي يعتكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين بديننا على دراسة الكتب المقدسة، أو يرجع إلى كتاب أي عالم من علمائها ممن كتبوا في اللغة اللاتينية؟ ومن منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرسل. إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حباً باللغة العربية يبحثون عن كتبها ويقتنونها، ويدرسونها في شغف، ويعلقون عليها، ويتحدثون بها في طلاقة، ويكتبون بها في جمال وبلاغة، ويقولون فيها الشعر في رقة وأناقة. يا للحزن مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم، وينسون لغتهم نفسها؛ لأن الفصاحة العربية تسكرهم ولا يكاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة معقولة لأخيه مسلِّماً عليه، وتستطيع أن تجد جمعاً لا يحصى يظهر تفوقه وقدرته وتمكنه من اللغة العربية». التربية الإسلامية في الأندلس. خوليان ريبرا، ص٢٠٨.

قصب السبق»[1].

وكذا **الإمام الباجي** ـ وقد سبق الكلام على رسالته ـ لما خاطب القسيس المقتدر بالحسنى كقوله: «إلى الصديق الحبيب. الملك الشريف من الراهب أحقر الرهبان. والسلام عليك أيها الحبيب من سيدنا المسيح..».

أجابه الباجي بما ناسب هذا الخطاب المتسامح، كقوله: «.. فقبلنا مودتك لما بلغنا من مكانتك. فقصدنا الرفق والتأنيس لك. وإنا لنربأ بمثلك ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك.. فقد بلغنا من إرادتك الخير ورغبتك فيه وحرصك عليه ما حرصنا به على إرشادك..»

ولكن الإمام الباجي يشتد في موضع تحسن فيه الشدة في لين فيخاطبه بكلام عقلي عاطفي وجداني: «فإن قبلت نصحي وسمعت موعظتي أخرجناك بعون الله من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن حيرة الشك إلى يقين الحق. والله نسأل أن يهديك ويهدي من قبلك فتفوز بأجورهم..»[2].

وقد سبق الكلام على هذه الرسالة في الفصل الأول، وعلى بعض كلام الباجي لخصمه.

وكذا العلامة الفقيه **ابن رشيق** في مناظرته للقسيس وجداله له بالتي هي أحسن[3] وجلوسه بين أيدي النصارى وإفهامه وإفحامه لجهلة القسس.

هذه الأمثلة الآنفة على التسامح العلمي الفكري وهي كثيرة جداً.

وكذلك على الجانب الاجتماعي والسياسي.

فابن برجان يصور لنا القرب النصراني من الدين، للمنصفين من النصارى، ومدى التسامح الإسلامي معهم، ويفسر قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ

---

(١) الإحاطة ٣/٤٠٤، وكذلك الإحاطة «نصوص جديدة لم تنشر»، لسان الدين الخطيب، ص٧٤، نشر: عبد السلام شقور، كلية الآداب تطوان المغرب ١٩٨٨م.

(٢) انظر: رسالة الراهب للمقتدر ورد الباجي عليها، ص٤٩ ـ ٥٤، ٦٤، ٦٥، ٨٠، ٩٩، ١٠١.

(٣) انظر: المعيار المعرب ١١/١٥٥، وتقدم ذكر ذلك في فصل المناظرة ورد الشبهات.

﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، وقرأ سليمان ﷺ، دع القسيسين في الصوامع والخرابات. يذكر أنها نزلت في رجال بعث بهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ، فلما سمعوا القرآن بكوا، فإن ذلك كذلك فليست مقصورة على أولئك دون سواهم من المهتدين، وهي بشارة من الله جل ذكره لهم أنه سيأتي بهم في آخر الزمان إن شاء الله، وهم في جملة من شملهم قوله جل قوله فسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، وأن قوله جل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾، فوصفهم جل وصفه بالإيمان الأرفع والخشية والرهبانية من نعت أتباع عيسى ﷺ، والصديقية من نعت المهتدين سواهم، وقال رسول الله ﷺ: «يغزو القسطنطينية سبعون ألفاً من بني إسحاق»[1]، وقال فيهم

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر» قالوا: نعم يا رسول الله قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها ـ قال ثور: لا أعلمه إلا قال الذي في البحر ـ ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم فيدخلوها فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ، فقال إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون»، وزاد الحاكم في مستدركه بعد ذكر الحديث: «يقال أن هذه المدينة هي القسطنطينية. قد صحت الرواية أن فتحها مع قيام الساعة».
رواه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٣٨، رقم (٢٩٢٠)، كتاب الفتن وأشراط الساعة. والحاكم في مستدركه ٤/ ٥٢٣، رقم (٨١٦٩). قال النووي في شرحه لصحيح مسلم: «يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق» قال القاضي: كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم، من بني إسحاق قال: قال بعضهم المعروف المحفوظ من بني إسماعيل، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب وهذه المدينة هي القسطنطينية». شرح صحيح مسلم، للإمام محيي الدين النووي، ١٨/ ٤٣، ٤٤، دار الفكر. قلت: وقد فتحت القسطنطينية ولم يحدث ما وقع من التكبير وسقوط أسوارها به، وإنما فتحت بمدافع المسلمين التي جعلتها حطاماً. ولعل هذا يكون فتحاً ثانياً أيام الملاحم قبل خروج الدجال كما ورد في الحديث أو تكون المدينة غير القسطنطينية. والله أعلم. أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين. خالد بن ناصر الغامدي ١/ ٣١٣، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠.

جل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، ولم يقل: ولتجدن أقربهم مودة عند الله النصارى، فدل ذلك على دخولهم في دين الإسلام واتباعهم المسلمين»[1].

والقاضي **منذر بن سعيد**[2] والقضاة والفقهاء، يحضر معهم قاضي النصارى، لاستقبال وفد نصراني رومي كبير[3]، وهذا المجلس هو الذي شهر القاضي المنذر بن سعيد لما خطب خطبته العصماء، عندما ارتج على أبي علي القالي في خطبته أمام الملأ والوفد.

أما الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن فقد اتخذ كاتباً نصرانياً بارعاً مجيداً، يسمى قومس بن أنتينيان، لكنه لم يسند إليه منصب الكتابة العليا، معللاً ذلك بأنه نصراني، وقال: «لو أن قومساً أسلم ما أردنا بدلاً منه، إذ لا يليق وقع قلمنا الأعلى على يده، وهو على دينه»[4].

ولما أحس النصارى بهذا التعامل الحسن الكريم من المسلمين، أسلم هذا الزعيم وحسن إسلامه، وعند وفاته أرادت الدولة أخذ ماله، فزكاه الفقيه محمد بن يوسف بن مطروح، وقال فيه: «من مثل القومس السجاد العباد حمامة هذا المسجد، يقال فيه مات على النصرانية»[5].

وهو الذي استهوى زعيماً آخر من زعماء النصارى، حيث أعلن إسلامه طائعاً مختاراً: وهو قومس الثغر الأعلى، حيث أبى إلا مقابلة خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك، وأسلم على يديه[6].

---

(١) تفسير ابن برجان مخطوط، ورقة: ٢٠٧.

(٢) هو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن البلوطي، سمع عن الكثير من أهل العلم في رحلة للحج. وكان عالماً باختلاف العلماء، مائلاً إلى رأي داود بن علي، تولى القضاء ولم تعرف له زلة وكان بصيراً بالجدل منحرفاً لعلم الكلام، له كتب كثيرة شهيرة في القرآن والفقه وكان خطيباً شاعراً بليغاً، توفي سنة ٣٥٥هـ. انظر: تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٤٥ ـ ٨٤٧.

(٣) انظر: نفح الطيب ١/ ٣٨٩، ٣٩٩، أزهار الرياض ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٤) المقتبس، لابن حيان ص١٤٢.

(٥) قضاة قرطبة للخشني، ص١٦٠.

(٦) انظر: جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد أحمد بن سعيد بن حزم، ص٥٠٢، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعرفة.

ولذا كان كثير من النصارى يودون بعض أهل العلم الأندلسيين لحسن سيرتهم وحنوهم على النصارى المعاهدين والعدل معهم، فعندما توفي الفقيه عبيد الله بن يحيى الليثي سنة (٢٩٨هـ)، شوهد نفر من النصارى من جملة الباكين عليه[١].

ومن ذلك: أن أهل قرطبة وفيهم القضاة والفقهاء والعلماء لما دخلها ملك قشتالة، جالسوه وأطلعهم على رسالة المصطفى ﷺ. وقال لا يريبنكم أن تكونوا تحت يدي ونظري، فعندي كتاب نبيكم إلى جدي. حدّث ابن أم العماد أبو الحسن، قال: حضرت، وأحضر حق من ذهب، فتح وأخرج منه كتاب من رسول الله ﷺ إلى قيصر ملك الروم، وهو جده بزعمه. والكتاب بخط علي بن أبي طالب. قال أبو الحسن قرأته من أوله إلى آخره، كما جاء في حديث البخاري[٢].

وتسامح العلماء في الجانب الاجتماعي كثير جداً، من حيث المعاملات العامة كالبيع والشراء وتعامل الجار مع جاره والنكاح، وغير ذلك. وسيأتي لذلك زيادة بيان إن شاء الله تعالى في الفصلين الخامس والسادس، وبالله التوفيق.

أما الصنف الثاني: وهو من ذكره الله بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٠][٣]، فقد أغلظ لهم العلماء والفقهاء الأندلسيون في القول والفعل؛ لأنهم من المعتدين المعادين لشرع الله ولرسوله ﷺ، يثيرون الشبه والأغاليط والأكاذيب لصد الناس عن سبيل الله. وهؤلاء ممن أمر الله نبيه ﷺ بمجاهدتهم بيده ولسانه وسنانه، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ

---

(١) انظر: شجرة النور الزكية، ٧٦، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٣١ ـ ٥٣٣.

(٢) انظر: الإحاطة ٤/ ٣٤٦.

(٣) يدخل في هذا الصنف كل من قاتل المسلمين منهم، ويجتهد ابن حزم مستدلاً أنه يجوز قتل كل من قاتل المسلمين من أصناف المشركين، من مقاتل أو غير مقاتل أو تاجر أو شيخ كبير أو فلاح أو أسقف أو قسيس أو راهب أو أعمى أو مقعد.. واعتبر أن من استدل ببعض الأدلة التي تستثني هذا إنما هو تشغيب لا يلتفت إليه. انظر: المحلى ٤/ ٢٩٦ ـ ٢٩٩.

﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣]، وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام وصحابته ومن بعدهم من التابعين وأهل العلم ومنهم علماء الأندلس.

فالإمام **ابن حزم** لما تعرض للرد على رجال الدين من النصارى سفه عقولهم وآراءهم، وربما وجه بعض الألفاظ المقذعة ليستفيق الغافل ويتعلم الجاهل خطر اعتقاده المنحرف. فعند ذكر تحريف التوراة والإنجيل وما فيها من أنواع الباطل قال: «قلنا: إن الأحبار الذين عملوا لهم هذه الخرافات كانوا ثقالاً في الحساب، وكان الحياء في وجوههم قليلاً جداً..»[1].

وقال عن أحد أحبارهم ويسمى إسماعيل ـ لما افترى وقال إنه كان ماشياً في خراريب بيت المقدس فسمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة وهو يبكي في تلك الخرب... ـ قال ابن حزم: «قال هذا النذل الموسخ ابن الأنذال...»[2].

وقال عنه: «ولا أعجب من أخبار هذا الكلب لعنه الله عن نفسه بهذا الخبر»[3].

وقال واصفاً كتاب الأناجيل: «وكل ما أوردناه بيان واضح في أن الذين ألفوا الأناجيل كانوا عيارين مستخفين...»[4].

وقال عن متى لما زعم أن الله برئ لبطرس بمفاتيح السمٰوات..: «في هذا الفصل على قلته، وإنه قليل ومنتن كبعض ما يشبهه مما يكره...» «إنها لخطة خسف، وترى باطرة وأصحابه الأوغاد قد صاروا حكاماً على الله»[5].

وقال في موضع آخر بعد أن ذكر أنواعاً من شركيات دينهم المهلكات: «فأي دين أنتن وأوسخ، أو أضل أو أفسد، من دين هذه صفته؟»[6].

---

(١) الفصل ١/ ٢٢٣.

(٢) الفصل ١/ ٢٢٦، وانظر: كذلك رسالته في الرد على ابن النغريلة، ص٦٤، ضمن كتاب: رسائل ابن حزم.

(٣) الفصل ١/ ٢٢٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٨٧.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٨٥، ٨٧.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٥٠.

ولما زعمت النصارى أن الله يأكل ويشرب، أوضح أن هذا من افترائهم هم وأسلافهم في كذبهم على الله وقال: «والقوم أنذال بالجملة»[1].

وفي رده على ابن النغريلة اليهودي لما ألّف كتاباً زعم فيه تكذيب القرآن لبعضه. أوضح أن اليهود عرفوا بالخبث والكيد والمكر ولا يحسنون غير الغش والتخابث والسرقة. وأنه لما اتصل به أمر هذا اللعين بحث عن كتابه الخسيس ليرد على هذا الزنديق المستبطن مذهب الدهرية. ووصفه بالمائق الوقاح الجاهل اللعين[2]. إلى غير ذلك مما ورد في سياق الرد.

والإمام **الخزرجي** أغلظ في رده على ذلك القسيس الغليظ، وطالما وصفه بين فينة وأخرى بأنه مغرور وجاهل ومخدوع «أخبرني أيها المغرور، أخبرني أيها المخدوع»[3] وهكذا يرد عليه بألفاظ موقظة علها تفيقه من غفوته. ولكن الإمام الخزرجي أقل تعنيفاً من ابن حزم، ومما أقذعهم به قوله في أول رده: «أيها الأعجمي الألكن الطاعن على كتاب الله جهلاً... وأنت لم تؤت من العلم قليلاً ولا كثيراً. ومن أعجب قولك الشاهد على جهلك أن تندب مسلماً إلى الإيمان بالله..»[4].

وقوله له لما زعم الصلب وأهراق دم الإله: «.. ولعمري لو أن شيطاناً يتقوّل على لسانك، وهو يريد الإضحاك بك ما بلغ منك ما بلغت من نفسك بهذا القول»[5].

ومن ذلك: وسم النصارى بالتوقح على الله، وأنهم غاوون، سخفاء حمقى، ضالون مضلون، أساقفة كذابون، «ما أبْيَن ضلالكم وأهون على الله تعالى نكالكم»[6] وكان يرحمه الله يورد ما يقرعهم به عقيب كل قول كذب مناقض للمعقول من أقوالهم.

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٧٤.

(٢) انظر: رسالة الرد على ابن النغريلة. ضمن رسائل ابن حزم، ص٤٢، ٤٣، ٥٣، ٥٥، ٥٦.

(٣) انظر: مقامع الصلبان، ص١٣٨، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٨، ١٧٤، ٢٣٥، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٩٣.

(٤) انظر: مقامع الصلبان، ص١٢٧. (٥) المصدر السابق، ص١٧٢.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص١٧٨، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٧، ٢١٤، ٢٣٨، ٢٩١.

والإمام **القرطبي** في الإعلام سلك مسلك التوبيخ والتقريع للظالمين منهم لا سيما صاحب كتاب «تثليث الوحدانية» كقوله له: «اسمع يا لكع، على أنك لا تحسن أن تسمع..»[1]، وكقوله له لما افترى على الله في الطلاق: «اعلم يا هذا المفتري الكذاب، المشنع المرتاب..»[2]، وعند تكلمه على القرآن وجهله به وبتفسيره قال مخاطباً: «يا أيها الجاهل، الناكث عن الحق العادل..»[3].

والفقيه **عبد الله الترجمان** ـ الذي من النصرانية تاب وإلى الإسلام آب ـ يغلظ القول على بني جلدته سابقاً ويسير على منهج الإمام ابن حزم، ويصفهم بأقذع الأوصاف، فيلعنهم كلما مر على فرية من افتراءاتهم[4] ويلعن من ألف لهم الإنجيل ويكذبهم كقوله عن يوحنا: «ولكن كذب عليه هذا اللعين يوحنا وحده»[5]، ويكذب النصارى جملة؛ لكذبهم وتناقضهم كما في الإنجيل[6]، وأن كفرهم كفر بارد غثيث بارد سخيف، ويتوعدهم بنار جهنم إن لم يتوبوا من ذلك هم وقسسهم الكفرة[7].

هذا هو مسلك ومنهج أهل العلم في تعاملهم وإغلاظهم وتسامحهم. ليس إغلاظاً مطلقاً، ولا تسامحاً مطلقاً، بل كانوا يَزِنون كل ذلك بموازينه الشرعية، وفي هذا دحض لقول من يطلق التسامح مع أهل الكتاب، ويعتبرهم إخواناً في الإيمان.

• تعقيب حول مبحث التسامح

تطورت الكنيسة خلال الأعوام الفارطة والعقود الماضية في مسألة التسامح تطوراً كبيراً، لا سيما ما سطره المجمع الشهير الذي سمي بالمجمع

---

(١) الإعلام ٢/ ٢٢٥.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٢٥.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٧٨.
(٤) انظر: تحفة الأريب، ص١٤٤، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٨، ٢٣١.
(٥) المصدر السابق، ص٢٢٧.
(٦) انظر: المصدر السابق، ص١١٧، ١٣٠، ١٤١، ١٧٥.
(٧) انظر: المصدر نفسه، ص١٧٢.

الفاتيكاني الثاني فها هو يدعو إلى الحرية الدينية لكل شخص[1]، ولكن في حدود الاعتدال[2]، ويتحدث عن احترام الخصوم ومحبتهم[3]، ويحرم الحرب تحريماً مطلقاً ويدعو إلى عمل دولي لتجنب الحرب[4].

وتعترف الكنيسة والمجمع بوحشية الكنيسة في العصور الوسطى، وتتحدث عن بدايات تبرئة اليهود من دم المسيح[5].

أما حال الكنيسة تجاه المسلمين فقد تغير «نظرياً» تغيراً كبيراً ويمكن أن نعتبره أهم موقف طوال مئات السنين حيث أبدت كثيراً من التسامح «النظري» تجاه الدين الإسلامي، تمثل ذلك في نص هام جداً حواه المجمع الفاتيكاني وهو قوله: «تنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحي القيوم، الرحمن القدير الذي خلق السماء والأرض، وكلم الناس إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده، كما سلم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه. وإنهم، على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً، يكرمونه نبياً، ويكرمون أمه العذراء مريم، مبتهلين إليها أحياناً بإيمان. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجازي الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثون أحياء. من أجل هذا يقدرون الحياة الأدبية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم، خصوصاً.

ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلمتهم معاً، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية»[6].

ومن التسامح الذي أعلنته الكنيسة ما أورده آنفاً من أن الخلاص ليس

---

(١) انظر: المجمع الفاتيكاني الثاني، ص٦٠٨.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٦١٣.
(٣) انظر: المصدر نفسه، ص٢٢٩.
(٤) انظر: المصدر نفسه، ص٣٠٢.
(٥) انظر: المصدر نفسه، ص٦٢٥.
(٦) المصدر نفسه، ص٦٢٩.

حكراً على الكنيسة الكاثوليكية بل يشمل غير المسيحيين، ومنهم المسلمون، بل يشمل كل الناس من ذوي النية الطيبة إذ بحثوا عن الإيمان بإخلاص[١].

كما دعا بعض آبائهم إلى التسامح العلمي والعملي مع الدين الإسلامي[٢]، بل إلى الدعوة إليه والدعوة إلى الحوار الإيماني وانتهاج نهج جديد في الانفتاح على الحوار[٣] والدعوة إلى عدم احتكار الحق، وأنه يجب على الكنيسة تجنب السيطرة والتعالي على الأديان الأخرى والقبول بالآخرين على ما هم عليه من اختلاف[٤]، وفي واقع الأمر أن الكنيسة لم تعد تحكم على الأديان الأخرى بالضلال وعبادة الأوثان. لكن لا بد من بيان الفوارق والمميزات[٥]، ولا بد من تأويل المطالبة بمطلقية الدين المسيحي[٦].

ومن وثيقة بعنوان «علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية» دعوا إلى التسامح وحوار الأديان والتغاضي عن تضليل وتكفير الآخرين[٧].

وإن كان من تعليق على كل ما مضى أن ما أستشفه من كلام آباء الكنيسة من تسامح ودعوة للحوار واعتراف بالآخر وحوار الأديان.. إلخ أنه يجب على المسلم أن يبادلهم الشعور ذاته والاعتراف ذاته وأن لا يكفرهم ولا يحكم بضلالهم لعبادتهم غير الله ولقولهم بالتثليث والصلب والبنوة، وأن يقبلهم على ما فيهم من شرك كما قبلوه. فإن لم يفعل فلا حوار ولا تسامح، وإن قبل فهو العاقل المثقف الوسطي والأخ والحبيب الذي تفرد له المؤلفات والمصنفات والرسائل والوسائل الإعلامية من جرائد ونشرات وصفحات، وكم وقع في فخهم هذا من الفقهاء والمثقفين وذوي النيات الحسنة، فألقوه في حفرة عميقة من التنازلات التي تصادم نصوص الشريعة، وتخالف ما علم من الدين

(١) انظر: الإسلام ٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩، مقالات لاهوتية ٧/ ٩، الإصغاء إلى كلام الله ٥/ ٣١.
(٢) انظر: الإصغاء إلى كلام الله ٥/ ٣١، الإسلام ٦/ ٢٤٢، مقالات لاهوتية ٧/ ٢٠٥.
(٣) انظر: مقالات لاهوتية ٧/ ٧، الإسلام ٦/ ٢٤٥، أفكار وآراء ١٠/ ١٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧.
(٤) انظر: مقالات لاهوتية ٧/ ١٠٠.
(٥) انظر: المصدر السابق ٧/ ٢٠٦.
(٦) انظر: المصدر نفسه ٧/ ٢٠٩.
(٧) انظر: أفكار وآراء ١٠/ ١/ ١١ ـ ٤٤.

بالضرورة، وما أجمع عليه علماء الأمة وتواتر في الشريعة.

وغاية ما يسعى إليه المنادون بالتسامح وحوار الأديان من النصارى ومن بعض المسلمين، القول بوحدة الأديان والقول بالحلول والاتحاد، وأنه ما ثم رب بائن من خلقه معتلٍ على عرشه، بل بإيمان الصوفية من الغلاة، وهذا ما ينادي به أكبر آبائهم المعاصرين في مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي وتؤيده الكنيسة الكاثوليكية، في سلسلة شهيرة فاخرة مدعومة وصلت إلى أحد عشر مجلداً. أوردت منها ـ آنفاً ـ وجهات نظرهم في كثير من القضايا الهامة.

يقول الأب جورج خضر: «يبقى العالم الإسلامي في إطار الفقه وروحية شريعية والكثيرون فيه يضطهدون التصوف، وهو أبهى وأعمق ما أنتجه الإسلام»[1].

وهذا يدلنا على توافق هوى النصرانية مع هوى الصوفية وأن بينهما تشاكلاً وتجانساً كبيرين في الإلحاد، لا سيما في القول بوحدة الوجود والحلول ونحو ذلك، ومن ثم وحدة الأديان. بناءً على هذا المعتقد الفاسد.

ويقول أحدهم في هذه المؤلفات النصرانية الصرفة: «ولقد رأى الصوفية، أكثر من سائر مذاهب التفكير وسائر التيارات في الإسلام. وفي وحدة الإيمان ما يتخطى اختلاف الأديان، وكثيراً ما أشادوا بوحدة الإيمان هذه بعبارات غيبوبية توافق نشوة الحب. فقد عبر جلال الدين الرومي، أكبر شعراء الصوفية في فارس، عن شعوره بالأبيات التالية:

«مجهول أنا عند نفسي ... بربك أخبرني ما العمل

لا الهلال ولا الصليب معبودي ... ولا أنا كافر ولا يهودي

أنا ما جاءت بي السماء ... ولا اقتلعت من مقلع الطبيعة

لا الشرق موطني ولا الغرب ... ولا اليبس ولا البحار

ولا طينتي من تراب ولا من هواء ... ولا صورتي من نار ولا من ماء

---

(١) أفكار وآراء ١١/٢/١١٥.

لا مـن آدم أخـذت نـسـبـتـي ... ولا مـن حـواء
أنـا لـسـت مـن الـزمـن ... ولا مـن الأزل
أنـا مـقـرّي لـيـس فـي جـهـنـم ... ولا مـثـواي فـي الـجـنـة
ليس لي مقام في هذا العالم ... وما هناك معالم هي معالمي
أنا تجردت عن بدني وعن روحي ... فلا أحيا بعد إلا في روح محبوبي
نـزعـت عـنـي الـثـنـائـيـة ... واحـد هـمـا الـقـالـمـان
أنـا لا ألـغـي إلا شـيـئاً واحـداً ... ولا أعـرف إلا شـيـئـاً واحـداً
ولا أتـغـنـي إلا بـشـيء واحـد
هـو الأول وهـو الأخـيـر ... هـو الـخـفـي وهـو الـظـاهـر
أنـا لا أعـرف مـن دونـه ... ومـن دونـه وحـده أحـداً

أما ابن عربي، وهو أحد كبار الصوفية، الذي نشأ في الأندلس في محيط تلاقت فيه اليهودية والمسيحية والإسلام، فقد أشاد بوحدة الإيمان والمحبة في الأبيات التالية، وكأنه يصرح لمن يعتنق ديناً آخر أنه لن يقول له من بعد إن دينه هو أفضل من الدين الآخر:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني»[1]

ويصر الأب كيرلس سليم على الحوار، وأنه لا يمكن الاتفاق على دين صحيح، في دعوة صريحة للإلحاد المحبب للكنيسة، ويؤيد قوله بأبيات من قول أبي العلاء المعري:

«في اللاذقية[2] ضجة ... ما بين أحمد والمسيح

---

(١) الإصغاء إلى كلام الله ٥/٢١٩، ٢٢٠، ويشبهه قول الحلاج:
سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
وقوله:
على دين الصليب يكون موتي ... ولا البطحا أريد ولا المدينة

(٢) اللاذقية: بفتح أوله وكسر ثانيه وباء مشددة، مدينة من ثغور الشام الساحلية والبحر =

هـــذا بـــنـــاقـــوس يـــدق وذاك بـــمـــئـــذنـــة يـــصـــيـــح

كـــل يـــعـــزز ديـــنـــه يا ليت شعري ما الصحيح!»[1]

وبما أنه كذلك فلا بأس من الدعوة إلى دين جديد سموه «وحدة الأديان» أو وحدة أهل الإيمان.

وفي هذا الشأن يقول عادل تيودور خوري معقباً على دعوات من ذلك القبيل: «وهم يأملون أن تقود أشعة حقيقة الله التي يمكن الاستدلال عليها استدلالاً متكرراً في تراث الشعوب الديني إلى نصب جسر ثابت يربط مؤمني الجماعات كلها بعضهم ببعض، ويرشدهم جميعاً إلى السبيل المؤدي إلى وحدة دينية أوسع، تبلغ ذروتها في ما يمكن وصفه «باتحاد الأديان الشامل»[2].

وعلى ذات المنوال يقول الأب كيرلس سليم: «وندعو الله الذي هو في المسيحية والإسلام إلى المحبة والرحمة أن يقرب بين جميع المؤمنين به، وإن كانوا يعبرون عن ذلك الإيمان بطرق مختلفة ومتنوعة ليعملوا معاً على تتميم إرادته في هذا العالم»[3].

ويقول ـ في احتفال صوفي بالمولد النبوي ـ لتذويب الدين الحق في نفوس أتباعه: «أيها المؤمنون بالله سواء أكنتم مسلمين أم مسيحيين إلى الله الواحد مرجعكم جميعاً. فلا يجوز لأي منا أن يكفر الآخر؛ لأنه لا يجوز لأي منا أن يحتكر الله..»[4].

= منها غرباً. انظر: معجم ما استعجم، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، ٤/ ١١٤٧، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط. الثالثة ١٤٠٣هـ. قلت: وهي اليوم مدينة بسوريا.

(١) أفكار وآراء ١٠/ ١/ ٦٠.

(٢) مقالات لاهوتية ٧/ ٢١٤.

(٣) أفكار وآراء ١٠/ ١/ ٧.

(٤) المصدر نفسه ١٠/ ١/ ١٤٧، وهذه أفكار التنصير لتذويب العقيدة في النفوس أولاً ثم التنصير ثانياً، وفي وثيقة (٣٧) نصيحة للمنصرين في الجزائر، ذكرت الوثيقة النصرانية نقطة هامة، وهي التركيز على سماوية الإسلام والنصرانية كمدخل للتنصير. انظر: مجلة البيان، العدد: ١٥٥، السنة: ١٥، رجب ١٤٢١هـ، أكتوبر ٢٠٠٠م، ص٧٠.

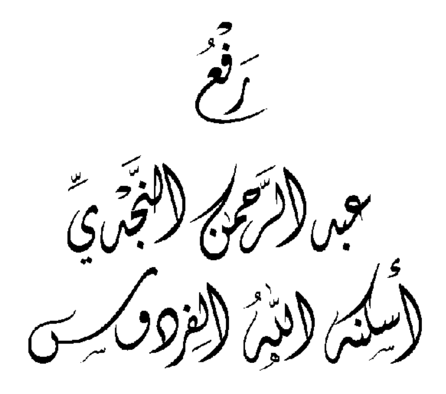
وهذا الإلحاد والكفر هو دعوة التسامح النصرانية المعاصرة دعوة إلى تذويب الأديان في بوتقة واحدة، حتى إذا تخلى الناس عن دينهم ونبذوه وراءهم قالوا: أنتم على ديننا الذي أمرنا أن نبشر به في العالمين، وإنا برءاء مما تدعوننا إليه لا نحيد عنه قيد أنملة.

وقد حذرنا الله من اتباع خطواتهم والانسياق وراء باطلهم حيث قال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال ﷻ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

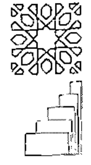
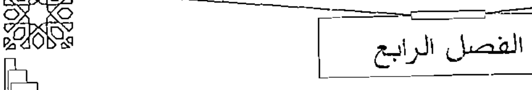
فهل يعي إخواننا الذين انساقوا وراء هذا السراب الخادع ما قاله ربهم وخالقهم تعالى وبلغهم نبيه ﷺ. اللهم آمين.





الفصل الرابع

إسهام علماء الأندلس في جهادهم النصارى دفاعاً عن دين المسلمين وبلادهم

إسهام علماء الأندلس في جهادهم النصارى دفاعاً عن دين المسلمين وبلادهم

من بدهيات ديننا أن النبي ﷺ بعث بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له. ومن نافلة القول أن الله نشر هذا الدين بفضل الجهاد في سبيل الله. والله تعالى حض النبي ﷺ وأمته على الجهاد، وعدّه من أجل أعمال المسلم وأعلاها وأعظمها أجراً.

يقول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

وهذه الآية عامة في كل من جاهد في سبيل الله من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة، وقال بعض العلماء ما من مسلم إلا ولله في عنقه هذه البيعة وفى بها أو لم يف. وقد أمر الله عباده أن يهبوا أنفسهم وأموالهم في ذاته، ثم وعدهم بجنته والفوز العظيم. والآية أعم من القتل في سبيل الله[(١)].

ويقول ﷺ «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[(٢)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٨/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٢٣٥، رقم (٢٢١٠٤، ٢٢١٢١، ٢٢١٧٥)، والترمذي في سننه ٥/ ٢٩٣، رقم (٣١١٦)، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ١٣٠، رقم (١٠٣٣٨)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٨٦، رقم (٢٤٠٨)، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٠، رقم (٣١١٦).

والآيات والأحاديث الدالة على فضل الجهاد في الإسلام كثيرة جداً.

وهي أدلة طبقها علماء الأندلس بالقول والفعل، وأدركوا أن النجاة في الجهاد والمجاهدة، وأن الهلكة والتهلكة في تركه والركون إلى ملذات الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ولذلك عملوا بمقتضى الأدلة الشرعية، وكان لهم أكبر الأثر في فتح الأندلس ودوام الإسلام ما ينيف على ثمانية قرون في الأندلس، وكان الأندلس بحكم التصاقه ومجاورته للعدو النصراني، الذي يروم دوماً اجتثاث الإسلام من جذوره، لا سيما مع تداخل الأراضي الإسلامية بالممالك الشمالية النصرانية، كان أرض رباط وجهاد ومصابرة ومجاهدة، العلماء هم قادته ووقوده ومادته.

إنها الأندلس منذ أن أشرقت بأنوار التوحيد، «دار الجهاد، وموطن رباط»[١] وانفردت عرصاتها عن سائر البلاد، «كونها ملاعب الجياد للجهاد»[٢] وامتاز «أهل الأندلس بأنهم سباق حلبة الجهاد، مهطعين إلى داعية من الجبال والوهاد»[٣].

أما العلماء فإنه «لما تقلص الإسلام بالجزيرة ـ أعادها الله للإسلام ـ واسترد الكفار دمرهم الله، أكثر أمصارها وقراها، على وجه العنوة والصلح والاستسلام، لم يزل العلماء والكُتّاب والوزراء يحركون حميات ذوي البصائر والأبصار، ويستنهضون عزماتهم من كل الأمصار»[٤]، باذلين الغالي والنفيس في كل الأعصار وجميع الأدهار، داعين إلى الجهاد والاستشهاد لإعلاء كلمة الله في نفوس العباد في سائر البلاد، إنه الجهاد الذي طالما حضنا عليه قرآننا وسنّة نبينا، وطالما تضمخت بيداء الأرض بدم محمد بن عبد الله ﷺ وصحابته الطاهرين ﵃ ومن بعدهم من التابعين إلى يومنا هذا مروراً بتاريخ الأندلس العتيد المجيد.

---

(١) صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحميري، ص٣، نشر: ليفي بروفنسال، دار الجيل بيروت ط. الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) نفح الطيب ١/ ١٨٦، رسالة للسان الدين بن الخطيب.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٩٠.

(٤) أزهار الرياض ١/ ٦٣.

هذا الجهاد رئس أعمال التقى   خذ منه زادك لارتحال تسعد
هذا الرباط بأرض أندلس فرح   منه بما يرضى إلهك واغتد[1]

قبل أن أتجاسر لجمع شتات هذا الفصل، تهيبت من الكلام على جهاد العلماء الأندلسيين، إذ هم أهل الجهاد ومادته ووقوده وجذوته، وضحاياه في صفوفه الأول، وهم المرابطون في الثغور المستثيرون للهمم، المحرضون للجهاد والرباط لنصر الدين وعزة الإسلام وأهله ـ بأن لا أوفّيهم حقهم من الكلام على جهادهم ورباطهم ـ ولكن استعنت بالله، وبدأت قراءة كتب التراجم والتواريخ الأندلسية، ككتاب: تاريخ علماء الأندلس، وقضاة قرطبة، وجذوة المقتبس، والصلة، وبغية الملتمس، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وغيرها من الكتب التي ضمت بين جنباتها ذكر أصناف جهاد العلماء العاملين. ووجدت ـ بحمد الله ـ ما يشفي العليل، ويروي الغليل، من سير ورثة النبيين، وحملة الحق والنور المبين، وجدت عشرات التراجم، في سير ترجمة هؤلاء الأخيار الأطهار، الذين أشبه كل واحد منهم في عرينه بليث، أو كأرض مجدبة جاءها من بعد موتها الغيث.

ووجدت في تراجمهم ـ عن أهل العلم ـ بين مقل ومكثر من الجهاد، فمنهم من تناولته التراجم بإسهاب في جهاد، ومنهم من اقتصرت على ذكر أنه كان من المجاهدين، أو كان ملازماً في الثغور أو نحواً من ذلك.

وإني أعتبر نزهتي وسياحتي في بحثي هذا، هذا الفصل، فصل الجهاد، الفريضة الغائبة التي لن تنتصر الأمة ما تركتها، إلى يوم التناد، وصدق المصدوق ﷺ إذ أخبر أن سياحة أمته في الجهاد[2]، وأخبر أن عز أمته يدور

---

(١) البيتان من قصيدة طويلة لعمر بن المرابط، نظمها على لسان سلطانه ابن الأحمر للاستنجاد والدعوة للجهاد عام ٦٧٤هـ إلى السلطان يعقوب المريني في المغرب. انظر: أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي د. يوسف عيد، ص٣٨، دار الفكر اللبناني، ط. الأولى، ١٩٩٣م.

(٢) رواه أبو داود في سننه عن أبي أمامة ٣/ ٥، رقم (١٧٠٦٤)، باب في النهي عن السياحة، والحاكم في المستدرك ٢/ ٨٣، رقم (٨٠٠٨٩)، كتاب الجهاد وقال: هذا =

مع الجهاد وجوداً وعدماً[1] وفي ذلك عبرة لكل العباد.

وسأتناول إسهام هؤلاء الأئمة الأعلام، في الجهاد في نقاط عدة، ذاكراً إسهام جم من الأعلام من أصناف الجهاد. وإليك هذه الوقفات:

دور العلماء في الحض على الجهاد والرباط بتأليف الكتب والرسائل والخطب وغيرها.

دور العلماء في الاستنجاد، والاهتمام بشؤون الجهاد.

دور العلماء في الإفتاء بالجهاد، ووقوفهم في الثغور وجبهات القتال بالعدة والعتاد.

التابعون الذين دخلوا للجهاد في الأندلس عند افتتاحه سنة (٩٢هـ).

مشاهير العلماء المجاهدين.

تراجم جلة من العلماء الذين جاهدوا في الأندلس.

دور العلماء في الحض على الجهاد والرباط بتأليف الكتب والرسائل والخطب وغيرها:

من مقامات الجهاد التي أسهم فيها العلماء الأندلسيون، الجهاد بالقلم، إذ أن الأندلس دار جهاد ورباط، وكان الجهاد والرباط عمل يومي، يشغل العلماء والقادة والأمراء والعامة، وكان التخلي عن الجهاد يساوي الهلاك.. وكان أدرى الناس بذلك هم العلماء والفقهاء يدركون ذلك، ويتهيبونه؛ فسعوا

= صحيح الإسناد ولم يخرجاه. والطبراني في المعجم الكبير ٨/١٦٨، رقم (١٣٨٢٩٠). والطبراني في مسند الشاميين. الإمام ابن أحمد الطبراني أبو القاسم ٢/ ٣٧٢ رقم (١٩١٥٣٩) بلفظ: «... إن سياحة أمتي، الجهاد في سبيل الله»، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٤م - ١٤٠٥هـ.

(١) عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». رواه أبو داود ٣/ ٢٧٤، رقم (١٨٠٤٠)، كتاب البيوع باب النهي عن العينة؛ وبمثله رواه أحمد في مسنده ٢/ ٤٢، رقم (٤٤٢٤١). وأبو يعلى في مسنده ١٠/ ٢٩، رقم (١٢٥٤٩١). والبيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٣١٦، رقم (١٠٨٧١٤).

لربط الناس بهذا الجهاد المقدس بتأليف الكتب والرسائل والخطب وغيرها.

وعند لجوء الحكام والعامة إلى العلماء والفقهاء، يجدون حصنهم الحصين، ودرعهم المتين، فيكشفون الكرب ـ بإذن الله ـ ويجدون في كتبهم ورسائلهم ما يحضهم على الجهاد ويدعوهم إلى الرباط.

والكلام على الجهاد والحض عليه في كتب الأندلسيين يطول ذكره، ويصعب استقصاؤه فهناك تفسير المحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير ابن العربي: أحكام القرآن، وتفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، وتفسير ابن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، وتفسير ابن حيان: البحر المحيط، وكتب السنّة وشروحها كالتمهيد والاستذكار لابن عبد البر، وعارضة الأحوذي لابن العربي، وكتاب المفهم لما في تلخيص مسلم، وغيرها من كتب التفسير والسنّة. ولو ذهبت أتكلم على شروحهم لآيات وأحاديث الجهاد لطالت الكلمات واحتاجت إلى مجلدات وسأعرض ـ في هذه الوقفة ـ بعض جهد العلماء في تأليف الكتب والرسائل والخطب في باب الجهاد:

فأحمد البزاز(١) كان يقرئ ويعلّم من كتاب «فضائل الجهاد» وعلّم كثيراً من الطلاب.

وأبو حفص الهوزني(٢) الإشبيلي من العلماء الأدباء، إذ كتب إلى أحد الأمراء وهو المعتضد «رسالة يحثه على الجهاد» ومنها قوله:

---

(١) هو أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي التاهرتي البزاز، أتى الأندلس صغيراً، كان ثقة فاضلاً، قرأ على القاضي منذر بن سعيد البلوطي تواليفه كلها، وأقرأ علماء أكابر كابن الفرضي، ولد سنة ٣٠٧هـ، وتوفي سنة ٣٩٦هـ، بقرطبة. انظر: بغية الملتمس، ص٢٤٨.

(٢) هو عمر بن حسن الهوزني، الحسيب العالم المحدث، رحل إلى المشرق خوفاً من ابن عباد، وطلب العلم هناك، وكان يقرأ صحيح البخاري ومسلم لأهل الأندلس، ورجع إلى الأندلس وخدم المعتضد بن عباد فقتله سنة ٤٦٠هـ، ولد سنة ٣٩٢هـ، والله المطالب بدمه. انظر: المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة ١/٢٣٩، ٢٤٠، ط. الثانية، ١٩٦٤م، دار المعارف، مصر، نفح الطيب ١/٩٣، الصلة ٢/٥٨٥، رقم (٨٦٩).

«أعباد جلّ الرزء والقوم هجع ... على حالة من مثلها يتوقع
فلق كتابي من فراغك ساعة ... وإن طال فالموصوف للطول موضع
إذا لم أبث الداء رب شكاية ... أضعت وأهل للملام المضيع»[1]

وأبو عمر بن عبد ربه العلامة الأديب الفقيه، يضع منظومته الجهادية في الغزوات الأندلسية، وتنيف أبياتها على أربع مئة وأربعين بيتاً من بحر الرجز، محرضاً على الغزو والجهاد لقمع عبّاد الصليب والعباد وكل ملحد لازم العناد، ومنها يصف غزوة الأمير عبد الرحمن بن محمد الأموي:

لما رماها بسيوف العزم ... مشحوذة على دروع الجزم
كادت لها أنفسهم تجود ... وكادت الأرض بهم تميد
فما رأيت مثل ذاك العام ... ومثل صنع الله للإسلام
فانصرف الأمير من غزاته ... وقد شفاه الله من عداته

ومنها في غزوة سنة (٣٠٦هـ) مع المشركين النصارى، وبعد وصف مهول للمعركة، يقول:

تغلغل العجم بأرض العجم ... وانحشدوا من تحت كل نجم
فأقبل العلج لهم مغيثا ... يوم الخميس مسرعاً حثيثا
بين يديه الرجل والفوارس ... وحوله الصلبان والنواقس..
حتى بدت هزيمة البشكنس[2] ... كأنه مختضب بالورس
عقبان موت تخطف الأرواحا ... وتشبع السيوف والرماحا
فتم صنع الله للإسلام ... وعمنا سرور ذاك العام[3]

وهذا الفقيه الكاتب الوزير **ابن عبد البر**[4]، يكتب رسالة على لسان أهل

---

(١) نفح الطيب ١/٩٣.
(٢) البشكنس: هم صنف من شعب أوروبي يسكن شمال إسبانيا اليوم ويعرف اليوم بالباسك.
(٣) انظر: ديوان ابن عبد ربه، ص١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ١٩١.
(٤) هو أبو محمد عبد الله بن الفقيه أبي عمر بن عبد البر النمري. وهو من الكتاب المشهورين محل القمر من النجوم. كتب للأمراء وتولى الوزارة، توفي سنة ٤٧٤هـ، انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٣/١/١٢٥.

بربشتر لما سقطت بأيدي النصارى سنة (٤٥٦هـ) وجهها إلى المسلمين في الأندلس يحرضهم على الجهاد ويستثير هممهم لنصرة إخوانهم في الدين، وفيها وصف لحال المسلمين، وما وقعوا فيه من الذل والهوان واستباحة الأعراض والدماء، ويشير في الرسالة إلى أن الحرب دينية تستهدف القضاء على الإسلام والمسلمين[١] فيقول: «فالجوامع والصوامع بعد تلاوة القرآن، وحلاوة الأذان مطبقة بالشرك والبهتان، مشحونة بالنواقيس والصلبان، عوضاً من شيعة الرحمن..»[٢]. ويختم رسالته بالدعوة للجهاد والنصرة في الدين «... فالله في إجابة داعينا وتلبية منادينا، قبل أن تصدع صفاتنا كتصدع الزجاج فهناك لا ينفع العلاج..»[٣].

وابن طاهر القيسي[٤] رسالة بليغة إلى بعض الرؤساء فيها الحض على الجهاد ومنها: «وقد تعين البدار على رئيس ومرؤوس، ولزم الجهاد كل شريف ومشروف، وقبيح على المسلم أن يحل إزاراً، ويسوغ من الكرى غراراً، وإخوانه المسلمون بين مشدود بالإسار، أو جزر[٥] النيوب والأظفار...»[٦].

والفقيه **أصبغ الشهير بابن المنصف**[٧] له كتاب سماه: «الإنجاد في أبواب الجهاد»[٨].

والإمام العلم المجاهد **أبو عبد الله بن أبي الخصال**[٩] الوزير، في رسالة جهادية شهيرة، وقد ذكر المراكشي أن أهل الأندلس كادوا يحفظونها، وقد

---

(١) انظر: أدب الرسائل في الأندلس، فايز القيسي، ص١٧٨، ١٧٩.

(٢) الذخيرة ق٣/ج١/١٧٧.

(٣) المصدر السابق ق٣/ج١/١٧٨.

(٤) هو أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن إسحاق بن طاهر القيسي، عالم أديب من بيت علم وفقه، ووالده كان من أكابر علماء عصره، ومن أغزرهم أدباً وعلماً وبياناً، توفي سنة ٥٠٨هـ. انظر: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، لأبي نصر الفتح بن محمد بن خاقان، ص٦٤، تحقيق: محمد العناني، المكتبة العتيقة، تونس ١٩٦٦، الذخيرة ق٣/ج١/٦٤، أعمال الأعلام ص٢٠١، ٢٠٢، نفح الطيب ١/٦٥٧.

(٥) جزر: يقال جزر الشيء: قطعه. لسان العرب ٤/١٣٤، مادة جزر.

(٦) الذخيرة ق٣/ج١/٨٨.

(٧) ستأتي ترجمته قريباً.

(٨) انظر: المعيار المعرب ٢/١١١.

(٩) ستأتي ترجمته في هذا الفصل.

أحسن فيها ما شاء وأعطاها من الطول ما أعطاها[1].

وله خطب ورسائل أخرى في هذا الباب ضمنها كتابه «رسائل ابن أبي الخصال»، ومنها قوله ـ في خطبة جهادية ـ: «سلوا جيادكم من صنعها وأنضاها، وصوارمكم من طبعها وانتضاها، وسوابغكم من جمعها وقضاها..»، ثم يدعوهم إلى التوبة والإنابة لقرب الجلاد والقتال: «فاستقيلوا ـ رحمكم الله ـ عثاركم واستقبلوا عدوكم وخذوا ثاركم..»[2]، ثم يختم بآيات التضرع والتوبة والدعاء بالمغفرة من الذنوب.

وابن عطية القاضي العلامة المجاهد صاحب تفسير المحرر الوجيز وغيره، له رسالة طويلة عبارة عن قصيدة بليغة يطلب فيها النصرة والجهاد مع أهل ميوقة[3]، لما تعرضت لغارات النصارى الإسبان[4].

وكذا الإمام **أبو بكر بن العربي**، يحرض على الجهاد في كتبه لقتال الكفار من أهل الكتاب وغيرهم[5]، وسيأتي دوره في الجهاد بنفسه قريباً إن شاء الله.

وإبراهيم بن فرقد[6] العلامة الشاعر يستجيش عواطف المسلمين برسالة أدبية تفيض حزناً وحسرة على أراض أندلسية سلبها النصارى:

ألا مسعد منجز ذو فطن ... يبكي بدمع معين هتن

جزيرة أندلس حسرة ... ألا غالب من حقود الزمن

ويندب أطلالها آسفا ... ويرثي من الشعر ما قد وهن

---

(١) انظر: الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، د. منجد مصطفى بهجت، ص٢٦٩، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) رسائل ابن أبي الخصال، ص٥٢٢ ـ ٥٢٨.

(٣) ميوقة: لم أجدها في المعاجم.

(٤) انظر: قلائد العقيان، ص٢٤٦، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي، ص٢٧٠.

(٥) انظر: أحكام القرآن ٢/ ٦٠٤.

(٦) هو الإمام المحدث الفقيه الشاعر الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن خلف بن محمد بن فرقد القرشي العامري، ولد عام ٤٨٤هـ، وسكن إشبيلية، له تواليف عدة، توفي سنة ٥٧٢هـ. انظر: التكملة، ص١٩٨، رقم (٣٩٥)، الإحاطة ١/ ٣٦٤، ٣٦٥.

ويبكي الأيامى ويبكي اليتامى ويحكي الحمام ذوات الشجن
ويشكو إلى الله شكو شج ويدعوه في السر ثم العلن
وكانت رباطاً لأهل التقى فعادت مناطاً لأهل الوثن
وكانت معاذاً لأهل التقى فصارت ملاذاً لمن لم يدن
وكانت شجى في حلوق العدا فأضحى لهم مالها محتجن[1]

ومنهم **أبو حفص الهوزني**[2]، العالم الأديب الحسيب.

وهذا الصنف من الرسائل الأندلسية يطول الكلام عليها وعلى أمثالها عند الشعراء، وهي وإن كانت في الرثاء إلا أنها قادرة على إثارة الحمية في نفوس المسلمين ليهبوا لجهاد الأعداء، وفيها التحذير من خطر النصراني الحقير..

أما **أبو يعقوب يوسف الموحدي**[3] فله براعة في العلوم الشرعية، إذ ألّف كتاباً سماه «الجهاد» ألحقه بكتاب ابن تومرت أو كتاب «أعز ما يطلب»[4].

وأورد فيه طائفة من الأحاديث التي وردت في فضل الجهاد في سبيل الله...[5].

---

(١) الإحاطة ٣٦٦/١. وعقب ابن الخطيب: وهي طويلة، ولدي خلاف في من أفرط في استحسانها، وشعره عندي وسط.

(٢) سبقت ترجمته قريباً

(٣) هو الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي، كان أعلم الناس بلغة العرب وأيامها، أخذ عن العلماء علم اللغة والقرآن والنحو، كان يحفظ أحد الصحيحين، إما البخاري أو مسلم، وأغلب الظن أنه البخاري، هذا مع ذكر جمل من الفقه، وتبحر في النحو والأدب. كان محباً للعلماء مقرباً لهم، وكان حريصاً على الجمع بين الحكمة الفلسفة والشريعة، توفي سنة ٥٨٠هـ. انظر: المعجب، ص٣٠٨ ـ ٣٣٤.

(٤) هذا الكتاب قدر لي أن أقرأ بعض ما فيه. وهو كتاب بدعي جهمي، في توحيد المعطلة النفاة ابن تومرت وأتباعه. وقد جمع هؤلاء أصناف البدع، فأخذوا من الجهمية نفي الصفات، ومن القدرية نفي القدر، ومن الرافضية القول بالإمامة والعصمة، ومن الصوفية بدعهم في الشركيات والتصوف والموالد، ومن الخوارج تكفير الناس المرابطون واستحلال دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

(٥) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق٣/ ٢/ ١٣٧.

هذا وهو حاكم من حكام المسلمين الذين جاهدوا النصارى حق الجهاد، وأذلوهم حتى أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وأبو يعقوب هذا هو الذي أمر أحد العلماء في عصره وهو **ابن حبيش**[(١)] بأن يؤلف كتاباً في الجهاد عن غزوات الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ﷺ، سماه: «الغزوات الضامنة. . .» وغاية هذا الكتاب ـ كما ذكر ـ أن تنبعث الهمم وتتجرد العزائم، ليحتذى بسيرتهم ولتجرد العزائم القوية من ملابسها وتجتني العواقب الرضية من مغارسها وتعتلي المراقب العلية من مدارجها ومراقبها وتمتاح الآراء المصيبة ويمتثل بأفعالهم من فرحتها ومساقيها، فيحتذى ذلك الحذو، ويمتثل ذلك المثال، ويدرك بعون الله وتأييده ذلك المدرك، وينال بنصره وإنجاز وعده مثل ذلك المثال، حتى تعمر البسيطة بأجمعها بكلمة التوحيد، ويستولي عليها ملك أهلها المشيد، وينقطع دابر الكفرة الجاحدين والطغاة المعتدين. .»[(٢)].

ومن تحريض العلماء على الجهاد في الدروس والخطب ما ذكر عن ابن رشد الحفيد[(٣)] وحكاه أحد طلابه قائلاً: «سمعت كلامه بالمسجد الجامع في قرطبة، وهو يحض الناس على الجهاد والغزو في سبيل الله، ويورد ما جاء في فضله في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ، بلسان طلق، وإيراد مستحسن، قال: وخرجنا معه يوم وورد الخبر بهزيمة الروم على حصن الأركة. . . فلما

---

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري عالم فقيه، تولى القضاء والخطابة وبرع في الحديث، وكان مهتماً بعلوم أخرى، وله مصنفات عدة، توفي عام ٥٨٤هـ. انظر: التكملة، ص٥٧٣، سير أعلام النبلاء ٢١/ ١١٨.

(٢) انظر: الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة. لابن حبيش أبو القاسم بن عبد الرحمن، ص٧، ٨، تحقيق: سهيل زكار، ط. الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن العلامة المفتي أبو الوليد أحمد بن رشد القرطبي المالكي الحفيد الفيلسوف، تفقه وبرع وسمع الحديث وأتقن الطب وأقبل على الكلام والفلسفة، وقيل إنه ولد وأدرك من حياة جده شهراً، توفي سنة ٥٩٥هـ. انظر: شذرات الذهب ٢/ ٣٢٠، مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ١/ ٤٩١، ٤٩٢، دار القلم، بيروت، ط. الخامسة، ١٩٨٤م، النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٤ الديباج المذهب ١/ ٢٨٥.

اجتمعنا مع الواصلين به شاهدنا عندهم علامات العداة منكوسة سجد القاضي شكراً وسجدنا جميعنا»[١].

ومن ذلك ما كتبه **أبو عبد الله بن زمرك**[٢]، في رسالة حسنة محرضاً على الجهاد: «. . . إن هذا الجهاد وليمة دعا الله عباده إليها، وحضهم عليها؛ فالآيات في المصاحف مسطورة والأحاديث مشهورة». . «ويباهي الله ملائكته بالمجاهدين، وقد تضافرت على ذلك النصوص. . .»[٣].

وهذا **أبو الحجاج البلوي**[٤] العلامة المجاهد الذي حرض على الجهاد بقصيدة طويلة زادت عن مائة بيت، منها قوله يرحمه الله:

ألا حبذا خفق البنود ... ولبس السابغات من الحديد

ومنها:

ألا يا صاح هذا الغزو فانهض ... إليه فذا من الرأي السديد

وقوسك خذ ونبلك ثم واخرج ... ولا ترين في القوم القعود

ومنها:

ألم تسمع أَعِدُّو ما استطعتم ... لهم من قوة قول الودود

---

(١) الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، سفر ٦، ص٢٤.

(٢) هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن يوسف الصريحي أبو عبد الله كان آية في الحفظ والذكاء وعلم اللغة والشعر مستظهراً لكثير من الفنون والأخبار والتفسير، أعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد، ثم ترقى في علم الكتابة حتى تولى الوزارة ولد سنة ٧٣٣هـ. انظر: الإحاطة ٢/ ٣٠٠ ـ ٣١٤، نفح الطيب ٧/ ١٤٥، الدرر الكامنة ٤/ ٣١٢، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي، ١/ ٣١٢، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

(٣) أزهار الرياض ١/ ٧٦٣، ٧٦٤.

(٤) هو الفقيه العلامة يوسف بن محمد بن عبد الله البلوي المالقي، يعرف بابن الشيخ، ولد عام ٥٢٩هـ، رحل إلى المشرق في طلب العلم، برز في اللغة والنحو والأدب، وكان مجاهداً مشاركاً بنفسه في الجهاد، له مصنفات منها كتاب (ألف باء) توفي عام ٦٠٤هـ. انظر: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٣١، ت رقم (١٠٤٤)، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٩، صلة الصلة، ص٢١٧ ـ ٢٢٠.

وفسرها النبي الرمي فاعلم   وكرره لمعناه العتيد

فشمر عن ذراعك وارم حتى   تكسر في الرماية كل عود[1]

وله كتاب «ألف باء» الذي ضمّنه جزءاً من فضل الجهاد، وأورد فيه الأدلة المحرضة على الجهاد.

وكذا **التجيبي أبو عبد الله**[2] ألّف كتاباً في هذا الباب داعياً إلى الجهاد، سماه: «الترغيب في الجهاد» تضمن الكتاب خمسين باباً في مجلد واحد[3] متوسط[4].

وابن المناصف[5] الذي ألّف كتاباً في هذا الغرض سماه «الإنجاد في أحكام الجهاد وتفصيل فرائضه وسننه وذكر جمل من آدابه ولواحق أحكامه» لما ندبه إليه أحد حكام الموحدين[6] ليؤازر بذلك المجاهدين ويعلِّمهم أحكام الجهاد والرباط وتفاصيل أحكامه، وكان كتاباً مفيداً استوعب فقه الجهاد[7]،

---

(١) انظر: ألف باء ٢/ ٥٢٠.

(٢) هو المحدث محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي، ولد حدود عام ٥٤٠هـ، برز في علم الحديث، رحل إلى المشرق ثم رجع، وتوفي بها عام ٦١٠هـ، له مصنفات غير هذا الكتاب. انظر: نفح الطيب ٢/ ١٦٠، ١٦١، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، للشيخ محمد بن محمد مخلوف، ص١٧٢، دار الفكر، بيروت.

(٣) انظر: نفح الطيب ٢/ ١٦١.

(٤) انظر: الذيل والتكملة، سفر ٦، ص٣٥٧.

(٥) هو محمد بن عيسى بن أصبغ الأزدي الشهير بابن المناصف، ولد عام ٥٦٣هـ، كان فقيهاً مائلاً إلى الاجتهاد، وإلى المذهب الشافعي، توفي عام ٦٢٠هـ، وله مؤلفات عدة غير كتابه هذا. انظر: التكملة ٢/ ٦١١، الذيل والتكملة، سفر ٣، ق١/ ٣٤٥، المغرب ١/ ١٠٥، ١٠٦.

(٦) انظر: برنامج شيوخ الرعيني، لأبي الحسن علي بن محمد الرعيني، ص١٢٩، تحقيق: إبراهيم شبوح، مديرية إحياء التراث القديم دمشق ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، نيل الابتهاج، ص٢٧٩.

(٧) انظر: الذيل والتكملة، سفر ٨/ق١/ ٣٤٧، أبو عبد الله بن المناصف المجتهد المغربي، ص٢٠، ٢٣، ٢٥، محمد إبراهيم الكتاني، مجلة الباحث، السنة الأولى، م٢، ١٩٧٢م، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص٢٢٨.

وكذلك كتاب: «بغية المرتاد في التعريف بسنّة الجهاد» **لابن الطيلسان**[1] رحمهم الله وعفا عنهم.

وممن أسهم في باب التحريض على الجهاد والقتال **أبو المطرف المخزومي**[2] بكتاب في كائنة ميرقه لمّا أخذها الروم نحى فيه منحى العماد الأصفهاني في «الفتح القدسي»[3]، وهذا الكتاب يصف الحوادث التي اقترنت بفتح بيت المقدس على يد الملك الناصر صلاح الدين سنة (٥٨٢هـ)[4]، وكأنه بهذا يعيد الحماسة في نفوس المسلمين والمجاهدين حتى يهبوا للقتال كفعل إخوانهم في المشرق. وله في التحريض على القتال «رسالة» ضمنها خبر استيلاء الروم على بلنسية[5] رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومنهم **أبو جعفر الثقفي العاصمي**[6] في كتاب سماه: «سبيل الرشاد في

---

(١) هو أبو القاسم بن الطيلسان، القاسم بن محمد بن أحمد الأنصاري الأوسي، من أهل قرطبة ولد عام ٥٧٥هـ، برز في علم الحديث بجانب علوم أخرى، له مؤلفات عدة هاجر إلى مالقة حين سقطت قرطبة بأيدي النصارى، توفي سنة ٦٤٢هـ. انظر: جذوة المقتبس للسهيلي، ص٢٧، برنامج شيوخ الرعيني، ص٢٧ ـ ٣٠، نيل الابتهاج، ص٢٢١.

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي، يكنى أبا مطرف، أكثر من سماع الحديث، وتفنن في العلوم، ونظر في العقليات وأصول الفقه ومال إلى الأدب فبرع فيه، ونظم وروي أنه رأى النبي ﷺ وناوله أقلاماً، فأولت بما أدرك من التبريز في الكتابة، وله مصنفات عدة، ولد عام ٥٨٢هـ، وتوفي عام ٦٥٦هـ. انظر: الإحاطة ١/١٧٣ ـ ١٨٠، الديباج المذهب ١/٢٠٦، ٢٠٧، اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، لابن سعيد أبي الحسن بن موسى، اختصره أبو عبد الله بن خليل، ص٤٢ ـ ٥٢، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(٣) انظر: الإحاطة ١/١٧٦.

(٤) من كلام محقق الكتاب، للكاتب القدير محمد عبد الله عنان بهامشه في الجزء والصفحة.

(٥) انظر: الإحاطة ١/١٧٦.

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الجياني مولداً، والغرناطي مستقراً. ولد أواخر عام ٦٢٧هـ، وهو خاتمة المحدثين، وصدور العلماء المقرئين =

فضل الجهاد»[1].

وفي رسالة جهادية لمّا فتحت بلدة أندلسية يصف الفتح ويحض على الجهاد، الفقيه العالم **محمد بن عبد الرحمن اللخمي**[2] ومنها: «.. أما بعد حمداً لله الذي جعل الجهاد في سبيله أفضل الأعمال الذي يقرّبه إلى رضاه، وندب إليه بما وعد من الثواب عليه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥] ومنها «..أنا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي العليا.. وشمرنا عن ساعد الجد والاجتهاد في جهاد عباد الأصنام...»[3]، وهي طويلة فيها من معاني الإيمان والجهاد الكثير الكثير.

وهذا العلامة **عبد الله الأزدي الأندلسي**[4]، في كتابه القيم «بهجة النفوس»، يرى أن من أعظم مباهج النفس الجهاد في سبيل الله والغزو والرباط، ويستدل على ذلك بجملة أحاديث، منها حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها» قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في

= نسيج وحده، رئيس العلم والعلماء في مجال اللغة والتجويد، كان صلباً في الحق ملازماً للسنة شديداً على أهل البدع، له مؤلفات وآثار غير ما ذكر له منها كتابه الشهير صلة الصلة وغيره، توفي بغرناطة عام ٧٠٨هـ وكانت له جنازة كبيرة حافلة بالناس. انظر: الإحاطة ١/ ١٨٨ ـ ١٩٣، الذيل والتكملة ١/ ٣٩، رقم (٣١).

(١) انظر: الإحاطة ١/ ١٩٠، صلة الصلة١/ ٤ في المقدمة.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى اللخمي الرندي الإشبيلي، رحل إلى الحجاز الشريف وطلب أعالي الرواية واللغة والأدب، وكان في رحلته لا يمر بمدينة إلا جلس إلى مجالس العلم وكان خطيباً فصيح القلم، مات مقتولاً عام ٧٠٨هـ. انظر: الإحاطة ٢/ ٤٤٤ ـ ٤٥٢.

(٣) انظر: الإحاطة ٢/ ٤٦٦ ـ ٤٧٣.

(٤) هو الشيخ الفقيه عبد الله بن سعيد بن أبي جمرة الأزدي الأندلسي، صاحب مصنفات منها: جمع النهاية في بدء الخير والغاية، مختصر في الحديث، وله شرح حديث الإفك، وكتاب بهجة النفوس، وهو ثلاث مئة حديث من صحيح البخاري بشرحها محذوفة الإسناد غير الرواي، وغيرها، توفي سنة ٦٧٥هـ. انظر: كشف الظنون ١/ ٥٥١، ٥٩٩، ١٠٤٠.

سبيل الله». فسكت رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني[1].

ومما قال في شرحه بعد كلام طويل: «.. فانظر إلى هذا النظام العجيب، كيف أمر أولاً بما هو الفرق بين الإسلام والكفر، وهو الصلاة، ثم أمر ثانياً بما فيه رضى الرحمن، وهو بر الوالدين، ثم أمر ثالثاً بما احتوى على الخيرين الخاص والعام، وهو الجهاد»[2].

ويورد رَحِمَهُ اللَّهُ حديث زيد بن خالد في فضل الغزو وتجهيز الغزاة عن النبي ﷺ قال: «من جهز غازياً فقد غزا»[3]، ويستنبط أن من جهز غازياً تجهيزاً تاماً بجهازه كله فله مثل أجره، وكذا من خلفه في أهله بخير، وهذا فضل من الله ورحمة[4]، كما يورد أحاديث في فضل من احتبس فرسه في سبيل الله في جهاد العدو، وفي تكفل الله لمن خرج مجاهداً في سبيله.. إلخ[5]، وأن الجهاد به عزة المسلمين ونصرتهم وأن النبي ﷺ بعث بالسيف بين يدي الساعة وجعل رزقه تحت ظل رمحه والصغار على من خالف أمره[6]. كما يبيّن بأحاديث صحيحة وقت الجهاد والغزو وسنّة النبي ﷺ في

---

(١) رواه البخاري ٤/ ١٦٣٠، رقم (٤٢١٥)، باب ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ..﴾، وكذا ٦/ ٢٦٧٩، باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء..». وأبو داود في سننه ٣/ ٣١٨، رقم (٣٦٤٤)، باب رواية حديث أهل الكتاب. وابن حبان ١٤/ ١٥١، رقم (٦٢٥٧)، ذكر الإباحة للمرء أن يحدث عن بني إسرائيل. وأحمد في المسند ٤/ ١٣٦، رقم (١٧٢٦٤).

(٢) بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها، عبد الله بن سعيد الأزدي الأندلسي، ٢/ ٢٣، ٢٤ مخطوط أندلسي بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي أنواكشوط رقم (٣٩٧)، الجزء الثاني ثلاث مئة حديث من صحيح البخاري. وهو مخطوط قيم أنوي نشره وتحقيقه عقيب هذا البحث بعون الله.

(٣) رواه البخاري ٣/ ١٠٤٥، رقم (٢٦٨٨)، باب فضل النفقة في سبيل الله. وأبو داود في سننه ٣/ ١٢، رقم (٢٥٠٩)، باب ما يجري من الغزو. وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٤٨٩، رقم (٤٦٣١)، ذكر البيان بأن قوله فقد غزا أراد أنه له مثل أجره. والنسائي في الكبرى ٣/ ٣٠، رقم (٤٣٨٩)، باب فضل من جهز غازياً. وغيرهم.

(٤) انظر: بهجة النفوس، مخطوط أندلسي ص٣٧.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص٣٨.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص٤٦.

ذلك، ووعظ المجاهدين وتقوية نفوسهم قبل المعركة مع الكافرين[1] في مباحث طويلة. هذه إشارات إلى مواضعها في كتابه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكذا **أبو خميس الأنصاري**[2]، له كتاب في الغزو والجهاد سماه: «النفحة الأَرجية في الغزوة المرجية»[3] ويحرض **ابن أبي الخصال**[4] في خطبة بليغة له ابتدأها بحمد الله والصلاة على نبيه، ومنها «.. سلو جيادكم من صنعها وأنضاها، وصوارمكم من طبعها وانتضاها وسوابغكم من جمعها وقضاها»[5].

ومنهم: خاتمة الكتاب وسيد أولي الألباب **لسان الدين بن الخطيب**[6] الأديب الأريب له رسالة بل رسائل في الحض على الجهاد وركوب الجياد، ما بين منثور ومنظوم جمعها في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة، واستقصاها

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص٥١ ـ ٥٣، ٧٨.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن خميس الأنصاري، كان فاضلاً وقوراً، مشاركاً خطيباً فقيهاً، مجوداً للقرآن، له مؤلفات، توفي بالطاعون من عام ٧٥٠هـ. انظر: الإحاطة ٣/ ١٨٤، ١٨٥.

(٣) انظر: الإحاطة ٣/ ١٨٥. وفي موضع قريب من هذا ذكر كتاب «الجهاد الأكبر» لمحمد بن علي اللخمي، وذكر أنه كان مائلاً إلى التنسك والسلوك وصحبة مشايخ الصوفية، وسلوك طريقتهم، ولعله قصد به جهاد النفس. فآثرت الإشارة إليه في الهامش. انظر: المصدر نفسه ٣/١٧٨، ١٧٩.

(٤) هو محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن أبي الخصال الغافقي كان فقيهاً متفنناً في كثير من العلوم، نبغ في اللغة والأدب والشعر والخطابة، له الكثير من المصنفات، وقد تولى الوزارة، ولقب بها وله مصنفات، توفي مقتولاً عام ٥٤٠هـ. انظر: قلائد العقيان ق٢/٥١٨، المغرب، ص١٨، الإحاطة ٢/ ٣٨٨ ـ ٤١٨.

(٥) انظر: رسائل ابن الخصال لابي عبد الله بن أبي الخصال، ص٥٢٢ ـ ٥٢٩.

(٦) هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني ـ نسبة إلى حي من مراد من عرب اليمن القحطانية ـ ابن الخطيب، ولد بلوشة سنة ٧١٣هـ، ونشأ في بيت علم وفضل، ودرس اللغة والفقه والأدب على أكابر علماء عصره، وله غرائب في الشعر والأدب والرسائل، ظهرت فيها براعته، رماه خصومه بالإلحاد والخروج على الحكام، ثم جرت له فتن يطول ذكرها، له عشرات المصنفات البديعات، مات مقتولاً عام ٧٧٦هـ. انظر: نفح الطيب، أزهار الرياض ١/ ١٨٦ ـ ٢٠٠ وما بعدها.

جمعاً وتعليقاً العلامة المقري في كتابه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب».

ومن بعض خطبه قوله على لسان أمير المسلمين ابن نصر «..أما بعد حمد الله الذي لا نشرك به أحداً، ولا نجد من دونه ملتحداً»، ثم صلى على نبيّه وقال في حقه ﷺ «... وتكفل بالشفاعة لمن غدا ضارباً هام العدا، ومجاهداً من اتخذ مع الله ولداً...»، ثم ذكر الزحف الصليبي بقيادة البابا محرضاً المؤمنين على القتال للدفاع عن الإسلام: «فرمى الإسلام بأمة عددها كالقطر المنثال والجراد التي تضرب به الأمثال...»[(١)].

ومن رسالة له فضّل فيها الجهاد على الحج: «فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين نهيب بكم إلى إحدى الحسنيين، والصبح غير خاف على ذي عينين...»[(٢)] ثم دعا إلى منازلة عبّاد الصليب ومقاتلتهم علّ النفس تنال الشهادة أو النصر ويختم لها بذلك العمل الحسن.

ومن أسهم في ذلك خاتمة علماء الأندلس قبل سقوطها الفقيه **ابن عاصم**[(٣)] في رسالة هامة تحدث فيها عن وجوب التمسك بالإسلام والدعوة إلى التوحيد والقرب من الله وجهاد النصارى وأن الفرقة سبب النكبات والمآسي، سمى هذه الرسالة «جنة الرضى في التسليم لما قدّر الله وقضى»[(٤)].

---

(١) انظر: الإحاطة ٢/ ٥٤ وما بعدها ٤/ ٤٧٣ وما بعدها، ٥٨٣ وما بعدها.

(٢) انظر: نفح الطيب ١/ ١٨٦ ـ ١٩٠، وانظر: ١/ ٥٠٦ وما بعدها، ٤/ ٤٠٤ ـ ٤٤٦، ٦/ ١٦٤، ١٧٠، وانظر: كذلك أزهار الرياض ١/ ٦٤، ١٩٦.

(٣) هو أبو يحيى محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي، اشتهر بقاضي الجماعة، كان عالماً في الفقه والأحكام واللغة والبلاغة والفرائض والحساب وكان ناثراً وناظماً، له عدد من المؤلفات، وقد تولى الوزارة، توفي عام ٨٥٧هـ. انظر: نيل الابتهاج ٢٥٣، هدية العارفين ٢/ ١٩٩، نفح الطيب ٦/ ١٤٨، شجرة النور الزكية، ص٢٤٨، أزهار الرياض ١/ ١٤٥ ـ ١٨٦.

(٤) جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى، لأبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي، المقدمة، تحقيق: د. صلاح جرار، دار البشير للنشر، طبعة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م. وقد نعته المقري بأنه غريب جداً في أزهار الرياض ١/ ٥.

ومنها: «... أن النصارى - دمرهم الله - لم يدركوا في المسلمين ثاراً ولم يدحضوا عن أنفسهم عاراً، ولم يخربوا من الجزيرة منازل ودياراً، ولم يستولوا عليها بلاداً جامعة وأمصاراً إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف، واجتهادهم في وقوع الافتراق بين المسلمين...»[1].

دور العلماء في الاستنجاد، والاهتمام بشؤون الجهاد:

مرّ في الوقفة الآنفة دور العلماء في الحض على الجهاد بتأليف الكتب والرسائل والخطب، وهذا - غالباً - أيام الناس المعتادة، التي فيها القتال والرباط والكر والفر ليبقى الناس على صلة به، وليدفعوا عنهم العدو ولتبقى جذوته حية في نفوسهم.

أما هذه الوقفة فهي - غالباً - ما تصدر من العلماء في حال تغلب العدو على المدن والحصون والبلدان وهذه كارثة ونازلة تحل بالمسلمين، ويتصدى لها العلماء، ويكشفون لها ساعد الجد، فيستنجدون بالحكام والأمراء أولي العزم والجد. وقد يكون استنجاد العلماء فردياً، أو جماعياً، وقد يكون بإيعاز من حاكم أو أمير، وكذا قد يكون عملاً تطوعياً، يرى هذا العالم أنه قد تعين عليه **ومن ذلك**:

ما وقع مع أمراء الطوائف لما غلبهم النصارى، اقترح ابن عباد أن يستدعي أمير المرابطين يوسف بن تاشفين ليجاهد النصارى، فأرسل قاضيه وأمر صاحب بطليوس[2] بإرسال قاضي حضرته وكذا قاضي الجماعة بقرطبة **أبو بكر عبيد الله بن أدهم**[3] وكان أعقل أهل زمانه، فلما اجتمع عنده القضاة

---

(١) انظر: أزهار الرياض ١/ ٥٠، ٥١.

(٢) بطليوس: بفتحتين، مدينة كبيرة بالأندلس، من أعمال ماردة، على نهر قرطبة، ولها عمل واسع، ينسب لها كثير من الخلق. انظر: معجم البلدان ١/ ٤٤٧.

(٣) هو عبيد الله بن أدهم من أهل قرطبة، وقاضي الجماعة بها، يكنى أبا بكر، كان من أهل الصرامة في تنفيذ الحق مظهراً له مقصياً للباطل وحزبه، أخذ الكثير عن أهل العلم والحديث والفقه، ولم يزل يتولى القضاء حتى هلك على أحسن أحواله سنة ٤٨٦هـ. انظر: الصلة ٢/ ٤٥٩.

بإشبيلية أضاف إليهم وزيره أبا بكر بن زيدون، وعرفهم أربعتهم، أنهم رسله إلى يوسف بن تاشفين، وأسند إلى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف بن تاشفين وترغيبه في الجهاد[1].

هذا واحد من مواقف كثيرة هب فيها العلماء للاستنجاد في أيام دول الأندلس، ولما ضاق ذرع العلماء بفتن ملوك الطوائف التي كان من ورائها تقلص ظل الإسلام شيئاً فشيئاً، فراسلوا المرابطين ومن بعدهم الموحدين، في بر العدوة حتى أجازوا إلى الأندلس المرة بعد المرة وكانت مواقفهم في جهاد النصارى هي السبب في نسيئة أجل الإسلام في تلك البلاد مدة مئتين إلى ثلاث مئة سنة[2].

وها هم العلماء يقومون بدورهم بعد أن زالت الدولة وذهب المرابطون والموحدون وجاءت الدولة النصرية دولة بني الأحمر، وصارت النصارى تستضعف المسلمين وتأمل باستئصالهم، «..ولما قصد ملوك الإفرنج السبعة في المئة الثامنة غرناطة ليأخذوها، اتفق أهلها على أن يبعثوا لصاحب المغرب من بني مرين يستنجدونه، وعينوا للرسالة الشيخ **أبا إسحاق بن أبي العاصي**[3] والشيخ **أبا عبد الله الطنجالي**[4]، والشيخ **ابن الزيات البلنسي**[5] نفع الله تعالى بهم»[6].

هذا على المستوى الجماعي وهو كثير، وتقدم ذكر قول المقري أنه لما تقلص ظل الإسلام بالجزيرة الأندلسية، واسترد الكفار أكثر أمصارها وقراها،

---

(١) انظر: نفح الطيب ٤/٣٥٩. (٢) الحلل السندسية ٢/١٣٩.

(٣) هو إسحاق بن أبي العاصي خطيب مفوه ورجل صالح، وكان شاعراً أديباً. انظر: نفح ٤/٢٤٤، ٤٩٩.

(٤) لم أجد له ترجمة عدا ما ذكر أنه فقيه عالم صالح خطيب مفوه محدث إمام، له أولاد وأحفاد أئمة فقهاء وسموه الشيخ أبو عبد الله الطنجالي. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٠، الديباج المذهب ١/٤٢، رحلة ابن بطوطة، ٢/٧٦٨، الدرر الكامنة ١/٢٩٧.

(٥) لم أجد له ترجمة.

(٦) نفح الطيب ٤/٥١٠، ٥١١، وانظر: الاستقصاء لدول المغرب الأقصى ١/١٠٩.

لم يزل العلماء والكُتّاب والوزراء يحركون حميات ذوي البصائر والأبصار ويستنهضون عزماتهم من كل الأمصار[1] للجهاد في سبيل الله.

أما دروهم في الاستنجاد على المستوى الفردي فهو كثير ومنه ما ذكر في سيرة أبي الوليد الباجي واستنجاده الحكام لنصرة الأندلس، وسيأتي دوره قريباً في الاهتمام بشؤون الجهاد.

ومنه استنجاد العالم **أبي البقاء صالح الرندي**[2]، لما تساقطت المدن الأندلسية، ويقدمه لنا العلامة المقري بقوله: «ولله در الإمام العالم العلامة، خاتمة أدباء الأندلس أبي الطيب صالح بن شريف الرندي رحمه الله، إذ قال يندب بلاد الأندلس، ويبعث العزائم ويحركها من أهل الإسلام لنصرة الدين وإنقاذ البلاد من يد الكافرين، ولسان الحال ينشده: لقد أسمعت لو ناديت حياً:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

ومنها:

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان

ومنها يستنجد أهل العدوة من المسلمين:

يا أيها الملك البيضاء رايته ... أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عز وسلطان

---

(١) سبق عزوه، وهو في إزهار الرياض ١/ ٦٣.

(٢) هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف الرندي، من رندة، يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء، كان فقيهاً حافظاً متفنناً في النثر والنظم، نبيل المنازع، مقتصداً في أحواله، هو خاتمة الأدباء بالأندلس. انظر: الذيل والتكملة ٤/ ١٣٦، الإحاطة ٣/ ٣٦٠.

أعندكم نبأ من أهل أندلس — فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم — أسرى وقتلى فما يهتز إنسان

ومنها قوله:

فلو تراهم حيارى لا دليل لهم — عليهم من ثياب الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم — لهالك الأمر واستوتك أحزان
يا رب أم وطفل حلل بينهما — كما تفرق أرواح وأبدان
وطفلة مثل نور الشمس إذ برزت — كأنما هي ياقوت ومرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة — والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد — إن كان في القلب إسلام وإيمان[1]

وهي طويلة وقد أوردها المقري بوجه متمم، وأوردت منها ها هنا الشيء الأهم، ولولا الإطالة لأوردتها بكاملها لحسنها وروعتها؛ ولكن يكفي من السوار ما أحاط بالمعصم. وفي القصيدة عاطفة صادقة، وتعبير حقيقي، ومشاعر فياضة وصورة بليغة لهول الفاجعة وعظم المصاب، ولله در أبي البقاء فقد قال هذه القصيدة وغرناطة وتوابعها من المدن لا تزال بأيدي المسلمين ـ أي ما يشكل ثلث إسبانيا اليوم ـ، فكيف لو رأى إخراج المسلمين من مملكة غرناطة بمئات الألوف أو تنصيرهم بعد سقوط غرناطة، ونقض العهود والمواثيق التي عقدت بين المسلمين والنصارى.

ومن ذلك الاستنجاد إلى الرباط والجهاد ما استجاس به **أبو جعفر الوقشي**[2] المسلمين وعلى رأسهم أمير الموحدين يوسف بن عبد المؤمن داعياً

(١) انظر: أزهار الرياض ١/ ٤٧ ـ ٥٠، نفح الطيب ٤/ ٤٨٦ ـ ٤٨٨، وقد وصفها المقري بأنها فريدة من نوعها. وانظر: كذلك الذخيرة السنية من تاريخ الدولة المرينية، لعلي بن أبي زرع الفاسي، ص: ١١٢ ـ ١١٤، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الوقشي الوزير أبو جعفر أحد الكفاة الأمجاد والدهاة الأنجاد، وهو من بيت القاضي أبي الوليد هشام بن أحمد الوقشي، وهي قرية بنواحي طلبيرة، له تصرف في أفانين البيان، له ديوان شعر أعرب به عن =

إلى المقاومة والجهاد والأخذ بثأر الآباء والأجداد، وإصلاح الأحوال المثيرة للحزن والأسى:

ألا ليت شعري هل يمد لي المدى ... فأبصر شمل المشركين طريدا
وهل بعد يقضي في النصارى بنصره ... تغادرهم للمرهفات حصيدا
ويغزو أبو يعقوب في (شنت ياقب)[1] ... يعيد عميد الكافرين عميدا
ويلقى على إفرنجهم عب كلكل[2] ... فيتركهم حول الحصيد همودا[3]

وهي طويلة تشبه قصيدة أبي البقاء الآنفة في موضوعها وشجونها وشؤونها.

ومن ذلك: ما ذكرناه آنفاً عند ذكر العالم الفقيه أبي المطرف بن عميرة.

أما **ابن الأبار**[4] فله في الاستنجاد رسالة أرسله بها الأمير زيان ـ لما حاصر النصارى بلنسية ـ إلى ابن أبي حفص، «وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله بن الأبار القضاعي صاحب التكملة، وإعتاب الكتاب وغيرهما، فقام بين يدي السلطان منشداً قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها، وكبا دونها من جاراها[5].

= جلالة شأنه، توفي بمالقة سنة ٥٧٤هـ. انظر: الحلة السيراء ٢/٢٦٦، نفح الطيب ٣/٣٢٣، ٤/١٣٥، ١٣٨.

(١) شنت ياقب: بياء وقاف مضمومة ثم باء موحدة، قلعة حصينة بالأندلس. انظر: معجم البلدان ٢/٣٦٨.

(٢) كلكل: كلكل البعير صدره الذي يدوك به الشيء تحته. انظر: العين ٣٩٧١٥، لسان العرب ١٠/٣٩٧.

(٣) انظر: نفح الطيب ٤/٤٧٧.

(٤) هو الحافظ العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي البلنسي الكاتب الأديب أحد أئمة الحديث، قرأ القراءات وعنى بالأثر وبرع في البلاغة والنظم والنثر. كان ذا جلال ورياسة، قتله صاحب تونس ظلماً، وله ثلاث وستون سنة. عام ٧٨٦هـ. انظر: شذرات الذهب ٢/٢٩٥، تاريخ الخلفاء ١/٤٧٧، مقدمة ابن خلدون ١/٢٢٩.

(٥) نفح الطيب ٤/٤٥٧.

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا | إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست | فلم يزل منك عز النفس ملتمسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزرا | للحادثات وأمسى جدها تعسا

ومنها قوله:

يا للمساجد عادت للعدا بيعا | وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها إلى استرجاع فائتها | مدارساً للمثاني أصبحت درسا

ومنها قوله مستصرخاً الملك الحفصي:

يا أيها الملك المنصور أنت لها | علياء توسع أعداء الهدى تعسا
وقد تواترت الأنباء أنك من | يحيي بقتل ملوك الصفر أندلسا

ومنها قوله:

فاملأ هنيئاً لك التأييد ساحتها | جرداً سلاهب[1] أو خطية[2] دعسا[3][4]

بلغت أبياتها سبعة وستين بيتاً، وتضمنت الاستنجاد والحض على الجهاد وبذل الغالي والرخيص في سبيل الله لإنقاذ الأرض والعرض، ولله در ابن الأبار فقصيدته لؤلؤة استخرجت من محار، ولقد شهرت قصيدته في الاستنجاد للأندلس، وأذاعت اسم صاحبها من بعد ما رمس.

وله في ذات الغرض أخرى منها قوله:

نادتك أندلس فلب نداءها | واجعل طواغيت الصليب فداءها

ومنها:

---

(١) سلاهب: السلهب الخيل ما عظم وطال وطالت عظامه. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين الحسيني الزبيدي ٢/ ٨٤، مادة سهلب، تحقيق: علي شيري، دار الفكر ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) خطيه: الرماح. انظر: لسان العرب ٧/ ٢٩٠.

(٣) دعسا: من الرماح الغليظ الشديد الذي لا ينثني. انظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ٢/ ٧٥، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٤) انظر: نفح الطيب ٤/ ٤٥٦ ـ ٤٦٠.

بأبي مدارس كالطلول دوارس   نسخت نواقيس الصليب نداءها
هبوا لها يا معشر التوحيد قد   آن الهبوب وأحرزوا علياءها
دار الجهاد فلا تفتكم ساحة   ساوت بها أحياؤها شهداءها[1]

وهي طويلة نسبياً.

هذا ما استنجد به العلماء واستصرخوا للجهاد والقتال، وهو غيض من فيض، أما استنجاد الشعراء فهو كثير ومظانه في كتب تاريخ الأندلس، ودواوين شعرائها وبالله التوفيق.

أما جهودهم في الاهتمام بشؤون الجهاد فهو جهد مبارك معتاد، وهو كثير مستفيض يشهد له العباد، فها هو الفقيه الأجل **أبو الوليد الباجي** يطوف بحواضر الأندلس، ويتصل بالرؤساء، ويدعوهم إلى لم الشعث، وتوحيد الكلمة، ومدافعة العدو، فقام بمهمته على أكمل وجه واتصل بالرؤساء ولم يدخر وسعاً في نصحهم ووعظهم وطاف بهم واحداً واحداً وكلهم يصغي إلى وعظه[2].

ولما دهم خطر النصارى البلاد الأندلسية في عهد أمراء الطوائف المتناحرين أدرك العلماء فسادهم وعدم أهليتهم ما داموا كذلك، وأنهم سيجرون على المسلمين الكثير من الكوارث؛ اجتمعوا، واتفقوا على أمر خطير، قل أن يجترئ العلماء على مثله، ـ لعظم الأمر وشدة الوارد ولخطره على الإسلام والمسلمين ـ أفتوا بخلع جميع ملوك الطوائف «فحكى ابن خلدون أن علماء الأندلس أفتوا ابن تاشفين، بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف، وبقتالهم إن امتنعوا، فجهز يوسف العساكر إلى الأندلس»[3].

ووقع بالفعل ما أفتى به العلماء من خلع ملوك الطوائف ـ الذين وقفوا

---

(١) انظر: ديوان ابن الأبار، لأبي عبد الله بن الأبار القضاعي ص٣٣ ـ ٤٠، تحقيق: عبد السلام الهراس، ط. الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، نفح الطيب ٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣.
(٢) انظر: الحلة السيراء ٢/ ٩٨، دولة الإسلام في الأندلس ق٢/ ٩١.
(٣) نفح الطيب ٤/ ٣٧٣.

حجر عشرة أمام الجهاد ومقارعة النصارى ـ أهل الفساد، ودخل المرابطون الأندلس وخلعوا هؤلاء الفجار، ونال العلماء منزلة عالية لدى المرابطين الأبرار، فعلي بن يوسف بن تاشفين «اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء؛ فكان إذا ولى أحداً من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمراً ولا يبت حكومة في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء؛ فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيماً، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس»(١).

وهكذا السنن ما قويت الدول إلا بتقريب العلماء الناصحين من أهل السنّة والجماعة، أولي الفضل والنهي والنبل والتوحيد والطاعة، ولا انهزمت إلا بإبعادهم وإقصائهم، واستبدالهم بأهل الأهواء والكفر وأرباب الفساد والخلاعة.

ومن اهتمام العلماء بشؤون الجهاد ـ طلبهم التمكين للمرابطين إبان جهادهم النصارى، وقد تولى الفقيه المفسر **ابن العربي** لما ارتحل إلى المشرق ذلك وطلب إلى الإمام الغزالي أن يزوده بكتاب إلى أمير المسلمين، فحواه أنه على حق في إظهار شعار الإمامة للخليفة العباسي المستظهر، وأنه من الواجب أن يقاتل كل من تمرد واستعصى لا سيما على أولئك الأمراء الذين استنجدوا بالنصارى أعداء الله في مقاتلة المسلمين وهم أولياء الله(٢).

ومن ذلك لما غدرت النصارى المعاهدين في الأندلس وتآمروا على المسلمين مع ملك «أراجون» النصراني الفونسو المحارب ابن ردمير عام (٥١٩هـ)، وقام بأعمال سلب ونهب وتخريب في المدن الأندلسية، توجه **ابن رشد** إلى المغرب إثر هذه الأعمال ولقي أمير المسلمين ابن تاشفين، وما

---

(١) المعجب، ص٢٣٥.

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق٣/ ١/ ٤٢، ٤٣، ورسائل ابن العربي، ضمن كتاب: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، مع نشر وتحقيق رسائل ابن العربي، د. عصمت عبد اللطيف دندش، ص١٨٢ ـ ١٩٢، دار الغرب الإسلامي ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، وقد أورد ثلاث رسائل في هذا الباب.

حدث من نقض المعاهدين النصارى من نقض العهد، ثم أفتاه ابن رشد بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم، كما أوصاه بضرورة بناء وترميم الأسوار حول المدن واستمع الأمير إلى نصحه، وشرع في تنفيذ ذلك[1].

ومن اهتمامهم بالجهاد تزكيتهم للمجاهدين ليثق الناس بهم، ويشدوا على أيديهم، ويعطوهم الدعم الكامل فهم درع الأمة وحصنها الحصين.

فابن رشد الجد زكّى «المرابطين» وأثنى عليهم خيراً لما سئل عن لثامهم الذي لا يتركونه فقال إن المرابطين «قاموا بدعوة الحق، ونصرة الدين»[2]، وعلل تسويغ اللثام لهم بأنهم «تظهر كثرتهم، ويتوفر في أعين الناس عددهم» وأفاد بأنه «غيظ للمشركين، وعز للمسلمين؛ لأنهم حماتهم الذابون عنهم، والمجاهدون دونهم»[3].

كما امتدح **أبو بكر بن العربي**، ـ في شرحه لسنن الترمذي ـ المرابطين قال: «المرابطون قاموا بدعوة الحق، ونصرة الدين، وهم حماة المسلمين الذابون عنهم، والمجاهدون دونهم، ولو لم يكن للمرابطين فضيلة، ولا تقدم ولا وسيلة إلا وقعة، الزلاقة. لكان ذلك من أعظم فخرهم وأربح تجرهم»[4]ولقد زكاهم ورفع شأنهم القاضي أبو محمد عبد الحق بن عطية بقوله:

إذ لثموا بالريط[5] خلت وجوههم   أزاهير تبدو من فتوق كمائم

---

(١) انظر: الإحاطة ١/١٠٨ ـ ١١٣، والحلل الموشية، ص٩٠ ـ ٩٧، تحقيق: سيل زكار، عبد القادر زمامه، الرباط، ١٩٧٩م.

(٢) فتاوى ابن رشد، للإمام محمد بن أحمد بن رشد الجد ٢/ ٩٦٥، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط. الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٧٨م، وحققه: محمد الحبيب التجكاني تحت عنوان: مسائل أبي الوليد بن رشد، ط. الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٩٦٥.

(٤) الحلل الموشية، ص١٤٠.

(٥) الريط: الريطة ملاءة كلها نسج واحد، وقيل هي كل ثوب دقيق لين والجمع ريط ورياط. انظر: الفائق ٢/ ١٠٠، النهاية في غريب الحديث ٢/ ٢٧٩.

وإن لثموا بالسابرية[1] أبرزوا عيون الأفاعي من جلود الأراقم[2]

فجعل من اللثام في وقت السلم وظيفة الكمامة للزهرة، ويستحيل في وقت الحرب إلى جلد الأفعى الرقطاء الرقماء التي تنفث السم الزعاف.

وهكذا لم يقتصر علماء الأندلس في الاهتمام بشؤون الجهاد من فك الأسارى والدعوة للتوحد، والرفع من شأن المجاهدين، والتزكيات الفردية والجماعية وهو كثير لا يكاد يحصر، وفيما ذكرته ما بين ذلك، وبالله التوفيق.

دور العلماء في الإفتاء بالجهاد، ووقوفهم في الثغور وجبهات القتال:

امتثل العلماء العاملون في الأندلس المجاهدة وكانوا يأمرون به ويحضون عليه في الجهاد والرباط في الثغور، ولهم جهد لا ينكر في الإفتاء بفرضية الجهاد أو جوازه أو استحبابه، أو قتال من صد عن سبيل الله.

فالعلماء الذين أفتوا ابن تاشفين لما أراد دخول الأندلس، فامتنع سقّوت أن يجوز ابن تاشفين، فأفتى العلماء بقتاله وجهاده، لصده عن سبيل الله، فقتل هو وابنه في خبر طويل[3].

وابن حمدين[4] أفتى في رجل قادر الحج بنفسه وماله، إن كان من أهل

---

(١) السابرية: هي الدروع الدقيقة النسج في إحكام صنعة. انظر: التكملة، والذيل والصلة ٣/١٩.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، لأبي الخطاب عمر بن حسن بن دحية، ص٩٢، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د. حامد عبد المجيد، د. أحمد بدوي، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩٥٤م وطبعة، ١٩٩٣م، انظر: الذيل والتكملة، سفر ٤، ص٩.

(٣) انظر: الحلة السيراء ٢/٩٨، ٩٩، البيان المغرب ٢/٢٥٠، ٤/١١٢ ـ ١١٥، وفيات الأعيان ١/١١٣ ـ ١١٦.

(٤) هو العلامة قاضي الجماعة أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي، صاحب فنون ومعارف وتصانيف ولي القضاء ليوسف بن تاشفين الملك، فسار أحسن سيرة، وحمل عن أبيه روى عنه القاضي عياض وعظمه، وقال: توفي سنة ثمان وخمس مائة ٥٠٨هـ، ولّي قضاء قرطبة، وله إجازة من أبي عمر بن عبد البر وأبي العباس بن دلهاث، وتفقه بأبيه وبمحمد بن عتاب وحاتم بن محمد وكان ذكياً بارعاً في العلم متفننا أصولياً لغوياً شاعراً حميد الأحكام، مات =

الأندلس أو قطر مجاور لها وهو قادر على الجهاد، أنه آكد عليه من الحج[1].

وابن **رشد الجد** يفتي أهل زمانه أن الجهاد أفضل من حج الفريضة، الذي لا يتوفر فيه في زمنه شرط الوجوب، لاستحالة الوصول إلى مكة بأمان. وأنه ـ أي الجهاد ـ أفضل من حج النافلة؛ بما ورد في فضله العظيم.

وعن سقوط فرض الجهاد على الأعيان ما الأفضل؟ يتخرج ذلك على الاختلاف في الحج هل هو على الفور أم على التراخي. أما إذا تعين الجهاد على المسلم فهو أفضل من فريضة الحج[2].

وهذا **العلامة ابن الخطيب** يفضل الجهاد في رسالة له[3]، ولما أوصى أبناءه قبل موته في كتاب كتبه، أوصاهم بالجهاد، وذكرهم أن هذا الوطن (الأندلس) القلق المهاد لا يصلح لغير الجهاد[4].

أما ثغور الجهاد والرباط التي وقف العلماء موقف الجندي المجاهد المصابر المرابط فهو كثير لا يحصر؛ لأن علماء الأندلس أدركوا أن العلم مقتضاه العمل، ورأس العمل الجهاد والاستشهاد، ولم يكونوا يوماً ما يعظون الناس ويتوارون في البيوت، بل كانت مواعظهم بأفعالهم أولاً، وأقوالهم ثانياً، وكانوا يقتلون في المعارك تقطر دماؤهم الطاهرة على أقدامهم ثابتين كثبوت الطود المتين.

فالعلماء في معركة الزلاقة قاموا في الصف الأول كما يحدثنا المقري بأن الفقهاء والصالحين كانوا كذلك «وقام الفقهاء والصالحون مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار»[5].

= في المحرم لثلاث بقين منه عن تسع وستين سنة، وكان يحط على الإمام أبي حامد في طريقة التصوف وألف في الرد عليه التعليق. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٢٢، التكملة ١/ ٢٢٤.

(١) انظر: المعيار المعرب ١/ ٤٢٢.

(٢) انظر: فتاوى ابن رشد ٢/ ١٠٢٣، المعيار المعرب ١/ ٤٣٢.

(٣) انظر: نفح الطيب ١/ ١٨٦ ـ ١٩٠.

(٤) انظر: أزهار الرياض ١/ ٣٢٨ ـ ٣٣٤.

(٥) نفح الطيب ٤/ ٣٦٤.

وفي قتال الناكث ابن حفصون، وقف العلماء يحمسون الجنود، ويستشهدون بآيات الكتاب لتثبيت المجاهدين[1].

وها هم كبار المفتين من الفقهاء الأندلسيين، يخرجون إلى الأقاليم للرباط في سبيل الله، منهم ابن مالك[2] إلى بطليوس مرابطاً[3].

ومنهم كذلك الإمام القاضي **ابن عطية**، إذ كان يخرج للثغور ويصفها وصف العارف بها[4].

وفي أيام القتال في الثغور الشمالية من أراضي قشتالة، كانت للمسلمين انتصارات تخللها بعض الهزائم، لما ارتد المسلمون أمام هجمة من النصارى، وهلك جمع كبير من المسلمين، وهلك معهم عدد من أكابر الفقهاء والمجاهدين، وكانت هزيمة مروعة، وكان ذلك في الرابع عشر من ربيع الأول سنة (٣٠٥هـ)[5].

وفي معركة أقليش وعلى رأسهم الإمام الجزولي[6] استشهد معه جماعة

---

(١) انظر: المقتبس لابن حيان، ص٩٥، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، محمد إبراهيم أبا الخيل، ص١٣٢، مكتبة الملك عبد العزيز، ط. الأولى، ١٤١٦هـ، البيان المغرب ٢/ ١٧٠، ١٧١، دولة الإسلام في الأندلس ق١/ ٢/ ٣٩٤.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن مالك، جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجياني الشافعي النحوي إمام النحاة وحافظ اللغة، قال الذهبي ولد سنة ٦٠٠هـ، أخذ العربية عن غير واحد حتى بلغ فيها إلى الغاية وحاز قصب السبق، وكان إماماً في القراءة والنحو وأشعار العرب، وقال أبو حيان لم يكن له شيخ مشهور يعتمد عليه، وله تصانيف كثيرة جداً أشهرها: الألفية في النحو وكان له عناية بالحديث، قيل إنه انفرد عن المغاربة بشيئين: الكرم ومذهب الشافعية. عرف بالزهد والعبادة وتوفي سنة ٦٧٢هـ. انظر: أبجد العلوم ٣/ ٣٤ نفح الطيب ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤ كشف الظنون ١/ ١٥١ الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، محمد بن عبد الملك الجياني ١/ ١٧٠، تحقيق: محمد حسن عواد، ط. الأولى، ١٤١١هـ، دار الجيل بيروت.

(٣) انظر: المعيار المعرب ١٠/ ٣٨٢.

(٤) انظر: المحرر الوجيز ٨/ ٢١٣.

(٥) انظر: البيان المغرب ٢/ ١٧٠، ١٧١، دولة الإسلام في الأندلس ق١/ ٢/ ٣٩٤.

(٦) لم أجد له ترجمة في كتب التراجم والرجال خلا ما ذكره ابن القطان من وصفه بأنه رجل صدق ونعته بالإمام، كما وجدت ترجمة مختصرة جداً لرجل صوفي اسمه =

من الفقهاء والقضاة ويصفه ابن القطان بأنه «رجل صدق»[1].

واستشهد في وقعة كتندة العديد من العلماء والفقهاء، منهم القاضي **أبو علي الصدفي** والقاضي **أبو عبد الله بن الفراء**[2].

والحافظ **أبو بكر بن العربي** يصف حال الناس في الجبهات والثغور لما تكلم على قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ﴾ [التوبة: ٤١]، ويتكلم من موقع الحاضر للمعركة «ولقد نزل العدو قصمه الله تعالى سنة سبع وعشرين وخمسمائة، فجاس ديارنا، وأسر جيرتنا، وتوسط بلادنا في عدد حدد الناس عدده فكان كثيراً...»[3]، ثم يقترح ابن العربي على الوالي بأخذ التدابير اللازمة للقتال لنصرة الدين.

ولما تكلم على الطبل الذي يضرب في الحرب والطبل الذي يستعمل للهو، قال: «فأما طبل الحرب، فلا حرج فيه؛ لأنه يقيم النفوس ويرهب العدو»[4] ويتحدث عن تجربته في القتال، وعن أنجح سلاح يؤثر في العدو «وقد شاهدت القتال مراراً، فلم أر في الآلة أنجح من السهم ولا أسرع منفعة منه»[5].

ويرى **ابن العربي** أن الرمي أفيد وسيلة لقمع العدو «ولا شيء أنفع من

= أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني، مغربي مات بمراكش، وليس هذا هو. انظر: شجرة النور الزكية، ص٢٦٤.

(١) انظر: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، لابن القطان المراكشي أبو حسن بن علي الكتامي، ص٦٦ تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي ط. الأولى، ١٩٩٠م، بيروت، دولة الإسلام في الأندلس ق٣/ ١/ ٦٦.

(٢) ستأتي ترجمتهما قريباً، وذكر استشهادهما رحمهما الله.

(٣) أحكام القرآن ٢/ ٥١٧، وقد نقله المقري في نفح الطيب ٤/ ٤٧٦، ٤٧٧.

(٤) أحكام القرآن، ق٣/ ١٤٩٤ عند تفسير أول سورة لقمان.

(٥) المصدر السابق ق٣/ ٨٧٣، وعارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام أبي بكر بن العربي ١١/ ٢١٣، دار الفكر، طبعة عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، وطبعة مكتبة المعارف بيروت.

الرمي، ولا أنكى منه في العدو ولا أسرع ظفراً منه، ولو لم يكن إلا كفايته لمباشرة العدو وقتله ودفعه من بعيد»[١]، بل إنه يتحدث عن الحرب حديث الجندي الخبير كقائد الحرب وحسن التدبير، ولما تكلم على عرصات القتال، رأى أنه من الأفضل إذ لقي المسلمون العدو أن يستدبروا الشمس، كما فعل النبي ﷺ يوم بدر «وهذا من حسن التدبير، فإن المقاتل إذا كانت الشمس في وجهه غشي بصره ونقص فعله» ويتحدث عن تجربة جهادية له في ساحة المعركة «ولقد حضرت صفاً في سبيل الله، في بعض الحروب مع قوم من أهل المعاصي والذنوب، فلما وازينا العدو أقبلت سحاب وريح ورذاذ كأنه رؤوس الإبر، يضرب في ظهر العدو، ويأخذ في وجوهنا، فما استطاع أحد منا أن يقف مواجهة العدو، ولا قدرنا على فرس أن نستقبلها به، وعادت الحال إلى أن كانت الهزيمة علينا»[٢].

والإمام **ابن عطية** كان أيام العدوان على شرقي الأندلس يهب للجهاد في الجبهة الشرقية[٣]، ويقعد ويؤصل رحمه الله للجهاد، فآدابه في ساحة المعركة عند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [الأنفال: ٤٥] أفاد بأن هذا ذكر خفي؛ لأن رفع الأصوات في مواطن القتال رديء ومكروه، وإذا كان إلغاطاً، فأما إن كان من الجمع عند الحملة فحسن، فاتٌ في عضد العدو»[٤].

ويفيد العلامة **ابن عطية** أن «السهام من أنجع ما يتعاطى في الحرب وأنكاه للعدو وأقربه تناولاً للأرواح ولذلك خصها رسول الله ﷺ بالذكر والتنبيه عليها»[٥].

وكذا العلامة **لسان الدين بن الخطيب** يعظ الناس في الجهاد ويحثهم على القتال والاستشهاد في خطبة عظيمة رائعة[٦].

---

(١) عارضة الأحوذي ٧/١٣٦.
(٢) عارضة الأحوذي ١١/ ١٧٥.
(٣) قلائد العقيان، ص٢٣٩ ـ ٢٤٧.
(٤) المحرر الوجيز ٨/ ٨٢.
(٥) انظر: المحرر الوجيز ٨/ ١٠٠.
(٦) انظر: أزهار الرياض ١/ ٦٤، ٦٥.

التابعون سادة العلماء المجاهدين في الأندلس:

لا يعرف على وجه التحديد الدقيق عدد التابعين الذين دخلوا إلى الأندلس، غير أن كتب التاريخ ذكرت أسماء رجال عدتهم في التابعين، وقد ألف ابن بشكوال كتاباً سماه «التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين»[1] وذكر فيه جماعة منهم ترجم لهم المقري.

«وذكر ابن بشكوال أيضاً أن حبيب قال عن ربيعة: غلّ الناس كلهم يوم فتح الأندلس، إلا أربعة نفر كانوا من التابعين»[2] وذكرهم، وسترد أسماؤهم.

«وذكر ابن حبيب أن عدة من دخل الأندلس من التابعين سوى من لا يعرف نحو عشرين رجلاً، وفي كتاب ابن بشكوال أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلاً، وهم أسسوا قبلة المسجد الجامع بقرطبة»[3].

بينما ذهب الضبي في كتابه أنهم سبعة وعشرون: «وقد دخل الأندلس من التابعين جماعة، قدمنا قبل ما ذكره ابن حبيب، أنهم عشرون، والحاضر منهم في الخاطر»[4] وذكرهم سرداً، ووعد لهم بالترجمة. وعدد من ذكرهم فوق العشرين سبعة.

ولقد رأيت أن أترجم لهؤلاء الأئمة الأعلام - حسب الألف باء - لعلمهم وفضلهم ولقرب عهدهم من عهد سيد الأنبياء ﷺ، ولجهادهم ومكانتهم - في تاريخ الأندلس - بين العلماء.

١ - **بكر بن سوادة** بن ثمامة الجذامي، ويكنى أبا ثمامة، وجده صحابي، وكان هذا فقيهاً كبيراً من التابعين روى عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن عمرو بن العاص، وقيس بن سعد بن عبادة، وسهل بن سعد الساعدي، وسفيان بن وهب الخولاني، وروى عن جماعة من التابعين كحميد بن المسيب، وجماعة غيره يكثر عددهم، قيل إنه مات بإفريقية وقيل غرق في بحار الأندلس سنة ثمان وعشرين ومائة (١٢٨هـ) قال ابن يونس،

---

(١) انظر: نفح الطيب ٣/ ٦٤.

(٢) انظر: المصدر السابق ١/ ٢٨٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه ١/ ٢٨٨.

(٤) بغية الملتمس ١/ ٢٩.

وجده ثمامة من أصحاب رسول الله ﷺ[1].

٢ ـ **حبان بن أبي جبلة القرشي**، مولاهم من التابعين الداخلين، يكنى أبا النظر، أرسله الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية ليفقه الناس مع عشرة من التابعين؛ روى عن عمرو بن العاص، وعبد الله بن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم، غزا مع موسى بن نصير حين افتتح الأندلس حتى انتهى إلى حصن من حصونها يقال له قرقشونة، فتوفي به، وقيل بل توفي بإفريقية سنة اثنين وعشرين ومئة (١٢٢هـ) وقيل سنة خمس وعشرين ومائة (١٢٥هـ)[2].

٣ ـ **حنش الصنعاني**، واسمه حسين بن عبد الله عمرو السبئي الصنعاني، وحنش لقب له، يكنى بأبي علي، قال ابن يونس إنه كان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغزا الأندلس مع موسى بن نصير، قال ابن حبيب: دخل الأندلس من التابعين -حنش بن عبد الله الصنعاني، وهو الذي أشرف على قرطبة، وأذن وذلك في غير وقت الأذان، فقال له أصحابه في ذلك، فقال: إن هذه الدعوة لا تنقطع من هذه البقعة إلى أن تقوم الساعة، هكذا ذكره غير واحد، وقد كشف الغيب خلاف ذلك، فلعل الراوية موضوعة أو مؤولة، والله أعلم، توفي سنة مائة (١٠٠هـ)[3].

٤ ـ **حيوة بن رجاء التميمي**، ذكر ابن حبيب أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير وأصحابه، وأنه من جملة التابعين رضي الله عنهم[4].

٥ ـ **السمح بن مالك الخولاني**، والي الأندلس بعد الحر بن عبد الرحمن، ولّاه عمر بن عبد العزيز، وكان رأيه أن ينقل المسلمين عن

---

(١) انظر: جذوة المقتبس ١/ ٢٧٨، رقم (٣٣٤)، بغية الملتمس ١/ ٣٠٤، رقم (٥٨٨)، نفح الطيب ٣/ ٥٦، ٥٧.

(٢) انظر: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧، رقم (٣٨١)، نفح الطيب ٣/ ٩، ١/ ٢٨٨.

(٣) انظر: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٢٣٠، رقم (٣٨٩)، جذوة المقتبس ١/ ٣١٥، رقم (٤٠٤)، بغية الملتمس ١/ ٢٩، نفح الطيب ٣/ ٧ ـ ١/ ٢٨٧.

(٤) انظر: نفح الطيب ٣/ ١٠ ـ ١/ ٢٨٨.

الأندلس لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم، قال ابن حيان وليت الله أبقاه حتى يفعل. قاتل الروم بأرض الفرنجة (فرنسا) واستشهد في الوقعة الشهيرة عند أهل الأندلس بوقعة البلاط، يوم التروية سنة اثنين ومائة (١٠٢هـ)[١].

٦ ـ **زيد بن قاصد السكسكي** المصري، قال ابن الأبار وهو تابعي، دخل الأندلس وحضر فتحها، يروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وله حديث واحد روي عنه[٢].

٧ ـ **عبد الجبار بن أبي سلمة** بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، دخل الأندلس مع موسى بن نصير، وكان على ميسرة معسكره، ومن نسله الأشراف الذين كانوا بإشبيلية[٣].

٨ ـ **عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي،** من التابعين الذين دخلوا الأندلس، روى عن عبد الله بن عمر، ولي الأندلس وكان له في الروم الإفرنج (الفرنسيون) وقائع جمة، إلى أن استشهد وأصيب عسكره في رمضان سنة (١١٤هـ) في موضع يعرف ببلاط الشهداء، وكان حسن السيرة عادلاً في توزيع الغنائم[٤].

٩ ـ **عبد الله بن شماسة الفهري،** ذكر ابن بشكوال أنه مصري، وأن البخاري ذكره في تاريخه[٥].

١٠ ـ **عبد الله بن المغيرة الكناني،** من التابعين الداخلين إلى الأندلس، ذكر أنه يروي عن سفيان بن وهب الخولاني[٦].

---

(١) انظر: جذوة المقتبس ١/ ٣٦٩، رقم (٤٩٩)، البيان المغرب ٢/ ٢٦، نفح الطيب ٣/ ٥٧، ٥٨، ١/ ٢٨٨.

(٢) انظر: بغية الملتمس ١/ ٣٧٥، رقم (٧٥٩، نفح الطيب ٣/ ٥٧، ٥٨، ١/ ٢٨٨.

(٣) انظر: الإحاطة ٣/ ٦٤، ١/ ٢٨٨.

(٤) انظر: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٣٤٣٦، رقم (٧٧٠)، جذوة المقتبس ٢/ ٤٣٤، رقم (٦٠٣)، بغية الملتمس ١/ ٣٠، البيان المغرب ٢/ ٢٦، نفح الطيب ٣/ ١٠، ١٦، ولمعرفة غزواته في فرنسا، انظر: التاريخ الأندلسي للحجي، ص١٩٣ ـ ١٩٩.

(٥) نفح الطيب ٣/ ١٠ ـ ١/ ٢٨٨.

(٦) انظر: نفح الطيب ٣/ ٦٠ ـ ١/ ٢٨٨.

١١ ـ **عبد الله بن يزيد أبو عبد الله الحبلي**، يروي عن أبي أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر وغيرهم، كان رجلاً صالحاً فاضلاً، توفي سنة مئة (١٠٠هـ) بقرطبة أو بإفريقية[١].

١٢ ـ **علي بن رباح اللخمي** أبو عبد الله المصري، روى عن عمرو بن العاص، ولد سنة خمس عشرة يوم اليرموك، وكان أعور، ذهبت عينه يوم ذات السواري في البحر، وهو من التابعين الداخلين إلى الأندلس، توفي سنة أربع عشرة ومئة (١١٤هـ)[٢].

١٣ ـ **علي بن عثمان بن خطاب**، كان من التابعين الداخلين إلى الأندلس[٣] ذكره المقري ولم يزد على هذا.

١٤ ـ **عياض بن عقبة الفهري**، من خيار التابعين ذكره ابن حبيب في الأربعة الذين حضروا غنائم الأندلس ولم يغلّوا[٤].

١٥ ـ **فضالة بن عبيد**[٥] ذكره الضبي في بغيته، وألمح أنه سيأتي ذكره تفصيلاً، ولم أجده في بابه.

١٦ ـ **محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري**، من التابعين، دخل الأندلس، يروي عن أبي هريرة، غزا الأندلس مع موسى بن نصير، كان من أهل الدين والفضل معروفاً بالفقه، كان على بحر تونس سنة اثنين ومئة (١٠٢هـ)[٦].

١٧ ـ **موسى بن نصير**، أبو عبد الرحمن، صاحب فتح الأندلس، يروي عن تميم الداري، غزا الأندلس سنة إحدى وتسعين أو ثلاثة وتسعين فأداخها، لا يأتي على مدينة إلا فتحها، ونزل أهلها على حكمه توفي سنة (٩٧هـ)[٧].

---

(١) انظر: تاريخ علماء الأندلس ١/٣٦٨، رقم (٦٣١)، نفح الطب ٣/ ٩ ـ ١/ ٢٨٨.
(٢) انظر: تاريخ علماء الأندلس ٢/٥٢٧، رقم (٩١٢)، نفح الطيب ٣/ ٨ ـ ١/ ٢٨٨.
(٣) انظر: نفح الطيب ١/ ٢٨٨.
(٤) المصدر السابق ٣/ ١٠ ـ ١/ ٢٨٨.
(٥) بغية الملتمس ١/ ٣٠.
(٦) المصدر السابق ١/ ٢٩، نفح الطيب ٣/ ٥٨ ـ ١/ ٢٨٨.
(٧) تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٨٤٨ ـ ٨٥٠، رقم (١٤٥٤)، نفح الطيب ١/ ٢٦٩ ـ ٢٨٧، ٣/ ٦.

١٨ ـ المغيرة بن أبي بروة نشيط بن كنانة العذري، من الداخلين إلى الأندلس من التابعين، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه، يروي عن مالك في موطئه، دخل الأندلس مع موسى بن نصير، وكان موسى يخرجه على العساكر[١].

١٩ ـ منصور بن خزامة[٢]، عده المقري من التابعين الداخلين للأندلس ولم يترجم له.

٢٠ ـ المنيذر الإفريقي، يقال: إنه صحابي، رأى رسول الله ﷺ، وأنكر غير واحد دخول أحد من الصحابة، وذكر بعض الحفاظ أنه: المنيذر اليماني، وأنه دخل غازياً مع موسى بن نصير، ويقال المنيذر لكونه من أحدث الصحابة رضي الله عنهم، وقد ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، وسماه بالمنيذر الإفريقي، وقال ابن بشكوال إن ابن عبد البر روى عنه حديثاً سمعه من رسول الله «من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً...»[٣] وذكره ابن رشد في معجم الصحابة[٤].

٢١ ـ نعيم بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج بن جفنة التجيبي، من جملة من دخل للجهاد في الأندلس، قتله الروم بها في يوم عرفه سنة ثلاث ومئة (١٠٣هـ)، جده معاوية بن حديج أبو نعيم من الصحابة، وممن وفد على رسول الله ﷺ، توفي أبو عبد الرحمن سنة خمسين للهجرة[٥].

هذا ما وقفت عليه من ذكر العلماء الداخلين للأندلس من التابعين من خلال تراجم العلماء الأندلسيين، وكفى الأندلس فخراً وشرفاً أن وطئها من

---

(١) انظر: نفح الطيب ٣/١٠ ـ ١/٢٨٨. (٢) المصدر السابق ١/٢٨٨.

(٣) رواه الترمذي ٥/٤٦٥، رقم (٢٣٢٠٧)، باب فيمن يستعجل في دعائه. والبيهقي في السنن الكبرى ١/٥١١، رقم (٨٨١٥٨)، والحاكم في المستدرك ١/٣١٩، رقم (٧٨٤١١).

(٤) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني ٦/٢٢٧، ٣٢٤، ٣٨٣، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط. دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر الأندلسي، بهامش الإصابة ٣/٥٢٨، ط. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، نفح الطيب ١/٢٨٨ ـ ٣/٦، ٥.

(٥) انظر: جذوة المقتبس ٢/٥٧٣، رقم (٨٤٧).

رأى أصحاب رسول الله ﷺ، وزادها شرفاً أن ضمخت تربتها بدم هؤلاء الأبرار الأطهار.

مشاهير العلماء المجاهدين في الأندلس:

تقدم فيما مضى ذكر نماذج من ذكر جهود العلماء في ميادين الجهاد، من الحض على الجهاد إلى الاستنجاد والاهتمام بشؤون الجهاد، إلى وقوفهم في جبهات القتال. وفي هذه الوقفة، أذكر مشاهير العلماء الذين شاركوا في ساحات القتال، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من بقي حتى لقي ربه مجاهداً مصابراً مرابطاً.

وقد رتبت هذه الأسماء حسب وفياتها، وكل واحد من هؤلاء الأكابر، له يد وباع في جهاد النصارى الكفار أصحاب الكبائر. واختصرت الترجمة مقتصراً على أهمها وهو الجهاد بالنفس والقتال، ومن سبقت ترجمته أوردته ها هنا مع الإشارة إلى ترجمته فيما سبق.

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المري، من غرناطة، كان عظيم القدر والشرف والشهرة، خرج إلى المشرق، ولقي مالك بن أنس رضي الله عنه، روى عنه سحنون بن سعيد، ألّف كتاب «المختلطة» ولّي القضاء بالقيروان أجمل ما كانت وأكثر علماً. تولى غزو صقلية وأبلى فيها بلاء حسناً، توفي رحمه الله محاصراً سرقوسة[1] سنة ثلاث وعشرين ومئتين (٢٢٣هـ)[2].

وهذا **الإمام الجزولي**[3] يشارك بنفسه فيقتل في معركة أقليش مع جماعة من الفقهاء[4].

---

(١) سرقوسة: بفتح أوله وثانيه، أكبر مدينة بجزيرة صقلية، وكان بها سرير ملك الروم قديماً. انظر: معجم البلدان ٣/ ٢١٤.

(٢) انظر: الإحاطة ١/ ٣٢٢، ٣٢٣، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٢٥.

(٣) سبق التعليق عليه قريباً، ولم أجد له ترجمة، ولعله توفي سنة ٥٠٠هـ بناء على المعركة التي قتل فيها.

(٤) انظر: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، أبو علي حسن بن أبي الحسن بن القطان ٦/ ٩، تحقيق: د. محمود علي مكي الرباط. وتكلم على هذه =

ومنهم الإمام المجاهد **أبو علي الصدفي**، وهو القاضي الشهير الشهيد حسين بن محمد بن فيرّه، بن حَيُّوْن ويعرف بابن سكرة، من أهل سرقسطة، قرأ على كثير من العلماء، لا يتسع هذا البحث لذكرهم، وكان عالماً بالحديث وطرقه وعلله، كان ديناً وقوراً عالماً عاملاً، من طلابه المشاهير، القاضي ابن عطية المفسر، جاهد في وقعة كتندة واستشهد فيها سنة أربع عشرة وخمس مئة (٥١٤هـ)[١].

ومنهم **ابن الفراء**، وهو قرين العلامة الصدفي الآنف الذكر، وقد استشهد في ذات المعركة التي استشهد فيها الصدفي، واسمه محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا قاضي المريّة المعروف بابن الفراء حضرا يوم كتندة المشهور بالثغر الأعلى يوم الخميس لست بقين من ربيع الآخر من السنة وحقت الهزيمة على المسلمين، واستشهد فيها، وحضرها القاضي **أبو بكر بن العربي**[٢].

ومنهم **أبو الوليد بن رشد (الجد)** وهو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد قاضي الجماعة بقرطبة، كان فقيهاً عالماً، حافظاً للفقه مقدماً فيه على جميع أهل عصره، وكان حسن الخلق سهل اللقاء كثير النفع لخاصته وأصحابه كان له الأثر الأكبر في مقارعة النصارى المتآمرين على وحدة الأندلس، وله جولات مشهودة في الاستنفار للجهاد، وكان له يد في تسوير عدد من المدن الإسلامية بالحصون والأسوار ضمانة لها من غارات النصارى،

= الوقعة المؤرخ القدير عبد الله عنان دولة الإسلام في الأندلس ق٣/ ١/ ٦٦ وذكر استشهاد هذا الإمام دون ذكر ترجمته.

(١) انظر: نفح الطيب ٢/ ٩٠ ـ ٩٣، أزهار الرياض ٣/ ١٥١ ـ ١٥٤، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي لابن الأبار، ص١٤ ـ ١٧، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، للقاضي عياض بن موسى السبتي ٨/ ١٩٣، تحقيق: محمد تاويت، وآخرون، ط. الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) انظر: الصلة ٣/ ٨٣٤، رقم (١٢٦٩)، أزهار الرياض ٣/ ١٥٣، ١٥٤، نفح الطيب ٤/ ٤٦٠، ٤٦١، المعجم، ص١٤ ـ ١٦.

وله مصنفات عدة، توفي سنة (٥٢٠هـ)[١].

وكذا العلامة **أبو الربيع الكلاعي** المشارك في معركة أنيشة، الباذل مهجته في سبيل الله، المتصدر صفوف المسلمين عند قتالهم النصارى، كان يحضر بنفسه القتال ويباشر الغزوات، كثير الإقدام والشجاعة، وهو سليمان بن موسى سالم بن حسان بن سليمان، يعرف بابن الكلاعي، ويكنى بأبي الربيع، كان رئيساً في الحديث خطيباً بليغاً حسن الخط لا نظير له، حسن الزي مع الإشارة الأنيقة له مصنفات كثيرة، نشأ ببلنسية إلى أن استشهد بكائنة أنيشة مقبلاً غير مدبر، والراية بيده وهو ينادي المنهزمين «أعن الجنة تفرون؟» إلى أن قتل وهو ابن سبعين إلا شهراً، عام (٦٣٤هـ)، واستشهد من علماء بلنسية ـ في هذه الوقيعة ـ جماعة من فضلائها وصلحائها، وفقد نحو سبعين من أهل الصف الأول بجامعها الأعظم منهم، نفعهم الله بالشهادة.

وقد رثاه تلميذه ابن الأبار بقصيدة منها:

ألما بأشلاء العلى والمكارم ... تقد بأطراف القنا والصوارم

هم القوم راحوا للشهادة واغتدوا ... وما لهم في فوزهم من مقاوم

تساقوا كؤوس الموت في حومة الوغى ... فمالت بهم ميل الغصون النواعم[٢]

وهي طويلة وبليغة تبلغ أبياتها مئة بيت، في غاية الحسن والروعة.

ومنهم الإمام **أبو محمد عبد الحق بن عطية**[٣] صاحب المصنفات، وأشهرها المحرر الوجيز في التفسير. كان هذا الإمام يكثر الغزوات في جيوش الملثمين (المرابطين) للجهاد في سبيل الله[٤]، وله الإسهام الأوفر بقلمه في

(١) انظر: المرقبة العليا، ص١٢٠، ١٣١، الإحاطة ١/١١٣، ١١٤، البيان المغرب ٤/ ٧٢، ٧٣، الصلة ٣/٨٣٩، ٨٤٠، رقم (١٢٧٨)، الحلل الموشية، ص٩٠، ٩١.

(٢) انظر: المرقبة العليا، ص١٥٢، الإحاطة ٤/٢٩٥، برنامج شيوخ الرعيني، ص٦٦، نفح الطيب ٤/٤٧٣ ـ ٤٧٦، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، حياته وآثاره، أ. ثريا لهي، ص٢١ ـ ١٢٨، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف الإسلامية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٣) سبقت ترجمته تفصيلاً في التمهيد.

(٤) انظر: المعجم، ص٢٦٦.

الجهاد ضدهم[1].

ومنهم الإمام **أبو بكر بن العربي**[2] المجاهد صاحب المصنفات، وتقدم ذكر جهاده ومقارعة للنصارى رَحِمَهُ اللهُ وجزاه خيراً.

ومنهم الفقيه القاضي **أبو الوليد بن رشد (الحفيد)**[3] **الذي خرج مع الموحدين في جحفل جرار لقتال النصارى**[4].

ومنهم الناسك **ابن رميلة وهو أحمد بن فرج الأنصاري** القرطبي، يكنى أبا العباس، كان معتنياً بالعلم، وصحب الشيوخ، وله شعر حسن في الزهد. كان كثير الصدقة وفعل المعروف، استشهد بالزلاقة مقبلاً غير مدبر مع المرابطين، وصورة استشهاده رَحِمَهُ اللهُ أنه لما اجتمعت الجيوش قام في ليله فرحاً مسروراً، يقول: إنه رأى النبي ﷺ تلك الليلة في النوم وبشره بالفتح والموت على الشهادة، ثم ادهن وتطيب، وكان ما وقع فانتصر المسلمون انتصاراً كبيراً وقتل الفقيه ابن رميلة في تلك المعركة، سنة تسع وسبعين وأربع مئة (٤٧٩هـ)[5].

ومنهم الإمام العلامة **ابن جزي الكلبي**[6] صاحب تفسير التسهيل لعلوم التنزيل وغيره من المصنفات، وكان له دور في الجهاد وتثبيت الناس إذ «فقد وهو يشحذ الناس ويحرضهم، ويثبت بصائرهم، يوم الكاينة بطريف ضحوة يوم الاثنين السابع لجمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبع مئة، تقبل الله شهادته»[7].

والأمثلة على دور وجهود العلماء في الجهاد يطول ذكره، ويطيب عرفه وذكاؤه ونشره، لقد كانوا حقاً ورثة الأنبياء، وحملة العلم والنور والضياء، كانوا قدوة حسنة يعلمون العلم والفقه بدروسهم وسيرتهم، ويحنون على الناس

---

(١) انظر: قلائد العقيان، ص٢٣٩ ـ ٢٤٧.
(٢) سبقت ترجمته تفصيلاً في التمهيد.
(٣) سبقت ترجمته.
(٤) انظر: المن بالأمامة، ص٤٠٥.
(٥) انظر: الصلة ١/١١٨، رقم (١٤٤)، نفح الطيب ٤/٣٦٥، الروض المعطار، ص٢٨٨، ٢٩٢، البيان المغرب ٤/٣٦ ـ ٤٠.
(٦) سبقت ترجمته في التمهيد تفصيلاً.
(٧) الإحاطة ٣/٢٣.

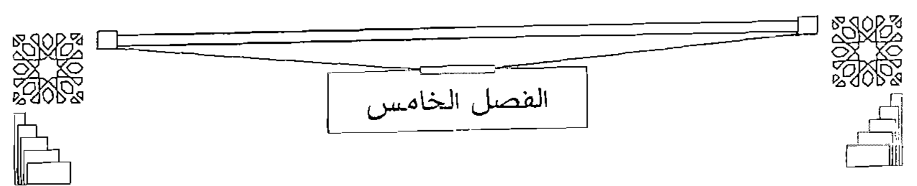
حنو الأم على أولادها، وإليهم في ساعة الشدة يأوي الناس، فيجدون لديهم ما يحيل اليأس إلى استئناس. كانوا يخرجون في المعارك، يحملون الألوية ويرفعون الراية، ويثبتون أمام العدو في المقدمة، لا في الساقة. يبتغون الموت في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله وتثبيتاً لشرع الله. هؤلاء الأخيار الأطهار الأبرار، عددهم جد كثير، وموكبهم كبير غفير. وأين علماء الأمة اليوم في الاقتداء بهم والسير على منوالهم؟ هل رضوا بالقعود وركنوا إلى الراحة، واطمأنوا إلى ملذات الحياة، وبهروا بالألقاب والأضواء ونسوا العهد الذي أخذه الله على أهل العلم من إقامة ما فرض عليهم؟

ولقد أحصيت منهم في تاريخ الأندلس الطويل المئات، ولولا الإطالة لعطرت جنبات هذا البحث بسيرتهم، ونفح طيبهم رحمهم الله ورضي عنهم، ولعلي ألحقها بهذا الكتاب بعد إجازته وأسأل التوفيق من الله رب الأرباب.



الفصل الخامس

جهودهم في بيان ما أباحه الإسلام مع النصارى وحرمه مع غيرهم



جهودهم في بيان ما أباحه الإسلام مع النصارى وحرمه مع غيرهم

يتميز أهل الكتاب ـ عن غيرهم من المشركين ـ في شريعة الإسلام أن تسامح معهم في كثير من الأمور الدينية والدنيوية، فأباح للمسلم تجاههم ما حرم على غيرهم كالمجوس والبوذيين وأصناف المشركين.

ذلك أن النصارى وأهل الكتاب يؤمنون بجملة من أركان الإيمان، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مع انحرافات وشركيات كبيرة فيها.

ومن هنا ترك ديننا هامشاً من المساحة المباحة، علَّه يكون مجالاً للدعوة والتأثير في هؤلاء النصارى، علّهم يطلعون من خلال هذا الاحتكاك على محاسن الإسلام ونوره وضيائه وتوحيده، ويَزِنوه بما في دينهم من الشرك والضلال ومما لم ينزل الله به سلطاناً؛ فيرتدعوا عن غيّهم وضلالهم. ويصححوا إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وفق ما أنزل الله على رسوله ﷺ.

ولعلماء الأندلس ـ بحكم مصاقبتهم ومجاورتهم للنصارى ـ في بيان ما أباحه الإسلام مع النصارى واليهود جهد كبير، وفتاواهم وكتبهم ورسائلهم وخطبهم في هذا الباب حيز كثير وجم غفير، في أنواع المعاملات والمباحات من ذلك طعامهم ونكاح نسائهم والبيع والشراء معهم، والمناظرة والمدارسة لهم، التحديث عنهم ... إلخ.

ولم أعتمد أو أتعمد ترتيباً معيناً لأنواع المباحات، بل أوردتها عرضاً، وكثير من هذه المباحات وردت بها أدلة شرعية، وبعضها أفتى بها فتوى،

والبعض الآخر كانت ممارسة عملية من أهل العلم، كل ذلك في دائرة المباح حسب الشريعة.

الزواج والعلاقات الاجتماعية:

وهو مما أباحته شريعة الإسلام مع أهل الكتاب، وشددت في تحريمه مع غيرهم من أصناف المشركين ودليل الإباحة قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥].

استدل العلماء والفقهاء على إباحة الزواج بالكتابيات بهذه الآية، وذكر **ابن عطية** في تفسيره اختلاف العلماء فيمن هي المحصنة التي يباح الزواج بها فقيل هي الحرة، أو هي العفيفة، أو هي التي لا تزني، ولذا منع بعض العلماء نكاح الأمة، ونكاح غير العفيفة[١].

وابن العربي في تفسيره. استدل على الإباحة بهذه الآية وذكر أقوال العلماء في المحصنة من الكتابيات[٢].

أما القرطبي فقد ذكر من كلام أهل العلم أن ذلك من المعاهدين دون أهل الحرب، وقال غيرهم: إنه يجوز نكاح الذمية من المعاهدين ومن غيرهم لعموم الآية[٣]، وقد ذكر في موضع آخر كراهية المالكية للزواج من الكتابيات؛ لأن الولد معرض لشرب الخمر وأكل الخنزير ونحو ذلك[٤] ورجح في مؤلف آخر إباحة ذلك بقوله «ولم تزل الصحابة والتابعون يتسرون الكوافر وينكحون، وقد أذن له تعالى بالتحليل في كتابه وخاطب بذلك جميع خلقه لا

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٥/٣٩، ٤٠.

(٢) انظر: أحكام القرآن ٢/٤٥، وفي ١/٢١٧ ذكر آية منع نكاح المشركات، وأنها نسخت بهذه الآية.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/٧٩، ١/٤٣٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/٥٦٧، تفسير أول سورة النور، القبس في شرح موطأ مالك ابن أنس، للإمام أبي بكر بن العربي، ٢/٧١١.

سيما وفي افتراشها عزة للإسلام[1].

وفي نوازل (مسائل) **ابن الحاج**[2] **عن ابن رشد** في الجواري الروميات مثل ذلك[3].

وعند **ابن جزي الكلبي** أفاد أن الإحصان له أربعة معان: الإسلام، والتزوج، والعفة، والحرية، ثم أوضح أن الكتابية ليست بمسلمة، فهي إذن العفيفة والحرة، وتدخل بذلك الأمة الكتابية[4].

وعن **ابن حيان** في التفسير أنه قيل بإجماع علماء الأمصار على جواز تزويج الكتابيات، وكرهه مالك وابن حنبل مع وجود المسلمات والقدرة على نكاحهن[5] وأسهب على هذه المسألة عند الكلام عليها في سورة المائدة، وناقش أقوال المانعين بقول قوي متين، خرج منه بجواز ذلك للمؤمنين[6].

ويتحدث علماء الإسلام عن مدى إباحة ذلك؛ لأنه فيما يبدو أن الزواج بالنصرانيات كان شائعاً بالأندلس[7]، ويقول **ابن حزم** في مدى إباحة ذلك في محلاه: «وجائز للمسلم نكاح الكتابية وهي اليهودية والنصرانية والمجوسية

---

(١) القبس ٢/ ٧١١.

(٢) هو عبد الله بن الحاج التجيبي القرطبي المالكي محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب، كان من جملة العلماء معدوداً في المحدثين والأدباء، كانت الفتوى تدور عليه لمعرفته ودينه، كان كثير الخشوع والذكر، قتل ظلماً يوم الجمعة وهو ساجد، وله إحدى وسبعون سنة عام ٥٢٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٦١٤، العبر في خبر من غبر، محمد أحمد الذهبي ٤/ ٧٩، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت، ط. الثانية، ١٩٤٨م، شذرات الذهبي ٢/ ٩٣.

(٣) مسائل ابن الحاج مخطوط لمحمد بن أحمد بن الحاج، خاص بخزانة د. حسن الوراكلي المغربي، بلا ترقيم وهي في الورقة ٢٠ من بداية المخطوط، وذكر ابن فرحون أن عبد الله بن أحمد بن منجل الغرناطي ألف كتاباً سماه المنهاج في ترتيب رسائل ابن الحاج انظر: الديباج المذهب ١/ ١٤١.

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٦٩، ١٧٠.

(٥) انظر: البحر المحيط ٢/ ١٦٣، ١٦٤.

(٦) انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٧) انظر: تاريخ النصارى في الأندلس، ص٥٢.

بالزواج، ولا يحل له وطء أمة غير مسلمة بملك اليمين ولا نكاح كافرة غير كتابية أصلاً»[١]، ثم استدل بأدلة شرعية وأفاض في تفصيل هذه المسألة.

ويذهب **ابن عبد البر** إلى إباحة ذلك، وإلى أن جمهور أهل العلم أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية، وإنما تحل بملك اليمين[٢] وإلى إباحة نكاح الحربيات في دار الحرب، وإنما كرهه أهل العلم من أجل الولد والنساء[٣].

وعند **ابن رشد** في مقدماته أنه «لا يحل وطء المجوسيات بنكاح ولا ملك يمين، ولا نكاح الأمة من أهل الكتاب لقوله ﷻ: ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥] وإنما يحل نكاح الحرائر منهن لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَاتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]»[٤].

وفي ثنايا نوازل **ابن بشتغير**[٥] ما يفيد إباحة وطء النصرانية بنكاح شرعي[٦].

وكذلك في الممارسات العملية تطبيقاً لمنهج الله وشريعته فيما أباحه، فهذا ـ على سبيل المثال ـ العالم الفقيه الزاهد **محمد بن عبد الرحمن الجذامي** كان ينكح الروميات إذ «كان يتخذ رومية مملوكة له، لا يشتمل منزله على

---

(١) المحلى للإمام ابن حزم ٩/ ٤٤٥، ٦/ ٤٤٥، وانظر: كذلك الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد بن حزم، ٣/ ١٤٦ ـ ١٥١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الخانجي مصر، ط. الأولى، ١٣٤٦هـ.

(٢) انظر: الاستذكار ١٦/ ٢٦٢. (٣) انظر: المصدر السابق ١٦/ ٢٧٢.

(٤) المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات لأبي الوليد بن رشد الجد، ١/ ٤٦٥، نشر: محمد أفند ساسي المغربي التونسي، القاهرة مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ، والآية في سورة المائدة الآية ٥.

(٥) هو أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللورقي اللخمي الأندلسي، فقيه محدث نوازلي، يكنى أبا جعفر، من أهل لورقة، كان واسع الرواية كثير السماع من الشيوخ، ثقة في روايته عالياً في إسناده، أخذ عنه جماعات من أهل العلم، توفي رحمه الله سنة ٥١٦هـ. انظر: الصلة ١/ ١٢٩، ١٣٠، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ١٨، ١٩.

(٦) انظر: نوازل الإمام ابن بشتغير، ص٩٥، مخطوط أندلسي من مدخرات الخزانة الحسينية بالرباط، رقم (١١٦٩٠/ز)، حصلت على نسخة منه من د. حسن الوراكلي المغربي.

سواها فإذا أنس منها الضجر للحصر وتمادى الحجاب أعتقها، وأصحبها إلى أرضها»[1] ولهذا العالم الجليل كتاب جيد في تحريم سكنى بلاد الروم ستأتي الإشارة إليه في الفصل القادم.

ويحدثنا التاريخ الأندلسي أن كثيراً من الأمراء والملوك تزوجوا بنصرانيات[2] ولم ينكر عليهم أحد من أهل العلم - مع صدعهم وبيانهم للحق -، ولا نقل ذلك في مصادر العلماء والمؤرخين. وإن كان بعض الحالات قد جر هذا بعض المآسي على المسلمين، كما وقع لعبد العزيز بن موسى بن نصير لما تزوج نصرانية، فخلع وقتل من أجل ذلك ورمي بالردة[3].

وبما أن الزواج علاقة اجتماعية وثيقة ينتج عنها الأولاد وبالتالي الأخوال والأعمام والعمات والأصهار. وينتج عن ذلك ما يقع بين الأقارب وأولي الرحم من المشكلات، فتقع الفتوى من فقهاء المسلمين في ذلك وقد تكون من صالح النصراني على المسلم.

فابن أبي جمرة الأندلسي[4] يستدل على جواز صلة الأم المشركة بحديث أسماء بنت أبي بكر قال: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم»[5] وما قاله - يرحمه الله - في شرحه «.. هل هذا الحديث مقصور على الصلة للأم لا غير،

---

(١) الإحاطة ٣/ ٩٢.

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٨٧، تاريخ النصارى في الأندلس، ص١٦٦، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٢٠، ٢١.

(٣) انظر: خبر ذلك في تاريخ افتتاح الأندلس، لابن القوطية، ص٧٩، ٨٠.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) رواه البخاري ٣/ ١١٦٢، رقم (٣٠١٢)، باب إثم من عاهد ثم غدر...، ومسلم ٢/ ٦٩٦، رقم (١٠٠٣)، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين... ولو كانوا مشركين. وأبو داود ٢/ ١٢٧، رقم (١٦٦٨)، باب الصدقة على أهل الذمة. والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٧٨، رقم (٢٠٣). وابن حبان ٢/ ١٩٧، رقم (٤٥٢)، ذكر الإباحة للمرء صلة قرابته إذا طمع في إسلامهم.

أو الصلة على العموم جائزة للمشركين كلهم. ظاهر صيغة الحديث يدل للأم، لكن يؤخذ تعديه لغير الأم من غير هذا الحديث، وهو قوله ﷺ: «في كل كبد رطبة أجر»[١].

وفي نوازل العلامة **ابن زرب**[٢] نازلة اجتماعية حول ذمية أرادت أن تتزوج، فمنعها أهلها، فأفتى أن الذمية «إذا أرادت النكاح ومنعها أهل دينها لزم السلطان أن يجبرهم على إنكاحها؛ لأن منعهم لها من الظلم، ويجب أن يمنع من ظلم بعضهم لبعض، ولو ذهبت إلى نكاح مسلم، لم يجبرهم على العقد عليها»[٣] وفي نوازل **ابن بشتغير** عين هذه المسألة ناقلاً القول الآنف عن ابن زرب.

وفي نازلة أخرى عند القاضي **أبي الأصبغ بن سهل**[٤] في أحكامه

---

(١) بهجة النفوس مخطوط أندلسي في الحديث، ص٨٠.
والحديث رواه البخاري ٢/ ٨٣٣، رقم (٢٢٣٤)، باب فضل سقي الماء. ومسلم ٤/ ١٧٦١، رقم (٢٢٤٤)، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٥، رقم (٨٨٦١). ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٩، رقم (١٦٦١)، باب ما جاء في الطعام والشراب.

(٢) هو قاضي الجماعة أبو بكر بن محمد بن يبقى بن زرب القرطبي المالكي، قال الذهبي: كان عجباً في حفظ المذهب، له تصانيف كثيرة، وكان جم الفضائل، من أهل الخير والصلاح مات في رمضان سنة ٣٨١هـ. انظر: شذرات الذهب ٢/ ١٠١، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤١١ التكملة لكتاب الصلة ٤/ ٢٣٦.

(٣) وثائق الفشتالي، عبد الله بن محمد بن عبد الملك الفشتالي مخطوط في فهرس القرويين: محمد ابن محمد، وفي فهرس الخزانة العامة: محمد بن أحمد. الرباط المغرب/ ٢٠٦، ٢٠٧، مكتبة القرويين بالمغرب/ ١١٤١، والمكتبة التيمورية بمصر/ ٣٦١ فقه، خزانة القرويين/ ١١٨٥، ناسخها: أحمد بن محمد بن سعيد الورغني. ودار الكتب المصرية، رقم (٢٠٠)، فقه الإمام مالك، ورقة ١٨أ، وهي مصورة بمركز الملك فيصل، برقم (١٢٦٤٣).

(٤) هو عيسى أبو الأصبغ بن سهل بن عبد الله الأسدي، أصله من جيان، سكن قرطبة وتفقه بها ولقي العلماء والفقهاء، وله كتاب حسن في الفقه سماه الإعلام بنوازل الأحكام ذكر في أولة أنه يحفظ المدونة والمستخرجة، تولى القضاء بغرناطة توفي سنة ٤٨٦هـ. انظر: الديباج المذهب ١/ ١٨٢، ١٨١، التكملة ٤/ ١٢٥.

الكبرى أنه حكم بالحضانة في فتاتين مسلمتين لجدة نصرانية لأم. قال «فهمنا ـ وفقك الله ـ ما كشفت عنه من أمر الصبيتين المسلمتين اللتين توفيت أمهما وتركت أماً نصرانية وللصبيتين جدة لأب نصرانية أيضاً. والذي يجب فيه أن الحضانة للجدة للأم النصرانية، وهي أحق من الجدة للأب، ولو كانت مسلمة»[1].

(قلت): وهذا مخالف لقواعد الإسلام وضرره أكثر من نفعه في حق الفتاتين، والواجب حضانة الفتاتين عند الجدة المسلمة إن وجدت، أو لأقاربها من المسلمين، سداً لذريعة الشرك والخمر وأكل الخنزير وغيرهما من المنكرات. وما ورد في الفتوى الآنفة يفيد تسامح وتساهل علماء المسلمين الأندلسيين مع النصارى المعاهدين، ومنحهم أكثر من حقهم الشرعي.

وفي نوازل المعيار أن **أبا إبراهيم**[2] سئل عن فتاة نصرانية توفي أبوها ومكثت عشرين سنة عند أمها وأهلها النصارى ثم ادعت إسلام أبيها وقالت: إنها تعقله وهي صغيرة، ثم شهد الجيران بذلك، فعلى من البيّنة أعلى الفتاة أم على المحتسب الذي شهد عند القاضي؟

هذا ملخص سؤال طويل، أجاب الفقيه بما حاصله:

أنه لا بد لها من بيّنة عدة على جميع ما ذكرت، وأرى أن تجبر على الإسلام، ويضيق عليها أبداً حتى تسلم أو تموت في ذلك التضييق للشبهة التي ذكرتها عن البيّنة الشاهدة بالسماع أن أباها كان نصرانياً.

وهذه الشبهة موجبة للتوقف عن التعجيل عليها بالاستتابة عندي، ولولاها لرأيتها أن تستتاب فإن تابت وإلا قتلت[3].

---

(١) وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، مستخرجه من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل، ص٨٦، تحقيق: د. محمد عبد الوهاب خلاف.

(٢) لم أعرفه.

(٣) انظر: المعيار المعرب ٢/٣٤٧، ٣٤٨.

ومن تلك العلاقات الرضاع، وهل يجوز للمرأة المسلمة أن ترضع ولد النصراني. أجاب **ابن رشد (الجد)** أنه لا بأس بذلك، أما أن تذهب فتكون عندهم في بيوتهم فلا يعجبني وأكرهه لامتهانها له[(١)].

ومن العلاقات الاجتماعية التي تكون بين النصارى والمسلمين:

التحية والسلام: وقد أباح الإسلام تحيتهم ورد هذه التحية. وقد استدل **ابن عبد البر** في استذكاره على ذلك بأحاديث عدة خلاصتها: أن لا نبدأهم بالسلام، إذا سلموا بالتحية الإسلامية أن نرد عليهم بقوله، وعليكم في غير فحش أو بذاءة، مستدلاً بحديث عائشة رضي الله عنها مع اليهودي[(٢)].

وقد تتعمق تلك العلاقات إلى أكثر من ذلك كالجوار والدفاع عن بعضهم. فهذا **الفقيه طالوت**[(٣)] في فتنة وقعت، وخاف من السلطان فاستتر عند كتابي عاماً كاملاً، ثم خرج إلى صديقه الوزير ابن بسام فوشى به إلى الأمير الأموي الحكم بن هشام فجاءه الأمير وسأله، عند من اختفى فأخبره، أنه أجاره كتابي، فصرفه الحكم وعفا عنه. ثم التفت إلى الوزير ابن بسام وعاتبه عتاباً شديداً، وذكره غدره بصديقه ووفاء الكتابي مع اختلاف دينه وخوفه على نفسه وأهله. ثم عزله من منصبه، ثم رؤي هذا الوزير في فاقة وذل فقيل استجيبت فيه دعوة الفقيه طالوت رحمه الله[(٤)].

الطعام واللباس:

وهذا مما أباحه الإسلام أيضاً، واستدل العلماء على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

---

(١) انظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد أحمد بن محمد بن رشد الجد ٥/ ١٥٤، تحقيق: محمد صبحي، وأخرون حسب الأجزاء، دار الغرب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٧٧م.

(٢) انظر: الاستذكار ٢٧/ ١٤٠ ـ ١٤٣.

(٣) هو طالوت بن عبد الجبار المعافري الأندلسي، دخل مصر ولقي الإمام مالك بن أنس، ثم عاد إلى الأندلس. انظر: نفح ٣/ ٦٣٩، المغرب ١/ ٤٣.

(٤) انظر: تاريخ افتتاح الأندلس، ص٧١، نفح الطيب ٣/ ٣٣٩، ٦٤٠، المغرب ١/ ٤٣.

فسر **ابن عطية** الطعام في الآية بأنه الذبائح؛ لأن الطعام الذي لا محاولة فيه كالفواكه والبر ولا يضر ولا يحرم عينه. وتذكية الذمي عاملة لنا في كل ذبيحة ما حل له فيها وما حرم عليه لأنه مذك، وهذا قول الجمهور[1].

وعند **ابن حزم** «أنه كل ما ذبحه أو نحره يهودي أو نصراني أو مجوسي نساؤهم ورجالهم فهو حلال لنا إذا ذكروا الله»[2]، كما أنه «لا يحل أكل ما ذكاه غير اليهودي والنصراني والمجوسي»[3].

أما **ابن العربي** فيفصل في المراد بالطعام قولين:

الأول: أنه كل مطعوم على ما يقتضيه مطلق اللفظ وظاهر الاشتقاق ثم ذكر تحت هذا القول حرمة أكل طعام المجوس وذبائحهم، وإباحة آنيتهم عند الضرورة.

الثاني: أن المراد به ذبائحهم، وقد أذن الله في طعامهم.

وذكر تحت هذا أنواعاً مما يكره أكله، كالذبح على الكنائس والصلبان ونحوها[4].

ويستدل **القرطبي** على إباحة طعامهم بالآية؛ لأنهم أهل كتاب[5] وأن ذبائحهم هي الطعام المباح حتى وإن قال: باسم المسيح على قول بعض أهل

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٥/٣٨، ٣٩، وقد فصل القول في النكاح والطعام الإمام ابن قيم الجوزية، وذكر فصلاً في ذلك وأن مناكحتهم وذبائحهم فيها قولان للصحابة، وهما روايتان عن الإمام أحمد، فروي المنع عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه والشافعي رحمه الله. والقول الثاني: أنه تحل مناكحتهم وذبائحهم، وهذا هو الصحيح عن أحمد، رواه عنه الجماعة، وهو آخر الروايتين عنه. وهو قول ابن عباس، وروي نحوه عن عمر رضي الله عنه، وبه قال الحسن والنخعي والشعبي.. انظر: أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ١/٢٢٢ ـ ٢٢٤، تحقيق: يوسف أحمد البكري، شاكر توفيق، رمادي للنشر، دار ابن حزم الدمام، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) المحلى ٤/٤٥٤.

(٣) المصدر السابق ٤/٤٥٦.

(٤) انظر: أحكام القرآن ٢/٤١ ـ ٤٣.

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١/٤٣٤.

العلم واتفاقهم على إباحة كل ما لا يحتاج إلى ذكاة. وذكر إجماع العلماء إلا من شذ على حرمة ذبائح المجوس. وذكر كذلك جواز الأكل والشرب في آنية الكفار كلهم بشروط، ما لم تكن ذهباً أو فضة أو جلداً محرماً[1].

وفي عارضته عنون **ابن العربي** (باب ما جاء في طعام المشركين). واستدل فيه بالآية الكريمة على إباحته لشبهة الكتاب الذي معهم[2].

ويتحفنا في شرحه للموطأ حول هذه المسألة بقوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، فإذا ذبح النصراني في عيده للمسيح وأهل به لغير الله فقد اختلف فيه كما قدمنا، وتعلق من منعه بقوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] تحصيل لعموم قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ والصحيح أنه لا يخصه؛ لأن النصراني لا يذبح إلا لله، إلا أنه جهل في اعتقاده أن المسيح هو الله تعالى بخلاف المشركين، فإنهم يذبحون للنصب مع اعتقادهم أنها غير الله»[3].

كما تناول العلماء بعض أنواع الأطعمة، وأفتوا بتحريمها أو بإباحتها لسبب رأوه وتبينوه.

ففي نازلة أفتى فيها الإمام **الشاطبي** لما سئل عن حكم جبن الروم أفتى في ذلك فتوى هي كتاب (في تحريم جبن الروم)[4].

وفي فتوى أفتى بها **ابن العربي** حول دجاج النصارى كيف يذبح وهل يجوز أكله قال: «لقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها، هل يؤكل معه أو تؤخذ طعاماً منه؟ وهي المسألة الثامنة: فقلت: تؤكل لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه، وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا ولكن الله أباح طعامهم مطلقاً»[5].

---

(١) انظر: المصدر السابق ٦/ ٧٦ ـ ٧٩.

(٢) انظر: عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للإمام أبي بكر بن العربي ٤/ ٧٠، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، وانظر: كذلك التسهيل لابن جزي ١/ ١٦٩ مستدلاً على ذلك بما ورد من أدلة.

(٣) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ٢/ ٦٢٣، ٦٢٤.

(٤) انظر: نفح الطيب ٢/ ٨٨.

(٥) أحكام القرآن ٢/ ٤٥، المعيار المعرب ٢/ ٩، ١٠، وقد علق على فتوى ابن العربي =

ومن نوازل الطعام والبيع لهم، فتوى للإمام **الشاطبي** في إباحة بيع الطعام من المهادنين من أهل الكتاب دون المحاربين؛ لأنهم يستعينون به على المسلمين وكذلك السلاح والشمع[1].

وفي رسالة **ابن عبد الرؤوف**[2] في الحسبة أنه «ينهى المسلمون أن يتعمدوا شراء اللحم من مجازر أهل الذمة وكرهه مالك، وأمر عمر ﷺ أن يخرجوا من أسواق المسلمين».

وحول ما ذبح على الكنائس أفتى أن «ما ذبح النصارى لكنائسهم أو على اسم المسيح أو الصليب أو شبه ذلك. وذلك مكروه لنا غير محرم؛ لأن الله تعالى أحل لنا ذبائحهم، وهو أعلم بما يقولون وما يدبرون بها. .»[3].

ويفيدنا **ابن عبد البر** في استذكاره بأن ذبائح أهل الكتاب حلال لا بأس بها، وإنما كرهه العلماء ما ذبح للكنائس، أو باسم المسيح، أو كان من أعيادهم[4].

أما حكم الطعام الذي ينتج عن بعض الحيوان كالجبن مثلاً، فللعلماء فيه وفي نوازله فتاوى.

فأبو الوليد بن رشد لما تكلم على جبن الروم ومدى حليته أوضح أنه «كرهه للرجل في خاصة نفسه من أجل ما قيل إنهم يجعلون فيه أنفحة[5]

= الآنفة بعد أن ذكرت في سؤال للفقيه أبي عبد الله بن الحفار.

(١) انظر: فتاوى الإمام الشاطبي، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ص٩٤، ٩٥، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، والمعيار المعرب ٥/٢١٣.

(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من كتب الأندلسيين، غير أن ناشر الرسالة ذكر أن اسمه: أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف. ولم يذكر له ترجمة.

(٣) انظر: ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة. رسالة ابن عبد الرؤوف في أداب الحسبة والمتحسب، ص٩٤، ٩٥.

(٤) انظر: الاستذكار ٥/٢٣٧.

(٥) الإنفحة: بكسر الهمزة وفتح الفاء مخفمة: كرش الحمل أو الجدي ما دام يرضع، فإذا رعى العشب فهي كرش. والجمع أنافح. انظر: تاج العروس ٤/٢٣٨.

الخنزير، ولو لم يسمح بذلك لم يكن عليه أن يبحث عنه؛ لأن الله سبحانه قد أباح لنا أكل طعامهم بقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، فأكل طعامهم جائز ما لم يوقن بنجاسة، فإن خشي ذلك رجل لشيء سمعه يستحب له أن يتركه»[١]، وهو الذي سئل عن القوم يغزون الروم فيجدون قدورهم مملوءة لحماً على النار أتؤكل؟ فأجاب بأن أكله حلال لقوله ﷻ: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ إلا أن يدع رجل في خاصة نفسه مخافة نجاستهم[٢].

وفي فتوى حول خمر الذمي التي استحالت خلاً هل تؤكل؟ فأجاب: يؤكل ما استحال من خمرهم إلى الخل سواء كانت لمسلم أو نصراني[٣].

وقريب من هذه المسألة عند **ابن بشتغير** في نوازله، أن الإمام مالك سئل «عن نصراني باع خمراً بدنانير، فقال: لا أحب لمسلم أن يتسلفه ولا يصارف به، قال ابن القاسم: ولا يأكل من طعام اشترى به. قال مالك: ولا بأس أن يأخذه من دين على النصراني»[٤].

وحول **الأكل في آنية النصارى** وإباحته من عدمها يتكلم عن ذلك **ابن العربي** في عارضة الأحوذي تحت باب (ما جاء من الانتفاع بآنية المشركين). استدل ابن العربي على إباحة ذلك بحديث رواه الترمذي عن أبي ثعلبة الخشني قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنا بأرض قوم أهل كتاب نأكل في آنيتهم!؟ قال «إن وجدتم غير آنيتهم فلا تأكلوا فيها، فإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها»[٥].

---

(١) المعيار المعرب ١/٥.

(٢) انظر: البيان والتحصيل ٢/٥٧٥.

(٣) انظر: المصدر السابق ٩/٣٥٦.

(٤) نوازل ابن بشتغير، ص٧١، وللمزيد حول الموضوع انظر: ص٣٢ من نوازله.

(٥) رواه البخاري ٥/٢٠٨٧، رقم (٥١٦١)، باب صيد القوس. ومسلم ٣/١٥٣٢، رقم (١٩٣٠)، باب الصيد بالكلاب المعلمة. والترمذي ٤/٦٢ كتاب السير، باب ما جاء في الانتفاع بآنية المشركين. وقال هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه ٢/١٠٦٩، رقم (٣٢٠٧)، باب النهي عن اقتناء الكلاب إلا كلب الصيد. والحاكم ١/٢٤١، ٥٠٢.

مفصلاً فيه حرمة الأكل في آنية المجوس قبل غسلها، أما آنية أهل الكتاب فإن كان ما يوضع فيها شراب فلا يلزم غسلها أما إذا وضع فيها الطعام أو شراب مختص بشربهم فلا نقربها حتى نغسلها. مستدلاً أن النبي ﷺ أكل طعام اليهودية وأن عمر توضأ من جرة نصرانية. ثم قال: ولعل الغسل الوارد في هذا الحديث للندب[١].

ويذهب **ابن أبي جمرة الأزدي الأندلسي** أنه لا يجوز الأكل منها إلا للضرورة، وقال: «ظاهر الحديث يدل على ثلاثة أحكام: أحدها جواز الأكل في آنية أهل الكتاب بعد الغسل إذا لم يوجد غيرها».. «ويؤخذ من هذا أنه ﷺ لم يبح له الأكل في آنية أهل الكتاب بعد الغسل إلا عند الضرورة، وهو عدم غيرها، وأهل الضرورات لهم حكم خاص بهم»[٢].

ويتفرع عن الآنية وحكمها، **حكم الصلاة في ثوب نسجته النصارى**.. وأجاب أهل العلم بجواز لبس ما نسجته النصارى كما قال مالك رضي الله عنه والصلاة فيه دون ما لبسوه، وإن كان ملبوساً من غير نصراني رده، وإن كان من نصراني فلا رد عليه ولا يصلى به إلا بعد الغسل[٣].

وذهب **ابن رشد** في بيانه أنه «لا فرق بين ما نسجوه أو لبسوه في القياس وإنما هو الاتباع»[٤]، و«أنه أجاز لبس ما لبس النصراني أو نسج»[٥].

وفي نوازل **ابن بشتغير** فتوى «عمن اشترى ثوباً فأخبر أنه ثوب نصراني، فإن كان ينقصه الغسل رد، وإلا فليس عيباً»[٦].

ورجح كثير من أهل العلم طهارة لباسه وعرقه؛ «لأن الله أباح نكاح الكتابية ومن لوازم ذلك مضاجعتها، ومن لوازم ذلك عرق المضاجع، ولم يؤمر بغسل العرق»[٧].

---

(١) انظر: عارضة الأحوذي ٤/ ٦٣.
(٢) بهجة النفوس مخطوط أندلسي، ٢/ ٢١٢.
(٣) انظر: المعيار المعرب ١/ ٣، ٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٨١.
(٥) البيان والتحصيل ١/ ٥٠، ٥١.
(٦) نوازل ابن بشتغير مخطوط، ص٣٥.
(٧) المعيار المعرب ١/ ٨٢.

وحول تعقيب ابن رشد على فتوى في حكم الوضوء في بيوت النصارى أفتى أنه إن فعل ذلك فلا إعادة عليه[1].

ومما أباحته شريعة الإسلام معهم:

البيع والشراء والكراء والشركة وأنواع المعاملات الدنيوية الأخرى ما لم تحرم بدليل.

وقد أجاز الإمام **ابن حزم** هذه الشركات للمسلم مع النصراني بإطلاق، كما هو المعتاد في البيع والشراء والكراء منهم ولهم[2].

وعند **ابن رشد** في مقدماته في هذا الباب من التعامل أنه يجوز معاملة أهل الذمة وإن كانوا يستبيحون بيع الخمر والخنازير ويعملون بالربا[3]، وأن معاملة الذمي على كل حال أخف من معاملة المُربي (آكل الربا)، وأنه لا يجوز بين المسلم والذمي في التعامل إلا ما يجوز بين المسلمين[4].

ويقعِّد في فتاواه، **قاعدة: في التعامل بين المسلم والذمي فيما يجوز وما لا يجوز**. أن «التعامل بين المسلم والذمي جائز فيما يجوز بين المسلمين، فإن وقع التعامل بينهما فيما لا يجوز بين المسلمين لم يخل ذلك من ثلاثة أوجه»[5]، ثم ذكر الثلاثة:

فالأول: أن يتعاملا فيما يجوز ملكه ولا يجوز بيعه، كالجمل الآبق والجمل الشارد.

والثاني: أن يتعاملا فيما يجوز بيعه وملكه.

والثالث: أن يتعاملا فيما لا يجوز ملكه كالخمر والدم والميتة.

وذهب إلى أن الحكم في الوجهين الأول والثاني، كالحكم إذا وقع بين

---

(١) انظر: البيان والتحصيل ١/١٣٨، ١٧٣.

(٢) انظر: المحلى لابن حزم ٢/١٢٥، تحقيق: أحمد شاكر القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨هـ، الإحكام في أصول الأحكام، له أيضاً ٦/٦٤ ـ ٩٥، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٤٥هـ.

(٣) انظر: المقدمات الممهدات ٢/١٥٦.

(٤) انظر: المصدر السابق ٢/١٥٩.

(٥) فتاوى ابن رشد ٢/٩٧٣.

المسلمين، وفصل في الثالث، إذ الحكم مفارق لما يقع بين المسلمين[1]. في فصل مطول يعسر ذكره، وعلى الله قصد السبيل.

وفي وثائق المرابطين والموحدين عن أحد فقهاء الأندلس تقييد مشاركتهم بأنه «لا يصح للمسلم مشاركة اليهودي والنصراني إلا أن لا يغيب اليهودي والنصراني على شيء من التجر لاستحلالهم الربا»[2].

ومن ذلك: الكراء معهم حيث أجازه الفقهاء، إذ ورد في وثائق المرابطين والموحدين عن فقيه يسمى **محمد بن أحمد**[3] أنه «يجوز للرجل أن يكري داره من يهودي أو نصراني»[4]، ثم اشترط لذلك شروطاً، أن لا يباع فيها ما هو محرم كالخمر مثلاً، ونحوه من أنواع الفساد كالدعارة والفسق كالزمر والطبول ونحوها.

ومن ذلك: المساقاة معهم، وقد استدل **ابن عبد البر** على مشروعيته وإباحته مع أهل الكتاب بحديث يوم افتتاح خيبر، وقال لليهود: «أقركم فيها ما أقركم الله ﷻ على أن الثمر بيننا وبينكم»[5]، ولكنه استثنى هذه المساقاة بشروط ذكرها أهل العلم، وأوردها أبو عمر[6]، ومظانها في كتب الفروع.

وكره أحد الفقهاء الأندلسيين ـ في نازلة أفتى فيها ـ أنه «للمسلم أن يأخذ جنان النصراني مساقاة أو ماله قراضاً، ويجوز للمسلم أن يدفع جنانه مساقاة إلى النصراني إذا كان لا يعصر ما يصير منه خمراً»[7].

«وسئل **ابن رشد** عن بيع أصول الكرم للنصارى وهم يعصرون خمراً، وهل يفسخ البيع إن وقع؟. فأجاب: هو مكروه لا يبلغ به التحريم»[8].

---

(١) انظر: المصدر السابق ٢/ ٩٧٣ ـ ٩٧٦.

(٢) وثائق المرابطين والموحدين، ص٥٨٩.

(٣) لم أعرفه لكثرة هذا الاسم.

(٤) المصدر السابق، ص٤٣٢.

(٥) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب المساقاة، باب ما جاء في المساقاة، رقم (١٣٧٦).

(٦) انظر: الاستذكار ٢١/ ١٩٥ وما بعدها.

(٧) وثائق المرابطين والموحدين، ص٥٥٩.

(٨) المعيار المعرب ٦/ ٦٩.

ومن ذلك: **مكاتبتهم ومدارستهم ومناظرتهم ومجالستهم علمياً**.

إذ مر في الباب الأول، وهذا الباب أصنافاً من المجالسات والمناظرات والمكاتبات، كمكاتبات **الباجي** لراهب فرنسا، ومناظرة **ابن رشيق** ومجالسته للنصراني.

وذكرنا التأصيل الشرعي لذلك في باب المناظرات، ومنه ما ذكره **ابن عطية** في تفسيره لأول سورة آل عمران، وأنها نزلت لما حاجوا النبي ﷺ في عيسى ابن مريم، ودخلوا على النبي ﷺ بعد صلاة العصر عليهم في أحسن هيئة، ثم قاموا وصلوا في مسجده ﷺ إلى المشرق، فقال ﷺ: دعوهم، ثم أقاموا بالمدينة أياماً يناظرون الرسول ﷺ في عيسى، ويزعمون أنه الله[(١)].

وإلى إباحة هذا ذهب **ابن العربي** في أحكام القرآن عند تفسير آية المباهلة، وأن النبي ﷺ ناظرهم وغلبهم بالحجة والبرهان، فأبوا الانقياد والإسلام[(٢)].

ويتفرع عن المناظرات والعلميات والمكاتبات، حكم الكتابة في الورق الذي يأتي به النصارى ويصنعونه بأيديهم، ثم يكتب عليه القرآن والحديث والعلوم الشرعية، ويلمسه المسلمون بأيديهم. فأفتى بإباحته **ابن مرزوق**[(٣)] في فتوى طالت ثلاثين صفحة، صارت بذلك كتاباً كاملاً، ناقش فيه أقوال المبيحين والكارهين والمانعين، وسمى هذه الفتوى: «تقرير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ في كاغد الروم» وخلص في آخر ورقة منه بإباحته وتسميته بما ذكرت[(٤)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٦، ٧.

(٢) انظر: أحكام القرآن ١/ ٣٦٠.

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بشمس الدين، كان من أطرف أهل عصره ظرفاً وخصوصية ولطافة، بارع الخط، متسع الرواية، مفسر بارع، رحل المشرق، ثم قدم الأندلس عام ٧٤٨هـ قتل مذبوحاً في فتنة. انظر: الإحاطة ٣/ ١٠٣ ـ ١٣٠، شجرة النور الزكية ٢٧٥، المعيار ١/ ١٠٧.

(٤) انظر: المعيار المعرب ١/ ٧٥ ـ ١٠٧.

ويتفرع عن **العلميات** أن علماء المسلمين قد يعلمون أولاد النصارى أو يترجمون لبعض أهل الكتاب. واختلف في إباحة ذلك من كراهته.

فهذا الحافظ **الفهري**(١) في رحلته الكبيرة القدر والجرم المسماة بـ «ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين وطيبة» يترجم لابن سهل الإسرائيلي، أحد الشعراء الأندلسيين النبلاء الأذكياء ـ الذي اختلف في إسلامه أو يهوديته(٢)، وقد «كان يقرأ مع المسلمين ويخالطهم»(٣) وكذا ترجم له ولغيره صاحب نفح الطيب.

وقد ذكرت آنفاً في فصل التسامح وموقف العلماء منه، العلامة الذي حاز الفنون الفقيه **عبد الله بن سهل الغرناطي** أن النصارى كانت تقصده من طليطلة وتتعلم منه، وله مع قسيسهم مجالسات ومناظرات حاز فيها قصب السبق(٤).

فهذا الفقيه لم يجد حرجاً في تعليم النصارى أنواع العلوم، ولعله يكون قد حرص على إدخالهم في دين الإسلام. وكذا تذكر بعض المصادر الأوروبية أن بعض علماء المسلمين كان يدرس أولاد بعض ملوك النصارى، وهو الفونسو الثالث الذي كان محباً للعلوم مقرباً للعلماء(٥).

ولا ريب أن ذلك قد تحقق، لكن ليس على إطلاقه، وليس في كل علم. ولا بد من حد يحد هذا العلم والتعلم للنصارى مهما كانت منزلتهم؛ فإن كان ضاراً بالمسلمين وشريعتهم وأمنهم ومصالحهم العامة، فلا يجوز بل يحرم.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري. انظر: نفح الطيب ٣/ ٥٢٣.

(٢) انظر: نفح الطيب ٣/ ٥٢٢، ٥٢٣.

(٣) انظر: الإحاطة ٣/ ٤٠٤، والإحاطة «نصوص لم تنشر»، ص٧٤، وانظر: كذلك فصل موقف العلماء من التسامح مع النصارى.

(٤) انظر: الهامش أعلاه.

(٥) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ١/ ٣٦١، ناقلاً عن مصدر أجنبي: Aschbach: ibdi,b.i.s.

وقد سئل **ابن لبابة**[1] عن رجل مسلم يعلم أولاد النصارى القرآن؟ فأجاب: «لا يجوز ذلك ولا ينبغي لأحد أن يفعله»[2].

وفي حسبة **ابن عبدون** أنه «يجب أن لا يباع من اليهود، ولا من النصارى كتاب علم، إلا ما كان من شريعتهم؛ فإنهم يترجمون كتب العلوم وينسبونها إلى أهلهم وأساقفتهم»[3].

قلت: تعليم النصارى واليهود إما أن يكون بحضور هؤلاء النصارى إلى حلقات العلم الإسلامية، كدراسة اللغة والأدب والطب ونحوها ـ وقد سبق بيان نماذج من ذلك ـ، حيث بهر الأوروبيون بحضارة الإسلام هنالك. وإما أن يكون التعليم لأولاد ملوك النصارى في قصورهم، وهو اجتهاد اجتهده بعضهم، إما لدعوتهم إلى دين الله أو التأثير فيهم، ولا يخفي أثر المربي على الطفل في صغره. والله أعلم بالصواب.

ومن **تسامح علماء الأندلس** أنه قد يدخل بعضهم إلى كنائس النصارى، فهل له أن يصلي في الكنيسة؟

وحول فتوى مفترضة كهذه أجاز **ابن رشد** (الجد) ذلك مع الكراهة لا سيما المعاصرة منها؛ لأن بها التصاوير والأصنام[4]. قلت: هذا في زمن ابن رشد رحمه الله، أما في زماننا هذا، فقد دخلت كنائس في بلدان عدة، ولا تكاد تخلو منها.

ومن المعاملات الأخرى التي مارسها العلماء ـ وهي من المباحات ـ

---

(١) هو عمر بن يحيى بن محمد بن عمر بن لبابة، من أهل قرطبة، يكنى أبا حفص، كان أحد الفقهاء المشاورين الذين تدور عليهم الفتيا. انظر: التكملة لكتاب الصلة ٣/١٤٦.

(٢) المعيار المعرب ١١/٩٦.

(٣) رسالة ابن عبدون في الحسبة، ضمن كتاب: ثلاث رسائل في الحسبة، ص٥٧، وكلامه يرحمه الله يفيدنا عن بدايات السرقات الحضارية التي استمرت إلى يومنا هذا، إذ يزعمون أن نتاج المدنية المعاصرة، من ابتكارهم وبنات أفكارهم. عدا المنصفين منهم وهم قليل.

(٤) انظر: البيان والتحصيل ١/٢٢٥، ٢٢٦.

حضور مجلس الملك، حيث تستقبل وفود النصارى، ويكاتب الملوك ويخاطبون سياسياً بحضور العلماء، وقد يشارك بعضهم في صياغة كثير من أمور الدولة والبيانات المتعلقة بذلك.

وتذكر المصادر في استقبال الناصر ـ أعظم ملوك الأندلس ـ للوفد النصراني الرومي الكبير، حضور العلماء لهذا المجلس، ومنهم الفقيه العلامة **المنذر ابن سعيد البلوطي** الذي خطب خطبته العصماء التي شهرته في العالم آنذاك، ليخاطب الوفد، بعدما ارتج على العلامة الأديب الفقيه أبي علي القالي(١).

وقد سبقت الإشارة إلى مواقف العلماء العديدة من هذا النوع من المعاملات في فصل التسامح.

أما **الرسائل والمكاتبات السياسية** التي تجري بين الدول فهي كثيرة، وقد يكون للعلماء دور في كتابتها(٢) وليس هذا مكان حصرها، بل تراجع في مظانها من كتب التاريخ والوثائق، وقد ذكرت شيئاً من ذلك في فصل التسامح.

ومن المباحات مع أهل الكتاب أن نحاكمهم إذا تحاكموا إلينا:

ويستدل العلماء على إباحة ذلك بقول الله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

ويذهب **ابن عطية** إلى أنه مباح وأن كثيراً من العلماء قال: «هي محكمة

---

(١) انظر: نفح الطيب ١/٣٨٩، ٣٩٩، أزهار الرياض ٢/٢٧٣، دولة الإسلام في الأندلس ٢/٤٥٤.

(٢) انظر: رسالة لأبي المطرف بن عميرة، وهو فقيه كتب للبابا، من قبل سلطان الموحدين، وكذلك مع ملك قشتالة النصراني، في الوثائق السياسية في عهد المرابطين والموحدين، ص٤٣٥، وللمزيد في المعاهدات والمكاتبات المصدر السابق، ص١٨٠، ٤٥٣، ٤٥٤، دولة الإسلام في الأندلس ١/٩٩.

وتخيير الحكام باق، وهذا هو الأظهر إن شاء الله»[1]، ثم ذكر بعض النوازل التي يخير فيها الحاكم بالحكم أو الترك.

وذكر **ابن العربي** في تفسيرها مسائل عدة منها:

المسألة الثالثة في سبب نزولها مع اليهود لما أتوا لرسول الله ﷺ. والمسألة الرابعة: التخيير بين الحكم والكف، والمسألة الخامسة: لما حكموا النبي ﷺ أنفذ عليهم الحكم ولم يكن لهم الرجوع[2]. وذكر مسائل أخرى في غاية الحسن فيمن تحاكم إلينا منهم في النوازل التي تنزل بأهل العلم والقضاة.

أما **القرطبي** فيفصل طويلاً هل الآية للتخيير أم للوجوب، ويورد أقوال العلماء، فيستدل من قال بالتخيير بقوله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]، ويستدل من قال بالوجوب بقوله: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة: ٤٢][3].

وهكذا ترك لأهل الكتاب حرية التحاكم إلى المسلمين، إذ لم يجبرهم على ذلك. وبما أنه مباح بنص الكلمات وإذن رب السموات وإله الأرباب، فقد حكموا بينهم بشرع إن تحاكموا إلينا بشريعتنا. ولما طلب أحد اليهود أن يحاكم أمام قاض مسلم أفتى **ابن العطار**[4] بجواز ذلك. وكذا وافقه العلامة **أصبغ بن سعيد**[5]، رحمهم الله[6].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/١٠٨.

(٢) انظر: أحكام القرآن ٢/ ١٢١ ـ ١٢٧.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٦/ ١٨٢ ـ ٢١٠.

(٤) لم أتوصل لمعرفته، لكثرة العطارين الأندلسيين.

(٥) هو أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، الإمام الثقة الفقيه المحدث العمدة النظار، له تآليف كثيرة، منها كتاب الأصول وتفسير حديث الموطأ والرد على أهل الأهواء، وغير ذلك، توفي سنة ٢٢٥هـ. انظر: شجرة النور الزكية، ص٦٦، المعين في طبقات المحدثين، محمد بن أحمد الذهبي ١/٨٣، ٢٠٣، تحقيق: د. همام عبد الرحيم، دار الفرقان عمان ـ الأردن، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٦) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقه والأندلس والمغرب، للونشريسي ١٨٨ب، ٢٠٧ب، ٢٠٨ب. مخطوط أندلسي بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، مكتبة آل حبت، شنقيط.

ولما سئل **ابن رشد** إذا تظالم النصارى لحاكم مسلم من بيوع ورهون هل يحكم بينهم؟ فأجاب: له أن يحكم بينهم، واستدل بما في المائدة من الآيات[١].

وفي فتوى أخرى في نصرانيين تحاكما إلى الأسقف فأبي التحكيم بينهما وردهما إلى حكم المسلمين؟ فأجاب: أنه لا اختلاف في أنه لا يجوز لحكم المسلمين أن يحكم بينهما برضى الأسقف إذا أبيا هما من ذلك أو أحدهما. أما إن رضيا وأبى الأسقف فله أن يحكم بينهما[٢].

و**ابن سهل** في نوازله يظهر أنواعاً من الأحكام التي حكم فيها بين النصارى وعليهم[٣]، وسيأتي كذلك زيادة بيان في الفصل القادم.

ومما أباحه الإسلام التحديث عن أهل الكتاب:

ويستدل ابن العربي عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾ [البقرة: ٦٧].

بمسألة من مسائلها، وهي المسألة الثانية: في إباحة التحديث عن بني إسرائيل، واستدل بقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[٤]. وذكر استرسال العلماء في التحديث عنهم، ولكنه ضبط هذا بأنه: بما يخبرون به عن أنفسهم وقصصهم لا بما يخبرون به عن غيرهم؛ لأنه يفتقر إلى العدالة والثبوت[٥]. ثم ذكر بعض أخبار أهل الكتاب التي فيها الحرج في التحديث عنهم كافتراءاتهم على الأنبياء عليهم صلوات الله وغير ذلك.

---

(١) انظر: البيان والتحصيل ٣/ ١٨٦، ١٨٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ٩/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٣) انظر: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص٧٠، ٧٧، ٨١، ٩٥.

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى ٣/ ٤٣١، رقم (٩٢٣٥). وأبو داود في سننه ٣/ ٣٢٢، رقم (١٨٢٤٠)، باب الحديث عن بني إسرائيل. وابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٤/ ١٤٧، رقم (٧٢٣٩٦)، باب ذكر الإباحة للمرء أن يحدث عن بني إسرائيل وأخبارهم. وأحمد في مسنده ٢/ ٤٧٤، رقم (٤٩٥١٣). والحميدي في مسنده ٢/ ٤٩١، رقم (١٦٠٨٢١).

(٥) انظر: أحكام القرآن ١/ ٣٧، ٣٧، ٤٣ وللمزيد انظر: تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٤٠ ـ ١٤٣.

أما **ابن حزم** لمّا تكلم على كتبهم المحرفة، وأنها لا تثبت للشواهد الكثيرة الدالة على ذلك، وأنهم على كثرة مجالسته ومناظرته لهم لا يتورعون عن الكذب والحلف إذا راموا التخلص من مجلسهم بإقامة الحجة عليهم. ثم ذكر الآيات، الدالة على تحريفهم وإلباسهم الحق بالباطل. وخلص إلى نتيجة: أن ما نزل في الكتاب والسنّة الثابتة صدقنا به، وما نزل بإنكاره وتكذيبه كذبنا به، أما ما أمكن أن يكون حقاً أو باطلاً فلم نؤمر بتكذيبه أو تصديقه، واستدل بحديث أبي هريرة أن أهل الكتاب كانوا يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد»[1]. ثم فصل في بعض الأخبار التي وردت عنهم.

ويذهب **عبد الله الأزدي الأندلسي** أن «ظاهر الحديث يدل على منع تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم ثم الكلام عليه من وجوه:» ويذكر الوجوه، هل المراد تكذيبهم في كل شيء، أم في التوراة والإنجيل فقط. وقال: «ووجه المنع من تصديقهم في كل ما يأتون به، أنهم لما أن أخلوا بالأصل وهو دينهم وكتابهم الذي أنزل عليهم، فكذبوا فيه وخالفوا الحق، فكيف يصدقون في غيره»، وقال بعد كلام له «فحصل من كلا الوجهين العموم، لعدم صدقهم على الإطلاق، وهذا هو الحكم وعليه عمل السلف»[2].

ومن ذلك: **الإحسان إليهم وقبول هداياهم.**

لقول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨].

---

(١) انظر: الفصل ١/٣١٦، ٣١٩، والحديث رواه البخاري ٤/١٦٣، رقم (٤٢١٥)، باب قولوا آمنا بالله..، وأحمد في مسنده ٤/١٣٦، رقم (١٧٢٦٤). وابن حبان في صحيحه ١٤/١٥١، رقم (٦٢٥٧)، ذكر الإباحة للمرء أن يحدث عن بني إسرائيل. وأبو داود ٣/٣١٨، رقم (٣٦٤٤)، باب رواية حديث أهل الكتاب. والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٨٧٤.

(٢) بهجة النفوس (مخطوط أندلسي) ٢/٣.

وفي تأويلها ذكر **ابن العربي** في الأحكام الخلاف في نسخها فقيل: إن ذلك كان في أول الإسلام عند الموادعة وترك القتال. وقيل: باق على وجهه.

وفي معنى: ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ [الممتحنة: ٨]، أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به العدل؛ فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل(١).

وقال أبو بكر: «المسألة الثانية: استدل به بعض من تنعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر، وهذه وهلة(٢) عظيمة؛ فإن الأذن في الشيء أو ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه، وإنما يعطيك الإباحة خاصة»(٣) وقال في هذا الباب: «أما الذمي فقد أذن الله في ملاينته وبره لا في احتمال جفائه، فإن ذلك لا يجوز لمسلم بحال»(٤).

وكذا **ابن عطية** لما أورد الآية في تفسيره ذكر اختلاف الناس في هؤلاء الذين لم ينه عنهم أن يبروا من هم؟

هل هم المؤمنون من أهل مكة، أم قبائل من العرب الكفار المحبين للنبي، أم هم من كفار قريش ممن لم يقاتل.

وذكر أن معنى القسط: العدل(٥).

واستدل بالآية الإمام **القرطبي** على الإباحة وذكر فحوى ما سبق وأورد بعض كلام ابن العربي بنصه(٦) رحمهما الله.

وفي نازلة استفتى فيها **ابن رشد** (الجد): رجل له أم نصرانية عمياء هل

---

(١) انظر: أحكام القرآن ٤/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) يقال وهل عن الشيء وفي الشيء إذا غلط فيه. انظر: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٣٢.

(٣) أحكام القرآن ٤/ ٢٢٨.

(٤) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لأبي بكر بن العربي ٢/ ٣٢١، تحقيق: عبد الكبير العلوي، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٥) المحرر الوجيز ١٥/ ٤٩٠ ـ ٤٩١.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٥٨ ـ ٦٠، وللمزيد انظر: البحر المحيط ٨/ ٢٥٥.

يجوز له أن يصحبها إلى الكنيسة؟. فأجاب أنه لا بأس بذلك[1]. وهذا من الإحسان إلى الأم النصرانية والبر بها، وهذا من سماحة دين الإسلام مع أهل الكتاب. وهل يتصور أن يفتي رجال الدين النصارى ـ آنذاك واليوم ـ بمثل هذه الفتوى عمن خالف دينهم؟

وحول الإحسان إليهم بالهبة والهدية يرى **ابن العربي** في تفسير آية الموالاة والمعاداة في إحدى مسائله: «أن الإحسان بالهبة والصلة مستثنى من الولاية بحديث أسماء قالت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي راغبة وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «صلي أمك»[2]، ثم ذكر أن تمام الحديث سيأتي في سورة الممتحنة[3]. وهو ما سبق الكلام عليه.

ويحقق ويقعد في عارضته لفقه التعامل والإحسان إليهم بقبول هداياهم تحت عنوان: باب ما جاء في قبول هدايا المشركين.

وفيه حديث عليّ بن أبي طالب عن النبي ﷺ: «أن كسرى أهدى له، فقبل وأن الملوك أهدوا إليه فقبل منهم»[4].

ثم أورد في شرحة إباحة ذلك أنواعاً أخرى من هدايا المشركين وأهل الكتاب للنبي ﷺ، وأنه كان لا يرد الطيب. ثم ذكر باب كراهة هدايا المشركين، وقال: «واحتمل أن يكون هذا بعدما كان يقبل هداياهم ثم نهى عن هداياهم»[5].

---

(١) انظر: البيان التحصيل ٣/ ٢٠٦ وقد سبق ذكرها.

(٢) رواه البخاري ٣/ ١١٦٢، رقم (٣٠١٣)، باب إثم من عاهد ثم غدر. ومسلم ٢/ ٦٩٦، رقم (٩٣٥٠)، باب فصل النفقة والصدقة على الأقربين. وأحمد في مسنده ٦/ ٣٥٥، رقم (٦٦٤٩٤). وأبو داود ٢/ ١٢٧، رقم (١٦٢٤٦)، باب الصدقة على أهل الذمة. والطبراني في الكبير ٢٤/ ٧٨، رقم (١٥٠٧٩٦).

(٣) انظر: أحكام القرآن ٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

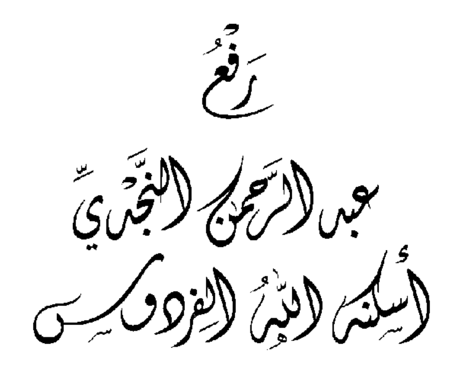
(٤) رواه الترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في قبول هدايا المشركين، رقم (١٥٨٢)، وقال: حسن غريب.

(٥) انظر: عارضة الأحوذي ٤/ ٧٧ ـ ٧٨.

وفي نازلة وصفت بين يدي **ابن رشد** (الجد) أن رجلاً نصرانياً ختن ابناً له وصنع صنيعاً هل يجاب؟ فأفتى: بأنه لا إثم عليه في ذلك ولا حرج، والأولى أن لا يفعل ذلك إن كان ممن يقتدى به بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ ...﴾ [المجادلة: ٢٢][1].

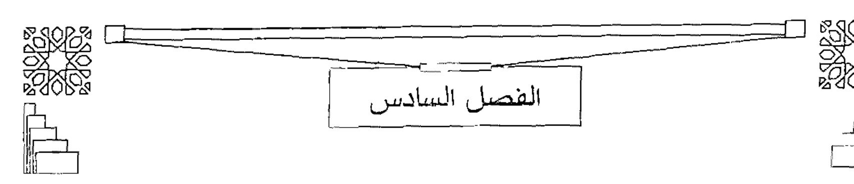


(١) انظر: البيان والتحصيل ٣/ ٣٥٤، ٣٥٥.



الفصل السادس

مواقف وقواعد عامة
في التعامل مع النصارى



مواقف وقواعد عامة في التعامل مع النصارى

من الصعوبة بمكان أن أقعِّد في هذه العجالة بقواعد مؤصلة تأصيلاً شرعياً مستفيضاً، أورد فيها الأدلة والأقوال باستقصاء ثم أستنتج، ثم أخرج بنتائج هي قواعد تشمل كل مناحي الحياة، إذ يطول هذا ويطول. وعلى أهمية الموضوع، وأنه يستحق بجدارة أن يكتب فيه بحثاً أو رسالة، فقد استخرجت قواعد عامة هامة من خلال المصادر الأندلسية، وهي ـ في الغالب ـ حوادث أو نوازل يفتي فيها العلماء، أو هي مواقف عملية أو نوازل فقهية، يقعِّد فيها هؤلاء الفقهاء من خلال واقعة معينة في زمن معين في مكان معين حكم التعامل معهم في هذه النازلة، وهذه النوازل ـ غالباً ـ لا تخرج عن الدليل الصحيح الذي يعرفه العلماء وطلاب العلم، وأكثر هذه النوازل يدل عليها أدلة صحيحة واضحة، كالبراء منهم، وحرية المعتقد لهم وإعزاز المسلم مقابل الكافر وتحريم سكنى بلادهم إلى غير ذلك مما سيأتي تفصيله في هذا الفصل.

وقد سبق في الفصل الآنف بيان قواعد هامة وهي قواعد، ما أباحه الإسلام في تعامل المسلم مع النصراني أو الكتابي؛ فأباح **الزواج منهم وما ينتج عن ذلك من علاقات اجتماعية واسعة، إباحة التحية وردها، مع أهل الكتاب، إباحة طعامهم ولباسهم وآنيتهم.**

إباحة البيع والشراء والكراء والشركة والإيجار وأنواع المعاملات الدنيوية الأخرى.

إباحة حضور العلماء مجالس الملك بحضور الوفود النصرانية.

إباحة محاكمتهم إن تحاكموا إلينا، إباحة التحديث عن أهل الكتاب فيما لا يتعارض مع ديننا، الإحسان إليهم بقبول هداياهم.

وكل هذه القواعد الآنفة ليست إباحتها مطلقة من كل وجه، بل هي مقيدة منضبطة بضوابطها الشرعية مع أهل الكتاب، بل وحتى مع أهل الاسلام، ومن القواعد:

حرية المعتقد الخصوصية الدينية:

لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل ديناً أتاح حرية المعتقد كما عرفته في دين الإسلام، إذ لم يجبر الناس عل اعتناق الدين؛ لأن ذلك مظنة النفاق. ولما فتحت الأمصار في عهد النبي ﷺ وصحابته ومن بعدهم لم يجبروا أهل هذه الأمصار على اعتناق الإسلام، فدخل الناس في دين الله أفواجاً في المشرق والمغرب، لما رأوه من تسامح هذا الدين الحنيف.

ويستدل علماؤنا ـ رحمهم الله ـ على قاعدتهم هذه بأدلة شرعية، ضبطوها بضوابطها حتى لا يفتح باب الزندقة والنفاق من خلال حرية المعتقد. ولقد تنبه الأذكياء والمنصفون العقلاء من النصارى لهذا التسامح الإسلامي في منح الحرية الاعتقادية. فيقول المستشرق سيمونت ـ بالرغم من كونه أشد العلماء الإسبان تحاملاً ـ «إنه فيما يتعلق بالقوانين المدنية والسياسية، فإن النصارى الإسبان احتفظوا في ظل الحكم الإسلامي بنوع من الحكومة الخاصة، واحتفظ الناس بأحوالهم القديمة دون تغيير كبير، وفيما يتعلق بالتشريع، فإنهم قد احتفظوا في باب النظم الكهنوتية بقوانين الكنيسة الإسبانية القديمة...»[(١)]. ويقرر المستشرق أشباخ إلى أن النصارى في ظل الحكم الاسلامي كانوا «يتمتعون بحرية الشعائر ويحتفظون ببعض القوانين القوطية ولهم أساقفتهم وقضاتهم»[(٢)].

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس ٦٦/١، ناقلاً عنه من مصدره الأجنبي، وقد أورد نصوصاً أخرى في هذا الباب.

(٢) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، للمؤرخ الألماني: يوسف أشباخ، ص٨٢، ترجمة: محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م، التاريخ السياسي والحضاري، السيد عبد العزيز سالم، ص٢٩٢، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٩م.

ومن الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

استدل **ابن العربي** «أنها مخصوصة في أهل الكتاب الذين يقرون على الجزية»[١] على أحد الأقوال في تفسيرها، ثم ذكر الأقوال هل هي منسوخة أم لا؟ وقال: «إذا كان الإكراه بغير حق لم يثبت حكماً، وكان وجوده كعدمة.. كإكراه الطلاق»[٢].

وكذا فسرها **ابن عطية** وأورد الأقوال فيها، وذكر عن «قتاده والضحاك: أن هذه الآية محكمة خاصة في أهل الكتاب الذين يبذلون الجزية، ويؤدونها عن يد صاغرة»[٣].

واستنتج بعد ذكر الأقوال بقوله: «قال القاضي أبو محمد: وعلى مذهب مالك في أن الجزية تؤخذ من كل كافر سوى قريش، أي نوع كان»[٤].

ومع كفر النصارى بالنبي ﷺ وهو رسول بين ظهرانيهم، وقد جالسوه وناظروه، ولم يهدر دماءهم ولم يستبح أموالهم عليه الصلاة والسلام، بل أكرمهم وأحسن وفادتهم. ونزلت آيات تصف حالهم وتنصفهم وتسمهم بالتواضع في قوله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٤].

قال **ابن عطية**: «وصف الله تعالى النصارى بأنهم لا يستكبرون، وهذا بيّن موجود فيهم حتى الآن»[٥]، وهذا غاية في منح الحرية الاعتقادية للنصارى وغيرهم، وهو يمثل نموذجاً أخلاقياً لسائر الأمم والشعوب.

---

(١) أحكام القرآن ١/ ٣١٠.
(٢) انظر: المصدر السابق ١/ ٣١١.
(٣) المحرر الوجيز ٢/ ٢٨١.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٨١.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٧٠.

ومن حفظ الإسلام للحرية والخصوصية الدينية أن الفقهاء الأندلسيين لم يمنعوا النصارى المعاهدين من القضاء لرعاياهم وتعيين القضاة لهم، وقد كانت للنصارى سلطاتهم الدينية التي يرأسها من يسمونه بقاضي النصارى أو قاضي العجم، وقد أشار ابن القوطية في تاريخ افتتاح الأندلس إلى كبيرهم في أيام عبد الرحمن الناصر، وهو القاضي حفص ابن ألبُر[١]، وهذا كبير النصارى وقاضيهم وعاقلهم وصاحب كتاب في النصرانية، ذكره الإمام القرطبي مراراً عند مناقشتهم في كتاب الإعلام[٢].

وكذلك أورد ابن حيان في مقتسبه في أيام الحكم المستنصر أسماء بعض هؤلاء ومنهم قاضي النصارى بقرطبة أصبغ بن عبد الله بن نبيل[٣]، وستأتي حادثته مع الخليفة بعد قليل.

وكذلك ذكر ابن حيان بعضهم، وذكرت في فصل التسامح[٤] حضور قضاة النصارى وقضاة وعلماء المسلمين مجالس الملك في استقبال الوفود النصرانية.

ومن حفظ خصوصياتهم الدينية أن علماء المسلمين كانوا يفتون بما يلائم هذه الخصوصية ففى نازلة استفتى فيها **ابن رشد** (الجد) أن رجلاً له أم عجوز عمياء هل يجوز له أن يصحبها إلى الكنيسة أو أن يعطيها مالاً؟

فأجاب بما حاصله: لا بأس أن يصحبها إلى الكنيسة، ولا يعطيها مالاً تذهب به؛ لأنه سبب لعمارة الكنيسة[٥].

حكم مولاتهم ومحبتهم ومودتهم:

محرمة لقول ربنا ﷻ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨]، قال **ابن برجان**:

---

(١) انظر: تاريخ افتتاح الأندلس ص٣١. (٢) انظر: الإعلام ١/٥٨، ٦٦.

(٣) انظر: المقتبس ٤/ ٦٤، ١٤٦.

(٤) انظر: فصل: موقف علماء الأندلس من الدعوة إلى التسامح.

(٥) انظر: البيان والتحصيل ٣/٢٠٦.

«موالاة الكافرين يخرج من الدين إذ المرء مع من أحب»[1].

قال **ابن العربي** تفسيرها: «هذا عموم في أن المؤمن لا يتخذ الكافر ولياً في نصره على عدوه ولا في أمانة ولا بطانة»[2].

«وقد نهي عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري (رضي الله عنهما) عن ذمي استكتبه باليمن وأمره بعزله»[3].

ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨].

قال أبو بكر: «لا خلاف بين علمائنا أن المراد به النهي عن مصاحبة الكفار من أهل الكتاب»[4].

وبمثل قول ابن العربي فسر **ابن حيان** هذه الآية بوجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم[5].

ولقوله تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

قال **ابن عطية**: «نهى الله تعالى المؤمنين بهذه الآية عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء في النصرة والخلطة المؤدية إلى الامتزاج والمعاضدة. وحكم هذه الآية باق، وكل من أكثر مخالطة هذين الصنفين فله حظ من هذا المقت الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وأما معاملة اليهودي والنصراني من غير مخالطة ولا ملابسة فلا تدخل في النهي»[6].

ثم ذكر بعض معاملات النبي ﷺ لأهل الكتاب مما لا يدخل في النهي.

وقال **القرطبي** لما فسر الآية: «وهذا يدل على قطع الموالاة شرعاً»[7].

وقال **ابن جزي**: «لفظها عام، وحكمها باق، ولا يدخل فيه معاملتهم

---

(١) تفسير ابن برجان مخطوط ورقة: ١٣٢.
(٢) أحكام القرآن ١/ ٣٥١.
(٣) المصدر السابق ١/ ٣٥١.
(٤) أحكام القرآن ١/ ٣٨٧.
(٥) انظر: البحر المحيط ٣/ ٣٨، ٣٩.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٢٦، ١٣٠.
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٢١٦.

في البيع والشراء، وشبهته ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ تغليظ الوعيد، عمن كان يعتقد معتقدهم فهو منهم من كل وجه، ومن خالفهم اعتقادهم وأحبهم فهو منهم في المقت عند الله، واستحقاق العقوبة»[1].

وعلى هذا التفسير الآنف ذهب **عبد السلام بن برجان**[2] في موالاة الكافرين من أهل الكتاب وقال: «لا شك أن موالاتهم من أرذل الرذائل، إذ لا موالاة إلا بمناسبة»[3].

ويشدد رَحِمَهُ اللَّهُ في تحريم توليهم واتخاذهم إخواناً من دون المؤمنين عند تأويل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥٧][4] وأنهم يحسدون المؤمنين ليردوهم عن دينهم. كما فسر عند قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩][5].

وعند تأويل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ...﴾ [آل عمران: ١٠٠][6].

وفي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨][7].

بل لقد نهى **ابن رشد** (الجد) أن لا يزوج المسلم ابنته أو أخته أو أمه أو مولاته إلا لمسلم، وإن كان لنصراني لم يحل ذلك، لقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن

---

(١) التسهيل العلوم التنزيل ١/ ١٨٠.

(٢) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال بن برجان، اللخمي الإفريقي الإشبيلي العارف شيخ الصوفية، مؤلف شرح الأسماء الحسنى وله تفسير غريب، كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث وعلم الكلام مع الاجتهاد في العبادة والزهد توفي غريباً بمراكش سنة ٥٣٦هـ ـ ١١٤١م. انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧٢، البلغة ١/ ١٢٤، شذرات الذهب ٢/ ١١٣.

(٣) انظر: تفسير ابن برجان مخطوط، ورقة: ٢٠٧، عند تفسير الآية أعلاه.

(٤) انظر: المصدر السابق، ورقة: ٢٠٧، عند تفسير الآية أعلاه.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ورقة: ٦٥.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ورقة: ١٥٤.

(٧) انظر: المصدر نفسه، ورقة: ١٥٦.

﴿وَلَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، بل يزوجها السلطان أو يردها إلى أهل دينها[١].

هذه عقيدة العلماء في موالاة الكافرين ومحبتهم ومناصرتهم، ومنها ينطلقون، وبها يفتون ويلزمون، وفي حوادث النوازل ما يدلنا على ذلك، في صدعهم بالحق وبيانه للناس فيمن تولاهم وقربهم.

ففي فتوى لأحد العلماء في هذا الباب: التحذير من اتخاذهم أولياء وتقريبهم ووضع نساء المسلمين لديهم، فيغرها أحد خنازير النصارى في دينها وفي نفسها، ويحول بينها وبين وليها بالارتداد في الدين، كما عرض لكنّة المعتمد بن عباد ومن لها من الأولاد، لما زوجها أبوها لألفونسو السادس اكتساباً لمحالفته[٢].

وابن أبي جمرة في شرحه «بهجة النفوس» يعتبر هذا من البلايا التي ابتليت بها الأمة، وأن هذا مخالف للدين ولنصوص الشريعة، ويقول محذراً من هذا المسلك الخطير على الدين وعلى مصلحة الأمة: «وقد جاء اليوم بعض الناس فاتخذوهم أصدقاء وكلفوهم الأشغال، وائتمنوهم عليها، فإنا لله وإنا إليه راجعون»[٣].

ولقد كفر العلماء من مالأ النصارى وأعانهم على المسلمين أو سلم إليهم البلاد والحصون والمعاقل ـ كما فعل بعض الأمراء الذين سيرد ذكرهم ـ من أجل التنازع على الإمارة، وفي ذلك إفناء وإبادة ومحو للإسلام والمسلمين.

ويقرر **ابن حزم**، وهو ممن عاش هذه المرحلة الرديئة في الأندلس بأن من شارك الكفار في حربهم وأعانهم فهو كافر[٤].

---

(١) انظر: البيان والتحصيل ٥/٦٦، ٨٠، ٣/ ٤٨١.

(٢) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق٢/٣٤٨، وقد شكك فيها مؤلف الكتاب وقال إنها أسطورة.

(٣) بهجة النفوس مخطوط أندلسي سابق ٢/ ٣.

(٤) انظر: المحلى ١١/ ٢٠٠.

ومن هؤلاء عمر بن حفصون المارق الذي لجأ إلى النصارى ووالاهم واتخذ جندهم أعواناً[1] يحارب بهم المسلمين.

وكان بعد لجوئه إليهم أعجب ثم تنصر ومات على ذلك[2]، وقد كفره العلماء ولعنوه ولما ذكره ابن حيان في تاريخه كان يلعنه ويسمه بالخروج والمروق من الدين[3]. فلعنة الله على كل ملحد عنيد، وما هي من الظالمين ببعيد.

ومنهم ابن مردنيش محمد بن سعد الجذامي الذي والاهم وأحبهم وآثر زيهم وكَلِف بلسانهم ثم احتمى بهم واصطنعهم وآذى بهم أهل الإسلام[4]، وقد أقذع العلماء في ذكره ووصفوه بما يليق به، ومنهم **لسان الدين بن الخطيب** لما ترجم له.

وخاطبه **ابن مغاور الشاطبي**[5] بخطاب شديد بعد أن استحضره أشياخ بلنسية واستنهضوه للكتابة، فكتب إليه محذراً له من الكفر واللحاق بهم، وقد

---

(١) انظر: المقتبس ٢/ ٧٢ ـ ٧٨، البيان المغرب ٢/ ١٣١ ـ ١٣٣، ١٧١، ١٨٢، ١٩٥.

(٢) انظر: تاريخ النصارى في الأندلس، ص٢٢٠، ٢٣٤، وقد دارت معركة بينه وبين المسلمين سميت «بلاي» كان المسلمون خلالها يرتلون الآيات، بينما كان القسيسون يرتلون الإنجيل، وقد صور ابن عبد ربه هذه المعركة الدينية الجارية في عيد فصحهم بقوله:

كأن بلايا والخنازير حولها ... مقطعة الأوصال أنيابها كلح
ديار الذين كذبوا رسل ربهم ... فلاقوا عذاباً كان موعده الصبح
أقمنا عليها اللهو في يوم عيدهم ... فكم لهم فصحاً به قُطع الفصح
ألا تعست تلك الوجوه وقبحت ... فما خلقاً إلا لها التعس والقبح

انظر: ديوان ابن عبد ربه، ص٤٤، ٤٥.

(٣) انظر: المقتبس ٢/ ٧٢ ـ ٧٨.

(٤) انظر: الإحاطة ٢/ ١٢١ ـ ١٢٧.

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن مغاور بن حكم السلمي، من أهل شاطبة، يكنى أبا بكر، حدث عن الصدفي والباجي وجلة من العلماء، كان في وقته بقية مشيخة الكتاب وحلة الأدباء المشاهير بالأندلس، مع الثقة والصدق، كان خطيباً مفوهاً، له كتاب عظيم في الأدب، توفي سنة ٥٨٧هـ. انظر: التكملة ٣/ ٣٩، العبر في خبر من عبر ٤/ ٢٦١، نفح الطيب ٣/ ٣٣١.

ابتدأ الرسالة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51)﴾ [المائدة: ٥١] ثم دعاه إلى الدخول في الطاعة وذكره بدعوة التوحيد، ثم تهدده وتوعده إن أبى ذلك[١].

وممن ولّاهم ولحق بهم التجيبي، معد بن عبد العزيز أبو الأحوص، وقاتل المسلمين بهم، وكان يدلهم على عورات المسلمين، حتى أمكن الله منه وقيض عليه وعلى أصحابه وصلبوا وقطعت رؤوسهم. وقد وصفه ابن حيان بالمرتد المجرم[٢].

هذه ثمرة موالاة النصارى واليهود والركون إليهم، الردة وخسارة الدنيا والآخرة. وذاك موقف العلماء من موالاتهم والتقرب إليهم.

ولم يقتصر العلماء في الإنكار على هؤلاء الظلمة الذين يتخذونهم أولياء من دون المؤمنين، بل يتعدى ذلك إلى تأليب الجماهير، علهم يرعوون عن غيهم ويعودون إلى رشدهم. فها هو الفقيه الزاهد **أبو اسحاق الإلبيري**[٣] لما استوزر باديس بن حبوس، صاحب غرناطة اليهودي الشهير بابن نغريلة، وأعضل داؤه المسلمين، وقرب اليهود وأمسكوا بزمام الأمور، فأفسدوا البلاد والعباد، قال قصيدته النونية المشهورة، التي تبلغ أربعين وثلاثة أبيات، وهي قصيدة طنانة رنانة كان لها أثرها البالغ، ومنها:

ألا قل لصنهاجة[٤] أجمعين ... بدور الزمان وأسد العرين

لقد زل سيدكم زلة ... أقر بها أعين الشامتين

---

(١) انظر: ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره، دراسة: محمد بن شريفة، ص٤٨، ٤٩، ط. الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) انظر: المقتبس ٤/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٣) لم أعرفه.

(٤) صنهاجة: قبيلة مشهورة من حمير وهي بالمغرب، قال ابن دريد، صُنهاجة بضم الصاد وأجاز غيره كسرها، وفيهم يقول الشاعر:

قوم لهم درك العلا في حمير ... وإن انتموا صنهاجة فهم هم

لما علوا أحرار كل قبيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا

انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢٦٦، شذرات الذهب ٢/ ٤١٣، المغرب ٢/ ١٣٣.

تخير كاتبه كافراً ... ولو شاء كان من المؤمنين

فعز اليهود به وانتخوا ... وسادوا وتاهوا على المسلمين

وكيف انفردت بتقريبهم ... وهم في البلاد من المبعدين

ومنها محرضاً عليه وعلى اليهود:

فبادر إلى ذبحه قربة ... وضح به فهو كبش سمين

ولا ترفع الضغط عن رهطه ... فقد كنزوا كل علق ثمين[(١)]

وقد عقب صاحب نفح الطيب على الحادثة بقوله:

«وهي قصيدة طويلة، فثارت إذ ذاك صنهاجة على اليهود، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وفيهم الوزير المذكور. فأراح الله البلاد والعباد ببركة هذا الشيخ الذي نور الحق على كلامه باد»[(٢)].

فلما هلك استوزر بعده وزيراً نصرانياً، فقال أبو القاسم خلف الإلبيري المعروف بالسميسر:

كل يوم إلى ورا ... بدل البول بالخرا

فزماناً تهودا ... وزماناً تنصرا

وسيصبو إلى المجوس ... إذا الشيخ عمرا[(٣)]

وقد تكلم العلامة **أبو بكر الطرطوشي** عن موالاتهم في سراج الملوك تحت باب: في أحكام أهل الذمة، واعتبر أن من أخذ منهم كتاباً فقد والاهم

---

(١) انظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق١/٢/٢٧١، ٢٧٢، الإحاطة ١/٤٣٩، ٤٤٠، أعمال الأعلام، ص٢٣١ ـ ٢٣٣، البيان المغرب ٣/٢٦٢ ـ ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) نفح الطيب ٤/٣٢٢، المغرب ٢/١١٤. وذكر صاحب المغرب أن ابنه هرب إلى المغرب، وهجا المسلمين بقصيدة منها:

أقتيلاً بسنجل ليس تخشى ... حشر جسم وقد سمعت النصيحا

غودر الجسم في التراب طريحا ... وغدا الروح في البرية ريحا

أيها الغادرون هلا وفيتم ... وفديتم شبه الذبيح الذبيحا

إن يكن قتلكم له دون ذنب ... قد قتلنا من قبل ذاك المسيحا

ونبياً من هاشم قد سممنا ... خر من أكله الذراع طريحا

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٥٥، ٢٥٦.

وارتكب ما نهى الله عنه. واستدل على ذلك بما روي عن عمر لما أتخذ أبو موسى كاتباً نصرانياً، فزجره وقال: وليت ذمياً على المسلمين؟ ألم تسمع قـول الله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١﴾ [المائدة: ٥١] ألا اتخذت حنيفاً، ثم قال: لا أكرمهم وقد أذلهم الله، ولا أعزهم إذ أهانهم الله.

ثم ذكر ما فعله عمر بن عبد العزيز لما استعمل أحد عماله غير مسلم، فنهاه عن ذلك واستدل بالآية وبأدلة من السنّة في الاستعانة بالمشركين[١].

وقد أفتى **ابن رشد** أنه لا يستعان بالنصارى في حروبهم، وإن شاركوا المسلمين قسم لهم من الغنيمة قبل تخميسها، ولا أحب أن يأذن لهم الإمام بالغزو مع المسلمين[٢]، ولما استفتي هل يستكتب النصراني؟

أجاب: لا أرى ذلك؛ لأنه يستشار في أمور المسلمين أفيستشار نصراني في أمور المسلمين؟[٣].

وإلى المنع ذهب **أبو العباس القرطبي** في المفهم، فذكر تحت كتاب الجهاد، باب ترك الاستعانة بالمشركين، وذكر كراهة العلماء للحديث الوارد. ثم إذا اشتركوا في الغزو هل يسهم لهم؟ ذكر خلاف العلماء في ذلك، وأنهم لا يعطون من الفيء شيئاً، وإنما لهم ما صالحوا عليه[٤].

تكريم وإعزاز المسلم مقابل اليهود والنصارى:

إذ ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ [الحشر: ٢٠] ولا يستوي المهتدي والضال، ولا المؤمن والمشرك ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٣٥﴾ [القلم: ٣٥].

والمسلم هو المكرم العزيز؛ لأنه يحمل دين الله الحق ويدعو إليه ويجاهد في سبيله ويقابله المهان الذليل الصاغر وهم المشركون بأصنافهم وأشكالهم، ومنهم كفرة أهل الكتاب الذين يحادون الله ورسوله.

---

(١) انظر: سراج الملوك، ص٣٢١، ٣٢٢.
(٢) انظر: البيان والتحصيل ٣/ ٨٥، ٥٠٩. (٣) انظر: المصدر السابق ٩/ ٣٤٣.
(٤) انظر: المفهم ٣/ ٦٩٥.

وليس من العقل أو الشرع أو العدل أن يفضل الكافر على المسلم أو أن يعز المشرك ويهان المؤمن في أي معاملة كانت دينيه أو دنيوية حسية أو معنوية، بل هم الأذلون الأدنون، ولا يجوز قطعاً وطبعاً أن يكون للكافر سبيل على المؤمن لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١].

أي لن يجعل لهم حجة وغلبة[١] على المؤمنين. وكذا «لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً يمحو به دولة المؤمنين ويذهب آثارهم ويستبيح بيضتهم»[٢] أو «أن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً بالشرع، فإن وجد ذلك فبخلاف الشرع، ونزع بهذا علماؤنا في الاحتجاج على أن الكافر لا يملك العبد المسلم»[٣].

ومن هذا المنطلق صدرت فتاوى ورسائل ونوازل وأحكام علماء الأندلس، وعن شريعة الله يغدون وإليها يؤوبون، والمواقف العملية والفتاوى العلمية كثيرة وفيرة، والمتأمل لها يخرج بنتيجة واضحة وهي أن هؤلاء العلماء بفقههم ووعيهم كانوا يدركون جيداً قيمة الإنسان المسلم، الذي ينبغي ألا يذل إلا الله ولا يطأطئ لغير مولاه، فضلاً عن أن يذل لعابد الصليب والخنزير أو عابد العجل وعزير.

فابن **عبدون** في رسالته في الحسبة يقول: «يجب أن لا يحمل مسلم اليهودي ولا النصراني، ولا يرمي زبلة ولا ينقي كنيفة. فاليهودي والنصراني كانوا أولى بهذه الصنع؛ لأنها صنع الأرذلين، لا يخدم مسلم دابة يهودي ولا نصراني ولا يستزمل[٤] له ولا يضبط بركابه، وإن عرف هذا أنكر على فاعله»[٥].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٨. (٢) أحكام القرآن ١/ ٦٤٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ٦٤١، وللمزيد انظر: الاستفاضة في تفسيرها عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤١٩ ـ ٤٢١.

(٤) يستزمل: أي لا يحمل له والزمل: الحمل. انظر: لسان العرب ١١/ ٣١٠، القاموس المحيط، ص١٣٠٦.

(٥) رسالة ابن عبدون، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، ص٤٨.

ويضع **ابن أبي جمرة الأندلسي** قاعدة في مهادنة المشركين، شرط أن لا يكون فيه ذلة على المسلمين، فيقول مستدلاً بحديث مهادنة المشركين في عهد النبي ﷺ[1] «.. فيه دليل على أن المهادنة بين المسلمين والمشركين جائزة بشرط أن لا يكون على المسلمين فيه حيف، ولا يعطون شيئاً لهم؛ لأن النبي ﷺ قد صالحهم بنص هذا الحديث، ولم يصالحهم بشيء قط وعلى المسلمين فيه حيف ولا أعطاهم شيئاً قط، وقد قال ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[2] وعلى هذا فإذا كر العدو في موضع حتى لا يقدر على قتاله فالخروج من الموضع إذ ذاك، لا سبيل إلى الإذعان إليهم في شيء ما، لا بالمال ولا بالخدمة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨]»[3].

وفي سراج الملوك **لأبي بكر الطرطوشي**[4] لبعض بنود المعاهدة مع أهل الذمة ومنها إكرام المسلمين وتوقيرهم والقيام لهم من المجالس وأن لا يتشبهوا

---

(١) انظر: حديث أسماء بن أبي بكر في البخاري ٣/ ١١٦٢، رقم (٣٠١٢)، باب إثم من عاهد ثم غدر...، ومسلم ٢/ ٦٩٦، رقم (١٠٠٣)، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين... ولو كانوا مشركين. وأبو داود ٢/ ١٢٧، رقم (١٦٦٨)، باب الصدقة على أهل الذمة. والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٧٨، رقم (٢٠٣). وابن حبان ٢/ ١٩٧، رقم (٤٥٢)، ذكر الإباحة للمرء صلة قرابته إذا طمع في إسلامهم.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢٠٥، رقم (١١٩٣٥)، باب ذكر بعض من صار مسلماً بإسلام أبويه. والدارقطني في سننه ٣/ ٢٥٢، رقم (٣٠). والطحاوي في شرح معاني الآثار ٣/ ٢٥٧، باب الرجل يسلم في دار الحرب. وهو مقطع صغير من حديث طويل عند الطبراني في المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني ٢/ ٨٠، رقم (٩٤٨)، تحقيق: محمد شكور، محمود الحاج، المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت، عمان، ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ.

(٣) بهجة النفوس مخطوط أندلسي ٢/ ٨٠.

(٤) هو أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري، المعروف بابن رندقة الطرطوشي، الإمام الفقيه الحافظ الثقة الفاضل الجليل القدر، صحب أبا الوليد الباجي وأخذ عنه وأجازه ورحل إلى المشرق، وأخذ عن جماعات العلماء وعنه من لا يحصى، له تآليف مفيدة منها: سراج الملوك ومختصر تفسير الثعالبي ورسالة في تحريم جبن الروم وغيرها، توفي سنة ٥٢٠هـ. انظر: شجرة النور الزكية، ص١٢٤، ١٢٥.

بشيء من لباس المسلمين في عمامة أو نصال، وأن لا يكتنوا بكناهم وألا يتقلدوا السيوف، وألا يحملوا معهم شيء من السلاح، وأن لا يظهروا شعائرهم وأن يشدوا على أوساطهم الزنانير، وأن لا يطلعوا على منازل المسلمين.. وإن نقضوا ذلك فلا عهد لهم ولا ذمة[١].

قلت: وليته اطلع على أحوال المسلمين في هذا الزمان لرأى ما يدمى القلب ويدمع العين من تقريبهم وإعزازهم واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، والله المستعان.

وهذا العلامة **الجرسيفي**[٢] يوصي «بمنع أهل الذمة من الإشراف على المسلمين في منازلهم، والتكشيف عليهم ومن إظهار الخمر والخنزير في أسواق المسلمين، ومن ركوب الخيل بالسروج والزي بما هو من زي المسلمين، أو بما هو أبهة، وينصب عليهم علماً يمتازون به من المسلمين». ويشدد رحمه الله في أي عمل فيه ذل على المسلم، «ويمنع المسلمين أن يحاولوا لهم كل ما فيه خساسة أو إذلال للمسلمين، كطرح الكناسة ونقل آلات الخمر، ورعاية الخنازير وشبه ذلك، لما فيه من علو الكفر على الإسلام، ويؤدب من فعل ذلك»[٣].

ومن إعزاز المسلم أن لا يقتل بكافر يهودي أو نصراني أو غيرهما، وقد ذكر هذه المسألة الإمام **ابن عبد البر** في استذكاره، وذكر خلاف أهل العلم في هذه المسألة التي رجحها بقوله ﷺ «لا يقتل مسلم بكافر»[٤].

---

(١) انظر: سراج الملوك، باب في أحكام أهل الذمة، ص٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٢) لم أجد له ترجمة غير اسمه، وقد ذكره ناشرها دون ترجمته، واسمه: عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي. ثلاث رسائل أندلسية، ص١١٩.

(٣) رسالة الجرسيفي في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية، ص١٢٢.

(٤) انظر: الاستذكار ٢٥/ ١٧٠ وما بعدها.

والحديث رواه البخاري ١/ ٥٣، رقم (١١١)، باب كتابة العلم. وأحمد في مسنده ١/ ٧٩، رقم (٣٩٩٢٥). وأبو داود في سننه ٤/ ١٧٣، رقم (١٩٠٨٤)، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم. والنسائي في الكبرى ٤/ ٢٢٠، رقم (٩٣٤٤٤)، سقوط القود من المسلم. والترمذي ٤/ ٢٤، رقم (٢١٢٦٧)، باب ما جاء في النهي عن المثلة.

وعن هذه المسألة هل تستوي دية المسلم مع الكافر أم لا؟ وكذا دية دوابهما؟.

ذهب كثير من أهل العلم أن دية الكافر نصف دية المسلم وكذا دوابهما والمسألة محل خلاف[1].

ومن ذلك أن القاضي **أسلم بن عبد العزيز**[2] استجارت به امرأة من المسلمين، كانت لدى أحد النصارى المعاهدين، وقد استنزلهم الأمير بالعهد، فأرسل إليه الأمير أن يخلي بينها وبين النصراني للعهد الذي بينهم، فامتنع القاضي من النظر في أي قضية حتى ينفذ ما يجب عليه من الحق في هذه الحرة المسلمة، فذهب الحاجب إلى الأمير وأخبره فرد الأمير أني لا أعترضك في الحق وأنت أعلم بالواجب[3].

وفي نظير هذه المسألة يؤكد **ابن حزم** أن لا سبيل للكافر على المسلمة «فإذا أسلمت المرأة من زوج ذمي أو حربي فحين إسلامها انفسخ نكاحها منه سواء أسلم بعدها أو لم يسلم لا سبيل له عليها إلا بابتداء نكاح برضاها»[4].

ومن ذلك: أن النصراني يعتق عبده المسلم قبل أن يباع عليه: «فإن مالكاً وأصحابه يقولون ليس له من ولائه شيء، وولاؤه لجماعة المسلمين ولا يرجع إليه الولاء أبداً»، وحجتهم «أن إسلام عبده النصراني يرفع ملكه عنه ويوجب إخراجه عن يده»[5].

وهكذا سئل **أبو لبابة** «عن النصراني يشتري المسلمة فيعتقها؟

فأجاب: العتق ثابت وولاؤها للمسلم، فإن أرادت الخروج من عنده فهي حرة تذهب حيث شاءت»[6]، وذهب **ابن رشد** أن أهل الذمة من يهود ونصارى لا يكون من حقهم أن يملكوا عبيداً من المسلمين، وأنه إذا أسلم

(١) انظر: التمهيد ١٢/٣٥٩ وما بعدها، والاستذكار ٢٥ / ١٦٠ وما بعدها.
(٢) سبقت ترجمته في الباب الثاني، الفصل الأول.
(٣) انظر: قضاة قرطبة، ص٢١٣، ٢١٤.
(٤) انظر: المحلى ٤/٣١٢.
(٥) التمهيد ٣/٦٨، وانظر: البيان والتحصيل ٢/٩١.
(٦) المعيار المعرب ٥/٢٥٣.

العبد يباع على سيده الذمي[1].

وكذا ذهب **ابن حزم** أنه بعد إسلامه لا سلطة له عليه[2].

ولما سئل أن الروم يدخلون أرض الإسلام ومعهم رقيق مسلم أيباعون أم يقرون بأيديهم؟ فأجاب: لا يتركون، ويمنعون من ذلك أشد المنع، وقيل لهم أن يرجعوا بهم إن شاؤوا[3].

وعن جماعة من أهل العلم «قالوا ولا يزيل إسلام عبد النصراني ملكه عنه، وإنما يمنع استقراره واستدامته»[4].

وهذا الذي ذكره علماء الإسلام معتمدين على النصوص الشرعية، ليس ببدع من القول بل قد مارسته أمم ودول، فالدولة البيزنطية كانت تحرم على غير النصراني اتخاذ عبيد من النصارى[5]. ومن باب أولى وأولى أن يكون ذلك للمسلمين.

ويشمل إعزاز المسلم كل شيء في الحياة حتى في البيع والشراء.. ففي وثائق المرابطين والموحدين أن رجلاً في وثيقة توكيل ذمي ومسلم، فيها منقصة وذل للمسلم، فأفتى أن «في ذلك ذل وصغار وقد أغنى الله بالمسلمين»[6].

ويتعدى ذلك إلى الأحوال الدينية والاجتماعية، ففي مسائل **ابن الحاج**[7] «في سماع ابن عتاب في رسم أستاذه، كتاب الحج ما يستدل منه

---

(١) انظر: المقدمات الممهدات لبيان اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات، لابن رشد الجد ١/٣٦٣.

(٢) انظر: المحلى ٤/٣١٨.

(٣) انظر: البيان والتحصيل ٢/٩١.

(٤) التمهيد ٣/٧١.

(٥) انظر: تاريخ النصارى في الأندلس، ص١٠٧.

(٦) وثائق المرابطين والموحدين، ص٥٢٥، ٥٢٦.

(٧) هو أبو عبد الله بن أحمد بن خلف بن الحاج التجيبي القرطبي المالكي، روى عن طائفة من العلماء، وكان من جلة العلماء وكبارهم متبحراً في العلوم والآداب، ولم يكن في زمانه أطلب للعلم منه مع الدين والخشوع، قتل شهيداً وهو يصلي عام ٥٢٩هـ. انظر: شذرات الذهب ٢/٩٣، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٤٤، العبر في خبر من عبر ٤/٧٩.

على النصراني أو اليهودي إذا حبس على المسجد حبساً أنه لا ينعقد ويرجع»[١].

وكذا في الطب والتطبيب ـ وما فيهما من هيمنة وسلطة لا تخفى ـ ينهي **ابن عبدون** أن «لا يترك طبيباً يهودياً أو نصرانياً أن يجلس ليطبب المسلمين؛ فإنهم لا يرون نصيحة مسلم، إلا أن يطببوا أهل ملتهم، ومن لا يرى نصيحة مسلم كيف يوثق على المهج؟»[٢]. وسيأتي تحذير أحد الفقهاء من هؤلاء الكتابيين الكفرة الأطباء في أبيات حسنة.

ورفع قدر المسلم واجب حتى بعد مماته، فلا يؤذى في قبره من مسلم فكيف بكافر؟. وفي وثائق أحكام الذمة **لابن سهل** لما سئل عن حكم مرور النصارى فوق مقابر المسلمين بالعجل قال: «الذي نرى أن يتقدم إلى العجالين ألا يسلكوا بعَجَلِهم على المقابر، وأن يكون مسلكهم بغربيها في الفناء المتسع الذي لا قبور به، وينهي العجم عن المرور على مقابرنا لوطئهم قبور المسلمين ومشيهم عليها، وقد ينهى المسلمون عن المشي عليها، فكيف بأنجاس الكفار»[٣].

هذا في إعزاز ورفع قدر وشأن وذات المسلم عليهم، أما في إهانتهم وإذلالهم أمام المسلمين، فالكلام فيها ليس باليسير، ولعلماء الأندلس فيها الباع الطويل غير القصير، إذا بالاحتكاك معهم يظهر ذلك من خلال مواقف وفتاوى هؤلاء العلماء الإجلاء.

فابن العربي في رسالة له إلى أحد أصحابه يذكره ببعض أحكامهم أن لا نبدأهم بالسلام، وأن نضطرهم إلى أضيق الطريق ـ وذكر الوثيقة التي كتبوها لعمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس ـ أن يوقروا المسلمين ويقوموا لهم من المجالس، ولا يتشبهوا بلباس المسلمين وأن لا يكتنوا بكناهم، وأن لا

---

(١) مسائل ابن الحاج، مخطوط أندلسي، بلا ترقيم، ورقة: ٢٥ من بداية المخطوط.

(٢) ثلاث رسائل في الحسبة، ص٥٧.

(٣) وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص٨١.

يتقلدوا السيوف، وأن لا يظهروا الخنزير والخمر في شيء من طرق المسلمين، وأن يضربوا بالنواقيس ضرباً خفيفاً[1]. ثم فصل في شكل العمامة واللباس بأن لا يكون من الفاخر الغالي الثمن، إلى غير ذلك من الشروط.

وفي شرحه للترمذي لما تعرض للقتال معهم أنهم «يساوونا في الأمنة والعصمة على صغار وذلة»[2]. ثم ذكر شروطاً في التعامل كالسلام واللباس والمركب ونحوها.

وعند **ابن رشد** أنهم لا يبدؤون بالسلام؛ لأنه تحية وإكرام وقد قال الله ﷻ ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١] فيجب أن لا يكون الكافر أهلاً لها.

ثم استدل على ذلك بأدلة من السنّة[3].

وفي سير العلماء والأمراء من التطبيقات العلمية لهذا المنهج المستقيم الدقيق ما يفيد أنه قول وفعل وتطبيق.

فالإمام **أبو بكر الطرطوشي** ـ الذي كان يعظ الملوك ويصدع بالحق ـ دخل على أحد الأمراء يعظه ويذكره بالله بموعظه بليغة، وكان إلى جوار الأمير رجل نصراني، فأنشده:

يـاذا الـذي طـاعـتـه قـربـة ... وحـقـه مـفـتـرض واجـب
إن الـذي شُـرفـت مـن أجـلـه ... يـزعـم هـذا أنـه كـاذب

وأشار إلى ذلك النصراني، فأقامه الأمير من موضعه[4].

ومن ذلك: إذلال الحكم المستنصر ـ أحد أمراء الأمويين ـ لملك من ملوك النصارى بحضرة العلماء والقضاة حيث دخل حقيراً ذليلاً يقبل الأرض ويسجد بين يديه[5].

---

(١) انظر: المعيار المعرب ٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٧. (٢) عارضة الأحوذي ٧/ ١٠٤، ٤/ ٩٩.
(٣) انظر: المقدمات ٣/ ٤٤١، ٤٤٢.
(٤) انظر: أزهار الرياض، ٣/ ٦٥، نفح الطيب ٢/ ٨٧.
(٥) انظر: نفح الطيب ١/ ٣٩٠، ٣٩١، دولة الإسلام في الأندلس ق١/ ٢/ ٤٨٥.

وإن ذكر إذلالهم وصغارهم فلا ينسى العالم الفقيه الأمير القائد الشجاع **المنصور بن أبي عامر** الذي غزاهم ما يزيد على خمسين غزوة، لم يهزم في واحدة منها، فأذلهم ودوخ ملوكهم ووصل إلى أقاصي ديارهم فاتحاً مجاهداً، وله الكثير من المواقف العملية في هذا الباب(١)، وسيأتى بعد صفحات بعض ذلك.

ومن ذلك: أن بعض الملوك المسلمين لما قبّل ملك النصارى يده أمر بالماء ليغسل يده من قبلة ذلك الملك النصراني(٢).

إلى غير ذلك من المواقف الرائعة الناصعة، التي ندعوا الله تعالى أن يعيدها جذعة، لنرى عز الإسلام وأهله.

العدل فيهم وإنصافهم وحفظ حقوقهم وخصوصياتهم، وحفظ العهود والمواثيق معهم:

وهذا ما أقره دين الإسلام مع جميع الناس، ومنهم أهل الكتاب، وأخصهم المعاهدين. ومواقف العلماء والقضاة الأندلسيين كثيرة في هذا. فعند تفسير **ابن العربي** لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]. يشدد ابن العربي في العدل معهم، أو أن نفعل كفعل اليهود.

ويورد في مسألة عن ابن عباس أنه قال له رجل «إنا نصيب من الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة، ونقول: ليس بذلك علينا بأس.

فقال: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم»(٣). وهذا هو الرقي الحضاري الإنساني في مثله العليا، جاء بها الإسلام من مبعث نبيه عليه الصلاة والسلام. إذ يحرم على أتباعه دجاجة أو شاة ـ في حالة حرب ـ على

(١) انظر: ذلك في أزهار الرياض ١٠٦/٥ ـ ٢٣، الإكسير في فكاك الأسير، محمد بن عثمان المكناسي، ص١٦ ـ ١٧، تحقيق: محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م.

(٢) انظر: نفخ الطيب ١٢٠/٥، ١٢١.

(٣) أحكام القرآن ٣٦٣/١.

المخالفين في الدين والعقيدة؟ أين هذا مما فعله النصارى بالمسلمين ابتداءً من الحروب الصليبية إلى يومنا هذا من استحلال الدماء والأعراض والأموال والإبادات الجماعية الدينية والعرقية لمن خالفهم في النسب والعرق أو الدين.

وفي تمهيد **ابن عبد البر** يورد فيه[1] النهي عن قتل النساء والأطفال والشيوخ من الحربيين، وفيه النهي عن المثلة. ويورد جملة أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ، ويفصلها شارحاً لها ذاكراً أقوال أهل الفهم فيها.

وبذلك يفتي أهل العلم جنودهم بحرمة دماء النساء والأطفال والشيوخ في نوازلهم[2] إذا سئلوا من أهل الإسلام. وفي نازلة أفتى فيها **ابن رشد** (الجد) فتوى توضح هذا الرقي الأخلاقي المستمد من أخلاق الأنبياء بما يوحيه خالق السماء لما سئل هل يُغار على أهل الحصن من الروم دون أن يؤذنوا؟ فأجاب: لا أحب لهم أن يقاتلوا حتى يؤذنوا، ولا يغار عليهم؛ لأنهم إنما يقاتلون للدين لا للغلبة، ويستحب إذا دخلوا أرض الروم أن يدعوهم إلى الإسلام قبل الغارة عليهم[3].

وأفتى جواباً على استفتاء أن الجيش المسلم يمر بأموال الرهبان وعبيدهم وزروعهم فلا يمسوا منه شيئاً ولا يهيجوه[4]. فأين هذه الفتوى من عمل رجال الدين النصارى الذين لبسوا جلود الضأن وأبطنوا قلوب الذئاب، الذين يحرضون أتباعهم على الفتك والقتل والغدر حتى بالشيوخ والعباد في صوامعهم؟!.

ومن ذلك: الوفاء بالعهود والمواثيق. ويورد هذا الحافظ **ابن عبد البر** في باب سماه به، ويذكر تحته أحاديث توجب ذلك على المسلمين[5].

وهذا يخص بالذات أمراء وحكام المسلمين وقادتهم، وقد كان لهم

---

(١) انظر: التمهيد ٤/ ٥٤ ـ ٨٢.
(٢) انظر: المعيار المعرب ٢/ ١١٣.
(٣) انظر: البيان والتحصيل ٢/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧.
(٤) انظر: المصدر السابق ٢/ ٥٢٥، ٥٣٦.
(٥) انظر: الاستذكار ١٤/ ٨٣ وما بعدها.

الكثير من المعاهدات والعهود مع المعاهدين ومع الدول، كعهد عبد العزيز بن موسى بن نصير مع أهل إسبانيا النصارى[1]، وكذلك معاهدة عبد الرحمن الداخل مع جيرانه من النصارى[2]، وكذا معاهدة بين سلاطين وملوك الأندلس مع ملك أرغون[3].

ولما دخل المسلمون البلاد الأندلسية، بلاد النصارى الذين استنجدوا بالمسلمين ومنهم الكونت يوليان، تذكر الروايات التاريخية أن المسلمين قلدوه الإمارة[4] على بعض المدن جزاء جهوده في دخول المسلمين إلى تلك الديار[5] ولعل هذا كان وفاء بعهد له لما جاز إلى العدوة المغربية للاستنجاد، وهي فترة لم تكتب أحداثها بدقة.

ومن هذا ما ذكره **ابن العربي** واستدل عليه من غزو أهل الذمة مع المسلمين، ومدى إباحته واستدل بأحاديث وذكر الخلاف في إباحته ومنعه[6] ومن أباحه أشركهم في الغنيمة بأن يسهم لهم.

وقد تكلم على هذا في تفسيره لسورة آل عمران، «وأن الصحيح منعه لقوله ﷺ: «إنا لا نستعين بمشرك»[7]، وأقول، إن كانت في ذلك فائدة

---

(١) انظر: الباب الثاني فصل: موقفهم من الدعوة إلى التسامح، وانظر: نص المعاهدة في الوثائق السياسية والإدارية، ص١٢٠، ١٣٤.

(٢) انظر: الفصل المذكور أعلاه، ص٥٨٨.

(٣) انظر: الوثائق السياسية والادارية، ص٤٥٤.

(٤) أجاز الإمام أبو يعلى تقليد الذمي وزارة التنفيذ، وهي التي يتولى صاحبها تنفيذ أوامر الإمام بشروط مشددة. انظر: الأحكام السلطانية، للإمام أبي يعلى أحمد بن الحسين الفراء، ص٣٢، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. الثانية، ١٣٦٨هـ - ١٩٦٩م، مطبعة الحلبي، كما أجاز الماوردي أن يكون عامله على الفيء ذمياً، إن كانت معاملاته مع أهل الذمة. انظر: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للإمام علي بن محمد الماوردي، ص١٦٦، نشر: محمد فهمي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ١٩٧٨م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥) انظر: دولة الإسلام في الأندلس ق١ /١/ ٦٠.

(٦) انظر: تحفة الأحوذي ٤/ ٦١، ٦٢.

(٧) رواه مسلم ٣/١٤٤٩، رقم (١١٧٢٤)، كتاب الجهاد، باب غزوة ذات الرقاع، =

محققة فلا بأس به»[1].

ومن حفظ حقوقهم وخصوصياتهم التي أقرهم عليها فقهاء الإسلام أنهم جعلوا للنصارى قضاة تتحاكم إليهم النصارى[2].

وقد يتحاكمون للمسلمين مع بعضهم أو مع بعض المسلمين، ولم يمنع هذا قضاة المسلمين من إحقاق حقهم إن كان الحق معهم، بل حافظوا على خصوصياتهم، ويتضح هذا من خلال بعض النوازل والفتاوى، ففي نازلة **لابن زرب**[3]، أن الذمية «إذا أرادت النكاح ومنعها أهل دينها لزم السلطان أن يجبرهم على إنكاحها؛ لأن منعهم لها من الظلم، ويجب أن يمنعوا من ظلم بعضهم لبعض، ولو ذهبت إلى نكاح مسلم، لم يجبرهم على العقد عليها»[4].

أما **ابن حزم** فإنه يحكم على اليهود والنصارى والمجوس بحكم أهل الإسلام في كل شيء، رضوا أم سخطوا أتونا أم لم يأتونا، ولا يحل ردهم إلى حكم دينهم أصلاً[5]، ثم أورد أقوال أهل العلم في ذلك ودليل كل منهم مستدلاً بآثار فيه، واستثنى بعض الأحكام التي لا تطبق عليهم كالزكاة والحج والجهاد والصيام... إلخ.

كما أوجب إقامته الحدود عليهم وذكر مذاهب العلماء في ذلك ثم ذكر الخلاف في الزنا والسرقة والقذف وغيرها من الحدود[6].

وعند **ابن رشد** (الجد) أنه إذا زنى الكافر بكافرة فلا حد على واحد منهما عندنا حرين أو عبدين، بكرين أو ثيبين ويؤدبان عليه إن أعلناه[7].

= والترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين هل يسهم لهم، رقم (١٥٦٤). والطبراني في الكبير ٤/ ٢٢٤، رقم (٤١٩٦).

(١) أحكام القرآن ١/ ٣٥١.

(٢) سبقت آنفاً. انظر: هذا الفصل.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) وثائق الفشتالي، مخطوط ورقة: ٢٠٠، وعين المسألة في نوازل ابن بشتغير، مخطوط، ص٥٥.

(٥) المحلى ٦/ ٤٢٥، ٦٢٦.

(٦) انظر: المصدر السابق، الجزء والصفحة.

(٧) انظر: المقدمات ٣/ ٢٤١.

ومن ذلك إقرارهم على أموالهم ملكاً وكسباً وتركة.

وعند **ابن عبد البر** أن نصرانية توفيت فمن يرثها؟.

والجواب يرثها أهلها فإذا لم يكن لها أهل، فمالها لبيت المال[(١)].

وقد سئل **ابن عتاب**[(٢)] عن حكم أحباس وأوقاف النصارى على اليهود على كنائسهم، فأجازها وأجاز كذلك بيعها، بل إن الذمي إذا حبس وأراد الرجوع بنقده أو بيعه لم يعرض له ولا منع منه[(٣)].

وعند **ابن بشتغير** في نوازله «وروى عيسى عن ابن القاسم فيما باعه الأسقف من أرض الكنيسة أنه جائز إذا كانوا يؤدون ما عليهم من الجزية، وروى عن أصبغ أن ذلك لا يجوز للمسلم شراؤه»[(٤)].

ومن العدل معهم أن **ابن رشد** سئل عن نازلة أن المسلمين بقرطبة تعرفوا على أموال بأيدي النصارى من طليطلة أيام الصلح فهل يأخذونها؟.

فأجاب بما فحواه: أنه لا بد من التثبت في ذلك وعدم أخذ ما بأيديهم إلا ببينة، وتأكد من أن تلك الأموال إنما كانت بعد نقض النصارى العهد فيجزون وتؤخذ الأموال[(٥)].

وهو الذي أفتى لما سئل عن هروب أهل الذمة إلى أرض العدو فظفر بهم، فقسموا بين المسلمين، فادعوا أن ذلك هروباً من ظلم بعض أهل الاستطالة من العرب وقهرهم، فأفتى أنهم إن هربوا من غير ظلم فهم أعداء يجوز سبيهم واسترقاقهم، وإن هربوا خوف الظلم فلا، ويتثبت من ذلك[(٦)].

---

(١) انظر: الاستذكار ١٥/٤٩٦.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عتاب بن محسن، عالم فقيه كان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه مدار الفتوى في وقته، دعي إلى قضاء قرطبة مراراً فامتنع، تفقه به الأندلسيون وانتفعوا بعلمه، ولم تكن له رحله، توفي سنة ٤٦٢هـ. انظر: شجرة النور الزكية، ص١١٩، شذرات الذهب ٢/٣١٦، وثائق في أحكام أهل الذمة، ص٦٧.

(٣) انظر: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة لابن سهل، ص٦٧ ـ ٦٩.

(٤) نوازل ابن بشتغير مخطوط، ص٢٠.

(٥) المعيار المعرب ٩/٥٩٨، ٥٩٩.

(٦) انظر: البيان وتحصيل ٣/١٢، ١٣، ١٨.

ومن إنصافهم أن قضاة المسلمين ما كانوا يتحاملون عليهم إذا رفعت قضاياهم مع بعضهم أو مع المسلمين.

فعند **ابن سهل** في نوازله أن مسلماً ادعى على نصرانيين في فدان أنه له وهو بحيازتهما؟.

فأفتى بالبينة على ذلك أو الشهود، فإذا لم يكن له فهو للنصرانيين باليمين يحلفانها في كنيستهما وهو لهما[1]، ومن نوازله كذلك ادعاء النصارى على امرأة مسلمة في مظلمة شراء وبيع، فحكم فيها بالبينة أو الشهود أو بإقرارها على الشراء فهي لهم[2].

ومن ذلك العدل الرباني: النهي عن تعدي المسلم على أموال أهل الذمة حتى وإن كان محرماً كالخنزير أو الخمر «فإن كسر مسلم خمر الذمي عوقب واختلف قول مالك في غرم قيمتها»[3].

ومن ذلك: أن الفقيه **سليمان بن أسود الغافقي**[4] له موقف كبير مع ولي عهد الأندلس الأموي، إبان حكمه لإحدى جهات الأندلس، حيث قدم إلى المدينة تاجر من أهل الكتاب في تجارة رقيق، قادماً من بلاد الروم، وكانت معه جارية مملوكة بارعة الجمال، فأعجب الأمير بها، فاشتط الكتابي في ثمنها، فما كان من الأمير إلا أن دس غلمانه وأعوانه، فأخذوها منه عنوةً. فجاء الكتابي للقاضي، وشكا إليه الأمير، فأنكر الأمير دعوى الكتابي، فأعاد القاضي إليه الرسالة، أن هذا الكتابي الضعيف لا يقدر أن يدعي على الأمير بباطل، وقد شهد عندي قوم من التجار، فلتعدها إلى صاحبها.

فأبى الأمير، ولجَّ مع القاضي. فأرسل إليه القاضي يقسم بالله إن لم

---

(١) انظر: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص٥٦ ـ ٥٧.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص٦١.
(٣) رسالة ابن عبد الرؤوف، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية، ص٩٥.
(٤) هو سليمان بن أسود بن يعيش الغافقي من مدينة غافق، ولي قضاء الجماعة بقرطبة، عرف عنه الصدق والعدل والإنصاف والصدع بقول الحق، مع دعابة فيه تستحسن وتستظرف. انظر: المرقبة العليا، ص١٥٥.

تعدها إلى صاحبها؛ ليركبن إلى خليفة الأندلس بقرطبة من توه، ويعلمه الخبر ويستعفيه من القضاء. وكان ما قال، فركب القاضي دابته متجهاً إلى قرطبة، فعلم الأمير، فأشفق من ذلك، وأرسل إليه، وقد مشى أميالاً، يستعفيه من الذهاب، ويقول: إنها وجدت مع أحد فتيانه، أخفاها بغير أمره. فقال القاضي سليمان: والله لا أنصرف من موضعي حتى أوتى بالجارية، فيقبضها الكتابي ها هنا، أو أسير إلى قرطبة، فأرسل إليه الأمير الجارية، فأخذها الكتابي بمحضر جملة من الشهود[1].

هذا العدل الإلهي الذي امتثله علماء الأندلس يندر في التاريخ حدوثه، وفيه من الدروس والعبر الكثير الجم، فأين قضاة المسلمين اليوم منهم؟ هل يستطيع أحدهم فعل ذلك مع مدير مصلحة؟ فضلاً عن ولي لعهد دولة كبيرة كالأندلس؟.

ذلك أن ولاة أمر المسلمين الأندلسيين كانوا بأنفسهم قيمين على العدل والقسط. ولما ولي هذا الأمير خلافة الأندلس، لم يوقظ الأحقاد الدفينة، ويستسلم لنزواته وشهواته وينتقم من هؤلاء الفقهاء والقضاة الأخيار، أو يجعلهم مطية يستحل بهم دماء وأموال الناس وأعراضهم، بل ساقته فطرته السوية، وشعوره بالمسؤولية الملقاة على كاهله إلى تقريبهم واستشارتهم فهم عيبة نصح لكل حاكم. وقد ولّى هذا القاضي الأمين رئاسة القضاء في عهده، رحمه الله وعفا عنه[2].

وهذا القسط والعدل الإلهي استهوى كثيراً من نصارى الأندلس، فدخلوا في دين الله، لما رأوا هذه المعاملة الرشيدة من المسلمين، وقد صرف الله قلب أحد زعماء النصارى (قومس الثغر الأعلى) طائعاً مختاراً، فدخل في الإسلام، وشدد في مقابلة ولقاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وأعلن إسلامه على يديه[3] وهو الذي دفع قومس بن أنتينيان إلى الإسلام، وحسن

---

(١) انظر: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ص٧٩.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٧٩.

(٣) انظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص٥٠٢.

إسلامه جداً، حتى نعته الفقيه محمد بن يوسف بن مطروح وكان يسميه: «من مثل القومس السجاد العباد حمامة هذا المسجد»[1].

ومن ذلك: أن فقهاء قرطبة سألوا عن رجل نصراني من أهل الشر والفساد رؤي مع إمرأة مسلمة وهي سائرة معه ثم ذهبت المرأة ولم تعرف حيث هي؟.

فأجابوا بلزوم الشهود عليه ولا بد من إيضاح الشهادة لا إبهامها بلفظ محتمل.

وإن لم يكن لهم شهود فيحبس وينكل به ويطال حبسه ويجب التثبت منه للشبهة التي ظهرت عليه، فإن لم يتبين عليه شيء أطلق[2]. وهذا في حقيقة الأمر يستوي فيه عند القضاة المسلم مع الذمي سواء لا فرق، وهذا ينم عن سلوك حضاري وعدل إلهي قل أن تعرفه أمم ذلك الزمان وهذا الأوان.

ومن ذلك: فتوى في ذمي اغتصب مسلمة ووطئها، فلما قرب للقتل أسلم. هل ينفعه إسلامه من القتل أم لا؟.

وأجيب أنه قد أحرز دمه بالإسلام، ويقضى لها عليه بصداق مثلها، فإن عثر على أن إسلامه كان اعتصاماً لا عن رغبة فيه، وأنه مقيم على النصرانية صلب بلا استيناء إن شاء الله[3].

قلت: وهذا في الجملة من تسامح الاسلام مع هؤلاء الذميين، وربما لا يكون هذا الحكم لمسلم أصلاً. وهذه أمثلة على إقامة علماء الأندلس ـ رحمهم الله ـ العدل في النصارى وإنصافهم وحفظ حقوقهم وخصوصياتهم، وحفظ العهود والمواثيق، وهو كثير جداً، وبالله السداد.

---

(١) انظر: قضاة قرطبة، ص١٦٠.

(٢) انظر: المعيار المعرب ٢/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ٢/ ٣٤٥، قلت: وهذا الحكم فيه تساهل كبير مع هذا المفسد الفاسق، وقد تكلم الإمام ابن القيم على هذه المسألة، فذهب إلى أنه يقتل، حتى وإن أظهر الإسلام، وذكر الرواية عن الإمام أحمد، وقال إن هذا هو القياس؛ لأن قتله قد وجب عليه ومعنى إقامته فلا يسقط بالإسلام لا سيما إذا أسلم بعد أخذه والقدرة عليه. انظر: أحكام أهل الذمة ٣/ ١٢٤٦.

زجر وتعزير النصراني الضار بالمسلمين أو بالنصارى:

تذكر المصادر الأندلسية قارعة كبرى حلت بالمسلمين، ذلك أن النصارى المعاهدين بقرطبة، اتصلوا سراً بملك أراغون وخانوا العهد، وعزموا على تجنيد أنفسهم من الداخل عند مجيء الجيوش النصرانية من الخارج، وأرسلوا له ما يزيد على اثني عشر ألف مقاتل، فلما استبان العلماء الأعيان الخيانة، أرسلوا الفقيه العلامة **ابن رشد** (الجد) إلى يوسف بن تاشفين لإنجاد الأندلسيين، وكان ما ذكر من الفتح.

ثم أفتى الفقهاء وعلى رأسهم **أبو الوليد بن رشد** «بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم، وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم»[1]، وهو حقاً كما قال. إذ عاقبة هذه الجريمة في قوانين الدول المحدثة والقديمة، القتل ويسمونها: الخيانة العظمى، وهذه الحادثة وغيرها تدل على مدى تسامح المسلمين وعفوهم لسماحة دينهم وعظمته . . . مع هذه الخيانة الجماعية، التي تلزم حتى البقية من المعاهدين، وقد سئل أحد الفقهاء هل يعد نقض بعض أهل الذمة نقضاً لذمة جميعهم؟ فأجاب: بأنه نقض لذمة جميعهم[2]. وفي موضع آخر أفتى أنه تستحل أموالهم ونساؤهم إلا من لم يعلم منهم، ثم ذكر الخلاف بين أهل العلم هل يسترقون بعد الحرية[3].

وفي موضع أفتى في أهل الذمة يخونون ويقاتلون مع العدو، يقتل من علم أنه قاتل معهم ولا يشمل الحرابة جميعهم[4].

وفي هذا الباب ـ باب نقض العهود ـ كانت بين المسلمين وبين نصارى قشتالة معاهدة سارية المفعول مع المسلمين، فنقضوا العهد، بغارة على المسلمين، ولما ورد التجار النصارى إلى قرطبة، أثيرت مسألتهم فقال: «وإن

---

(١) انظر: الإحاطة ١/١٠٦ ـ ١١٤، الحلل الموشية، ٦٥ ـ ٧١، البيان المغرب ٤/٦٩ ـ ٧٢.
(٢) انظر: المعيار المعرب ٢/٢٥٢ ـ ٢٥٤.
(٣) انظر: البيان والتحصيل ٢/٦٠٩ ـ ٦١١.
(٤) انظر: المصدر السابق ٣/١٩ ـ ٢٠.

كان التجار من أهل طليطلة ـ أعادها الله ـ خرجوا منها بعد أن أغارت سريتهم على بلاد المسلمين، فأسرت الرجال، وأخذت الأموال فلا عهد لهم . . .»[1]

ويقول موضحاً الفتوى «الواجب أن يرهنوا وما معهم من الأموال، فيما أخذت السرية الخارجة من عندهم من أسرى المسلمين وأموالهم، حتى يصرفوا ذلك إليهم، فإن أجابوا إلى ذلك وفعلوه، بقيت الهدنة على ما كانت عليه، وإن أبو ذلك انتقضت وعادت حرباً، وكان التجار المرتهنون أسرى المسلمين، وأموالهم فيئاً لهم»[2].

أما **ابن حزم** فيرى في هذه المسألة أنه «لو نزل أهل الحرب عندنا تجاراً بأمان أو رسلاً أو مستأمنين، مستجيرين أو ملتزمين لأن يكونوا ذمة لنا، فوجدنا بأيدهم أسرى مسلمين أو أهل ذمة أو عبيداً أو إماءً للمسلمين أو مالاً لمسلم أو لذمي فإنه ينتزع كل ذلك منهم بلا عوض أحبوا أم كرهوا»[3]، وناقش أقوال المخالفين وأورد أدلة جيدة على مذهبه، رحمه الله تعالى.

وتقدم آنفاً ما عرف بحركة «شهداء قرطبة» التي عرفت عند المسلمين بحركة الاستخفاف، وموقف العلماء والأمراء في الأندلس من هذه الفتنة التي أحدثها النصارى.

ومن ذلك أن المنصور بن أبي عامر الفقيه الشجاع الأمير العادل كان يعاقب ويقتل خونة النصارى المعاهدين[4] زجراً لهم وتعزيراً وحفاظاً على وحدة البلاد الأندلسية. وهو ما دفع المنصور الموحدي ـ بعد تعدد الخيانات ـ إما أن يعتنق المعاهدون الأندلس، وإما أن يغادروا الأندلس، وفي بعض الأحيان ألزمهم بلباس خاص يميزهم عن المسلمين[5]، وكذا فعل ولده

---

(١) فتاوى ابن رشد ٣/ ١٤٢٤، ١٤٢٥.

(٢) المصدر السابق، في الجزء والصفحة، وانظر: كذلك المعيار المعرب ٩/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩، مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها.

(٣) المحلى ٤/ ٣٠٦.

(٤) انظر: أزهار الرياض ٥/ ١٠٦، ١٢٣.

(٥) الإحاطة ١/ ١١٣، دولة الإسلام في الأندلس، ق٣/ ٤٠٨ ـ ٤١٥.

الحاجب المظفر عبد الملك بن أبي عامر في خيانة النصارى المعاهدين في سنة (٣٨٩هـ) وأذيتهم للمسلمين وتحصنهم بعد الهرب بحصن منيع، وبعد قتال ضروس دام تسعة أيام، نزلوا على حكمه بعد إصراره ورده كل الشفاعات، فحكم بينهم سعد بن معاذ رضي الله عنه أن تقتل المقاتلة وتسجن الذرية[١] وأنفذ ما حكم العلماء به رحمه الله.

وفي باب أحكام الذمة عند **الطرطوشي** إذا «نقض الذمي العهد بمخالفته لشيء من الشروط المأخوذة عليه لا يرد إلى مأمنه والإمام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق»[٢].

هذا في الإضرار والإفساد الجماعي منهم على المسلمين والذميين، وقد يكون الإضرار فردياً منهم على جماعة المسلمين، كالمحارب الذي يدخل حصون الروم فيستنزلون على العهد والأمان، فإنه لا أمان له، ولا يزال حكم الحرابة عند جهل من أمنه وقد ظفر به قبل التوبة[٣]، وقيل أن له الأمان لأنه حق الله. **ومن ذلك** أن **أبا بكر بن مغيث**[٤] سئل عن نصراني سب الله سبحانه ورسوله ﷺ. «فأجاب: يقتل لقوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [التوبة: ١٢] الآية»[٥].

وسئل أحد الفقهاء عن نصراني يقول أن عيسى خلق محمداً. «فأجاب يقتل»، ثم ذكر الفقيه حادثة عملية وقعت له في نصراني قال: «لا والذي اصطفى عيسى على محمد. فاختلف علي فيه، فضربته حتى أهلكته أو عاش يوماً أو ليلة فأمرت من جبذ برجله حتى طرح بمزبلة فأكلته الكلاب»[٦].

وفي نوازل ابن بشتغير ذات المسألة وأن الفقيه هو **ابن مصعب**

---

(١) انظر: البيان المغرب ٣/ ٢١ ـ ٢٣.
(٢) سراج الملوك، ص٣٢٢.
(٣) انظر: المعيار المعرب ٢/ ٤٣٤، ٤٣٥.
(٤) لم أجد له ترجمة.
(٥) المعيار المعرب ٢/ ٣٥١، ونص الفتوى كذلك في نوازل ابن بشتغير مخطوط، ص٣٧.
(٦) المصدر السابق ٢/ ٣٥١، وفيه حادثة مماثلة غير أن النصراني أسلم ٢/ ٥٢٢.

الزهري[1] أجاب بالنص الآنف[2]. فجزاه الله خيراً وأكثر من أمثاله، وهذه لعمرو الحق الغيرة الحقيقية على دين الله وشرعه.

ومن ذلك ما ورد في وثائق **ابن سهل** أن نصرانية تسمى ذبحة قالت: إن عيسى هو الله، وقالت: كذب محمد فيما ادعى من نبوته ﷺ، صدق الله وكذبت.

وتوجهت الفتوى، بعد مشاهدة الشهود بهذا الذي ذكره: «الذي نراه أن قد وجب عليهما القتل وتعجيلها إلى النار الحامية عليها لعنة الله»[3]، وقد وافقه جماعة من الفقهاء وصدقوا عليها بآخرها.

ومن مواقف العلماء العملية **كذلك** قتل وزير ذمي على يد فقيه بلا محاكمة. وخبرها أن **عبد الله بن سهل**[4] الفقيه كان معظماً عند الناس فدخل يوماً الحمام، فوجد فيه اليهودي وزير الأمير، وبين يديه صبي اسمه محمد، وهو يناديه: يا محمدال، يردد هذا، وكان اليهودي أصلعاً، فلم يملك الفقيه نفسه أن قام إليه، وضربه بحجر كان هناك خلف الدابة، ضربة في رأسه فقتله، وخرج كما هو فلبس ثيابه، ولم يستطع أحد أن يقول للفقيه شيئاً، هيبة له وإعظاماً»[5]. فسلمت يده البيضاء ورفعت درجته العلياء، وليته يرى ما وقع في زمننا هذا من الفتن الصلعاء والدواهي الدهياء من التعدي على دين الله ورسول الله ﷺ. وموقف هذا الفقيه يمثل الغيرة الحقيقية على دين الله وشريعته ورسوله، وحبذا لو سلك علماء الإسلام وفقهاؤه مسلك هؤلاء الأخيار،

---

(١) لم أعرفه.

(٢) انظر: نوازل ابن بشتغير مخطوط ص٣٧.

(٣) انظر: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، لابن سهل، ص٧٠، ٧١، وقد أوردها الونشريسي بالمعنى عن شيوخ قرطبة في المعيار المعرب ٢/ ٣٤٤، ٣٤٥، وسمى المرأة دلجة، وذكروا أصنافاً أخرى لسباب النصارى، بعضها جزاؤه الضرب وبعضها القتل.

(٤) هو عبد الله بن سهل بن يوسف المقري إمام الإقراء والتجويد، له مؤلفات في القراءات تدل على معرفة توفي سنة ٤١٤هـ. انظر: بغية الملتمس ٢/ ٤٤٨.

(٥) بغية الملتمس ٢/ ٤٤٨.

ـ رحمهم الله ـ في الصدع بالحق وإيقاف الظالم المعتدي عند حده.

ومن زجر وتعزير من أضر بالمسلمين من أهل العهد النازلة التي استفتي فيها **ابن رشد** عن نصراني أظهر الإسلام، وسمع منه أنه باق على نصرانيته، وفتشت داره من السلطان فوجد فيها صلبان وشمع وقناديل وبعض أدوات رهبان الكنيسة..

فأجاب بما فحواه: أنه لا بد من التثبث في شأنه ببينة عدلة تثبت بقاءه على النصرانية، ولا يقتل دون استتابته كالزنديق(١).

ومن ذلك: ما ذكر أن غلاماً نصرانياً أسلم ثم ارتد، فأفتى **ابن سهل** بأنه ما لم يبلغ الحلم فإنه يشدد وعليه ويهدد ويتوعد فإن لج في الرجوع إلى دينه يرد إلى أبويه ولم يبلغ به القتل(٢).

ومن الإضرار الفردي للمسلمين ما وجب عليه الزجر والعقوبة ما ذكره الونشريسى من أن **فقهاء قرطبة** سئلوا عن النصراني من أهل الشر والفساد والتخليط، أفسد نساء المسلمين وبناتهم غير مزدجر ولا راجع عن غيه.

فأجاب **عبد الرحمن بن بقي**(٣) بأنه قرأ الوثيقة على الأعجمي لعنه الله، وأفاد «الذي أراه إباحة ظهره وضربة الضرب المبرح الموجع»، وبعد ذكره مقدار وكيفية الضرب عند أهل العلم قال: «والذي ثبت على هذا اللعين عظيم، والذي أرى بعد الأدب، السجن الطويل الذي يشبه التخليد، ففي ذلك شراد لمثله ولأهل الانبساط في الشر»(٤).

---

(١) انظر: فتاوى ابن رشد ٣/ ٤٦٢ ـ ١٤٦٢، المعيار المعرب ٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٢) انظر: وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، ص٤٣ ـ ٤٧.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن بقي بن مخلد الأندلسي، من أهل قرطبة، يكنى أبا الحسن، نبيه أخذ عن أكثر العلماء، وكان ضابطاً لما كتب ثقة لما يروي، فصيح اللسان، بليغ المنطق وقور المجلس، سمع من الناس كثيراً، توفي سنة ٣٠٦هـ وهو ابن اربع وستين سنة. انظر: تاريخ علماء الأندلس ١/ ٤٤٩، ٤٥٠، شجرة النور الزكية، ص٩٨.

(٤) المعيار المعرب ٢/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

وفي جميع النوازل التي مرت من زجر وتقريع وتعزير المعتدين من أهل الذمة هي أحكام عامة هامة تستند إلى الدليل الشرعي، وهي في أغلب أحوالها وأحكامها لا تختلف عن الأحكام التي تطبق على أهل الفساد والزيغ من المسلمين، فانظر إلى زجرهم وتعزيرهم، وانظر إلى عدلهم وإنصافهم، وبالله التوفيق.

أخذ الجزية من أهل الذمة:

والدليل عليها قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [براءة: ٢٩].

«هذه الآية تضمنت قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى، حتى يقتلوا أو يؤدوا الجزية»[(١)]، وهي «أمر بمقاتلة جميع الكفار، فإن كلهم قد أطبق على هذا الوصف»[(٢)].

وقال **ابن جزيّ**: «اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى ويلحق بهم المجوس لقوله ﷺ: «سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب»[(٣)]، واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان»[(٤)].

ونقل **ابن عبد البر** أقوال أهل العلم في أخذ الجزية من المجوس عدم جواز ذلك في استذكاره[(٥)].

والجزية شيء من المال يأخذه الإمام على المعاهدين المقيمين في الدولة الإسلامية وهو مكان الزكاة عند المسلمين، ولهذا لا تؤخذ الزكاة منهم، وقد

---

(١) المحرر الوجيز ٨/ ١٥٩.

(٢) أحكام القرآن ٢/ ٤٧٣، وانظر: كذلك ٢/ ٤٠٦، والجامع لأحكام القرآن ١/ ٤٣٤.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ ١/ ٢٧٨، رقم (٦١٦)، باب جزية أهل الكتاب والمجوس. والطبراني في الكبير ١٩/ ٤٣٧، رقم (١٠٥٩). والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ١٧٢، رقم (١٣٧٦٤).

(٤) التسهل لعلوم التنزيل ٢/ ٧٤.

(٥) الاستذكار ٩/ ٢٨٨.

نقل **ابن عبد البر** إجماع العلماء أنه لا زكاة على أهل الكتاب[1].

وتؤخذ الجزية بالصغار عند **ابن حزم**، والصغار «هو أن يجرى حكم الإسلام عليهم وأن لا يظهروا شيئاً من كفرهم في دين الإسلام»[2]، والدية لازمة للحر منهم والعبد والذكر والأنثى والغني والفقير[3]، وأنه لا تقبل منهم جزية إلا بأن يقروا بأن محمداً رسول الله إلينا وأن لا يطعنوا فيه ولا في شيء من دين الإسلام[4].

وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء، فقيل إنها مقدرة، وقيل إنها مردودة إلى الإمام، وقيل غير ذلك[5].

منع إحداث الكنائس ببلاد الإسلام:

ينقل **ابن رشد** (الجد) فتوى الإمام مالك لما سئل عن الكنائس المحدثة في خطط الإسلام هل يبنون فيها؟ قال مالك: أرى أن تغير وتهدم. وعقب **ابن رشد**: وهذا مما لا اختلاف فيه أعلمه لقوله ﷺ: «لا ترفعن فيكم يهودية ولا نصرانية»[6]، يعني البيع والكنائس، وإنما يكون لأهل الصلح أن يحدثوا في قراهم التي صولحوا عليها، وأن يرمموا كنائسهم القديمة[7]، وشرط شروطاً أخرى لذلك.

ويستدل **أبو بكر الطرطوشي** في باب أحكام أهل الذمة، أن عمر رضي الله عنه أمر بهدم كل كنيسة لم تكن قبل الإسلام، ومنع أن تحدث كنيسة، وأمر أن لا يظهر عليه خارجة من كنيسة، ولا يظهر صليب خارج كنيسة إلا كسر على

---

(١) انظر: التمهيد ٢/ ١٣١، ١٣٢. (٢) المحلى ٤/ ٢٤٦.

(٣) انظر: المصدر السابق ٤/ ٣٤٨. (٤) انظر: المصدر نفسه ٤/ ٣١٧.

(٥) انظر: سراج الملوك، ص٣٢٣، ٣٢٤، وللاستزادة في هذه المسألة انظر: المبحث القيم للإمام ابن القيم في كتابه القيم: أحكام أهل الذمة لما سئل عن الجزية بجواب طويل، ممن تؤخذ، وما مقدارها، وسبب وضعها، والأصناف التي تؤخذ منها، وما لا يحل من الجزية، ومن لا جزية عليه، وجواب شبه حول الجزية. انظر: أحكام أهل الذمة، ١/ ٧٩.

(٦) لم أجده في كتب الحديث بهذا اللفظ. (٧) انظر: البيان والتحصيل ٩/ ٣٤٠.

رأس صاحبه.. وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين..، وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز، وأمر بهدم كل كنيسة أو بيعة قديمة أو جديدة في بلاد المسلمين[١].

وقد نقل الونشريسي في معياره **إجماع أهل الشورى** من علماء قرطبة على منع إحداث الكنائس ببلد الإسلام[٢]، ثم ذكر أقوال أهل العلم في نوع البلاد التي فتحت هل فتحت عنوة؟ أم فتحت صلحاً؟ أم كانت بلدة أصلية بناها المسلمون، وبالتالي تختلف الأحكام باختلاف الأنواع.

وفي نوازل **ابن سهل** لما سئل عن حكم إحداث أهل الذمة من الكنائس في بلاد الإسلام بسبب كنيسة أحدثت في بلد من بلاد المسلمين؟

فأجاب بجواب طويل منه، أن كون الكنيسة «محدثة فرأينا شهادات توجب هدمها بعد الإعذار إلى أهلها، وليس في شرائع الإسلام إحداث أهل الذمة من اليهود والنصارى كنائس ولا شنوعات[٣] في مدائن الإسلام»[٤] وختمت الفتوى بتسعة من علماء الأندلس على إقرارها.

وذكر عن جماعات من أهل العلم أنهم بحسب شرطهم مع المسلمين، إن اشترطوا رمها أذن لهم فيها. وذهب بعض أهل العلم إلا أن لهم البناء، إن كانوا في مكان منقطع عن ديار المسلمين وحريمهم، ونقل عن ابن القاسم: «لا يمنعوا من ذلك في قراهم التي صالحوا عليها؛ لأنها بلادهم يبيعون إن شاؤوا أرضهم ودورهم إلا أن تكون بلاد عنوة، فليس لهم أن يحدثوا فيها شيئاً؛ لأنهم ليس لهم أن يبيعوها ولا يورثوها، وهي فيء للمسلمين، وإن أسلموا انتزعت منهم»[٥].

---

(١) انظر: سراج الملوك، ص٣٢٥، باب في أحكام أهل الذمة.

(٢) انظر: المعيار المعرب ٢/٢٤٦.

(٣) شنوعات: المشنوع المشهور، والمشنعة المهيأة. انظر: القاموس المحيط، ص٩٤٩.

(٤) وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة من مخطوط ابن سهل، ص٧٧.

(٥) المصدر السابق، ص٧٩، وانظر: أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ٣/١٢١١، ١٢١٢ والرواية عن الإمام أحمد شبيهة بهذا الحكم.

وهذا منهج إسلامي وسط، وهو مقتضى منح الحرية الدينية لأهل الكتاب. والمسلمون مع أهل الكتاب عند شروطهم، يوفون بها ولا ينقضونها، **ومن ذلك** من ورد من اشتراطهم في معابدهم، وقد ذكر المقَّري في نفحه في هذا الشأن: «عن الرازي أنه لما افتتح المسلمون الأندلس امتثلوا ما فعله أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد عن رأي عمر رضي الله عنه بالشام من مشاطرة الروم في كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة كنيستهم العظمى التي كانت داخل مدينتها تحت السور، وكانوا يسمونها بشنت بنجنت، وابتنو في ذلك الشطر مسجداً جامعاً، وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى، وهدمت عليهم سائر الكنائس بحضرة قرطبة، واقتنع المسلمون بما في أيديهم»، ثم ذكر كثرة المسلمين بقرطبة وضيق المسجد بهم جداً، فأرادوا التوسعة فيه على يد الأمير عبد الرحمن بن معاوية المرواني «فأحضر أعاظم النصارى وسامهم بيع ما بقي بأيديهم من كنيستهم لصق الجامع ليدخله فيه وأوسع لهم البذل وفاء بالعهد الذي صولحوا عليه، فأبوا من بيع ما بأيديهم، وسألوا بعد الجد بهم أن يباحوا بناء كنيستهم التي هدمت عليهم بخارج المدينة على أن يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر الذي طلبوا به، فتم الأمر على ذلك»[1].

وهذا الأسلوب الحضاري الراقي من المسلمين وفقهائهم وأمرائهم في منح الحريات وعدم التعسف بالأقليات الدينية ـ إنما ينبع من دينهم الذي بعث بالسماحة ـ كان في القرن الثاني الهجري سنة (١٦٨هـ) أي في القرن الثامن الميلادي. أيام همجية أوروبا في عصورها المظلمة، وليت نصارى العالم

---

(١) البيان المغرب ٢/٢٢٩ ـ ٢٣١، نفح الطيب ١/٥٦٠، ٥٦١، وقد امتدح هذا الأمير شاعر أندلسي لهذا الموقف، يسمى دحية بن محمد البلوي بقصيدة طويلة رائعة، منها:

وأنفق في ذات الإله ووجهه ... ثمانين ألفاً من لجين وعسجد
توزعها في مسجد أسه التقى ... ومنهجه دين النبي محمد
ترى الذهب الناري فوق سموكه ... يلوح كبرق العارض المتوقد

اليوم يعاملون أقليات المسلمين في هذا العصر الحديث بما عاملناهم به قبل ما يزيد على ألف ومئتي عام، ولكن للأسف أنهم يبيدوننا ويسوموننا خسفاً صباح مساء في شتى بقاع الأرض، مع ذلك لا تزال نداءاتهم بالحوار والتعاون تملأ الدنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن المواقف العملية أن الخليفة الفقيه العلامة السُّني السَّني **أبا يوسف الموحدي**، منع أهل الذمة من إحداث الكنائس في بلاد الإسلام[1].

ومن ذلك أن المنصور بن أبي عامر لما قاتل النصارى خرب ديارهم وكنائسهم - كفعلهم بالمسلمين -[2]، وهو كذلك الذي حافظ عليها لما دخل مدينة شانت ياقب (سنتياجو) عند قبر - من زعموا أنه القديس يعقوب -، في كنيسة لهم وقد هرب جميعهم عدا راهباً بقي عند القبر، فسأله لماذا بقي؟ فقال العجوز الراهب: أونس يعقوب. فأمر بالكف عنه وتركه في كنيسته[3].

ومن ذلك: ما يصفه العلامة ابن عبد ربه ما فعله الأمير الأموي الأندلسي عبد الرحمن الناصر من عقوبة للباغين المعتدين سنة (٣٠٨هـ) وإنزاله العقاب بهم على تكرار اعتداءاتهم:

ثم غزا الإمام دار الحرب	فكان خطباً يا له من خطب
وكل من أخلص للرحمن	بطاعة في السر والإعلان
وكل من طاوع في الجهاد	أو ضمّه سرج على الجياد
حتى إذا فوّز في العدوّ	جنبه الرحمن كل سوّ
وأنزل الجزية والدواهي	على الذين أشركوا بالله
فزلزلت أقدامهم بالرعب	واستنفروا من خوف نار الحرب
واقتحموا الشعاب والمكامنا	وأسلموا الحصون والمدائنا
فما بقي من جنبات دور	من بيعة أو رهبة لدير

(١) انظر: المعجب، ص٣٨٣.
(٢) تاريخ النصارى في الأندلس، ص١٤٢.
(٣) انظر: نفح الطيب ١/٤١٣، ٤١٦، البيان المغرب ٢/٤٣٩.

فكم لسيف الله من جزور | في مأدب الغربان والنسور
وكم به قتلى من القساوس | تندب للصلبان والنواقس
وأصبحت ديارهم بلا قعا | فما ترى إلا دخاناً ساطعا[1]

ويصف معركة مع المفسدين من عبّاد الصليب سنة (٣١٢هـ) وعاقبة أمرهم:

لفقد من قتل من رجالها | وذل من أيتم من أطفالها
فكم بها وحولها من أغلف | تهمي عليه الدمع عين الأسقف
وكم بها حقر من كنائس | بدلت الأذان بالنواقس
يبكي لها الناقوس والصليب | كلاهما فرض له النحيب[2]

ومن ذلك ما يصفه ابن الخطيب عن أحد أمراء غرناطة يصف معاركهم مع النصارى وتهديم كنائسهم كفعلهم بالمسلمين[3].

وكذا ما فعله أمير المسلمين المرابطين يوسف بن تاشفين مع المعاهدين الذين خانوا العهد والأمان[4] بفتوى العلماء إهانة لهم على خيانتهم العهد، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

كراهة سكنى بلاد النصارى وممازجتهم والاختلاط بهم:

استدل ابن العربي على تحريم ذلك بما أورده في عارضته من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، بعث سرية إلى خثعم[5]، فاعتصم ناس بالسجود، فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فأمرهم بنصف العقل، وقال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، قالوا: يا

---

(١) انظر: ديوان ابن عبد ربه، ص١٩٤ ـ ١٩٦.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٠٠.

(٣) انظر: أزهار الرياض ٤/ ٦٥.

(٤) انظر: الإحاطة ١/ ١٠٧.

(٥) خثعم: بفتح أوله وإسكان ثانيه، اسم جبل بالسراة، فمن نزله فهو خثعمي، وقال أبو عبيدة: خثعم اسم جمل نحروه وغمسوا أيديهم في دمه حيث تحالفوا فسموا خثعم. انظر: معجم ما استعجم ٢/ ٤٨٩.

رسول الله: ولم؟ قال: «لا تراءى نارهما»[1]. وحديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: «لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم، فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم»[2].

وأفاد في شرحه بأن الله حرم على المسلمين الإقامة بين ظهراني المشركين، وفرض الهجرة، فلما فتحت مكة سقطت الهجرة وبقي تحريم المقام بين أظهر المشركين[3].

ويوجب **ابن حزم** رحمه الله الهجرة من ديار الكفر إلى ديار المسلمين، وأنه إذا لم يكن المسلم قادراً على الهجرة لسبب أو لآخر، فهو معذور، وإن شارك الكفار في حروبهم أو أعانهم فهو كافر، وإن أقام المسلم بين ظهرانيهم لدنيا يصيبها وهو قادر على الهجرة، فغير معذور، لكنه لم يكفره، وإن كان حكم الكفار جارياً عليه فهو بذلك كافر[4].

ومن أدلة علماء الأندلس على تحريم المقام بين ظهراني المشركين ومخالطتهم: نهي النبي ﷺ عن بقاء المشركين من أهل الكتاب في جزيرة العرب، وقد استدل **أبو عمر بن عبد البر** في كتابيه التمهيد[5] والاستذكار[6] بحديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب، فأجلى يهود خيبر»[7] وعنه رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لأخرجن اليهود

(١) رواه الترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، رقم (١٦١٠)، وباب النهي عن من اعتصم بالسجود، رقم (٢٦٤٥). والنسائي في سننه ٨/٣٦، رقم (٤٧٨٠).

(٢) رواه الترمذي في الكتاب والباب السابقين أعلاه، رقم (١٦١١). والحاكم في المستدرك ٢/١٥٤، رقم (٢٦٢٧) وصححه. والطبراني في المعجم الكبير ٧/٢١٧، رقم (٦٩٠٥). والبيهقي في سننه الكبرى ٩/١٤٢، رقم (١٨٢٠١).

(٣) عارضة الأحوذي ٤/١٠٠، ١٠١.

(٤) انظر: المحلى ١١/٢٠٠، ٢٠١.

(٥) انظر: التمهيد ١٢/١٣، ١٤، ١٥.

(٦) انظر: الاستذكار ٢٦/٦٠.

(٧) رواه مالك في الموطأ ٢/٨٩٢، رقم (١٥٨٣، ١٥٨٤). وأحمد في مسنده ٦/٢٤٧، رقم (٢٦٣٩٥)، والطبراني في الأوسط ٢/٤١، رقم (١٠٧٠)، والبيهقي في الكبرى ٦/١١٥، رقم (١١٤٠٩).

والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً»[1].

ونقل عن الإمام مالك أن جزيرة العرب مكة والمدينة واليمامة واليمن واختلف في اليمن فقيل إنها ليست من جزيرة العرب[2]. والذي يظهر أن مسمى جزيرة العرب أشمل من ذلك.

ومن نهى العلماء عن الإقامة بين ظهراني المشركين ما ذكر عن الفقيه **الجذامي** ـ الآنف الذكر ـ من كراهيته لمخالطة المشركين من الروم وغيرهم، بل وتحريمه لذلك وما ينتج عن ذلك من المفاسد الكبيرة، ألّف كتاباً يحذر فيه المسلمين من ذلك سمّاه: «الجواب المختصر المروم في تحريم سكنى المسلمين ببلاد الروم»[3].

ويحرم **ابن حزم** على المسلمين التجارة إلى أرض الحرب إذا أذلوا بها وجرت عليهم أحكام الكفرة، وإن لم تمكن كذلك فتكره[4]. كما كرهها **ابن رشد** (الجد) كراهة شديدة وأنه لا يجوز دخول أرض الشرك لتجارة ولا لغيرها، إلا لمفاداة مسلم[5]، وفي موضع آخر أجازه بضوابطها الشرعية واستدل على ذلك[6].

ومن ذلك ما أفتى به **ابن مغاور الشاطبي**، وذكر مسلمي ثغر بلنسية من الأحكام الشرعية في مخالطة نصارى بلنسية «وقد تقرر لدنيا من ارتماضكم[7]

---

(١) رواه مسلم ٣/ ١٣٨٨، رقم (١٧٦٧)، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب. وأحمد في مسنده ١/ ٢٩، رقم (٢٠١)، وابن الجعد علي بن الجعد بن عبيد في مسنده، ص٤٦٤، رقم (٣١٩٩)، تحقيق: أحمد عامر ـحيدر، مؤسسة عامر، بيروت، ١٩٩٠م ـ ١٤١٠هـ.

(٢) انظر: الاستذكار ٢٦/ ٦١، ٦٢.

(٣) انظر: الإحاطة ٣/ ٩١، ٩٢.

(٤) انظر: المحلى ٤/ ٣٤٩ ـ ٦/ ٦٥.

(٥) انظر: المقدمات الممهدات ٢/ ١٥١ ـ ١٥٣.

(٦) انظر: البيان والتحصيل ٣/ ١٥٩، ١٦٧.

(٧) ارتماضكم: تحرقكم وتألمكم، الارتماض كل ما أوجع، وارتمض الرجل من كذا أي اشتد عليه وأقلقه. انظر: لسان العرب ٧/ ١٦٠.

لأحكام النصارى الجارية عليكم وكراهتكم لمساكنتهم وممازجتهم ومجاورتهم»[1].

ثم أورد آيات اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وذكرهم بأحاديث البراءة ممن يمازج المشركين من المسلمين، وقال: «فإن كنتم وفقكم الله قد صحبتموهم اضطراراً ففارقوهم الآن اختياراً، وانتظروا غوثاً متصلاً ليلاً ونهاراً»[2].

وهجرة بلد الكفر مما تكلم فيه العلماء والشعراء[3] وأطنبوا فيه، وحذروا منه، وكذا حذروا من المخالطة والثقة فيهم، ودعوا إلى الحذر منهم.

فالفقيه **أبو عبد الله بن جزي**[4] يصف طبيباً يهودياً محذراً المسلمين من التعامل معه والثقة فيه وتسليمه المهج:

ورب يهودي أتى متطبباً ... ليأخذ ثارات اليهود من الناس

إذا جس نبض المرء أودى بنفسه ... سريعاً ألم تسمع بفتكة جساس[5]

وقد مر آنفاً نهي العلماء عن مثل هذا، ومنه نهي **ابن عبدون** أن تدخل النساء المسلمات الكنيسة؛ لأن القسيسين زناة وفسقة لوطة، وكذلك تمنع النصرانيات من الدخول في الكنيسة إلا في يوم فضل أو عيد، فإنهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين[6].

وينهي **الطرطوشي** في الحوادث والبدع من «دخول الحمام للنساء مع الكتابيات بغير مئزر أو المسلمين مع الكفار في الحمام»[7].

---

(1) ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره، ص١٨٧.

(2) المصدر السابق، ص١٨٨.

(3) انظر: أزهار الرياض ١/٤٦، ٤٧.

(4) هو الفقيه الكاتب محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن يحيى الغرناطي، كاتب مجيد من عجائب الزمان، توفي سنة ٧٥٨هـ. انظر: أزهار الرياض ٣/١٨٩.

(5) انظر: أزهار الرياض ٣/١٩٧.

(6) انظر: ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، ص٤٨، ٤٩.

(7) الحوادث والبدع، للإمام أبي بكر الطرطوشي ص١١٨، للإمام أبي بكر الطرطوشي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ط الثانية، ١٤١٢ ـ ١٩٩١ م.

ونهى علماء وفقهاء الأندلس عن الإقامة والمخالطة للمشركين إنما كان لما يترتب عليه من المفاسد الكبرى، من تقليدهم والإعجاب بهم، وقد يؤدي ذلك إلى الردة والكفر. وهذا ما وقع مع المسلمين الذين سمّوا بالمدجنين ـ وقد سبق الكلام عليهم آنفاً ـ، وقد شدد العلماء عليهم في الهجرة، وردوا شهاداتهم، ومن هؤلاء الذين أفتوهم بوجوب الهجرة **الونشريسي** في كتابه[1] «أسنى المتاجر في حكم من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر»، وفي فتاوى ونوازل الفقيه **ابن طركاط**[2] سؤال حول مدى ثبوت عدالة المسلمين المدجنين المقيمين بين أظهر النصارى، من ثقات هنالك وهل تسقط شهادتهم بإقامتهم، إن خافوا على أنفسهم وأموالهم من الهجرة؟.

فأجابهم الإمام **العبدوسي**[3] «أما إن كان سكناهم هنالك اختيار منهم بلا شك أن ذلك كبيرة عظيمة توجب إسقاط شهادتهم؛ لأن المقام بين أظهر الكفار مع القدرة على الهجرة عنهم حرام بإجماع. قال رسول الله ﷺ: «أنا بريء من كل مسلم مقيم بين المشركين»[4]، وكيف يقيم ببلد يكفر فيه بالرحمن وتعبد فيه من دونه الأوثان.

---

(١) انظر: المعيار المعرب ٢/ ١١٩، وقد تقدم ذكر تشنيع د. حسين مؤنس لفتوى هذا الفقيه المغربي، مسفهاً رأيه زاعماً أنه فقيه متقاعس، والأولى أن لا تصدر منه هذه الفتوى. وقول د. مؤنس قول مؤرخ، لا دليل عليه بل مخالف للدليل، وكان عاقبة من بقي من الأندلسيين الذين لم يهاجروا أن هجروا، ثم نصروا عنوة، طوال مدة مئة وخمسين سنة.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى العبدوسي، مفتي فاس وعالمها الكبير ومحدثها الشهير كان من أهل الخير والصلاح والإيثار، توفي سنة تسع وأربعين وثمان مئة ٨٤٩هـ. انظر: كتاب الاستقصى لأخبار دول المغرب الأقصى ٢/ ١٠١، شذرات الذهب ٢/ ٣٤٣ شجرة النور الزكية، ص٢٥٥.

(٤) رواه الترمذي ٤/ ١٥٥، رقم (١٦٠٤)، باب ما جاء في كراهة المقام بين أظهر المشركين بلفظ: «أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: «لا ترايا ناراهما».

لا أحد على هذا إلا من كان مسلم سوء مريض الإيمان، فأما إن منعوا من الخروج عنهم ألا يتركوا أموالهم من غير خوف على أنفسهم ولا على أهليهم فإنه يجب عليهم الخروج بتسليم أموالهم إن كانوا يبقون لهم منها ما يبلغهم إلى أرض الإسلام، وإما إن كانوا يخافون على أنفسهم وعلى أهلهم فإنه يجوز المقام عندهم، ولا يكون جرحة في شهادتهم»[1].

حرمة تقليد اليهود والنصارى والتشبه بهم أو إعانتهم على منكراتهم:

يستدل الإمام **ابن برجان** على حرمة تقليدهم والتشبه بهم بقوله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن»[2].

وكذلك المحدث **عبد الله الأزدي الأندلسي** على الحرمة بهذا الحديث، وقال في التقليد لهم «هل هو على العموم في جميع طرقهم، أو على الخصوص احتمل. لكن الظاهر العموم، بدليل الحديث نفسه..»[3].

واستدل الامام **أبو بكر بن العربي** على حرمة ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وفي الآية النهي عن مصاحبة الكفار من أهل الكتاب، حتى نهى عن التشبيه بهم، قال أنس قال النبي ﷺ: «لا تستضيؤا بنار أهل الشرك، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً»[4] فلم ندر ما قال حتى جاء الحسن فقال: «لا

---

(١) نوازل ابن طركاط مخطوط أندلسي، ورقة ٩٣ ـ ٩٤. مصور أخذته من الدكتور. حسن الوراكلي المغربي، خاص بخزانته.

(٢) انظر: تفسير ابن برجان، بلا ترقيم، عند تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾. والحديث رواه البخاري ٣/ ١٢٧٤، رقم (٢٣٧٠)، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٦٨٩٤)، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن». ومسلم ٤/ ٢٠٥٤، رقم (٢٦٦٩)، باب اتباع سنن اليهود والنصارى. وأحمد في مسنده ٢/ ٣٢٧، رقم (٨٣٢٢).

(٣) بهجة النفوس مخطوط أندلسي ٢/ ١٧٣.

(٤) رواه النسائي في سننه ٥/ ٤٥٤، رقم (٩٥٣٥)، باب ٤٨ من الزينة. وأحمد في المسند ٣/ ٩٩، رقم (١١٩٧٢).

تستضيؤا» لا تشاوروهم في شيء من أموركم، ومعنى «لا تنقشوا عربياً»: لا تنقشوا «محمد رسول الله»، إلى أن قال: «وقد صح عن النبي ﷺ النهي عن التشبه بالأعاجم»[1].

كما استدل بقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقال: «ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال في معرض الذم «لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه»[2]. ثم أورد حديث ذات الأنواط وأفاد أن النبي ﷺ أمر بإحياء السنن وحث على الاقتداء، ونهى عن اتباع أهل الكتاب[3].

ويستدل **ابن عبد البر**[4] على حرمة تقليدهم في شعائرهم والتشبه بهم بحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً»[5]، وبقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: «كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أنه قال: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب»[6].

كما استدل **الشاطبي** بأحاديث الافتراق وبأحاديث اتباع سنن اليهود والنصارى، وبحديث الأنواط في نهي المسلمين عن التشبه بهم وتقليدهم في ابتداعهم وشركهم ومنكراتهم[7].

---

(١) أحكام القرآن ١/ ٣٨٧.

(٢) رواه البخاري ٣/ ١٢٧٤، رقم (٣٢٦٩)، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ومسلم ٤/ ٢٠٥٤، رقم (٢٦٦٩)، باب اتباع سنن اليهود والنصارى. وأحمد في مسنده ٢/ ٣٢٧، رقم (٨٣٢٢).

(٣) انظر: أحكام القرآن ٢/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٤) انظر: التمهيد ١/ ١٦٧، والاستذكار ٢٦/ ٥٧.

(٥) رواه البخاري ٤/ ١٦١٤، رقم (٤١٧٧)، باب مرض النبي ﷺ ووفاته. وإسحاق بن راهويه في مسنده ٢/ ٢٦٣، رقم (٧٦٧).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) انظر: الاعتصام ٢/ ١٥٩، ١٦٠.

وتقدم نهي العلماء عن تقليدهم في الخوض في الله وفي دينه، بل في الأديان بغير علم، ونهيهم عن حضور هذه المجالس ـ مجالس اليهود والنصارى والمشركين ـ ومن هؤلاء الفقيه العالم **أحمد بن محمد بن سعدي**، لما حضر مجالسهم مرتين، فرأى ما فيها من الكفر والباطل فقاطعها ونهى عنها[١].

ويتضمن نهي العلماء والتنفير منهم ومن عقائدهم وسلوكهم؛ لأن بعض المسلمين قد أعجب بهم، وقد مر بعض من قلدهم في سلوكهم وملبسهم وكلامهم، كابن مردينش، وابن حفصون والتجيبي من الأمراء المذكورين آنفاً، وكذا ذهب كثير من العوام يرقب أعيادهم ويحتفل بها ويحتفي بها أكثر من أعياد المسلمين، كعيد ميلاد عيسى وعن نيرون وعن العنصرة[٢]، ويصف ابن بشكوال اهتمام اللفيف من الجمهور والعالم الكثيف من أهل عصره تواطؤهم على إعظام شأن هذه البدع الثلاث الميلاد ونيرون والعنصرة تواطؤاً فاحشاً، وأنهم التزموا الاحتفال لها، والاستعداد لدخولها التزاماً قبيحاً، يرقبون مواقيتها، ويفرحون بمجيئها[٣].

ولذا هتك العلماء أستارهم وفضحوا أسرارهم، وحذروا منهم ومن بدعهم وسلوكياتهم المنحرفة ودعوهم إلى التمسك بأهداب الدين ونبذ البدع والعادات النصرانية الزائغة. وقد أوردت شيئاً من ذلك في فصل المناظرة ورد الشبهات، لما رد العلماء عليهم وكشفوا عوارهم، ومنهم ابن غرسية النصراني الشعوبي.

وممن أسهم في ذلك من العلماء، **أبو الطيب بن منّ الله**[٤]، يقول

---

(١) انظر: جذوة المقتبس، ص١٧٥، ١٧٦.

(٢) انظر: الدر المنظم في مولد النبي الأعظم، لأبي العباس أحمد بن محمد العزفي، وابنه أبي القاسم محمد، ص١٩، ٢٩، نشر مقدمة الكتاب المستشرق: فرناندو دي لاجرانخا في مجلة الأندلس الإسبانية، عدد ٣٤، عام ١٩٦٩م.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص٢٣.

(٤) هو أبو الطيب عبد المنعم بن منّ الله الهواري القيرواني، يعرف بابن الكماد، فقيه =

مخاطباً إياهم «ينجون ولا يستنجون، ويتجنبون ولا يتطيبون، رعاة الخنازير، وأكلة السنانير»، ويذمهم كذلك «وأنتم كما وصفت، ملس لمس، لا تغيرون ولا تغارون، ولا تمنعون ولا تمتنعون قلوبكم قواء[1] وأفئدتكم هواء وعقولكم سواء، قد لانت جلودكم، ونهدت نهودكم واحمرت خدودكم، تحلقون اللحى والشوارب، وتتهادون القبل في المشارب»، ويضيف «ومن الآيات ذكر صواحب الرايات، والمباضعة عندكم كالمراضعة، ما في السكر عندكم نكر، تبيحون ولوج العلوج، على بدور الحدوج[2]، الزنا عندكم سنا، والفجار بينكم فخار»[3]. ولله دره ما أذكاه وأحصفه وأفصحه، وكأنه يصف حال نصارى اليوم في نبذ الشرف والأخلاق والعفة.

وتفيدنا فتاوى العلماء الأندلسيين وكتاباتهم اهتمامهم بشؤون المجتمع والحرص على أن لا يتسرب إليها شيء مما عند النصارى من المنكرات والفواحش والبدع، وهي منع ورد وتصد لهذه المظاهر النصرانية.

فالجرسيفي في رسالته في الحسبة ينهى ويحذر من تقليدهم في أعيادهم ومن ذلك عيد العنصرة حيث يُعمد بعض «السفلة والصبيان برش الماء في الأسواق والشوراع وتزليق الشوارع والطريق يوم المهرجان واللعب بالمقارع والعصي في الشوارع»[4].

ويشدد **الطرطوشي** في كتبه في تقليد اليهود والنصارى، لا سيما في الأعياد.. «ومن البدع اجتماع الناس في أرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة سبعة وعشرين من رمضان وكذلك على إقامة يَنَيَر بابتياع الفواكه كالعجم،

= أديب، قدم الأندلس أيام فتنة العرب التي سمع بها، وحدث بشرقيها. توفي سنة ٤٩٣هـ. انظر: الصلة، ص٣٧١، كشف الظنون ١/ ٦٤٤.

(١) قواء: خاوية مقفرة. انظر: غريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٢٧٢.

(٢) الحدوج: الحدج، هودج لنساء العرب. انظر: العين ٣/ ٧٣.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق٣/ ٢/ ٧٢٦، رسائل أندلسية لمؤلف مجهول، ص١٩٣ ـ ١٩٥.

(٤) رسالة الجرسيفي في الحسبة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية، ص١٢٤.

وإقامة العنصرة وخميس إبريل بشراء المعجنات والإسفنج وهي من الأطعمة المبتدعة، وخروج الرجال جميعاً أو أشتاتاً مع النساء مختلطين للتفرج . . .»[1].

وأبو عبد الله بن الحاج ينهى عن مساعدتهم أو إعاناتهم على منكراتهم وأن لا يباع من النصارى شيء في مصالح عيدهم من لحم أو إدام أو ثوب.

قال ابن الحاج: «ولا يعارون دابة ولا يعانون على شيء من عيدهم؛ لأن ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم، وينبغي للسلاطين أن ينهو المسلمين عن ذلك»[2].

وهذا من إدراكه رحمه الله لخطورة تقليد النصارى إذ هو إعلاء لها وإعجاب بها، يوشك أن يستحيل إلى شيء أكبر وأعظم؛ فينهى عن ذلك ويستعين على ذلك بالسلاطين؛ لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ويحرم **ابن حزم** إعانتهم على كفرهم وما يتقوون به على المسلمين من دواب وسلاح وحديد وخيل[3]، كما يحرم بيع كل ما يحرم وحتى وإن كان مستحلاً في دينهم كبيع الخنزير والصليب والصنم؛ لأنه إعانة لهم على المنكر[4].

كما ذهب إلى هذا **ابن رشد** في مقدماته.

وكذلك شدد في بيع العبد النصراني؛ لأنه يدلهم على عورات المسلمين، وإنما يجوز أن يباع لهم ما لا يتقوى به في الحرب ولا يرهب في القتال[5].

وبه أفتى الإمام **الشاطبي** لما استفتي في حكم بيع ما منعه الفقهاء مما

---

(١) الحوادث والبدع، ص١٤٨.
(٢) المعيار المعرب ٢/ ٤٨٩.
(٣) انظر: المحلى ٤/ ٣٤٩، ٦/ ٦٥، وإلى هذا ذهب ابن رشد في بيع الديباج لهم أنه يجوز ما لم يتقووا به على المسلمين. انظر: البيان والتحصيل، ص١٦٨.
(٤) انظر: المصدر السابق، ص٦/ ٨.
(٥) انظر: المقدمات ٢/ ١٥٤، ١٥٥، وكذا البيان والتحصيل ٣/ ٢٠٧، في ذات الموضوع بيع العبد النصراني لهم.

يقوي به النصارى أهل الحرب كالسلاح مع حاجة المسلمين وضرورتهم إلى المأكل والملبس[1]، وبه أفتى في فتاواه، كما حرم بيع الشمع إن كانوا يستعينون به على المسلمين، أو كانوا يستعينون به على منكراتهم أو أعيادهم أو آلهتهم[2].

وممن أسهم في التصدي لهذه المظاهر الاحتفالية البدعية الحافظ الفقيه **ابن وضاح**[3] **في كتابه** «البدع والنهي عنها»[4].

ويذهب **أحمد القباب**[5] «أن الإعطاء في أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان مكروه، ولا يجوز لمن فعله ولا يحل لمن قبله بأنه من تعظيم الشرك»[6].

كما تصدى لها بعض الفقهاء منهم **عبد الملك بن حبيب**[7] الذي أفتى

---

(١) انظر: الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن علماء الحضرة، لمؤلف أندلسي مجهول مخطوط، ورقة: ٣٣، مكتبة إحياء المخطوطات القاهرة، رقم (١٢)، مصورة عن مكتبة الأسكوريال، رقم (١٠٩٦) وللمزيد حول المخطوط انظر: فهرس المخطوطات بالجامعة العربية ١/ ٢٧٩.

(٢) انظر: فتاوى الشاطبي، ص١٤٤ ـ ١٤٧.

(٣) هو محمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية، يكني أبا عبد الله، إمام حافظ فقيه محدث قرطبي عالم بالحديث بصير به، كان زاهداً متقشفاً، توفي سنة ٢٨٦هـ. انظر: الديباج المذهب ٢/ ١٧٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٤٥، العبر ٢/ ٨٣.

(٤) انظر: البدع والنهي عنها، للإمام ابن وضاح، ص٢ ـ ٧٥، عني به: محمد أحمد دهمان، مطبعة الاعتدال دمشق، ١٣٤٩هـ.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، الشهير بالقباب، إمام فقيه حافظ زاهد متفنن، أحد العلماء العاملين، أخذ كثيراً من أهل العلم وعنه كذلك، تولى القضاء بجبل الفتح، وقعت له مع الإمام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف أحسن فيها للغاية، وله فتاوى مشهورة، توفي سنة ٧٧٨هـ أو ٧٧٩هـ. انظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص٢٣٥.

(٦) المعيار المعرب ١٢/ ٤٩.

(٧) هو الفقيه الكبير عالم الأندلس أبو مروان السلمي ثم المرداسي الأندلسي القرطبي، ولد بعد عام ١٧٠هـ روى عنه أكابر علماء الأندلس، وهو أول من بث مذهب مالك في الأندلس ودوّن فيه كتاب الواضحة، روى عنه أكابر علماء الأندلس، وهو أول من =

بأن الإعطاء في أعياد النصارى مكروه[1].

وكذا نهى **يحيى بن يحيى**[2] عن إجراء الخيل ورش الماء واغتسال النساء في المهرجان[3]، إذ فيه إعانة لهم على باطلهم، وأنكر **ابن لبابة** ما يحدث في هذه الأيام النصرانية البدعية إذ فيها من المنكرات التي ينهى عنها الشرع الكثير، فضلاً عن خروجها على حدود الآداب العامة[4].

وكذا **ابن رشد** لما سئل أن بعض المسلمين يجتمع في أعياد النصارى عند الكنائس ليبيعوا للنصارى الثياب والأمتعة، فأفتى بكراهة ذلك إذا علم أنها لأعيادهم وكنائسهم. وحرم ذلك بعض أهل العلم[5]، كذا تصدى العلماء لهذه المنكرات والبدعيات في الخطب والأعياد الإسلامية، **فأبو عبد الله بن أبي الخصال** ينتهز فرصة عيد المسلمين فيذكرهم بما يجب الاقتداء به، من أعيادنا وما يجب نبذه من أعيادهم: «أَمَتْنَا أيام ملتنا الأوانس وأحيينا مهرجان الروم وفارس، وجددنا نيروزها الداثر الدارس، وهجرنا تسبيح تلك وقرآنها وأعدنا

= أظهر الحديث بالأندلس، وكان أساً في مذهب مالك، فقيهاً نحوياً إخبارياً نسابة طويل اللسان متصرفاً في فنون العلم، توفي سنة ٢٣٩هـ. انظر: طبقات الحفاظ ١/ ٢٣٧، أبجد العلوم ٢/ ٣٨٩، طبقات الفقهاء ١/ ١٦٤.

(١) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقه والأندلس والمغرب، للونشريسي، م٦/ ورقة ١٦٦ب، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، مكتبة آل حبت، شنقيط.

(٢) هو يحيى بن يحيى بن كثير مولاهم الفقيه أبو محمد الليثي الأندلسي، قيل أصله من برابرة مصمودة، رحل إلى مالك وهو صغير وسمع منه وتفقه بالمدنيين والمصريين من كبار أصحاب مالك، وكان مالك يعجبه سمته وعقله، وروي أنه كان يوماً عند مالك في جملة أصحابه إذا قال قائل: قد حضر الفيل فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا إليه فقال له مالك: لم لا تخرج فترى الفيل لأنه لا يكون بالأندلس، فقال له يحيى: إنما جئت من بلدي لأنظر عليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجئ لأنظر إلى الفيل، فأعجب به مالك وسماه أعقل أهل الأندلس وانتهت إليه الرياسة في العلم بالأندلس توفي سنة ٢٩٨هـ أو ٢٣٤هـ. انظر: طبقات الفقهاء ١/ ١٥٧، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٢١، العبر ١/ ٤١٩.

(٣) انظر: المعيار المعرب م٦/ ورقة: ٨٤ب، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، مكتبة آل حبت، شنقيط.

(٤) انظر: المصدر السابق م٦/ ورقة: ٦٧ب.

(٥) انظر: البيان والتحصيل ٣/ ١٦٩.

لهذه الطاغية أقرانها، وصارعناها إلى نيرانها وأوثانها»، ثم بيّن لهم ما منّ الله به على الأمة من هذا الدين إذ هو طريق الرضوان ومن ذلك تلك الأيام المباركة التي «دلّهم بها على سبل إلى رضوانه تشرع وأبواب إلى غفرانه تقرع، ودرجات إلى داره دار السلام تفرع»(1).

هذا بعض كلام أهل العلم في تشديدهم ونهيهم عن التشبه بالكافرين أو تقليدهم أو إعانتهم على منكراتهم.

وهي قواعد هامة عامة **خلاصتها**:

- **حرية المعتقد الخصوصية الدينية.**
- **حكم موالاتهم ومحبتهم ومودتهم.**
- **تكريم وإعزاز المسلم مقابل اليهود والنصارى.**
- **العدل فيهم وإنصافهم وحفظ حقوقهم وخصوصياتهم، وحفظ العهود والمواثيق معهم.**
- **زجر وتعزير النصراني الضار بالمسلمين أو بالنصارى.**
- **أخذ الجزية من أهل الذمة.**
- **منع إحداث الكنائس ببلاد الإسلام.**
- **كراهة سكنى بلاد النصارى وممازجتهم والاختلاط بهم.**
- **حرمة تقليد اليهود والنصارى والتشبه بهم أو إعانتهم على منكراتهم.**

وكل ما مضى من القواعد التي فرطت، إنما كانت نبراساً يهتدي به أهل الأندلس من كلام علمائهم الأجلاء الأفذاذ الذين حرصوا أولاً وقبل كل شيء أن تكون وفق الدليل الشرعي، من كتاب الله وسنّته ﷺ، ثم بعد ذلك يجتهد العالم والفقيه في النازلة التي يستفتى فيها، أو يرى أن من واجبه إصدار الفتوى حولها مراعياً قدر جهده الدليل، وبالتالي ينتج عن ذلك الحكم الشرعي الوسطي النوراني. عل الحاكمين للأمة من علماء وأمراء يلتزمون ويأخذون بأسباب القوة والنصر والعزة.

---

(1) رسائل ابن ابي الخصال، ص٥٦٦ ـ ٥٦٧.

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد فأحمد الله تعالى حمداً كثيراً أن فسح لي في عمري حتى أنهيت ما عزمت عليه من تسطير هذا البحث وأشكره أن منحني الجد والاجتهاد والجلد في جمع المراجع والمصادر البحثية من الأندلس (إسبانيا) والمغرب وموريتانيا والقاهرة وغيرها. واستخراج ما يتعلق بالبحث من جمع شتات المادة العلمية وصياغتها حسب الترتيب والتبويب الوارد في خطة الرسالة. كما أستغفره من كل نية أو خاطرة أو عمل شابه شيء لغير وجهه الكريم. ويعلم الله أنني أختم هذا البحث وفي قرارة نفسي ـ أنني أختمه بيقين ـ أنى ما أرويت به غليلاً ولا شفيت به عليلاً، وأنه لولا الإطالة وخوف الفترة الملالة لزدت فيه ما فتح الله به ـ وما أكثره من ذي الجلالة ـ فله الحمد في الأولى والآخرة.

ومما يحسن في الختام أن ألخص وأجمع أهم النتائج التي توصلت إليها في خاتمة بحث رافقته أربع سنين على الدوام. وهي مرتبة ـ قدر الإمكان ـ حسب مخطط البحث في اتساق ودقة وانتظام، وهي كالتالي:

١ ـ أن عقائد وشرائع النصرانية ـ المضادة لبدهيات العقليات والشرعيات ـ دفعت بكثير منهم إلى الإلحاد، قديماً وحديثاً، وإلى الإباحية والتحرر من كل شريعة وعقيدة، وما يلحقها من محاسن الشيم والعفة.

٢ ـ أن دين النصرانية دين وثني وضعي يقدس الأصنام ويعبدها من دون الله، وأن عيسى بريئ من هذا الدين براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

٣ ـ أن النصارى مضطربون حائرون في ربهم وخالقهم عز وجل، فتارة

يزعمون أنه عيسى، وتارة يقولون إنه الأب دون الابن، وأن هذا الاختلاف لا يزال فيهم إلى اليوم.

٤ ـ أنهم ممثلة ومشبهة ومجسمة في صفات الله، إذ يزعمون أن صفات الخالق ومنها الكلام والعلم تستحيل وتتحول إلى شيء مخلوق.

٥ ـ أنهم يعتقدون أن الله ثلاثه. إله وملك وبشر، وأن عيسى هو ابن الله الوحيد الذي أنزل ليكفِّر عن خطايا البشر.

٦ ـ أن النصارى ليس عندهم حجة شرعية أو عقلية قاطعة من أن المسيح هو الذي صلب، ولهم خبط واضطراب كبير في ذلك. وصدق الله أنهم في شك منه، وأنهم إنما يتبعون الظن.

٧ ـ أن التثليث بدعة شركية خطيرة ـ مضادة لبدائه العقول ـ اعتنقها النصارى بضغط أحد ملوك الرومان الوثنيين، أو غير ذلك. لا دليل عليها في كتبهم المقدسة، ولا تزال تعتقدها النصارى إلى اليوم.

٨ ـ أن النصارى تنتقص الملائكة وتصفها بغير ما وصفها الله، فتزعم أن الملائكة لا تعرف الله، إنما يعرفه المسيح وحده، وأن المسيح لما جاء إلى الأرض وهو (الواسطة) المخلوق والخالق، جاء مع الملائكة. وأنها تأكل وتشرب وتنام تارة.

٩ ـ أن النصارى تعتقد أن جبريل (روح القدس) هو صفة الحياة لله تعالى التي استحالت إلى إله، هو أحد الأقانيم الثلاثة، وأن عيسى هو الابن والروح القدس معاً؟ وهو الله ثالثاً، مصادمة للفطر والشرائع والعقول.

١٠ ـ أن النصارى تؤمن بالعهد القديم (التوراة) وتعتبره شريعتها، ومع ذلك لا تطبق كثيراً مما فيها من الشرائع كالأمر بالتوحيد والختان وتحريم الخمر والخنزير... إلخ.

١١ ـ أن النصارى تكذب بالقرآن الكريم وتقدس التوراة والإنجيل وتسميها «الكتاب المقدس»، ومنهما تستمد شرائعها بالإضافة إلى رسائل التلاميذ. ويظهر للناظر العابر غير الفاحص الباصر أن هذه الكتب والرسائل

فيها من الاضطراب والتناقض والتصادم والتضاد في أساسيات العقائد والشرائع والأخبار، الكثير الكثير.

١٢ ـ أن الأناجيل «العهد الجديد» يناقض بعضها بعضاً في كثير من الحوادث التي وقعت في حياة المسيح، كما أن فيها من الاضطراب في رواية الأحداث الكثير، مما يدل على وضعها وتأليفها بيد البشر. إذ لو كان من عند الله لما وجد كل هذا الاختلاف. كما أن فيها الكثير من الكذب والبهتان والافتراء على المسيح عليه السلام.

١٣ ـ أن النصارى في كتابهم المقدس تتنقص الأنبياء وترميهم بالموبقات والكبائر وتزعم أنهم لا زالوا في جهنم حتى استخرجهم المسيح المخلص، وأنهم يثبتون العصمة والنبوة لغير الأنبياء، كبعض النساء والتلاميذ وكتبة الإنجيل والرسائل كما يثبتونها اليوم لرجال الدين من الأقسة والرهبان.

١٤ ـ أنهم يثبتون النبوة للأنبياء ويغلون فيها عند يحيى عليه السلام، إذ زعموا أنه أكثر من نبي، ويزعمون أن النبوة قد انقطعت من بعده ثم يثبتونها لعيسى ولغيره. وأنهم ينكرون نبوة إسماعيل عليه السلام ومن جاء من ذريته.

١٥ ـ أن النصارى تثبت النبوة لعيسى وتغلوا فيها فتوصله إلى درجة الإلهية وتزعم أنه نبي وإله، وتعتقد أن رسالته عامة لكل الناس، وتطعن النصارى في عيسى ونبوته، إذ تزعم أنه كان يختفي بمعجزاته ولم يظهرها للناس، وأنه كذب إذ خالف الواقع في كثير من أقواله، وتنتقصه حيث شك في قدرة الله وجزع جزعاً شديداً، وصاح معترضاً على ذلك الصلب. وأنه صلب وصفع ووضع فوقه الشوك وسمرت يداه.

١٦ ـ أن النصارى تنكر رسالة النبي ﷺ وتكذب به كاليهود، وتطعن في نبوته وتفتري عليه الكذب على أنه مسطور نعته ووصفه في كتبهم. وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المعاصرة، وكثير من رجالاتها بالاعتراف الجزئي بنبوة النبي ﷺ، وهو بمثابة أنبياء بني إسرائيل بعد موسى.

١٧ ـ أن بولس (شاول) هو من مؤسسي النصرانية المحدثة، وهو واضع

أصولها ومبدل شرائعها، وهو عندهم أصدق من موسى عليه السلام، وتسميه النصارى بولس الرسول.

١٨ ـ أن النصارى تؤمن باليوم الآخر إيماناً عاماً مجملاً مبهماً به الكثير من الغبش وعدم الوضوح، وتعتقد أن المسيح هو الذي سيحاسب الناس بجوار والده (تعالى الله)، كما تعتقد أن الجنة ليس فيها نعيم الأكل والشراب والوطء وبقية النعم والملذات.

١٩ ـ أن النصارى وضعت التشريع بأيدي القسس ورجال الدين، فبدلوا الشريعة النصرانية وأحلوا الحرام وحرموا الحلال وعبدوا الصور والأصنام من دون الله.

٢٠ ـ أن للكنيسة طقوساً وأسراراً ـ وضعها رجال الدين ـ مصادمة للعقول، يحرم السؤال عنها وعن حكمتها وكنهها وثمرتها عددها سبعة أسرار عند الكنيسة الشرقية، وتزيد عن ذلك في الغربية. مما دفع الكثير منهم للردة عن الدين بسببها.

٢١ ـ أن الكنيسة الكاثوليكية تحسنت في أيامها الأخيرة وغيرت من تعصبها المقيت وتنازلت عن بعض عقائدها المنحرفة، فاعترفت بأن الخلاص يناله بعض الأديان الأخرى، ومنها دين الإسلام، كما اعترف بعض أربابها بنبوة النبي ﷺ جزئياً.

٢٢ ـ أن علماء الأندلس كانوا يردون على شبهات النصارى عند ظهورها فيأدوها في مهدها ويبيّنوا للناس بطلانها، إذا البيان لا يؤخر عن وقت الحاجة، وربما قلبوا الشبهة عليهم في كثير من المسائل.

٢٣ ـ أن علماء الأندلس طبقوا منهج التسامح مع أهل الكتاب وفق شرع الله، دون إفراط أو تفريط.

٢٤ ـ أن علماء الإسلام طبقوا ما قرره الإسلام من قواعد عملية في معاملتهم مع أهل الكتاب.

٢٥ ـ أن الجدل العقائدي في الأندلس اشتد أواره، وكان جله وأكثره

بعد القرن الرابع أو الخامس الهجريين، ولعل لذلك بعض الأسباب السياسية والعسكرية بعد انحسار ملك المسلمين وتقدم النصارى وشعورهم بالقوة والسيطرة والهيمنة.

٢٦ ـ أن الواجب على فقهاء الإسلام ودعاته مجادلة النصارى بالتي هي أحسن إلا للظالمين منهم، إذ ذاك أدعى لتقريبهم وإدخالهم في دين الإسلام.

٢٧ ـ أن الواجب على علماء الإسلام بيان خطورة التسامح المطلق من كل وجه مع النصارى، وبيان خطورة دعوات (حوار أهل الإيمان) أو (اتحاد الأديان) . . . إلخ، وبيان زيفها وبطلانها ومخالفتها لما علم من الدين بالضرورة. وكشف المراد بصيحات: حوار الأديان، وحوار الحضارات.

٢٨ ـ أن النصارى أشد الناس على الأمة الإسلامية، وهم ـ غالباً ـ وراء كل نكبة من نكباتها من أول تاريخها إلى اليوم، والواجب مجاهدتهم باللسان والقلم والسنان والإغلاظ لهم، لا سيما أشدهم على الأمة من رجال الدين ممن يستحق ذلك.

٢٩ ـ أن الحروب الفكرية والعسكرية ـ غالباً ـ ما يبتدئ بها النصارى، ثم يأتي دور المسلمين للدفاع. والواجب أن تبدأ الأمة الإسلامية بهذا، إذ خير وسيلة للدفاع الهجوم.

٣٠ ـ أن الديانة النصرانية المعاصرة بقايا وأطلال لدين وثني فاسد قديم منحرف، يزداد انحرافاً وبعداً عن شريعتهم كل يوم. وأنه دين غير ثابت الشرائع والعقائد فهو في تغير مستمر على يد رجال الكنيسة الذين يحاولون اللحاق بركب الحضارة الغربية وتسويغ أي شذوذ يطرأ عليها.

٣١ ـ أن القسس بدأوا حركة الاستشراق من وقت مبكر مع المسلمين. وكان أول ذلك في الأندلس عندما بدأوا ترجمة القرآن للغاتهم برسم النقد، وكذا كتب المسلمين لتشويه صورته عند النصارى أولاً، وعند المسلمين ثانياً؛ ليصدوا عن سبيل الله. وقد سار على نهجهم تلامذتهم إلى يومنا هذا.

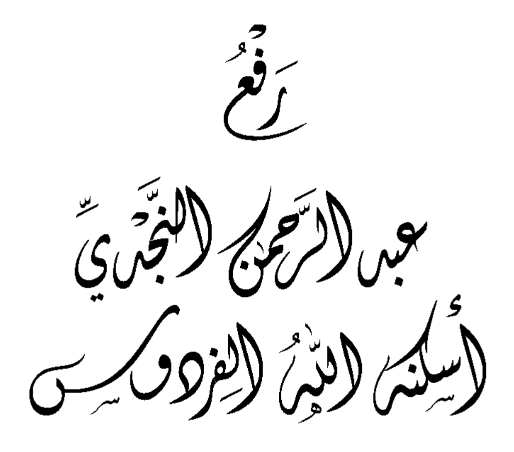
٣٢ ـ أن العلماء كان لهم أكبر الأثر في حفظ الشعب الأندلسي المسلم من الذوبان المبكر في النصرانية ديانة وعادات.

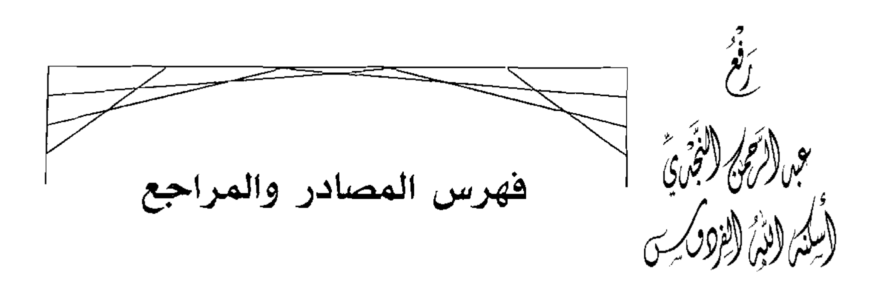
٣٣ ـ أن العلماء كان لهم أكبر الأثر في حفظ وثبات الإسلام والمسلمين في الأندلس قرابة ثمانية قرون بفضل جهادهم في سبيل الله.

٣٤ ـ أن النصارى يتحاشون المناظرة والمجادلة العلنية مع المسلمين، وغالباً ما يخسرونها أمام العامة ويظهر فيها عز الإسلام لضعف حجتهم في تقرير عقائدهم التي تصادم بدائه العقول، ولذلك يلجأون إلى أساليب الترجمة وخلط الباطل بكتب المسلمين ونشرها للعامة.

٣٥ ـ أن كثيراً من رجال الدين النصارى هم أفسد الخلق وأكلة الحرام وهم الزناة اللوطة، إذ هم الذين حرموا على أنفسهم الزواج وصادموا الفطرة، واضطروا تحت ضغط الطلب الغريزي الفطري إلى الصلاح الظاهر والفساد الشاذ الباطن لتلبية نداء الفطرة، ووقعوا في الفصام النكد «النفاق»، فاحتالوا على الناس بشتى الحيل لاستمالتهم وأكل أموالهم.







فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة:

١ ـ **أحكام الآخرة والكشف عن أسرارها الباهرة**، مخطوط، لأبي بكر بن العربي، مصور أخذته عن الخزانة العامة بالرباط ٧/٧ ط.

٢ ـ **بهجة النفوس وتحليها بما لها وما عليها**، عبد الله بن سعيد الأزدي الأندلسي، مخطوط أندلسي بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، أنواكشوط، رقم (٣٩٧).

٣ ـ **تفسير ابن برجان**، عبد السلام بن عبد الرحمن بن برجان، تسميته من كشف الظنون، مخطوط بمركز الملك فيصل رقم (٨٩) ـ ف، مصور عن مكتبة السليمانية بتركيا ٢٢٤ ورقة. وأوراق منه بمكتبة عنيزة الوطنية بالجامع الكبير، كتاب رقم (٩٧).

٤ ـ **تقريب الأمل البعيد في طبقات الحفاظ فتاوى الأستاذ أبي سعيد**، مخطوط مصور، خاص بمكتبة د. حسن الوراكلي المغربي، وهي في مكتبة معهد إحياء المخطوطات العربية بمصر، رقم (٥)، مصورة عن الأسكوريال، رقم (١٠٩٦).

٥ ـ **الحديقة المستقلة النضرة في الفتاوى الصادرة عن علماء الحضرة**، مخطوط مجهول الجامع، دير الأسكوريال، رقم (١٠٩٦)، مكتبة إحياء المخطوطات، القاهرة، رقم (١٢)، مصورة عن مكتبة الأسكوريال، رقم (١٠٩٦).

٦ ـ **الذخيرة في علم الدار الآخرة**، مخطوط لأبي بكر بن العربي، بالمكتبة الوطنية بمدريد ، بلا ترقيم.

٧ ـ **مسائل ابن الحاج**، مخطوط، لمحمد بن أحمد بن الحاج، خاص بخزانة د. حسن الوراكلي المغربي، بلا ترقيم.

٨ ـ **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب**، أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت، مخطوط بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي، مكتبة آل حبت، شنقيط.

٩ - **نوازل الإمام ابن بشتغير**، مخطوط أندلسي، من مدخرات الخزانة الحسينية، بالرباط، رقم (١١٦٩٠/ز)، حصلت على نسخة منه من د. حسن الوراكلي المغربي.

١٠ - **وثائق الفشتالي**، عبد الله بن محمد بن عبد الملك الفشتالي، مخطوط، في فهرس القرويين: محمد بن محمد، وفي فهرس الخزانة العامة: محمد بن أحمد. الرباط، المغرب/٢٠٦، ٢٠٧، مكتبة القرويين، بالمغرب/١١٤١، والمكتبة التيمورية، بمصر/٣٦١ فقه، خزانة القرويين/١١٨٥، ناسخها: أحمد بن محمد بن سعيد الورغني. ودار الكتب المصرية، رقم (٢٠٠)، فقه الإمام مالك، وهي مصورة بمركز الملك فيصل، برقم (١٢٦٤٣).

١١ - **وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس**، مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل، تحقيق: د. محمد عبد الوهاب خلاف.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة:

١٢ - **الإبانة عن أصول الديانة**، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين، دار الأنصار، القاهرة، ط. ١٣٩٧هـ.

١٣ - **أبجد العوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، صديق حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤ - **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**، د. عبد الحليم عويس، دار الاعتصام.

١٥ - **ابن حزم حياته وعصره وآراءه وفقهه**، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

١٦ - **ابن حزم خلال ألف عام**، جمع وتحقيق: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٧ - **ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره**، دراسة: محمد بن شريفة، ط. الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٨ - **أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، حياته وآثاره**، أ. ثريا لهي، المملكة المغربية، وزارة الأوقاف الإسلامية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٩ - **أبو عبد الله بن المناصف المجتهد المغربي**، محمد إبراهيم الكتاني، مجلة الباحث، السنة الأولى، م٢، ١٩٧٢م.

٢٠ ـ **الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين**، د. منجد مصطفى بهجت، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٢١ ـ **الآحاد والمثاني**، للإمام أحمد بن عمر بن أبي عاصم، تحقيق: باسم الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٢ ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٣ ـ **الإحاطة** «نصوص جديدة لم تنشر»، لسان الدين الخطيب، نشر: عبد السلام شقور، كلية الآداب، تطوان، المغرب، ١٩٨٨م.

٢٤ ـ **أحكام أهل الذمة**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف وفيات الأعيان أحمد البكري، شاكر توفيق، رمادي للنشر، دار ابن حزم، الدمام، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٥ ـ **الأحكام السلطانية**، للإمام أبي يعلى أحمد بن الحسين الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقى، ط. الثانية، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٦٩م، مطبعة الحلبي.

٢٦ ـ **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، للإمام علي بن محمد الماوردي، نشر: محمد فهمي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ١٩٧٨م، وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧ ـ **أحكام القرآن**، لأبي بكر ابن العربي، تحقيق: محمد عطا، دار الكتب العلمية ط. الأولى، دار الكتب العلمية. وتحقيق: محمد على البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٨ ـ **الإحكام في أصول الأحكام**، لأبي محمد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، ط. الأولى، ١٣٤٦هـ.

٢٩ ـ **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها**، لمؤلف مجهول، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٣٠ ـ **اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى**، لابن سعيد أبي الحسن بن موسى، اختصره أبو عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣١ ـ **الأدب الأندلسي من منظور أسباني**، لجماعة من الباحثين الأسبان، ترجمة د. الطاهر مكي، مكتبة الآداب، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٢ ـ **أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري**، فايز عبد النبي القيسي، دار البشير، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٣٣ ـ **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، الخليل بن عبد الله القزويني، تحقيق: محمد سعيد عمر إدريس، الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٩م.
٣٤ ـ **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، طبع اللجنة المشتركة بين دولتي الإمارات والمغرب.
٣٥ ـ **الاستبصار في عجائب الأمصار**، لمؤلف مراكشي مجهول، تحقيق: د. سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية ١٩٥٨م، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
٣٦ ـ **الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من المعاني والآثار**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، مؤسسة الرسالة، ١٤١هـ ـ ١٩٩٣م.
٣٧ ـ **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري وحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط. الأولى.
٣٨ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبد البر الأندلسي، بهامش الإصابة، ط. دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٣٩ ـ **أسرار الكنيسة السبعة**، الأرشيد ياكون جرجس، مكتبة المحبة، الطبعة السادسة.
٤٠ ـ **الأسفار المقدسة**، على عبد الواحد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
٤١ ـ **الإسلام والغرب، الإسلام والعلمانية**، بولس الخوري، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، ١٩٩٧م، -جونيه، لبنان.
٤٢ ـ **أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين**، خالد بن ناصر الغامدي، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، ط. الأولى، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٤٣ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط. دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
٤٤ ـ **الإصغاء إلى كلام الله في المسيحية والإسلام**، أندرواس بشته، عادل خوري بالاشتراك مع آخرين، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، ١٩٩٧م، جونيه، لبنان.

٤٥ ـ **أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي**، د. يوسف عيد، دار الفكر اللبناني، ط. الأولى، ١٩٩٣م.

٤٦ ـ **إظهار الحق**، للعلامة رحمت الله الهندي، تحقيق: د. محمد ملكاوي، دار الحديث، القاهرة، ط. الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٧ ـ **الاعتصام**، للإمام أبي إسحاق الشاطبي، مراجعة: خالد عبد الفتاح، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٤٨ ـ **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**، للإمام القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

٤٩ ـ **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، أو، تاريخ أسبانيا الإسلامية، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف ط. الثانية، ١٩٥٦م، بيروت.

٥٠ ـ **أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك**، ـ جزءان ـ المطران كيرلس سليم بسترس، والمطران جورج خضر، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية، ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠م، جونيه، لبنان.

٥١ ـ **الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م.

٥٢ ـ **الإكسير في فكاك الأسير**، محمد بن عثمان المكناسي، تحقيق: محمد الفاسي، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م.

٥٣ ـ **الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة**، محمد بن عبد الملك الجياني، تحقيق: محمد حسن عواد، ط. الأولى، ١٤١١هـ، دار الجيل بيروت.

٥٤ ـ **الف باء**، للأمام أبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي، عالم الكتب، توزيع مكتبة المتنبي، القاهرة، مكتبة سعد الدين، دمشق.

٥٥ ـ **الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية**، سليمان الطوفي الصرصري، تحقيق ودراسة: الدكتور سالم بن محمد القرني، مكتبة العبيكان، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٦ ـ **إنجيل لوقا الدراسي**، شرح إنجيل لوقا، دار الكتاب المقدس، ٢٠٠٠م.

٥٧ ـ **الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري**، محمد إبراهيم أبا الخيل، مكتبة الملك عبد العزيز، ط. الأولى، ١٤١٦هـ.

٥٨ ـ **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين ١٦ ـ ١٧**، محمد رزوق، ط. الثالثة، أفريقيا الشرق ١٩٩٨م.

٥٩ ـ **الأنساب**، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، نشره المستشرق د.س مرجليوث، طبع مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٧٠م.

٦٠ ـ **أنيس الفقهاء**، قاسم بن عبد الله القونوي، تحقيق: أحمد عبد الرزاق الكبيسي، دار الوفاء، ط. الأولى، جدة، ١٤٠٦هـ.

٦١ ـ **الأوزاعي، تعاليمه الإنسانية والقانونية**، صبحي المحمصاني، ط. الأولى، ١٩٨٧م، دار العلم للملايين.

٦٢ ـ **البحر المحيط**، محمد بن يوسف، الشهير بابن حيان الأندلسي الغرناطي، وبهامشه النهر الماد من البحر المحيط، له أيضاً، ط. الثانية، دار الفكر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٦٣ ـ **البداية والنهاية**، عماد الدين بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت.

٦٤ ـ **البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع**، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

٦٥ ـ **البدع والنهي عنها**، للإمام ابن وضاح، عني به: محمد أحمد دهمان، مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ.

٦٦ ـ **برنامج شيوخ الرعيني**، لأبي الحسن علي بن محمد الرعيني، تحقيق: إبراهيم شبوح، مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

٦٧ ـ **البلغة في تراجم أئمة اللغة**، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

٦٨ ـ **بغية الطلب في تاريخ حلب**، كمال الدين أحمد بن عمر بن حرادة، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨م.

٦٩ ـ **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، لأحمد بن حيان الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٧٠ ـ **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، لابن عذارى المراكشي أبو عبد الله، تحقيق: ليفي بروفنسال، إحسان عباس، بيروت، امبريسي هوثي.

٧١ ـ **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، لأبي الوليد أحمد بن محمد بن رشد، الجد، تحقيق: محمد صبحي، وآخرون حسب الأجزاء، دار الغرب الإسلامي، ط. الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٧٧م.

٧٢ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، محب الدين الحسيني الزبيدي، مادة سهلب، تحقيق: علي شيري، دار الفكر ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٧٣ ـ **تاريخ أسبانيا الإسلامية، أو**: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط. الثانية، ١٩٥٦م، بيروت.
٧٤ ـ **تاريخ افتتاح الأندلس**، لابن القوطية أبو بكر محمد بن عمر، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
٧٥ ـ **تاريخ الأندلس لابن الكرديوس** ووصفه لابن الشباط، لأبي مروان عبد الملك بن الكردبوس ضمن صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ص٤٨، سنة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م.
٧٦ ـ **تاريخ التعليم في الأندلس**، د. محمد عبد الحميد عيسى، دار الفكر العربي، ط. الأولى، ١٩٨٢م، دار الفكر العربي.
٧٧ ـ **تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس**، د. حسين مؤنس، ط. الأولى، مدريد، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.
٧٨ ـ **تاريخ الخلفاء**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.
٧٩ ـ **تاريخ الطبري، الملوك والأمم**، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.
٨٠ ـ **تاريخ الفكر الأندلسي**، آنخل جنثالث بالينثيا، ترجمة: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية.
٨١ ـ **تاريخ النصارى في الأندلس**، د. عبادة كحيلة، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
٨٢ ـ **التاريخ الأندلسي**، للدكتور عبد الرحمن الحجي، دار القلم ط. الرابعة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٨٣ ـ **التاريخ السياسي والحضاري**، السيد عبد العزيز سالم، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٩م.
٨٤ ـ **تحرير ألفاظ التنبيه**، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ.

٨٥ - **تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب**، لعبد الله الترجمان، تحقيق: عمر الداعوق، دار البشائر الإسلامية، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٦ - **تخجيل من حرف الإنجيل**، صالح الجعفري الهاشمي، تحقيق: د. محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٧ - **التذكرة في أحوال الموتى وأمر الآخرة**، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، طبعة دار الحديث الأولى، القاهرة.

٨٨ - **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك**، للقاضي عياض بن موسى السبتي، تحقيق: محمد تاويت، وآخرون، ط. الثانية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمغرب، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨٩ - **التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية**، خوليان ريبيرا، ترجمة: الطاهر مكي، دار المعارف.

٩٠ - **التسهيل لعلوم التنزيل**، للإمام محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي، دار الكتاب العربي، ط. الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٩١ - **التعريفات** ، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ.

٩٢ - **التكملة لكتاب الصلة**، أبو عبد الله بن الأبار القضاعي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٩٣ - **التكملة لوفيات النقلة**، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، تحقيق: بشار عواد، مطبعة الآداب في النجف، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، وط.الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٩٤ - **التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة**، للحسن بن محمد الصغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، محمد خلف الله، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٩٥ - **تلبيس إبليس**، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩٦ - **التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني**، د. محمد حتامله، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، نشر بدعم الجامعة الأردنية.

٩٧ - **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٨ ـ **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين**، د. محمد حتاملة، ط. الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، نشر بدعم الجامعة الأردنية.

٩٩ ـ **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد بن عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط. الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١٠٠ ـ **ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة**، اعتنى به الأستاذ: ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ص٤٨، ٤٩، عام ١٩٥٥م.

١٠١ ـ **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، دار ابن الجوزي.

١٠٢ ـ **الجامع الصحيح**، محمد ين عيسى الترمذي، مراجعة: أحمد محمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.

١٠٣ ـ **الجامع الصحيح المختصر**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٠٤ ـ **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مؤسسة العرفان، بيروت.

١٠٥ ـ **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، لأحمد بن القاضي المكناسي، دار المنصور للطباعة الرباط، ١٩٧٢م.

١٠٦ ـ **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثالثة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٠٧ ـ **جمهرة أنساب العرب**، لأبي محمد أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعرفة.

١٠٨ ـ **الجهاد**، لعبد الله بن المبارك، تحقيق: نزيه حماد، الدار التونسية، تونس، ١٩٧٢م.

١٠٩ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: د. على حسن عسيري، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان محمد، دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.

١١٠ ـ **جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى**، لأبي يحيى محمد بن عاصم الغرناطي، تحقيق: د. صلاح جرار، در البشير للنشر، طبعة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١١١ ـ **الحدود الأنيقة، والتعرفات الدقيقة**، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، ط. الأولى، ١٤١١هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت.

١١٢ ـ **حركة الحديث بقرطبة خلال القرن الخامس**، خالد الصمدي، طبع وزارة الأوقاف المغربية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٣م.

١١٣ ـ **حضارة الإسلام في إسبانيا**، امريكو كاسترو، ترجمة: د. سليمان العطار. دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٣م.

١١٤ ـ **الحلة السيراء**، لابن الأبار، منشور بعناية: دوزي، القاهرة.

١١٥ ـ **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس**، د. سعد البشري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط. الأولى، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١١٦ ـ **الحلل السندسية، في الأخبار والآثار الأندلسية**، للأمير شكيب أرسلان.

١١٧ ـ **الحلل الموشية**، لمؤلف مجهول، تحقيق: سيل زكار، عبد القادر زمامه، الرباط، ١٩٧٩م، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

١١٨ ـ **الحلة السيراء**، أبو عبد الله بن الأبار القضاعي، تحقيق: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط. الأولى، ١٩٦٣، دار المعارف، القاهرة، ط. الثانية، ١٩٨٥م.

١١٩ ـ **دائرة معارف القرن العشرين، الرابع عشر**، لمحمد فريد وجدي، دار الفكر، بيروت، ط. الرابعة.

١٢٠ ـ **درء تعارض العقل والنقل**، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٢١ ـ **الدر المنظم في مولد النبي الأعظم**، لأبي العباس أحمد بن محمد العزفي، وابنه أبي القاسم محمد، نشر مقدمة الكتاب المستشرق: فرناندو دي لاجرانخا في مجلة الأندلس الاسبانية، عدد، ٣٤، عام ١٩٦٩م.

١٢٢ ـ **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، مع نشر وتحقيق رسائل ابن العربي، د. عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٢٣ ـ **دولة الإسلام في الأندلس**، لمحمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، ط. الرابعة، ١٤١٧هـ.

١٢٤ ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، إبراهيم بن على بن فرحون، تحقيق: د. محمد الأحمدي، أبو النور، دار الكتب العلمية، بيروت، وطبعة مكتبة دار التراث، القاهرة.

١٢٥ ـ **ديوان ابن الأبار**، لأبي عبد الله بن الأبار القضاعي، تحقيق: عبد السلام الهراس، ط. الأولى، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

١٢٦ ـ **ديوان ابن خفاجة**، لابن خفاجة، تحقيق: د. سيد غازي، ط. الثانية، ١٩٧٩م، مكتبة المعارف، مصر.

١٢٧ ـ **ديوان ابن دراج القسطلي**، تحقيق د. محمود علي مكي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط. الأولى، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

١٢٨ ـ **ديوان ابن شهيد الأندلسي**، تحقيق: يعقوب زكي، مراجعة: د. محمود علي مكي، دار الكاتب العربي للطباعة، القاهرة.

١٢٩ ـ **ديوان ابن عبد ربه**، أو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

١٣٠ ـ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، لأبي عبد الله محمد ابن عبد الملك المراكشي تحقيق: إحسان عباس، محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ومطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.

١٣١ ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، لأبي الحسن بن بسام الشنتريني، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م.

١٣٢ ـ **الذخيرة السنية من تاريخ الدولة المرينية**، لعلي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٢م.

١٣٣ ـ **رحلة ابن بطوطة**، محمد بن عبد الله اللواتي، تحقيق: د. علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٣٤ ـ **الرحمة الإلهية في المسيحية والإسلام**، عادل تيودور خوري ومشير باسيل عون بالاشتراك مع آخرين، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، المكتبة البولسية ١٩٩٩م، جونيه، لبنان.

١٣٥ ـ **الرد على ابن النغريلة**، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. الثانية، ١٩٨٧م.

١٣٦ ـ **رسائل ابن أبي الخصال**، للفقيه أبي عبد الله بن الخصال، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٣٧ ـ **رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة**، ضمن كتاب، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة، اعتنى به الأستاذ: ليفي بروفنسال، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ص٤٨، ٤٩، عام ١٩٥٥م.

١٣٨ ـ **رسالة التوحيد**، إسماعيل عبد الغني الدهلوي، بلا بيانات.

١٣٩ ـ **الروض المعطار في خير الأقطار**، اختصر في كتاب سمي: صفة جزيرة الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم، ط، الثانية، مكتبة لبنان، تحقيق: د. إحسان عباس، ط. دار الجيل، بيروت، الثانية ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٤٠ ـ **رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين، ورد الإمام القاضي أبي الوليد الباجي عليها**، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، دار الصحوة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. وهي في مخطوط بمكتبة الأسكوريال، رقم (٥٣٨).

١٤١ ـ **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد الألفي، ط. الأولى، ١٣٩٩هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.

١٤٢ ـ **سراج الملوك**، للإمام أبي بكر الطرطوشي، دار صادر، ط. الأولى، ١٩٩٥م، بيروت.

١٤٣ ـ **السنن**، علي بن عمر الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هشام اليماني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٤٤ ـ **السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، مكة، ١٤١هـ ـ ١٩٩٤م.

١٤٥ ـ **السنن**، سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

١٤٦ ـ **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، حسين الأسد، مكتبة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٤٧ ـ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، للشيخ محمد بن محمد مخلوف، دار الفكر، بيروت.

١٤٨ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٩ ـ **شرح صحيح مسلم**، للإمام محيي الدين النووي، دار الفكر.

١٥٠ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز الحنفي علي بن علي، تحقيق: د. عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٥١ ـ **شرح قصيدة ابن القيم**، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤٠٦هـ.
١٥٢ ـ **شرح كتاب التوحيد**، سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
١٥٣ ـ **شرح معاني الآثار**، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، تحقيق: زهري البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
١٥٤ ـ **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد الحلواني، محمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.
١٥٥ ـ **صحيح مسلم**، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م.
١٥٦ ـ **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، للإمام محمد بن حبان التميمي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٥٧ ـ **صفة جزيرة الأندلس**، الروض المعطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد المنعم، ط، الثانية، مكتبة لبنان، تحقيق: د. إحسان عباس، ط. دار الجيل، بيروت، الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
١٥٨ ـ **الصلة**، لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.
١٥٩ ـ **صلة الصلة**، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي، تحقيق: عبد السلام الهراس، سعيد أعراب، طبع وزارة الأوقاف المغربية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
١٦٠ ـ **طبقات الشافعية**، تاج الدين السبكي، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، مطبعة الحلبي، بمصر.
١٦١ ـ **طبقات المفسرين**، للحافظ شمس الدين محمد بن علي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، مصر، ط. الأولى، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
١٦٢ ـ **طبقات المفسرين**، للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٩٦هـ.

١٦٣ ـ **طوق الحمامة**، لأبي محمد أحمد بن علي بن حزم، تحقيق: صلاح الدين القاسمي الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.

١٦٤ ـ **عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، للإمام أبي بكر بن العربي، دار الفكر، طبعة عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، وطبعة مكتبة المعارف، بيروت، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٦٥ ـ **العبادات المسيحية**، محمود حماية، ط. الثانية، مصر.

١٦٦ ـ **العبر في خبر من غبر**، محمد أحمد الذهبي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد مطبعة حكومة الكويت، ط. الثانية، ١٩٤٨م.

١٦٧ ـ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، لعبد الرحمن بن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م.

١٦٨ ـ **العدل في المسيحية والإسلام**، عادل خوري، مشير باسيل عون، بالاشتراك مع آخرين، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، حريصا، لبنان، المكتبة البولسية، ١٩٩٦م، جونيه، لبنان.

١٦٩ ـ **العلو للعلي الغفار**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط. الأولى، ١٩٩٥م.

١٧٠ ـ **العين**، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٧١ ـ **غريب الحديث**، للقاسم بن سلام الهروي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، ط. الأولى، ١٣٩٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٧٢ ـ **الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة**، لابن حبيش أبو القاسم بن عبد الرحمن، تحقيق: سهيل زكار، ط. الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٧٣ ـ **الفائق**، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: على البجاوي، محمد أبو الفضل، دار المعرفة، ط. الثانية، لبنان.

١٧٤ ـ **فتاوى ابن رشد**، للإمام محمد بن أحمد بن رشد، الجد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، ط. الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٧٨م، وحققه: محمد الحبيب التجكاني تحت عنوان: مسائل أبي الوليد بن رشد، ط. الثانية، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٧٥ ـ **فتاوى الإمام الشاطبي**، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

١٧٦ ـ **الفتن والنكبات العامة وأثرها في الشعر الأندلسي**، د. فاضل فتحي، دار الأندلس، ط. الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١٧٧ ـ **فتوح البلدان**، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٧٨ ـ **فتوح شمال أفريقيا والمغرب في تاريخ الطبري**، الملوك والأمم، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٧٩ ـ **الفرق بين الفرق**، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، ط. الأولى، ١٩٩٧م، بيروت.

١٨٠ ـ **الفصل في الملل والنحل**، لأبي محمد علي بن حزم، تحقيق: د. محمد نصرو، د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، دار القلم.

١٨١ ـ **فضائح الكنائس والبابوات والقسس والرهبان والراهبات**، لمصطفى فوزي غزال، توزيع دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط. الثالثة.

١٨٢ ـ **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر**، عبد المجيد الشرفي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

١٨٣ ـ **فهرس ابن عطية**، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، ط. الثانية، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.

١٨٤ ـ **فهرسة ابن خير**، لأبي بكر محمد بن خير الأموي الأشبيلي، تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٨٥ ـ **قاموس الكتاب المقدس**، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د. بطرس عبد الملك، جون الكساندر، أ. إبراهيم مطر، منشورات مكتبة المشعل، بيروت.

١٨٦ ـ **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دون بيانات أخرى للطبعة.

١٨٧ ـ **القبس في شرح موطأ مالك بن أنس**، للإمام أبي بكر بن العربي، تحقيق: د. عبد الله ولد كريم، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٩٩٢م.

١٨٨ ـ **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ط. الثالثة، ١٩٧٣م.

١٨٩ ـ **قضاة قرطبة**، لأبي عبد الله محمد بن الحارث الخشني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط. الثانية، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٩٠ ـ **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، لأبي نصر الفتح بن محمد بن خاقان، تحقيق: محمد العناني، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م.

١٩١ ـ **الكامل في التاريخ**، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثانية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٩٢ ـ **الكتاب المقدس، التوراة والإنجيل**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

١٩٣ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى القسطنطيني الرومي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

١٩٤ ـ **لسان العرب**، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، طبعة دار صادر، بيروت.

١٩٥ ـ **مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره**، د. محمد بن عبود، منشورات عكاظ ١٩٨٩م، الرباط.

١٩٦ ـ **المجامع المسيحية وأثرها في النصرانية**، د. محمد رجب الشتيوي، ط. ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٩٧ ـ **المجمع الفاتيكاني الثاني، دساتير ـ قرارات ـ بيانات**، معهد القديس بولس حريصا، لبنان، أشرف على ترجمته من اللاتينية: الأب حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية ط. الأولى، ١٩٩٢م.

١٩٨ ـ **محاضرات في النصرانية**، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.

١٩٩ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، للقاضي عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف بالمغرب، ط. الثانية، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٠٠ ـ **محنة الموريسكوس في أسبانيا**، د. محمد قشتيليو، مطبعة الشويخ، المغرب، بلا تاريخ.

٢٠١ ـ **المحلى**، لأبي محمد أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: أحمد شاكر، القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٤٨هـ.

٢٠٢ ـ **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٠٣ ـ **المختار في الرد على النصارى**، لأبي عثمان الجاحظ، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
٢٠٤ ـ **مدنية المسلمين في أسبانيا**، جوزيف ماك كيب، ترجمة: د. محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف ط. الثانية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
٢٠٥ ـ **المرقبة العليا فيمن يستحق لقضاء والفتيا**، لأبي الحسن النباهي، تحقيق: د. مريم الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٠٦ ـ **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، لأبي الحسن علي بن الحسن المسعودي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط. الرابعة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٢٠٧ ـ **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٢٠٨ ـ **مسند إسحاق بن راهوية**، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٢٠٩ ـ **مسند ابن الجعد**، علي بن الجعد بن عبيد، تحقيق: أحمد عامر حيدر، مؤسسة عامر، بيروت، ١٩٩٠م ١٤١٠هـ.
٢١٠ ـ **المسند للإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة بمصر، عن النسخة الميمنية.
٢١١ ـ **مسند الحميدي**، لأبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨١هـ.
٢١٢ ـ **مسند الشاميين الإمام بن أحمد الطبراني، أبو القاسم**، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م ـ ١٤٠٥هـ.
٢١٣ ـ **المصباح المنير**، أحمد بن يحي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.
٢١٤ ـ **المطلع على أبواب المقنع**، محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، تحقيق: محمد بشير الإدلبي، المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ ١٩٨١م، بيروت.
٢١٥ ـ **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، لأبي نصر الفتح ابن خاقان تحقيق: محمد علي شوابكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة.

٢١٦ ـ **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد الحكمي، تحقيق: عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢١٧ ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، لعبد الواحد المراكشي، تحقيق: محمد سعيد العريان، بلا تاريخ.

٢١٨ ـ **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.

٢١٩ ـ **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور، محمود الحاج، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٩٨٥م ـ ١٤٠٥هـ.

٢٢٠ ـ **المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي**، لابن الأبار، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ط. الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٢١ ـ **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، تحقيق: د. حمدي السلفي، مكتبة دار العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ.

٢٢٢ ـ **معجم ما استعجم**، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط. الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٢٢٣ ـ **معيار الاختيار**، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، طبع اللجنة المشتركة بين الإمارات والمغرب.

٢٢٤ ـ **المعين في طبقات المحدثين**، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم، دار الفرقان، عمان ـ الأردن، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٢٥ ـ **المغرب في ترتيب المغرب**، لأبي الفتح ناصر الدين بن المطرز، تحقيق: محمد فاخوري، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٢٦ ـ **المغرب في حلى المغرب**، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، ط. الثانية، ١٩٦٤م، دار المعارف مصر.

٢٢٧ ـ **المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم**، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين مستو وغيره، دار ابن كثير، ط. الأولى، ١٤١٧هـ.

٢٢٨ ـ **مقالات لاهوتية في سبيل الحوار**، مشير باسيل عون، تقديم: كيرلس سليم، تعقيب: عادل خوري، مركز الحوار المسيحي الإسلامي، حريصا، لبنان، المكتبة البولسية ١٩٩٧م، جونيه، لبنان.

٢٢٩ ـ **مقامع هامات الصلبان ورواتع روضات الإيمان**، لأبي عبيدة الخزرجي، تحقيق: د. محمد شامه، تحت مسمى: بين المسيحية والإسلام، مكتبة وهبه، القاهرة.

٢٣٠ ـ **المقامات اللزومية**، د. حسن الوراكلي، دار الغرب الإسلامي.

٢٣١ ـ **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، لأبي عبد الله بن الأبار، اختيار وتقييد: أبي إسحاق البلفيقي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٣٢ ـ **المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات**، لأبي الوليد بن رشد، الجد، نشر: محمد أفند ساسي المغربي التونسي، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ.

٢٣٣ ـ **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، لابن حيان• حيان بن خلف القرطبي، تحقيق: د. محمود علي مكي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، وجزء من تحقيق: د. إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط. الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٣٤ ـ **مقدمة ابن خلدون**، لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط. الخامسة، ١٩٨٤م.

٢٣٥ ـ **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٣٦ ـ **المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل**، لأبي الفضل السعودي المالكي، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، القاهرة، ط. الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٢٣٧ ـ **المن بالإمامة، تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، عبد الملك بن صاحب الصلاة، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط. ١٩٨٧م.

٢٣٨ ـ **منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل** د. عزية علي طه، ط. الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٣٩ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، إشراف د. مانع الجهني، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط. الثالثة، ١٤١٨هـ.

٢٤٠ ـ **المواقف**، عضد الدين الإيجي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٧م.

٢٤١ ـ **منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية**، لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط. الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٤٢ ـ **الموسوعة العربية العالمية**، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط الثانية، ١٤١٩هـ.

٢٤٣ ـ **الموافقات في أصول الشريعة**، لأبي إسحاق الشاطبي، تعليق: أبو عبيدة مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ط. الأولى، ١٤١٧هـ. الخبر.

٢٤٤ ـ **الموسوعة العربية الميسرة**، إشراف: محمد شفيق غربال، القاهرة، دار القلم، ١٩٥٩م، ونسخة دار الشعب ومؤسسة فرنكلين.

٢٤٥ ـ **الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون**، د. لويي كادرياك، ترجمة: د. عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجزائرية، تونس، ١٩٨٣م.

٢٤٦ ـ **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، لأبي بكر بن العربي، تحقيق: عبد الكبير العلوي، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٤٧ ـ **ناصر الدين على القوم الكافرين، مختصر رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب**، لأحمد بن القاسم الحجري الأندلسي، تحقيق: محمد رزوق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، ط. الأولى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٤٨ ـ **نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر**، لمؤلف أندلسي مجهول، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار حسان، دمشق، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٤٩ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.

٢٥٠ ـ **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، لأبي عبد الله محمد بن إدريس، عالم الكتب، ط. الأولى، بيروت، ١٩٨٩م.

٢٥١ ـ **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، لابن القطان المراكشي أبو حسن بن علي الكتامي، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي ط. الأولى، ١٩٩٠م، بيروت.

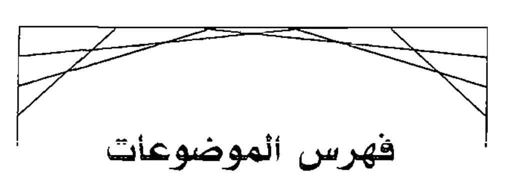
٢٥٢ ـ **نفح الطيب**، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة ١٩٩٧م، وقديمة، ١٩٦٨م.

٢٥٣ ـ **النهاية في غريب الأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
٢٥٤ ـ **نوادر الإمام ابن حزم**، لأبي عبد الرحمٰن بن عقيل الظاهري، خرجها وعلق عليها، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
٢٥٥ ـ **نيل الابتهاج**، أحمد بابا التنبكتي، نشر عبد الحميد الهرامة، ط. الأولى، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا ١٩٨٩م. وط. الأولى، ١٣٢٩هـ مطبعة السعادة، بمصر.
٢٥٦ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
٢٥٧ ـ **الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمالي أفريقيا**، د. محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م.
٢٥٨ ـ **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، أبو العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة المصرية، وتحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.
٢٥٩ ـ **ياقوتة الأندلس**، للدكتور حسن الواركلي، دار الغرب الإسلامي ط. ١٩٩٤م.
٢٦٠ ـ **يقظة أولي الاعتبار**، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة عاطف، دار الأنصار، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

ثالثاً: دوريات ومجلات وأخرى:

٢٦١ ـ **شريط فيديو عن حياة المسيح**، بمناسبة عام ٢٠٠٠، الألفية الثالثة للنصرانية.
٢٦٢ ـ **صحيفة الشرق الأوسط**.
٢٦٣ ـ **صحيفة المدينة**، السعودية، ملحق الرسالة.
٢٦٤ ـ **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد**، عام ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م، تحقيق: د. حسين مؤنس.
٢٦٥ ـ **مجلة البيان**.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

كان الفراغ منه مساء الأربعاء ١٤٢١/١١/٢٧هـ
الجمهورية الإسلامية الموريتانية ـ أنواكشوط

